

فَتْحُ الْمُنْعَمِ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ

تَابِعَ كِتَابَ الطَّبِّ وَالْمَرْضَى
كِتَابَ الْأَدَبِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَغَيْرَهَا
كِتَابَ الشَّعْرِ - كِتَابَ التَّرْوِيحِ - كِتَابَ الْفَضَائِلِ
كِتَابَ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ

الجزء التاسع

الأستاذ الدكتور
موسى سافين لأرشين

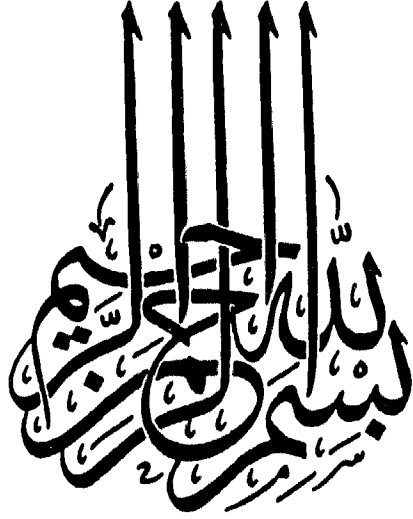
دار الشروق

فتوح المنعمين
شرح صحيح مسلم

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب.: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
e-mail: dar@shorouk.com www.shorouk.com
بيروت: ص.ب.: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٣١٥٨٥٩ (٩٦١)



تابع

كتاب الطب والمرض

٥٩٩- باب قتل الحيات والأبتر والوزغ والهرة وسقى البهائم.

(٥٩٩) باب قتل الحيات والأبتر والوزغ والهرة وسقى البهائم

٥٠٧٧-١٢٧ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١٢٧) قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ ذِي الطُّفَيْتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ وَيُصِيبُ الْحَبْلَ.

٥٠٧٨-- فِي رِوَايَةٍ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: الْأَبْتَرُ وَذُو الطُّفَيْتَيْنِ.

٥٠٧٩-١٢٨ عَنْ سَالِمٍ^(١٢٨) عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ، فَإِنَّهُمَا يَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ وَيَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ» قَالَ: فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقْتُلُ كُلَّ حَيَّةٍ وَجَدَهَا، فَأَبْصَرَهُ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ أَوْ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُطَارِدُ حَيَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنِ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ.

٥٠٨٠-١٢٩ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١٢٩) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلَابِ يَقُولُ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَالْكِلَابَ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَنَرَى ذَلِكَ مِنْ سُمِّيهِمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَلَبِثْتُ لَا أَتْرُكُ حَيَّةً أَرَاهَا إِلَّا قَتَلْتُهَا، فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً يَوْمًا مِنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، مَرَّ بِي زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ أَبُو لُبَابَةَ وَأَنَا أُطَارِدُهَا، فَقَالَ: مَهْلَا يَا عَبْدَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِهِنَّ. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى عَنِ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ.

٥٠٨١-١٣٠ وَعَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ صَالِحًا^(١٣٠) قَالَ: حَتَّى رَأَيْتُ أَبُو لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَزَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَا: إِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنِ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ. وَفِي حَدِيثِ يُونُسَ: «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَلَمْ يَقُلْ ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ».

٥٠٨٢-١٣١ عَنْ نَافِعٍ^(١٣١) أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ كَلَّمَ ابْنَ عُمَرَ لِيَفْتَحَ لَهُ بَابًا فِي دَارِهِ يَسْتَقْرِبُ بِهِ إِلَى

(١٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

- وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَنَا هِشَامٌ

(١٢٨) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ

(١٢٩) وَحَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَأْمُرُ بِقَتْلِ ذِي الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبْلَ وَيَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَنَرَى ذَلِكَ مِنْ سُمِّيهِمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَلَبِثْتُ لَا أَتْرُكُ حَيَّةً أَرَاهَا إِلَّا قَتَلْتُهَا، فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً يَوْمًا مِنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، مَرَّ بِي زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ أَبُو لُبَابَةَ وَأَنَا أُطَارِدُهَا، فَقَالَ: مَهْلَا يَا عَبْدَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِهِنَّ. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى عَنِ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ.

(١٣٠) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ ح وَ

حَدَّثَنَا حَسَنُ الْحُلَوَائِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحِ كُلِّهِمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ صَالِحًا قَالَ:

(١٣١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ نَافِعٍ

الْمَسْجِدِ، فَوَجَدَ الْعُلَمَاءَ جَلَدَ جَانٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: التَّمَسُّوهُ فَاقْتُلُوهُ. فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: لَا تَقْتُلُوهُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَانِ الَّتِي فِي الْبُيُوتِ.

٥٠٨٣-١٣٢ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقْتُلُ الْحَيَّاتِ كُلَّهِنَّ، حَتَّى حَدَّثَنَا أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْبَدْرِيِّ^(١٣٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ جِنَانِ الْبُيُوتِ فَأَمْسَكَ.

٥٠٨٤-١٣٣ عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا لُبَابَةَ^(١٣٣) يُخْبِرُ ابْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَانِ.

٥٠٨٥-١٣٤ عَنْ أَبِي لُبَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١٣٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَيْعِيُّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَانِ الَّتِي فِي الْبُيُوتِ.

٥٠٨٦-١٣٥ عَنْ نَافِعٍ^(١٣٥) أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مَسْكَنُهُ بِقُبَاءٍ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسًا مَعَهُ يَفْتَحُ خَوْخَةَ لَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ مِنْ عَوَامِرِ الْبُيُوتِ، فَأَرَادُوا قَتْلَهَا. فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: إِنَّهُ قَدْ نُهِيَ عَنْهُنَّ، يُرِيدُ عَوَامِرَ الْبُيُوتِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَبْتَرِ وَذِي الطُّفَيْتَيْنِ. وَقِيلَ: هُمَا اللَّذَانِ يَلْتَمِعَانِ الْبَصَرَ وَيَطْرَحَانِ أَوْلَادَ النِّسَاءِ.

٥٠٨٧-١٣٦ عَنْ عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ^(١٣٦)، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَوْمًا عِنْدَ هَدْمِ لَهُ فَرَأَى وَبِصَ جَانٍ، فَقَالَ: اتَّبِعُوا هَذَا الْجَانِ فَاقْتُلُوهُ. قَالَ أَبُو لُبَابَةَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَانِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبُيُوتِ إِلَّا الْأَبْتَرَ وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ؛ فَإِنَّهُمَا اللَّذَانِ يَخْطِفَانِ الْبَصَرَ وَيَتَّبِعَانِ مَا فِي بُطُونِ النِّسَاءِ.

٥٠٨٨- وفي رواية عن نافع؛ أن أبا لُبَابَةَ مَرَّ بِابْنِ عُمَرَ وَهُوَ عِنْدَ الْأُطَمِ الَّذِي عِنْدَ دَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَرُصِدُ حَيَّةً. بَنَحُو حَدِيثَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

(١٣٢) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ حَدَّثَنَا نَافِعٌ قَالَ
(١٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا لُبَابَةَ
(١٣٤) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي لُبَابَةَ
(١٣٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيَّ قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ
(١٣٦) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَهْضَمٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ عِنْدَنَا ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ نَافِعٍ
- وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي أُسَامَةُ أَنَّ نَافِعًا حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ

٥٠٨٩-١٣٧ عن عبد الله^(١٣٧) قال: كنا مع النبي ﷺ في غار، وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفاً، فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية، فقال: «اقتلوها» فابتدرناها لبقولها، فسبقتنا. فقال رسول الله ﷺ: «وقاها الله شركم كما وقاكم شرها».

٥٠٩٠-١٣٨ عن عبد الله^(١٣٨) أن رسول الله ﷺ أمر محرماً بقتل حية بمى.

٥٠٩١-- وفي رواية عن عبد الله^(١٣٩) قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمثل حديث جرير وأبي معاوية.

٥٠٩٢-١٣٩ عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة^(١٣٩) أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقفلها، فأشار إلي أن اجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم. قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس. قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قرينة» فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليضعها به، وأصابته غيرة. فقالت له: اكفف عليك رُمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمتها به ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى. قال: فحينئذ إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا ادع الله يحييه لنا. فقال: «استغفروا لصاحبيكم» ثم قال: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فادنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان».

(١٣٧) حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحق بن إبراهيم واللفظ ليحيى قال يحيى وإسحق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله

- وحدثنا قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة قالوا حدثنا جرير عن الأعمش في هذا الإسناد بمثله.

(١٣٨) وحدثنا أبو كريب حدثنا حفص يعني ابن غياث حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله

(-) وحدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله

(١٣٩) وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني مالك بن أنس عن صفية وهو عندنا مولى ابن أفلح أخبرني أبو السائب

٥٠٩٣-١٤٠ عن أبي السائب^(١٤٠) قال: دخلنا على أبي سعيد الخدري، فبينما نحن جلوس إذ سمعنا تحت سريره حركة، فنظرنا فإذا حيّة. وساق الحديث بقصته نحو حديث مالك عن صفية^(١٤١) وقال فيه: فقال رسول الله ﷺ: «إن لهذه اليبوت عوامر، فإذا رأيتم شيئاً منها فحرجوا عليها ثلاثاً، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر» وقال: «لهم اذهبوا فادفئوا صاحبكم».

٥٠٩٤-١٤١ عن أبي سعيد الخدري^(١٤١) قال: سمعته قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان».

٥٠٩٥-١٤٢ عن أم شريك رضي الله عنها^(١٤٢) أن النبي ﷺ أمرها بقتل الأوزغ. وفي حديث ابن أبي شيبة: أمر.

٥٠٩٦-١٤٣ عن أم شريك رضي الله عنها^(١٤٣) أنها استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان، فأمر بقتلها. وأم شريك إحدى نساء بني عامر بن لؤي. اتفق لفظ حديث ابن أبي خلف وعبد بن حميد وحديث ابن وهب قريب منه.

٥٠٩٧-١٤٤ عن عامر بن سعد، عن أبيه^(١٤٤) أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقا.

٥٠٩٨-١٤٥ عن عائشة رضي الله عنها^(١٤٥) أن رسول الله ﷺ قال: «للوزغ الفويسق» زاد حرملة قالت ولم أسمع أمر بقتله.

٥٠٩٩-١٤٦ عن أبي هريرة^(١٤٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل وزغة في أول

(١٤٠) وحدَّثني محمد بن رافع حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي قال سمعت أسماء بن عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ السَّائِبُ وَهُوَ عِنْدَنَا أَبُو السَّائِبِ

(١٤١) وحدَّثنا زهير بن حرب حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني صفية عن أبي السائب عن أبي سعيد

(١٤٢) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وإسحق بن إبراهيم وابن أبي عمير قال إسحق أخبرنا وقال الآخرون حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة عن سعيد بن المسيب عن أم شريك

(١٤٣) وحدَّثني أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن جريج ح وحدَّثني محمد بن أحمد بن أبي خلف حدثنا روح حدثنا ابن جريج ح وحدَّثنا عبد بن حميد أخبرنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبة أن سعيد ابن المسيب أخبره أن أم شريك

(١٤٤) حدثنا إسحق بن إبراهيم وعبد بن حميد قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه

(١٤٥) وحدَّثني أبو الطاهر وحرملة قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن الزهري عن غروة عن عائشة

(١٤٦) وحدَّثنا يحيى بن يحيى أخبرنا خالد بن عبد الله عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة

ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَاً وَكَذَاً حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَاً وَكَذَاً حَسَنَةً لِذَوْنِ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّلَاثَةِ فَلَهُ كَذَاً وَكَذَاً حَسَنَةً لِذَوْنِ الثَّانِيَةِ».

٥١٠٠-١٤٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٤٧) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمَعْنَى حَدِيثِ خَالِدٍ عَنِ سُهَيْلٍ إِلَّا جَرِيرًا وَحَدُهُ فَإِنَّ فِي حَدِيثِهِ: «مَنْ قَتَلَ وَزَعًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةً وَفِي الثَّانِيَةِ ذُوْنُ ذَلِكَ وَفِي الثَّلَاثَةِ ذُوْنُ ذَلِكَ».

٥١٠١-٦١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً».

٥١٠٢-١٤٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٤٨) عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ».

٥١٠٣-١٤٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٤٩) أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَارِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً».

٥١٠٤-١٥٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٥٠) عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَارِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فِي النَّارِ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً».

٥١٠٥-١٥١ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ^(١٥١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا

(١٤٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَالَةَ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَاءَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ كُلُّهُمْ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَاءَ عَنْ سُهَيْلٍ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١٤٨) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٤٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُعْبِرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٥٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَائِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٥١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

- وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَعَنْ سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِ مَعْنَاهُ.

- وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مَعْنِ بْنِ عِيسَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ.

حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ».

٥١٠٦-١٥٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله قَالَ: «عُدْبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، لَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ».

٥١٠٧-- وفي رواية عن هشام بهذا الإسناد، وفي حديثهما: رَبَطْتَهَا. وفي حديث أبي معاوية «حَشَرَاتِ الْأَرْضِ».

٥١٠٨-١٥٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خِفَّةَ مَاءٍ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ حَتَّى رَفِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».

٥١٠٩-١٥٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٤)، عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبئْرِ قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمَوْقِعِهَا، فَغَفَرَ لَهَا».

٥١١٠-١٥٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مَوْقِعَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ، بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ».

المعنى العام

منذ هبط آدم من الجنة إلى الأرض كان لابد أن يتعامل مع ما حوله من المخلوقات، ليتواءم ويعيش، نزل الله تعالى له ولبنيه بعض مخلوقاته، فاستخدمها وانتفع بها من أحياء البحر واليابسة،

- (١٥٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
- وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْعَارِثِ
- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ قَالَ الزُّهْرِيُّ
وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله بِمَعْنَى حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.
(١٥٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ عَنْ سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَخْمَرِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٥٥) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ عَنْ أَيُّوبَ السَّخِينِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

ولم يذلل له بعضا آخر، علمه كيف يتعامل معها، وكيف يتقى شرها، ويأخذ حذرہ منها، أو كيف يقضى عليها، ويتخلص منها، ليكون له في هذا الكفاح والشقاء أجر وثواب.

من هذه المخلوقات الشريرة المؤذية لبنى آدم الأفاعى والحيات والثعابين والعقارب، وشر هذا النوع ما يعرف بالأبتر، وهو ثعبان قصير الذيل، يسحب بصر الإنسان إذا وقع بصره على بصره، وما يعرف بذى الطفيتين، أى صاحب الخطين الممتدين على ظهره، وهو ثعبان إذا نظرت إليه الحامل سقط حملها، حث رسول الله ﷺ على قتل الأفاعى عامة، ووصى بقتل الأبتر وذات الطفيتين منها بصفة خاصة.

ومن هذه المخلوقات الضارة المؤذية الوزغ أو الأبرص، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فويسقا، وقال عنه إنه خارج عن طبيعة المخلوقات المسالمة إلى طبيعة الحشرات المؤذيات، واستنهض رسول الله ﷺ هم المسلمين لقتله، فوعده من قتله بضربة واحدة بالأجر الكبير، ودونه من قتله بضربتين، ودونه من قتله بثلاث ضربات أو ما بعدها.

أما النمل فبعضه يؤذى وبعضه لا يؤذى، فرخص الشارع قتل المؤذى فى حدود دفع الأذى.

ثم أوصى الشارع بالحيوانات الأليفة خيرا، وأوصى بالإحسان إليها، وإطعامها وسقيها، وعدم إيذاءها، فقد حبست امرأة هرة، فلا هى أطعمتها وسقتها، ولا هى تركتها بدون حبس، لتبحث لها عن حشرة تأكلها، وتجد لها ماء تشربه، لكنها حبستها، حتى ماتت جوعا، وعطشا، هذه المرأة أخبر الله نبيه ﷺ أنها ستعذب بالنار يوم القيامة.

وهذا رجل يمشى فى صحراء، يشتد عليه العطش، حتى كاد يهلكه، أخذ يبحث عن ماء، فوجد بئرا، نزل فشرّب، فلما خرج من البئر وجد كلبا يلهث، ويخرج لسانه جافا من شدة العطش يلعق بلسانه التراب، لعله يجد فيه رطوبة تخفف عنه جفاف اللسان والعطش، فقال الرجل: لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثل ما بلغ بى، فنزل البئر ثانية، فلم يجد ما يرفع به الماء للكلب سوى خفه، فمألا واحدا من خفيه، وأمسكه بفمه، ليتمكن من الصعود من البئر بيديه، حتى خرج من البئر، فسقى الكلب حتى روى، فشكر الله لهذا الرجل إحسانه إلى الكلب، فغفر له ذنوبه.

وهذه امرأة بغي، زانية، ترى كلبا يلهث من العطش، فتأخذها الشفقة على الكلب فتخلع حذاءها، وتملؤه ماء، وتسقى به الكلب، فيشكر الله لها، فيغفر لها زناها.

وقع ذلك فى الأمم السابقة، ويحكيه رسول الله ﷺ لأصحابه، مرغبا فى الإحسان إلى الحيوان، فيقول الصحابة: إذن لنا أجر فى سقينا دوابنا؟ فيقول صلى الله عليه وسلم: نعم. إن فى إروائكم لأى حيوان أجرا وثوابا.

المباحث العربية

(أمر رسول الله ﷺ بقتل ذى الطفيتين) أى صاحب الطفيتين، والطفيتان تشنية طفية، بضم الطاء وسكون الفاء وفتح الياء، وهى خوصة شجر المقل، بضم الميم وسكون القاف، وهو شجر

الدوم، بفتح الدال، وهو يشبه النخل، وتطلق الطففة على الخط الأبيض، أو الأسود، أو الأصفر على ظهر الحية، وتطلق عبارة « ذات الطفيتين على حية لينة خبيثة، على ظهرها خطان، وكأنهما مشبهان بخوصتى المقل، وكان حقه أن يقول: ذات الطفيتين، فهي حية، ولكنه أريد النوع، فكأنه قال: اقتلوا هذا النوع.

وفى ملحق الرواية « الأبتروذو الطفيتين » وفى الرواية الثانية « اقتلوا الحيات، وذا الطفيتين والأبتتر » فعطفهما على الحيات من عطف الخاص على العام، وفى الرواية الثالثة « اقتلوا الحيات والكلاب، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتتر » والأبتتر نوع من الحيات، مقطوع الذنب، وقيل: الأبتتر الحية القصيرة الذنب، وقال الداودى: هي الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكبر قليلا، وعطف الأبتتر على ذى الطفيتين يقتضى أنهما متغايران، لكن جاء فى رواية « لا تقتلوا الحيات، إلا كل أبتتر ذى طفيتين »، فظاهر هذه الرواية أنهما متحدان، قال الحافظ ابن حجر: لكن لا ينفي المغايرة. اهـ.

فقد تكون ذات الطفيتين طويلة الذنب، وقد تكون قصيرة الذنب، فأمر بقتل النوعين فى رواية، وأمر بقتل نوع فى رواية.

والثعبان ذكر الحيات، وقيل: الكبير من الحيات، ذكرنا كان أو أنتى، والأفاعى جمع أفعى، وهى الأنتى من الحيات، والذكر منها « أفعوان » بضم الهمزة والعين، بينهما فاء ساكنة، وكنية الأفعوان أبو حيان، وأبو يحيى، لأنه يعيش ألف سنة، وهو الشجاع الأسود، الذى يوائب الإنسان، قالوا: ومن صفة الأفعى أنها إذا قفئت عينها عادت، ولا تغمض حدقتها أبدا، والأساود جمع أسود، قال أبو عبيد: هى حية فيها سواد، وهى أخبث الحيات، ويقال له: أسود سالخ، لأنه يسلم جلد كل عام، وفى سنن أبى داود والنسائى « أعوذ بالله من أسد وأسود » وقيل: هى حية رقيقة رقشاء، دقيقة العنق، عريضة الرأس، وربما كانت ذات قرنين، والهاء فى الحية للوحدة، كدجاجة.

(فإنه يلتمس البصر، ويصيب الحبل) والضمير لذى الطفيتين، وفى الرواية الثانية « فإنهما يستسقطان الحبل، ويلتمسان البصر » والضمير لذى الطفيتين والأبتتر، وإسناد الفعل لهما لا يتعارض مع إسناده لأى منهما، والحبل بفتح الحاء والباء حمل المرأة، « ويستسقطان » أى يصيران الحمل سقطا، ومعنى « يلتمسان البصر » أى يقصدانه، فيذهبان، وفى الرواية الثالثة « ويستسقطان الحبالى » وفى الرواية التاسعة « فإنهما اللذان يخطفان البصر، ويتبعان ما فى بطون النساء » أى يسقطانه، مجاز بذكر السبب، وإرادة المسبب. وفى الرواية الثامنة « هما اللذان يلتمعان البصر، ويطرحان أولاد النساء » وفى رواية البخارى « فإنهما يطمسان البصر » أى يحوان نوره، وفى رواية « ويذهب البصر » وفى رواية « فإنه يسقط الولد » وفى رواية « ويذهب الحبل » وكلها بمعنى.

قال نضر بن شميل: الأبتتر صنف من الحيات أزرق، مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل إلا ألقته ما فى بطنها. قال النووى: معنى « يستسقطان الحبل » أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما، وخافت، أسقطت الحمل غالبا، وقد ذكر مسلم فى روايتنا الثالثة قول الزهرى « ونرى ذلك من سميها » بضم نون « نرى » أى نظن، قال: وأما « يلتمسان البصر » ففيه تأويلان، ذكرهما الخطابى وآخرون، أحدهما: معناه يخطفان البصر ويطمسانه، بمجرد نظرهما إليه، لخاصة جعلها الله تعالى فى بصريهما، إذا

وقح على بصر الإنسان، ويؤيد هذا التأويل الرواية الثامنة «يلتمعان البصر» والتاسعة «يخطفان البصر» والتأويل الثاني أنهما يقصدان البصر بالسع والنهش، والأول أصح وأشهر. قال العلماء: وفي الحيات نوع يسمى الناظر، إذا وقع نظره على عين إنسان مات من ساعته.

(فكان ابن عمر يقتل كل حية وجدها) سواء كانت من ذوات البيوت أو فى الصحراء، أى يقتلها إذا قدر عليها، وفى الرواية الثالثة: «قال ابن عمر: فلبثت لا أترك حية أراها إلا قتلتها» أى إن قدرت عليها، وفى رواية البخارى «أن ابن عمر كان يقتل الحيات، ثم نهى، قال: إن النبى ﷺ هدم حائطا له، فوجد فيه سلخ حية، أى جلدها الذى غيرته - فقال: انظروا أين هو؟ فنظروا فقال: اقتلوه، قال ابن عمر: فكننت أقتلها لذلك»

(فأبصره أبولبابة بن عبد المنذر أوزيد بن الخطاب، وهويطارده حية) «أبولبابة» بضم اللام، صحابى مشهور وهو أوسى من بنى أمية بن زيد، ليس له فى الصحيح إلا هذا الحديث، وكان أحد النقباء، وشهد أحدا، ويقال: شهد بدرا، واستعمله النبى ﷺ على المدينة، وكانت معه راية قومه عند الفتح، ومات فى أول خلافة عثمان، وزيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ليس له فى الصحيح إلا هذا الموضع، وفى الرواية الثانية والثالثة «أبولبابة أوزيد بن الخطاب» بالشك، وفى الرواية الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة. «أبولبابة» من غير شك، والظاهر أنهما كانا معا، ونسب القول لهما، فى ملحق الرواية الثالثة على أساس أن القائل أحدهما، ومواقفه الآخر فى حكم قوله أيضا، ومعنى «يطارده حية» أى يطلبها ويتبعها ليقتلها.

(فقال: إنه قد نهى عن نوات البيوت) فى الكلام مضاف محذوف، أى نهى عن قتل نوات البيوت أى اللاتى يوجدن فى البيوت، وظاهره التعميم فى جميع البيوت، وعن مالك تخصيصه ببيوت المدينة، وقيل يختص ببيوت المدن، دون غيرها، وفى الرواية الرابعة والخامسة والتاسعة «نهى عن قتل الجنان التى فى البيوت» و«الجنان» بجيم مكسورة، ونون مفتوحة مشددة، جمع جان، وهى الحية الصغيرة، قيل: الرقيقة الخفيفة، وقيل: الرقيقة البيضاء، وفى الرواية الثامنة «إذا هم بحية من عوامر البيوت» وفى رواية للبخارى «إنه نهى بعد ذلك عن نوات البيوت، وهى العوامر» قال الحافظ ابن حجر: «وهى العوامر» من كلام الزهرى، أدرج فى الحديث، قال أهل اللغة: عمار البيوت سكانها من الجن، وتسميتهن عوامر، لطول لبثهن فى البيوت، مأخوذ من العمر، وهو طول البقاء، وفى روايتنا الثالثة عشرة «إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيت شيئا منها، فخرجوا عليها ثلاثا» أى ثلاث مرات، وقيل: ثلاث ليال، ومعنى «خرجوا عليهن» بفتح الحاء وكسر الراء المشددة بعدها جيم، أى قولوا لهن: أنتن فى ضيق وخرج، إن لبثت عندنا، أو ظهرت لنا، أو عدت إلينا، قتلناك.

(يفتح خوخة له) بفتح الخاء، وإسكان الواو، وهى كوة بين دارين أو بيتين، يدخل منها، وقد تكون فى حائط منفرد. والكوة النافذة الصغيرة، وفى الرواية التاسعة «كان عبد الله بن عمر يوما عند هدم له» وفى الرواية الرابعة «أن أبا لبابة كلم ابن عمر ليفتح له بابا فى داره، يستقرب به إلى المسجد» أى ليصير به قريبا من المسجد - «فوجد الغلما» - بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام - «جلد جان، فقال عبد الله: التمسوه» أى ابحثوا عن الثعبان «فاقتلوه» وفى الرواية الثامنة «فبينما

عبد الله بن عمر - جالسا معه - يفتح خوخه له، إذا هم بحية « وفي ملحق الرواية التاسعة « أن أبا لبابة مر بابين عمر، وهو عند الأطم « بضم الهمزة والطاء، وهو القصر، وجمعه أطام، كعنق وأعناق « الذي عند دار عمر بن الخطاب، يرصد حية « أى يرقبها ويبحث عنها، بواسطة الغلما، ليقتلها.

(كنا مع النبي ﷺ فى غار، وقد أنزلت عليه « والمرسلات عرفا) فى رواية البخارى
بينما نحن مع النبي ﷺ فى غار بمنى، إذ نزل عليه « والمرسلات « وفى رواية « كان ذلك ليلة عرفة، قال الحافظ ابن حجر « بمنى « أصح مما أخرجه الطبرانى فى الأوسط « على حراء «.

وقوله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قيل فى تفسيره أن الله تعالى يقسم بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام، يقسم بطوائف الملائكة، التى يرسلها إلى الخلق للأمر بالمعروف وتحويلهم من الظلمات إلى النور، وجواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ﴾.

(فنحن نأخذها من فيه رطبة) أى لم يجف ريقه منها وفى رواية للبخارى « فتلقيناها من فيه، وإن فاه لرطب بها « وفى رواية له « وإنا لتلقاها من فيه « وفى رواية أخرى له « وإنه ليتلوها، وإنى لأتلقاها من فيه «.

(إذ خرجت علينا حية) فى رواية للبخارى « إذ وثبت علينا حية «.

(فابتدرناها لنقتلها، فسبقتنا) أى تسابقنا أينما يدركها؟ فسبقتنا كلنا، وفى رواية للبخارى « فابتدرناها فذهبت «.

(وقاها الله شركم، كما وقاكم شرها) أى إن الله سلمها منكم، كما سلمكم منها.

(أمر محرما بقتل حية بمنى) هذا مأخوذ من الرواية العاشرة، فقد كانوا محرمين بالحج، وأمرهم رسول الله ﷺ بقتلها.

(فسمعت تحريكا فى عراجين) بفتح العين، جمع عرجون بضمها، وهو الفروع التى تحمل تمر النخل.

(فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار) أى فلما انصرف وانتهى من الصلاة، والبيت فى الأصل ما يبني فيه الأدمى، والدار تجمع المبانى والساحة، وكان دارهم كانت فسيحة، تتكون من بيوت لأفراد الأسرة.

(فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق) أى إلى حفر الخندق.

(فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار) « أنصاف النهار « بفتح الهمزة منتصفه، وكأنه وقت لآخر النصف الأول وأول النصف الثانى، فجمعه لذلك، ويحتمل أن يكون جمعه لتعددده بحسب تعدد الأيام.

(فيرجع إلى أهله) أى إلى زوجته، ليطالع حالها، ويقضى حاجتها، ويؤنسها فى وحشتها فقد كانت عروسا.

(خذ عليك سلاحك، فإنى أخشى عليك قريظة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع) كانت

بنو قريظة قد عاهدت رسول الله ﷺ أن لا تعين عليه من يحاربه، فنكثت العهد، وأعانت قريشا على حربه فى غزوة الخندق، فكان صلى الله عليه وسلم يخشى على أصحابه من غدر اليهود، أن ينفردوا بأحد المسلمين فى المدينة، فأوصى هذا الفتى بالحذر منهم، وذكر الراوى هذه القضية ليبين كيف أن الفتى كاد يستخدم سلاحه ضد زوجته.

(فإذا امرأته بين البابين قائمة) كانت غيرة العرب على نسائهم، وبخاصة حديثه العرس، تمنع الزوجة من البروز فى فناء الدار وتحدد إقامتها فى دائرة الحريم. حجرة النوم وما حولها من حجرات، فوجد الفتى امرأته قد خرجت من الدائرة المحددة لها، ووقفت فى فناء الدار بين باب الحريم والباب العام للبيت.

(فأهوى إليها الرمح) أى رفع رمحه، وصوبه نحوها، يريد طعنها به.

(اكفف عليك رمحك) أى اضمم إليك رمحك، يقال: كف الشيء يكفه بضم الفاء، إذا ضم بعضه إلى بعض.

(فإذا بحية عظمية منطوية على الفراش) أى ملتف بعضها حول بعض، فوق فراش زوجته.

(فأهوى إليها بالرمح، فانتظمها به) أى طعنها به وضم بعضها إلى بعض، أى فصارت كومة فظنها قد ماتت، ولم تكن ماتت.

(ثم خرج فركزه فى الدار) مطهئنا، فلا حاجة له به.

(فاضطربت عليه) أى تحركت على غير نظام، وهاجمته، وأصابته بسهما، ثم وقعت ميتة ووقع الفتى ميتا.

(فما يدرى. أيهما كان أسرع موتا؟ الحية؟ أم الفتى؟) «فما يدرى» بضم الياء، مبنى للمجهول، أى فما يدرى أحد، أيهما كان أسبق موتا؟ لسرعة موتهما.

(ادع الله يحييه لنا) لمحبتنا له، واعتزازنا به، و«يحييه» مؤول بمصدر من غير سابق، مجرور بحرف جر، والتقدير: ادع الله بإحيائه لنا.

(إن بالمدينة جنا، قد أسلموا) وأنهم يتشكلون بالأفاعى والحيات.

(فإذا رأيتم منهم شيئا) على هيئة حية.

(فأذنوه ثلاثة أيام) أى أذنوه وأعلموه وأندروه أن لا يعود للظهور، وأعطوه مهلة ثلاثة أيام، وفى الرواية الثالثة عشرة «خرجوا عليها ثلاثا» بفتح الحاء وتشديد الراء المكسورة، أى ضيقوا عليها بإنذارها.

(فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان) أى متمرد، وفى الرواية الثالثة عشرة «فإن ذهب، وإلا فاقتلوه، فإنه كافر» جواب الشرط الأول، وفعل الشرط الثانى محذوفان، والتقدير: فإن ذهب ولم يرجع سلم منكم وسلمتم منه، وإن لم يذهب ورجع إليكم فاقتلوه. قال النووى: قال العلماء: معناه إذا لم يذهب بالإنذار، علمتم أنه ليس من عوامر

البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان، فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم بشأره، بخلاف العوامرومن أسلم.

(أذهبوا، فادفنوا صاحبكم) رد على قولهم ادع الله يحييه لنا.

(أمرها بقتل الأوزاغ) جمع وزغ بفتح الواو والزاي، ووزغة، أو الوزغة الأنثى، والوزغ الذكر، سام أبرص، جلده يشبه البرص - بفتح الراء، المرض المعروف -، ويعرف « بالبرص » بضم الباء وسكون الراء، قال النووي: واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وفي الرواية السادسة عشرة « أنها استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان » بكسر الراء وسكون الزاي « فأمر بقتلها » وفي الرواية السابعة عشرة « أمر بقتل الوزغ، وسماه فويسقا » وفي الرواية الثامنة عشرة « قال للوزغ: الفويسق » واللام في « للوزغ بمعنى » عن « والمعنى أنه سماه « فويسقا » وهو تصغير تحقير، مبالغة، والفسق الخروج عن الحد بالأذى، والرواية التاسعة عشرة والمتممة للعشرين، والواحدة والعشرون، قصد بها تكثير الثواب في قتله بأول ضربة، ثم ما يليها، فالمقصود الحث على المبادرة بقتله، والاعتناء به، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات، ربما انفلت، وفات قتله.

قال النووي: وأما تقييد الحسنات في الضربة الأولى بمائة، وفي الرواية الأخرى بسبعين، فجوابه أن هذا مفهوم العدد، ولا يعمل به عند الأصوليين وغيرهم، فذكر سبعين لا يمنع المائة، فلا معارضة بينهما، أو لعله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أولا بسبعين، ثم تصدق الله تعالى بالزيادة، فأعلم بها النبي ﷺ، حين أوحى إليه بعد ذلك، ويحتمل أن ذلك يختلف باختلاف قاتلي الوزغ، بحسب نياتهم، وإخلاصهم، وكمال أحوالهم ونقصها، فتكون المائة للكامل منهم، والسبعون لغيره. والله أعلم.

(أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء) قيل: هو العزيز، وروى الحكيم الترمذي في النوادر أنه موسى عليه السلام، وبذلك جزم الكلاباندي في معاني الأخبار، والقرطبي في التفسير، وفي الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة » أى قرصته، هو بالذال والغين، وليس بالذال والعين فإن معناه الإحراق، ولا يصح هنا.

(فأمر بقرية النمل فأحرقت) المراد من قرية النمل مساكنها وموضع اجتماعها، قال الحافظ ابن حجر: والعرب تفرق في الأوطان، فيقولون لمسكن الإنسان وطن، ولمسكن الإبل عطن، ولمسكن الأسد عرين وغابة، ولمسكن الطيبى كناس، ولمسكن الضب وجار، ولمسكن الطائر عش، ولمسكن الزنبور كور، ولمسكن اليربوع نافق ولمسكن النمل قرية، وفي رواية للبخارى « ثم أمر ببيتها فأحرق ».

وفي الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين « فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر بها فأحرقت » ففي الكلام مضاف محذوف، تقديره: ثم أمر بقريتها، بدلالة الرواية الأخرى، وبدلالة مؤاخذة الله تعالى له، والجهاز بفتح الجيم وكسرها هو المتاع، وإخراجه من تحتها، يدل على أن قرية النمل كانت فوق الشجرة، أو الضمير في « تحتها » للشجرة، وكانت قرية النمل تحتها أيضا.

(فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) « أن » وما دخلت عليه في تأويل مصدر، مجرور بفي، متعلق بأهلكت، وجملة « أهلكت » مفعول به لفعل « أوحى » « وفي » للسببية كقوله « دخلت امرأة النار في هرة »

والتقدير: أوحى الله إليه هذه الجملة: أهلكت أمة بسبب قرص نملة لك؟ والكلام على الاستفهام الإنكارى التوبيخى، أى ما كان ينبغى ذلك، وجملة « تسبح » صفة ثانية لأمة، أى أهلكت أمة من الأمم مسبحة، إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفى وصف الأمة بالتسبيح زيادة توبيخ، وفى الرواية الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين « فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟ » فهلا « للتوبيخ والتنذيم، وتختص بالدخول على الفعل الماضى، والفعل هنا مقدر، و« نملة » بالنصب مفعوله، والتقدير: هلا عاقبت نملة واحدة، فقد قرصتك نملة واحدة، و« هلا » إذا دخلت على المضارع تكون للعرض أو التحضيض، ولا يصح هنا، والنملة واحدة النمل، وجمع الجمع نمل، والنمل أعظم الحيوانات حيلة فى طلب الرزق، ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئاً ولو قل أنذر الباقيين، ويحتكر فى زمن الصيف للشتاء، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض، وإذا حفر مكانه اتخذه تعاريج لئلا يجرى إليه ماء المطر، وليس فى الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره.

(عذبت امرأة فى هرة) الفعل الماضى مراد به الاستقبال، أى ستعذب وعبر بالماضى لتحقيق الوقوع، و« فى » للسببية، وفى الكلام مضاف محذوف، أى بسبب إيذاء أو قتل هرة، وفى رواية البخارى « دخلت امرأة النار فى هرة » وجاء فى رواية أن المرأة كانت حميرية، وفى أخرى أنها كانت من بنى إسرائيل، قال الحافظ ابن حجر: ولا تضاد بينهما، لأن طائفة من حمير كانوا قد دخلوا فى اليهودية، فنسبت إلى دينها تارة، وإلى قبيلتها أخرى. اهـ. وفى رواية « من جرا هرة » و« جرا » بفتح الجيم وتشديد الراء مقصور، ويجوز فيه المد، والهرة أنثى السنور والهر الذكر ويجمع « الهر » على « هررة » كقرد وقردة، وتجمع « الهرة » على « هرر » كقربة وقرب.

(سجنتها حتى ماتت) فى ملحوظ الرواية السادسة والعشرين « ريطتها »

(لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها) وفى الرواية السادسة والعشرين « لم تطعمها ولم تسقها ».

(ولا هى تركتها، تأكل من خشاش الأرض) وفى ملحوظ الرواية السادسة والعشرين « ولم تتركها تأكل من حشرات الأرض » و« خشاش الأرض » بالخاء المفتوحة والمكسورة والمضمومة، والفتح أشهر، وروى بالخاء المهملة، والصواب الأول، وهى هوام الأرض وحشراتهما، وقيل: المراد به نبات الأرض قال النووى: وهو ضعيف أو غلط. اهـ.

وفى رواية للبخارى « دنت منى النار، حتى قلت، أى رب، وأنا معهم؟ فإذا امرأة تخدشها هرة، قال: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً ».

(بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش) فى رواية « بينما رجل يمشى بفلاة » وفى رواية « يمشى بطريق مكة » ويجمع بينهما بأنه كان يمشى بفلاة بطريق مكة، وفى رواية البخارى « فاشتد عليه العطش، بالفاء الواقعة موقع « إذ » وسقطت هذه الفاء من رواية مسلم، ووقع فى رواية « فاشتد عليه العطش » قال ابن التين: العطاش داء يصيب الغنم، فلا تروى، وهو غير مناسب هنا.

(فإذا كلب يلهث) بفتح الهاء وكسرها، واللَّهث المصدر بإسكانها، والاسم للهث بفتحها، وهو ارتفاع النفس من الإعياء، وقال ابن التين: لهث الكلب، أخرج لسانه من العطش، ولهث الرجل إذا أعبأ، ورجل لهثان، وامرأة لهثى، كعطشان وعطشى.

(يأكل الثرى من العطش) أى يكدم بفمه الأرض الندية، والجملة صفة كلب، أو حال من ضميره فى « يلهث »

(لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى) « مثل » بالفتح، أى بلغ مبلغا مثل الذى بلغ بى، وضبطه بعضهم بالرفع على أنه فاعل « بلغ » والإشارة مفعول.

(فنزل البئر، فملأ خفه ماء) فى رواية ابن حبان « فنزع أحد خفيه »

(ثم أمسكه بفيه) احتاج إلى ذلك ليعالج بيديه الصعود من البئر

(حتى رقى) بفتح الراء وكسر القاف، كصعد وزنا ومعنى، وفى لغة طيى يفتحون عين الفعل المعتل اللام، والأول أفصح.

(فسقى الكلب) زاد فى رواية « حتى أرواه » أى جعله ريانا.

(فشكر الله له، فغفر له) أى أثنى عليه، أو قبل عمله، أو جازاه بفعله، قال القرطبي: معنى قوله « فشكر الله له » أى أظهر ما جازاه به عند ملائكته، فالفاء فى « فغفر له » تفسيرية، أو من عطف الخاص على العام.

(قالوا...) سُمى من هؤلاء السائلين سراقاة بن مالك، رواه أحمد وابن ماجه.

(وإن لنا فى هذه البهائم لأجرا)؟ معطوف على محذوف، تقديره: الأمر كما ذكرت، وإن لنا، وفى الكلام مضاف محذوف، أى فى سقى هذه البهائم، أو فى الإحسان إلى هذه البهائم.

(فى كل كبد رطوبة أجر) « رطوبة » أى حية، فالمراد رطوبة الحياة، أو لأن الرطوبة لازمة للحياة، فهو كناية، والمعنى أجز ثابت فى إرواء كل كبد حية، والكبد يذكر ويؤنث، والعموم فى « كل كبد » قيل مخصوص ببعض البهائم، مما لا ضرر فيه، وسيأتى التفصيل فى فقه الحديث.

(أن امرأة بغيا) بفتح الباء وكسر الغين، وهى الزانية، قال الحافظ ابن حجر: وتطلق على الأمة مطلقا، وفى روايتنا التاسعة والعشرين « بغى من بغايا بنى إسرائيل ».

(رأت كلبا فى يوم حار، يطيف ببئر) « يطيف » بضم أوله، من أطاف، يقال: أطفت بالشيء إذا دامت المرور حوله، وفى الرواية التاسعة والعشرين « يطيف بركية » بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد الياء، وهى البئر مطوية أو غير مطوية، وغير المطوية يقال لها: جب وقليب، ولا يقال لها بئر، حتى تطوى، وقيل: الركى البئر قبل أن تطوى، فإذا طويت فهى الطوى، يقال: طوى البئر بالحجارة، أى بناها أو عرشها.

(قد أدلع لسانه من العطش) يقال: أدلع لسانه، ودلع لسانه، لغتان، أى أخرجه لشدة العطش، وخرج من الفم واسترخى من ظمأ أو تعب.

(فنزعت له بموقها) «الموق» بضم الميم هو الخف، فارسي معرب، ومعنى «نزعت له بموقها» أى استقت له بخفها، يقال: نزعت بالدلو، إذا استقتت به من البئر.

فقه الحديث

قال النووي: قال المازرى: لا تقتل حيات مدينة الرسول ﷺ إلا بإنذارها [كما جاء فى الرواية الثانية عشرة] «فإذا رأيتم شيئاً منها فخرجوا عليها ثلاثاً» قيل: ثلاثة أيام، وقيل ثلاث مرات، «فإن ذهب، وإلا فاقتلوه، فإنه كافر» فإن أنذرها، ولم تنصرف قتلها.

قال: وأما حيات غير المدينة، فى جميع الأرض والبيوت والدور، فيندب قتلها، من غير إنذار لعموم الأحاديث الصحيحة فى الأمر بقتلها، وفى الرواية الثانية «اقتلوا الحيات» وفى الرواية الثالثة «اقتلوا الحيات والكلاب» وفى الرواية العاشرة «إذ خرجت علينا حية، فقال: اقتلوها» ولم يذكر إنذاراً، ولا نقل أنهم أنذروها، قال: فأخذ العلماء بهذه الأحاديث فى استحباب قتل الحيات مطلقاً، وخصت المدينة بالإنذار الوارد فيها، وسببه صرح به فى الحديث - روايتنا الثانية عشرة - أنه أسلم طائفة من الجن بها.

وذهبت طائفة من العلماء إلى عموم النهى فى حيات البيوت بكل بلد، حتى تنذر، وأما ما ليس فى البيوت، فيقتل من غير إنذار، وقال مالك: يقتل ما وجد منها فى المساجد.

قال القاضى: وقال بعض العلماء: الأمر بقتل الحيات مطلقاً مخصوص بالنهى عن جنان البيوت، إلا الأبتروذا الطفيتين، فإنه يقتل على كل حال (فكأنه قال: اقتلوا الحيات إلا حيات البيوت، فلا تقتلوهما، إلا بعد الإنذار، وإلا الأبتروذا الطفيتين، فاقتلوهما، وإن كانا فى البيوت بدون إنذار) وإلا ما ظهر منها بعد الإنذار

وأما صفة الإنذار فقال القاضى: روى ابن حبيب عن النبى ﷺ أنه يقول: أنشدكن بالعهد الذى أخذته عليكم سليمان بن داود، ألا تؤذونا، ولا تظهرن لنا.

وقال مالك: يكفى أن يقول: أخرج عليك بالله واليوم الآخر أن لا تبدولنا، ولا تؤذينا. اهـ.

والذى أميل إليه جواز قتل جميع الحيات فى أى مكان بدون إنذار، لحديث البخارى «خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن» وفى رواية «كلهن فاسق، يقتلن فى الحرم» وذكر منها العقرب فى رواية «الحية» فى رواية أخرى، وإذا رفع الإثم فى قتلها على المحرم، وفى الحرم رفع عن الحلال من باب أولى، ثم كيف نأمن الشعبان على أطفالنا مع الإنذار؟ أعتقد أن طلب الإنذار كان لنوعية خاصة، ومكان خاص وزمن خاص، لا يقاس عليه، وكذا ما ورد عن أبى لبابة وزيد بن الخطاب. والله أعلم.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من قوله فى الرواية الأولى والثانية «فإنه يلتمس البصر، ويصيب الحبل» أن هناك تأثيراً بدون ملامسة، كالأسعة غير المرئية، ويحمل على مثلها إصابة العين.

٢- وأن هناك من المخلوقات ما لا نعرف فائدة في خلقه، وأنه مؤذ دائما، اللهم إلا أن يقال: إن من الحكمة في خلقه تخويف العباد، والحث على توقي الشر. والله أعلم.

٣- ومن قتل ابن عمر لكل حية، تنفيذًا لما سمع من النبي ﷺ، وكذلك إمساكه بناء على سماع أبي لبابة، مدى ما كان عليه من دقة الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ.

٤- ومن عمل أبي لبابة وزيد بن الخطاب حرص الصحابة على التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو من غير الأعم للأعم.

٥- من تعليله صلى الله عليه وسلم لقتل الأبتروذى الطفيتين ما ينبغى للعالم إذا أفتى أن يسوق الدليل والتعليل لفتواه.

٦- ومن الرواية الثالثة، قتل الكلاب، وفيه تفصيل سبق.

٧- ومن الرواية العاشرة والحادية عشرة جواز قتل المحرم للفواسق الواردة.

٨- ومن قوله في الرواية العاشرة «وقاها الله شركم، ووقاكم شرها». أن الشر والخير نسبي، فقتلكم إياها شر بالنسبة لها، وإن كان خيرا بالنسبة إليكم.

٩- وفي الحديث جواز قتل الحية في الحرم.

١٠- وجواز قتلها في جحرها.

١١- ومن الرواية الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة استحباب قتل الوزغ والحث عليه والترغيب فيه، لكونه من المؤذيات.

١٢- والحث على المبادرة بقتله، والاعتناء به، وكثرة الثواب على قتله.

١٣- ومن الرواية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين جواز إحراق الحيوان المؤذى بالنار، على أساس أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه، ولا سيما إذا ورد على لسان الشارع ما يشعر باستحسان ذلك، لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار، قال النووي: هذا الحديث محمول على أنه كان جائزًا في شرع ذلك النبي قتل النمل، وجواز التعذيب بالنار، فإنه لم يقع عليه العتب في أصل القتل، ولا في الإحراق، بل في الزيادة على النملة الواحدة، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار، إلا إذا أحرقت إنسانا، فمات بالإحراق، فلوليه القصاص بإحراق الجاني، للحديث المشهور «لا يعذب بالنار إلا الله».

ثم قال: وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز، واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس «أن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدد، والصرد» (بضم الصاد وفتح الراء، طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات) رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، اهـ.

أما الخطابي وغيره فقد قيدوا النهي عن قتل النمل بالنمل السليمانى، وقال البغوى: النمل الصغير الذى يقال له الذر، يجوز قتله، وبه جزم الخطابى.

١٤- قال عياض: فى هذا الحديث جواز قتل كل مؤذ.

١٥- قال القرطبى: ظاهر هذا الحديث أن هذا النبى إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه، بإهلاك جمع، أذاه منه واحد، وكان الأولى به الصبر والصفح، وكأنه وقع له - أى ظن - أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة الحيوان، فلو انفرد هذا النظر - وهذا الظن - ولم ينضم إليه التشفى لم يعاتب، قال: والذي يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء، وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم، وأشد له خشية. اهـ. وعلى هذا يؤخذ من الحديث قتل ما عساه يؤذى الغير، ولو لم يقع منه إيذاء للغير، لا على العقوبة، ولكن للحماية.

١٦- واستدل بقوله فى الرواية الثانية والعشرين «أهلكت أمة من الأمم تسبح» أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز، بأن يكون سببا للتسييح.

١٧- ومن الرواية الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين أن المسلم قد يعذب بأمر يراها صغيرة ﴿وَوَحْسَبُوهُ هَيْئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] وقيل: إن المراد من «عذبت امرأة» فى روايتنا الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين العذاب بالحساب، لأن من نوقش الحساب عذب، لكن يرد هذا القول رواية البخارى بلفظ «دخلت امرأة النار فى هرة...» قال النووى «الذى يظهر أن المرأة كانت مسلمة، وإنما دخلت النار بهذه المعصية، وهذه المعصية ليست صغيرة، بل صارت بإصرارها كبيرة، وقال القاضى عياض: يحتمل أن تكون المرأة كافرة، فعذبت بالنار حقيقة. اهـ. أى عذابا فوق عذاب الكفر، قال الحافظ ابن حجر: ويؤيد كونها كافرة، ما أخرجه البيهقى فى البعث والنشور.

١٨- وفى الحديث جواز اتخاذ الهرة، وربطها، إذا لم يهمل إطعامها وسقيها، ويلتحق بذلك غير الهرة مما فى معناها. وتحريم قتل الهرة.

١٩- وأن الهر لا يملك، وإنما يجب إطعامه على من حبسه، كذا قال القرطبى، واستبعد الحافظ ابن حجر دلالة الحديث على ذلك.

٢٠- وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكة. كذا قال النووى، واستبعد الحافظ ابن حجر هذا المأخذ، وقال: ليس فى الخبر أنها كانت فى ملكها، لكن فى قوله «هرة لها» كما هى فى رواية ما يقرب من ذلك. اهـ. والحق مع النووى، حيث إن نفقة المحبوس على حابسه واضحة فى الحديث، فمن باب أولى المملوك.

٢١- ومن الرواية السابعة والعشرين الحث على الإحسان إلى الناس، لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقى الكلب، فسقى المسلم أعظم أجرا.

٢٢- واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركين، حيث لا يكون هناك مسلم، قال الحافظ ابن حجر: وكذا إذا دار الأمر بين البهيمة، والأدمى المحترم، واستويا فى الحاجة، فالأدمى أحق.

٢٣- وفيه جواز السفر منفردا، وبغير زاد، ومحل ذلك فى شرعنا ما إذا لم يخف على نفسه الهلاك.

٢٤- استدل بقوله «فى كل كبد رطبة أجر» على عموم الإحسان للحيوان، قال النووى: إن عمومه

مخصوص بالحيوان المحترم، وهو ما لم يؤمر بقتله، فيحصل الثواب بسقيه، ويلتحق به إطعامه وغيره من وجوه الإحسان، أما هذا الحديث، فقد كان في بني إسرائيل، وقال ابن التين، لا يمتنع إجراؤه على عمومه، يعنى فيسقى، ثم يقتل، لأننا أمرنا بأن نحسن القتلة، ونهينا عن المثلة.

٢٥- واستدل به على طهارة سؤر الكلب، وتعقب بأنه شرع من قبلنا، على أنه فعل بعض الناس، ولا يدري. هل هو كان ممن يقتدى به أم لا.

٢٦- ومن الرواية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين، أن سقى الماء يكفر الكبائر.

والله أعلم

كتاب

الأدب من الألفاظ وغيرها

٦٠٠- باب سب الدهر- تسمية العنب كرمًا - قول عبدى وأمتى - استعمال المسك.

(٦٠٠) باب سب الدهر - تسمية العنب كرمًا - قول: عبدي

وأمتي - استعمال المسك

٥١١١-١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار».

٥١١٢-٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: يؤذي ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار».

٥١١٣-٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل يؤذي ابن آدم يقول يا خيبة الدهر، فلا تقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما».

٥١١٤-٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر».

٥١١٥-٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٥)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

٥١١٦-٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٦) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر. ولا تقولن أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم».

٥١١٧-٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٧)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا كرم، فإن الكرم قلب المؤمن».

(١) وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح وخرملة بن يحيى قال أخبرنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال قال أبو هريرة.

(٢) وحدثناه إسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمير واللفظ لابن أبي عمير قال إسحاق أخبرنا وقال ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٣) وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٤) حدثنا قتيبة حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

(٥) وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن هشام بن سبير عن أبي هريرة.

(٦) حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة.

(٧) حدثنا عمرو الناقد وابن أبي عمير قالوا حدثنا سفيان عن الزهري عن سفيان عن أبي هريرة.

٥١١٨-٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٨)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَسْمُوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ؛ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٥١١٩-٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٩) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ الْكَرْمَ؛ فَإِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

٥١٢٠-١٠ عن أبو هريرة رضي الله عنه (١٠)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ؛ إِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ».

٥١٢١-١١ عن علقمة بن وإبل (١١) عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَقُولُوا الْكَرْمَ، وَلَكِنْ قُولُوا الْحَبْلَةَ يَعْنِي الْعِنَبَ».

٥١٢٢-١٢ عن علقمة بن وإبل (١٢)، عن أبيه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا تَقُولُوا الْكَرْمَ، وَلَكِنْ قُولُوا الْعِنَبَ وَالْحَبْلَةَ».

٥١٢٣-١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأُمَّتِي، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَّتِي وَقَتَايَ وَقَتَاتِي».

٥١٢٤-١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ قَتَايَ، وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي».

٥١٢٥-- وفي رواية عن الأعمش بهذا الإسناد وفي حديثيهما: «وَلَا يَقُلْ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ مَوْلَايَ» وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

(٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يَعْقِبٍ ابْنُ يُونُسَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ
(١٢) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ غَمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكٍ قَالَ سَمِعْتُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ
(١٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٤) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ
كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ

٥١٢٦-١٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٥) عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «لا يقل أحدكم اسق، ربك أطعم ربك، وضئ ربك، ولا يقل أحدكم ربي، وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي فتاتي غلامي».

٥١٢٧-١٦ عن عائشة رضي الله عنها ^(١٦) قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقيت نفسي» هذا حديث أبي كريب، وقال أبو بكر، عن النبي ﷺ ولم يذكر: لكن.

٥١٢٨-١٧ عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ^(١٧)، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم خبثت نفسي، وليقل لقيت نفسي».

٥١٢٩-١٨ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(١٨)، عن النبي ﷺ قال: «كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين، فاتخذت رجلين من خشب وخاتما من ذهب معلق مطبق، ثم حشته مسكا وهو أطيب الطيب، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها، فقالت بيدها هكذا» ونفض شعبة يده.

٥١٣٠-١٩ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(١٩) أن رسول الله ﷺ: ذكر «امرأة من بني إسرائيل حشت خاتمها مسكا والمسك أطيب الطيب».

٥١٣١-٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢٠) قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه ربحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل طيب الريح».

(١٥) وحدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبو هريرة

(١٦) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة ح وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة كلاهما عن هشام عن أبيه عن عائشة

- وحدثناه أبو كريب حدثنا أبو معاوية بهذا الإسناد

(١٧) وحدثني أبو الطاهر وحرمله قالا أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي أمامة

(١٨) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن شعبة حدثني خليد بن جعفر عن أبي نضرة عن أبي سعيد

(١٩) حدثنا عمرو الناقد حدثنا يزيد بن هارون عن شعبة عن خليد بن جعفر والمستمير قالا سمعنا أبا نضرة يحدث

عن أبي سعيد

(٢٠) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن المفضل قال أبو بكر حدثنا أبو عبد الرحمن المفري

عن سعيد بن أبي أيوب حدثني غيب اللب بن أبي جعفر عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة

٥١٣٢-٢١١ عَنْ نَافِعٍ^(٢١) قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا اسْتَجَمَرَ اسْتَجَمَرَ بِالْأَلْوَةِ غَيْرَ مُطْرَأَةٍ
وَبِكَافُورٍ يَطْرُحُهُ مَعَ الْأَلْوَةِ. ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ يَسْتَجِمِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

المعنى العام

خمسة آداب تشملها أحاديث الباب، والأدب الشرعى قد يكون واجبا، أو مندوبيا، وقد يكون إرشادا إلى الأولى والأفضل، وقد جمع هذه الآداب كل هذه الأنواع.

فالتحريم من سب الدهر والزمان واجب، لأن الزمان مخلوق لله، وذم الصنعة تسيء إلى الصانع، وسب الصنعة - وهى لا ذنب لها - سب لصانعها، والظرف نعمة، خلقه الله وعاء للأعمال الصالحات فتضييعها، فضلا عن سبها سفه حرام، وإيذاء صانعها، وخالفها بسبها حرام يشبه الكفران.

الأدب الثانى: البعد عن تكريم ما حرم الله، فلا يقال للخمر كرم، ولا يقال للعنب كرم، بل الأولى أن يقال له: عنب.

الأدب الثالث: يستحب أن لا يقول السيد: عبدى وأمتى، لأننا جميعا عبيد لله، ونساؤنا إماء لله، ولا يتناول القوى على الضعيف، ويستحب أن لا يقول العبد عن سيده: ربي، ولا يقول أحد للعبد: أطعم ريك، أو اسق ريك، أو وضئ ريك، لأن الرب على الحقيقة هو الله تعالى.

الأدب الرابع: يسن أن يبتعد المسلم عن وصف نفسه بالخبيث أو بالصفات الأخرى القبيحة.

الأدب الخامس: يستحب للمسلم استعمال الطيب فى كل مناسبة اجتماع مع الآخرين.

المباحث العربية

(يسب ابن آدم الدهر) السب الشتم، والمراد وصف الزمان بالشر والقبح، فى الرواية الثالثة يقول «يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر» وفى رواية «واخيبة الدهر» بالنصب على الندبة، كأنه فقد الدهر، لما يصدر عنه مما يكرهه، فندبه متفجعا عليه، أو متوجعا منه، وفى رواية «وا دهره. وا دهره» والخيبة الخسران، فاتهام الزمان بالخسران والفساد، وشتمه بذلك، أو الدعاء عليه بالخيبة والخسران والحرمان من الخير خطأ وسفه، يؤدى إلى شتم الله تعالى، فالزمان مخلوق، وهو وعاء وظرف لأعمال الإنسان، ولا تأثير له على الاعمال، ولا يوصف بالسوء، والمظروف الذى هو العمل، هو الذى يسيئه أو يحسنه، والدهر فى اللغة مدة الحياة كلها، أو الزمن الطويل، أو ألف سنة، أو مائة سنة، أو الزمان قل أو كثر، وهو المراد هنا.

(٢١) حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ وَأَبُو طَاهِرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى قَالَ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا وَقَالَ الْأَخْرَانِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي
مَخْرَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ نَافِعٍ

(وأنا الدهر، بيدي الليل النهار) فى الرواية الثانية «وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفى الرواية الثالثة «فإنى أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما».

قال الخطابى: معناه أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه، الذى هو فاعلها، وإنما الدهر زمان، جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه، أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر.

وقال النووى: قوله «أنا الدهر» بالرفع، وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث، فقال: لا تسبوه، فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل، فإنكم إذا سببتموه سببتمونى، أو الدهر هنا بمعنى «الداهر» فقد حكى الراغب أن الدهر فى قوله «إن الله هو الدهر» (فى روايتنا الرابعة) غير «الدهر» فى قوله «يسب الدهر» قال: والدهر الأول الزمان، والثانى المدبر المصرى لما يحدث، ثم استضعف الراغب هذا القول لعدم الدليل عليه، ثم قال: لو كان كذلك لعد الدهر من أسماء الله تعالى. اهـ.

فالحاصل أن المراد بقوله «إن الله هو الدهر» أو «أنا الدهر» أى المدبر للأمور، أو الكلام على حذف مضاف، أى أنا صاحب الدهر، أو التقدير: أنا مقلب الدهر، ولذلك عقب بقوله فى الرواية الثانية «أقلب الليل والنهار» وفى الرواية الثالثة «أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما» وعند أحمد «بيدى الليل والنهار، أجده وأبليه، وأذهب بالملوك»

(يؤذنى ابن آدم، يسب الدهر) قال القرطبى: معناه يخاطبني من القول بما يتأذى به من يجوز فى حقه التأذى، والله منزه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا على التوسع فى الكلام، والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله تعالى، وقال النووى: معناه يعاملنى معاملة توجب الأذى فى حقكم.

(ولا يقولن أحدكم للعنب: الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم) وفى الرواية السابعة: «لا تقولوا: كرم، فإن الكرم قلب المؤمن» وفى الرواية الحادية عشرة «لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: الحبلية، يعنى العنب»، وفى الرواية الثانية عشرة «ولكن قولوا: العنب والحبلية» وفى الرواية الثامنة «لا تسموا العنب الكرم» وعند الطبرانى والبخارى «إن اسم الرجل المؤمن فى الكتب الكرم، من أجل ما أكرمه الله على الخليفة وإنكم تدعون الحائط من العنب الكرم» وقد حكى ابن بطال عن ابن الأنبارى أنهم سمو العنب كرماً، لأن الخمر المتخذة منه تحت على السخاء، وتأمراً بمكارم الأخلاق، حتى قال شاعرهم:

والخمر مشتقة المعنى من الكرم

فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم، حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم وجعل المؤمن، الذى يتقى شربها، ويرى الكرم فى تركها أحق بهذا الاسم. وقال الخطابى ما ملخصه إن المراد بالنهى تأكيد تحريم الخمر، بمحو اسمها، لأن فى تبقية هذا الاسم لها تقرير لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً، وقال «إنما الكرم قلب المؤمن» لما فيه من نور الإيمان،

وهدى الإسلام، وحكى القرطبي عن المازري أن السبب في النهي أنه لما حرمت عليهم الخمر، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، كره صلى الله عليه وسلم أن يسمى هذا المحرم باسم يهيج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك لهم، قال الحافظ ابن حجر: والذي قاله المازري ورد النهي تارة عن العنب، وتارة عن شجرة العنب، فيكون التنفير بطريق الفحوى، لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال، بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه، فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أخرى.

وقال ابن أبي جمرة: لما كان اشتقاق الكرم - بسكون الراء - من الكرم - بفتحها، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض، فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة، إلا عن قلب المؤمن، الذي هو خير الأشياء، لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه. اهـ.

أما «الحبلة» فهي بفتح الحاء والباء، وحكى ضم الحاء مع سكون الباء وفتحها، هي شجرة العنب، وقيل: أصل الشجرة، وقيل: فرعها.

(لا يقولن أحدكم: عبدى وأمتى، كلكم عبيد لله، وكل نسائكُم إماء الله، ولكن ليقل: غلامى، وجارىتى، وفتاى وفتاتى) فى الرواية الخامسة عشرة «وليقل: فتاى. فتاتى. غلامى» قال النووى: يكره للسيد أن يقول لمملوكة: عبدى وأمتى، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبي ﷺ العلة فى ذلك، فقال: «كلكم عبيد لله» فنهى عن التناول فى اللفظ، كما نهى عن التناول فى الفعل، فى إسبال الإزار أو غيره، قال: والظاهر أن المراد بالنهى استعماله على جهة التعظيم، لا الوصف والتعريف.

(ولا يقل العبد: ربى، ولكن ليقل: سيدى) وفى ملحق الرواية «ولا يقل العبد لسيدته: مولاي، فإن مولاكم الله عزوجل» وفى الرواية الخامسة عشرة «لا يقل أحدكم: اسق ريك. أطعم ريك. وضئ ريك. ولا يقل أحدكم: ربى، وليقل: سيدى. مولاي» قال النووى: قال العلماء: مقصود الأحاديث نهى المملوك أن يقول لسيدته: ربى، لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى، لأن الرب هو المالك، أو القائم بالشيء، ولا يوجد حقيقة هذا إلا فى الله تعالى فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ فى أشراط الساعة «أن تلد الأمة ربّتها أربها»؟ فالجواب من وجهين. أحدهما: أن الحديث الثانى لبيان الجواز، وأن النهى فى الأول للأدب، وكرهة التنزيه، لا التحريم، والثانى: أن المراد النهى عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة، واتخاذها عادة شائعة، ولم ينفه عن إطلاقها فى نادر الأحوال. واختار القاضى هذا الجواب، قال النووى: ولا نهى فى قول المملوك: سيدى لقوله صلى الله عليه وسلم: «ليقل: سيدى» لأن لفظة السيد غير مختصة بالله تعالى اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها، حتى نقل القاضى عن مالك، أنه كره دعاء الله بسيدى، ولم تأت تسمية الله تعالى بالسيد فى القرآن، ولا فى حديث متواتر، وقد قال النبي ﷺ: «إن ابنى هذا سيد» و«قوموا إلى سيدكم» يعنى سعد بن معاذ، وفى الحديث الآخر «اسمعوا ما يقول سيدكم» يعنى سعد بن عباد، فليس فى قول العبد: سيدى، إشكال ولا لبس، لأنه يستعمله غير العبد والأمة، قال: ولا بأس أيضاً بقول العبد لسيدته: مولاي، فإن المولى وقع على ستة عشر معنى، منها: الناصر والمالك. قال القاضى: وأما رواية «ولا يقل العبد لسيدته: مولاي» ملحق روايتنا الرابعة عشرة، فقد اختلف الرواة فى ذكر هذه اللفظة، وحذفها أصح. اهـ.

وأما قوله في الرواية الخامسة عشرة « اسق ريك. أطعم ريك. وضئ ريك » فهي أمثلة، ذكرت دون غيرها لغلبة استعمالها في المخاطبات، والألف في لفظ « اسق » يجوز فيه الوصل والقطع.

(لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقسست نفسي) « خبثت » بفتح الخاء وضم الباء، ويقال بفتح الباء، ولكن الضم أصوب قال الراغب: الخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبیح في الفعال. وقال النووي: قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: « لقسست » و « خبثت » بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وتعليمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنهما، وهجران خبيثتها، قالوا: ومعنى « لقسست » غثت، وقال ابن الأعرابي: معناه ضاقت، فإن قيل: فقد قال صلى الله عليه وسلم في الذي ينام عن الصلاة « فأصبح خبيث النفس كسلان »؟ قال القاضي وغيره: جوابه أن النبي ﷺ، مخبر هناك عن صفة غيره، وعن شخص مبهم مذموم الحال، لا يمتنع إطلاق هذا اللفظ عليه.

(فاتخذت رجلين من خشب) أى جعلت حذاءها طويلا، يرفعها.

(وخاتما من ذهب، مغلق، مطبق، ثم حشته مسكا، وهو أطيب الطيب) هكذا الرواية برفع « مغلق مطبق » خبر مبتدأ محذوف، صفة لخاتم على القطع، أى جعلت للمسك في الخاتم غلقا، يطبق على المسك، فيغلقه حيث تشاء، وتفتحه فيفوح حيث تشاء، وعند أحمد « فكانت تسير بين امرأتين قصيرتين » وكأنها كانت تسير بين طويلتين تارة، وبين قصيرتين تارة أخرى « واتخذت خاتما من ذهب، وحشت تحت فسه أطيب الطيب، المسك، فكانت إذا مرت بالمجلس حركته » بتحريك يدها « فينفح ريحه » وفي رواية أخرى لأحمد « ذكر نسوة ثلاثا من بنى إسرائيل، امرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف، فاتخذت رجلين من خشب، وصاغت خاتما، فحشته من أطيب الطيب، المسك، وجعلت له غلقا، فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس، قالت به « أى فتحت غلقه « ففاح ريحه ».

(فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها) أى مرت على الناس بين المرأتين الطويلتين، فلم يعرفها الناس، ولم يميزوها عنهما.

(ونفض شعبة يده) هذا كلام أبي أسامة الراوى عن شعبة الراوى عن خليلد بن جعفر عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى، يصف شعبة تحريكها يدها، ليفوح المسك، يصفه عمليا بيده، فينفضها ويحركها حركات سريعة.

(من عرض عليه ريحان فلا يرده) أى من عرض عليه ريحان هدية، والريحان بفتح الراء. قال النووى: قال أهل اللغة وغريب الحديث فى تفسير هذا الحديث، هو كل نبت مشموم، طيب الريح، قال القاضى: ويحتمل عندى أن يكون المراد به فى هذا الحديث الطيب كله، فعند أبى داود « من عرض عليه طيب » وفى صحيح البخارى « كان النبى ﷺ لا يرد الطيب ».

وقوله « فلا يرده » بفتح الدال، قال النووى: قال القاضى عياض: وأنكره محققو شيوخنا من أهل العربية، وقالوا: هذا غلط من الرواة، وصوابه ضم الدال، قال: ووجدته بخط بعض الأشياخ بضم الدال،

وهو الصواب عندهم على مذهب سيبويه، فى هذا، من المضاعف إذا دخلت عليها الهاء، أن يضم ما قبلها، فى الأمر، ونحوه المجزوم، مراعاة للواو التى توجبها ضمة الهاء بعدها، لخفاء الهاء، فكأن ما قبلها ولى الواو، ولا يكون ما قبل الواو إلا مضموما، هذا فى المذكر، وأما المؤنث، مثل: ردها، ففتحة الهاء لازمة بالاتفاق. قال النووى: وأما رده ونحوه للمذكر، ففيه ثلاثة أوجه. أفصحها وجوب الضم، كما ذكره القاضى، والثانى الكسر وهو ضعيف، والثالث الفتح، وهو أضعف منه.

(فإنه خفيف المحمل، طيب الريح) «المحمل» هنا بفتح الأولى وكسر الثانية، كالمجلس، والمراد به الحمل، بفتح الحاء، أى خفيف الحمل، ليس بثقيل.

(كان ابن عمر إذا استجمر استجمر بالألوة، غير مطراة، ويكافور يطرحه مع الألوة) الاستجمار هنا: استعمال الطيب، والتبخر به، مأخوذ من المجرم، بكسر الميم الأولى وفتح الثانية، و«الألوة» بفتح الهمزة وضمها، ويضم اللام، وحكى كسرهما، وهى عود، يتبخر به، فارسى معرب، وحكى «ألية» بتشديد الياء وتخفيفها، وتكسر الهمزة وتضم، وقيل: لية ولوة، وقوله «غير مطراة» بضم الميم وفتح الطاء، وتشديد الراء، أى غير مخلوطة بغيرها من الطيب، يقال: طرى الطيب، بفتح الطاء وتشديد الراء المفتوحة، أى خلطه بالأخلاق، و«الكافور» شجر معروف، يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل، يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية، وهو أصناف كثيرة.

فقه الحديث

تعرض أحاديث الباب إلى خمسة آداب:

الأول: منع سب الدهر، وسب الزمان، والروايات الست الأولى تنهى عن سبه، قال القاضى عياض: زعم بعض من لا تحقيق له، أن الدهر من أسماء الله، وهو غلط، وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث، واحتجوا به على من لا رسوخ له فى العلم، لأن الدهر عندهم حركات الفلك، وأمد العالم، ولا شيء عندهم، ولا صانع سواه، قال: وكفى فى الرد عليهم قوله فى بقية الحديث «أنا الدهر، أنا أقلب ليله ونهاره» فكيف يقلب الشيء نفسه؟ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وقال الشيخ محمد بن أبى جمرة: لا يخفى أن من سب الصنعة، فقد سب صانعها، فمن سب نفس الليل والنهار، أقدم على أمر عظيم، بغير معنى، ومن سب ما يجرى فيهما من الحوادث - وذلك هو أغلب ما يقع من الناس - وهو الذى يعطيه سياق الحديث، حيث نفى عنها التأثير، فكأنه قال: لا ذنب لهما فى ذلك، وأما الحوادث فمنها ما يجرى بوساطة العاقل المكلف، فهذا يضاف شرعا ولغة إلى الذى جرى على يديه، ويضاف إلى الله تعالى، لكونه بتقديره، فأفعال العباد من اكتسابهم، ولهذا ترتبت عليها الأحكام، وهى فى الابتداء خلق الله، ومنها ما يجرى بغير وساطة، فهو منسوب إلى قدرة القادر، وليس ليل والنهار فعل ولا تأثير، لا لغة، ولا عقلا، ولا شرعا، وهو المراد فى هذا الحديث، ويلتحق بذلك ما يجرى من الحيوان غير العاقل، ثم أشار ابن أبى جمرة إلى أن النهى عن سب الدهر تنبيه بالأعلى، على الأدنى، وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شيء مطلقا، إلا ما أذن الشرع فيه، لأن العلة واحدة. اهـ.

وقال المحققون من العلماء: من نسب شيئاً من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر، ومن جرى هذا اللفظ على لسانه، غير معتقد لذلك فليس بكافر، لكنه يكره له ذلك، لشبهه بأهل الكفر في الإطلاق، وهذا التفصيل يشبه التفصيل الذي قالوه، في قولهم: مطرنا بنوء كذا، والله أعلم.

الأدب الثاني: كراهة تسمية العنب كرماً، قال النووي: في هذه الأحاديث كراهة تسمية العنب كرماً، بل يقال: عنب، أو حبله، قال العلماء: سبب كراهة ذلك أن لفظة «الكرم» كانت العرب تطلقها على شجر العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب، سموها كرماً لكونها متخذة منه، فكره الشرع إطلاق هذا اللفظة على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا اللفظة، ربما تذكروا بها الخمر، وهيجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك. اهـ. والتحقيق أن هذه الكراهة على التنزيه.

الأدب الثالث: كراهة قول السيد لمملوكه: عبدى وأمتى، وترجم له البخارى بباب كراهية التناول على الرقيق، وقال العلماء بكراهية ذلك من غير تحريم، ويشهد للجواز قوله تعالى ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥] واتفقوا على أن النهى الوارد فى ذلك للتنزيه، حتى أهل الظاهر، وأما قول العبد: سيدى، أو ربى، أو مولاي فقد مضى فى المباحث العربية كثير مما يتعلق به، ونضيف: قال الحافظ ابن حجر: والذى يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه، كما فى قوله تعالى، حكاية عن يوسف عليه السلام، ﴿ذُكِّرْنِي تَعَلَّى﴾ [يوسف: ٤٢] ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] فدل على أن النهى فى ذلك محمول على الإطلاق، ويحتمل أن يكون النهى للتنزيه، وما ورد من ذلك فليبيان الجواز، وقيل: هو مخصوص بغير النبى ﷺ، ولا يرد ما فى القرآن، أو المراد النهى عن الإكثار من ذلك، واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهى عنها فى الجملة.

الأدب الرابع: النهى عن قول: خبيثت نفسى. قال ابن بطال هو على معنى الأدب، وليس على سبيل الإيجاب، وقال ابن أبى جمرة: النهى عن ذلك للندب، والأمر بقوله «لقسى» للندب أيضاً، فإن عبر بما يؤدى معناه كفى، ولكن ترك الأولى، ويؤخذ من الحديث استحباب مجانية الألفاظ القبيحة، والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفعال الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه، ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر، حتى فى الألفاظ المشتركة. قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله، لا يقول: لست بطيب، بل يقول: ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين، فيلحقها بالخبيثين.

الأدب الخامس: الطيب واستعماله، وهو مستحب بلا خلاف، والمسك أطيب الطيب وأفضله، وهو طاهر يجوز استعماله فى البدن والثوب، ويجوز بيعه، قال النووي: وهذا كله مجمع عليه. اهـ.

قال الجاحظ: المسك من دويبة تكون فى الصين، تصاد لنوافجها وسررها، فإذا صيدت شدت بعصائب، وهى مدلية، يجتمع فيها دمها، فإذا ذبحت قورت السرة التى عصبت، ودفنت فى الشعر، حتى يستحيل ذلك الدم المختنق الجامد مسكا ذكيا، بعد أن كان لا يرام من النتن. ومن ثم قال القفال: إنها تندب بما فيها من المسك، فتطهر، كما يظهر غيرها من المدبوغات، والمشهور أن غزال المسك كالظبي، لكن لونه أسود، وله نابان لطيفان أبيضان فى فكه الأسفل، وإن المسك دم، يجتمع

فى سرتة، فى وقت معلوم من السنة، فإذا اجتمع ورم الموضع، فمرض الغزال، إلى أن يسقط منه، ويقال: إن أهل تلك البلاد يجعلون لها أوتادا فى البرية، تحتك بها ليسقط، وعن على بن مهدي الطبرى: أنها تلقيها من جوفها، كما تلقى الدجاجة البيضة. قال النووى: وهو مستثنى من قاعدة: ما أبين من حى فهو ميت. اهـ

وحكى ابن التين عن ابن شعبان من المالكية: أن فأرة المسك إنما تؤخذ فى حال الحياة، أو بذكاة من لا تصح ذكاته من الكفرة، وهى مع ذلك محكوم بطهارتها، لأنها تستحيل عن كونها دما، حتى تصير مسكا، كما يستحيل الدم إلى اللحم، فيطهر، ويحل أكله، وليست بحيوان، حتى يقال: نجست بالموت، وإنما هى شيء يحدث بالحيوان، كالبيض، وقد أجمع المسلمون على طهارة المسك إلا ما حكى عن عمر من كراهته.

وفى الرواية العشرين النهى عن رد الطيب إذا أهدى، وفى البخارى «كان أنس رضي الله عنه لا يرد الطيب، وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب» وعند البخارى «ما عرض على النبى صلى الله عليه وسلم طيب قط فرده» قال ابن العربى: إنما كان لا يرد الطيب لمحبتة فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره، لأنه ينجى من لا ينجى. اهـ

وفى الرواية الواحدة والعشرين استحباب الاستجمار بالبخور، واستحباب الطيب للرجال، كما هو مستحب للنساء، قال النووى: لكن يستحب للرجال من الطيب ما ظهر ريحه وخفى لونه، أما المرأة فإذا أرادت الخروج إلى المسجد أو غيره كره لها كل طيب له ريح، ويتأكد استحبابه للرجال يوم الجمعة، والعيد، وعند حضور مجامع المسلمين، ومجالس الذكر والعلم، وعند إرادته معاشرة زوجته ونحو ذلك. اهـ

وفى الرواية الثامنة عشرة جواز ستر المرأة عيوب جسمها بما هو مشروع، قال النووى: وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب، حتى مشت بين الطويلتين فلم تعرف، فحكمه فى شرعنا أنها إن قصدت به مقصودا صحيحا شرعيا، بأن قصدت ستر نفسها، لئلا تعرف، فتؤذى أو نحو ذلك فلا بأس، أما إن قصدت التعاضم، أو التشبه بالكاملات، تزويرا على الرجال وغيرهم، فهو حرام.

والله أعلم

كتاب الشعر

٦٠١- باب الشعر واللعب بالنرد.

(٦٠١) باب الشعر واللعب بالنرد

٥١٣٣-١ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ^(١)، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «هَيْه» فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا. فَقَالَ «هَيْه» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هَيْه حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ.

٥١٣٤-٢ عَنْ الشَّرِيدِ قَالَ: أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ. فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

٥١٣٥-٣ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ^(٢) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اسْتَشَدَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ وَزَادَ قَالَ: «إِنْ كَادَ لِيُسَلِّمَ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: «فَلَقَدْ كَادَ يُسَلِّمُ فِي شِعْرِهِ».

٥١٣٦-٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَشْعَرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ: كَلِمَةٌ لَيْبِدٌ.

- أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

٥١٣٧-٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لَيْبِدٌ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ. وَكَادَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ».

٥١٣٨-٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ. وَكَادَ ابْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ».

٥١٣٩-٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ».

(١) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ وَابْنُ أَبِي عَمَرَ كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ ابْنُ أَبِي عَمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ

- وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ جَمِيْعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ أَوْ يَعْقُوبَ بْنِ عَاصِمٍ عَنِ الشَّرِيدِ

(٢٠٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِفِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ

(٢) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ جَمِيْعًا عَنْ شَرِيكِ قَالَ ابْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٣) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٤) وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥١٤٠-٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٦) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمًا قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لَبِيدٌ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ» مَا زَادَ عَلَيَّ ذَلِكَ.

٥١٤١-٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٧) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِلَّا أَنْ حَفْصًا لَمْ يَقُلْ: يَرِيهِ.

٥١٤٢-٨ عن سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ^(٨) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا».

٥١٤٣-٩ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(٩) قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لِأَنَّ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا».

٥١٤٤-١٠ عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ^(١٠)، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شِيرٍ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

المعنى العام

الشعر كلام موزون مقفى، له قواعده وبحوره، اهتم به العرب وأدباؤهم، واستعملوه فى أغراض كثيرة، منها الفاحش كالهجاء والغزل والتشبيب بالنساء، ومنها الحسن كالممدح المقبول والوصف السليم والدعوة للجهاد، والدفاع عن الحق وعن الإسلام، والحداء للإبل وغير ذلك واشتغلت به العرب وجعلت له ميادين وأسواقا، ينشده الشعراء، ويطلب إنشاده المحبون له، ويتغنى به المغنون، ويحفظه ويردده الكثيرون، ويسير به الركبان.

وجاء الإسلام بالقرآن ويعلمومه الشرعية، فكان لابد من صرف الهمم إلى الشريعة على حساب

(٦) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ غَمَيْرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ

(٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا حَفْصٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَنَادَةَ عَنْ يُونُسَ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ

(٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ ابْنِ الْهَادِ عَنْ يُحْسَنَ مَوْلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(١٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ عُلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ

الشعر، وبخاصة الفاحش منه فكانت هذه الأحاديث التي تمتدح الحسن منه وتنفر من القبيح وتنفر من تضييع الوقت فيما يضر وفيما لا فائدة فيه.

المباحث العربية

(عن عمرو بن الشريد) بفتح الشين وكسر الراء مخففة، وهو الشريد بن سويد الثقفي.

(ردفت رسول الله ﷺ يوماً) أى ركبت خلفه، يقال: ردفه بكسر الدال، يردفه بفتحها ردفاً بفتح الراء وسكون الدال، ورفده بفتح الراء والدال يردفه بضم الدال، ردفاً بفتح فسكون، وفى ملحق الرواية «أردفنى رسول الله ﷺ خلفه» أى أركبنى خلفه.

(هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء؟) قال النووى: وقع فى معظم النسخ «شيئاً» بالنصب، وعليها يقدر فيه محذوف، أى هل معك من شيء، فتنشدنى شيئاً؟

واسم أبى الصلت ربيعة بن عوف الثقفى، كان ممن طلب الدين، ونظر فى الكتب، ويقال: إنه ممن دخل فى النصرانية، وأكثر فى شعره من ذكر التوحيد، والبعث ويوم القيامة، وزعم الكلاباذى أنه كان يهودياً، وروى الطبرانى عن أبى سفيان أنه سافر مع أمية، فذكر قصته، وأنه سأله عن عتبة بن ربيعة، وعن سنه ورياسته، فأعلمه أن متصف بذلك، فقال: أرى به ذلك، فغضب أبو سفيان، فأخبره أمية أنه نظر فى الكتب أن نبيا يبعث من العرب، أظل زمانه، قال: فرجوت أن أكونه، قال: ثم نظرت، فإذا هو من بنى عبد مناف، فنظرت فيهم، فلم أر مثل عتبة، فلما قلت لى: إنه رئيس، وإنه جاوز الأربعين، عرفت أنه ليس هو، قال أبو سفيان: فما مضت الأيام حتى ظهر محمد ﷺ، فقلت لأمية: قال: نعم، إنه لهو، قلت: أفلا تتبعه؟ قال: أستحى من ثقيف، إنى كنت أقول لهم: إنى أنا هو، ثم أصير تابعا لغلام من بنى عبد مناف؟ وذكر أبو الفرج الأصبهاني: أنه قال عند موته: أنا أعلم أن الحنفية حق، ولكن الشك يداخلنى فى محمد، وعاش أمية حتى أدرك وقعة بدر، ورثى من قتل بها من الكفار، ومات أمية بعد ذلك سنة تسع، وقيل: مات فى حصار الطائف سنة ثمان.

(قال: هيه) بكسر الهاء، وإسكان الهاء الثانية، قالوا: والهاء الأولى بدل من الهمزة، وأصله «إيه» وهى كلمة للاستزادة من الحديث المعهود، قال ابن السكيت: هى للاستزادة من حديث أو عمل معهودين، قالوا: وهى اسم فعل أمر، مبنى على الكسر، فإن وصلتها نونتها، فقلت إيه حدثنا، أى زدنا من هذا الحديث، فإن أردت الاستزادة من غير معهود نونت، فقلت: إيه، لأن التنوين للتذكير، وأما «إيها» بالنصب، فمعناه الكف، والأمر بالسكوت، ومقصود الحديث أن النبى ﷺ استحس شعر أمية، واستزاد من إنشاده، لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، وفى ملحق الرواية «استنشدنى رسول الله ﷺ» أى طلب منى أن أنشده شعرا.

(أشعر كلمة تكلمت بها العرب) وفى الرواية الثالثة والسادسة «أصدق كلمة» وفى الرواية الرابعة والخامسة «أصدق بيت» فيحتمل أن يراد بالكلمة البيت الذى ذكر شطره، ويحتمل أن يريد

القصيدة كلها، ورواية « أشعر » لا اعتراض عليها، ولكن اعترض على رواية « أصدق » إذ كيف يوصف كل شيء - ما خلا الله - بالبطلان؟ مع اندراج الطاعات والعبادات في ذلك، وهى حق، لا باطل، ويكون الكلام صادقا؟ وأجيب بأن المراد من « ما خلا الله » ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية، من رحمته وعذابه وغير ذلك، ثم إن الشطر الثانى عليه اعتراض أيضا، فقد ذكر ابن إسحق عن عثمان بن مضعون أنه لما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، ودخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة، ورأى المشركين يؤذون المسلمين، وهو آمن، رد على الوليد جواره، فدينما هو جالس فى مجلس لقريش وفد عليهم لبيد بن ربيعة - قبل أن يسلم - فقعد ينشدهم من شعره، فقال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان بن مضعون: صدقت، فقال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

فقال عثمان كذبت. نعيم الجنة لا يزول. اهـ. فيكيف يوصف قول لبيد بالصدق؟ وبالأصدق؟ وقد يجاب بأن مراد الرسول ﷺ بوصف الصدق الشطر الأول الذى ذكره، أو أن المراد من « ما خلا الله » أى ما عداه وعدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمته وعذابه، بما فى ذلك الجنة والنار.

أسلم لبيد بعد ذلك، وسكن الكوفة، ومات بها فى خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة.

وذكره البخارى فى الصحابة، قال القسطلانى: وفد على رسول الله ﷺ سنة وفد قومه، بنو جعفر، فأسلم، وحسن إسلامه. اهـ. وقيل: إن عمر سأله عما قاله من الشعر فى الإسلام، فقال: قد أبدلنى بالشعر سورة البقرة، ولم يقل شعرا منذ أسلم.

(لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا - يريه - خير من أن يمتلى شعرا) قال النووى: قال أهل اللغة والغريب « يريه » بفتح الياء وكسر الراء، من الورى، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحا يأكل جوفه، ويفسده.

(من لعب بالنرد شير) هو النرد، عجمى معرب، و« شير » معناه حلو، وهى لعبة معروفة باسم الطاولة، صندوق، وحجارة، و(زهر).

فقه الحديث

قال النووى عن الشعر، نظم، واستنشاده، وإنشاده: فيه جواز إنشاد الشعر الذى لا فحش فيه، وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيرهم، وأما المذموم من الشعر الذى لا فحش فيه، إنما هو الإكثار منه، وكونه غالبا على الإنسان، فأما يسيره، فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه.

أما عن الرواية السابعة وما بعدها، فيقول: قال أبو عبيد: قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجى به النبى ﷺ. قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد، لأنه يقتضى أن المذموم من الهجاء أن يمتلى منه، دون قليله، وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبى ﷺ موجبة للكفر. قالوا: بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه، مستوليا عليه، بحيث يشغله عن القرآن

وغيره من العلوم الشرعية، وعن ذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أى شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه، فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا، لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً.

ثم قال: واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً، قليلاً وكثيره، وإن كان لا فحش فيه، وتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا الشيطان» وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه، قالوا: وهو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وهذا هو الصواب، فقد سمع النبي ﷺ الشعر، واستنشدته، وأمر به حسان في هجائه المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته، في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش، ونحوه، قال: وأما تسمية هذا الرجل - الذى سمعه ينشد - شيطاناً، فلعله كان كافراً، أو كان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم، وبالجمله فتسميته شيطاناً قضية عين، تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتج بها. وفى الحديث منقبة للبيد الصحابي الجليل. والله أعلم.

النقطة الثانية فى هذا الباب: البعد عن لعب النرد ونحوه، قال النووى: وهذا الحديث حجة للشافعى والجمهور فى تحريم اللعب بالنرد، وقال أبو إسحاق المروزي، من أصحابنا: يكره، ولا يحرم، وأما الشطرنج فمذهبننا أنه مكروه، ليس بحرام، وهو مروى عن جماعة من التابعين، وقال مالك وأحمد: حرام، قال مالك: هو شر من النرد، وألهى عن الخير وقاسوه على النرد، وأصحابنا يمنعون القياس، ويقولون: هو دونه.

نعم. التشبيه فى قوله «فكأنما صيغ يده فى لحم خنزير ودمه» ينفر منه، ويفر به من الحرمة، لذا أضاف النووى إلى النص عبارة «فى حال أكله منهما» وكأن التشبيه بالأكل من لحم الخنزير ودمه، وهو حرام باتفاق، وتشبيهه الشيء بالمحرم القطعى دليل التحريم، قال بعضهم: لأن غمس اليد فى اللحم يكون غالباً فى حالة الأكل.

والتحقيق أن التشبيه ليس بالأكل، وإلا لقال: فكأنما أكل لحم خنزير، وإنما هو تشبيه حركات اللاعبين، وتناوله لألات اللعب، ونقله للحجارة «القشاش» تبعاً لأرقام الزهر، بغمس اليد فى النجاسة، وغمس اليد فى النجاسة مستقذر، ليس بمحرم، فيكون التشبيه للتنفير.

والبحث الدقيق يكون فى الحكمة والعلة، أهى ما فى الألعاب من التفرير والحظ؟ فالمنع للطاولة ونحوها مما يعتمد على الحظ، دون الشطرنج والورق (الكوتشينة) والحجارة فى التراب (السيجة) و (الضمنة) والكرة بأنواعها والرمى، وسباق الجرى، ونحو ذلك، أم هى اللهو وضياع الوقت، بقدر زائد على الترويح؟ فيشمل جميع الألعاب، إذا زادت عن قدر الحاجة النافعة؟ أم هى ما تحدثه بين المتلاعبين من الحقد والغل والغضب والإثارة؟ فتمنع إذا أحدثت ذلك، أو حين توقعه؟ أم هى ما يحدث غالباً من غرامة تلحق المغلوب للغالب؟ فتمنع إن كانت كذلك.

إن اللعب فى حد ذاته لىس حراما، فقد قال الغزالى ومن بعده الزبىدى بعد أن ساق حدىث لعب السودان بالدرق والحراب: فىه نص صرىح على أن اللعب لىس بحرام، ولا ىخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب، كما استدل بحدىث الصرىحىن «دونكم ىا بنى أرفدة» وقال: هذا أمر باللعب، والتماس له، فكىف ىقدر كونه حراما؟ ثم ختم الباب بقوله: فاللهو من حىث هو لىس بحرام، كىف وقد كانت الأنصار ىحبون اللهو ولم ىمتنعوا من محبته؟ بل أقرؤا علىه فى قوله صلى الله علىه وسلم «أما علمت أن الأنصار ىعجبهم اللهو»؟ وقال: وأما حدىث «كل شىء ىلهو به الرجل باطل» فالباطل ما لافائدة فىه، وغالب المباحات لا فائدة فىها.

قال الغزالى: على أنى أقول: اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والعطلة معىنة على العمل، واللهو معىن على الجد، ولا ىصبر على الجد المحض، والحق المن إلا نفوس الأنبىاء، علىهم السلام، فاللهو دواء للقلب من داء الإعباء والملال، فىنبغى أن ىكون مباحا، ولكن لا ىنبغى أن ىستكثر منه، كما لا ىستكثر من الدواء. انتهى بتصرف، وهو كلام حسن، إذا أضيف إله خلو اللهو من الإثارة الضارة غير الشرعىة، من الحظ، والتغرىس، والخداع، والحقد واللهو عن واجب دىنى أو دنىوى، وتضىىع الوقت مع الحاجة إله.

والله أعلم

كتاب الرؤيا

٦٠٢- باب الرؤية والحلم ، وتأويل الرؤيا.

(٦٠٢) باب الرؤيا والحلم، وتأويل الرؤيا

٥١٤٥- ١- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه (١) قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أُرْمَلُ حَتَّى لَقَيْتُ أَبَا قَتَادَةَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

٥١٤٦- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِمْ قَوْلَ أَبِي سَلَمَةَ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أُرْمَلُ.

- وَزَادَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: فَلْيَصُتْ عَلَى يَسَارِهِ حِينَ يَهُبُّ مِنْ نَوْمِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

٥١٤٧- ٢- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه (٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَمَا أَبَالِيَهَا.

٥١٤٨- وَفِي رَوَايَةٍ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا: «وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ وَأَبْنِ نُمَيْرٍ قَوْلُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. وَزَادَ ابْنُ رُمَحٍ فِي رَوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَن جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

(١) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنُ أَبِي عَمَرَ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عَمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ.

- وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى آلِ طَلْحَةَ وَعَبْدُ رَبِّهِ وَيَحْيَى ابْنِي سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عُلْقَمَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ.

- وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فَلَا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلَاهُمَا عَنِ الرَّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا أُعْرَى مِنْهَا، وَزَادَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ

(٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْبِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ

- وَحَدَّثَنَا قُنَيْبَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ رُمَحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدِ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيُّ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ كُلُّهُمْ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ

٥١٤٩- ٣- عَنْ أَبِي قَنَادَةَ رضي الله عنه (٣) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَّرَهُ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَا تَضُرَّهُ، وَلَا يُخْبِرُ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِّرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُجِبُّ».

٥١٥٠- ٤- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه (٤) قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي. قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَنَادَةَ فَقَالَ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُجِبُّ فَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُجِبُّ. وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَفَلَّحْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

٥١٥١- ٥- عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه (٥) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنِ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

٥١٥٢- ٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٦) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِيبٌ. وَأَصْدُقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدُقُكُمْ حَدِيثًا. وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ. وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ. فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ فَلْيَصَلِّ وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا النَّاسَ» قَالَ: «وَأَحَبُّ الْقَيْدِ وَأَكْرَهُ الْغُلِّ. وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ» فَلَا أُدْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.

٥١٥٣- ٧- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٧): فَيُعْجِبُنِي الْقَيْدُ وَأَكْرَهُ الْغُلِّ. وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ. وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

(٣) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي قَنَادَةَ.

(٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَادٍ الْبَاهِلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ.

(٥) حَدَّثَنَا قُنَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ رُمَيْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ.

(٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٧) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

٥١٥٤- وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٦) قال: إذا افترَبَ الزَّمانُ. وساقَ الحديثَ، ولم يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم. وحدثناه إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي عن قتادة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: وأذرح في الحديث قوله: وأكره الغل. إلى تمام الكلام، ولم يذكر «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

٥١٥٥- $\frac{٧}{٧}$ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ^(٧) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

٥١٥٦- $\frac{٨}{٨}$ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٨) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

٥١٥٧- وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٩) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا المسلم يراها أو ترى له» وفي حديث ابن مسهر «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

٥١٥٨- $\frac{٩}{٩}$ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٠) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. بمثل حديث عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه.

(٦) حدثني أبو الربيع حدثنا حماد يعني ابن زيد حدثنا أيوب وهشام عن محمد عن أبي هريرة.
(٧) حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالوا حدثنا محمد بن جعفر وأبو داود ح وحدثني زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي كلهم عن شعبة ح وحدثنا غنيد الله بن معاذ واللفظ له حدثنا أبي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن عبادة ابن الصامت.

- وحدثنا غنيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم مفل ذلك.
(٨) حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة
(٩) وحدثنا إسماعيل بن الخليل أخبرنا علي بن مسهر عن الأعمش ح وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة

(١٠) وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة.
- وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي يعني ابن المبارك ح وحدثنا أحمد بن المنير حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب يعني ابن شداد كلاهما عن يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد وحدثنا محمد بن زافع حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه

٥١٥٩- ٩/١ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٩) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٥١٦٠- وفي رواية، قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: «جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ».

٥١٦١- ١١/١١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي».

٥١٦٢- ١١/١١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١١) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْبِقِظَةِ، أَوْ لَكَأَنَّمَا رَأَى فِي الْبِقِظَةِ، لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي».

١١/١١ وَقَالَ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ^(١٢): قَالَ أَبُو قَنَادَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ».

٥١٦٣- ١٢/١٢ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَى. إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي» وَقَالَ: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُخْبِرْ أَحَدًا بِتَلْعَبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ».

٥١٦٤- ١٣/١٣ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَأَى. فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي».

(٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ جَمِيعًا حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ - وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَعُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.
- وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمَيْحٍ عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ أَخْبَرَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي ابْنَ عُثْمَانَ كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ اللَّيْثِ قَالَ نَافِعٌ.

(١٠) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَهَشَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.
(١١) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ

(١٢) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا عَمِّي فَذَكَرَ الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا بِإِسْنَادَيْهِمَا سِوَاءَ مِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ.

(١٣) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ رُمَيْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ.
(١٤) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ.

٥١٦٥- ١٤/ عن جابر رضي الله عنه (١٤) عن رسول الله ﷺ أنه قال لأعرابي جاءه فقال: إني حلمت أن رأسي فُطِعَ، فأنا أتبعه. فزجره النبي ﷺ وقال: «لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام».

٥١٦٦- ١٥/ عن جابر رضي الله عنه (١٥) قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدخرج فاشتدت على أثره. فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك» وقال سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال: «لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه».

٥١٦٧- ١٦/ عن جابر رضي الله عنه (١٦) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي فُطِعَ. قال: فضحك النبي ﷺ وقال: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس» وفي رواية أبي بكر رضي الله عنه «إذا لعب بأحدكم ولم يذكر الشيطان».

٥١٦٨- ١٧/ عن ابن عباس أو أبي هريرة رضي الله عنهما (١٧) أن رجلا أتى رسول الله ﷺ وفي رواية: أن ابن عباس كان يحدث: أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون منها بأيديهم، فالمستكبر والمستقل. وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض، فأرآك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا. قال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله، لتدعني فلاعبرتها. قال رسول الله ﷺ: «اعبرها» قال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام. وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحق الذي أنت عليه تأخذ به، فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به

(١٤) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا ابن رُمح أخبرنا الليث عن أبي الزبير عن جابر.

(١٥) وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

(١٦) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأنصاري قالا حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

(١٧) حدثنا حاجب بن الوليد حدثنا محمد بن حرب عن الربيعي أخبرني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس أو أبا

هريرة كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله ﷺ ح وحدثني حرملة بن يحيى النجيب - واللفظ له - أخبرنا ابن وهب

أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أخبره أن ابن عباس كان يحدث أن رجلا

ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرَ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ. فَأَخْبِرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصَبْتُ بَعْضًا وَأَخْطَأْتُ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَتُحَدِّثَنِي مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ قَالَ: «لَا تُقْسِمُ».

٥١٦٩- وفي رواية، عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٧) قال: جاء رجل النبي ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ أَحَدٍ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ. بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ.

٥١٧٠- وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال عبد الرزاق: كان معمرًا أحيانًا يقول: عن ابن عباس. وأحيانًا يقول: عن أبي هريرة، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أرى الليلة ظُلَّةً. بِمَعْنَى حَدِيثِهِ، رَأَيْتُ ظُلَّةً. بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

٥١٧١- وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقْصِّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ ظُلَّةً بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

٥١٧٢- ١٨/ عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(١٨) قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأْتَيْنَا بِرُطْبٍ مِنْ رُطْبِ ابْنِ طَابٍ. فَأَوْلَتْ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

٥١٧٣- ١٩/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(١٩)، أن رسول الله ﷺ قال: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَسْوَكُ بِسِوَاكِ. فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَسَاوَلْتُ السَّوَاكَ الْأَصْفَرَ مِنْهُمَا. فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ».

(١٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ أَبِي هُرَيْرَةَ.
- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.
- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنِ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنِ أَنَسِ.
(١٩) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ أَخْبَرَنِي أَبِي حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنِ نَافِعٍ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ

٥١٧٤- ٢٠- عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه (٢٠) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ. فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ. فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ. وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ. ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، بَعْدَ وَتَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

٥١٧٥- ٢١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢١) قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ. فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ. فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ. وَفِي يَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قِطْعَةٌ جَرِيدَةٍ. حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ. قَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا. وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَكِنْ أَدْبَرْتُ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ. وَإِنِّي لِأُرَاكَ الَّذِي أُرَيْتُ فِيكَ مَا أُرَيْتُ. وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيئُكَ عَنِّي» ثُمَّ انصرفت عنه. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرَيْتُ فِيكَ مَا أُرَيْتُ» فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا. فَأَوْحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا. فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعُنْسِيُّ، صَاحِبَ صَنْعَاءَ. وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ، صَاحِبَ الْيَمَامَةَ».

٥١٧٦- ٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢٢) عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ. فَوَضَعَ فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. فَكَبُرًا عَلَيَّ وَأَهْمَانِي. فَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا. فَأَوْلَتْهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا، صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةَ».

(٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو غَامِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ

عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ جَدِّهِ عَنْ أَبِي مُوسَى

(٢١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ

جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(٢٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥١٧٧-٢٣/٤ عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه (٢٣) قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا».

المعنى العام

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] والنفس سر من أسرار الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِي﴾ [الإسراء: ٨٥] وتوفيها كلياً أو جزئياً سر من أسرار الله تعالى، فلا تعلم نفس أين تذهب الروح أثناء النوم؟ ولا تعلم مدى اتصالها بجسد النائم، ولا تعلم ما يجرى منها، وما يجرى لها في موتها الصغرى، التي تتكرر كل يوم.

ومما هو معلوم أن الوحي الإلهي للأنبياء، منه الإلهام، ومنه المنام، فحديث الرسول ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس قبل أن تستوفى رزقها وأجلها» مثل للإلهام، ومثله الإيحاء إلى أم موسى أن أرضعها، ورؤيا إبراهيم عليه السلام، أنه يذبح ولده، ورؤيا يوسف عليه السلام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، ورؤيا رسول الله ﷺ دخول المسلمين المسجد الحرام آمنين، أمثلة للمنام.

فالرؤيا الصادقة، يراها المؤمن أو ترى له، إنما تكون إفاضة وكرما من الله تعالى، ليستبشر، أو ليأخذ حذره، فهي مبشرات ومندرات، وهي جزء من النبوة، ولمحة من لمحاتها، حتى وإن رآها كافر، فهي نعمة، والمنعم ينعم على الكافر، لعله يعتبر ويؤمن، كما ينعم على المؤمن ليزداد إيمانا وشكرا.

وقد حكى لنا القرآن الكريم رؤيا فرعون مصر سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، وكيف تحقق تأويل يوسف عليه السلام لها؟ كما حكى رؤيا صاحبى السجن، وكيف تحققت؟ حقائق لا يسهل إنكارها، لكنها نوع مما يراه النائم، لا يحكم به على كل رؤيا يراها، بل قد يرى في منامه تحقيق رغبات مكبوتة عنده أثناء يقظته، وقد يرى خليطا من مشكلات تشغله في حياته، وقد يرى ما يوسوس به الشيطان له من أحزان ومخاوف، ومن هنا كانت النصائح النبوية:

١- إذا حلم أحدكم حلما يكرهه، فلينفث عن يساره، وليتحول عن جنبه، وليستعد بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها، وأن يكتمها، ولا يحدث بها إلا حبيبا لبيبا، فإنها لا تضره.

٢- وإذا رأى ما يحب فليستبشر، ويحكىها لحبيب لبيب، ليعبرها له.

٣- وإذا رأى رسول الله ﷺ في المنام، فرؤياه خيرة وصادقة، فإن الشيطان لا يتمثل به.

٤- وعلى المؤمن أن يحرص على الصدق في معاملاته، لتصدق رؤياه، فأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا.

(٢٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِي رَجَاءِ الْعَطَّارِيِّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ

هـ - وعلى من يعبر الرؤيا أن يحسن الظن، وأن يتجه بتأويله إلى خير الاحتمالات، وأن يكون خبيراً نكياً لبيباً، فهي - غالباً - تعتمد على الإشارات.

وقد رأى رسول الله ﷺ رؤى، وفسرها، وقصها على أصحابه، ورأى أصحابه رؤى وفسرها لهم، وفسرها بعضهم لبعض، وشجعهم وحثهم على تعبير الرؤيا، فإنها من الله تعالى، وإنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

المباحث العربية

(كنت أرى الرؤيا) « الرؤيا » ما يراه الشخص في منامه، وهى على وزن فعلى، وقد تسهل الهمزة، وقال الواحدي: هى فى الأصل مصدر، كاليسرى، فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم، أجريت مجرى الأسماء، قال الراغب: والرؤية، بالهاء، إدراك المرء بحاسة البصر، وتطلق على ما يدرك بالتخيل، نحو: أرى أن زيدا مسافر، وعلى التفكير النظرى، نحو: **﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾** [الأنفال: ٤٨] وعلى الرأى، وهو اعتقاد أحد النقيضين حسب غلبة الظن. اهـ. وقال القرطبي فى المفهم: قال بعض العلماء: قد تجيء الرؤية بمعنى الرؤيا، كقوله تعالى **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾** [الإسراء: ٦٠] فزعم أن المراد بها ما رآه النبي ﷺ، ليلة الإسراء من العجائب، وكان الإسراء جميعه فى اليقظة. قال الحافظ ابن حجر: وعكسه بعضهم، فزعم أنه حجة لمن قال: إن الإسراء كان مناماً، والأول المعتمد، قال ابن عباس: إنها رؤيا عين، قال الحافظ: ويحتمل أن تكون الحكمة فى تسمية ذلك رؤيا كون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة، فأشبهت ما فى المنام. اهـ.

وسياتى الكلام عن حقيقة الرؤيا فى فقه الحديث، وفى ملحوظة الرواية الثانية « فإن كنت لأرى الرؤيا » فإن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أى فإن القصة كنت لأرى الرؤيا.

(أعرى منها) بضم الهمزة، وسكون العين وفتح الراء، أى أحم، لخوفى من ظاهرها فى ظنى، يقال: عرى بضم العين وكسر الراء مخففاً، يعرى بضم الياء وفتح الراء، إذا أصابه عراء، بضم العين وبالمدة، وهو نفض الحمى، وفى الرواية الرابعة "قال أبو سلمة لأبى قتادة: إن كنت لأرى الرؤيا تمرضنى؟ فقال له أبو قتادة: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضنى" بزيادة اللام فى "أرى" والأولى بدون اللام.

(غير أنى لا أزم) بضم الهمزة وفتح الزاى وتشديد الميم المفتوحة، أى لا أعطى ولا ألف، كما يفعل بالمحموم، وفى الرواية الثانية « إن كنت لأرى الرؤيا أثقل على من جبل » وعند عبد الرزاق « كنت أرى الرؤيا ألقى فيها شدة ».

(حتى لقيت أبا قتادة، فذكرت ذلك له، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول) فى الرواية الثانية « سمعت أبا قتادة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول... ».

(الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان) فى الرواية الثالثة "الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان" بفتح السين وسكون الواو، أى القبيحة، والحلم بضم الحاء

وسكون اللام، وقد تضم ما يراه النائم، ولم يحك النووى غير السكون، يقال: حلم بفتح اللام، يحلم بضمها، وأما الحلم بكسر الحاء وسكون اللام فهو من حلم يحلم، بضم اللام فيهما، وجمع الحلم والحلم بضم الحاء وكسرهما أحلام.

قال النووى: قال المازرى: معناه: يخلق الله ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما علم أنه يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازاً، لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وليس معناه أن الشيطان يفعل شيئاً، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، وقال غيره: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله، إضافة تشريف، بخلاف المكروهة وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى وتدبيره وإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها، ويسربها. اهـ. كما أن الجميع عباد الله، ولو كانوا عصاة، وهو تصرف شرعى، وإلا فالكل يسمى رؤياً وحلماً لغه.

وفى رواية «الصادقة» بدل «الصالحة» قال الحافظ ابن حجر: وهما بمعنى واحد، بالنسبة إلى أمور الآخرة، فى حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة فى الأصل أخص، فرؤيا النبى كلها صادقة، وقد تكون صالحة، وهى الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا، كما وقع فى رؤيا يوم أحد «بقر يذبح» وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص وجهى، يجتمعان فى مادة وينفرد كل منهما فى مادة أخرى، إن فسرنا الصادقة بأنها التى لا تحتاج إلى تعبير، فيجتمعان فى رؤيا سارة لا تحتاج إلى تعبير، وتنفرد الصالحة فى السارة التى تحتاج إلى تعبير فهى صالحة غير صادقة بنفسها، وتنفرد الصادقة برؤيا سوء لا تحتاج إلى تعبير، فهى صادقة، غير صالحة، وأما إن فسرنا الصادقة بأنها غير الأضغاث، فالصالحة أخص مطلقاً، أى فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان فى مادة، وينفرد الأعم فى مادة أخرى فتجتمع الصادقة والصالحة فى غير الأضغاث السارة، وتنفرد الصادقة فى غير الأضغاث السيئة. وقال الإمام نصر بن يعقوب الدينورى: الرؤيا الصادقة ما يقح بعينه أو ما يعبر فى المنام، أو يخبر به من لا يكذب، والصالحة ما يسر. اهـ.

(فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه) فى الرواية الثانية « فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه » وفى الرواية الثالثة « فمن رأى رؤياً فكره منها شيئاً » وفى الرواية الخامسة « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها » فالكراهة قد تكون لكل ما جاء فى الحلم، أو لبعض ما جاء فى الرؤيا.

(فلينفث عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره) وفى ملحق الرواية الثانية « وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » وفى الرواية الثالثة « ولا يخبر بها أحداً » وفى الرواية الرابعة « وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها » وفى الرواية الخامسة « وليستعد بالله من الشيطان ثلاثاً » وفى الرواية الثالثة عشرة « إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحداً بتلعب الشيطان به فى المنام » وفى الرواية الخامسة عشرة « لا تخبر بتلعب الشيطان بك فى المنام » وفى الرواية السادسة عشرة « لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك » وفيها « لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به فى منامه » وفى الرواية السابعة عشرة « إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس ».

فمجموع الآداب المطلوبة خمسة :

١- النفث: واختلف فيه والتفل، فقليل: هما بمعنى، ولا يكونان إلا بريق، وقال أبو عبيد: يشترط فى

التفل ريق يسير، ولا يكون فى النفث، وقيل عكسه، وسئلت عائشة فى النفث، فقالت: كما ينفث آكل الزبيب، لا ريق معه، قال: ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد، وقال النووى: أكثر الروايات فى الرؤيا "فلينفث" وهو نفخ لطيف، بلا ريق، فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازاً، قال الحافظ ابن حجر: لكن المطلوب فى الرقية التبرك برطوبة الذكر، والمطلوب هنا طرد الشيطان، وإظهار احتقاره واستقذاره.

٢- الاستعاذة بالله من شر الشيطان.

٣- الاستعاذة بالله من شرها.

٤- التحول عن جنبه الذى كان عليه.

٥- كتمها وعدم التحديث بها، زاد البخارى سادسا، وهو الصلاة. ولفظه «فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل» وكذا فى روايتنا السادسة وزاد فى بعض الشروح سابعا، وهو قراءة آية الكرسي، ولم يذكر مستندا.

قال النووى: وينبغى أن يجمع بين هذه الروايات للحديث، قال الحافظ ابن حجر: ولم أرفى شىء من الأحاديث الاقتصار على واحدة، نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية فى دفع شرها، وكأنه أخذ من قوله تعالى «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾» [النحل: ٩٨، ٩٩] فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه، ولا يكفى إمرار الاستعاذة باللسان، وقال القرطبي فى المفهم: الصلاة تجمع كل ذلك، لأنه إذا قام فصلى، تحول عن جنبه، وبصق ونفت عند المضمضة فى الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثم دعا الله فى أقرب الأحوال إليه، فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه. اهـ.

وفى ملحق الرواية الأولى «فليبصق عن يساره، حين يهب من نومه» أى حين يستقيظ، ومعنى قوله «فإنها لن تضره» أن الله تعالى جعل هذا سببا لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقاية للمال، وسببا لدفع البلاء، وقوله فى الرواية الثالثة «فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر» بضم الياء وسكون الباء، من الإبشار والبشرى، قال النووى: وفى بعض الأصول بفتح الياء والنون من النشر، وهو الإشاعة، قال القاضى: وهو تصحيف، وفى بعض الأصول «فليستر» بسين، من الستر.

(إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب) قيل: المراد إذا قارب الزمان أن يعتدل ليله ونهاره أى تصدق الرؤيا كثيرا فى هذا الوقت من السنة، وقيل: المراد إذا قارب القيامة، والأول أشهر عند أهل عبر الرؤيا، لأن صدق الحديث يقل فى آخر الزمان، قال الخطابى: وقت الربيع وقت اعتدال الطبائع غالباً، قال: ويبعده التقييد بالمؤمن، أو المسلم - فإن الوقت الذى تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وجزم ابن بطال بأن قرب القيامة هو الصواب، قال: فالمعنى إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم، ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة، محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء، وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة، التى هى جزء

من النبوة بالتبشير والإنذار اهـ. ويؤيد أن المراد اقتراب الساعة الحديث الصحيح « يتقارب الزمان ويرفع العلم » فإن المراد به اقتراب الساعة قطعاً، قال الداودي: المراد بتقارب الزمان نقص الساعات والأيام والليالي. اهـ. والمراد بنقصها ضياع بركتها، والإحساس بسرعة مرورها، وذلك قرب يوم القيامة، كما ثبت في الصحيح « يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة، والساعة كاحترق السعفة » رواه مسلم، وقيل: إن المراد بالزمان المذكور زمان المهدي، عند بسط العدل، وكثرة الأمن، وبسط الخير والرزق، فإن ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه، فتقارب أطرافه، وفي قوله « لم تكذب » إشارة إلى غلبة الصدق على الرؤيا، وإن أمكن أن شيئاً منها لا يصدق، قال الحافظ ابن حجر: والراجح أن المراد نفي الكذب عنها أصلاً، لأن حرف النفي الداخلة على « كاذب » ينفي قرب حصوله، والنافي لقرب حصول الشيء أدل على نفيه نفسه. ذكره الطيبي.

وقال القرطبي في المفهم: المراد - والله أعلم - بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث (المذكور في الحديث اقتراب الزمان، وليس آخر الزمان) زمان الطائفة الباقية مع عيسى ابن مريم، بعد قتله الدجال، فكان أهل هذا الزمان أحسن هذه الأمة حالاً، بعد الصدر الأول، وأصدقهم أقوالاً، فكانت رؤياهم لا تكذب، وقال ابن أبي جمرة: معنى كون الرؤيا في آخر الزمان لا تكاذب أنها تقع غالباً على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل ذلك، فإنها قد يخفى تأويلها، فيعبرها العابر، فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار، قال: والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريباً، فيقل أنيس المؤمن ومعيته في ذلك الوقت، فيكرم بالرؤيا الصادقة.

قال الحافظ ابن حجر: وحاصل ما اجتمع من كلامهم في معنى قوله « إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب » إذا كان المراد آخر الزمان، ثلاثة أقوال: أحدهما أن العلم بأمر الديانة يذهب، فعوضوا بالرؤيا الصادقة، الثاني: أن المؤمنين يقل عددهم، فيؤنس المؤمن ويعان بالرؤيا الصادقة، إكراماً له، وتسلياً، وعلى هذين القولين لا يختص ذلك بزمان معين، بل كلما قرب فراغ الدنيا تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق، الثالث أن ذلك خاص بزمان عيسى ابن مريم. قال: وأولها أولها. اهـ.

(وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً) لأن من كثر صدقه تنور قلبه، وقوى إدراكه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة، وكذلك من كان غالب حاله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقاً، بخلاف الكاذب والمخلط، فإنه يفسد قلبه ويظلم، فلا يرى إلا تخليطاً وأضغاثاً، وقد يندر العكس أحياناً، فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، ولكن الأغلب الأكثر ما تقدم. قاله القرطبي.

(ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة) كذا في كثير من الأصول « خمس » وفي بعضها « خمسة » وهو الصواب، وفي الرواية السابعة والثامنة والتاسعة « جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وفي الرواية العاشرة « جزء من سبعين جزءاً من النبوة » قال النووي: فحصل ثلاث روايات، المشهور « ستة وأربعين » والثانية « خمسة وأربعين » والثالثة « سبعين » وفي

غير مسلم « من أربعين جزءا » وفى رواية « من تسعة وأربعين » وفى رواية « من خمسين » وفى رواية « من ستة وعشرين » وفى رواية « من أربعة وأربعين » قال القاضى: أشار الطبرى إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرأى، فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا، والفاسق جزءا من سبعين جزءا، وقيل: المراد أن الخفى منها جزء من سبعين، والجلى جزء من ستة وأربعين. اهـ.

وقد استشكل كون الرؤيا جزء من النبوة، مع أن النبوة انقطعت بموت النبى ﷺ؟ فقيل فى الجواب: إن وقعت الرؤيا من النبى ﷺ فهى جزء من أجزاء النبوة حقيقة، وإن وقعت من غير النبى فهى جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وقال الخطابى: قيل: معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة، لا أنها جزء باق من النبوة، وقيل: المعنى أنها جزء من علم النبوة، لأن النبوة وإن انقطعت، فعلمها باق، وتعقب بقول مالك، فيما حكاه ابن عبد البر، أنه سئل: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟ ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة، فلا يلعب بالنبوة، والجواب أنه لم يرد أنها نبوة باقية، وإنما أراد أنها لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب، لا ينبغى أن يتكلم فيها بغير علم، وقال ابن بطلال: كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة مما يستعظم، ولو كانت جزءا من ألف جزء، فيمكن أن يقال: إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء، وهو الإعلام لغة، فالمعنى - على هذا - أن الرؤيا خبر صادق من الله، لا كذب فيه، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله، لا يجوز عليه الكذب، فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر، اهـ. وفى الكلام تشبيهه، والتقدير: الرؤيا كجزء من النبوة فى صدق الخبر.

وقال المازرى: يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث، الخبر بالغيب لا غير، وإن كان يتبع ذلك إنذار أو تبشير، فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة، وهو غير مقصود لذاته، لأنه يصح أن يبعث نبى يقرر الشرع، ويبين الأحكام، وإن لم يخبر فى طول عمره بغيب، ولا يكون إلا صادقا، ولا يقع إلا حقا، وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه، لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لم يعلمه غيره، وقال القاضى أبو بكر بن العربى: أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبى، وإنما أراد النبى ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فى الجملة، لأن فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما، وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة.

وقال المازرى: لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلا، فقد جعل الله للعالم حدا، يقف عنده، فمنه ما يعلم المراد منه جملة وتفصيلا، ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا، وهذا من هذا القبيل.

وقد حاول بعض أهل العلم أن يتلمس مناسبة للرواية المشهورة « جزء من ستة وأربعين جزءا » فقال: إن الله أوحى إلى نبيه فى المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها من الوحي فى المنام جزء من ستة وأربعين جزءا، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح.

قال ابن بطلال: هذا التأويل يفسد من وجهين: أحدهما أنه قد اختلف فى قدر المدة التى عاشها بعد البعثة إلى موته، والثانى أن يبقى حديث السبعين جزءا بغير معنى. قال الحافظ ابن حجر:

ويضاف إليه بقية الأعداد الواردة، وأطال الحافظ ابن حجر في توجيه المناسبات بين الأعداد الواردة وبين الواقع، مما لا يتسع له هذا المقام.

(**والرؤيا ثلاثة**) ظاهره أنه مرفوع، وكذا أخرجه الترمذى والنسائى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن ابن سيرين عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « الرؤيا ثلاث فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان » لكن جاء فى البخارى عن عوف قال: حدثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبى هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب » - قال محمد: وأنا أقول: هذه - قال: وكان يقال: (الرؤيا ثلاث، حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله..) مما يوهم أنه مدرج، والصحيح أنه مرفوع.

(**فرؤيا الصالحة بشرى من الله**) كذا فى الأصول « فرؤيا الصالحة » من إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم: مسجد الجامع، أى فالرؤيا الصالحة بشرى من الله.

(**ورؤيا تحزين من الشيطان**) وعند ابن ماجه « أهويل من الشيطان ليحزن ابن آدم » وعند البخارى « وتخويف الشيطان ».

(**ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**) وعند البخارى « حديث النفس » وعند ابن ماجه « ومنها ما يهيم به الرجل فى يقظته، فيراه فى منامه » قال الحافظ ابن حجر: وليس الحصر مرادا من قوله « ثلاث » لثبوت نوع رابع، وهو تلاعب الشيطان، ونوع خامس، وهو رؤيا ما يعتاده الرأى فى اليقظة، كمن كانت عادته أن يأكل فى وقت، فنام فيه، فرأى أنه يأكل، وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص، وسابع، وهو الأضغاث. انتهى، ويمكن إدراج ما ذكره الحافظ فى الأنواع الثلاثة، بشيء من التوسع.

(**قال: وأحب القيد، وأكره الغل والقيد ثبات فى الدين**) فى ملحق الرواية قال أبو هريرة: « فيعجنى القيد، وأكره الغل » القيد بفتح القاف حبل ونحوه يجعل فى الرجل، والغل بضم الغين وتشديد اللام طوق من حديد أو جلد، يجعل فى عنق الأسير أو المجرم، أو فى أيديهما، جمعه أغلال، وفى رواية البخارى « قال: وكان يكره الغل فى النوم، وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثبات فى الدين » قال الكرماني: اختلف فيه. هل هو مرفوع؟ أو لا؟ فقال بعضهم: مرفوع، وقال بعضهم: هو كلام ابن سيرين، وفاعل « كان يكره » أبو هريرة، وقال الطيبي: يحتمل أن يكون مقولا للراوى عن ابن سيرين، فيكون اسم « كان » ضميرا لابن سيرين، وأن يكون مقولا لابن سيرين، واسم « كان » ضمير أبى هريرة، أو النبى ﷺ، اهـ. وفى نهاية الرواية عند مسلم « فلا أدري. هو فى الحديث؟ أم قاله ابن سيرين؟ وأخرجه الترمذى وأحمد والحاكم، وفى نهايته » قال أبو هريرة: « يعجنى القيد.. إلخ » وقال الخطيب: المتن كله مرفوع، إلا ذكر القيد، والغل، فإنه قول أبى هريرة، أدرج فى الخبر، وقال أبو عوانة عن قصة القيد: الأصح أن هذا من قول ابن سيرين، وقال القرطبي: هذا الحديث وإن اختلف فى رفعه ووقفه فإن معناه صحيح، لأن القيد فى الرجلين تثبت للمقيد فى مكانه، فإذا رآه من هو على حالة كان ذلك دليلا على ثبوته على تلك الحالة، وأما كراهة الغل فلأن محله الأعناق، نكالا وعقوبة وقهرا، وإنزالا، وقد

يسحب على وجهه، ويخر على قفاه، فهو مذموم شرعا وعادة فرؤيته فى العنق دليل على وقوع حال سيئة للرائى، تلازمه، ولا ينفك عنها، وقد يكون ذلك فى دينه، كواجبات فرط فيها، أو معاص ارتكبتها، أو حقوق لازمة له لم يوفها أهلها مع قدرته، وقد تكون فى دنياه، كشدة تعثره أو تلازمه.

وقال المهلب: الغل يعبر بالمكروه، لأن الله أخبر فى كتابه أنه من صفات أهل النار. بقوله تعالى ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [عافن: ٧١] وقد يدل على الكفر، وقد يعبر بامرأة تؤذى.

وقال ابن العربى: إنما أحبوا القيد لذكر النبى ﷺ له فى قسم المحمود، فقال: «قيد الإيمان الفتك» وأما الغل فقد كرهه شرعا فى المفهوم، كقوله ﴿خَذُوهُ فَعُوقُهُ﴾ [الحاقة: ٣٠] وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقوله ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] وإنما جعل القيد ثباتا فى الدين، لأن المقيد لا يستطيع المشى، فضرب مثلا للإيمان، الذى يمنع عن المشى إلى الباطل.

وقال النووى: قال العلماء: إنما أحب القيد لأن محله الرجل، وهو كف عن المعاصى والشر والباطل، وأما الغل فموضعه العنق، وهو صفة أهل النار.

(من رأى فى المنام فقد رأى، فإن الشيطان لا يتمثل بى) فى الرواية الثانية عشرة « من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة - أولكأنا رأى فى اليقظة، لا يتمثل الشيطان بى » وفيها « ومن رأى فقد رأى الحق » وفى الرواية الثالثة عشرة « من رأى فى النوم فقد رأى، إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى ».

قال النووى: اختلف العلماء فى معنى قوله ﷺ « فقد رأى » فقال الباقلانى: معناه أن رؤياه صحيحة، ليست بأضغاث، ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيده « فقد رأى الحق » أى الرؤية الصحيحة. قال المازرى: وقال آخرون: بل الحديث على ظاهره، والمراد أن من رآه فقد أدركه - أى أدرك وتصور حقيقة ذاته وصفته - قالوا ولا مانع يمنع من ذلك، والعقل لا يحيله، حتى يضطر إلى صرفه عن ظاهره، وتعقب بأن قد يرى خلاف صفته المعروفة، كمن يراه أبيض اللحية، وقد يراه شخصان فى زمن واحد، أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب، ويراه كل منهما فى مكانه، فلا يكون إدراكا وتصورا حقيقيا، وأجيب بأن معنى « من رأى فى المنام » أى على صورتى وهيئتى وصفاتى الحقيقية، فقد أدرك صورتى، والإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار، ولا قرب المسافة، ولا كون المرئى ظاهرا على الأرض، لا مدفونا فيها، وإنما يشترط كونه موجودا، ولم يبق دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وسلم، بل جاء فى الأحاديث ما يقتضى بقاءه، أما من رآه على غير صورته وعلى خلاف ما كان عليه صلى الله عليه وسلم، فهو تخيل له على غير وجهه، أو هو تخيل للصفات المخالفة، وليس إدراكا، وقد يظن الظان بعض الخيالات مرئيا مدركا، لكون ما يتخيله مرتبطا بما يرى فى العادة، فيكون ذاته صلى الله عليه وسلم مرئية، وصفاته متخيلة، غير مرئية، فحاصل هذا الجواب أن من رآه بصفته فقد أدركه وتصوره، فإن الشيطان لا يتشبه به، ومن رآه على خلاف صفته الحقيقية فقد أدرك ذاته وتصورها، وتخييل صفات غير صحيحة.

وقيل فى الجواب: من رآه على صفته المعروفة له فى حياته فقد رآه وأدرك صفته، ومن رآه على خلاف صفته كانت رؤيا تأويل، لا رؤيا حقيقية، ولم يرتض النووى هذين الجوابين، وقال: بل الصحيح

أن من رآه في المنام فقد رآه حقيقة، سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها، وقال: قال القاضي: قال بعض العلماء: خص الله تعالى النبي ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته، لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء به، مخافة من هذا التصور، فحماه الله تعالى من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيدته، قال: وكذا حمى رؤيتهم أنفسهم. اهـ.

وهذا القول مسلم في اليقظة أما في النوم فالتشبه به لا يخل بالثقة فيه، فما أكثر الباطل في المنام.

وما ضعفه النووي من الجوابين خلاف ما عليه كثير من العلماء، فقد علق البخاري على ابن سيرين قوله « إذا رآه في صورته » و« كان ابن سيرين، إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ: قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره » قال الحافظ ابن حجر: وسنده صحيح، وقال أبو بكر بن العربي: رؤية النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل.

وقيل: الكلام على التشبيه، أي من رآني في المنام - بصفتي الحقيقية، أو بخلاف صفتي - فهو يشبه من رآني، في الثقة بي وبديني وما يجب لي عليه، وليس يدخل في ذلك قطعاً ثبوت الصحبة له، حتى ولو كان معاصراً لحياته صلى الله عليه وسلم، ويؤيد هذا المعنى روايتنا الثانية عشرة، ولفظها « أولكأنما رآني في اليقظة ».

هذا عن رواية « فقد رآني » أما عن رواية « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » روايتنا الثانية عشرة، فقد قيل في معناها: فسيري تفسير ما رأى، لأنه حق وغيب، ألقى فيه، وقيل: معناه: فسيرانى يوم القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة من هذا التخصيص، فكل المؤمنين يرونه يوم القيامة في اليقظة، وقال ابن التين: المراد من آمن به في حياته، ولم يره، لكونه حينئذ غائباً عنه، فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به، ولم يره، أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته. قاله القران وقال المازري: إن كان المحفوظ « فكأنما رآني في اليقظة » فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ « فسيرانى في اليقظة » احتمل أن يكون أراد أهل عصره، ممن يهاجر اليه، فإنه إذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة، وأوحى الله بذلك إليه صلى الله عليه وسلم.

أما قوله « فإن الشيطان لا يتمثل بي » ففي الرواية الثالثة عشرة « إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتى » وعند الترمذي « إن الشيطان لا يستطيع أن يصير مرئياً بصورتى » وفي رواية « فإن الشيطان لا يتزايأ بصورتى » وعند البخاري « فإن الشيطان لا يتكوننى » أي لا يتكون كوني في صورتى، والمعنى أن الله تعالى وإن منح الشيطان القدرة على التصور في أى صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ، ومحل ذلك إذا رآه على صورته التي كان عليها، في أى وقت من أوقات حياته صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء من ضيق الحالة، فخصها بالحالة التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة، قال الحافظ ابن حجر: والصواب

التعميم فى جميع حالاته صلى الله عليه وسلم، بشرط أن تكون صورته الحقيقية فى وقت ما، سواء كان فى شبابه أو رجولته أو كهولته أو آخر عمره.

(عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، أو أبى هريرة) كذا بالترديد بين ابن عباس، وأبى هريرة، فى روايتنا الثامنة عشرة، وعن ابن عباس بدون ترديد، فى ملحقيها، وفى الملحق الثانى يذكر عبد الرزاق أن التردد كان من معمر شيخه، وليس من الزهرى شيخ شيخه، وعند عبد الرزاق: عن ابن عباس قال: كان أبو هريرة يحدث، قال البزار: لا نعلم أحدا قال: عن عبيد الله عن ابن عباس عن أبى هريرة إلا عبد الرزاق عن معمر، ورواه غير واحد، فلم يذكروا أبى هريرة. اهـ. وذكر الحميدى أن سفيان بن عيينة كان لا يذكر فيه ابن عباس، قال: فلما كان صحيحه آخر زمانه أثبت فيه ابن عباس، أخرجه أبو عوانة فى صحيحه من طريق الحميدى، والتحقيق أنه من مسند ابن عباس، فقد أخرجه البخارى فى صحيحه، بلفظ « وقال ابن عباس: قال النبى ﷺ لأبى بكر: لا تقسم... » فجزم بأنه عن ابن عباس.

(أن رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله) فى ملحق الرواية « جاء رجل النبى ﷺ منصرفا من أحد، فقال.. » فبينت زمن الرواية.

(إنى أرى الليلة فى المنام) فيه التعبير عن الماضى بالمضارع، استحضارا للصورة، تأكيدا لتذكرها وضبطها، كأنها حاضرة أمامه وقت التكلم، والأصل: إنى رأيت الليلة فى المنام، كما جاء فى الملحق الأول.

(ظللة، تنطف السمن والعسل) « ظللة » بضم الظاء، أى سحابة لها ظل، والأصل كل ما أظل، من ثقيفة ونحوها، زاد فى رواية « ظللة بين السماء والأرض » ومعنى « تنطف » بكسر الطاء، ويجوز ضمها، أى تقطر قليلا قليلا.

(فأرى الناس يتكفون منها بأيديهم) أى يأخذون بأيديهم، قال الخليل: تكفف بسط كفه ليأخذ، وقال القرطبي: يحتمل أن يكون معنى « يتكفون » يأخذون كفايتهم، وهو أليق بقوله بعد ذلك: « فالمستكثر والمستقل » واعترض عليه الحافظ ابن حجر بأن الكفاية من كفى، والتكفف من كف، فلا يتلاقيان. اهـ.

وكلام القرطبي وجيه، فالكفاف من الكف والتكفف مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان، فالقرطبي أخذ المعنى من الكف، لا من الكفاية.

(فالمستكثر والمستقل) أى الآخذ كثيرا، والآخذ قليلا، وفى رواية « فمستكثر ومستقل » بدون الألف واللام، وفى رواية « فمن بين مستكثر ومستقل وبين ذلك ».

(وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض) السبب الحبل.

(فأراك أخذت به، فعلوت) أى فرأيتك أمسكت به، فصعدت إلى أعلى، وفى رواية « فأعلاك الله ».

(ثم أخذ به رجل من بعدك) فى رواية « ثم أخذه رجل من بعد ».

(ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع به) فى رواية « فانقطع » وفى رواية « ثم جاء رجل من بعدكم فأخذ به، فقطع به ».

(ثم وصل له، فعلا) فى رواية « ثم وصل له فاتصل ».

(بأبى أنت) زاد فى رواية « وأمى ».

(والله لتدعنى) بتشديد النون، وفتح العين، مضارع مبنى على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد، وفى رواية « ائذن لى ».

(فلاعبرنها) بالتأکید باللام والنون، وفى رواية البخارى « فأعبرها » يقال: عبر الرؤيا بفتح الباء مخففة، ويعبرها، بضم الباء، عبرا بفتح العين وسكون الباء، وعبرة إذا فسرهما، وأخبر بما يتوول إليه أمرها، وعبرها بتشديد الباء للمبالغة فى ذلك، والتعبير خاص بتفسير الرؤيا، وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها، وقيل: النظر فى الشيء، فيعتبر بعضه ببعض حتى يحصل على فهمه، وأصله من العبر بفتح العين وسكون الباء، وهو التجاوز من حال إلى حال، وخصوا تجاوز الماء بسباحة أو بسفينة أو غيرها بلفظ العبور بضم العين والباء، والاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد.

(اعبرها) بضم الباء، فعل أمر، من الثلاثى، وعند ابن ماجه « عبرها » بتشديد الباء المكسورة، وفى رواية « فأذن له » زاد فى رواية « وكان من أعبر الناس للرؤيا بعد رسول الله ﷺ ».

(أما الظلة فظلة الإسلام) فى رواية للبخارى « أما الظلة فالإسلام ».

(وأما الذى ينطف من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه) وفى رواية للبخارى « فالقرآن، حلاوته تنطف » وفى رواية « وأما العسل والسمن فالقرآن، فى حلاوة العسل ولين السمن ».

(وأما ما يتكفف الناس من ذلك، فالمستكثر من القرآن والمستقل) وفى رواية « فالأخذ من القرآن كثيرا وقليلًا » وفى رواية « فهم حملة القرآن ».

(ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلوبه) زاد فى رواية « رجل من بعدك على مناهجك ».

(أصبت ؟ أم أخطأت ؟) فى رواية « هل أصبت يا رسول الله ؟ أو أخطأت ؟ ».

(أصبت بعضا، وأخطأت بعضا) فى رواية « أصبت وأخطأت ».

(فوالله - يارسول الله - لتحدثنى: ما الذى أخطأت؟ قال: لا تقسم) عائد الصلة محذوف، أى ما الذى أخطأت فيه؟ وفى رواية « ما الذى أصبت؟ وما الذى أخطأت؟ فأبى أن يخبره » وفى رواية « لتحدثنى بالذى أخطأت » وفى رواية « لتخبرنى بالذى أصبت من الذى أخطأت » قال الداودى: قوله « لا تقسم » أى لا تكرر يمينك، فإنى لا أخبرك. اهـ. وقد أطنب العلماء فى تعيين ما أصاب فيه، وما أخطأ فيه، وسنعرض أقوالهم فى فقه الحديث.

(من رأى منكم رؤيا، فليقصها، أعبرها له) « فليقصها » الفعل مجزوم بلام الأمر، وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين، وفعل « أعبرها » بضم الباء، وسكون الراء، مجزوم فى جواب الأمر.

(فأتينا برطب من رطب ابن طاب) قال النووي: نوع من الرطب معروف، يقال له: رطب ابن طاب، وتمرابن طاب، وعذوق ابن طاب، وعرجون ابن طاب، وهو مضاف إلى ابن طاب، رجل من أهل المدينة.

(فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة) مفعول « أولت » بتشديد الواو المفتوحة محذوف أى أولت الرؤيا وعبرتها بالرفعة للمسلمين في الدنيا..
(وأن ديننا قد طاب) أى كمل، واستقرت أحكامه، وتمهدت قواعده.

(أرانى فى المنام) بفتح الهمزة من الرؤيا، أى رأيت نفسى فى المنام، وفى رواية البخارى « أرانى أنتسوك بسواك، فجاءنى رجلان » وعند أبى داود عن عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله ﷺ يستن وعنده رجلان، فأوحى إليه أن أعط السواك الأكبر » وهذا يقتضى أن تكون القضية وقعت فى اليقظة، وجمع العلماء بين روايتنا ورواية أبى داود باحتمال أن القضية وقعت فى المنام، ووقعت فى اليقظة، ولما وقعت فى اليقظة أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما رآه فى النوم، تنبيها على أن أمره بذلك وحى متقدم.

(فجدبنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما) أى جذب انتباهى، ورجبتى فى إعطاء السواك أحدهما أولا، كل منهما له وجه فى استحقاق التقديم، ولعل الأصغر سنا كان أعلم من الأكبر، أو أفضل فى التقوى، وكانا فى المواجهة مثلا، أما لو كان أحدهما على اليمين والآخر على الشمال فقد قال المهلب: السنة حينئذ تقديم الأيمن.

(فقل لى: كبر. فدفعته إلى الأكبر) فى رواية لأحمد أن القائل له جبريل عليه السلام، ولفظها « إن جبريل أمرنى أن أكبر » ولفظ الطبرانى « أمرنى جبريل أن أكبر » فمعنى « فناولت السواك الأصغر منهما » أى مددت يدي بالسواك ولم يتسلمه المعطى، ففيه مجاز المشاركة، أى قاربت مناولته، ومعنى « كبر » بفتح الكاف وتشديد الباء المكسورة، أى اقصد الكبير سنا، وقدمه.

(فذهب وهلى) قال ابن التين: رويناه بفتح الهاء، والذى ذكره أهل اللغة بسكونها، وقال النووي: يقال: وهل بفتح الهاء، يهل بكسرهما، وهلا بسكونها، مثل ضرب يضرب ضربا، أى غلط وذهب وهمه إلى خلاف الصواب، وأما وهلت بكسرهما، أو هل بسكون الواو وفتح الهاء، وهلا بالتحريك كحذرت أهدر حذرا، فمعناه فزعت، والمعنى هنا ذهبت وهى وظنى واعتقادى.

(إلى أنها اليمامة أو هجر) فى رواية للبخارى « أو الهجر » واليمامة مدينة كبيرة بين مكة والمدينة، و« هجر » بلد كبير معروف فى البحرين، وهى من مساكن عبد القيس، وقد سبقوا غيرهم من القرى إلى الإسلام، وقيل: هجر قرية صغيرة، كانت قرب المدينة، ورد بأن المناسب أن يهاجر إليه لابد وأن يكون بلدا كبيرا كثير الأهل.

(فإذا هى المدينة « يثرب ») قال الحافظ ابن حجر: كان ذلك قبل أن يسميها صلى الله عليه وسلم طيبة.

(أنى هزرت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد) وفى

رواية للبخارى « هزرت سيفى » وفى رواية عند ابن إسحق « ورأيت سيفى ذى الفقار انقصم من عند ظبته - أو قال: به فلول، فكرهته » وفى أخرى عند ابن إسحق « ورأيت فى ذباب سيفى ثلما » وصدر كل شيء مقدمه، وظلّة السيف بضم الظاء وتشديد الباء، حده، وذبابه حد طرفيه، والثلّم الشق وكسر الحرف، قال المهلب: هذه الرؤيا من ضرب المثل، ولما كان صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم، وبهزه عن أمره لهم بالحرب، وعن القطع فيه بالقتل فيهم. اهـ. وقيل: كان الذى رآه بسيفه ما أصاب وجهه الكريم، والثلّم فى السيف رجل من أهل بيته يقتل، ويبعده صريح روايتنا، وأن ما رآه بسيفه هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد.

(ثم هزرتة أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين) فعودة السيف إلى حالته الحسنة تعبر بفتح مكة ونصر الله واجتماع الناس على الإسلام.
(ورأيت فيها أيضا) أى فى الرؤيا نفسها.

(بقرا) بفتح الباء والقاف، جمع بقرة، وفى رواية « بقرا تذبح » وفى رواية « بقرا تنحر » وعند أحمد والنسائى وابن سعد « ورأيت بقرا منخرة » قال النووى: وبهذه الزيادة « تذبح ». « تنحر ». « منخرة » يتم تأويل الرؤيا بما ذكر فنحر البقر هو قتل الصحابة رضى الله عنهم، الذين قتلوا بأحد.

(والله خير) مبتدأ وخبر، قال القاضى: ضبطناه عن جميع الرواة برفع الهاء والراء وهو من جملة ما حكى من الرؤيا، فهى كلمة ألقيت إليه، وسمعها فى الرؤيا، عند رؤيا البقر، بدليل تأويلها بعد، وفيه مضاف محذوف، أى وصنع الله وفعله خير على كل حال، فصنعه بالمقتولين خير لهم من بقائهم فى الدنيا، وقيل: معناه: والله عنده خير، وعند ابن إسحق « وإنى رأيت والله خيرا رأيت بقرا » وهى أوضح، والواو للقسمة، « والله » بالجر مقسم به، « وخيرا » مفعول « رأيت » وفى رواية « تأولت البقر الذى رأيت بقرا يكون فينا، قال: فكان ذلك من أصيب من المسلمين » فقوله « بقرا » بفتح الباء وسكون القاف، وهو شق البطن.

(وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر) قال القاضى عياض: ضبطنا « بعد يوم بدر » بضم الدال، ونصب « يوم » قال: وروى بنصب الدال، قالوا: ومعناه ما جاء الله به بعد بدر الثانية، من تثبيت قلوب المؤمنين، لأن الناس جمعوا لهم وخوفهم، فزادهم ذلك إيماننا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، وتفرق العدو عنهم، هيبة لهم، اهـ. يشير القاضى إلى أن المراد بالخير فى الحديث إلقاء الرعب فى قلب مشركى مكة، وعدم خروجهم فى العام القابل بعد بدر، كما هددوا وتوعدوا فى بدر، وتثبيت قلوب المؤمنين، وعودتهم من الغزوة لم يمسسهم سوء، وتفسير الآية بهذا شد به مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى: إذ قالوا: إنما الآية نزلت فى خروج النبى ﷺ إلى بدر الصغرى، وذلك أنه خرج لميعاد أبى سفيان، إذ قال: - بعد هزيمته فى بدر الكبرى - موعدا بدر من العام المقبل، فقال النبى ﷺ: قولوا: نعم. فلما جاء الموعد خرج صلى الله عليه وسلم قبل بدر، وجاءهم من يقول: إن قريشا قد اجتمعت لحربهم، فأشفق المسلمون من ذلك، لكنهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فصمموا حتى أتوا بدرًا، فلم يجدوا أحدا فاشتروا من سوقها تجارة ونعما.

وجمهور المفسرين على أن الآية تشير إلى غزوة حمراء الأسد، وذلك أنه عقب انتهاء غزوة أحد، وفى اليوم الثانى منها نادى رسول الله ﷺ فى الناس باتباع المشركين، ليعلموا أن بالمسلمين قوة، وقال: لا يخرج معنا إلا من شهد بها بالأمس، فنهض معه مائتا رجل من المؤمنين، ربما كان فيهم المثقل بالجراح، لا يستطيع المشى، ولا يجد مركوبا، فربما حمل على الأعناق، فلما وصلوا حمراء الأسد بلغهم أن كفار قريش قد أجمعوا أمرهم على أن يأتوا المدينة، فيستأصلوا أهلها، فقالوا: لم يخبرنا الله بشأنهم، حسبنا الله ونعم الوكيل، وشاء الله أن يذهب إلى كفار قريش من يثقون فيه وليس منهم، فيخبرهم - خداعا - أن محمدا وأصحابه بحمراء الأسد فى جيش عظيم، سيكر عليهم، فخاف أبو سفيان ومن معه، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فأسرعوا إلى مكة، ورجع الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وهذا التفسير أولى فى مقامنا، لأن الخير الذى فسرفى الرؤيا كان بعد ذبح البقر، ولا يتأتى هذا على التفسير الأول، وقوله فى حديثنا «بعد يوم بدر» لا يتعارض مع ما ذهبنا إليه، فما بعد أحد هو بعد بدر.

والحاصل أن رؤياه صلى الله عليه وسلم اشتملت على قصتين، قصة هز السيف، وما وقع به من فلول وكسور، وفسرت بابتلاء المسلمين فى أحد، وعودة السيف سليما مشهورا بنصر الإسلام وعزته فيما بعد أحد، وعلى رأس هذا النصر فتح مكة، ودخول الناس فى دين الله أفواجا، القصة الثانية البقر الذى يذبح، وفسر بشهداء المسلمين فى أحد، والخير الذى يعقبه، وفسر باستعادة الثقة والأمن بعد أحد، ابتداء من غزوة حمراء الأسد.

(قدم مسيلمة الكذاب - على عهد النبي ﷺ - المدينة) « مسيلمة » بكسر اللام، مصغر، وهو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث، من بنى حنيفة، وادعى بعضهم أن مسيلمة لقب، واسمه ثمامة، فإن صح كان ممن وافقت كنيته اسمه، فقد كانت كنيته أبا ثمامة، وقد ذكر ابن إسحق أن مسيلمة قدم مع وفد قومه، وأنهم تركوه فى رحالهم، يحفظها لهم، وذكروه لرسول الله ﷺ، وأخذوا منه جائزته. اهـ فهذا القدوم - إن صحت روايته، وهى ضعيفة - غير القدوم الذى فى روايتنا، فالقدوم الأول كان تابعا، وكان رئيس بنى حنيفة رجلا غيره، ولهذا أقام فى رحالة الوفد يحفظها لهم، وأسلم مع وفد قومه - وكانوا يسكنون اليمامة، بين مكة واليمن، أما القدوم الذى فى روايتنا فالمراد به قدوم وقع بعد رده وكذبه وادعائه النبوة فبين القدومين أكثر من عام، عظم فيه قدره فى بنى حنيفة، بعد أن تزوج « سجاح » وهى امرأة من بنى تميم ادعت النبوة أيضا، وتبعها كثيرون من قومها، فخادعها مسيلمة، إلى أن تزوجها، فدان له أتباعها من قومها، واجتمعوا على طاعته حتى كان يقال له رحمان اليمامة، فادعى شركة محمد ﷺ فى النبوة، وكتب إليه « أما بعد » فإن الأرض بينى وبينك نصفين، لى نصفها، ولك نصفها، فكتب إليه النبي ﷺ « أما بعد » فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فعدل من دعواه الشركة إلى الدعوة إلى أن يكون الخليفة من بعده صلى الله عليه وسلم وجاء المدينة، لعله يحظى بالموافقة.

وفى رواية للبخارى « أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة، فنزل فى دار بنت الحارث - وكانت تحته بنت الحارث بن كرين، وهى أم عبد الله بن عامر، فأناه رسول الله ﷺ، ومعه ثابت بن قيس... ».

قال الحافظ ابن حجر: الصواب: وهى أم أولاد عبد الله بن عامر، لأنها زوجته، لا أمه، نعم كان لعبد الله ابن عامر ولد، يدعى عبد الله، فهى أم عبد الله بن عامر، وكانت كيسة بنت الحارث قبل عبد الله بن عامر تحت مسيلمة الكذاب، فلعله نزل دارها لكونها كانت امرأته، وقيل نزل دارها؛ لأن دارها كانت قد أعدت لنزول الوفود.

(فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته) أى رجعت إلى متابعته، والمراد من الأمر الخلافة والقيام بمهام الرسالة.

(فقدمها فى بشر كثير من قومه) قيل كانوا سبعة عشر رجلا.

(فأقبل إليه النبى ﷺ) يعامله معاملة الكرم، على عادته صلى الله عليه وسلم فى الاستئلاف وتوجه إليه بنفسه ليقيم عليه الحجة، ويرفع عذره بإنذاره.

(ومعه ثابت بن قيس بن شماس) لأنه كان خطيب الأنصار، وكان النبى ﷺ قد أعطى جوامع الكلم، فإذا دعت الضرورة الشرح والإطالة ترك ثابتا يشرح.

(وفى يد النبى ﷺ قطعة جريد) كعصاة صغيرة، ولعله أخذها متعمدا ليقول عنها ما قال.

(حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه) أى فى أصحاب مسيلمة. يقال: وقف على الشيء إذا حضره وعاینه.

(قال: لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها) قال هذا جوابا على سؤال مسيلمة أن يجعل له الأمر من بعده، والمعنى لو طلبت منى هذه القطعة الصغيرة التافهة من جريد النخيل، مقابل أن تتبعننى ما أعطيتكها، فى رواية البخارى « فوقف عليه، فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خيلنا بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا من بعدك؟ فقال النبى ﷺ: لو سألتنى هذا القضيبي ما أعطيتكها. »

(ولن أتعدى أمر الله فيك) قال النووي: كذا وقع فى جميع نسخ مسلم، ووقع فى البخارى « ولن تعدو أمر الله فيك » قال القاضى: هما صحيحان، فمعنى الأول: لن أعدو أنا أمر الله فيك، بل إنى لا أجيبك إلى ما طلبته، مما لا ينبغى لك، من الاستخلاف أو المشاركة، ومن أنى أبلغ ما أنزل إلى، وأدفع أمرى بالتي هى أحسن، ومعنى الثانى: ولن تعدو أنت أمر الله فى خيبتك فيما أملت من النبوة، وهلاكك دون ذلك، أو فيما سبق من قضاء الله تعالى، وقدره فى شقاوتك، قال الحافظ ابن حجر: وفى رواية « ولن تعد » بالجزم، وهولغة، أى الجزم بلن.

(ولئن أدبرت ليعقرنك الله) أى إن أدبرت عن طاعتي وأعرضت عن دينى، ليقتلنك الله، والعقر القتل، و﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: ٧٧] قتلوها. وقد قتله الله يوم اليمامة.

(وإنى لأراك الذى أريت فيك ما أريت) « لأراك » بضم الهمزة، أى لأظنك، و « أريت فيك ما أريت » بضم الهمزة أيضا، مبنى للمجهول، من رؤيا المنام، والمعنى وإنى لأظن أنه سيقع بك الهلاك الهائل العظيم الذى أرانيه الله تعالى عنك فى المنام، و « ما » فى قوله « ما أريت » للتحويل والتفخيم، كما فى قوله تعالى ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

(وهذا ثابت يجيبك عنى) إن أردت الجدل والنقاش، فهو خطيبي الذى أفوضه فى إجابة الوفود عن خطبهم وتشدقهم.

(بينا أنا نائم رأيت فى يدي سوارين من ذهب) فى الرواية الثالثة والعشرين « فوضع فى يدي إسوارين من ذهب » والسوار بكسر السين، ويجوز ضمها، حلقة تلبس فى المعصم للحلية، وجمعه أسورة، وجمع الجمع أساور، وأسورة، بفتح الهمزة وكسر الواو، والإسوار بكسر الهمزة وسكون السين لغة فى السوار، وفى الرواية الثالثة والعشرين « فوضع فى يدي إسواران » قال عنها النووى: وقع فى جميع النسخ « فوضع فى يدي إسوارين » فيكون « وضع » بفتح الواو والضاد، وفيه ضمير الفاعل، أى وضع الآتى بخزائن الأرض فى يدي إسوارين، فهذا هو الصواب، وضبطه بعضهم « فوضع » بضم الواو، وهو ضعيف، لنصب « إسوارين » وإن كان يتخرج على وجه ضعيف، وقوله « يدي » هو بتشديد الياء على التنثنية، وفى الرواية الثالثة والعشرين « بينا أنا نائم أتيت خزائن الأرض » قال النووى: وفى بعض النسخ « أتيت بخزائن الأرض »، وفى غير مسلم « مفاتيح خزائن الأرض » قال العلماء: هذا محمول على سلطانها وملكها وفتح بلادها، وأخذ خزائن أموالها، وقد وقع ذلك كله ولله الحمد.

(فأهمنى شأنهما) وفى الرواية الثالثة والعشرين « فكبرا على، وأهمانى » وفى رواية للبخارى « فكبر على » أى عظم أمرهما ووضعهما فى يدي، وأدخلا فى نفسى حزنا وهما، لكون الذهب من حلية النساء، ومن حلى ملوك الكفار.

(فأوحى إلى فى المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا) قال النووى: والنفخ بالخاء، ونفخه صلى الله عليه وسلم إياهما فطارا، دليل لانمحاقهما، واضمحلال أمرهما، اهـ. وفى رواية « فذهبا » زاد فى رواية « فوق واحد باليمامة، والآخر باليمن » وفى نفخهما إشارة إلى حقارة أمرهما، لأن شأن الذى ينفخ فيذهب بالنفخ أن يكون فى غاية الحقارة، نعم كان أمرهما وحربهما فى غاية الشدة، لكن الحقارة المعنوية قائمة بهما.

قال العلماء: والوحى إليه صلى الله عليه وسلم بنفخهما يحتمل أن يكون من وحى الإلهام، أو على لسان الملك، والله أعلم.

(فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى) قال القاضى عياض: لما كان رؤيا السوارين فى اليدين جميعا من الجهتين، وكان النبى ﷺ حينئذ بينهما، أول السوارين عليهما، لوضعهما فى غير موضعهما، لأنه ليس من حلية الرجال، وكذلك الكذاب، يضح الخبر فى غير موضعه. اهـ.

وقال القرطبي: مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا، فكانوا كالساعدين للإسلام، فلما ظهر فيهما الكذابان، وبهرجا على أهلها بزخرف أقوالهما ودعواهما الباطلة انخدع أكثرهم بذلك، فكان اليدان بمنزلة البلدين، والسوارن بمنزلة الكذابين. اهـ.

فالأسود العنسى ظهر فى صنعاء، وادعى النبوة، وعظمت شوكته، وحارب المسلمين، وفتك بهم، وغلب على البلد، وآل أمره إلى أن قتل فى حياة النبى ﷺ، ومسيلمة ادعى النبوة فى حياة النبى ﷺ، وإن لم تعظم شوكته، ولم تقع محاربتة إلا فى عهد أبى بكر، وأجيب عن هذا الإشكال بجوابين: الأول

أن المراد بخروجهما من بعده قوة شوكتهما وظهورهما وخروجهما ومحاربتهما للمسلمين، وقد حصل هذا من بعده لمسيلمة، وأضيف لهما على سبيل التغليب، والثاني أن في الكلام مضافا محذوفاً، والأصل بعد نبوتى، والأول أقرب. وفي الرواية الثالثة والعشرين «الكذابين اللذين أنا بينهما» مما يفيد أنهما حين قص الرؤيا كانا موجودين، وهو كذلك.

قال ابن العربي: يحتمل أن يكون ما تأوله النبي ﷺ في السوارين بوحى، ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم قد تفاعل بذلك، دفعا لحالهما، فأخرج المنام المذكور عليهما، لأن الرؤيا إذ عبرت وقعت كما عبرت غالباً. والله أعلم.

(فكان أحدهما العنسى، صاحب صنعاء) «العنسى» بسكون النون، وحكى ابن التين جواز فتحها، والأسود العنسى اسمه عبهلة بن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار، بالخاء، لأنه كان يخمرو وجهه، وقيل: هو اسم شيطانه، وقيل: كان يقال له: ذو الخمار بالحاء، لأنه كان له حمار، علمه أن يسجد له، وكان يصحبه كمظهر من مظاهر معجزته، وكان الأسود خرج بصنعاء، وادعى النبوة، وغلب على عامل صنعاء، المهاجر بن أمية، وروى البيهقي فى الدلائل «كان باذان عامل النبي ﷺ بصنعاء، فمات، فخرج الأسود فى قومه، حتى ملك صنعاء، وتزوج المرزبانة، زوجة باذان، فواعدت فيروز وأصحابه، حتى دخلوا على الأسود ليلاً، وقد سقته المرزبانة الخمر صرفاً، حتى سكر، وكان على بابهِ ألف حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى وصلوا إليه فقتله فيروز، واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة، وكان ذلك عند وفاة النبي ﷺ، قيل: كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبره، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر ﷺ، وقيل: وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي ﷺ.

(كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل علينا بوجهه) أى بعد انصرافه من الصلاة بالسلام، وبعد التسبيح والتحميد والتكبير، وهذا الأسلوب يفيد العادة والاستمرار، لأن «إذا» لما يستقبل من الزمان، والجمع بين الماضى والاستقبال يفيد العادة والكثرة، ومنه قولهم: كان يفعل كذا، وفى رواية للبخارى «كان رسول الله ﷺ يعنى مما يكثر أن يقول لأصحابه».

(هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا) «البارحة» صفة لموصوف محذوف، تقديره: الليلة البارحة، أى الماضية، وإن كان قبل الزوال، وقال ثعلب وغيره: لا يقال «البارحة» إلا بعد الزوال، وهذا الحديث يردده لأن رسول الله ﷺ يقول «البارحة» إذا صلى الصبح، أى قبل الزوال، قال النووي: ويحتمل أنهم أرادوا أن هذا حقيقته، ويطلق قبل الزوال مجازاً، زاد البخارى فى رواية «قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص» بضم الياء وفتح القاف.

فقه الحديث

فى حقيقة الرؤيا أقوال للعلماء منها:

قال القاضى أبو بكر بن العربى: الرؤيا إدراكات، علقها الله تعالى فى قلب العبد، على يدى ملك

أو شيطان، إما بأسمائها، أى حقيقتها - وإما بكنائها - أى بتعبيرها، وإما تخليط، ونظيرها فى اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتى على نسق فى قصة، وقد تأتى مسترسلة، غير محصلة.

وذهب القاضى أبو بكر بن الطيب إلى أنها اعتقادات، واحتج بأن الرأى قد يرى نفسه بهيمة أو طائرا مثلا، وليس هذا إدراكا، فوجب أن يكون اعتقادا، لأن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد. قال ابن العربى: والأول أولى، والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل، فالإدراك إنما يتعلق به، لا بأصل الذات.

وقال المازرى: كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكورة، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدقون بالسمع، فاضطربت أقوالهم، فمن ينتمى إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الأخلاط، فيقول: من غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح فى الماء ونحو ذلك، لمناسبة الماء طبيعة البلغم، ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود فى الجو، وهكذا إلى آخره.

وهذا وإن جوزة العقل، وجاز أن يجرى الله به العادة لكنه لم يقم عليه دليل، ولا اطردت به عادة، والقطع فى موضوع التجويز غلط (أى هذا إن صح فى بعض الرؤيا فلا يجوز تعميمه على كل رؤيا) ومن ينتمى إلى الفلسفة يقول: إن صور ما يجرى على الأرض هى فى العالم العلوى، كالنقوش، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها، قال: وهذا أشد فسادا من الأول، لكونه تحكما لا برهان عليه، والانتقاش من صفات الأجسام، وأكثر ما يجرى فى العالم العلوى الأعراض، والأعراض لا ينتقش فيها.

قال: والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله يخلق فى قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها فى قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أخرى، يخلقها فى ثانى الحال (أى مستقبلا) ومهما وقع منها على خلاف المعتقد، فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أن الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك، فيقع بعدها ما يسر، أو بحضرة الشيطان، فيقع بعدها ما يضر، والعلم عند الله تعالى، اهـ.

وهذا الذى عليه أهل السنة ليس عاما، ينطبق على جميع الرؤيا، وإنما هو لنوع منها.

وقال القرطبى: سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك أن الرؤيا إنما هى من إدراكات النفس، وقد غيب عنها علم حقيقتها، أى النفس، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا تعلم علم إدراكاتها، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر، إنما نعلم منه أمورا جمالية، لا تفصيلية.

ونقل القرطبى فى المفهم عن بعض أهل العلم أن لله تعالى ملكا، يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورة محسوسة، فتكون تارة أمثلة موافقة لما يقع فى الوجود، وتارة تكون أمثلة لمعان معقولة، وتكون فى الحالين مبشرة ومنذرة. قال: ويحتاج فيما نقله عن الملك إلى توقيف من الشرع، وإلا فجاز أن يخلق الله تعالى تلك المثالات من غير ملك.

قال: وقيل: إن الرؤيا إدراك أمثلة، منضبطة فى التخييل، جعلها الله أعلاما على ما كان أو يكون.

وقال القاضي عياض: اختلف في النائم المستغرق، فقليل: لا تصح رؤياه، ولا ضرب المثل له، لأن هذا لا يدرك شيئاً، مع استغراق أجزاء قلبه، لأن النوم يخرج الحى عن صفات التمييز والظن والتخيل، كما يخرج عن صفة العلم، وقال آخرون: بل يصح للنائم مع استغراق أجزاء قلبه بالنوم أن يكون ظاناً ومخيلاً، وأما العلم فلا، لأن النوم آفة تمنع حصول الاعتقادات الصحيحة، نعم إن كان بعض أجزاء قلبه لم يحل فيه النوم فيصبح، وبه يضرب المثل، وبه يرى ما يتخيله، ولا تكليف عليه حينئذ، لأن رؤياه ليست على حقيقة وجود العلم ولا صحة المميز، وإنما بقيت فيه بقية، يدرك بها ضرب المثل، وأيده القرطبي بأن النبي ﷺ كان ينام عينه، ولا ينام قلبه، ومن هنا احتزن القائل بقوله « إدراك أمثلة منضبطة في التخيل » لأن الرائي لا يرى في منامه إلا من نوع ما يدركه في اليقظة بحسه، إلا أن التخيلات قد تركيب له تركيباً يحصل به صورة لا عهد له بها، يكون علماً على أمر نادر، كمن رأى رأس إنسان على جسد فرس، له جناحان مثلاً، وأشار بقوله: « أعلاما » إلى الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها، قال الحافظ ابن حجر: وأما الحديث الذى أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: "لقى عمر علياً، فقال: يا أبا الحسن. الرجل يرى الرؤيا، فمنها ما يصدق، ومنها ما يكذب؟ قال نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد ولا أمة، ينام فيمتملى نوماً إلا تخرج بروحه إلى العرش، فالذى لا يستيقظ دون العرش، فتلك الرؤيا التى تصدق، والذى يستيقظ دون العرش، فتلك الرؤيا التى تكذب » قال الذهبى فى تلخيصه: هذا حديث منكر.

بعد هذه الجولة فى أقوال العلماء فى حقيقة الرؤيا نخلص إلى أن الرؤيا كصورة ذات ألوان مختلفة، أو ذات جوانب مختلفة، كل يرى لونا من ألوانها، وينظر من زاوية من زواياها، وكل قول مما عرضنا يعبر عن بعض أنواع الرؤيا، والبحث فى كيفية حصولها بجميع أحوالها بحث فى بحر لا ساحل له، فهى سر يجرى فى النوم، والنوم نفسه سر، لأنه نوع من الوفاة التى هى سر الأسرار، كما يقول تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وإذا أحلنا بعض ما يراه النائم إلى أسباب، كزيادة الأكل، وقربه من النوم، أو ضغط الرغبات، أو عظم الانشغال، أو الخوف، أو القلق، فإننا لا نعمم بالحكم كل الرؤى، والذى لا شك فيه أن بعض ما يراه النائم جزء من النبوة، إعلام مسبق من الله، إنذار أو تبشير، وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فسرهُ بالرؤيا فى المنام، ومنكر هذا منكر للبداهة والواقع.

قالوا: ورؤيا الأنبياء وحى، والوحى لا يدخله خلل، لأنه محروس، لكنها قد لا تحتاج إلى تأويل، فتقع كما رؤيت فى النوم، كما فى قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقد تحتاج إلى تأويل، كما فى قول يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقوله ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] وكروياً رسول الله ﷺ انكسار سيفه والبقر تنحرفى رواياتنا.

أما رؤيا غير الأنبياء فهي على قسمين: صادقة وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم، وهي كثيرة من الصالحين، قليلة أو نادرة من غيرهم، سواء احتاجت إلى تأويل، أم لم تحتج إلى تأويل، ورؤيا ملك مصر للبقرات، ورؤيا صاحبى السجن، وهم من عبدة آلهة متفرقين خير دليل.

القسم الثانى الأضغاث، وهي التي لا تنذروا تبشربشيء، أى لا توحى بالوقوع فى اليقظة، وهي أنواع:

الأول: تلاعب الشيطان، ليحزن الرأى، أو يخيفه، أو يشغله، كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه وكأن يرى أنه واقع فى هول ولا يجد من ينقذه ونحو ذلك.

الثانى: أن يرى أمرا محالا عقلا أو شرعا، كمن يرى ملكا يأمره بالزنا.

الثالث: أن يرى ما تحدث به نفسه فى اليقظة، أو يتمناه، من الرغبات المكبوتة.

الرابع: أن يرى ما جرت به عادته فى اليقظة، أو ما يغلب على مزاجه، فالجزارى يرى الحيوانات واللحوم والقطع والوزن، والبيع والشراء، والطبيب يرى الأمراض والمرض والشفاء والفلاح يرى الحرث والزرع والحصاد. وهكذا.

على أن بعض ما يظن أنه أضغاث أحلام قد يؤول، ويكون من الرؤيا الصادقة، فقد قال النووى: العابرون يتكلمون فى كتبهم على قطع الرأس، ويجعلونه دلالة على مفارقة الرأى ما هو فيه من النعم، أو مفارقة من فوقه، أو يزول سلطانه، أو يتغير حاله فى جميع أموره، إلا أن يكون عبدا فيدل على عتقه، أو مريضا فيدل على شفائه، أو مديونا فيدل على قضاء دينه، أو من لم يحج فيدل على أنه يحج، أو مغموما فيدل على الفرج، أو خائفا فيدل على أمنه، اهـ.

ومن هذا ترى أن الرؤيا الواحدة يختلف تأويلها من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، وأكثر التأويل يعتمد على الربط بين الرؤيا وتعبيرها بنوع رباط، فهو يعتمد على أنها إشارة إلى شيء من صفات المرئى ومتعلقاته، وأرجع إلى ما فسرنا به القيد والغل، والسمن والعسل، والظلة والسوارين ونفخهما وطيرانهما وغير ذلك فى المباحث العربية، ليظهر لك ما نقول.

ثم إن تعبير الرؤيا يعتمد على كثير من ذكاء المثول وعلمه وخبرته وحبه للرأى، كما سيأتى.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من الروايات الخمس الأولى نسبة أمور الشر إلى الشيطان.

٢- إذا رأى ما يكره نفث عن يساره ثلاثا.

٣- واستعاذ من الشيطان الرجيم، ومن شرها.

٤- وتحول من جنبه إلى جنبه الآخر.

٥- وصلى ركعتين. ففى كل ذلك طرد للشيطان، وتحقيره، وتغييره من حال إلى حال، ونوكل على الله، فإنه بذلك يسلم من شرها بإذن الله، وقد جعل الله ذلك سببا لسلامته منها، كما جعل الصدقة

وقاية للمال، وسببا لدفع البلاء، قال النووي: وإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع الضرر، بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث.

٦- ولم يحدث بها أحدا لأنه ربما فسرها له تفسيراً مكروهاً، على ظاهر صورتها، فتقح كذلك بتقدير الله، أو يدخل في نفسه هما وغما، وهي ليست كذلك، أو يتعجل الرأى باشتغال سره بمكروه تفسيرها، لأنها قد تبطل، فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها، ويبقى إذا لم يعبرها له أحد بين الطمع في أن لها تفسيراً حسناً، أو الرجاء في إنها من الأضغاث، فيكون ذلك أسكن لنفسه.

٧- واستدل بهذا على أن للوهم تأثيراً في النفوس، لأن التفل وما ذكره معه يدفع الوهم الذي يقع في النفس من الرؤيا، فلولم يكن للوهم تأثير لما أرشد إلى ما يدفعه.

٨- إذا رأى ما يحب استبشش، ولا يخبر بها إلا من يحبه، لأنه إذا أخبر بها من لا يحبه، ربما حمله البغض أو الحسد على تفسيرها بمكروه، فقد يقع على تلك الصفة، وإن لم يقع على تلك الصفة حصل له في الحال حزن ونكد من سوء تفسيرها.

٩- ومن الرواية السادسة أن الرؤيا أنواع، كما ذكرنا قريباً.

١٠- وحب القيد وكراهة الغل لا يلزم منه تأويلهما بمحسوب ومكروه، فأهل التعبير - كما يقول النووي - ينزلون هاتين اللفظتين منازل، قالوا: إذا رأى القيد في رجله، وهو في مسجد، أو مشهد خير، أو على حالة حسنة، فهو دليل على ثباته في ذلك، وكذا لورآه صاحب ولاية كان دليلاً لثباته فيها، ولورآه مريض أو مسجون أو مسافر أو مكروب كان دليلاً لثباته فيه، قالوا: ولو قارنه مكروه بأن يكون مع القيد غل، غلب المكروه، لأنه صفة المعذبين.

قال النووي: وأما الغل فهو مذموم إذا كان في العنق، وقد يدل للولايات، إذا كان معه قرائن، كما أن كل وال يحشر مغلولاً، حتى يطلقه عدله، فأما إن كان مغلول اليدين، دون العنق فهو حسن، لأنه دليل لكفهما عن الشر، وقد يدل على منع ما نواه من الأفعال.

١١- استطرد العلماء من النص على رؤية النبي ﷺ في المنام إلى رؤية الله تعالى في المنام، قال القاضي عياض: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام، وصحتها، وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئى غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه سبحانه تعالى التجسم، ولا اختلاف الأحوال.

وقال ابن الباقلاني: رؤية الله تعالى في المنام خواطر في القلب، وهي دلالات للرأى على أمور مما كان أو يكون، كسائر المرئيات.

وقال بعضهم: لما كان الوقوف على حقيقة ذاته تعالى ممتنعاً، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب، كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائماً.

وقال الغزالي: من يرى الله سبحانه وتعالى في المنام فليس المراد أنه رأى ذاته، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد، بواسطة مثال محسوس، من نور أو غيره،

ويكون ذلك المثل حقا في كونه واسطة في التعريف، فقول الرائي: رأيت الله تعالى في المنام لا يعنى أنه رأى ذات الله تعالى، كما يقول في حق غيره.

وقال أبو قاسم القشيري ما حاصله: إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو: فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه، وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك لا يقدح في رؤيته، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل، كما قال الواسطي: من رأى ربه على صورة شيخ، كان إشارة إلى وقار الرائي، وغير ذلك.

١٢- ومن الرواية الثامنة عشرة، من سؤال أبي بكر أن يعبر الرؤيا، وموافقة الرسول ﷺ جواز إظهار العالم ما يحسن من العلم، إذا خلصت نيته، وأمن العجب.

١٣- وجواز كلام العالم بالعلم بحضرة من هو أعلم منه، إذا أذن له في ذلك صريحا، أو ما قام مقام الصريح.

١٤- ويؤخذ منه جواز مثله في الإفتاء والحكم.

١٥- وأن للتلميذ أن يقسم على معلمه.

١٦- ومن قوله «لا تقسم» وعدم إجابة أبي بكر ببيان ما أخطأ فيه، أنه لا يستحب إبرار القسم، إذا كان فيه مفسدة أو مشقة ظاهرة، قال النووي: هذا الحديث دليل لما قاله العلماء، أن إبرار القسم المأمور به في الأحاديث الصحيحة، إنما هو إذا لم تكن في الإبرار مفسدة ولا مشقة ظاهرة، فإن كان لم يؤمر بالإبرار، لأن النبي ﷺ لم يبر قسم أبي بكر، لما رأى في إبراره من المفسدة، ولعل المفسدة ما علمه من سبب انقطاع السبب مع عثمان رضي الله عنه، وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه، فكره ذلك مخافة من شيوعها، أو أن المفسدة إنكاره عليه مبادرته، وتوبيخه بين الناس.

١٧- قال القاضى: وفيه أن من قال: أقسم، لا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يزد على قوله: أقسم. قال النووي: وهذا الذى قاله القاضى عجب، فإن الذى فى جميع نسخ صحيح مسلم أنه قال: «فوالله يا رسول الله لتحدثنى. ما الذى أخطأت» وهذا صريح يمين.

١٨- وفيه الحث على تعليم علم الرؤيا.

١٩- وعلى تعبيرها، وفضيلتها، لما تشتمل عليه من الاطلاع على بعض الغيب وأسرار الكائنات.

٢٠- قال أبو هبيرة: وفي السؤال من أبي بكر، أولا وآخرا، وجواب النبي ﷺ دلالة على انبساط أبي بكر معه، وإدلاله عليه.

٢١- وفيه أنه لا يعبر الرؤيا إلا عالم ناصح أمين حبيب.

٢٢- وفيه أن للعالم بالتعبير أن يسكت عن تعبير الرؤيا، أو بعضها، عند رجحان الكتمان على الذكر.

٢٣- وفيه أن العابر قد يخطئ وقد يصيب.

٢٤- وأن الرؤيا ليست لأول عابر على الإطلاق، وإنما ذلك إذا أصاب وجهها، قال الحافظ ابن حجر: وحديث «والرؤيا لأول عابر» ضعيف، لكن له شاهد عند أبي داود والترمذى وابن ماجه بسند حسن، وصححه الحاكم، عن أبي رزين، رفعه «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت» لفظ أبي داود، ولفظ الترمذى «سقطت» وعند عبد الرزاق «الرؤيا تقع على ما يعبر، مثل ذلك، مثل رجل رفع رجله، فهو ينتظر متى يضعها» وعند سعيد بن منصور بسند صحيح عن عطاء «كان يقال: الرؤيا على ما أولت» وعند الدارمى بسند حسن عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت: «كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر، يختلف - أى يسافر فى التجارة - فأتت رسول اللہ ﷺ فكانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر، يختلف - أى يسافر فى التجارة - فأتت رسول اللہ ﷺ، فقالت: إن زوجى غائب، وتركنى حاملا، فرأيت فى المنام أن سارية بيتى انكسرت، وأنى ولدت غلاما أعور، فقال: خير، يرجع زوجك - إن شاء الله - صالحا، وتلدين غلاما بارا، فذكرت ذلك ثلاثا، فجاءت ورسول اللہ ﷺ غائب، فسألته، فأخبرتني بالمنام، فقلت: لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك، وتلدين غلاما فاجرا، فقعدت تبكى فجاء رسول اللہ ﷺ، فقال: مه يا عائشة، إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها» وفى رواية «فرجع زوجها سالما».

قال العلماء: فمعنى «الرؤيا لأول عابر» أى إذا كان العابر الأول عالما، فعبر، فأصاب وجه التعبير، وإلا فهى لمن أصاب بعده، إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب فى التعبير المنام، ليتوصل بذلك إلى مراد اللہ فيما ضربه به من المثل، فإذا أصاب الأول فلا ينبغى أن يسأل غيره، وإن لم يصب فليسأل الثانى، وعلى الثانى أن يخبر بما عنده، ويبين ما جهل الأول، ولعل حديث وقوع الرؤيا بأول عابر أريد به أن يتحرى الرائي اختيار من يعبر له رؤياه، ولا يكثر من التردد على المعبرين.

٢٥- أن العالم مهما وصل علمه قد يخطئ، فأبو بكر من أعلم الصحابة بتأويل الرؤيا، ومع ذلك أخطأ فى تأويل بعض وقائعها، بصريح كلام رسول اللہ ﷺ، وقد اختلف العلماء فى تحديد موطن خطئه اختلافا متشعبا، لا يسلم أكثره من التعقيب.

فقال ابن المهلب: كان ينبغى لأبى بكر أن يقف حيث وقفت الرؤيا ولا يذكر الموصول له، فإن المعنى أن عثمان انقطع به الحبل، ثم وصل لغيره، أى وصلت الخلافة لغيره. اهـ يقصد أن الرؤيا فى رواية للبخارى قالت عن الرجل الثالث «ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع، ثم وصل» مما قد يحمل على أنه يوصل لغيره، لا له، وتفسير أبى بكر ذكر أن الموصول له هو نفسه الذى انقطع به، حيث قال فى التعبير «ثم يأخذ به رجل آخر، فينقطع به، ثم يوصل له، فيعلوبه» فكان أبى بكر أخطأ، فزاد فى التعبير ما ليس فى الرؤيا ينقطع به الحبل، ثم يوصل له نفسه، ولفظها «فانقطع به، ثم وصل له، فعلا» فالمعنى على هذا أن عثمان كاد ينقطع عن اللحاق بصاحبيه، بسبب ما وقع له من تلك القضايا التى أنكرها عليه، فعبر عنها بانقطاع الحبل، ثم وقعت له الشهادة، فاتصل بهما، فعبر عنه بالحبل، وصل له، فاتصل، فالتحق بهما، وليس فى ذلك خطأ فى التعبير، كما توهم ابن المهلب.

وقال ابن قتيبة ووافقه جماعة على قوله: إن الرجل لما قص على النبى ﷺ رؤياه كان يرجو أن

يعبرها له رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أحق بتعبيرها من غيره، فلما طلب أبو بكر تعبيرها كان ذلك خطأ، فقال له: «أخطأت بعضها» لهذا المعنى، فقد أخطأ في مبادرته بتفسيرها قبل أن يأمره به، وتعبه النووي، فقال: هذا فاسد، لأنه ﷺ قد أذن له في ذلك وقال: اعبرها، وحاول الحافظ ابن حجر أن يدافع عن ابن قتيبة، فقال: مراد ابن قتيبة أنه لم يأذن له ابتداءً، بل بادر هو، فسأل أن يأذن له في تعبيرها، فأذن له، فكأنه قال: أخطأت في مبادرتك للسؤال أن تتولى تعبيرها، لا أنه أراد: أخطأت في تعبيرك، لكن في إطلاق الخطأ على ذلك نظر، لأنه خلاف ما يتبادر للسمع من جواب قوله: هل أصبت؟ فإن الظاهر أنه أراد الخطأ في التعبير والإصابة فيه، لا لكونه التمس التعبير، ومن هنا قال ابن التين وغيره الأشبه بظاهر الحديث أن الخطأ في تأويل الرؤيا، أي أخطأت في بعض تأويلك. قال الحافظ ابن حجر: ويؤيده تبويب البخاري للحديث بقوله: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر، إذا لم يصب.

ومثل هذا التعقيب يصلح تعقيبا لقول ابن هبيرة: إنما كان الخطأ لكونه أقسم ليعبرنها بحضرة النبي ﷺ، قال: ولو كان الخطأ في التعبير لم يقره عليه، وترد الفقرة الأخيرة بأنه صلى الله عليه وسلم لم يفصح عن الخطأ لمصلحة أهم، أو لدرء المفسدة، والمفسدة في ذلك ما علمه صلى الله عليه وسلم من سبب انقطاع الحبل بعثمان، وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه، فكره ذكرها خوف شيوعتها.

وقيل: أخطأ لكون المذكور في الرؤيا شئيين: السمن والعسل، ففسرهما بشيء واحد، وكان ينبغي أن يفسرهما بالقرآن والسنة. ذكر ذلك ابن التين عن الطحاوي، وحكاه الخطيب عن أهل العلم بالتعبير، وجزم به ابن العربي.

وقد اختلف في المراد بالقطع والوصل، فقيل: القطع قتل عثمان، والوصل بولاية علي، ورد بأن عمر قتل، ولم يكن قطعاً، وولى عثمان وليس وصلاً، وقيل: ما اتهم به عثمان وقيل عنه ومحاولة خلعه، والوصل شهادته.

ويعجبنى قول الحافظ ابن حجر: وجميع ما تقدم من لفظ الخطأ والتوهم والتأديب وغيرها، إنما أحكيه عن قائله، ولست راضياً عنه، ولا بإطلاقه في حق الصديق. اهـ.

واعتذر الكرمانى عن هذا البحث، فقال: إنما أقدموا على تبين موطن خطأ أبى بكر، مع كون النبي ﷺ لم يبينه، لأنه كان يلزم من تبيينه مفسدة إذ ذاك، فزالته بعده، مع أن جميع ما ذكره، إنما هو بطريق الاحتمال، ولا جزم في شيء من ذلك.

٢٦- ومن ملحق الرواية الثامنة عشرة الحث على علم الرؤيا.

٢٧- والسؤال عنها. قال النووي: قال العلماء: وسؤالهم محمول على أنه صلى الله عليه وسلم يعلمهم تأويلها، وفضلتها، واشتمالها على ما شاء الله تعالى من الغيب.

٢٨- ومن الرواية العشرين قال ابن بطال: فيه تقديم نى السن فى السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشى والكلام، قال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم فى الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن.

٢٩- وفيه أن استعمال سواك الغير ليس بمكروه، إلا أن المستحب أن يغسله، ثم يستعمله، قال الحافظ ابن حجر: وفيه حديث عن عائشة في سنن أبي داود، قالت « كان رسول الله ﷺ يعطيني السواك، لأغسله، فأبدأ به، فأستاك، ثم أغسله، ثم أدفعه إليه »، وهذا دال على عظيم أدبها، وكبير فطنتها، لأنها لم تغسله ابتداء حتى لا يفوتها الاستشفاء بريقه صلى الله عليه وسلم، ثم غسلته تأدبا وامتثالا، ويحتمل أن يكون المراد بأمرها بغسله تطيبه وتليينه بالماء قبل أن يستعمله.
وعندى أن استعمال سواك الغير مكروه، خوف انتقال الأمراض عن طريقه، ولا يقاس على سواك الرسول ﷺ.

٣٠- ومن الرواية الواحدة والعشرين تسمية المدينة « يثرب » وهو اسمها في الجاهلية، وسماها الله تعالى المدينة، وسماها رسول الله ﷺ: طيبة وطابة، وقد جاء في حديث النهي عن تسميتها « يثرب » لكرهه لفظ التثريب، ولأنه من تسمية الجاهلية، وتسميتها في هذا الحديث « يثرب » قيل: يحتمل أن هذا كان قبل النهي، وقيل: لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه، وليس للتحريم، وقيل: خوطب به من يعرفها به، ولهذا جمع بينه وبين اسمها الشرعي، فقال « المدينة يثرب ».

٣١- وأن كسر السيف في المنام قد يكون شرا، وإنذارا بشر. قال النووي: لأن سيف الرجل أنصاره، الذين يصلون بهم، كما يصل بسيفه، وقد يفسر السيف في غير هذا بالولد، والوالد، والعم والأخ أو الزوجه، وقد يدل على الولاية، أو الودية، وعلى لسان الرجل وحجته، وقد يدل على سلطان جائر، وكل ذلك بحسب قرائن تنضم، لتشهد لأحد هذه المعاني، في الرائي أو في الرؤية.

٣٢- ومن قوله صلى الله عليه وسلم « ولئن أدبرت ليعقرنك الله » علم من أعلام النبوة، فقد كان مصير مسيلمة الكذاب العقر والقتل، إذ تولى وكفر.

٣٣- ومن قوله « وهذا ثابت يجيبك » استعانة الإمام بأهل البلاغة، في جواب أهل العناد ونحو ذلك.

٣٤- وأن السوار، وسائر أنواع الحلى اللائقة بالنساء، تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم.

٣٥- وأن النفخ لما لا يليق تغلب عليه، وانتصار على الأعداء، قال ابن بطال: يعبر بإزالة الشيء المنفوخ بغير تكلف شديد، لسهولة النفخ على النافخ، ويعبر بالكلام.

٣٦- وفي ذهاب رسول الله ﷺ إلى مسيلمة توجه الإمام بنفسه إلى من يريد استئلافه وإقامة الحجة عليه، وإنذاره، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين.

٣٧- ومن التمثيل بالعصا، وقطعة الجريد، ضرب المثل بالتافه، على المستحيل.

٣٨- وفي الحديث منقبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، لأن النبي ﷺ تولى نفخ السوارين بنفسه، حتى طارا، فأما الأسود فقتل في زمنه، وأما مسيلمة فقد قتل أبو بكر الصديق، فقام مقام رسول الله ﷺ في ذلك.

٣٩- ومن الرواية الواحدة والعشرين والثالثة والعشرين أن رسول الله ﷺ كان يجيد تعبير الرؤيا، لأن الإكثار من هذا القول لا يصدر إلا ممن تدرب فيه، ووثق بإصابته.

٤٠- وفيها استحباب إقبال الإمام المصلى بعد سلامه على أصحابه.

٤١- وجواز استدبار القبلة في جلوس العالم للعلم.

٤٢- واستحباب السؤال عن الرؤيا.

٤٣- والمبادرة إلى تأويلها.

٤٤- وتعجيلها في أول النهار لقرب عهد الرائي بها، قيل أن يطرأ على ما يشوش الرؤيا عليه، ولأنه قد يكون فيها ما يستحب تعجيله كالحث على خير، أو ما ينبغي أن يأخذ الأهبة له..

٤٥- وإباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا ونحوهما بعد صلاة الصبح، قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق بلفظ « لا تقصص رؤيا على امرأة، ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس ».

٤٦- وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير: إن المستحب أن يكون تعبير الرؤيا بعد طلوع الشمس، ومن العصر إلى قبل المغرب.

والله أعلم

كتاب الفضائل

- ٦٠٣- باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة وتفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.
- ٦٠٤- باب فى معجزات النبي ﷺ.
- ٦٠٥- باب توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس.
- ٦٠٦- باب بيان مثل ما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم.
- ٦٠٧- باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم وإذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها.
- ٦٠٨- باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.
- ٦٠٩- باب إكرامه صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معه.
- ٦١٠- باب من شجاعته صلى الله عليه وسلم.
- ٦١١- باب جوده صلى الله عليه وسلم.
- ٦١٢- باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.
- ٦١٣- باب فى سخائه صلى الله عليه وسلم.
- ٦١٤- باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك.
- ٦١٥- باب حياته صلى الله عليه وسلم.
- ٦١٦- باب تيسمه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته.
- ٦١٧- باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء والرفق بهن.
- ٦١٨- باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به، وتواضعه لهم.
- ٦١٩- باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته.
- ٦٢٠- باب طيب رائحته صلى الله عليه وسلم، ولين مسه وطيب عرقه، والتبرك به.
- ٦٢١- باب فى صفاته الخلقية، وصفة شعره وشيئته.
- ٦٢٢- باب إثبات خاتم النبوة، وصفته، ومحله من جسده صلى الله عليه وسلم.
- ٦٢٣- باب قدر عمره صلى الله عليه وسلم، وإقامته بمكة والمدينة.
- ٦٢٤- باب فى أسمائه صلى الله عليه وسلم.
- ٦٢٥- باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله، وشدة خشيته له.
- ٦٢٦- باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، وتوقيره، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه.
- ٦٢٧- باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأى.
- ٦٢٨- باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم.
- ٦٢٩- باب فضائل عيسى عليه السلام.
- ٦٣٠- باب من فضائل إبراهيم الخليل، ولوط، عليهما السلام.
- ٦٣١- باب من فضائل موسى عليه السلام، ويونس، ويوسف، وزكريا، والخضر، عليهم السلام.

(٦٠٣) باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل

النبوة وتفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق

١٧٨٥- ١ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه (١) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

١٧٩٥- ٢ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه (٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ».

١٨٠٥- ٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ».

المعنى العام

كان العرب في الجاهلية يتفاخرون بالأنساب بالدرجة الأولى، ثم تأتي الفضائل في الدرجة الثانية، فلما جاء الإسلام كانت الفضيلة الأولى، التي يفاخر بها هي الإسلام والتقوى، ونحيت الأنساب عن التفاخر، واعتبرت وسيلة لا غاية، وتابعة لا أصلية، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وأكد هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها، يا أيها الناس، الناس رجالان مؤمن تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله» وحين مر عليه ومعه أصحابه رجل غنى ذو حسب، قال لهم: ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: جدير إن خطب بنت أحدنا أن ينكح ويقبل ولا يرد، وجدير إن شفح وتوسط في أمر من الأمور أن يشفع، ولا يرفض له طلب، وجدير إن تكلم وسط جماعة أن يسكتوا حتى يتكلم، وأن يستمع لكلامه، فسكت صلى الله عليه وسلم. فمر بهم رجل فقير، غير ذي حسب لكنه مسلم تقى، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: جدير إن خطب أن لا ينكح، وإن شفح أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع. فقال لهم صلى الله عليه وسلم هذا الفقير خير من ملء الأرض من ذلك الغنى.

(١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَائِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ
(٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ.
(٣) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنَا هِفْلٌ بَعِي ابْنُ زَيْنَادٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرُوحٍ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ

نعم. حول الإسلام مقاييس الناس، لكنه لم يغفل الحسب فى الموازين، وإنما جعله مكملاً مجملاً لفضيلة الإسلام. فقال صلى الله عليه وسلم «تجدون الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» ولما كان الزواج من أهم الأحداث التى يطلب فيها ميزان الرجال والنساء، قال صلى الله عليه وسلم «تنكح المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ولما استقر مبدأ التفاضل بالدين، وأمن من عدم مزاحمة الأنساب له، أعطيت قدرها، وظهرت فى ساحة التفاخر، فالناس معادن، شعوب لها أصالة ومكارم متوارثة من جيل إلى جيل تفضل شعوباً، ومن داخل كل شعب قبائل أو بطون، لها أخلاق وعادات حميدة متوارثة من جيل إلى جيل تفضل قبائل أو بطوناً، فقال صلى الله عليه وسلم «الناس تبع لقريش، كافرهم تبع لكافرهم، ومسلمهم تبع لمسلمهم» وقال «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» وقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» فضله الله تعالى بالرسالة، كما فضله بالنسب، فهو أفضل بنى آدم وسيدهم، وهو أفضل المرسلين وخاتمهم، أكرمه الله تعالى قبل البعثة بتسليم الجماد عليه، وأكرمه بعد البعثة بمعجزات كثيرة، تتعرض لها فى الباب القادم. يقول صلى الله عليه وسلم «إنى لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم على قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن».

المباحث العربية

(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل) « كنانة » بن خزيمة بن مدركة (واسمه عمرو) ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال الحافظ ابن حجر: والمشهور أن بين عدنان وبين إسماعيل أربعة آباء أو خمسة، وقيل: أربعين آباء، وقد وقع فى ذلك اضطراب شديد، واختلاف متفاوت، حتى أعرض الأكثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل.

(واصطفى قريشاً من كنانة) « قريش » ولد النضر بن كنانة، وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر، قال الحافظ ابن حجر: وهذا قول الأكثر، وبه جزم مصعب، قال: ومن لم يلد فهر فليس قريشياً، بل كنانى، وقيل: أول من نسب إلى قريش قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، روى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشاً؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها، فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له: القرش، ولم يسم أحد قريشاً قبله، وروى ابن سعد، من طريق المقداد «لما فرغ قصى من نفي خزاعة من الحرم، تجمعت إليه قريش، فسميت يومئذ قريشاً، لحال تجمعها، والتقرش التجمع، وقيل: لتلبسهم بالتجارة، وقيل: من التقرش، وهو أخذ الشيء أولاً فأولاً، وقيل: سميت قريش قريشاً بدابة فى البحر، هى سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس، ولعله مصغر حوت القرش المعروف، وقيل: سموا بذلك لمعرفةهم بالطعان، والتقرش وقع الأسنة، وقيل: التقرش التنزه عن رذائل الأمور، وقيل غير ذلك، وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف فى سبب تسمية قريش قريشاً، وأول من تسمى به، قال الحافظ ابن حجر: وإلى النضر تنتهى أنساب قريش، وإلى كنانة تنتهى أنساب أهل الحجاز

(واصطفي من قريش بنى هاشم) واسمه عمرو بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وعند ابن سعد « ثم اختار بنى هاشم من قريش، ثم اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم ».

(واصطفاني من بنى هاشم) قال الحافظ ابن حجر: ونسب النبي ﷺ إلى عدنان متفق عليه، وهو: من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، بن مرة ابن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(إني لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم على قبل أن أبعث) قال النووي: في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجاره ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه، ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى عليه الصلاة والسلام.

(إني لأعرفه الآن) من بين أحجار مكة، أي أعرف مكانه وصفاته.

(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره: هو الذي يفرغ إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم، ويتحمل منهم مكارههم.

قال النووي: وأما قوله « يوم القيامة » مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أنه في يوم القيامة يظهر سوءده لكل أحد ولا يبقى معاند، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين.

قال: وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى ﴿ لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعى الملك، أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة.

(وأول شافع، وأول مشفع) لم يكتف بالجملة الأولى عن الثانية، لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثاني منهما قبل الأول، قاله النووي: أي لا يشفع ولا يؤذن بالشفاعة لأحد قبله ولا معه، ولا يقوم بالشفاعة قبله ولا معه أحد.

فقه الحديث

قال النووي: عن الرواية الأولى: استدلل بهذا الحديث أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفاء لهم، ولا أحد من غير بنى هاشم كفاء لهم، إلا بنى المطلب، فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد، كما صرح به في الحديث الصحيح. اهـ.

والحديث الذى أشار إليه النووى أخرجه البخارى عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: « مشيت أنا وعثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، أعطيت بنى المطلب، وتركتنا؟ وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » أى نحن فى درجة بنى المطلب، فعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى. وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف القرشى، فهما من حيث الآباء، والأجداد فى درجة واحدة، لكنهما ليسا من بنى هاشم ولا من بنى عبد المطلب.

وقال الحافظ ابن حجر: قال عياض: استدل الشافعية بحديث البخارى « الناس تبع لقريش » على إمامة الشافعى، وتقديمه على غيره، ولا حجة فيه، لأن المراد به هنا الخلفاء، وقال القرطبى: صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصميم التقليد، وتعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقدم، كما أن من أسباب التقدم الورع مثلاً، فالمستويان فى خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلاً كان مقدماً على رفيقه، فكذلك القرشية، فثبت الاستدلال بها على تقدم الشافعى وميزته على من ساواه فى العلم والدين، لمشاركتها فى الصفتين، وتميزه بالقرشية، وهذا واضح، ولعل الغفلة والعصبية صحبت القرطبى فله الأمر.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم » فى روايتنا الثالثة فليس من قبيل الفخر المنهى عنه، بل صرح صلى الله عليه وسلم بنفس الفخر فى غير مسلم فى الحديث المشهور « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » قال النووى: وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

والثانى: أنه من البيان الذى يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه، ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه صلى الله عليه وسلم بما تقتضى مرتبته، كما أمرهم الله تعالى.

قال: وهذا الحديث دليل على تفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنة أن الأدميين أفضل من الملائكة (أى المؤمنين المتقين منهم) وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الأدميين وغيرهم.

قال: وأما الحديث الآخر « لا تفضلوا بين الأنبياء » (وسياتى فى ملحق الرواية ١٦٠) فجوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثانى: قاله تأديباً وتواضعاً.

والثالث: أن النهى إنما هو عن تفضيل يؤدى إلى نقص المفضل.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدى إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور فى سبب الحديث.

والخامس: أن النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل

بالخصائص وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وعند الترمذى وحسنه « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، غير فخر» وعنده أيضا « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وعنده أيضا « إن بمكة حجراً، كان يسلم على ليالى بعثت، إني لأعرفه الآن.»

والله أعلم

(٦٠٤) باب في معجزات النبي ﷺ

٥١٨١ - ٤ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَتَى بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَوَضَّئُونَ، فَحَزَرْتُ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الثَّمَانِينَ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ.

٥١٨٢ - ٥ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ. قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ.

٥١٨٣ - ٦ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِالزُّورَاءِ (قَالَ: وَالزُّورَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ فِيمَا ثَمَّة) دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ. قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ: كَانُوا زُهَاءَ الثَّلَاثِمِائَةِ.

٥١٨٤ - ٧ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٧) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالزُّورَاءِ، فَأَتَى بِإِنَاءِ مَاءٍ لَمْ يَغْمُرْ أَصَابِعَهُ، أَوْ قَدَرًا مَا يُوَارِي أَصَابِعَهُ. ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ هِشَامٍ.

٥١٨٥ - ٨ - عَنْ أُمِّ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٨) كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنَاً، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأُذْمَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنَاً فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُذْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ. فَآتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «عَصَرْتِهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: لَوْ تَرَكَتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا.»

(٤) وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادُ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ
(٥) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكُ ح وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(٦) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاذُ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ
(٨) وَحَدَّثَنِي سَلْمَةُ بْنُ شَيْبَةَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَرَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ مَالِكَةَ كَانَتْ تُهْدِي

٥١٨٦ - ٩ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٩) أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطْعِمُهُ. فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ. فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا، حَتَّى كَالَهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكُلْهُ لِأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ».

٥١٨٧ - ١٠ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٠) قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ. فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أُخِرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ. فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» فَجَنَانَهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ. وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ. قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالَا: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ. قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. أَوْ قَالَ غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ. ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مَلِئَتْ جِنَانًا».

٥١٨٨ - ١١ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١١) قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ. فَأَتَيْنَا وَادِي الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةِ لَامْرَأَةٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْرُصُوهَا» فَخَرَصْنَاهَا. وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ. وَقَالَ: أَحْصِيهَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَهْبُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ. فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ. فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيِّبٍ. وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلَمَاءِ صَاحِبِ أَيْلَةَ. إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا. ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِي الْقُرَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا: «كَمْ بَلَّغَ ثَمَرُهَا؟» فَقَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ

(٩) وَحَدَّثَنِي سَلْمَةُ بْنُ شَيْبَةَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ
(١٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَقْفِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ أَبُو أَنَسٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ
(١١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي مُسْرِعٌ. فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ» فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ. وَهَذَا أُحُدٌ. وَهُوَ جَبَلٌ يُجَنَّبُ وَنُجِيهٌ» ثُمَّ قَالَ: إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا، فَأَذْرَكَ سَعْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيْرَتْ دُورَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْتَنَا آخِرًا. فَقَالَ: «أَوْ لَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ».

٥١٨٩ - ١٢/ وفي رواية عن عمرو بن يحيى^(١٢) بهذا الإسناد، إلی قوله «وفي كل دور الأنصار خير» ولم يذكر ما بعده من قصة سعد بن عبادة. وزاد في حديث وهيب: فكتب له رسول الله ﷺ ببحرهم. ولم يذكر في حديث وهيب: فكتب إليه رسول الله ﷺ.

المعنى العام

المعجزة أمر خارق للعادة، تظهر على يد من يدعى النبوة والرسالة، تأييدا له.

وفي بداية البشرية، حيث كانت العقول ضيقة المعلومات، قليلة الثقافة، قريبة العهد بالفطرة والبداهة، بعيدة عن عمق الفكر، وعن غور البحث والنظر كانت معجزات الرسل مادية حسية، في ميدان ما برع فيه أقوامهم فعهد موسى كان السحر، فكانت معجزته اليد والعصا، ثم فرق البحر ومعجزة عيسى في عهد الطب كانت إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله. ومعجزة إبراهيم أن كانت النار برداً وسلاماً عليه، ومعجزة صالح ناقة تسقى الناس جميعهم من لبن لا ينضب، لهم يوم تروى القوم كلهم، ولها يوم تشرب هي فيه.

وكان عصر الرسول محمد ﷺ عصر الرقى العقلى والبلاغى، فكانت معجزته الكبرى القرآن الكريم الذى تحدى به فحول البلاغة أن يأتوا بمثل سورة منه، وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب فجزوا.

نعم كان فريق كبير من العرب أميين، فكانت حاجتهم شديدة إلى المعجزة الحسية المادية، يوثقون بها إيمانهم، ويزيدون عن طريقها يقينهم، فأجرى الله تعالى على يدى محمد ﷺ مجموعة من المعجزات الحسية، بل أجرى له بعض الخوارق قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، إعداداً وتمهيداً للنبوة، فجعل حجراً من حجارة مكة يسلم عليه كلما مر صلى الله عليه وسلم به، حتى أصبح صلى الله عليه وسلم يميزه من بين الأحجار، ويعرفه حق المعرفة، معرفة ظلت تلازمه بعد الهجرة وحتى لقاء

(١٢) و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ ح وَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلْمَةَ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بِهَذَا الْإِسْنَادِ

ربه، ومن تلك المعجزات الحسية حنين الجذع الذي كان يخطب عليه، وتسبيح الحصى فى يده، وتكليم الذراع المسمومة فى غزوة خيبر، وتكثير الطعام ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، وقد تعرضنا لهذه المعجزة فى كتاب الأطعمة والأشربة، باب الضيف يستتبعه غيره واستحباب الاجتماع على الطعام، كما تعرضنا لفوران عين الحديدية بعد أن نضب ماؤها.

وهذا باب يتعرض لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفوران عين تبوك لسد حاجة المسلمين، ومعجزات مادية أخرى، صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(أن النبى ﷺ دعا بماء) بينت الرواية الثانية سبب الحاجة إلى الماء، فى هذه الحادثة، ففيها « رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الضوء (بفتح الواو الماء الذى يتوضأ به) فلم يجده، وبينت الرواية الثالثة مكان هذه الحادثة، وفيها « أن نبى الله ﷺ وأصحابه بالزوراء) قال الراوى: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمه.

قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « ثمة » قال أهل اللغة « ثم » بفتح التاء، و« ثمة » بالهاء بمعنى هناك، وهنا، فثم للبعيد، وثمره للقريب. اهـ. والزوراء مكان معروف بالمدينة، عند السوق.

(فأتى بقدر حراح) « أتى » بضم الهمزة، مبنى للمجهول، والحراح بفتح الراء، وإسكان الحاء، ويقال له: ررح، بحذف الألف، وهو الواسع القصير الجدار، وفى الرواية الثانية « فأتى رسول الله ﷺ بوضوء (بفتح الواو، أى بماء) وفى ملحق الرواية الثالثة « فأتى بإناء ماء، لا يغمر أصابعه، أو قدر ما يوارى أصابعه » وعند أبى نعيم عن أنس أنه هو الذى أحضر الماء، وأنه أحضره إلى النبى ﷺ من بيت أم سلمة، وأنه رده بعد فراغهم إلى أم سلمة، وفيه قدر ما كان فيه أولاً.

(فجعل القوم يتوضئون) فى الكلام طى، والفاء عاطفة على محذوف، بينته الرواية الثانية، وفيها « فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ».

(فحرزت ما بين الستين إلى الثمانين) أى فقدت العدد ما بين الستين إلى الثمانين، وفى الرواية الثالثة « فتوضأ جميع أصحابه، قال: قلت: كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة » قال النووى: قال العلماء: هما قضيتان، جرتا فى وقتين، ورواهما أنس. اهـ. ويحتمل أن تكون قضية واحدة، وأنه أخذ يعد حتى وصل إلى الثمانين، وترك العد منشغلاً بالنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، فلما سئل عن عدد القوم قدرهم بثلاثمائة، « وزهاء » بضم الزاى، وبالمد، أى قدر ثلاثمائة، مأخوذ من زهوت الشيء إذا حصرته، وهى تفيد تقريب العدد، لا تحديده، وفى رواية بالتحديد، « قال: ثلاثمائة » بدون « زهاء » قال النووى: « الثلاثمائة » بالألف واللام. هكذا هو فى جميع النسخ وهو صحيح.

(فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه) « ينبع » بضم الباء وفتحها وكسرها،

ثلاث لغات، قال النووي: وفي كيفية هذا النبع قولان: أحدهما: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلى الله عليه وسلم، وينبع من ذاتها ويؤيد هذا رواية « فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ».

والثاني: يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه، لا من نفسها، فهو يفور من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي، وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر، وكفه صلى الله عليه وسلم في الماء فرآه الرائي نابعا من أصابعه، وكلاهما معجزة، والأول أبلغ في المعجزة، وليس في الأخبار ما يريده، قال الحافظ ابن حجر: وهو أولى.

وفي الرواية الثانية « فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم » قال النووي: هكذا هو في الصحيحين، وهو صحيح، و« من » هنا بمعنى « إلى » وهي لغة. اهـ. وهي بمعنى ما جاء في الرواية الثالثة بلفظ « فتوضأ جميع أصحابه ».

(أن أم مالك) الأنصارية، وعند ابن أبي عاصم « أن أم مالك الأنصارية جاءت بعكة سمن إلى رسول الله ﷺ، فأمر بلالا بعصرها، ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءة، فجاءت، فقالت: أنزل في شيء، قال: وما ذلك؟ قالت: رددت على هديتي. فدعا بلالا، فسأله، فقال: والذي بعثك بالحق. لقد عصرتها، حتى استحبيبت، فقال: هنيئا لك هذه البركة يا أم مالك. هذه بركة عجل الله لك ثوابها ».

(كانت تهدي للنبي ﷺ - في عكة لها - سمن) أي فيأخذ رسول الله ﷺ السمن، ولا يستأصلها، بل يبقى في العكة بقايا، لا يغسلها ولا يمسحها، ثم يعيدها. والعكة بتشديد الكاف وبضم العين، وتفتح، وعاء صغير من جلد، يجر شعره ولا ينتف، يحفظ فيه السمن والشراب.

(فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ) أي فتذهب إلى الإناء الراجع من عند رسول الله ﷺ، فتمد يدها فيه، فتجد فيه سمنًا، فتأخذ منه أدمًا لأولادها.

(حتى عصرتة) يقال عصر الشيء، بفتح الصاد، يعصره بكسرها، إذا استخراج ما فيه من دهن أو ماء، ونحوه.

(فأنت النبي ﷺ) أي فأخبرته بما حصل.

(لو تركتها ما زال قائما) أي لو تركت العكة بدون عصر لظل السمن فيها باقيا موجودًا حاضرًا.

(يستطعمه، فأطعمه شطروسق شعير) أي يطلب منه طعامًا له ولأهله، فأعطاه شعيرا، قدر كيلة، جزءًا من وسق. والوسق بفتح الواو وكسرهما، وسكون السين، ستون صاعًا.

(حتى كاله) أي كال ما بقي منه ليعرف مقداره، فذهبت البركة بالكيل.

(لولم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم) أي لأكلتم منه زمنا طويلا، ولقام عندكم طعاما لكم.

(عام غزوة تبوك) وهي غزوة العسرة، وكانت في شهر رجب، سنة تسع من الهجرة، قبل حجة الوداع.

وتبوك مكان معروف، فى نصف المسافة بين المدينة ودمشق، واللفظ ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث على المشهور به.

(حتى إذا كان يوماً، أخر الصلاة) أى جمع جمع تقديم فى يوم، وجمع جمع تأخير فى اليوم الثانى.

(وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار) حدد لهم ساعة الوصول، وأنها بعد الضحى.

(فمن جاءها منكم فلا يمسه من مائها شيئاً حتى آتى) النهى عن المس نهى عن الشرب منها أو لمس مائها عموماً.

(والعين مثل الشراك، تبض بشيء من ماء) «الشراك» بكسر الشين سيرا النعل، ويضرب به المثل فى القلة، أى ماؤها قليل جداً، وقال النووى «تبض» هكذا ضبطناه هنا بفتح التاء وكسر الباء، وتشديد الصاد، ومعناه تسيل. قال: ونقل القاضى اتفاق الرواة هنا على أنه بالصاد، واختلفوا فى ضبطه هناك، فضببطه بعضهم بالصاد، وبعضهم بالصاد المهملة، أى تبرق وتلمع، قال الحافظ ابن حجر: وهذا المعنى مستبعد، فإن فى نفس الحديث «تكاذ تبض من الماء» بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة، فكونها تكاذ تسيل من الماء ظاهر، وأما كونها تلمع من الماء فبعيد.

(فسألها رسول الله ﷺ) معطوف على مطوى محذوف، تقديره: وعلم الرسول ﷺ فجىء بهما، فسألها.

(هل مسستما من مائها شيئاً؟ قال: نعم) يحتمل أنهما فهما النهى عن التنزيه، وكانا فى حاجة شديدة للماء، والظاهر أنه لم يكن ثمة عذر يعتذران به، فيقبل، لهذا سبهما صلى الله عليه وسلم.

(وقال لهما ما شاء الله أن يقول) من ألفاظ اللوم والتعنيف.

(ثم عرفوا بأيديهم من العين، قليلاً قليلاً) بناء على أمره صلى الله عليه وسلم.

(حتى اجتمع فى شيء) أى حتى تجمع هذا القليل فى الإناء.

(ثم أعاده فيها) أى ثم أعاد الماء الذى غسل به وجهه ويديه مع ما بقى فى الإناء إلى البئر.

(فجرت العين بماء منهمر - أو قال غزير - شك أبو على. أيهما قال) أصل السند: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى حدثنا أبو على الحنفى حدثنا مالك عن أبى الزبير أن أبى الطفيل أخبره أن معاذ بن جبل ؓ قال... الحديث. فالقائل: شك أبو على، هو عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى.

والمنهمر كثير الصب والرفع.

(يوشك يا معاذ - إن طالت بك حياة - أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا) أى بساتين وعمرانا جمع جنة.

(**فأتينا وادي القرى**) بضم القاف، مدينة قديمة، بين المدينة والشام.
(**على حديقة لامرأة**) كانت حديقة من نخل، وفي رواية البخارى « إذا امرأة فى حديقة لها »
(**فقال رسول الله ﷺ: احرصوها**) بضم الراء وكسرها، والضم أشهر أى احرصوا بالحديقة،
أى قدروا ثمرها وضمنوا كم وسقا يكون؟ وذلك امتحان لهم، وتمرين وتعليم.
(**فحرصناها، وحرصها صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق**) والظاهر أن حرصهم وافق
حرص رسول الله ﷺ.

(**وقال: أحصيتها حتى نرجع إليك**) أى قال للمرأة صاحبة الحديقة: أحصى وعدى كيلها
واجمعى ما تأكلينه وما تهدينه وما تبيعيه حتى نرجع إليك، لنعرف صحة حرصنا وتقديرنا، فلما
رجعوا، وسألها تبين صحة حرصهم.

(**فمن كان له بعير فليشد عقاله**) لئلا ينفلت، فيحتاج صاحبه إلى القيام فى طلبه، فيلحقه
ضرر الريح، وفي رواية البخارى « ومن كان معه بعير فليعقله ».

(**فقام رجل**) مخالفا أمر رسول الله ﷺ، وفي رواية ابن إسحق « ففعل الناس ما أمرهم، إلا
رجلين من بنى ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج آخر فى طلب بعير له، فأما الذى ذهب لحاجته
فإنه خنق على مذهبه، أى خنقه الريح فى طريقه، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح
حتى ألقته بجبل طيئ، فأخبر رسول الله ﷺ، فقال: ألم أنحكم أن يخرج رجل إلا وصاحب له معه؟
ثم دعا للذى أصيب على مذهبه، فنشفي، ولعل قيامه كان لضرورة قضاء الحاجة، أو غير ذلك، وأما
الأخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ حين قدم من تبوك.

(**فحملته الريح**) أى دفعته دفعا لا يستطيع مقاومته.

(**حتى ألقته بجبل طيئ**) جبلان مشهوران، يقال لأحدهما أجداء بفتح الهمزة
والجيم به وبالهمز، والأخر سلمى بفتح السين، وطيئ بياء مشددة بعدها همزة، على وزن
سيد، وهو أبو قبيلة من اليمن، وهو طيئ بن أد بن زيد بن كهلان بن سبأ. وقال صاحب
التحريز: « طيئ » يهمز ولا يهمز لغتان.

(**وجاء رسول ابن العلماء، صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب**) « العلماء » بفتح
العين وإسكان اللام وبالمد، و« أيلة » بفتح الهمزة واللام، بلدة قديمة بساحل البحر، وفي رواية
البخارى « وأهدى ملك أيلة »(*) .

(**وأهدى له بغلة بيضاء**) قال النووي: هذه البغلة هى « دلدل » بغلة رسول الله ﷺ، لكن ظاهر
لفظه هنا أنه أهداها للنبي ﷺ فى غزوة تبوك، وقد كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة، وقد كانت

(*) وفى مغازى ابن إسحق « ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك، أتاه يوحنا بن روية، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ،
وأعطاه الجزية ».

هذه البغلة عند رسول الله ﷺ قبل ذلك، وحضر عليها غزوة حنين، كما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة، وكانت حنين عقب فتح مكة، سنة ثمان، قال القاضي: ولم يرو أنه كان للنبي ﷺ بغلة غيرها، قال: فيحمل قوله على أنه أهداها له قبل ذلك، وقد عطف الإهداء على المجيء بالواو، وهي لا تقتضى الترتيب، اهـ. فالمعنى: وكان ابن العلماء قد أهدى له بغلة بيضاء. (فكتب إليه رسول الله ﷺ) رداً على كتابه، وسلمه رسوله، وفي ملحق الرواية «فكتب له رسول الله ﷺ ببحرهم» أى ببلدهم أى بأهل بحرهم، أى أنه أقره عليهم بما التزموه من الجزية.

(**وأهدى إليه برداً**) ظاهره أنه فى مقابل إهداء البغلة، مما يبعد كلام القاضى السابق، ولا مانع من أن يكون أهدى إليه ابن العلماء بغلة بيضاء فى تبوك، فأهداها النبى ﷺ فى الحال لأحد أصحابه، وعدم رواية ذلك لا يدل على عدم وقوعه.

(**إنى مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معى، ومن شاء فليمكث**) فى رواية البخارى «إنى متعجل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجل معى فليتعجل» أى إنى سالك الطريق القريبة، الشاقة، فمن أراد فليأت معى، يعنى ممن له اقتدار على ذلك، دون بقية الجيش.

(**إن خير دور الأنصار دار بنى النجار**) قال القاضى: المراد أهل الدور، والمراد القبائل، وإنما فضل بنى النجار لسبقهم فى الإسلام، وآثارهم الجميلة فى الدين. ومناسبة هذه المفاضلة عودته صلى الله عليه وسلم من سفر، وغربة عن المدينة، فحين أشرف عليها ذكرها، وذكر جبلها، وحبها لها وله، فناسب ذكر محبته لأهلها، ومحبة أهلها له وجهادهم فى سبيل الإسلام.

والمراد من المفاضلة بين الدور المفاضلة بين أهل الدور، وفى رواية للبخارى «خير الأنصار بنو النجار» وبنو النجار هم الخزرج، قيل سمي الجد بالنجار لأنه ضرب رجلاً، فنجره، وهو ابن ثعلبة بن عمرو.

وبنو النجار هم أحوال جد رسول الله ﷺ، لأن والدته عبد المطلب منهم، وعليهم نزل لما قدم المدينة، فلهم مزية على غيرهم.

(**ثم دار بنى عبد الأشهل**) فى رواية للبخارى «ثم بنو عبد الأشهل» وهم من الأوس، وهو عبد الأشهل من جشم بن الحارث بن الخزرج الأصفر بن عمود بن مالك بن الأوس بن حارثة، وهم رهط سعد بن معاذ، وجاء فى رواية تقديم بنى عبد الأشهل على بنى النجار قال الحافظ ابن حجر: رواية أنس فى تقديم بنى النجار لم يختلف عليه فيها، وكان أنس منهم، فله مزية عناية بحفظ فضائلهم.

(**ثم دار بنى عبد الحارث**) قال النووى: هكذا هو فى النسخ «بنى عبد الحارث» وكذا نقله القاضى، قال: وهو خطأ من الرواة، وصوابه «بنى الحارث» بحذف لفظة «عبد».

(**ثم دار بنى ساعدة**) ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر، وسعد بن عبادة من بنى ساعدة، وكان كبيرهم يومئذ.

(**وفى كل دور الأنصار خير**) «خير» الأولى أفعل تفضيل، والثانية اسم، أى الفضل حاصل فى جميع الأنصار، وإن تفاوتت مراتبه.

(فقال أبو أسيد) لسعد بن عباد، وهما من بنى ساعدة.

(ألم تر أن رسول الله ﷺ خير دور الأتصار) أى فاضل بينها.

(فجعلنا آخرا) فى رواية البخارى « أخيرا » فى رواية « فوجد سعد بن عباد فى نفسه، فقال: خلفنا، فكننا آخرا الأربعة ».

(فأدرك سعد رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، خيرت دور الأتصار، فجعلتنا آخرا؟) فى رواية « وجد فى نفسه، وأراد كلام رسول الله ﷺ فى ذلك، فقال له ابن أخيه سهل: أتذهب لترد على رسول الله ﷺ أمره؟ ورسول الله أعلم؟ أو ليس حسبك أن تكون رابع أربعة؟ فرجع » قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عند قصده رسول الله ﷺ لذلك خاصة، ثم إنه لما لقي رسول الله ﷺ فى وقت آخر ذكر له ذلك، أو الذى رجع عنه أنه أراد أن يورده مورد الإنكار، والذى صدر منه ورد مورد المعاتبة المتلطفة.

(أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟) أى من الأفاضل؟ لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل، وكأن المفاضلة وقعت بينهم بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم فى إعلاء كلمة الله، ونحو ذلك، قاله الحافظ ابن حجر.

فقه الحديث

ترجم الإمام النووي لهذا الحديث بقوله: باب فى معجزات النبى ﷺ، وترجم الإمام البخارى له بقوله: باب علامات النبوة فى الإسلام، وقال الحافظ ابن حجر: العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة، بما يشمل الكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبى ﷺ من يكذبه، بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأنى صادق؟ أو يقول من يتحدها: لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر فى العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبى ﷺ فى عدة مواطن، وسميت المعجزة معجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها.

ثم قال: وما عدا القرآن، من نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونطق الجماد، فمنه ما وقع التحدى به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدى، وقال: ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة على، وإن كانت أفراد ذلك ظنية، وردت مورد الأحاد مع أن كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهرت وانتشرت، ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار، والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة، لعدم عنايتهم بذلك، بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى، لما كان مستبعدا، وهو أنه لا مرية أن رواة الأخبار فى كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار فى الجملة، ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوى، فيما حكاه من ذلك، والإنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكت منهم كالناطق،

لأن مجموعهم محفوظ من الإغضاء على الباطل، وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار، أو طعن على بعض من روى شيئاً من ذلك فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوى، أو تهمته بكذب، أو توقف في ضبطه، ونسبته إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط، ولا يوجد من أحد منهم طعن فى المرورى.

وذكر النووى فى مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبى ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقال البيهقى فى المدخل: بلغت ألفاً، وقال الزاهرى من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف، وقد اعتنى بجمع ما وقع من ذلك قبل البعثة، بل قبل المولد الحاكم فى الإكليل، والنيسابورى فى شرف المصطفى، وأبو نعيم، والبيهقى فى دلائل النبوة، وغيرهم.

قال القرطبى: ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة لم يسمع بمثله من غير نبينا ﷺ، حيث نبغ الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه.

وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال: نبغ الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ فى المعجزة من نبغ الماء من الحجر، حيث ضربه موسى بالعصا، فتفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

وبالإضافة إلى روايتنا فى نبغ الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ذكر البخارى روايات أخرى فعن أنس ﷺ قال: « خرج النبى ﷺ فى بعض مخارجه، ومعه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجدوا ماء يتوضئون، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدر من ماء يسير، فأخذه النبى ﷺ، فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع - أى ما عدا الإبهام - على القدر، ثم قال: قوموا فتوضئوا، فتوضأ القوم، حتى بلغوا ما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه ».

وعن أنس ﷺ قال: « حضرت الصلاة، فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ، وبقي قوم، فأتى النبى ﷺ بمخضب من حجارة، فيه ماء، فوضع كفه، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه، فضم أصابعه، فوضعها فى المخضب، فتوضأ القوم كلهم أجمعون ».

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: « كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء، فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء ثم قال: حى على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ».

قال القرطبى: قضية نبغ الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تكررت منه فى عدة مواطن، فى مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعى، المستفاد من التواتر المعنوى.

قال الحافظ ابن حجر: وحديث نبغ الماء من بين أصابعه جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق، وعن ابن مسعود عند البخارى والترمذى، وعن ابن عباس عند أحمد والطبرانى، وعن ابن أبى ليلى عند الطبرانى، وفى ذلك رد على ابن بطلال، حيث قال هذا الحديث شاهده جماعة كثيرة من الصحابة، إلا أنه لم يرو إلا من طريق أنس ثم قال الحافظ ابن حجر: وأما

تكثر الماء، بأن يلمسه بيده، ويتفل فيه، أو يأمر بوضع شيء فيه، كسهم من كنانته فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين، وعن البراء ابن عازب عند البخارى وأحمد من طريقين، وعن أبى قتادة عند مسلم، وعن أنس عند البيهقى فى الدلائل، فالطرق كثيرة من حيث الراوى الأعلى، وأما من رواها من أهل القرن الثانى فهم أكثر عدداً.

ثم ساق الحافظ ابن حجر حديث جابر عند أحمد، ولفظه « سافرنا مع رسول الله ﷺ، فحضرت الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: أما فى القوم من طهور؟ فجاء رجل بفضلة فى إداوة، فصبه فى قدح، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم إن القوم أتوا ببقية الطهور، فقالوا: تمسحوا. تمسحوا. فسمعهم رسول الله ﷺ، فقال: على رسلكم، فضرب بيده فى القدح، فى جوف الماء، ثم قال: أسبغوا الطهور. قال جابر: فوالذى أذهب بصرى، لقد رأيت الماء يخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ، حتى توضأوا أجمعون. قال: حسبته قال: كنا مائتين وزيادة» وجاء عن جابر قصة أخرى، أخرجها مسلم، من وجه آخر عنه فى أواخر الكتاب، فى حديث طويل، فيه « أن الماء الذى أحضروه له، كان قطرة فى إناء من جلد، لو أفرغها لشربها يابس الإناء- أى لشربها سطح الإناء الجاف- وأنه لم يجد فى الركب قطرة ماء غيرها، قال: فأخذته النبى ﷺ، فتكلم، وغمز بيده، ثم قال: ناد بجفنة الركب، فجيء بها، فقال بيده فى الجفنة، فيسطها، ثم فرق أصابعه، ووضع تلك القطرة فى قعر الجفنة، فقال: خذ يا جابر، فصب على، وقل: بسم الله. ففعلت، قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة، ودارت حتى امتلأت، فأتى الناس، فاستقوا، حتى رووا، فرفع يده من الجفنة وهى مملوءة».

قال الحافظ ابن حجر: وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم، لاشتمالها على قلة الماء، وعلى كثرة من استسقى منه، اهـ.

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

- ١- ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته من قلة الماء.
- ٢- وأنهم كانوا يقدمون الوضوء بما تيسر لهم منه على بقية حاجاتهم إليه.
- ٣- ومن الرواية الرابعة « المرأة التى عصرت العكة » والخامسة « الرجل الذى كال الشعير » قال النووى: ومثله حديث عائشة، حين كالت الشعير ففنى، قال العلماء: الحكمة فى ذلك أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى، ويتضمن التدبير والأخذ بالحوال والقوة. وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله، فعوقب فاعله بزواله.
- ٤- وفيهما بركة النبى ﷺ فيما يعطى، وبركة فضله.
- ٥- ومن الرواية السادسة، من قوله « فكان يجمع الصلاة... » الجمع بين الصلاتين فى السفر.
- ٦- ومن الإخبار عن موعد وصولهم تبوك قبل حصوله معجزة.
- ٧- ومن الإخبار عن مائها وحاله قبل وصولهم إليها معجزة.
- ٨- ومن سبه الرجلين تأنيبه صلى الله عليه وسلم للمخطئ، وبخاصة إذا فعل ما يضر المجتمع، ويخالف أمر رسول الله ﷺ.

- ٩- ومن الإخبار عن تحول تلك الصحراء إلى جنات، وقد حصل، معجزة.
- ١٠- ومن الرواية السابعة، من طلبه صلى الله عليه وسلم أن يخرص أصحابه ثم نخل الحديقة استحباب امتحان العالم أصحابه بمثل هذا التمرين.
- ١١- ومن خرصه صلى الله عليه وسلم وصحته ودقته ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من العلم وبعد النظر.
- ١٢- ومن إخباره بالريح قبل هبوبها معجزة.
- ١٣- وفيه خوف المؤمن من هبوب الريح، وما تحدث من ضرر.
- ١٤- وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من شفقتة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا.
- ١٥- ومن قبول البغلة جواز قبول هدية الكافر.
- ١٦- ومن إهدائه صلى الله عليه وسلم البرد مكافأة الهدية.
- ١٧- وميزة جبل أحد، وفضيلة المدينة.
- ١٨- وتفاضل قبائل الأنصار، ومناقبتهم.
- ١٩- ومن سؤال سعد تنافسهم في الخير.
- ٢٠- قال الحافظ ابن حجر: ولا يعد هذا التفاضل من قبيل الغيبة أصلا، إلا إن أخذ من أن المفضل عليهم يكرهون ذلك، فيستثنى ذلك من عموم قوله «ذكرك أخاك بما يكره» ويكون محل الزجر إذا لم يترتب عليه حكم شرعي، فأما ما يترتب عليه حكم شرعي فلا يدخل في الغيبة، وإن كرهه المحدث عنه، ويدخل في ذلك ما يذكر بقصد النصيحة، من بيان غلط من يخشى أن يقلد، أو يغتر به في أمر ما، فلا يدخل ذكره بما يكره من ذلك في الغيبة المحرمة.
- ٢١- قال ابن التين: وفي الحديث دليل على جواز المفاضلة بين الناس، لمن يكون عالما بأحوالهم لينبه على فضل الفاضل، ومن لا يلحق بدرجة في الفضل، فيتمثل أمره صلى الله عليه وسلم بتنزيل الناس منازلهم.
- ٢٢- وترجم البخاري للرواية السابعة بباب خرص التمر، قال الحافظ ابن حجر: أي مشروعيته، وحكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن تفسير الخرص أن الثمار إذا أدركت من الرطب والعنب، مما تجب فيه الزكاة بعث السلطان خارصا، ينظر، فيقول: يخرج من هذا كذا وكذا زيببا، وكذا وكذا تمرا، فيحصيه، وينظر مبلغ العشر، فينثبته عليهم، ويخلى بينهم وبين الثمار، فإذا جاء وقت الجذان أخذ منهم العشر أه.
- وفائدة الخرص التوسعة على أرباب الثمار، في التناول منها، والبيع من زهوها، وإيثار الأهل والجيران والفقراء، لأن في منعهم منها تضيقا لا يخفى.

وقال الخطابي: أنكر أصحاب الرأي الخرص، وقال بعضهم: إنما كان يفعل تخوينا للمزراعين، لئلا يخونوا، لا ليلزم به الحكم، لأنه تخمين وغرور، أو كان يجوز قبل تحريم الربا والقمار، وتعبه الخطابي بأن تحريم الربا، والميسر متقدم، والخرص عمل به في حياة النبي ﷺ حتى مات، ثم أبو بكر وعمر ومن بعدهم، ولم ينقل عن أحد منهم ولا من التابعين تركه، إلا عن الشعبي، قال: وأما قولهم: إنه تخمين وغرور، فليس كذلك، بل هو اجتهاد في معرفة مقدار التمر، وإدراكه بالخرص الذي هو نوع من المقادير.

وحكى أبو عبيد عن قوم منهم أن الخرص كان خاصا بالنبي ﷺ، لأنه كان يوفق من الصواب ما لا يوفق له غيره، وتعبه بأنه لا يلزم من كون غيره لا يسدد لما كان يسدد له سواء، أن تثبت بذلك الخصوصية، ولو كان المرء لا يجب عليه الاتباع إلا فيما يعلم أنه يسدد فيه، كتسديد الأنبياء لسقط الاتباع، وترد هذه الحجة أيضا بإرسال النبي ﷺ الخراص في زمانه.

واعقل الطحاوي بأنه يجوز أن يحصل للثمرة آفة، فتتلفها، فيكون ما يؤخذ من صاحبها مأخوذا بدلا مما لم يسلم له، وأجيب بأن القائلين به لا يضمنون أرباب الأموال ما تلف بعد الخرص، قال ابن المنذر: أجمع من يحفظ عنه العلم أن المخروص إذا أصابته جائحة قبل الجذاذ فلا ضمان. و ذكر الحافظ ابن حجر تعريفات الفقهاء في مسألة الخرص لا يتسع لها المقام، فمن أرادها فليرجع إليها.

والله أعلم

(٦٠٥) باب توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى

وعصمة الله تعالى له من الناس

٥١٩٠ - ١٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(١٣) قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد. فأذركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاة. فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده. فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله. قال: فسام السيف، فها هو ذا جالس» ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ.

٥١٩١ - ٤ عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(١٤) وكان من أصحاب النبي ﷺ أنه غزا مع النبي ﷺ غزوة قبل نجد. فلما قفل النبي ﷺ قفل معه. فأذركتهم القائلة يوماً. ثم ذكر نحو حديث إبراهيم بن سعد ومعمّر.

٥١٩٢ - ٦ عن جابر بن عبد الله^(١٥) قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع. بمعنى حديث الزهري ولم يذكر: ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ.

المعنى العام

صدق رسول الله ﷺ، إذ يقول «احفظ الله يحفظك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» وصدق الله العظيم، إذ يقول: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» [الطلاق: ٣، ٢].

وأخشى بنى آدم لله، وأتقاهم له محمد بن عبد الله ﷺ، فكافأه ربه بقوله «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ

(١٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي عُمَرَ عَنِ ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَيِّدِ بْنِ أَبِي سَيَانَ الدُّؤَلِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١٤) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي سَيِّدُ بْنُ أَبِي سَيَانَ الدُّؤَلِيُّ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُمَا (..) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يُزَيْدَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرِ

الناس [المائدة: ٦٧] عصمة هلاك واستئصال، لا عصمة إيذاء وبلاء، فكم أذى من الكفار، وكم تحمل من جهل الجاهلين، وكذلك الأنبياء، يتلون فيصبرون، وإذا كان بعض الأنبياء قد قتلوا فإن محمداً ﷺ عصم من الناس بوعده الله، وظهر هذا اليقين بهذا الوعد في هذه القصة.

كانت الجولات الحربية بين الإسلام والكفر على أشدها، وما رجع رسول الله ﷺ من غزوة إلا ورى غيرها، ليبقى المسلمون على استعداد دائم، وكان الكفار متربصين بالمسلمين ويرسلون الإسلام، لا يدعون فرصة للنيل منهم إلا ويقتنصونها.

وسنحت لهم فرصة العمر في ظن أحدهم، حيث تعقب جيش المسلمين العائد من غزوة ذات الرقاع، لعله ينفرد بأحدهم، فيغتاله، ورأى من بعيد صحابة رسول الله ﷺ، في نحر الظهيرة، وفي شدة الحر ينزلون للقيولة، في واد كثير الشجر، كثير الظل، ينزلون للراحة، ويتفرقون تحت الشجر، ورأى من بعيد رسول الله ﷺ، وقد انفرد بشجرة مظلة، علق على غصن من أغصانها سلاحه وسيفه، ثم افترش الأرض، فنام، وتسلل الأعرابي في غفلة من الصحابة لنومهم واستراحتهم، حتى وصل إلى شجرة رسول الله ﷺ فسحب سيفه، وأخرجه من غمده، وأشهره، وقال: يا محمد. من يمنعك مني الآن؟ من يحول بيني وبين قتلك بسيفك؟ فقال صلى الله عليه وسلم بهدوء الواثق الشجاع: الله يمنعني. ونزلت الكلمة على قلب الأعرابي كالصاعقة. أعاد التهديد مرة أخرى، وأعاد الرسول ﷺ لفظ الله مرة أخرى، وزاد الرعب في قلب الأعرابي فكرر التهديد للمرة الثالثة وكرر رسول الله ﷺ الجواب، وارتجف الأعرابي، وسقط السيف من يده، وتناوله رسول الله ﷺ، وتسمر الأعرابي في مكانه لا يتحرك، لا يفكر في الجري والفرار، وأصابه ذهول الموقف وغطاه الخوف. قال له رسول الله ﷺ: اجلس. فجثا خاضعاً على ركبتيه، قال له رسول الله ﷺ من يمنعك أنت مني الآن؟ قال: لا أحد. فنادى رسول الله ﷺ أصحابه، فجاءوا، فقص عليهم ما جرى، فحاولوا قتل الرجل، فمنعهم رسول الله ﷺ، وقال للرجل: اذهب إلى حال سبيلك. قال الرجل: أنت خير مني، أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أعين عليك من يقاتلك، فلما ولى دخل الإسلام قلبه، فرجع إلى قومه، فقال لهم: جئتم من عند خير الناس، وقص عليهم القصة، فآمن بإيمانه خلق كثير، وهكذا أسلم الكافرون، لأن رسول الإسلام كان قدوة، كان رحمة للعالمين.

المباحث العربية

غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد (الضمير في «غزونا» لجابرومن كان معه من الصحابة، و«قبل نجد» بكسر القاف وفتح الباء، أى جهتها، وقد وقع القصد إلى جهة نجد في عدة غزوات وفي رواية البخارى تحديد الغزوة، ولفظها «كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع...» وذكر القصة.

وكذا في الملحق الثانى لروايتنا، ولفظه «حتى إذا كنا بذات الرقاع» وعند ابن إسحق «أقام رسول الله ﷺ بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع وبعض جمادى - يعنى من سنته - وغزا نجدا، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان، حتى نزل نخلا، وهى غزوة ذات الرقاع. وقد سبق الكلام عنها فى الغزوات.

(فأدركنا رسول الله ﷺ) بفتح الكاف، و « رسول الله » فاعل، وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يكون في مؤخرة الجيش العائد، نواضعا، وحراسة، وكانت القصة في العودة من الغزوة، ففي رواية البخارى « أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة..... » الحديث، وكذا في الملحق الأول لروايتهما.

(فى واد كثير العضاة) بكسر العين وفتح الضاد، آخره هاء، وهى كل شجرة ذات شوك، وقيل هو العظيم من السمر مطلقا، والسمرة الشجرة الكثيرة الورق.

(فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة) زاد فى رواية « فاستظل بها » أى من حر الشمس فى القائلة، وفى رواية « فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ ».

(فعلق سيفه بغصن من أغصانها) وفرش فراشه، ونام تحتها، من التعب.

(وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر) المراد من الناس الجيش.

(فقال رسول الله ﷺ: إن رجلا أتانى وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت، وهو قائم على رأسى، فلم أشعر إلا بالسيف صلتا فى يده) « صلتا » بفتح الصاد وضمها وسكون اللام، أى مجردا من غمده، أى مسلولا، وهو منصوب على الحال، و« السيف » مبتدأ، و« فى يده » خبر، وفى رواية للبخارى « فجاء رجل من المشركين، وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه » أى استله من غمده، وفى رواية « فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، فجئناه فإذا عنده أعرابى جالس » وفى رواية « فإذا أعرابى قاعد بين يديه » وفى رواية « قال جابر: فمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، فجئناه » فهذا القدر من الرواية لم يحضره الصحابة، وإنما سمعوه من النبي ﷺ، بعد أن دعاهم واستيقظوا.

وهذا الرجل اسمه غورث على وزن جعفر، وقيل: بضم الغين، من الغرث، وهو الجوع، ووقع عند الخطيب « غورك » بالكاف بدل الثاء، وحكى الخطابى غويرث بالتصغير، وهو غورث بن الحارث، قال القاضى: وقد جاء حديث آخر مثل هذا الخبر، وسمى الرجل فيه « دعثوراً ».

(فقال لي: من يمنعك منى؟ قال: قلت: الله. ثم قال فى الثانية: من يمنعك منى؟ قال: قلت الله) فى رواية « فقال: تخافنى؟ قال: لا » وفى رواية كرر « من يمنعك منى » ثلاث مرات، وهو استفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا يمنعك منى أحد، لأن الأعرابى كان قائما، والسيف فى يده، والنبي ﷺ جالس، لا سيف معه، ولفظ « الله » خبر لمبتدأ محذوف أى مانعك منك الله.

(فشام السيف) أى أعاده فى غمده، وألقاه، وهذه الكلمة تستعمل فى الأضداد، يقال: شامه إذا استله، وشامه إذا أغمده، وعند ابن إسحق « فدفع جبريل فى صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ، وقال: من يمنعك أنت منى؟ قال: لا أحد. قال: قم، فاذهب لشألك، فلما ولى قال: أنت خير منى ».

(فيها هوذا جالس. ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ) فى رواية البخارى « لم يعاقبه رسول الله ﷺ » فيجمع بين هذا، وبين رواية ابن إسحق السابقة، بأن قوله « فاذهب » كان بعد أن أخبر الصحابة بقصته، فمن عليه، لشدة رغبة النبي ﷺ فى استئلاف الكفار، ليدخلوا فى الإسلام، وقد ذكر

الواقدي أنه أسلم، وأنه رجع إلى قومه، فاهتدى به خلق كثير، وفي رواية للبخاري « فتهدده أصحاب النبي ﷺ » أي فمنعهم صلى الله عليه وسلم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- جواز تفرق العسكر في نزولهم ونومهم، ومحلّه إذا لم يكن هناك من يخافون منه.
- ٢- جواز الاستظلال بأشجار البوادي.
- ٣- وتعليق السلاح وغيره فيها.
- ٤- وجواز المنّ على الكافر الحربي، وإطلاقه.
- ٥- وفرط شجاعة النبي ﷺ.
- ٦- وقوة يقينه.
- ٧- وصبره على الأذى.
- ٨- وحلمه وعفوه عن الجهال.
- ٩- ومقابلة السيئة بالحسنة.
- ١٠- وفيه الحث على مراقبة الله تعالى، وحفظه في الرخاء ليحفظ في الشدة.
- ١١- وفيه عصمته سبحانه وتعالى لرسوله من القتل.

والله أعلم

(٦٠٦) باب بيان مثل ما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم

١٥١٩٣ - ١/١٥ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٥) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا. فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا. وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

المعنى العام

البشرية منذ خلق الله آدم وحواء وأنزلهما إلى الأرض، يتبعها إبليس، ومنذ كثرت ذرية آدم، فى حاجة بين الحين لتذكيرها بربها، لتتحقق الحكمة الإلهية التى نوه عنها جل شأنه بقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وتلك حكمة إرسال الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب والشرائع، وكلما تقدمت البشرية نحو الحضارة، وكلما كثر عددها على وجه البسيطة، وكلما اتسعت آفاقها وآفاق علمها، كلما كان التذكير والتوجيه والتشريع فى دائرة أوسع، وكلما كانت حاجتها إلى التفصيل أشد وأعظم، فإذا ما أضيف إلى ذلك أن كل رسول، كان يبعث إلى قومه خاصة، وإلى فترة زمنية مؤقتة كانت رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العامة الخاتمة، الصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، أكثر الرسالات شمولاً للأحكام، وأوسعها فى التعاليم والتشريعات، وقد جاءت فى فترة زمنية وصلت البشرية فيها إلى انحدار وانحطاط، فكانت غيثاً مغيثاً، وعلاجاً لأمراض انتشرت وتنوعت، وكانت كالنور فى حالك الظلام، كانت كصيب من السماء، فيه غيث ونفع للأرض الطيبة الصالحة للزراعة، النقية من الحشائش والحجارة، ينبت به الزرع والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات والكلأ والأعشاب ويسقط على حجارة ملساء، أو أرض سبخة لا تنبت، فلا ينتفع به، وكذلك الناس بالنسبة لدعوة الإسلام، منهم من يسمع فيستجيب، ويتعلم فيتفقه، ويتعمق فى العمل، ويعمل بما يعلم ثم يعلم غيره ما علم، فينفع نفسه، وينفع غيره، ومنهم من يسمع فيحفظ، ولا يعمل لكنه يعلم غيره فهو كالأرض المنخفضة، كالوديان، تحفظ الغيث

(١٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنِ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى.

والمطر، حتى يأخذه من ينتفع به ومنهم من يسمع فيعرض، فلا يحفظ ولا يعمل ولا يعلم غيره، فيكون كالأرض الملساء الجرداء، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً.

فالعاقل من انتفع ونفع، والويل لمن أعرض، ولم يرفع بذلك رأساً. ومن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها.

المباحث العربية

(إن مثل ما بعثنى الله به عز وجل من الهدى والعلم) « مثل » بفتح الميم والثاء، والمراد به الصفة العجيبة الشأن، وليس القول السائر، والمراد من « الهدى » الدلالة الموصلة إلى المطلوب، أى وسيلة الهداية، من الدعوة إلى الله بالحجة، والموعظة الحسنة، والمراد من العلم حصول المعلومات عنده صلى الله عليه وسلم وإيصالها للأمة، ولذا ترجم البخارى للحديث بباب فضل من علم وعلم، « علم » الأولى بكسر اللام والثانية بفتحها وتشديدها.

(كمثل غيث أصاب أرضاً) المراد من الغيث المطر، وتكثير « أرضاً » لتنوعها، كما سيأتى.

(فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء) قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ مسلم « طائفة طيبة » ووقع فى البخارى « فكان منه نقيه قبلت الماء » بنون مفتوحة، ثم قاف مكسورة، ثم ياء مشددة، وهو بمعنى طيبة، هذا هو المشهور فى روايات البخارى، ورواه الخطابى وغيره « ثغبة » بالثاء والغين والياء، قال الخطابى: هو مستنقع الماء فى الجبال والصخور قال القاضى وصاحب المطالع: هذه الرواية غلط من الناقلين، وتصحيف، وإحالة للمعنى، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلاً لما ينبت، والثغبة لا تنبت، اهـ وروى « بقعة » وهى بمعنى « طائفة » وروى « بقية » بالياء بدل النون، والمراد القطعة الطيبة، كما يقال: فلان بقية الناس، ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانِ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ ﴾ [هود: ١١٦] والمراد من قبول الماء قبوله سقياً لزرع بقدر الحاجة.

قال إسحق بن راهويه، حين روى هذا الحديث « قبلت الماء » بفتح القاف وتشديد الياء المفتوحة، قيل: وهو تصحيف، من إسحق، وقيل: بل صواب، ومعناه شربت، والقيل شرب نصف النهار.

(فأُنبتت الكلاً والعشب الكثير) قال النووى: « الكلاً » بالهمز يقع على اليابس والرطب، وقال الخطابى وابن فارس: الكلاً يقع على اليابس، وهذا شاذ ضعيف، قال: والعشب والكلاً، مقصوراً غير مهموز، مختصان بالرطب. اهـ وقال الحافظ ابن حجر: « العشب » هنا من ذكر الخاص بعد العام، لأن الكلاً يطلق على النبت الرطب واليابس معاً، و« العشب » للرطب فقط. اهـ.

والمقصود - على أى حال - أنبتت الزرع النافع على الأمد القريب والبعيد.

(وكان منها أجادب أمسكت الماء) قال النووى: بالجيم والبدال، وهو الأرض التى تنبت كلاً، وقال الخطابى: هى الأرض التى تمسك الماء، فلا يسرع إليه النضوب، قال ابن بطال وصاحب المطالع وآخرون: هو جمع جذب على غير قياس: كما قالوا فى حسن: جمعه محاسن، والقياس أن

محاسن جمع محسن، وكذا قالوا: مشابه جمع شبه، وقياسه أن يكون جمع مشبه. قال الخطابي: وقال بعضهم: «أحادب» بالحاء والذال. قال: وليس بشيء. قال: وقال بعضهم «أجارد» بالجيم والراء والذال، قال: وهو صحيح المعنى، إن ساعدته الرواية، قال الأصمعي: الأجارد من الأرض ما لا ينبت الكلاً، معناه أنها جرداء هزرة، لا يسترها النبات، قال: وقال بعضهم: إنما هي «أخاذات» بالحاء والذال وبالألف، وهو جمع «أخاذة» وهي الغدير الذي يمسك الماء، وذكر صاحب المطالع هذه الأوجه الذي ذكرها الخطابي، فجعلها روايات منقولة، وقال القاضى فى الشرح: لم يرد هذا الحرف فى مسلم ولا فى غيره إلا بالذال المهملة، من الجذب، الذى هو ضد الخصب، قال: وعليه شرح الشارحون.

(**فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا**) «سقوا» قال النووي: قال أهل اللغة: سقى وأسقى بمعنى، لغتان، وقيل: سقاه ناوله ليشرب، وأسقاه جعل له سقياً، وأما «رعوا» فهو بالراء من الرعى، كذا هو فى جميع نسخ مسلم، ووقع فى البخارى «وزرعوا» وكلاهما صحيح.

(**وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ، لَا تَمْسُكُ مَاءً وَلَا تَنْبُتُ كَلًّا**) «قيعان» بكسر القاف، جمع قاع، وهو الأرض المستوية التى لا تنبت، والتى إذا أصابها الماء لا يستقر فيها، وجمع فى المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين، لاشتراكهما فى الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة، المذمومة - بقوله «وأصاب طائفة منها أخرى» لعدم النفع بها.

(**فَذَلِكَ مِثْلٌ مِنْ فِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمِثْلٌ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هَدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ**) «من فقه» بضم القاف، أى صار فقيهاً، وقال ابن التين: رويناه بكسرها، والضم أشبه.

قال القرطبي وغيره: ضرب النبى ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً، بالغيث العام، الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه، وكذا حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيى البلد الميت، فكذا علوم الدين، تحيى القلب الميت، فتعاليم الإسلام، وما جاء به صلى الله عليه وسلم مشبه، والغيث مشبه به. ثم شبه السامعين لتعاليم الدين بالأرض المختلفة التى ينزل بها الغيث، فمنهم:

العالم العامل المعلم غيره: فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شربت فانتفعت فى نفسها، وأنبتت، فنفعت غيرها، انتفعت فى نفسها بالحياة بعد أن كانت ميتة، وكذلك علم العالم يحيى قلبه، وعمله بعلمه يبرزه بمظهر الجمال والزينة، وينفعه كالنبات للأرض، وينفع الناس بالقدوة، كما ينفعهم وينفعه تعليمه لهم.

ومنهم الجامع للعلم: الذى يشغل زمانه فيه، المعلم لغيره، لكنه لم يعمل بعلمه، فهو جمع العلم، وأداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها الماء وتمسكه، ولا تنتفع به، فينتفع به الناس، فهى لم تشرب الماء، فتنتفع بشربها، وإن انتفعت بسقى الماء لغيرها.

وجعل النووي هذا التمثيل لناس لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم فى العقل، لسيتنبطوا به المعانى والأحكام، فهم يحفظونه، حتى يأتى طالب محتاج، متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع، فيأخذ منهم، فينتفع به، اهـ. ويمكن أن يشار إلى هذا النوع بحديث

« نضر الله امرأ سمع مقالتي، فآداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع » ويمكن أن يراد الأمران: عدم العمل بالعلم، وعدم العمل في العلم.

والصنف الثالث: من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السيخة أو الملساء التي لا تقبل الماء، أو تفسده على غيرها، فمعنى « من لم يرفع بذلك رأسا » أى أعرض عن العلم، فلم ينتفع به، ولم ينفع به، ومعنى « ولم يقبل هدى الله الذى جئت به » أى بلغه وكفر به.

قال الطيبي: بقى من أقسام الناس قسمان: أحدهما الذى انتفع بالعلم فى نفسه، ولم يعلمه غيره، والثانى من لم ينتفع به فى نفسه، وعلمه غيره، قال الحافظ ابن حجر: الأول داخل فى الأول، لأن النفع حصل فى الجملة، وإن تفاوتت مراتبه، وكذلك ما تنبتة الأرض، فمنه ما ينتفع به الناس، ومنه ما يصير هشيمًا. اهـ.

قلت: والثانى داخل فى الثانى، كما أوضحنا.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث

- ١- ضرب المثل تقريبا للمعقول وتشبيهه بالمحسوس.
- ٢- فضل العلم والتعليم.
- ٣- شدة الحث عليهما.
- ٤- ذم الإعراض عن العلم.

والله أعلم

(٦٠٧) باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم وإذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها

٥١٩٤ - ١٦ عن أبي موسى رضي الله عنه ^(١٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذَلُّوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ».

٥١٩٥ - ١٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٧) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْحُمُونَ فِيهِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ عَمْرٍو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٥١٩٦ - ١٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٨) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَعْلِبُنَّهُ فَيَتَفَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقْحُمُونَ فِيهَا».

٥١٩٧ - ١٩ عن جابر رضي الله عنه ^(١٩) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجِنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي».

٥١٩٨ - ٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢٠) عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ

(١٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

(١٧) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سَلِيمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ عَنْ جَابِرِ

(٢٠) حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّيْنَةُ. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّيْنَةُ».

٥١٩٩ - ٢١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٢١) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَسَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِيهَا. فَجَعَلَ النَّاسُ يُطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمُ الْبُنْيَانُ فَيَقُولُونَ: أَلَا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبَنَةً! فَيَتِمُّ بُنْيَانُكَ» فَقَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم: «فَكُنْتُ أَنَا اللَّيْنَةُ».

٥٢٠٠ - ٢٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٢٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِيهَا. فَجَعَلَ النَّاسُ يُطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّيْنَةَ! قَالَ: فَأَنَا اللَّيْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».

٥٢٠١ - ٢٣ فِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ^(٢٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

٥٢٠٢ - ٢٤ عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه ^(٢٤) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ!» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ».

٥٢٠٣ - ٢٥ فِي رِوَايَةٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ^(٢٥) مِثْلُهُ وَقَالَ: بَدَلًا أَتَمَّهَا أَحْسَنَهَا.

٥٢٠٤ - ٢٦ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ^(٢٦) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةً مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرْطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا. وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا، وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ».

(٢١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَائِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ (٢٢) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ وَفَتِيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يُعْنَوْنَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٠٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ هَذَا الْإِسْنَادِ

(٢٤) قَالَ مُسْلِمٌ وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ وَمِمَّنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

المعنى العام

صدق الله العظيم، إذ يقول ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

نعم كل نبي يحرص على إجابة قومه لدعوته لمصلحتهم، وي بذل في سبيل ذلك جهده، ويتحمل من مكذبيهم وسفهاءهم قدر الطاقة، لكن من الرسل من ضاق ذرعه بعصيانهم، ومنهم أولو العزم الذين طال صبرهم، وعظم بلاؤهم، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ.

قد ينفذ الصبر، فيدعو الرسول على العصاة، وقد يتمكن من أعدائه فينتقم منهم، بحكم الطبيعة البشرية، أما أن يقابل السيئة بالحسنة في عامة أحواله فهذه هي الخصوصية.

يذهب إلى الطائف، يدعو أهله، لصالحهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فيسخرهم منه، ويهزون به، ويعرون به سفهاءهم وصبيانهم يجرون خلفه، يسبونهم ويقذفونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه، ولما تعبوا رجعوا، فاستند إلى سور حديقة مجهدا متعبا مغناظا، فينزل عليه ملك الجبال يعرض عليه أن يطبق عليهم الجبال،، فيقول: لا. اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون.

يغتال وحشى الكافر أعز أعمامه، أسد الله حمزة بن عبد المطلب، وتبقر هند زوجة أبي سفيان بطنه، وتخرج كبده، تلوكها في فمها، فيقدر عليهما، فيعفو عنهما. يفتح مكة، فيمكنه الله ممن آذوه وآذوا أصحابه، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، فيقول لهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فيقولون أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول لهم: لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء.

يذهب إليه أعرابي، يطلب إحسانه من بيت المال، فيمسك بخناق ثوبه، ويجذبه منه حتى يؤثر الثوب في رقبته، وهو يقول: يا محمد، أعطنى من مال الله الذى عندك، فإنه ليس من مالك ولا من مال أبيك، ويثور عمر، فيجرد سيفه، ويقول لرسول ﷺ: دعنى أدق عنق هذا المنافق، فيمنعه صلى الله عليه وسلم، ويدخل إلى بيت المال، فيخرج له ما شاء الله، ثم يقول له: أأحسننت؟ فيقول الأعرابي: ما أحسننت وما أجزلت. فيثور عمر ثانية، فيمنعه صلى الله عليه وسلم، ويدخل، فيزيد الرجل، ثم يقول له: أأحسننت؟ فيقول له: لا. ما أحسننت وما أجزلت، ويثور عمر حتى لا يكاد يملك نفسه فيمنعه صلى الله عليه وسلم، ويدخل، فيزيد الرجل، ويقول صلى الله عليه وسلم: إن مثلى ومثلكم ومثل هذا كرجل شردت ناقته، فجرى الناس خلفها، يمسكونها، فكلما رأتهم يطاردونها زادت شروداً، فقال لهم صاحبها: خلوا بينى وبين ناقتى، ثم أخذ فى يده شيئاً من حشيش الأرض، وتقرب به إليها، فجاءت وبركت واستناخت. صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ منع العصاة أن يقعوا فى النار، يبذل جهده الخارق فى الحيلولة بينهم وبين المعاصى، لكن كثيراً منهم، تغلبهم شهوتهم ونفسهم الأمارة بالسوء، فينهمكون فى الشهوات، فيقعون فى نار الآخرة، كالفراش الجاهل الذى يحارب النار بالوقوع فيها، ولقد كانت رسالته صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات، وقيمتها، فكل نبي جاء بشرع، أصلح الإنسانية بعض الإصلاح، فكان الأنبياء السابقون كمن يبني جزءاً من بيت، حتى كاد يكتمل

البناء، إلا زاوية من زواياه، لو بنيت لاكتمل، فكان صلى الله عليه وسلم ممثلاً في البناء هذه الزاوية، محققاً تمام البناء، واكتمال الشرائع، ووصول البشرية إلى أرقى عباداتها وصلاتها، بما جاء به من شرع حكيم، صالح لكل زمان ومكان إلى يوم الدين.

المباحث العربية

(إن مثلى ومثل ما بعثنى الله به) بفتح الميم والثاء، والمثل الصفة العجيبة الشأن، يوردها البليغ، على سبيل التشبيه، لإزادة التقريب والتفهم.

(كمثل رجل أتى قومه) فى رواية للبخارى « أتى قوما » والتذكير فيه للشيوع، وروايتنا أوضح، لأن قومه هم الأولى بقبول خبره، ولأنهم الذين يحرص عليهم بالدرجة الأولى.

(إنى رأيت الجيش بعينى) تثنية عين، وذكر هذا اللفظ لزيادة التأكيد، فالرؤية إنما تكون بالعينين، أى تحقق عنده جميع ما أخبر عنه، تحقق من رأى شيئاً بعينه، لا يعتريه وهم، ولا يخالطه شك، وفى رواية « بعينى » بالإنفراد، و« ال » فى « الجيش » للعهد، أى جيش عدوكم.

(وإنى أنا النذير العريان) مثل يضرب للناصح الأمين الحريص على مصلحة قومه، الخائف المشفق عليهم، والجملة من كلام الرجل، داخلة فى المشبه به، وأكدها بإن واسمية الجملة، وإعادة الضمير « أنا » قال العلماء: وأصل المثل أن رجلاً من خثعم حمل عليه رجل يوم نى الخلصة، فقطع يده ويد امرأته، فانصرف إلى قومه، فحذرهم من العدو، مقدماً لهم نفسه وامرأته كدليل على تحقق الخبر، واستبعد أن يكون ذلك أصل المثل، لعدم اشتماله على العرى، وقيل أصل المثل أن رجلاً لقي جيشاً، فسلبوه، وأسروه، فانفلت إلى قومه، فقال: إنى رأيت الجيش، فسلبونى فرأوه عرياناً، فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه فى النصيحة، ولا جرت عادته بالتعرى، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن.

وقال النووى: قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه، وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه، وأشار به إليهم، إذا كان بعيداً منهم، ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا طليعتهم ورفيقهم وعينهم، قالوا: وإنما يفعل ذلك، لأنه أبين للناظر، وأعرب، وأشنع منظراً، فهو أبلغ فى استحاثهم على التأهب للعدو، وقيل: معناه أنا النذير الذى أدركنى جيش العدو، فأخذ ثيابى، فأنا أنذركم عرياناً. اهـ.

أما المشبه، فقد ضرب صلى الله عليه وسلم لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك، لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على صدقه، تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألّفونه ويعرفونه، وعند أحمد بسند جيد « خرج النبى ﷺ ذات يوم، فنادى ثلاث مرات: أيها الناس. مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيتهم، فبعثوا رجلاً يترايا لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو، فأقبل لينذر قومه، فخشى أن يدركه العدو، قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس. أنيتم. أنيتم. أنيتم. » فالعريان على ما سبق من العرى والتعرى، وهو المعروف فى

الرواية، وحكى الخطابي أن بعضهم رواه بالباء الموحدة، فإن كان محفوظا فمعناه الفصيح بالإنداز، لا يكنى ولا يورى، بل يعرب ويبين، يقال: رجل عريان، أى فصيح اللسان.

(**فالنجاء**) بالمد مفعول مطلق، أو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: انجوا، أو الزموا واطلبوا، قال القاضى عياض: المعروف فى النجاء، إذا أفرد، المد وحكى أبو زيد فيه القصر أيضا فإذا ما كرروه، فقالوا: النجاء. النجاء ففيه المد والقصر معا، وروايتنا بالإفراء، ورواية البخارى بالتكرار، قال الحافظ ابن حجر: بالمد فيهما، وبمد الأولى وقصر الثانية، وبالقصر فيهما تخفيفا. وفيه إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش.

(**فأطاعه طائفة من قومه**) فى طلبه الفرار من وجه العدو، أى صدقوه، فأطاعوه، والتذكير فى « فأطاعه » مع أن الفاعل مؤنث « طائفة » على تقدير بعض القوم، وفى رواية « فأطاعته » بالتأنيث .

(**فأدلجوا**) بهمزة قطع فسكون، أى ساروا أول الليل، أو ساروا الليل كله، على الاختلاف فى مدلول هذه اللفظة، قال الحافظ ابن حجر: وأما بالوصل والتشديد، على أن المراد به سير آخر الليل، فلا يناسب هذا المقام.

(**فانطلقوا على مهلتهم**) قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ مسلم « مهلتهم » بضم الميم وإسكان الهاء وبتاء بعد اللام وفى الجمع بين الصحيحين « على مهلهم » بفتح الميم والهاء الأولى، ويحذف التاء، قال: وهما صحيحان، اهـ. والمعنى انطلقوا وساروا على هينة وراحة، ونجوا من عدوهم.

(**وكذبت طائفة منهم**) أى كذبت النذير فى خبره عن جيش العدو، أى فلم يطيعوه، ولم يأخذوا حذرهم، ولم يهربوا من بطشه، وعبر عن الطائفة الأولى بالطاعة لأنها مسبوقة بالتصديق، مستلزمة له، فإثباتها إثبات له، وفى الثانية بالتكذيب، لأنه الأساس فى عدم الطاعة، فاستتبع العصيان، والمراد الأمران فى كل منهما، تصديق وطاعة فى جانب، وتكذيب وعصيان فى جانب، فحذف من كل لازمه.

(**فأصبحوا مكانهم**) تصريح بما دل عليه اللازم.

(**فصبحهم الجيش فأهلكهم، واجتاحهم**) معنى « صبحهم » أتاهم صباحا مبكرا وهم نائمون، ثم كثر استعماله، حتى استعمل فيمن طرق بغيته، فى أى وقت كان، ومعنى « اجتاحهم » استأصلهم، من جحت الشيء، أجحته، إذا استأصله، والاسم الجائحة، وهى الهلاك، وأطلقت على الآفة، لأنها مهلكة، وذكر الاجتياح بعد الإهلاك لتأكيد قوته.

قال الطيبي: شبه صلى الله عليه وسلم نفسه بالرجل، وشبه ما جاء به من الوعد والوعيد بإنذار الرجل قومه بالجيش، وشبه من أطاعه من أمته بمن أطاع الرجل وصدقته، وشبه من عصاه من أمته بمن كذب الرجل فى إنذاره، والنتيجة شبيهة بالنتيجة.

(**إنما مثلى ومثل أمتى**) من حيث موقف الأمة مما جاء به صلى الله عليه وسلم، والقصر بإنما قصر إضافى، لأن مثله صلى الله عليه وسلم مع أمته ليس مقصورا على هذا، فقد سبق مثل، وسيأتى غيره.

(كمثل رجل استوقد ناراً) أى أوقد ناراً، واستوقد أبلغ من أوقد، فزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، زاد فى الرواية الثالثة « فلما أضاءت ما حولها » والإضاءة فرط الإنارة، والمراد بذلك ظهور الحق ووضوحه، مما يرفع عذر المعتذر.

(فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه) أى فى هذا الشيء الموقد، وفى الرواية الثالثة والرابعة « يقعن فيها » والدواب كل ما يدب على الأرض ولو لحظة، فيشمل الطير ويكون ذكر الفرش وغيره بعده من ذكر الخاص بعد العام، ويحتمل أن يراد بالدابة ما من شأنه يمشى على الأرض، فيكون عطف الطير عليه من العطف المغاير، وعلى كل فالمراد من الدواب التى تسقط فى النار بعضها مما من شأنه أن يجرى نحو النار يجهل عاقبتها، فيسقط فيها، كالخنافس والصرار وبعض الحشرات، أما الفرش فالمراد منه النوع المعروف من الطير، ذو الأجنحة التى هى أكبر كثيراً من جثته، وأنواعه مختلفة فى الكبر والصغر، وكذا أجنحته، وأعرب ابن قتيبة فقال: المراد من الفرش ما يتهافت فى النار من البعوض، وقال الخليل: الفرش كالبعوض، يلقي بنفسه فى النار وقال بعضهم: الفرش ما تراه كصغار البق، يتهافت فى النار، وقال المازنى: المراد من الفرش الجنادب. اهـ. ربما لأنه ورد فى الرواية الرابعة، ولفظها « فجعل الجنادب والفرش يقعن فيها » فجعله من عطف التفسير، وتعقب بأن الجنادب جمع جندب، وفيها ثلاث لغات، ضم الجيم مع ضم الدال وفتحها، وكسر الجيم مع فتح الدال، وهو الصرار الذى يشبه الجراد، وقال أبو حاتم: الجندب على حلقة الجراد، له أربعة أجنحة، كالجرادة وأصغر منها، يطير ويصر بالليل صرا شديداً.

وفى الرواية الثالثة « جعل الفرش، وهذه الدواب التى فى النار، يقعن فيها » ومعنى الموصول وصلته التى من شأنها الدخول فى النار.

(وجعل يحجزهن، ويغلبهن، فيتقمن فيها) « جعل » هنا للصيرورة، والحجز المنع، والتقمن أصله القحم والإقدام والوقوع فى الأمور الشاقة من غير تثبت، ويطلق على رمى الشيء بغتة، ومثله الاقتحام، يقال: اقتحم الدار هجم عليها، وفى الرواية الثانية « فأنا آخذ بحجزكم، وأنت تقمون فيه » بفتح التاء والقاف، وتشديد الحاء، وحذف إحدى التاءين، أى تتقمن، قال النووى: « آخذ » روى بوجهين، أحدهما اسم فاعل، بكسر الخاء، وتنوين النال، والثانى فعل مضارع بضم الخاء والذال، وهما صحيحان، والأول أشهر. اهـ.

« وحجزكم » بضم الحاء وفتح الجيم وضمها جمع حجرة بضم الحاء وسكون الجيم، وهى معقد الإزار من وسط الإنسان، ومن السراويل موضع التكة، وفى الرواية الرابعة « فجعل الجنادب والفرش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها - أى يدفعهن ويبعدهن عنها - وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفتنون من يدى » قال النووى: روى بوجهين: أحدهما فتح التاء والفاء واللام المشددة، وأصله تفتلتون، حذف إحدى التاءين، والثانى ضم التاء، وإسكان الفاء وكسر اللام، وكلاهما صحيح، يقال: أفلت منى، وتفلت منى، إذا نازعت الغلبة، والهرب، ثم غلب وهرب وفى الرواية الثالثة « أنا آخذ بحجزكم عن النار. هلم عن النار. هلم عن النار فتغلبونى، تقمون فيها » و « هلم » اسم فعل أمر.

تفرد على كل حال، تقول: هلم يا رجلاں وهلم يا رجال وقد تلحقها علامات التثنية والجمع، والمعنى هنا تعالوا عن النار، أى تعالوا إلى، وابتعدوا عن النار.

ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع فى ذلك، مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش فى نار الدنيا، لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه، ساع فى ذلك لجهله.

(مثلى ومثل الأنبياء) فى الرواية السادسة والسابعة « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ».

(كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله) قيل: المشبه به واحد والمشبه جماعة، فكيف صح التشبيه؟ وأجيب بأنه جعل الأنبياء كرجل واحد، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار، لا تتم إلا باجتماع البنيان - أى فهو من تشبيه مفرد بمفرد، وقيل: هو من تشبيه التمثيل، بأن نجعل أوصاف المشبه به فى حكم مفردات، يشبه بها أجزاء وأوصاف المشبه، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس، ببيت أسست قواعده، ورفع بنيانه، وبقي منه موضع، به يتم صلاح ذلك البيت، وفى الرواية السادسة « كمثل رجل ابتنى بيوتا، فأحسنها وأجملها وأكملها ».

(فجعل الناس يطيفون به، يقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا. إلا هذه اللبنة، فكنت أنا اللبنة) يقال: طاف حوله، وبه، وعليه، وفيه، يطوف، طوفا، بفتح الطاء وسكون الواو، وطوفانا، بفتح الواو، دار وحام. وأطاف به، وعليه، طاف، فيطيفون من أطاف، وفى الرواية السادسة والسابعة « يطوفون » من طاف. وفى الرواية السادسة « فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان، فيقولون: ألا وضعت هنا لبنة؟ فيتم بنيانك؟ » « فألا » بتشديد اللام للتحضيض، و« وضعت » بفتح الواو، والضاد وسكون العين وتاء المخاطب.

وفى الرواية السابعة « ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ » فهلا بتشديد اللام للتحضيض أيضا والتاء للمخاطب، واللبنة بفتح اللام وكسر الباء، بعدها نون، وبكسر اللام، وسكون الباء، هى القطعة من الطين، تعد للبناء، ويقال لها ذلك ما لم تحرق، فإذا أحرقت فهى آجرة، وفى الرواية الثامنة، كما فى البخارى « لولا موضع اللبنة » قال الحافظ ابن حجر: « موضع » بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره محذوف، أى لولا موضع اللبنة، يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا، ويحتمل أن تكون « لولا » تحضيضية، وفعلها محذوف، تقديره لولا أكمل موضع اللبنة؟.

وزعم ابن العربى أن اللبنة المشار إليها كانت فى رأس الدار المذكورة، وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار. قال: وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور، قال الحافظ ابن حجر: وهذا إن كان منقولاً فهو حسن، وإلا فليس بلازم (ففى روايتنا السادسة والسابعة « إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ») نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة فى مكان يظهر عدم الكمال فى الدار بفقدتها.

(فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها) الفرط بفتح الفاء والراء، والفارط، هو الذى يتقدم الوارد، ليصلح له الحياض، والدلاء ونحوها من أمور الاستسقاء.

فقه الحديث

ويؤخذ من أحاديث الباب

- ١- ترجم البخارى للروايات الأربع بباب الانتهاء عن المعاصى، أى تركها أصلاً ورأساً والإعراض عنها بعد الوقوع فيها.
- ٢- وفيها إشارة إلى أن الإنسان فى حاجة شديدة إلى النذير.
- ٣- وفيها ما كان فيه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة والحرص على نجات الأمة، كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
- ٤- وفيها مبالغة الرسول ﷺ فى تحذير الأمة مما يضرهم.
- ٥- ومن الرواية الخامسة والسادسة فضيلته صلى الله عليه وسلم.
- ٦- ومن الرواية السابعة والثامنة أنه خاتم النبيين.
- ٧- ومن مجموع الروايات جواز ضرب الأمثال فى العلم وغيره.
- ٨- أن إهلاك الأمم واستئصال مكذبيها إنما يكون فى حياة نبيهم.
- ٩- تبشير الأمم التى يموت نبيها قبلها بشفاعته لأمته ووساطته لهم عند ربهم.
- ١٠- وفى ذلك تبشير بشفاعته محمد ﷺ لأمة الإسلام.

والله أعلم

(٦٠٨) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته

٥٢٠٥ - ٢٥ عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه (٢٥) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

٥٢٠٦ - ٢٦ عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه (٢٦) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. مَنْ وَرَدَ شَرِبَ. وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا. وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي. ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ. فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ؟ قَالَ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ «إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

٥٢٠٧ - ٢٧ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ. وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ. وَمَاؤُهُ أَيْضٌ مِنَ الْوَرَقِ. وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ. وَكِيْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ. فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

٥٢٠٨ - ٢٨ وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٨) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ. وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيَقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بِعَدِّكَ يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

(٢٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ حَدَّثَنَا زَائِدَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولُ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ بُشَيْرٍ جَمِيعًا عَنْ مِسْرَعٍ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلَاهِمَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ جُنْدَبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ.

(٢٦) حَدَّثَنَا فُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَعْقُوبٍ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ - وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أَسَامَةُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ وَعَنِ النُّعْمَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.

(٢٧) وَحَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الصَّبِيَّ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرٍو الْجُمَحِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو (٢٨) وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

٥٢٠٩ - ٢٨/٥ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢٨) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِيهِ «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ. فَوَاللَّهِ! لَيُقْتَطَعَنَّ ذُوْنِي رِجَالًا، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ! مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدْلِكَ. مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ».

٥٢١٠ - ٢٩/٦ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢٩) زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ. وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمَشُّطِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ. فَإِيَايَا لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذِبُ عَنِّي كَمَا يَذِبُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ. فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بِعَدْلِكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا».

٥٢١١ - ٦/٦ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣٠) أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، عَلَيَّ الْمُنْبَرِ، وَهِيَ تَمْتَشِطُ «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقَالَتْ لِمَ شَطِطْتِهَا: كُفِّي رَأْسِي. بِنَحْوِ حَدِيثِ بُكَيرٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ.

٥٢١٢ - ٣٠/٧ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ غَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣٠) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَيَّ أَهْلِي أُحُدٍ صَلَّى عَلَيَّ الْمَيِّتِ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْبَرِ. فَقَالَ «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ. وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ. وَإِنِّي، وَاللَّهِ! لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ. وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ. وَإِنِّي. وَاللَّهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي. وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

٥٢١٣ - ٣١/٨ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ غَامِرٍ^(٣١) قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ قَتْلِي أُحُدٍ. ثُمَّ صَعِدَ الْمُنْبَرَ كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ

(٢٨) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ عَنِ ابْنِ حُنَيْنٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبٍ أَنَّ اللَّهَ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ (٢٩) وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ وَهْبٍ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ. وَإِنِّي، وَاللَّهِ! لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ. وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ. وَإِنِّي. وَاللَّهِ! مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي. وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

(٣٠) وَحَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو غَامِرٍ وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَفْلَحُ ابْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ قَالَ كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تُحَدِّثُ

(٣١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ

(٣١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي ابْنَ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ مَرْثَدٍ عَنْ عُقْبَةَ

أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ. إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي. وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَبِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

٥٢١٤ - ٣٢/٩ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٣٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَالْأَنْزَاعِ أَقْوَامًا ثُمَّ لِأَعْلَبِنَ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ».

بُ: عَنْ حُدَيْفَةَ ﷺ (٣١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. نَحْوَ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ وَمُغْبِرَةَ.

٥٢١٥ - ٣٣/١١ عَنْ حَارِثَةَ ﷺ (٣٣) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةَ» فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ «الْأَوَائِي»؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ الْمُسْتَوْرِدُ «تُرَى فِيهِ الْآيَةَ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ».

٥٢١٦ - بُ: فِي رِوَايَةٍ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبِ الْخَزَاعِيِّ ﷺ (٣٠٠) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَذَكَرَ الْحَوْضَ. بِمِثْلِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ الْمُسْتَوْرِدِ وَقَوْلَهُ.

٥٢١٧ - ٣٤/١١ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرَبًا وَأَذْرَحَ».

٥٢١٨ - بُ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣٠٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى «حَوْضِي» وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ.

(٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١٠٠) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَصْحَابِي حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ جَرِيرِ بْنِ الْأَعْمَشِ وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةَ جَمِيعًا عَنْ مُغْبِرَةَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ وَفِي حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنْ مُغْبِرَةَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ أَخْبَرَنَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَيْلٍ كِلَاهُمَا عَنْ حُصَيْنِ بْنِ أَبِي وَائِلٍ عَنِ حُدَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ وَمُغْبِرَةَ

(٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيْعٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ حَارِثَةَ (١٠٠) وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَزْرَةَ حَدَّثَنَا حَرْمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةَ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبِ الْخَزَاعِيِّ يَقُولُ

(٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزُّهْرَانِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ (١٠٠٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي نَافِعُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

- حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ

٥٢١٩ - - وفي رواية عن غبيد الله^(٣٥)، بهذا الإسناد، مثله. وزاد: قال غبيد الله: فسألته فقال: فريتين بالشام. بينهما مسيرة ثلاث ليال. وفي حديث ابن بشر: ثلاثة أيام.

٥٢٢٠ - ١٢٢ - عن عبد الله^(٣٥) أن رسول الله^(ص) قال: «إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح. فيه أباريق كنجوم السماء. من ورده فشرّب منه، لم يظمأ بعدها أبداً».

٥٢٢١ - ١٢٣ - عن أبي ذر^(٣٦) قال: قلت: يا رسول الله، ما آية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده! لا آية أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا في الليلة المظلمة المصححة. آية الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه. يشخب فيه ميزابان من الجنة. من شرب منه لم يظمأ. عرطه مثل طولهِ. ما بين عمان إلى أيلة. ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل».

٥٢٢٢ - ١٢٤ - عن ثوبان^(٣٧) أن نبي الله^(ص) قال: «إني لبعقر حوضي، أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم» فسئل عن عرضهِ فقال: «من مقامي إلى عمان» وسئل عن شرايه فقال: «أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة. أحدهما من ذهب، والآخر من ورق» وحديثه زهير بن حرب. حدثنا الحسن بن موسى. حدثنا شيبان عن قتادة. بإسناد هشام. بمثل حديثه. غير أنه قال: «أنا يوم القيامة، عند عقر الحوض».

٥٢٢٣ - ١٢٥ - عن أبي هريرة^(٣٨) أن النبي^(ص) قال: «لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريّة من الإبل».

(-) وحديثي سويد بن سعيد حدثنا حفص بن مسرة عن موسى بن عتبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي^(ص) بمثل حديث غبيد الله.

(٣٥) وحديثي حرملة بن يحيى حدثنا عبد الله بن وهب حديثي عمر بن محمد عن نافع عن عبد الله (٣٦) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمير المكي واللفظ لابن أبي شيبة قال إسحاق أخبرنا وقال الآخرون حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر (٣٧) حدثنا أبو غسان المسمعي ومحمد بن المنثري وابن بشر والفاطمهم مقاربة قالوا حدثنا معاذ وهو ابن هشام حديثي أبي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة اليعمرى عن ثوبان - وحدثنا محمد بن بشر حدثنا يحيى بن حماد حدثنا شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان عن ثوبان عن النبي^(ص) حديث الحوض فقلت ليحيى بن حماد هذا حديث سمعته من أبي عوانة فقال وسمعته أيضاً من شعبة فقلت انظر لي فيه فنظر لي فيه فحدثني به.

(٣٨) حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي حدثنا الربيع يعيني ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة - وحدثني غبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن محمد بن زياد سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله^(ص) بمثله.

٥٢٢٤ - ٣٩/١٦ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٣٩) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَدَرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ. وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٢٥ - ٤٠/١٧ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٤٠) أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَمَّا دَنَا عَلِيٌّ الْحَوْضَ رَجَالَ مِمَّنْ صَاحِبِي. حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفِعُوا إِلَيَّ، اخْتَلَجُوا دُونِي. فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ أَصِيْحَابِي، أَصِيْحَابِي. فَلْيَقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ».

٥٢٢٦ - ٤١/١٨ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٤١) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: بِهَذَا الْمَعْنَى. وَزَادَ «أَيْتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ».

٥٢٢٧ - ٤٢/١٩ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٤٢) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةَ».

٥٢٢٨ - ٤٣/٢٠ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٤٣) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُمَا شَكَا فَقَالَا: أَوْ مِثْلَ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَعَمَّانَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ «مَا بَيْنَ لَابَتِي حَوْضِي».

٥٢٢٩ - ٤٤/٢١ عَنْ قَتَادَةَ ^(٤٤) قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تُرَى فِيهِ أَبَارِقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٣٠ - ٤٥/٢٢ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٤٥) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ مِثْلَهُ، وَزَادَ «أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

٥٢٣١ - ٤٦/٢٣ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه ^(٤٦) عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ. وَإِنْ بُعِدَ مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ. كَأَنَّ الْأَبَارِقَ فِيهِ النُّجُومُ».

(٣٩) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ
(٤٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ حَدَّثَنَا وَهْبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صُهَيْبٍ يَحَدِّثُ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(٤١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ خَجْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَيْلٍ جَمِيعًا عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسِ
(٤٢) وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّمِيمِيُّ وَهَرَبِيُّ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَاللَّفْظُ لِعَاصِمٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ
(٤٣) وَحَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا هِشَامُ ح وَحَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَائِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ
(٤٤) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزِّيُّ قَالَا حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ قَتَادَةَ
(٤٥) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ
(٤٦) حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شَجَاعٍ بْنُ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي رَجَمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ

٥٢٣٢ - ٤٥ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (٤٥) قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي نَافِعٍ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ «أَنَا الْفَرَطُ عَلَى الْحَوْضِ».

المعنى العام

إن أفضل ما يقدم إلى العطشان الظمان جرعة ماء، فإذا كان الظمأ شديداً لم يسبق له مثيل، وإذا كانت الشربة بما هو أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، فى أباريق من ذهب وفضة، صافية لامعة كالنجوم فى الليل، وإذا كان الساقى هو أحب حبيب كان فى الدنيا، وإذا كان الشراب يروى رياً، لا يظمأ شاربه بعده أبداً. إذا كان الأمر كذلك كانت المنة أعظم منه، والفضل خير الفضل، والإحسان أفضل إحسان.

فى الموقف العظيم يوم القيامة يشتد الحر، وتدنو الشمس من الرؤوس، فيعرق الناس، فمنهم من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ عرقه نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خصرته، ومنهم من يبلغ منكبه، ومنهم من يبلغ فاه، ومنهم من يغطيه عرقه، حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً، تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم البشر، حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون، حتى يرشح العرق فى الأرض قامة، ومن هذا الظمأ الشديد يتفرق الناس إلى الصراط، فيجد المؤمنون فى طريقهم حوضاً من شراب، مربع المساحة، طوله كعرضه، ضلعه مئات الأميال، يتسع لكل الواردين عليه، دون زحام، عليه أباريق وكيزان، كعدد النجوم فى السماء الصافية التى لا غيم فيها ولا قمس إذا مد المؤمن يده إلى الإبريق، أسرع الإبريق مملوءاً إلى يده، ثم إلى فمه، لا عناء، ولا مشقة، إذا نظر إلى مائه وجده أشد بياضاً من اللبن، وإذا وصلت رائحة الشراب إلى أنفه أحس أنه أطيب من المسك، وإذا تذوقه وجده أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، متعة لم تخطر على قلب بشر، بعد حرمان وحاجة إليها لم تخطر على قلب بشر، ولمن هذا الحوض؟ ومن أين شرابه، إنه لمحمد ﷺ، أكرمه ربه به، ليكرم به أمته، إن صاحبه الرؤوف الرحيم واقف، يرحب بالواردين، وملائكة الله تحيط بهم فى بهجة وسرور، تقول لهم: اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون، محمد ﷺ يقف بجوار الحوض، وعلى قمته، وفى يده عصا صغيرة، أعظم من عصا موسى، بإشارتها يبتعد عن الحوض من لا يستحق الشرب، ويقرب من الحوض من هو أهل له، وبإشارتها يقدم إلى الحوض أناس على أناس، على أساس صالح أعمالهم وجهادهم فى الدنيا، ينظمهم وينظم ورودهم بإشارة عصاه، وهو فرح بهم، مسرور بكثرتهم، لكن فى غمرة هذا السرور يفاجأ بمنظر رهيب، جماعة ممن كانوا أصحابه، يعرفهم ويعرفونه، يردون نحو الحوض، ينادون: أنقذنا يا محمد. عطاشى يا محمد، ويتجه الرسول ﷺ نحوهم ليساعدهم، فتحول الملائكة بينه وبينهم، فيقول للملائكة: هؤلاء

(٤٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ وَسْمَانَ عَنِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ

أصحابي. هؤلاء أصحابي. هم منى ومن أمتي، إننى أعرفهم ويعرفوننى؟ إلى أين تذهبون بهم، فتقول الملائكة: إلى النار، فيقول: ولماذا؟ فيقولون: إنك لا تدري ماذا أحدثوا فى دينهم بعد موتك، إنهم بدلوا، وغيروا، وكفروا، وارتدوا، فيقول: سبحانك ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ونرجع إلى المنظر البديع، منظر الحوض والشاربين، إن ماءه لا يغيض، ولا يفيض، لا يرتفع ولا يزيد ولا ينخفض عن مستواه، ولا ينقص رغم شرب الملايين وملايين الملايين، إن مدده من نهر الكوثر الذى يجرى فى الجنة، يصب فيه، فإذا رفعت بصرك إلى أعلى رأيت عجا، ميزابين فى الفضاء، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، يمسكهما الله، ما يمسكهما من أحد من بعده، إنهما يمتدان فى السماء إلى الجنة، فيلقيان من شرابها فى هذا الحوض قطعاً قطعاً، لا تسأل: كيف؟ ولا تعجب، فإنها أحوال الآخرة، فإنها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، سقانا الله من حوضه صلى الله عليه وسلم، شربة لا نظماً بعدها أبداً.

المباحث العربية

(أنا فرطكم على الحوض) الفرط بفتح الفاء والراء، والفرط هو الذى يتقدم الوارد، ليصلح له الحياض، والدلاء، ونحوها من أمور الاستسقاء، فمعنى: « أنا فرطكم على الحوض»، أى سابقكم لأهين وأعد لكم حوضى للشرب منه.

و «الحوض» «ال» فيه للعهد، أى حوض النبى ﷺ، وجمع الحوض حياض وأحواض، وهو مجمع الماء، وهل للنبي ﷺ حوض واحد؟ أو أكثر؟ وهل للأنبياء أحواض؟ وأين مكان الحوض من أحداث يوم القيامة قبل الصراط؟ أو بعده؟ سيأتى تفصيل ذلك فى فقه الحديث.

وقد تكلمت الروايات عن مساحته، وعن مائه، وعن أكوابه، وعن يرده، وعن يحال بينهم وبينه، فعن مساحته: تقول الرواية الثالثة « حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء » ونقول الرواية الثامنة « إن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة » و « أيلة » بفتح الهمزة وسكون الياء، مدينة، كانت عامرة، بطرف بحر القلزم، من طرف الشام، قال الحافظ ابن حجر: وهى الآن خراب، يمر بها الحاج من مصر، فتكون شمالهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها، فتكون أمامهم، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين، وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر، بسيرا الأثقال، إن اقتصروا كل يوم على مرحلة.

وهى من مصر على أكثر من النصف من ذلك، وهى دون الثلث بين مصر ومكة، وهى أقرب لمصر وقد مرقبياً أن صاحب أيلة جاء إلى رسول الله ﷺ وصالحه، وقال النووى: بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق نحو اثنتى عشرة مرحلة، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل، فهى متوسطة بين المدينة، ودمشق ومصر.

أما الجحفة فهى على نحو سبع مراحل من المدينة، فى الطريق إلى مكة، أو ثلاث مراحل من مكة، والمسافة بالمرحل لم تكن محددة، لأن المقصود بها كان المسافة التى تتعب عندها الإبل فى

مسيرها، فينزل الراكب ليستريح ويريح الرواحل، فبعضهم يقدرها بأربعة برد، وبعضهم يقدرها بيريدين، وحتى البريد بعضهم يقدره بفرسخين، وبعضهم يقدره بأربعة فراسخ، وحتى الفرسخ بعضهم يقدره بثلاثة أميال، وبعضهم يقدره بستة أميال، فما بين أيلة والجحفة يزيد على ثنتين وعشرين مرحلة، ولو قدرنا المرحلة بأربعة برد، والبريد بأربعة فراسخ، والفرسخ بثلاثة أميال، تصبح المسافة بين أيلة والجحفة ستة وخمسين ميلاً وألف ميل، وإذا كان هذا عرض حوضه صلى الله عليه وسلم، وزواياه سواء، أى مربع الشكل كانت مساحته نحو مليون ومائة وخمسة عشر ألف ومائة وستة وثلاثين ميلاً.

وفى الرواية الحادية عشرة « إن أمامكم حوضاً، ما بين ناحيته، كما بين جرباً وأذرج » وجرباء بفتح الجيم وسكون الراء، تأنيث أجرب، جاءت فى البخارى ممدودة، وقال النووى: الصواب أنها مقصورة، قال: والمد خطأ، وأثبت صاحب التحرير المد، وجوز القصر، وأما « أذرج » فهيمزة مفتوحة، ثم ذال ساكنة، ثم راء مضمومة، بعدها حاء، قال النووى: هذا هو الصواب المشهور، ورواه بعضهم بالجيم، وهو تصحيف، وهى مدينة فى طرف الشام، فى قبلة الشوبك، بينها وبينه نحو نصف يوم، وهى فى طرف الشراط-بفتح الشين - فى طرفها الشمالى، و« تبوك » فى قبلة « أذرج » بينهما نحو أربع مراحل، وبين « تبوك » ومدينة النبى ﷺ نحو أربع عشرة مرحلة.

يقول الراوى عن هاتين المدينتين (جرباً وأذرج) « قرنتين بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال » وقد غلطه الحافظ صلاح الدين العلائى، وقال: ليس كما قال، بينهما غلوة سهم، وهما معروفتان بين القدس والكرك، قال: وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطنى وغيره، بلفظ « ما بين المدينة، وجرباء وأذرج »، اهـ. فالمسافة نحو أربع عشرة مرحلة.

وفى الرواية الثالثة عشرة « عرضه مثل طولها، ما بين عمان إلى أيلة » قال النووى: وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم، وهى بلدة بالبلقاء من الشام، والمعروف فى روايات الحديث وغيرها ترك صرفها. وتنسب إلى البلقاء لقربها منها، والبلقاء بلدة معروفة فى فلسطين، والظاهر أن فيه مقدراً محذوفاً، كسابقه أى ما بينهما وبين المدينة، وفى الرواية المتممة للعشرين « مثل ما بين المدينة وعمان »، وفى الرواية السادسة عشرة « قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن » وكذا فى الرواية الثانية والعشرين، وقوله « من اليمن » احتراز من صنعاء التى بالشام، وفى رواية « مثل عدن وأيلة » وفى أخرى « أبعد من أيلة إلى عدن » وفى رواية « ما بين عمان إلى أيلة » و« عمان » هذه بضم العين وفتح الميم مخففة، بلد معروف على ساحل البحر من جهة البحرين، وفى رواية كما بين صنعاء إلى المدينة وفى رواية ما بين بصرى إلى صنعاء أو ما بين أيلة إلى مكة وبصرة بضم الباء وسكون الصاد بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز وفى رواية ما بين « مكة وعمان » وفى رواية « ما بين صنعاء ومكة » وفى رواية « كما بين البيضاء إلى بصرى » والبيضاء بالقرب من الريدة، البلد المعروف بين مكة والمدينة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذه المسافات متقاربة، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر، أو تزيد قليلاً

أو تنقص، وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف، فقال عياض: هذا من اختلاف التقدير، لأن ذلك لم يقع في حديث واحد، حتى يعد اضطراباً من الرواية، وإنما جاء في أحاديث مختلفة، عن غير واحد من الصحابة، سمعوه في مواطن مختلفة.

وكان النبي ﷺ يضرب في كل منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته، بما يسنح له من العبارة، ويقرب ذلك، للعلم ببعد بين البلاد النائية، بعضها عن بعض، لا على إرادة المسافة المحققة. قال: فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى، وتعبه الحافظ ابن حجر، من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد، الذي يزيد تارة على ثلاثين يوماً، وينقص إلى ثلاثة أيام، فلا.

وقال القرطبي: ظن بعض الجاهلين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب، وليس كذلك، ثم نقل كلام القاضي عياض، وزاد: وليس اختلافاً، بل كلها تفيد أنه كبير، متسع، متباعد الجوانب، ثم قال: ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضره، ممن يعرف تلك الجهة، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها.

وأجاب النووي بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكبيرة، والأكثر ثباتاً بالحديث الصحيح، فلا معارضة، قال الحافظ ابن حجر: وحاصله أنه يشير إلى أنه أخير أولاً بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها، كأن الله تفضل عليه باتساعه، شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، والله أعلم.

وعن مائه وأكوابه تقول الرواية الثالثة « ماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيوانه كنجوم السماء » قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ « الورق » بكسر الراء، وهو الفضة، قال: والنحويون يقولون: إن فعل التعجب الذي يقال فيه: هو أفعل من كذا (يقصد أفعل التفضيل فهو هنا أفعل تفضيل، وليس أفعل تعجب، وإن كان هذا الشرط واحداً فيهما) إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف، فإن زاد لم يتعجب من فاعله - أى ولم يصغ منه أفعل التفضيل إلا بواسطة - وإنما يتعجب من مصدره، فلا يقال: ما أبيض زيدا، ولا زيد أبيض من عمر، وإنما يقال: ما أشد بياضه، وهو أشد بياضاً من كذا، وقد جاء في الشعر أشياء من هذا الذي أنكروه، فعدوه شاذاً، لا يقاس عليه، وهذا الحديث يدل على صحته، وهي لغة، وإن كانت قليلة الاستعمال، ومنها قول عمر: ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وفي الرواية الثانية عشرة « فيه أباريق كنجوم السماء » وفي الرواية الثالثة عشرة « لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل » وفي الرواية الرابعة عشرة « وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من الورق » وفي الرواية السادسة عشرة « وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » وفي الرواية الواحدة والعشرين « ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء » زاد في ملحق الرواية « أو أكثر من عدد نجوم السماء » وفي الرواية الثانية والعشرين « كأن الأباريق فيه النجوم ».

فتحصل لنا من أوصاف أوانيه:

من حيث العدد: هي أكثر من عدد نجوم السماء، زاد في الرواية الثالثة عشرة «ألا في الليلة المظلمة المصحية» و«ألا» للتنبية والتأكيد، ورؤية النجوم في الليلة المظلمة التي لا قمر فيها أكثر وضوحا ولمعانا، وأكثر عددا. قال النووي: المختار والصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وأنها أكثر عددا من نجوم السماء، ولا مانع عقلي ولا شرعى يمنع من ذلك، بل ورد الشرع به مؤكدا، كما قال صلى الله عليه وسلم «والذى نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء» كذا في الرواية الثالثة عشرة - وقال القاضى عياض: هذا إشارة إلى كثرة العدد، وغايته الكثرة، من باب قوله صلى الله عليه وسلم «لا يضع العصا عن عاتقه» - كناية عن كثرة السفر - وهو من باب المبالغة، معروف في الشرع واللغة، ولا يعد كذبا إذا كان المخبر عنه في حيز الكثرة والعظم ومبلغ الغاية في بابيه، بخلاف ما إذا لم يكن كذلك، قال: ومثله «كلمته ألف مرة» و«لقيته مائة كرة» فهذا جائز إذا كان كثيرا، وإلا فلا. قال النووي: هذا كلام القاضى، والصواب الأول.

من حيث الجنس: الذهب والفضة.

من حيث النوع والشكل: آنية. إبريق. كون وكلها إناء له عروة، وكان اختياره هنا لأن الشارب سيغمسه في الحوض بيده، فناسبه ما له عروة، بخلاف الشراب في الجنة، فإنه في كأس أو كوب، يملا من غيب إلى عبد.

من حيث اللون: أشد بياضا من اللبن، وأبيض من الفضة اللامعة.

من حيث الطعم: أحلى من العسل.

من حيث الرائحة: أطيب من المسك.

من حيث البرودة: عند أحمد «أبرد من الثلج» وعند البزار والترمذى «وماؤه أشد برداً من الثلج».

من حيث اللبونة: عند ابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا «وألين من الزبد».

من حيث مصدر مائه: في روايتنا الرابعة عشرة «يغت فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما ذهب، والآخر من الورق» ومعنى «يغت» بفتح الياء وضم الغين وكسرها، وتشديد التاء، أى يذقان فيه من أعلى، وقيل: يصبان فيه دائما صبا شديداً، ووقع في بعض النسخ «يعب» بضم العين، بعدها باء، والعب الشرب بسرعة في نفس واحد، ووقع في رواية «يثعب» بثاء وعين وباء، أى ينفجر

و«ميزابان» تثنية ميزاب، وأصله «مئزاب» بهمز، فخففت إلى ياء، وهو أنبوب أو قناة يصرف بها الماء من سطح بناء إلى وضع عال، وفي الرواية الثالثة عشرة «آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة» يشخب بضم الخاء وفتحها، والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل عمرة، وعصرة لضرع الشاة.

وقال الحافظ ابن حجر: الكوثر نهر داخل الجنة، ماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر، لأنه يمد منه، فهو مادة الحوض، كما جاء صريحا في حديث البخارى «بينما أن أسير فى

الجنة، إذا أنا بنهر، حافظاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه - أو طينه - مسك أزر».

وأما عمن يرده، ويشرب منه، ومن يحال بينهم وبينه: فتقول الرواية الثانية « من شرب لم يظماً أبداً، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم منى؟ فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقاً. سحقاً لمن بدل بعدى» ونقول الرواية الرابعة « إنى على الحوض، حتى أنظر من يرد على منكم، وسيؤخذ أناس دونى، فأقول: يا رب. منى ومن أمتى؟ فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» وفي الرواية الخامسة « إنى على الحوض أنتظر من يرد على منكم، فوالله، ليتقطعن دونى رجال فلاقولن: أى رب منى ومن أمتى؟ فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم» وفي الرواية السادسة « إنى لكم فرط على الحوض، فإياي، لا يأتين أحدكم فيذب عنى، كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً» وفي الرواية التاسعة « أنا فرطكم على الحوض، ولأنارنن أقواماً، ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب. أصحابى؟ أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي الرواية الرابعة عشرة « إنى لبعقر حوضى» أى لواقف فى قاعدته « أنود الناس لأهل اليمين» أى أدفع الناس، لأوسع لأهل اليمين أن يشربوا « أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم» بفتح الياء وسكون الراء وفتح الفاء وتشديد الدال، أى حتى يتفرقوا عنهم، ويخلص لهم، وفي الرواية الخامسة عشرة « لأنودن عن حوضى رجالاً، كما تذاذ الغريبة من الإبل» وفي الرواية السابعة عشرة « ليردن على الحوض رجال، ممن صاحبنى، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلى، اختلجوا دونى» بضم التاء وكسر اللام وضم الجيم، أى جذبوا وانتزعوا بعيداً عنى « فلاقولن: أى رب. أصحابى؟ أصحابى؟، فليقالن لى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي رواية للبخارى « إنى فرطكم على الحوض، من مر على شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردن على أقوام، أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم» وفي رواية له « يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى، فيجلون عن الحوض» بضم الياء وسكون الجيم وفتح اللام، أى يطردون ويبعدون وفي رواية « فيحلثون عنه» بضم الياء وفتح الحاء، وتشديد اللام المفتوحة، بعدها همزة مضمومة، أى يطردون « فأقول: يارب أصحابى؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» وفي رواية له « بينا أنا قائم، فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار. والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار، والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل الغنم» أى لا يخلص من هؤلاء الذين وفدوا من الحوض، وكادوا يردونه فصدوا عنه، والهمل بفتح الحاء وبفتحتين الإبل بلا راع أو الضالة، أى لا يرد منهم إلا القليل، لأن الهمل فى الإبل قليل بالنسبة لغيره.

من هذه الروايات يتبين:

- أن من شرب من الحوض لا يظماً أبداً. قال القاضى: ظاهره أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذى لا يظماً بعده، قال: وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من

النار، قال: ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة، وقدر عليه دخول النار، لا يعذب فيها بالظماً، بل يكون عذابه بغير ذلك، لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه، إلا من ارتد، وصار كافراً، وسيأتى مزيد لهذه المسألة في فقه الحديث.

(من ورد شرب) أى من ورد حوضى، وفى الكلام قيد ملاحظ، أى من ورد الحوض ومكن من الشرب، وفى الأحاديث السابقة أن قوما يردون، فيزادون، فلا يشربون، وفى الرواية السابعة عشرة « ليردن على الحوض رجال » وفى روايتنا الثانية عشرة « من ورد فشرب منه لم يظماً بعدها أبداً » أو المراد من الورود المفضى إلى الشرب الموصل إليه فعلاً، والمراد من الورود مع الذود، والطرده، القرب والدنو منه.

(ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى) بعلامات، وليست المعاصرة والرؤية الدنيوية شرطاً للمعرفة، وفى الرواية الرابعة والخامسة « منى ومن أمتى » لكن فى الرواية السابعة عشرة « ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى » وفى الرواية التاسعة « فأقول: يارب، أصحابى. أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فالظاهر أن المراد المعرفة بالرؤية والصحة الشرعية، ويكونون ممن قتلوا فى حروب الردة مثلاً.

(ثم يحال بينى وبينهم) بينت رواية البخارى السابقة أحداث هذه الحيلولة، وإلى أين يذهبون، وفى الرواية التاسعة « ولأنارعن أقواماً، ثم لأعلن عليهم ».

(إنك لا تدري ما عملوا بعدك) فى الرواية الرابعة « أما شعرت ما عملوا بعدك؟ واللّه ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » كناية عن الردة والرجوع عن الإسلام، وفى الرواية السادسة والتاسعة « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ».

(فأقول: سحقاً. سحقاً. لمن بدل بعدى) « سحقاً » بسكون الحاء، ويجوز ضمها، ومعناه بعداً بعداً، ونصب بتقدير فعل، أى ألزمهم اللّه سحقاً، يقال: سحقه اللّه وأسحقه، أى أبعدته، وسحقته الريح، أى طرده، وأبعدته، والجملة خبرية.

(فقالت لماشطتها: كفى رأسى) بضم الكاف وتشديد الفاء، أى اجمعى شعرى وضميه بعضه إلى بعض، لأعطيه، وأخرج.

(صلى على أهل أحد صلته على الميت) قال النووى: أى دعا لهم بدعاء صلاة الميت.

(وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض) قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « مفاتيح » فى اللفظين، بالياء، قال القاضى: وروى « مفاتيح » بحذف الياء، فمن أثبتتها فهو جمع مفاتيح، ومن حذفها فهو جمع مفتاح، وهما لغتان فيه.

وفى الرواية الثامنة « ثم صعد المنبر، كالمودع للأحياء والأموات » أى خرج إلى قتلى أحد، ودعا لهم، دعاء مودع، ثم دخل المدينة، فصعد المنبر، فكانت خطبته هذه آخر ما خطب، خطبة مودع، حتى قال النواس بن سمعان: قلنا: يارسول اللّه، كأنها موعظة مودع.

وتوديع الأحياء ظاهر، لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان فى آخر حياته صلى اللّه عليه وسلم، وأما

توديع الأموات، فيحتمل أن يكون الصحابي أراد بذلك انقطاع زيارته الأموات بجسده، لأنه بعد موته - وإن كان حيا - فهي حياة أخروية، لا تشبه الحياة الدنيا، ويحتمل أن يكون المراد بتوديع الأموات، استغفاره لهم.

(فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر) أى فكانت هذه الخطبة آخر خطبه صلى الله عليه وسلم على المنبر، واكتفى بنفى الرؤية ليكون صادقا، إذ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم لم يره.

(فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: الأوانى؟ قال: لا) أى قال المستود لشيخه: ألم تسمع شيخك يذكر فى الحديث وصف أوانى الحوض؟ قال الشيخ: لا. لم أسمع.

(فقال المستورد: ترى فيه الأنية مثل الكواكب) « ترى » بضم التاء، مبنى للمجهول، بمعنى « تظن » و « الأنية » نائب فاعل، وهى للجنس، فما صدقها متعدد، و « مثل » مفعول منصوب، والمعنى تظن الأوانى فى الحوض مثل الكواكب، يخيل لرأيتها أنها كواكب فى الكثرة والصفاء واللمعان.

(إن أماكم حوضا) بفتح الهمزة، أى قدامكم زمنا، وفى رواية « حوضى ».

(والذى نفسى بيده. لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا فى الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظلم آخر ما عليه) أى آخر حياته، أى أبدا، قال النووى: وأما قوله صلى الله عليه وسلم « آنية الجنة » فضبطه بعضهم برفع « آنية » وبعضهم بنصبها، وهما صحيحان فمن رفع فخير مبتدأ محذوف، أى هي آنية الجنة، ومن نصب فإضمار « أعنى » أو نحوه.

(إنى لبعقر حوضى) العقر بضم العين وفتحها، مع سكون القاف، وهو أصل كل شيء، وعقر الدار وسطها.

(أذود الناس لأهل اليمن) أى أذفعهم بعيدا، لأخلى الحوض أو أوسع لشرب أهل اليمن، لسبقهم إلى الإسلام، وتمسكهم به، وإخلاصهم له، ورقة قلوبهم فيه.

(أضرب بعصاى، حتى يرفض عليهم) أى حتى يسيل عليهم، ويتمكنوا منه، قال القاضى: وعصاه المذكورة فى هذا الحديث هى المكنى عنها بالهراوة فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى كتب الأوائل بصاحب الهراوة، قال أهل اللغة: الهراوة بكسر الهاء العصا، قال: ولم يأت لمعناها فى صنعه صلى الله عليه وسلم تفسير إلا ما يظهر فى هذا الحديث، قال النووى: وهذا الذى قال فى تفسير الهراوة بهذه العصا بعيد أو باطل، لأن المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفته، يراها الناس معه، فيستدلون بها على صدقه، وأنه المبشر به، المذكور فى الكتب السابقة، فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة، والصواب فى تفسير صاحب الهراوة ما قاله الأئمة المحققون أنه صلى الله عليه وسلم كان يمسك القضيب بيده كثيرا، وقيل: لأنه كان يمشى والعصا بين يديه، وتخزله، فيصلى إليها، وهذا مشهور فى الصحيح.

(لأذودن عن حوضى رجالا، كما تذاذ الغريبة من الإبل) قال النووى: معناه كما يذود الساقى الناقة الغريبة عن إبله، إذا أرادت الشرب مع إبله. اهـ والحكمة فى الذود المذكور، أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه، على ما تقدم أن لكل نبي حوضا، وبأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه، ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلا عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض. كذا قال الحافظ ابن حجر، وفيه نظر، فليس فى الحديث إشارة إلى الدلالة على حوض آخر، وكل ما فيه الإبعاد عن حوضه، والاحتمال الثانى صحيح، ولا شىء فيه، والظاهر أن هؤلاء الرجال من أمم أخرى غير الإسلام، لتشبيههم بالإبل الغريبة.

(حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلى اختلجوا دونى) « ورفعوا إلى » بالبناء للمجهول، أى أظهرهم الله حتى أعرفهم اقتطعوا وانتزعوا بعيدا عنى.

(ما بين لابتى حوضى) أى ما بين ناحيتى حوضى، كما جاء فى الرواية الثامنة عشرة، وأصلها الأرض ذات الحجارة السود، فأطلقت على مطلق شاطئ الحوض.

فقه الحديث

قال النووى: قال القاضى عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول، ولا يختلف فيه، قال القاضى: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة، فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة، وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب، والمستورد وأبى ذر، وثوبان وأنس وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبى أمامة وعبد الله ابن زيد، وأبى برة وسويد بن جبلة، وعبد الله بن الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى بكر وخولة بنت قيس وغيرهم. قال النووى: ورواه البخارى ومسلم أيضا من رواية أبى هريرة، ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمر وآخرين، وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البيعت والنشور، بأسانيد وطرقه المتكاثرات، قال القاضى: وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواتراً، اهـ وزاد الحافظ ابن حجر طرقاً أخرى، ثم قال:

فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووى ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه، فزادت العدة على الخمسين، ولكنير من هؤلاء الصحابة زيادة على الحديث الواحد، كأبى هريرة وأنس وابن عباس وأبى سعيد وعبد الله بن عمرو، وأحاديثهم بعضها فى مطلق ذكر الحوض، وفى صفة قال: وبلغنى أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابياً.

وقال القرطبى فى المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به أن الله تعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الأحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى، وقد أجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحلوه عن ظاهره، وغالوا فى تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية، تلزم من

حملة على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من حرفه إجماع السلف، وفارق مذهب أئمة الخلف، قال الحافظ ابن حجر: أنكره الخوارج وبعض المعتزلة.

وقد اختلف العلماء فى موقع الحوض والشرب منه من أحداث الآخرة، فبعضهم يرى أنه بعد الصراط، وبعضهم يرى أنه قبل الصراط، وبعضهم يرى أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما قبل الصراط والآخر بعد الصراط فى الجنة.

قال الحافظ ابن حجر: وإيراد البخارى لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، ويعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورد على الحوض يكون بعد نصب الصراط، والمرور عليه، وقد أخرج أحمد والترمذى عن أنس قال: «سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى، فقال: أنا فاعل، فقلت: أين أطلبك؟ قال: اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الميزان. قلت فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الحوض.»

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط، بما جاء فى بعض أحاديث الباب من أن جماعة يدفعون عن الحوض، بعد أن يكادوا يردون، ويذهب بهم إلى النار، ووجه الإشكال أن الذى يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض، يكون قد نجا من النار، فكيف يرد إليها؟ قال الحافظ: ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض، بحيث يرونه ويرون النار، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط. اهـ وهذا احتمال بعيد مستبعد.

وذهب القرطبى إلى أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض، وتتساقط الكفار فى النار، بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا؟ فترفع لهم جهنم، كأنها سراب، فيقال: ألا ترون؟ فيظنونها ماء، فيتساقطون فيها، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بأن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه، لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذى يصب من الكوثر فى الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة، لينصب فيه الماء من النهر الذى داخلها.

قال القرطبى: والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما فى الموقف، قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- من قوله فى الرواية السابعة «وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن» قال النووى: هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقى، على ظاهره، وأنه مخلوق موجود الآن.

٢- وفيه جواز الحلف من غير استحلاف، لتفخيم الشيء وتوكيده.

٣- ومن قوله «أعطيت مفاتيح خزائن الأرض» معجزة لرسول الله ﷺ، فإن معناه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض، وقد وقع ذلك والحمد لله.

٤- ومن قوله «وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى» أن الأمة لا ترتد جملة، وقد عصمها الله تعالى من ذلك.

٥- ومن قوله «ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها» أن الأمة ستتنافس في الدنيا، وقد وقع ذلك أيضا.

٦- وأنها ستتقاتل من أجل الدنيا، ويهلك بعضها بعضها، وقد وقع.

٧- ومن قوله في الرواية السابعة أيضا «وأنا شهيد عليكم» أن الرسول ﷺ شهيد على أمته.

٨- ومن حديث أم سلمة، روايتنا السادسة، من قولها «إني من الناس» دليل لدخول النساء في خطاب الناس، وهذا متفق عليه، وإنما اختلفوا في دخولهن في خطاب الذكور، قال النووي: ومذهبنا أنهن لا يدخلن فيه.

٩- وفيه إثبات القول بالعموم.

١٠- قال الحافظ ابن حجر: وقد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة، رفعه «إن لكل نبي حوضا» وقد أشار الترمذي إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح. قال الحافظ ابن حجر: والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل نبي حوضا، وهو قائم على حوضه، بيده عصا، يدعو من عرف من أمته، إلا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا» وعند ابن أبي الدنيا، من حديث أبي سعيد، رفعه «وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام» - الجماعة الكثيرة فوق الأربعين - «ومنهم من يأتيه العصابة» - من العشرة إلى الأربعين - «ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة» قال الحافظ ابن حجر: فإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر، الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة.

١١- ومن الرواية الرابعة عشرة كرامة لأهل اليمن، في تقديمهم للشرب منه.

١٢- ومن قوله «أصحابي؟ أصحابي؟» في الرواية التاسعة، وقوله في الرواية الثانية «أعرفهم ويعرفوني» دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: «سحقا. سحقا» ولا يقول ذلك في مذنبى الأمة بل يشفع لهم، ويهتم لأمرهم.

١٣- ومن حديث أم سلمة، روايتنا السادسة الخطبة عند الأمر الهام.

والله أعلم

(٦٠٩) باب إكرامه صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معه

٥٢٣٣ - ٤٦ عن سعد بن عبد الله (٤٦) قال: رأيتُ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ وعن شمالِهِ، يومَ أُحدٍ، رجلينِ عليهما ثيابُ بياضٍ. ما رأيتُهُما قبلُ ولا بعدُ. يعني جبريلَ وميكائيلَ عليهما السلام.

٥٢٣٤ - ٤٧ عن سعد بن أبي وقاصٍ (٤٧) قال: لقد رأيتُ يومَ أُحدٍ، عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ وعن يساره، رجلينِ عليهما ثيابُ بياضٍ. يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ. ما رأيتُهُما قبلُ ولا بعدُ.

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿٤٦﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٤٨﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٧]

إن كفار قريش في غزوة بدر لم يكونوا يتجاوزون الألف، ولم تكن هزيمتهم في حاجة إلى مثل هذا العدد من الأدميين، فضلا عن الملائكة، ولكنه التكريم، وزف البشرى للنبي ﷺ والمؤمنين، وزيادة اطمئنان لهم بالنصر منذ الضربة الأولى، وليعلم المؤمنون أن النصر من عند الله.

لكن تكريما آخر من نوع جديد، ليس له مثيل في تاريخ البشرية، ينهزم جيش المسلمين في أحد، ويولون الأدبار، وقد أعلن أعداء الإسلام أن محمدا قتل، فربعضهم حتى وصل إلى المدينة، وفر بعضهم في شعاب الجبال، لينجو بنفسه، ويقف رسول الله ﷺ وليس معه، أو حوله سوى سبعة من الأنصار، وسبعة من قريش، أربعة عشر أمام جيش الكفر، كل أمنيته أن يقتلوا محمدا، كيف لم يصلوا إليه؟ كيف لم يقتلوه؟ أين رماتهم؟ ونبالهم؟ وسيوفهم؟ ورماحهم؟ لقد روى عبد الرزاق أنهم ضربوا وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة « كيف طاشت هذه الضربات؟ أو من الذي حماه منها؟ جواب كل ذلك في هذا الحديث.

يقول سعد بن أبي وقاصٍ (٤٧) لقد رأيتُ يومَ أُحدٍ، عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ، وعن يساره

(٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ (٤٧) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ حَدَّثَنَا سَعْدُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ

رجلين، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه، كأشد القتال، ما رأيتهما قبل هذا اليوم، وما رأيتهما بعد انتهاء المعركة.

إنهما جنديان من جنود الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا نِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٣١]
وأى تكريم لمحمد ﷺ يفوق هذا التكريم؟ وأى حماية تعلو هذه الحماية؟ وصدق الله العظيم إذ يقول
﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] صلى الله وسلم وبارك عليه.

المباحث العربية

(رأيت عن يمين رسول الله ﷺ، وعن شماله يوم أحد رجلين) الكلام على التوزيع، أى عن يمينه رجل، أى ملك فى صورة رجل، وعن شماله رجل، أو كانا يتبادلان المواقع، فكل منهما عن يمينه وشماله والظاهر الأول.

(ما رأيتهما قبل ولا بعد) كناية عن كونهما غريبين، وجبريل وميكائيل بالنسبة له كذلك.

(يقاتلان عنه، كأشد قتال) فرق بين « يقاتلان عنه » أى يدافعان عنه، ويصدان ضربات الكفار الموجهة إليه، ويحميانه ويعصمانه، وبين يقاتلان معه، أى يضربان الكفار ويحاربونهم معه ومع أصحابه، وقوله « كأشد قتال » صفة لمصدر محذوف، أى قتالا مشبها أشد القتال.

فقه الحديث

ترجم النووى - رحمه الله - لهذا الحديث بباب إكرامه صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم، ولا يؤخذ هذا من الحديث، إذ لفظه « يقاتلان عنه » وفرق بين اللفظين، كما ذكرنا فى المباحث العربية.

وقتل الملائكة أو نزول الملائكة فى المعارك ثابت بنص القرآن الكريم، إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَنْذِلَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٧] قال الحافظ ابن حجر: اختلف أهل التأويل فى متعلق قوله ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فمنهم من قال: هى متعلقة بقوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ فهى فى قصة بدر، وعليه عمل البخارى، وهو فى قول الأكثر، وبه جزم الداودى، وقيل: هى متعلق بقوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران: ١٢١] فعلى هذا هى متعلقة بغزوة أحد، وهو قول عكرمة وطائفة. اهـ.

وعلى كل. هل قاتلت الملائكة؟ أو نزلت للتثبيت والمدد وتكثير العدد؟ فقيل: إنها لم تقاتل أصلا، إذ لو قاتلت ما كانت هناك موازنة بين جيش المسلمين والكفار، ولما حصلت الهزيمة فى أحد، ولما

كان للمجاهدين فضل، بل كان يكفي قتال ملك واحد، فجببريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، وقيل: قاتلت قتالا يحفظ التوازن في الصورة، ليكون الفعل في الظاهر للنبي ﷺ وأصحابه، وقيل: قاتلت في بدر، وكانت مددا في أحد، وقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « قال النبي ﷺ يوم أحد: هذا جببريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب » قال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث وهم من وجهين، أحدهما أن هذا الحديث تقدم بسنده و متنه في باب شهود الملائكة بدرا، ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقني رواية البخاري، ولا استخرجه الإسماعيلي و لا أبو نعيم، ثانيهما أن المعروف في هذا المتن « يوم بدر » لا يوم أحد.

قال القرطبي في تفسيره: فإن قيل: قد ثبت عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: « رأيت عن يمين رسول الله ﷺ يوم أحد، رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه أشد القتال، ما رأيتهما من قبل ولا بعد » قيل: لعل هذا مختص بالنبي ﷺ، وخصه بملكين يقاتلان عنه، لا يقاتلان عن الصحابة، اهـ.

وقيل: إن في حديث سعد بن أبي وقاص وهما، ففي بعض النسخ « يوم بدر » لا يوم أحد، على أن الغرض من نزول هذين الملكين في « أحد » حماية الرسول ﷺ من الكفار، كما أوضحنا، والله أعلم.

ويؤخذ من الحديث

- ١- فضيلة الثياب البيض.
- ٢- وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء.
- ٣- ومنقبة لسعد بن أبي وقاص، الذي رأى الملائكة.
- ٤- وفيه كرامة للنبي ﷺ على الله تعالى، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل عنه.
- ٥- وبيان أن الملائكة تقاتل.
- ٦- وأن الملائكة تنزل في صورة الرجال.

والله أعلم

(٦١٠) باب من شجاعته صلى الله عليه وسلم

٥٢٣٥ - ٤٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٤٨) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس. وكان أجود الناس. وكان أشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فأنطلق ناس قبل الصوت. فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا» قال: «وجدناه بحراً. أو إنه لبحر» قال وكان فرساً يبطاً.

٥٢٣٦ - ٤٩ عن أنس رضي الله عنه ^(٤٩) قال: كان بالمدينة فزع. فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة يقال له مندوب. فركبه فقال «ما رأينا من فزع. وإن وجدناه لبحراً».

٥٢٣٧ - وفي رواية عن شعبة، بهذا الإسناد. وفي حديث ابن جعفر قال: فرسنا لنا. ولم يقل: لأبي طلحة. وفي حديث خالد: عن قتادة، سمعت أنسا.

المعنى العام

الشجاعة صفة محمودة، ما لم تصل إلى حد التهور، والإقدام بدون حكمة، والجبن صفة مذمومة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجبن.

وللرسول صلى الله عليه وسلم مواقف تشهد له بالشجاعة، بل مواقف شجاعة انفرد بها من بين أصحابه، وهذا الحديث صورة من صور شجاعته صلى الله عليه وسلم، يسمع ويسمع أصحابه أصواتا خارج المدينة، وهم يتوقعون أن يهاجمهم الأعداء في أى لحظة، فيظنون الأصوات هجوما، فيبادر صلى الله عليه وسلم بسيفه نحو مصدر الصوت، ويسبق إليه جميع الصحابة، حتى إنه ليكتشف الأمر ثم يعود، قبل أن يصل إليه السابقون من الصحابة، فيقابلهم، هو في طريق العودة، وهم في طريق الذهاب، برغم أن الفرس الذي ركبه لهذه المهمة كان مستعاراً مشهوراً بالبطء في سيره، لكن الله أكرمه، فحول الفرس من بطء إلى سرعة وجودة سير.

ومواقف شجاعته صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وكيفينا مثلاً عليها ما رواه البخارى في غزوة

(٤٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ
(٤٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ
- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ح وَحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ

حين، فقد ولى المسلمون وفروا حين رشقتهم هوازن بالنبال، عشرة آلاف أو يزيدون، يفرون ويقف صلى الله عليه وسلم وحده على بغلته البيضاء، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ويضرب بالسيف، ويبعث من ينادى على الفارين، فيعودون، ويقاثلون، فينتصرون.

لقد سأل رجل البراء بن عازب سؤالاً خبيثاً، فقال له: يا أبا عامر، أوليتم مع النبي ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، لقد كانت هوازن رماة، وإنما لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبيننا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهم، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وهو يقول أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(أحسن الناس) خلقا وخلقاً.

(وأشجع الناس) الشجاعة وسط بين التهور والجبن، بضم الجيم وسكون الباء.

(ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة) الفزع الخوف الشديد المفاجئ، وكان خوفهم من إغارة أعدائهم الكفار من حولهم، الذين يتريصون بهم، وكان فزعهم لسماعهم أصواتا خارج المدينة، ظنوها جيش أعداء، وفي الرواية الثانية « كان بالمدينة فزع » أى وجد بالمدينة فزع.

(فانطلق ناس قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء، أى جهة الصوت، لاستطلاع الخبر ولرد الاعتداء.

(فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت) إلى مكان مصدر الصوت، فلم يجد ما يخيف، فرجع إلى المدينة سريعاً، ليطمئنهم، فالتقى فى طريق عودته بالناس المنطلقين نحوه.

(وهو على فرس لأبى طلحة عرى) بضم العين وسكون الراء، أى ليس عليه سراج ولا أداة، قالوا: ولا يقال فى الأدميين: رجل عرى، إنما يقال: عريان، قال الحافظ ابن حجر: وحكى ابن التين أنه ضبط فى الحديث بكسر الراء وتشديد الياء، وليس فى كتب اللغة ما يساعده، اهـ. وفى رواية « استقبلهم على فرس عرى، ما عليه سرج » بضم السين والراء، وأبو طلحة هو أبو زيد بن سهل، زوج أم سليم، أم أنس، وفى الرواية الثانية « فاستعار النبي ﷺ فرساً لأبى طلحة، يقال له: مندوب، فركبه » وفى ملحق الرواية الثانية يقول أنس « استعار فرساً لنا » وهو كذلك، فأبو طلحة زوج أمه. والظاهر أن رسول الله ﷺ لم يكن عنده فرس ولا بغلة حينئذ، وهو فى حاجة إلى الإسراع.

قال النووى: وقع فى هذا الحديث تسمية هذا الفرس مندوباً، قال القاضى: وقد كان فى أفراس النبي ﷺ « مندوب » فلعله صار إليه، بعد أبى طلحة. هذا كلام القاضى، قلت: ويحتمل أنهما فرسان، اتفقا فى الاسم

(فى عنقه السيف) تعليق السيف فى العنق يحتاجه الفارس كثيرا، ليكون أعون له على مهامه الأخرى، وهو يشير إلى أنه لم يخرج أعزل مخاطرا، بل مسلحا مقدا ما.

(وهو يقول: لم تراعوا. لم تراعوا) مرتين، وفى رواية مرة واحدة، و« تراعوا » بضم التاء، مبنى للمجهول، مجزوم بحذف النون، يقال: راع، يروع، روعا بفتح الراء، فزع، وراع الأمر فلانا أفزعه، ثلاثى، وأراعه أفزعه أيضا من الرباعى. والمعنى لم يخفكم أحد، وليس فى الأمر شيء يفزعكم، وفى الرواية الثانية « ما رأينا من فزع » أى من شيء يفزع، قال النووى: « لم تراعوا » أى روعا مستقرا، أو روعا يضركم. اهـ يجيب بذلك عما قد يقال: كيف ينفى عنهم الروع، وقد حصل لهم الروع؟ وقد أجبنا بأن النفى موجه إلى سبب الروع، لا إلى الروع نفسه، حتى يجيب بما أجاب، وجوابنا أقرب إلى المراد.

(قال: وجدناه بحرا - أو إنه لبحر - قال: وكان فرسا يبطاً) أى كان فرس أبى طلحة فرسا يتهم بالبطء، ويوصف بسوء السير، وفى الكلام تقديم وتأخير، والأصل: وكان فرس أبى طلحة فرسا يبطاً - بضم الياء وفتح الباء، وجدناه بعد أن ركبته النبى ﷺ بحرا، أى واسع الخطو، سريع الجرى، قال الأصمعى: يقال للفرس: بحر، إذا كان واسع الجرى، أو لأن جريه لا ينفد، كما لا ينفد البحر، أى التشبيه بالبحر إما فى السعة، وإما فى الكثرة وعدم الانقطاع.

وفى الرواية الثانية « وإن وجدنا لبحراً » قال الخطابى: « إن » هى النافية، واللام فى « لبحراً » بمعنى « إلا » أى ما وجدناه إلا بحراً، قال ابن التين: هذا مذهب الكوفيين، وعند البصريين « إن » مخففة من الثقيلة، واللام زائدة. وهذه الجملة من مقوله صلى الله عليه وسلم، ثناء على الفرس الذى كانوا يتندرون ببطئه، وفى رواية البخارى « فلما رجع قال: ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحرا » وفى روايتنا الثانية « ما رأينا من فزع، وإن وجدناه لبحراً ».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- من شدة عجلته صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى العدو، قبل الناس كلهم، وتعريض نفسه لمواجهة العدو بمفرده، شجاعته صلى الله عليه وسلم.
- ٢- وفيه جواز سبق الإنسان وحده فى الكشف عن أخبار العدو، ما لم يتحقق الهلاك.
- ٣- واستحباب تقلد السيف فى العنق.
- ٤- واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف، وبتث الاطمئنان فيهم إذا ذهب ما يخيف.
- ٥- وفيه عظيم بركته صلى الله عليه وسلم ومعجزته فى انقلاب الفرس سريعا، بعد أن كان يبطاً.
- ٦- وفيه جواز ركوب الفرس العرى.
- ٧- وتواضعه صلى الله عليه وسلم.

- ٨- وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الفروسية البالغة، فإن الركوب المذكور، لا يفعله إلا من أحكم الركوب، وأدمن على الفروسية.
- ٩- وأنه ينبغي للفارس أن يتعاهد الفروسية، ويروض طباعه عليها، لئلا يفجأه شدة، فيكون قد استعد لها. قاله الحافظ ابن حجر.
- ١٠- وجواز استعارة الفرس ونحوه، والعارية بتشديد الياء ويجوز تخفيفها هي هبة المنافع، دون الرقبة، قال الحافظ ابن حجر: ويجوز توقيتها، وإذا تلفت في يد المستعير ضمنها، إلا فيما إذا كان ذلك من الوجه المأذون فيه.

والله أعلم

(٦١١) باب جوده صلى الله عليه وسلم

٥٢٣٨ - ٥١٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما (٥٠) قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير. وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. إن جبريل عليه السلام كان يلقاه، في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ. فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

المعنى العام

يراجع المعنى العام لأحاديث باب في سخائه صلى الله عليه وسلم الآتى بعد باب واحد.

المباحث العربية

(كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير) « أجود » بالنصب، خبر « كان » والمعنى كان أكثر الناس جوداً، والجود الكرم، وهو من الصفات المحمودة، وقدم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها على سبيل الاحتراس من مفهوم ما بعدها، لئلا يتخيل من قوله « وكان أجود ما يكون في شهر رمضان » أن الأجودية منه خاصة برمضان، فأثبت له الأجودية المطلقة أولاً، ثم عطف عليها زيادة ذلك في رمضان، وقوله « بالخير » أعم من الصدقة ومن المال، إذ الجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وعند الترمذي عن أنس، رفعه « أنا أجود ولد آدم، وأجودهم بعدى رجل علم علماً، فنشر علمه، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله ».

(وكان أجود ما يكون في شهر رمضان) برفع « أجود » في أكثر الروايات، على أنه اسم « كان » وخبره محذوف، وهو نحو أخطب ما يكون الأمير في يوم الجمعة، أو هو مرفوع على أنه مبتدأ، مضاف إلى المصدر، وهو « ما يكون » فما مصدرية، وخبره « في شهر رمضان » والتقدير: أجود أكوان رسول الله ﷺ في رمضان.

وفي رواية « أجود » بالنصب، على أنه خبر « كان » وتعقب بأنه يلزم منه أن يكون خبرها اسمها، وأجيب بجعل اسم « كان » ضمير النبي ﷺ، و « أجود » خبرها، والتقدير: كان رسول الله ﷺ مدة كونه

(٥٠) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاجِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ح وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍاءُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مِبْرَازٍ عَنِ يُونُسَ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلَاهِمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

فى رمضان أجود منه فى غيره. قال النووى: الرفع أشهر، والنصب جائز، قال الحافظ ابن حجر: ويرجح الرفع وروده بدون « كان » عند البخارى فى الصوم .

(إن جبريل عليه السلام كان يلقاه) الجملة مستأنفة استئنفاً تعليلياً، لبيان سبب الأجودية المذكورة، وفى رواية للبخارى « لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان » وفى رواية أخرى له « وكان أجود ما يكون فى رمضان، حين يلقاه جبريل » وفى آخر روايتنا « فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ».

(فى كل سنة فى رمضان، حتى ينسلخ) أى شهر رمضان، أى حتى ينقضى، قال النووى: هكذا فى جميع النسخ « فى كل سنة » ونقله القاضى عن عامة الروايات والنسخ، قال: وفى بعضها « كل ليلة » بدل « كل سنة » قال: وهو المحفوظ، لكنه بمعنى الأول، لأن قوله « حتى ينسلخ » بمعنى كل ليلة أهـ فالمراد من الروايتين: فى كل سنة فى كل ليلة من رمضان، أى بالإضافة إلى لقاءات أخرى فى السنة، لأسباب أخرى.

(فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن) أى ما نزل منه، وفى هذه الرواية أن رسول الله ﷺ هو الذى كان يعرض، وفى رواية للبخارى « كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ » والمعنى يستعرضه ما أقرأه إياه، فيحمل الأمر على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر، ويؤيده رواية للبخارى « فيدارسه القرآن ».

(فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة) مبالغة فى التشبيه، وذلك أنه أثبت له أولاً وصف الأجودية، ثم أراد أن يصفه بأزيد من ذلك، فشبهه جوده بالريح المرسلة، بل جعله أبلغ فى ذلك منها، لأن الريح قد تسكن، ووصفها بالمرسلة المبشرة بالخير، المطلقة ليحترس بذلك عن الريح العقيم الضارة، والمرسلة يستمر إرسالها مدة إرسالها، وكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم فى رمضان، ديمة لا ينقطع، فشبهه بريح الرحمة التى يرسلها الله تعالى، لإنزال الغيث العام، الذى يكون سبباً لإصابة الميتة وغير الميتة، أى فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، عموماً أكثر من عموم الغيث الناشئ عن الريح المرسلة.

واستعمل أفعال التفضيل فى الإسناد الحقيقى والمجازى، لأن الجود من النبي ﷺ حقيقة، والجود من الريح مجاز، فكأنه استعار للريح جوداً، باعتبار مجيئها بالخير، فأنزلها منزلة من جاد، وفى تقديم معمول « أجود » وهو « بالخير » على المفضل عليه نكتة لطيفة، وهى أنه لو أخره، لظن تعلقه بالمرسلة، وهذا وإن كان صحيح المعنى، إلا أنه تفوت به المبالغة، لأن المراد وصفه بزيادة الأجودية على الريح المرسلة مطلقاً. قاله الحافظ ابن حجر.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- استحباب زيارة الصلحاء وأهل الخير فى رمضان.

٢- وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه.

٣- واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان، لأن رمضان موسم الخيرات، ونعم الله على عباده زائدة فيه، وفيه تضاعف الحسنات.

٤- وأن قراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساوياً، لفعله رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام، فاجتمع بذلك أفضلية النازل، وأفضلية المنزول عليه، والمنزول به، والوقت.

٥- قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان، لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان، كما ثبت من حديث ابن عباس، فكان جبريل يتعاهده في كل سنة، فيعارضه بما نزل عليه، من رمضان إلى رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين، كما ثبت في الصحيح.

٦- وفيه أن القرآن يطلق على بعضه، وعلى معظمه، كما يطلق على كلمه، لأن أول رمضان من البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى رمضان الأخير، فكان قد نزل كله، إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور، وكان في سنة عشر، إلى أن مات رسول الله ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ومما نزل في تلك المدة قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فإنها نزلت يوم عرفة، والنبى ﷺ في عرفة، بالاتفاق، وكان الذى نزل في تلك الأيام لما كان قليلاً بالنسبة لما تقدم اغتفر أمر معارضته، قال الحافظ ابن حجر: فيستفاد من هذا أن القرآن يطلق على البعض مجازاً، ومن ثم لا يحنت من حلف: ليقرأن القرآن، فقرأ بعضه، إلا إن قصد الجميع، قال: ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءاً في جزء من الليلة، ثم يشتغل في ليلة بسوى ذلك من تهجد بالصلاة ومن راحة بدن، ومن تعاهد أهل، ولعله كان يعيد الجزء مراراً، ويتعدد الحروف المأذون في قراءتها، لتستوعب بركة القرآن جميع الشهر، ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، وفي السنة الأخيرة عرضه مرتين، لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده في بقية الليالي، وفي هذه المعارضة يحكم الله ما يشاء، وينسخ ما يشاء.

٧- وفيه أن مداومة تلاوة القرآن توجب زيادة الخير.

٨- وفيه المذاكرة مع الفاضل في القرآن والعلم، وإن كان الفاضل لا يخفى عليه ما يذاكره للعبادة، وزيادة الاتعاض.

٩- وفيه أن فضل الزمان إنما يحصل بزيادة العبادة فيه.

١٠- وأن ليل رمضان أفضل من نهاره.

١١- وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدنيوية.

- ١٢- وفيه جواز قول « رمضان » من غير « شهر ».
- ١٣- وفيه الحث على الجود فى كل وقت.
- ١٤- واستحباب زيادة الجود فى رمضان، وعند الاجتماع بأهل الصلاح.
- ١٥- وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس، لتقريبه إلى الأذهان.
- ١٦- وفيه جوده صلى الله عليه وسلم.
- ١٧- وفيه استحباب تكثير العبادة فى آخر العمر.

وسياتى بعد باب واحد أمثلة ووقائع

من جوده صلى الله عليه وسلم

(٦١٢) باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم

٥١- ٥٢٣٩ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٥١) قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ. وَاللَّهِ! مَا قَالَ لِي: أَقْبَا قَطُّ. وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟ زَادَ أَبُو الرَّبِيعِ لَيْسَ مِمَّا يَصْنَعُهُ الْخَادِمُ وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ وَاللَّهِ.

٥٢- ٥٢٤٠ - عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه (٥٢) قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي. فَاَنْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيْسٌ فَلْيَخِذْهُمَكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ. وَاللَّهِ! مَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟.

٥٣- ٥٢٤١ - عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه (٥٣) قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تِسْعَ سِنِينَ. فَمَا أَعْلَمْتُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَكَذَا وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ.

٥٤- ٥٢٤٢ - عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه (٥٤): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهَمَّ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ. فإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. قَالَ: فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ: فَقَالَ «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

- قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ! لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ. مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.

٥٥- ٥٢٤٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٥٥) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا.

(٥١) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَائِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

- وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ مَسْكِينٍ حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَائِيِّ عَنْ أَنَسِ بِمِثْلِهِ.

(٥٢) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسِ

(٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ وَهُوَ ابْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَنَسِ

(٥٤) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ قَالَ إِسْحَاقُ قَالَ أَنَسِ

(٥٥) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ وَأَبُو الرَّبِيعِ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي النَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ

المعنى العام

يقول صلى الله عليه وسلم « خير ما أعطى الناس خلق حسن » ويقول « إن أفضل شيء في الميزان الخلق الحسن » ويقول « إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء » ويقول « إن خياركم أحسنكم خلقا » ويقول « إن أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون » ويقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

وكان صلى الله عليه وسلم على قمة مكارم الأخلاق، حتى قال عنه ربه عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأبرز المواطن التي تظهر فيها الأخلاق المحمودة، والمذمومة مواطن التعامل مع الخلق، وأبرز هذه المواطن معاملة السيد للخادم.

ومن هنا ساق العلماء - دليلا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم - أحاديث معاملته صلى الله عليه وسلم لخدمته أنس، فقد هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولا خادم له، وأسلمت أم سليم، أم أنس وهو ابن عشر سنين، ومن حبها لرسول الله ﷺ، ورغبة منها في توثيق العلاقة والصلة به، قدمت ابنها هذا لرسول الله ﷺ خادما، فكان نعم الخادم، عند خير مخدوم. خدم عشر سنين، فرأى رسول الله ﷺ لم يضرب بيده الكريمة امرأة ولا خادما قط، بل كان عف اللسان، ليس فاحشا ولا متفحشا، ولا سبابا، ولا لعانا، حتى عند الغضب، وعند وقوع ما يستحق اللوم والعقاب، وعند رؤيته ما يكره، لدرجة أنه ما عاب طعاما قط، بل كان إذا اشتهاه أكله، وإن عافه تركه، وما أنب خادمه يوما، وما زجره، أو عنفه، بل ما قال له يوما عن شيء فعله وهو غير مرضى: لم فعلت كذا؟ وما قال له يوما عن شيء لم يفعله، وهو مطلوب: لم لم تفعل كذا؟ بل كان يبتسم و يوجه، ويألف ويؤلف، ويحلم ويتواضع، ويعفو ويحسن صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين) فى الرواية الثالثة وملحق الرابعة « خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين » ولا تعارض، لأن ابتداء خدمته له صلى الله عليه وسلم كان بعد قدومه المدينة، وبعد تزويج أم سليم بأبى طلحة، أى بعد قدومه صلى الله عليه وسلم ببضعة أشهر، فرواية العشر جبرت الكسر، ورواية « التسع » ألغت الكسر، والحقيقة تسع سنين وبضعة أشهر.

وفى الرواية الثانية « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، إن أنسا غلام كيس » - بفتح الكاف وتشديد الياء المكسورة أو المخففة الساكنة بعدها سين، أى عاقل فطن، متوقد الذكاء، ضد الأحمق - « فليخدمك، قال: فخدمته فى السفر والحضر » وأشار بالسفر إلى ما حصل من أنه خرج معه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر يخدمه، ففى البخارى « أن النبى ﷺ طلب من أبى طلحة - لما أراد الخروج إلى خيبر - من يخدمه، فأحضر له أنسا » أى طلب من أبى طلحة من يكون أسن من أنس، وأقوى على الخدمة فى السفر، وكان أنس إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، فعرف أبو طلحة من أنس القوة على ذلك فأحضره له، فخرج معه، فلهذا

قال: خدمته في الحضروالسفر، وفي رواية للبخارى أيضا عن أنس « كنت ابن عشر سنين، مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أمهاتي -يقصد أمه وخالته ومن في معناهما - يواظبنني - أي يرغبنني ويحثنني - على خدمة النبي ﷺ، فقدمته أمه، أم سليم للنبي ﷺ.

(**والله ما قال لي: أفا قط**) قال الراغب: أصل الأف كل مستقذر من وسخ، كقلامة الظفر وما يجرى مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به، ويقال أيضا عند تكره الشيء، وعند التضجر من الشيء، واستعملوا منها الفعل، يقولون: أففت بفلان.

وفي « أف » عدة لغات: الحركات الثلاث للهمزة مع تشديد الفاء، بغير تنوين، وبالتنوين، وهي في روايتنا « أفا » بالنصب والتنوين، على المصدرية، وهي موافقة لبعض القراءات الشاذة، وهي هنا مع ضم الهمزة والتشديد، وعلى ذلك اقتصر بعض الشراح، وذكر أبو الحسن الرماني فيها لغات كثيرة، بلغها تسعا وثلاثين، ونقلها ابن عطية، وزاد واحدة، أكملها أربعين، ومنها الستة المتقدمة، وبتخفيف الفاء كذلك ستة أخرى، وبالسكون مشددا ومخففا، وبزيادة هاء ساكنة في آخره مشددا ومخففا، و « أفي » بالإمالة، وبين بين، وبلا إمالة... إلخ.

وساقها الحافظ ابن حجر، فمن أرادها فليطلبها.

وأما « قط » ففيها لغات: بفتح القاف وضمها، مع تشديد الطاء المضمومة، وبفتح القاف وكسر الطاء المشددة، وبفتح القاف وإسكان الطاء، وبفتح القاف وكسر الطاء المخففة، وهي لتوكيد نفى الماضي.

(**ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟ ليس مما يصنعه الخادم**) أي

هذا الذي صنعت ليس مما يقبل من الخادم وفي الرواية الثانية « والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟ وفي الرواية التالية « فما أعلمه قال لي قط: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب على شيئا قط » وفي الرواية الرابعة « فما أعلمه قال لي قط: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب على شيئا قط » وأما قوله في الرواية الثالثة « أذهبت حيث أمرتك؟ » فليس من قبيل ما نفاه، لأن الاستفهام هنا، وإن كان إنكاريا توبيخيا، ومعناه ما كان ينبغي أن لا تذهب، لكنه ظاهر في العتب برفق، ويحتمل أن المراد ما قال لي كذا وكذا بغضب. بخلاف ما في الرواية الثالثة، فقد قال وهو يضحك، فالمنفى اللوم والتأنيب كما يفعل مع الخادم، والمثبت الحض والعرض والتوجيه، كما يفعل مع الأبناء والأحبة.

(**كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا**) بضم الخاء واللام، ويجوز إسكان اللام، قال

الراغب: الخلق بفتح الخاء، والخلق بضمها، في الأصل بمعنى واحد، كالشرب والشرب، لكن خص الخلق بالفتح، بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالضم، بالقوى والسجاي، المدركة بالبصيرة، اهـ. وقد كان النبي ﷺ يقول: « اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقى » وقال القرطبي في المفهم: الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على

الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجلود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادر ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك.

(فأرسلنى يوماً لحاجة) أى لأقضى حاجة له.

(فقلت: واللّه لا أذهب) الآن عاجلاً، أى قلت فى نفسى ذلك، رغبة منى فى اللعب قليلاً، فقد كان فوق العاشرة بقليل.

(وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبي الله ﷺ) أى لم يكن موقفى عصيان الأمر، وعدم تنفيذ، بل تأجيله قليلاً وتأخير، مع عزمى أن أنفذه.

(فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون فى السوق) أى فلعبت معهم، وانشغلت بلعبهم، وفى قوله « حتى أمر » تعبير عن الماضى بالمضارع، استحضاراً للصورة، والأصل: حتى مررت، وفى ذلك إشارة إلى أنه لم يقصد اللعب ابتداءً، بل وقع ذلك مصادفةً فى مروره بهم، وهو فى طريقه لقضاء الحاجة.

(يا أنيس: أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم. أنا أذهب يا رسول الله) الآن، فذهب و« أنيس » بضم الهمزة وفتح النون، تصغير « أنس » والجواب نعم تصديق للمخبر بنفى أو إيجاب، والاستفهام التقريرى خبر موجب، والمعنى هنا: أقر بأنك لم تذهب، فيكون الجواب نعم. أقر أننى لم أذهب، وسأذهب الآن، « وحيث » هنا ظرف مكان، مبنى على الضم فى محل نصب، كما فى قوله تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فقه الحديث

اختلف العلماء فى: هل حسن الخلق غريزة؟ أو مكتسب؟ فذهب جماعة إلى أنه غريزة، واستدلوا بحديث ابن مسعود « إن الله قسم أخلاقكم، كما قسم أرزاقكم » رواه البخارى، فى الأدب المفرد، وقال القرطبى فى المفهم: الخلق جبلة فى نوع الإنسان، وهم فى ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها، إن كان محموداً فحسن، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه، حتى يصير محموداً، وكذا إن كان ضعيفاً، فيرتاض صاحبه، حتى يقوى. اهـ.

وذهب جماعة إلى أن الخلق مكتسب، لأنه يقوم، وهو بالسلوك والتعود يصبح سجية وذهب المحققون إلى أن منه ما هو غريزة، ومنه ما هو مكتسب، ويؤيدهم ما رواه أحمد والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد وصححه ابن حبان « أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: إن فىك لخصلتين، يحبهما الله. الحلم والأناة، فقال: يا رسول الله، قديما كانا فى؟ أو حديثاً؟ فقال: قديما. قال: الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما » فترديده السؤال، وتقريره عليه، يشعر بأن فى الخلق ما هو جبلى، وما هو مكتسب.

ويؤخذ من الحديث

- ١- بيان كمال خلقه صلى الله عليه وسلم، وحسن عشرته، وحلمه وصفحه.
 - ٢- وترك العقاب على ما فات، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به، إذا احتيج إليه.
 - ٣- وتنزيه اللسان عن الزجر واللوم والذم.
 - ٤- واستئلاف خاطر الخادم.
- قال الحافظ ابن حجر: وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعا، فلا يتسامح فيها، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والله أعلم

(٦١٣) باب في سخائه صلى الله عليه وسلم

٥٦ - ٥٢٤٤ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٥٦) قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لَا.

٥٧ - ٥٢٤٥ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ أَبِيهِ^(٥٧) قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، اسْلُمُوا. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ.

٥٨ - ٥٢٤٦ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥٨) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، اسْلُمُوا. فَوَاللَّهِ! إِنْ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا. فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

٥٩ - ٥٢٤٧ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ^(٥٩) قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَفَتْحَ مَكَّةَ. ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَاقْتَتَلُوا بِحَتَّينِ. فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ. وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعْمِ، ثُمَّ مِائَةَ، ثُمَّ مِائَةَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللَّهِ! لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَا يُبْغِضُ النَّاسَ إِلَّا لِي. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لِأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ.

٦٠ - ٥٢٤٨ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٦٠) وَزَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا. فَقَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ. فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ. فَأَمَرَ مُنَادِيًا

(٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ الْمُثَنِّكَرِ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا الْأَشَجَعِيُّ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّكَرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولَا مِثْلَهُ سَوَاءً.

(٥٧) وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ أَبِيهِ

(٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

(٥٩) وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ

(٦٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ الْمُثَنِّكَرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا سُفْيَانَ عَنْ ابْنِ الْمُثَنِّكَرِ عَنْ جَابِرٍ وَعَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرٍ أَحَدُهُمَا يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍو وَاللَّفْظُ لَهُ قَالَ قَالَ سُفْيَانُ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُثَنِّكَرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سُفْيَانُ وَسَمِعْتُ أَيْضًا عَمْرُو بْنَ دِينَارٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

فَنَادَى: مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ. فَقُمْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطَيْتَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا» فَحَنَى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً. ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا. فَعَدَّدْتُهَا فَبَادَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ. فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا.

٥٢٤٩ - ٦١ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٦١) قَالَ: لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ، أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ عِدَّةٌ، فَلْيَأْتِنَا. بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

المعنى العام

الجود والكرم والسخاء، خلق أصيل من أخلاق العرب قبل الإسلام، كانوا يتفاخرون به، ويتنافسون فيه، حتى قال شاعرهم:

أوقد فإن الليل ليل قر
والريح يا غلام ريح صر
لعل أن يبصرها المعتر
إن جلبت ضيفا فأنت حر

لكنهم كانوا يتخلقون بهذا الخلق للرياء والسمعة والفخر والثناء الجميل، لا بقصد الثواب الأخرى، ولا بقصد رفعة الإسلام، لذلك يقول الطائي:

أماوى إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إني لا أقول لسائل
إذا جاء يوما حل فى مالى الدهر

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى السخاء والعطاء، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، لأنه معتمد متوكل على ربه، يجيئه الكثير، فلا يبقى منه شيئاً بل يخاف أن يبيت عنده ثلاثة دنانير للغد، تنتظر الإنفاق فيخشى أن يموت فى ليلة وهى فى بيته، فينصرف من صلاة العشاء، فزعا لينفقها على الفقراء، كان معطاء للمستحقين من الأمة، حاشا أهله الذين كانوا يمر عليهم الشهر والشهران، ثلاثة أهلة فى شهرين، وما توقد فى بيت من بيوته نار، لعدم وجود ما يطهى بالنار، بينما يعطى بالمائة بعير، والمائتى بعير، وبالثلثمائة بعير، هل رأيتم من يخنقه السائل ليعطيه، ويأمره بغلظة وجفاء وقله أدب، يستدين ليتصدق ويعطى، هل رأيتم من يخنقه السائل ليعطيه، ويأمره بغلظة وجفاء وقله أدب، فيبتسم للسائل ويعطيه؟ كان محمد ﷺ يفعل ذلك، يروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: «كنت أمشى مع النبى ﷺ، وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ، قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مرلى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم، فضحك، ثم أمر له بعطاء».

(٦١) مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُكَدَّرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ويروى البخارى أيضا عن جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ، ومعه الناس، مقبلا من حنين، تعلق الأعراب برسول الله ﷺ، يسألونه أن يعطيهم، حتى اضطروه إلى أن يحتمى بشجرة، فخطفوا رداءه، فوقف رسول الله ﷺ، فقال: أعطوني رداي، فلو كان عندي عدد هذه الأشجار إبطا لقسمته بينكم، ثم لا تجدونى بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانا.»

ويروى البخارى عن سهل بن سعد رضيه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ، محتاجا إليها، فلبسها، فرأها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال نعم، فأعطاها له، فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلى أكفن فيها « صلى الله وسلم وبارك على هذا الجواد الكريم.

المباحث العربية

(سخاؤه صلى الله عليه وسلم) قال أهل اللغة: السخاوة والسخاء والجود، والسخى الجواد، يقال: سخا يسخو، وسخى بكسر الخاء وفتح الياء، يسخى بفتح الخاء، وسخو الرجل بضم الخاء وفتح الواو يسخو سخاء.

وعلى هذا فذكر باب سخائه صلى الله عليه وسلم بعد باب جوده تفنن، وكأنه ذكر فى الباب الأول إثبات صفة الجود، وفى الباب الآخر أمثلة لهذا الجود، وقال الحافظ ابن حجر: والسخاء بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض، وضده البخل، وهو منع ما يطلب مما يقتنى، وشبهه ما كان طالبه مستحقا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول.

(ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا) فى رواية للبخارى « ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا » قال الكرمانى: معناه ما طلب منه شيء من أمر الدنيا، فمنعه، قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد أنه يعطى ما يطلب منه جزما، بل المراد أنه لا ينطق بالرد، بل إن كان عنده أعطاه، إن كان الإعطاء سائغا، وإلا سكت، فعند ابن سعد « إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت » وهو قريب من حديث أبى هريرة، الماضى فى الأتعمة « ما عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه ».

وقال العز بن عبد السلام: معناه لم يقل: لا. منعا للتعطاء، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذارا كما فى قوله تعالى قلت ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] ولا يخفى الفرق بين قوله ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وبين لا أحملكم. اهـ. وقول الفرزدق: ما قال: لا. قط إلا فى تشهده - أى فى قوله: أشهد أن لا إله إلا الله - من مبالغات للشعراء.

قال الحافظ ابن حجر: وفهم بعضهم من لازم عدم قول « لا » إثبات « نعم » وليس كذلك. وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى فقه الحديث، عند الكلام على حكم البخل.

(ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه) أى ما سئل فى مقابل الإسلام مالا إلا أعطاه، تأليفاً لقلوب الضعفاء، الذين يهتمهم المال فوق أى شيء، وقد كان يعلم - بعلم من الله - أن هذا الذى يعطى من أجل أن يسلم سيشرح الله صدره للإسلام بعد أن يسلم، وهذا معنى قول أنس فى الرواية الثالثة « إن كان الرجل ليسلم، ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها » أى فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيراً، حتى يكون الإسلام أحب إليه، والمراد أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا، لا بقصد صحيح بقلبه، ثم من بركة النبى ﷺ، ونور الإسلام، لا يلبث إلا قليلاً، وينشرح صدره بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها،

قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ « فما يسلم » وفى بعضها « فما يمسى » وكلاهما صحيح. اهـ. وتصديقا لهذا يصرح صفوان - فى الرواية الرابعة - بأن إعطاء رسول الله ﷺ له، بدأً ومحمد أبغض الناس إليه، ولم ينته حتى كان محمد أحب الناس إليه .

(فجاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين) أى فجاءه رجل ليسلم فى مقابل غنم، فأعطاه غنماً كثيراً، تشغل وتملاً ما بين جبلين، فالكلام كناية عن الكثرة، وفى الرواية الثالثة « أن رجلاً سأل النبى ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه » كان الظاهر أن يقول « إياها » لأن الغنم اسم مؤنث، موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث، وعليهما جميعاً، فإذا صغرتها أدخلت الهاء، فقلت: غنيمة، لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الأدميين، فالتأنيث لها لازم، يقال: له خمس من الغنم ذكور، فيؤنث العدد، وإن قصدت الكباش، إذا كان يليه « من الغنم » لأن العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ، لا على المعنى، والإبل كالغنم فى جميع ما ذكر، كذا فى لسان العرب، فتذكير الضمير فى الحديث باعتباره قطعياً، فالغنم القطيع من العنز والضأن.

(فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمداً يعطى عطاء، لا يخشى الفاقة) فى الرواية الثالثة « فأتى قومه، فقال: أى قوم، أسلموا، فوالله. إن محمداً ليعطى عطاء، ما يخاف الفقر ».

(وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية...) كانت غنيمة حنين أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وكان صفوان بن أمية ممن خرج إلى حنين وهو لم يسلم بعد، وأعطاه رسول الله ﷺ من الفىء تأليفاً لقلبه، ليسلم، كما أعطى بعض كبراء قريش، قريشى عهد بكفر، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأعطى العباس بن مرداس مائة.

وصفوان بن أمية بن خلف. قتل أبوه يوم بدر كافراً، قالوا: إنه هرب يوم فتح مكة، وأسلمت امرأته، فأخذ له ابن عمه أماناً من النبى ﷺ، فحضر، وحضر وقعة حنين قبل أن يسلم، قال يوم حنين: لأن يرينى رجل من قريش أحب إلى من أن يرينى رجل من هوازن، وكان صفوان أحد العشرة الذين انتهى إليهم شرف الجاهلية، ووصله لهم الإسلام من عشر بطون، ونزل صفوان - بعد حنين - على العباس بالمدينة، ثم أذن له النبى ﷺ فى الرجوع إلى مكة، فأقام بها، حتى مات بها، مقتل عثمان ؓ.

(لو قد جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، وقال بيديه جميعا)
أى وأشار بكفيه، وهو يقول: هكذا، والمقصود من مال البحرين مال الجزية، فقد كان رسول الله ﷺ
قد صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، وكان من أهل حضرموت، وكان ذلك سنة
الوفود، سنة تسع، وبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح، فأتى بمال الجزية، فوزعه صلى
الله عليه وسلم، ثم وعد جابراً أن يعطيه من جزية العام القابل.

(فقبض رسول الله ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين) الموعود به.

(فقدم على أبي بكر بعده) أى فقدم مال البحرين على أبي بكر، بعد وفاة رسول الله ﷺ، من
أميرها العلاء بن الحضرمي.

(فأمر منادياً فنادى: من كانت له على النبي ﷺ عدة أو دين فليأت) العدة الوعد، وفى
الرواية السادسة « من كان له على النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله » بكسر القاف وفتح الباء، أى
جهته « عدة فليأتنا ».

(فقلت فقلت... إلخ) أى قال جابر: فذهبت إلى أبي بكر، فقلت له كذا وكذا.

(فحذى أبو بكر مرة) أى حثوه، يقال: حثا التراب يحثوه، حثوا، وحذى التراب يحثيه حثياً،
والحثوة والحثية الغرفة والحفنة.

(خذ مثليها) عدا، لا حفنا وحثياً، فيكون مجموع ما أعطى جابر ألف وخمسائة، وفى رواية
للبخارى « قال جابر: فعد فى يدي خمسائة، ثم خمسائة، ثم خمسائة ».

فقه الحديث

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- جود النبي ﷺ وسخاؤه، وعدم ربه للسائل، قال الحافظ ابن حجر: لكن يشكل عليه أن فى حديث
الأشعري، لما سأل الأشعريون الحملان، قال النبي ﷺ « واللّه لا أحملكم » قال: فيمكن أن يخص
من عموم حديث جابر، بما إذا سئل ما ليس عنده، والسائل يتحقق أنه ليس عنده ذلك، أو حيث
كان المقام لا يقتضى الاقتصار على السكوت، من الحالة الواقعة، أو من حال السائل، كان يكون
لم يعرف العادة، فلواقترن فى جوابه على السكوت، مع حاجة السائل، لتمادى على السؤال مثلاً،
ويكون القسم على ذلك تأكيداً لقطع طمع السائل.

٢- استنبط بعضهم من الحديث تحريم البخل، لأنه من لازم عدم قول لا: إثبات نعم، ومن القواعد أنه
صلى الله عليه وسلم إذا واطب على شيء، أن ذلك علامة وجوبه، فواظب على قول نعم، أو على
عدم « لا » فالبخل حرام، لكن هذا الاستنباط لا يتم، لأن الذى يحرم من البخل ما يمنع الواجب،
ولو سلمنا أنه يدل على الوجوب، فلنا أن نقول: إنه يختص بالنبي ﷺ، والتحقيق أن من البخل
ما يحرم، ومنه ما يكره، ومنه ما يباح بل منه ما يستحب، بل ما قد يجب. واللّه أعلم.

٣- ومن الرواية الثانية والثالثة والرابعة إعطاء المؤلفة قلوبهم، وقد سبق، قال النووي: ولا خلاف في إعطاء مؤلفة المسلمين، لكن هل يعطون من الزكاة؟ فيه خلاف، والأصح عندنا أنهم يعطون من الزكاة، ومن بيت المال، والثاني: لا يعطون من الزكاة، بل من بيت المال خاصة، أما مؤلفة الكفار فلا يعطون من الزكاة، وفي إعطائهم من غيره خلاف، الأصح عندنا لا يعطون، لأن الله تعالى قد أعز الإسلام عن التألف، بخلاف أول الأمر، ووقت قلة المسلمين.

٤- ومن الرواية الخامسة أخذ البخارى أن من تكفل عن ميت ديناً، فليس له أن يرجع عن الكفالة، وقد استقر الحق في ذمته، وذلك أن أبا بكر لما قام مقام النبي ﷺ تكفل لما كان عليه، من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفى جميع ما عليه من دين أو عدة، وكان صلى الله عليه وسلم يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك.

وقد عد بعض الشافعية من خصائصه صلى الله عليه وسلم وجوب الوفاء بالوعد، أخذاً من هذا الحديث، قال المهلب: إنجاز الوعد مأموره، مندوب إليه عند الجميع، وليس بفرض. وقال ابن عبد البر: أجل من قال بوجوبه عمر بن عبد العزيز، وعن بعض المالكية إن ارتبط الوعد بسبب، وجب الوفاء به، وإلا فلا، فمن قال لآخر: تزوج ولك كذا، فتزوج لذلك وجب الوفاء به، وخرج بعضهم الخلاف على أن الهبة هل تملك، بالقبض، أو قبله؟

٦- وفيه قبول خبر الواحد المعدل من الصحابة، ولو جرد ذلك نفعاً لنفسه، لأن أبا بكر لم يطلب من جابر شاهداً على صحة دعواه.

٧- قد يستدل به على جواز حكم الحاكم بعلمه، على احتمال أن أبا بكر كان يعلم هذه العدة، فحكم بعلمه.

٨- وفيه فضيلة عظمى لأبي بكر، لتحمله ما تحمل صلى الله عليه وسلم، ووفائه بالوعد الذي وعده صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم

(٦١٤) باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال،

وتواضعه وفضل ذلك

٥٢٥٠ - ٦٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٦٢) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم ثم دفعه إلي أم سيف امرأة فبين يقال له أبو سيف فأنطلق يأتيه وأتبعته فأتتهنا إلي أبي سيف وهو ينفخ بكبيره قد امتلأ البيت دخاناً فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي فصمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول فقال أنس لقد رأيتُهُ وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا تقولوا إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمخزونون.

٥٢٥١ - ٦٣ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٦٣) قال ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليذخن وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ثم يرجع قال عمرو فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم انبي وأنه مات في الشدي وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة.

٥٢٥٢ - ٦٤ عن عائشة رضي الله عنها ^(٦٤) قالت قديم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أتقبلون صبيانكم فقالوا نعم فقالوا لينا والله ما نقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة وقال ابن نمير من قلبك الرحمة.

٥٢٥٣ - ٦٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٦٥) أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل

(٦٢) حدثنا هدا بن خالد وشيبان بن فروخ كلاهما عن سليمان واللفظ لشيبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك

(٦٣) حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لزهير قال حدثنا إسماعيل وهو ابن علية عن أيوب عن عمرو ابن سعيد عن أنس بن مالك

(٦٤) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال حدثنا أبو أسامة وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة (٦٥) وحدثني عمرو الناقد وابن أبي عمير جميعاً عن سفیان قال حدثنا سفیان ابن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة عن

أبي هريرة
- حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله

الْحَسَنَ فَقَالَ إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ
مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ.

٥٢٥٤ - ٦٦ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٦٦) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا
يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

المعنى العام

أنجب صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها سبعة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث، أما الذكور فهم القاسم، وبه كان يكنى، والطاهر والطيب، وقيل: إن الطاهر هو الطيب، وأما الإناث فهن فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وقد مات الذكور صغاراً بمكة فى عهد أمهم، ومات الإناث كلهن قبله، إلا فاطمة، التى عاشت بعده ستة أشهر، ولما أهديت إليه مارية القبطية أسكنها عوالى المدينة وضواحيها بعيدة عن نسائه، ولم يقسم لها، بل كان يأتيها بدون قسم، فهى مملوكة، وشاء الله أن لا تلد له امرأة من التسع، مع أن بعضهن كانت ولوداً عند غيره، وشاء الله أن تلد الأمة ولداً، قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بعامين، وكأى بشر كبير السن، ليس له ولد حى، فرح بالولد الجديد، فرحا كفرح زكريا بيحيى، أو كفرح إبراهيم بإسماعيل، وفى أول ليلة بشر به سماه إبراهيم، واختار له مرضعة بجوار سكن أمه، وكانت المرضعة زوجة حداد، يملأ بيته دائماً بالدخان، ونفخ الكير، وأخذ رسول الله ﷺ يزور ابنه هذا بين الحين والحين، فيأخذه، فيشمه ويضمه ويقبله، ثم يسلمه لمرضعته، ويعود إلى المدينة، وكثيراً ما كان يأخذ معه أنس بن مالك خادمه، أو بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف.

وشاء القدر أن لا تطول فرحة الأب بابنه، فقد مرض الطفل وعمره ثمانية عشر شهراً، وشق على الوالد مرض ولده، فذهب إليه وهو يحتضر، فأخذه وضمه وشمه وقبله، ونفسه فى حشرجة الموت، يعلو فى صدره وينخفض، إن قلب الأب يتقطع، فهو بشر، ولا يملك لفلذة كبده شيئاً، وهو أرحم الناس بالناس، فكيف بابنه الوليد، لقد سقطت دموعتان من عينيه أمام أصحابه، وكان عبد الرحمن بن عوف قد سمعه ينهى عن البكاء عند الميت، فقال له: رسول الله. ما هذا الذى أرى؟ أنت تبكى؟ وكنت تنهى عن البكاء؟ فأتبع رسول الله ﷺ الدمعتين بدمعتين أخريين، وقال: إنما هذه رحمة، وشفقة، لا سخط ولا اعتراض على قدس، لكنه حزن الإنسان، الذى لا يملك دفعه أو كتمانها، وحزنى على موت

(٦٦) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَا أَخْبَرَنَا
عِيسَى بْنُ يُونُسَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ يَعْنَى
ابْنُ غِيَاثٍ كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسِ بْنِ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو
بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالُوا حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ
بِمِثْلِ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ

إبراهيم شديد، وعاش صلى الله عليه وسلم بعده ثلاثة أشهر، وكان صلى الله عليه وسلم عطوفاً رحيماً بالأطفال، لدرجة تلفت النظر، في البيئة العربية، يصحب معه في المسجد أمانة بنت أبي العاص، ابنة ابنته زينب، تقام الصلاة، فيحملها ويقف، ويقرأ فإذا ركع وضعها على أرض المسجد، يخشى عليها أن تقع منه عند الركوع، ويسجد بجوارها، فإذا قام للركعة الثانية حملها، وهكذا حتى يكمل صلاته، وابنة ابنته على كتفه وصدرة، وأمّام الوفود، وأكابر القوم يقبل الحسن والحسين، ابني فاطمة، فيعجب الكبراء ويقولون: أهكذا تقبلون أطفالكم؟ فيقول: نعم، فيقول أحدهم: إن لى عشرة من الأبناء، ما قبلت واحداً منهم، فيقول صلى الله عليه وسلم: وماذا أفعل؟ وما ذنبى، إذا كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة؟ أما نحن فقد غرس الله الرحمة فى قلوبنا. صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(ولد لى الليلة غلام، فسميته باسم أبى إبراهيم) وكان إبراهيم من مارية القبطية، قال الحافظ ابن حجر: على أنه ولد فى نى الحجة، سنة ثمان.

(ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له: أبوسيف) فى الكلام مجاز المشاركة، أى أراد أن يدفعه إلى مرضعة، تسمى أم سيف، وزوجها يقال له: أبوسيف، وكان حدادا، ينفخ للحديد فى كير، والقين بفتح القاف، وسكون الياء بعدها نون، هو الحداد، ويطلق على كل صانع، ولكن المراد هنا الحداد، وأم سيف اسمها أم بردة خولة بنت المنذر، من بنى عدى بن النجار، وعند ابن سعد فى الطبقات « لما ولد إبراهيم للنبي ﷺ تنفاست فيه نساء الأنصار، أيتهن ترضعه؟ فدفعه صلى الله عليه وسلم إلى أم بردة ».

(فانطلق يأتیه، واتبعته) الظاهر أن جارية حملته، وسارت مع رسول الله ﷺ ومعهما أنس ابن مالك.

(فانتھيا إلى أبى سيف) أى قرينا من بيت أبى سيف.

(وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانا) هكذا رأوه قبل أن يدخلوا.

(فأسرعت المشى بين يدى رسول الله ﷺ) لأوقف أبى سيف عن العمل، ليخف الدخان، حتى يدخل رسول الله ﷺ.

(فقلت: يا أبى سيف، أمسك) عن نفخ الكير، وإثارة الدخان.

(فدعا النبى ﷺ بالصبى) من حاملته.

(فضمه إليه) أى سلمه لأبى سفيان، لترضعه أم سيف، وليبقى فى بيتها مدة إرضاعه.

وفى الرواية الثانية « كان إبراهيم مسترضعا له فى عوالى المدينة » وهى قرى على مشارف المدينة، وكانت مارية تسكنها « فكان ينطلق » صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى هذه العوالى بين الحين والحين، ليرى ابنه « ونحن معه، فيدخل البيت، وإنه ليدخن، وكان ظئره قينا » أى وكان زوج

المرأة التي ترضعه حدادا، والظئر بكسر الظاء وسكون الهمزة بعدها راء هو المرضع، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة، إذا عطفت على غير ولدها، فقليل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها، لأنه يشاركها في تربيته غالبا، فلفظة «الظئر» تطلق على الأنتى والذكر «فيأخذه، فيقبله، ثم يرجع» إلى المدينة.

(قال أنس: لقد رأيت - أى رأيت إبراهيم - وهو يكيد بنفسه، بين يدي رسول الله ﷺ) فى رواية للبخارى « قال أنس: ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه » أى يموت، أى يخرج نفسه، ويدفعها، كما يدفع الإنسان ماله، ومعنى «وهو يكيد بنفسه» أى يسوقها.

(قدمعت عينا رسول الله ﷺ) فى رواية للبخارى «فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان» أى يجرى دمعهما.. وعند البخارى «فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله؟» أى الناس لا يصبرون على المصيبة، وأنت تفعل كفعالهم؟ كأنه تعجب من ذلك، مع عهده منه أنه يحث على الصبر، وينهى عن الجزع.

(فقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله - يا إبراهيم - إنا بك لمحزونون) « ما يرضى » بفتح الياء وسكون الراء وفتح الضاد، و« ما » موصولة، والعائد مفعول « يرضى » محذوف، أى ما يرضاه ربنا وفى رواية للبخارى «فقال يا ابن عوف. إنها رحمة - أى الحالة التي شاهدهتها منى هي رقة القلب على الولد، لا ما توهمته من الجزع -» أى أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى» وقيل: أتبع الكلمة الأولى المجملة، وهي قوله «إنها رحمة» بكلمة أخرى مفصلة، وهي قوله «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» وفى رواية «قال عبد الرحمن ابن عوف: تبكى يا رسول الله؟ أولم تنه عن البكاء؟ وزاد فيها» قال صلى الله عليه وسلم: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين. صوت عند نعمة لهو، ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، خمشة وجوه، وشق جيبوب، ورنه شيطان» قال: إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم» وفى رواية «إنما أنا بشر» وفى رواية «أنهى الناس عن النياحة، أن يندب الرجل بما ليس فيه» وفى رواية «ولانقول ما يسخط الرب» فى رواية «لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل نأتيه، وإن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا».

(فيدخل البيت وإنه ليدخن) بضم الياء وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء، يقال: ادخنت النار البيت، بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة وفتح الخاء والنون أى ملأته دخانا.

(إن إبراهيم ابني، وإنه مات فى الثدى، وإن له لظئرين، تكملان رضاعه فى الجنة) مات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وجزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر، وقال ابن حزم: مات قبل النبى ﷺ بثلاثة أشهر، ومعنى «وإنه مات فى الثدى» أى فى سن رضاع الثدى، أو فى حال تغذية بلبن الثدى، ومعنى «وإن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة» أى إن له مرضعتين تتمان رضاعه سنتين، فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن، قال صاحب التحرير: وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم ﷺ يكون عقب موته، فيدخل الجنة، متصلا بموته، فيتم رضاعه، كرامة له ولأبيه صلى الله عليه وسلم.

(قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكننا - والله - ما نقبل) وفى الرواية الرابعة « أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن، فقال: إن لى عشرة من الولد، ما قبلت واحدا منهم » وعند البخارى « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد، ما قبلت منهم واحداً » وفى رواية للبخارى « جاء أعرابى إلى النبي ﷺ، فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم » قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون المراد بالأعرابى الأقرع المذكور فى الحديث الذى قبله، ويحتمل أن يكون المراد به قيس ابن عاصم التميمى السعدى، فقد أخرج أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى ما يشعر بذلك، ووقع نحو ذلك لعينيه بن حصن بن حذيفة الفزارى، أخرجه أبو يعلى فى مسنده بسند رجاله ثقات، ويحتمل أن يكون قد وقع ذلك لجميعهم - فرادى أو مجتمعين - فقد روى مسلم « قدم ناس من الأعراب، فقالوا... »

(وأملك؟ إن كان الله نزع منكم الرحمة) الكلام على الاستفهام الإنكارى، بمعنى النفى، وحذفت أداة الاستفهام، وأصلها: أو أملك؟ بفتح الواو والهمزة الأولى، كما هى فى رواية البخارى، أى ماذا أملك لك؟ أى لا أملك لك شيئاً، وقد نزع الله الرحمة من قلبك، أى لا أقدر أن أجعل الرحمة تملأ قلبك، بعد أن نزعها الله منه، وفى رواية « وما أملك؟ » وفى رواية « ما ذنبى إن كان..؟ » وفى روايتنا « إن كان الله نزع منكم الرحمة » بكسر همزة « إن » وهى أداة شرط، وما بعدها فعل الشرط، وجوابه محذوف، دل عليه ما قبله، أى إن كان الله قد نزع منكم الرحمة فلا أملك لكم شيئاً.

وفى رواية للبخارى « أن نزع الله من قلبك الرحمة » بفتح همزة « أن » مصدرية، والمصدر مفعول « أملك ».

(من لا يرحم لا يرحم) وفى الرواية الخامسة « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزوجل » قال القاضى عياض: هو للأكثر بالرفع فيهما على الخبر، فمن موصولة، وقال أبو البقاء: يجوز أن تكون شرطية، فيقرأ بالجرم فيهما، قال السهيلي: جعله على الخبر أشبه بسياق الكلام، لأنه سيق للرد على من قال: إن لى عشرة من الولد... إلخ « أى الذى يفعل هذا لا يرحم، ولو كانت شرطية لكان فى الكلام بعض انقطاع، لأن الشرط وجوابه كلام مستأنف، قال الحافظ ابن حجر: لكن الشرط أولى من جهة أخرى، لأنه يصير من نوع ضرب المثل، ورجح بعضهم كونها موصولة، لكون الشرط إذا أعقبه نفى ينفى غالباً بلم، قال الحافظ: وهذا لا يقتضى ترجيحاً إذا كان المقام لائقاً لكونها شرطية.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

- ١- من الرواية الأولى جواز تسمية المولود يوم ولادته.
- ٢- وجواز التسمية بأسماء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.
- ٣- ومن الأولى والثانية استتباع العالم الكبير بعض أصحابه، إذا ذهب إلى منزل قوم ونحوه.

- ٤- من قول أنس « واتبعته » الأدب مع الكبار.
- ٥- ومن قوله فى الرواية الثانية « فىأخذه فىقبله » مشروعفة تقبيل الأطفال الرضع.
- ٦- ومن الروائفة مشروعفة الرضاع بغير الأم.
- ٧- وعبادة الصغفر.
- ٨- والحضور عند المحتضن.
- ٩- والرحمة بالعبال.
- ١٠- قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو أبفن شفاء وقع فى هذا المعنى.
- ١١- وففه جواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى.
- ١٢- ومن مخاطبة الرسول ﷺ ولده، مع أنه فى تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب، لصغره واحتضاره مخاطبة الإنسان وإرادة غيره بذلك الخطاب.
- ١٣- قال بعضهم: ففه دليل على تقبيل الميت، ورده ابن التين بأن القصة إنما وقعت قبل الموت.
- ١٤- وففه فضيلة وخاصة لإبراهيم ﷺ، لتكملة إرضاعه فى الجنة بمرضعتفن.
- ١٥- ومن الرواية الثالثة وما بعدها جواز تقبيل الولد الصغفر فى كل عضو منه، قال ابن بطال: كذا الكبفر عند أكثر العلماء، ما لم يكن عورة، فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يقبل فاطمة، وكذا كان أبو بكر يقبل عائشة رضى الله عنهم.
- ١٦- قال الحافظ ابن حجر: وفى جواب النبى ﷺ للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل والمحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة، لا للذة والشهوة، وكذا الضم والشمة والمعانقة اهـ.
- أى إن كان للشفقة والرحمة جان، وإلا منع.

والله أعلم

(٦١٥) باب حياته صلى الله عليه وسلم

٥٢٥٥ - ٦٧ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(٦٧) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.

٥٢٥٦ - ٦٨ عن مسروق ^(٦٨) قال دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً قال عثمان حين قدم مع معاوية إلى الكوفة.

المعنى العام

يراجع المعنى العام لأبواب الحياء في كتاب الإيمان.

المباحث العربية

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها) العذراء البكر، وجمعه عذارى بفتح الراء، وعذار، ويقال: ذرة عذراء، أى لم تثقب، ورملة عذراء، أى لم توطأ، والعذرة بضم العين وسكون الذال البكارة، وعذر الطبيب الغلام والجارية عذرا بفتح العين وسكون الذال ختنها، والخدر بكسر الخاء، وسكون الدال الستر يجعل للبكر جنب البيت، وقوله « فى خدرها » من باب التميم لما قبلها، لأن العذراء فى الخلوة يشتد حياؤها، أكثر مما تكون خارجة عنه، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فالظاهر أن المراد تقييده بما إذا دخل عليها فى خدرها، لاحتث تكون منفردة فيه،

(وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه) أى لا يتكلم به لحياؤه، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن كراهيته.

وقد ساق البخارى هذه الجملة كحديث مستقل، وهى إشارة إلى تصحيح أنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه، بل يتغير وجهه، وعند أبى داود « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولونه؟ »

(٦٧) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَنَادَةَ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُثَيْبَةَ يُحَدِّثُ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَأَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَنَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عُثَيْبَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ

(٦٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ مَسْرُوقٍ - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَغْنِي الْأَحْمَرَ كُلَّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

هذا وللحياء باب، بل أبواب مضت في كتاب الإيمان.

(لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً) أى ناطقا بالفحش، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيئ، والمتفحش المتكلف لذلك، أى لم يكن الفحش له خلقاً، ولا مكتسباً، وعند الترمذى « سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ؟ فقالت: لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح » وللبخارى في الأدب المفرد « لم يكن رسول الله ﷺ سباباً، ولا فحاشاً، ولا لعاناً ».

(إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً) في رواية البخارى « أحسنكم أخلاقاً » وحسن الخلق اختيار الفضائل، وترك الرذائل، وقد سبق قبل ثلاثة أبواب باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

فقه الحديث

سبق في كتاب الإيمان شرح الحياء اللغوى والشرعى والممدوح منه والمذموم بما يغنى عن الشرح والإعادة.

والله أعلم

(٦١٦) باب تبسمه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته

٥٢٥٧ - ٦٩ - عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ (٦٩) قَالَ قُلْتُ لِحَبِيبِ بْنِ سَمُرَةَ أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَاةِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] أى خلق فى الإنسان الضحك والبكاء، فالضحك خاصة من خواص الإنسان، قد يشاركه فيه بقدر ضعيف بعض الحيوانات، وهو تعبير عن وجدان داخلى بالسرور أو الإعجاب أو الدهشة أو الرضا.

وكلما كان تعبيراً دقيقاً عن درجة هذا الوجدان، وكلما كان صادقا مطابقاً لهذا الشعور الداخلى كان مقبولاً شرعاً وعرفاً فإن زاد، أو انحرف، بأن تكرر من غير سبب، كان علامة على قلة الأدب، وإن كثر وزاد - ولو بسبب - ألمات القلب، وصار عادة تغلب صاحبها عند عدم السبب.

وللضحك والابتسام آداب وحدود، يحكم بها العرف والشرع، فالضحك استهزاء وسخرية ذميم، وضحك المرأة وابتسامتها للأجنبى مطمع فيها، والضحك فى وقت الجد وأمام الكبراء غير حميد، والضحك فى مواقف الحزن كريبه ومعيب وزيادة الضحك عن حدودها، يرفع الصوت واستمرار الفهقهة كما يفعل الحشاشون والسكرارى أمر مشين.

وما أحسن ما كان عليه صلى الله عليه وسلم، إذ كان يضحك فى المناسبة ويقدر الحاجة، ولا يزيد على التبسم.

المباحث العربية

(قال: نعم. كثيرا) صفة لمفعول مطلق محذوف، والتقدير: كنت أجالسه جلوساً كثيراً.
(وكانوا يتحدثون، فيأخذون فى أمر الجاهلية) الضمير للصحابه الجالسين معه بعد الصلاة، والمراد بأمر الجاهلية أخبارها وأحوالها التى يمجه العقل، كمن صنع إلهاً له من عجوة، فلما جاع أكله.

(٦٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ

(فيضحكون، ويتبسم صلى الله عليه وسلم) قال أهل اللغة: التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه، وانفراج الفم حتى تظهر الأسنان، فإن كان بصوت بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، وتسمى الأسنان فى مقدم الفم الضواحك، وهى الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ جمع ناجذة، وهى الأضراس.

فالضحك يطلق على مراحل إظهار السرور فى الوجه، وتبدأ بانبساط الأسارى، وانبساط الشفتين دون فتحهما، وبدون صوت يسمعه من بجوارك، المرحلة الثانية تزيد على الأولى انفتاح الشفتين دون ظهور الأسنان، المرحلة الثالثة كالثانية مع ظهور الرباعيات، أى الأسنان الأربع الأمامية علويًا وسفليًا، المرحلة الرابعة ظهور الأنياب، المرحلة الخامسة ظهور الأضراس، المرحلة السادسة ظهور اللهوات، جمع لهاء، وهى اللحمة المشرفة على الحلق، وتطلق على الجزء الأخير من سقف الحلق، المطبق على الفك الأسفل، وكل هذه المراحل الست تدخل فى التبسم، ما دامت بلا صوت يسمع، فإن صاحبها صوت ضحك فهى القهقهة، ولو كانت بدون فتح الشفتين، فكل ابتسامة ضحك، وليس كل ضحك ابتسامًا.

وكل ما حصل منه صلى الله عليه وسلم ابتسام بمراحله الست، كما سنوضح ذلك فى فقه الحديث، ولم يحصل منه قهقهة أصلاً، فى البخارى «وما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم».

فقه الحديث

كان الأغلب فى أحواله صلى الله عليه وسلم التبسم بالمراحل الثلاث الأوليات، وقلمما استعمل المرحلة الرابعة والخامسة وندراستعماله للمرحلة السادسة، ويحمل وصفه صلى الله عليه وسلم بالضحك أو التبسم على المرحلة الأولى والثانية والثالثة، كل حسب المقام، كما فى حديث الأعرابى الذى جذبه من ثوبه، حتى أثر الجذب فى صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم، وقال له: أعطنى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم، فضحك، ثم أمر له بعتاء « وكما فى حديثنا، وحين المبالغة فى التبسم تذكر المرحلة، وينص عليها غالباً، وفى حديث الرجل الذى جامع فى رمضان، حين قال: والله ما بين لابتياها أهل بيت أفقر منا، « ضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه » وفى رواية « حتى بدت أنيابه » نعم فى حديث لعائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيه صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا، حتى أرى منه لهواته » فنفت عنه المرحلة السادسة، لكن قال ابن بطال: المثبت مقدم على النافى.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى معظم أحواله لا يزيد على التبسم - أى فى مراحله الثلاث الأخيرة - قال: والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه، أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار، قال ابن بطال: والذى ينبغى أن يقتدى به من فعله، ما واظب عليه من ذلك، فقد روى البخارى فى الأدب المفرد وابن ماجه من وجهين عن أبى هريرة، رفعه « لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب »

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- استحباب الذكر بعد صلاة الصبح.

٢- وملازمة مجلس صلاة الصبح ما لم يكن عذر، قال القاضي: هذه سنة، كان السلف وأهل العلم يفعلونها، ويقتصرون في ذلك الوقت على الذكر والدعاء، حتى تطلع الشمس.

٣- جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم.

٤- وجواز الضحك المحدود، فقد أقر صلى الله عليه وسلم صحابته على ضحكهم، والمكروه إكثاره، وهو في أهل المراتب والعلم أقبح.

٥- حسن عشرته صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم

(٦١٧) باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء، والرفق بهن

٥٢٥٨ - ٧٠ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٧٠) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدٌ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ، سَوِّقًا بِالْقَوَارِيرِ».

٥٢٥٩ - ٧١ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٧١) أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَتَى عَلَى أَرْوَاجِهِ، وَسَوِّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ. فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدًا سَوِّقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعَبْتُمُوهَا عَلَيْهِ.

٥٢٦٠ - ٧٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٧٢) قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَهِنَّ يَسُوقُ بِهِنَّ سَوِّاقٌ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ أَنْجَشَةَ! رُوَيْدًا سَوِّقَكَ بِالْقَوَارِيرِ».

٥٢٦١ - ٧٣ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٧٣) قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رُوَيْدًا يَا أَنْجَشَةُ! لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ! يَعْنِي ضَعْفَةَ النِّسَاءِ».

٥٢٦٢ - ٧٤ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(٧٤) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. وَلَمْ يَذْكُرْ: حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ.

المعنى العام

يقول صلى الله عليه وسلم «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» ويقول «اتقوا الله فى النساء، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

ومن مسلمات الحياة أن المرأة ضعيفة البنية، ناعمة الصوت والملمس، رقيقة الحس، مرهفة العواطف، كالزجاجة الرقيقة، بل كزجاجة المصباح، فائدتها فى شفافيتها وصفائها، وفى وقايتها والحفاظ عليها، وفى صيانتها وحمايتها من ألداس البيئة وعواصف الأهواء، ولذا شبهوها بالزجاجة

(٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَقَتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ جَمِيعًا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ

- وَحَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو كَامِلٍ قَالُوا حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(٧١) وَحَدَّثَنِي عُمَرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عُثَيْبَةَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ

(٧٢) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ حَدَّثَنَا التَّمِيمِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

(٧٣) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَنَادَةُ عَنْ أَنَسٍ

(٧٤) وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَنَادَةَ عَنْ أَنَسٍ

والقارورة، يقول صلى الله عليه وسلم فى الوصاية بها « رفقا بالقوارير » والقوارير يضرب بها المثل فى سرعة الكسر، وعدم قبول الإصلاح والجبر، يقول الشاعر:

ارفق بعمرؤ إذا حركت نسبته .
فإنه عربى من قوارير

والإسلام يعتز بالمرأة، ويصونها، ويعتبر حصانتها أساس حياتها، من هنا أحاطها بسياس من وسائل الحفظ والتكريم، حتى فى الجنة، وصفها القرآن الكريم بقوله ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]، ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصفات: ٤٨-٤٩]، ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣] حرص الإسلام على راحتها إن هى أقامت، فأوجب لها على الرجل السكنى والنفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف وإن هى سافرت، حتى لا تسافر مسافة قصر بدون زوج أو محرم، تركب ويمشى الرجل، وعليه أن يهيئ لها فى مركبها ما يريحها من هودج وفراش وثير، ومشى وثيد، بل وأن يحدو لها الحادى، ويغنى لها لينعشها فى سفرها، كالطفل تغنى له أمه، وتحننه، وتهدهده، وها هو رسول الله ﷺ، يسافر ببعض نسائه، فيهيئ لهن الركائب، ويعد لهن الهوادج، ويخصص لهن عبدا خادما، يقودهن، ويراعى مصالحهن، ويحدولهن، ولا يكتفى صلى الله عليه وسلم بذلك، بل يرمى بنفسه شئونهن، ويتعهد أحوالهن، فيذهب إلى رحلهن بنفسه، يطمئن عليهن، ويوصي بهن ويراحتهن، فيقول للخادم: يا أنجشة، ارفق بهن فى سوقك، وارفق بهن فى حدوك وغنائك، فإنهن كالقوارير. فهل رأيت حنانا ورقة وعطفاً على النساء مثل هذا؟ صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(كان رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وغلام أسود، يقال له: أنجشة، يحدو) فى الرواية الثانية « أن النبى ﷺ أتى على أزواجه، وسواق يسوق بهن، يقال له: أنجشة » وفى الرواية الثالثة « كانت أم سليم مع نساء النبى ﷺ، وهن يسوق بهن سواق » وفى الرواية الرابعة « كان لرسول الله ﷺ حاد حسن الصوت » وفى رواية البخارى « أتى النبى ﷺ على بعض نسائه » وفى رواية « وكان معهم سائق وحاد » وفى أخرى « كان أنجشة يحدو بالنساء، وكان البراء يحدو بالرجال » وفى رواية « وأنجشة غلام النبى ﷺ يسوق بهن » وفى رواية « وكان يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم » أى نساء المؤمنين.

فمن هذه الروايات يتبين أن الرحلة كانت رحلة سفر، وفيها رجال ونساء، من غير اختلاط، فللرجال حاد، وللنساء حاد، وكان فى ركب النساء بعض أزواج النبى ﷺ، كل واحدة فى هودج على بعير، وأن أنجشة كان سائق ركب النساء وحاده، وكان غلاما أسود، حبشيا حسن الصوت، قيل: كان يكنى أبا مارية، وأنه كان ممن نفاهم النبى ﷺ من المخنثين.

وأن أم سليم، أم أنس، كانت مع نساء النبى ﷺ وأن النبى ﷺ أراد أن يطمئن على ركب النساء، فلأتى عليهن، والظاهر أنه أحس بركبهن ما يشغله عليهن، وفى رواية « فاشتد عليهن السياق » أى أسرع بركبهن بسبب انسجام الإبل بالحداء، وفى رواية « فإذا أعنقت الإبل » أى أسرع.

(فقال له رسول الله ﷺ: يا أنجشة. رويدك، سوقا بالقوارير) فى الرواية الثانية « فقال: ويحك يا أنجشة، رويدا، سوقك بالقوارير» وفى الرواية الثالثة « أى أنجشة: رويداً، سوقك بالقوارير» وفى الرواية الرابعة « رويدا يا أنجشة، لا تكسر القوارير» يعنى ضعفة النساء.

وفى رواية « يا أنجش» على الترخيم، وفى رواية « ارفق» وفى رواية « رويدك ارفق» وفى رواية « كذلك سوقك» أى كفاك سوقك، وفى رواية « رويدك سوقك، ولا تكسر القوارير» والقوارير جمع قارورة، وهى الزجاجية، قيل: سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير فى الرقة واللطافة وضعف البنية، والكناية لفظ أطلق، وأريد منه لازم معناه، فكأنه قال: رفقا بالضعيفات المحمولات على الإبل، وقيل: شدين بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء، كالقوارير، يسرع إليها الكسرو لا تقبل الجبر، والأول أولى فى هذا المقام، وقيل: أراد بالقوارير الإبل، وكان فى سوق أنجشة لها عنف، فأمر أن يرفق بالمطايا، وهذا أبعد من سابقه، والهدف من الأمر بالرفق أحد احتمالين أو هما معا، الأول أن الحداء دفع الإبل إلى الإسراع، أو أن سوقه العنيف دفع الإبل إلى الإسراع، مما يقلق الراكبات، ويزعزعهن، ويحول دون راحتهن، فأمر بالعمل على راحة الراكبات، والرفق بهن، والثانى أن أنجشة كان حسن الصوت، وأكثر من الحداء، وحسن صوته يحرك نفوس النساء، ويضعف عزائمهن، فخشى من سماعهن الشديد أن يقع بقلوبهن منه شىء، فأمر بالكف عن الحداء.

قال عياض: وقوله « رويدا» منصوب على أنه صفة لمحدوف، دل عليه اللفظ السابق، أى سق سوقا رويدا، أو احد حدوا رويدا، أو منصوب على المصدر، أى أورد رويدا، مثل ارفق رفقا، أو على الحال، أى سر رويدا، و« رويدك» منصوب على الإغراء، أو مفعول بفعل مضمّر، أى الزم رفك، وقيل: « رويدك» إما مصدر، والكاف فى محل خفض، وإما اسم فعل والكاف حرف خطاب، وقال الراغب: يقال: أورد، يورد كأمهل يمهل لفظا ومعنى، وهو من الورد بفتح الراء، وسكون الواو، وهو التردد فى طلب الشىء برفق ويقال: راد، وارتاد، والرائد طالب الكلاء، ورادت المرأة، ترود، إذا مشت على هذبتها، وقال الراهمزمزى: رويدا تصغير رود، وهو مصدر فعل الراء، وهو المبعوث فى طلب الشىء، ولم يستعمل فى طلب المهلة، إلا مصغرا، وقال السهيلي: قوله « رويدا» أى أرفق، جاء بلفظ التصغير لأن المراد التقليل، أى ارفق قليلا.

و« سوقك» منصوب على نزع الخافض، أى ارفق فى سوقك، أو سقهن كسوقك، وقال القرطبي فى المفهم: « سوقك» مفعول به، وفى الرواية الأولى « سوقا» وهو منصوب على الإغراء، أو على المصدر.

وجاء فى الرواية الثانية « ويحك يا أنجشة، رويدا سوقك بالقوارير» قال النووى: هكذا وقع فى مسلم « ويحك» ووقع فى غيره « ويلك» قال سيبويه « ويل» كلمة تقال لمن وقع فى هلكة، و« ويح» زجر لمن أشرف على الوقوع فى هلكة، وقال الفراء: ويح، وويك، ووييس بمعنى، وقيل: « ويح» كلمة لمن وقع فى هلكة لا يستحقها، أى فيرثى له، ويترحم عليه، و« ويل» ضده، قال القاضى: قال بعض أهل اللغة: لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء، وإنما يراد بها المدح والتعجب، اهـ. ولا يصلح هذا القول فى هذا المقام.

(قال أبو قلابة: تكلم رسول الله ﷺ بكلمة، لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه) كذا ورد في الرواية الثانية، وأبو قلابة الرواي عن أنس، وأراد بالكلمة، قوله صلى الله عليه وسلم « بالقوارير» وهي كلمة تشبه النساء بالقوارير، وقد يفهم منها الغزل والهزل، وقد تعاب على قائلها عند المتنطعين، وكان أهل العراق كذلك في زمن أبي قلابة، يميلون إلى التكلف وكثرة الجدل والمرء ومعارضة الحق بالباطل، فلو قال كبير مثلها لعابوها عليه، وقيل: مراد أبي قلابة أن هذه الكلمة غير واضحة الدلالة على المراد، لأن وجه الشبه بين القارورة والمرأة ليس جليا، فلو قالها أحد من أهل العراق، لعابها العراقيون، معترضين عليها من حيث البلاغة، وقيل: إن مراد أبي قلابة أن هذا التعبير مثل في البلاغة، ومن أرقى أساليبها التي لا يمسه أهل العراق، ولا يفهمونها، فيدفعهم جهلهم إلى عيبها، لو صدرت من أحدهم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- جواز الحداء، والحداء شعر، يجرى عليه من الأحكام ما يجرى على الشعر، وقد بوب البخاري لهذا الحديث بباب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، والشعر في الأصل اسم لما دق، واستعمل في الكلام المقفى الموزون قصدا، والرجز بفتح الراء والجيم نوع من الشعر عند الأكثر، والحداء بضم الحاء، وتخفيف الدال، يمد، ويقصر، سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، ويكون في الغالب بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير، إذا حدى بها. ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه، قال الحافظ ابن حجر: ومآنه محجوج بالأحاديث الصحيحة، ويلتحق بالحداء هنا الحجيج المشتغل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال، ومنه غناء المرأة، لتسكين الولد في المهد، أقول: ومثله غناء عمال البناء وملاحى السفن الشراعية وغيرهم، وأخرج الطبري من طريق ابن جريج، قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء؟ فقال: لا بأس به ما لم يكن فاحشا.

٢- وفيه جواز السفر بالنساء.

٣- واستعمال المجاز

٤- وفيه مباحة النساء من الرجال، قال النووي: ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه.

٥- ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب: المعارض مندوحة عن الكذب، والمعارض جمع معارض من التعريض بالقول، وهو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء، قال الراغب: التعريض كلام له وجهان في صدق وكذب، أو باطن وظاهر، قال الحافظ ابن حجر: والأولى أن يقال: كلام له وجهان، يطلق أحدهما ويراد لازمه، والمراد هنا قوله «رفقا بالقوارير» فإنه كنى بذلك عن النساء.

والله أعلم

(٦١٨) باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس، وتبركهم به، وتواضعه لهم

٧٤-٥٢٦٣ عن أنس بن مالك رضي الله عنه (٧٤) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدماً المدينة بأيديهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها. فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.

٧٥-٥٢٦٤ عن أنس رضي الله عنه (٧٥) قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه. وأطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

٧٦-٥٢٦٥ عن أنس رضي الله عنه (٧٦)، أن امرأة كان في عقلها شيء. فقالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة. فقال: «يا أم فلان، انظري أي السكك شئت. حتى أفضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

المعنى العام

كان صلى الله عليه وسلم متواضعا، قريبا من الناس، يمشى بين أصحابه كواحد منهم، ويجلس بينهم لا يكاد يعرف عنهم، يدخل الداخل الغريب فيقول: أيكم محمد؟ يضع يده في يد رفيقه في الطريق، ويردف على ناقته هذا تارة، وهذا تارة، يأكل معهم من إناء واحد، ويشرب معهم من كوب واحد، بل كان يشرب بعد أن يشرب الناس، إذا صافح مسلما لم ينزع يده من يده حتى ينزع صاحبه، إذا طلب منه شيء أجاب، ولم يقل: لا، مهما شق عليه المطلب، لقد كان الصحابة يتبركون بالماء الذي يلامس أصابعه صلى الله عليه وسلم، فكانوا في الفجر يبعثون بمائهم في أوانيهم مع خدمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليضع يده في مائهم، فما تدمر ولا تكبر على الخدم، ولا رفض لهم مطلبهم، بل لم يتأفف، ولم يتضجر من برد الماء في شدة الشتاء.

ولقد كانوا يتبركون بالاحتفاظ بشعره صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءه الحلاق أسرعوا إليه، يحيطون به، يلقفون شعره قبل أن يسقط على الأرض، ويحتفظون بما يلتقطون من شعره تبركا به في بيوتهم.

(٧٤) حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ وَهَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا عَنْ أَبِي النَّضْرِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ يَعْْنِي هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ
(٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَائِعٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ
(٧٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

والعجب أن توقفه امرأة في الطريق تسأله، فيقف دون مصاحبيه ويناديهما بكنيتها، ويستمع لها، فتطلب منه أن تختلى به بعيداً عن مسامح أصحابه، لتسر إليه بمسألتها، فلا يختار المكان، بل يطلب إليها أن تختار هي المكان الذي تحبه، فيذهب معها إليه، ويقف معها طويلاً، لا يمل، ولا يتضجر، وهو يعلم أن في عقلها ضعفاً، ومع ذلك يظل يتكلم معها في حاجتها حتى تكتفى هي، وتنصرف راضية شاكرة، وصدق الله العظيم إذ يقول فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

المباحث العربية

(كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة) أى إذا صلى الفجر، وهذا الأسلوب يفيد التكرار والاستمرار والشأن والعادة والغالب.

(جاء خدم المدينة بأنيتهم) فى الكلام حذف مضافين، والأصل: خدم أهل المدينة، بآنية أسيادهم، والمراد من الآنية الجنس، الصادق بالجمع، فالمراد بأوانيهم، فيتقابل الجمع بالجمع، فيقتضى القسمة أحاداً، فيئول المعنى إلى: جاء خدم المدينة كل واحد بإناء سيده، والمراد المجموع والكثيرون، وليس كل خادم.

(فيها الماء) جملة حالية.

(فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها) أعاد الضمير مؤثناً باعتبار أن الإناء والآنية شيء واحد، و« يؤتى » بضم الياء، بالبناء للمجهول، والمعنى فما يطلب منه وضع يده فى إناء به ماء تبركاً بيده، إلا وأجاب.

(فريما جاءوه فى الغداة الباردة، فيغمس يده فيها) أى فى الأوانى، وهذه الجملة تصوير للمبالغة فى الإجابة، أى حتى ولو صاحبت الإجابة مثقبة شديدة، والغداة الباردة وقت الفجر والصبح فى الشتاء.

(وأطاف به أصحابه) يقال: طاف به، وأطاف به أصحابه، أى أحاطوا به، والجملة حال بتقدير «قد» عند من يشترطها.

(فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل) أى فيسارعون إلى التقاط شعره صلى الله عليه وسلم الذى يتساقط من الحلاق، قبل أن يصل إلى الأرض، ونفى الإرادة، ولم ينف وقوع شعرة إلى الأرض، لأن الموجود الكائن فعلا الحرص، وقد يفلت من حرصهم شعرات، تقع فيرفعونها.

(أن امرأة كان فى عقلها شيء) من الخفة والضعف، يقصد بذلك بيان عذرها فى مطلبها من رسول الله ﷺ .

(فقالت: يارسول الله، إن لى إليك حاجة) أى أريدك فى خلوة، بعيداً عن الناس وعن أصحابك الذين هم معك الآن.

(فقال: يا أم فلان) منطوقه صلى الله عليه وسلم كنيته الحقيقية، وهو ظاهر في أنه كان يعرفها جيداً.

(انظري أى السكك شئت) أى اختارى مكانا فى أى طريق من الطرق.

(حتى أقضى لك حاجتك) أى حتى أجيبك إلى طلبك بعيدا عن سماع الناس.

(فخلا معها فى بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها) معطوف على محذوف، أى فاخترت مكانا، فوافقها عليه، فخلا معها، والتعبير بـ « معها » فيه إشارة أنه لم يقصد الخلوة بها.

فقه الحديث

قال النووي فى هذه الأحاديث

١- بيان بروزه صلى الله عليه وسلم للناس، وقربه منهم، ليصل إليه أهل الحقوق، ويرشد مسترشدهم، وليشاهدوا أفعاله وحركاته، فيقتدى بها، وهكذا ينبغى لولاة الأمور.

٢- وفيها صبره صلى الله عليه وسلم على المشقة فى نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة، أو تبريكا بمس يده، وإدخالها فى الماء.

٣- وفيه التبرك بآثار الصالحين.

٤- وبيان ماكانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم.

٥- وتبركهم بإدخال يده الكريمة فى أوانيهم.

٦- وتبركهم بشعره الكريم.

٧- وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا فى يد رجل منهم.

٨- وبيان تواضعه صلى الله عليه وسلم، بوقوفه مع المرأة الضعيفة، ليقضى لها حاجتها، قال: ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان فى ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها كانت مما لا تظهرها الناس.

هذا. ومن التبرك بآثاره حديث أبى أيوب الأنصارى (رقم/٢٧) فى باب أكل التمر والثوم.

ومن التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم حديث حلقه صلى الله عليه وسلم فى الحج وتوزيع شعره على الصحابة وقد سبق فى كتاب الحج.

والله أعلم

(٦١٩) باب مباحته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته.

٥٢٦٦ - ٧٧/١ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٧٧)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٥٢٦٧ - ٧٨/١ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٧٨) قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ.

٥٢٦٨ - ٦٠ عَنْ هِشَامٍ (١٠٠) بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: أَيْسَرَهُمَا. وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

٥٢٦٩ - ٧٩/٣ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٧٩) قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ. وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا. إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمَا يَيْلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

المعنى العام

نعم. دين الإسلام يسر، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ويقول صلى الله عليه وسلم «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» وقال لمعاذ ﷺ لما أطال القراءة في الصلاة، وهو إمام: قال له: أفتان أنت يا معاذ؟ من أم الناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة،

(٧٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الرُّبَيْعِ عَنْ عَائِشَةَ
- وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ جَرِيرِ ح وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَدَدَةَ حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُحَمَّدٍ فِي رِوَايَةِ فَضِيلِ بْنِ شِهَابٍ وَفِي رِوَايَةِ جَرِيرِ مُحَمَّدِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ.
- وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ.
(٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
(١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ
(٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ وَكَيْعِ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ كُلُّهُمُ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

ولما أراد جماعة التشديد على أنفسهم فى العبادة وقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم الدهر أبداً، وقال الثالث: وأما أنا فسأبتل، وأعتزل النساء غضب صلى الله عليه وسلم، وخطب فى الناس، وقال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى.

ومن هذا المنطلق كان صلى الله عليه وسلم فى عباداته ومعاملاته يميل إلى اليسر، ويتباعد عن العسر، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن هذا الأيسر إثمًا، أو يؤدي إلى الإثم، فإن كان إثمًا أو يؤدي إلى الإثم بعد عنه، بل كان أبعد الناس عنه، وعمل بغير اليسر مهما كان صعبًا وشاقًا.

وكان صلى الله عليه وسلم - من باب التخفيف على الأمة، والتسامح معها - يعفو عمن ظلمه، ولا ينتقم ممن آذاه حين القدرة عليه، ولقد قال لأهل مكة بعد أن فتحها ونصره الله عليهم: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم. قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فما انتقم لنفسه صلى الله عليه وسلم ممن آذاه، وما ضرب بيده الكريمة امرأة ولا خادما قط، وما أنى إلا لله، وإلا ما انتهكت حرمة الله، صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين) « خير » بضم الخاء وكسر الياء المشددة، مبنى للمجهول، وأبهم الفاعل، ليعم ما كان من قبل الله، وما كان من قبل المخلوقين، والأمران إما أن يكونا من أمور الدنيا، وإما أن يكونا من أمور الآخرة، وإما أن يكون أحدهما من أمور الدنيا، والثانى من أمور الآخرة.

(إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا) أى ما لم يكن الأيسر إثمًا.

(فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه) أى فإن كان الأيسر إثمًا تركه وبعد عنه، وأخذ الأصب الذى لا إثم فيه، وعند الطبرانى فى الأوسط « إلا اختار أيسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ».

قال العلماء: وقوع التمييز بين ما فيه إثم، وبين ما لا إثم فيه من العباد واضح وواقع كثيرًا، وخصوصًا إذا وقع من الكفار، كما وقع فى الحديبية، بين أن يرجع من عام، ثم يعود العام القابل معتمرا، وبين القتال، فاختار الأول. وبين أن يمحو من الوثيقة كلمة « رسول الله » وبين أن يرفض الصلح، فاختار الأول.

أما وقوع التمييز من الله فلا يكون بين ما فيه إثم، وما لا إثم فيه، وإنما يكون التمييز منه تعالى بين جائزين، ويصير المعنى ما خيره الله بين أمرين جائزين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فلا استثناء منقطع، ومثل له بعضهم بالفطر للصائم المسافر، وصلاة الفرض قاعدا للعاجز الذى يشق عليه القيام، وبول الأعرابى فى المسجد، صب ذنوب

من ماء، أو إزالة التراب المتنجس، لكن إذا حملناه على ما يفضى إلى الإثم، أمكن أن يخير الشارع بين ما لا يفضى إلى الإثم وبين ما يفضى إلى الإثم غالباً، ومثلوا له بأن يخير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض، وما يخشى من الاشتغال به عن العبادة مثلاً، وبين أن لا يؤتبه من الدنيا إلا الكفاف، فيختار الكفاف، وإن كانت السعة أسهل منه، والإثم على هذا أمر نسبي، لا يراد منه معنى الخطيئة، لثبوت العصمة له صلى الله عليه وسلم، بل هو من قبيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ويكون المراد ما لم يكن إثمًا أو يخشى منه أن يفضى إلى خلاف الأولى، فيختار الأشق حينئذ، ويترك الأيسر، والاستثناء على هذا متصل، فالمستثنى من جنس المستثنى منه.

وقال ابن التين: المراد التمييز بين أمرين من أمور الدنيا، وأما أمر الآخرة، فكلما صعب كان أكثر ثواباً، كذا قال. وفيه نظر، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم ويفطر ويصلى ويرقد، ويتزوج النساء.

(ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه) فى بعض الروايات « ما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه » و« نيل » بكسر النون، مبنى للمجهول، أى ما أصيب بأذى من قول أو فعل، وقد استشكل عليه أمره بقتل عقبة ابن أبى معيط وعبد الله بن خطل، وغيرهما ممن كان يؤذيه، ولتفادى هذا الإشكال وضع بعضهم قيداً، فقال: وما انتقم لنفسه خاصة، أما هؤلاء فقد كانوا ينتهكون محارم الله مع إيدائه، أو أن إيداءه كان من حيث هو رسول الله، فهو انتهاك لمحارم الله، لذا لم ينتقم لنفسه من الأعرابي الذى جفا فى رفع صوته عليه، ولا من الذى جذبته بردائه، حتى أترفى كتفه.

وحمل الداودى عدم الانتقام على ما يختص بالمال، قال: وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه، قال: واقتص ممن لده فى مرضه، بعد نهيه عن ذلك، حيث أمر بلدهم، مع أنهم كانوا فى ذلك متأولين، بأنه إنما نهاهم بسبب كراهة النفس للدواء، بحكم العادة البشرية. كذا قال: وفيه نظر.

فقه الحديث

ويؤخذ من الحديث

- ١- الحث على ترك الأخذ بالعسير من الأمور.
- ٢- والاعتناع باليسير.
- ٣- وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه.
- ٤- والندب إلى الأخذ بالرخص، ما لم يظهر الخطأ.
- ٥- والحث على العفو، إلا فى حقوق الله تعالى.
- ٦- والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الحافظ ابن حجر: ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه.

٧- وفيه ترك الحكم للنفس، وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك، بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة.

٨- وفيه الحث على الحلم واحتمال الأذى.

٩- والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرماً أو نحوه.

١٠- ومن الرواية الثالثة أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب، فتركه أفضل.

والله أعلم

(٦٢٠) باب طيب رائحته صلى الله عليه وسلم، ولين مسه وطيب عرقه، والتبرك به

٥٢٧٠ - $\frac{٨٠}{١}$ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ^(٨١) قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الْأُولَى. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وَوَلَدَانِ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُزْئَةِ عَطَارٍ.

٥٢٧١ - $\frac{٨١}{١}$ عن أنس رضي الله عنه ^(٨١) قال: مَا شَمِمْتُ غُنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًَا وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

٥٢٧٢ - $\frac{٨٢}{٣}$ عن أنس رضي الله عنه ^(٨٢) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَزْهَرَ اللَّوْنِ. كَأَنَّ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ. إِذَا مَشَى، تَكَفَّأ. وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا غُنْبَرَةً أَطِيبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

٥٢٧٣ - $\frac{٨٣}{٤}$ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٨٣) قال: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ عِنْدَنَا. فَعَرِقَ. وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُبُ الْعَرَقَ فِيهَا. فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمِ! مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طِينِنَا وَهُوَ مِنْ أَطِيبِ الطَّيْبِ.

٥٢٧٤ - $\frac{٨٤}{٥}$ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٨٤) قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ بَيْتَ أُمَّ سُلَيْمِ، فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ: فَجَاءَتْ ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُيِّتَ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَامَ فِي بَيْتِكَ، عَلَى فِرَاشِكَ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةٍ أُدِيمِ، عَلَى الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا فَجَعَلَتْ تُنْشِفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَقَالَ مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصَبِيَانِنَا. قَالَ: «أَصَبْتَ».

(٨٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَادِ حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ وَهُوَ ابْنُ نَصْرِ الِهْمْدَانِيُّ عَنْ سِيَمَاكِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ
(٨١) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا هَاشِمٌ يَعْنِي ابْنَ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ أَنَسُ
(٨٢) وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا حَبَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ
(٨٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا هَاشِمٌ يَعْنِي ابْنَ الْقَاسِمِ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
(٨٤) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

٥٢٧٥ - ٨٥ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٥)؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا، فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعًا، فَيَقِيلُ عَلَيْهِ. وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ. فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ، فَتَجْعَلُهُ فِي الطَّيْبِ وَالْقَوَارِيرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمِ! مَا هَذَا؟» قَالَتْ: عَرَقُكَ أَذُوفُ بِهِ طَيِّبِي.

٥٢٧٦ - ٨٦ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٦) قَالَتْ: إِنْ كَانَ كَانَ لَيُنزَلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، ثُمَّ تَفِيضُ جِبْهَتَهُ عَرَقًا.

٥٢٧٧ - ٨٧ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٧)، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ. ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ. وَأَحْيَانًا مَلَكٌ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ. فَأَعْبِي مَا يَقُولُ».

٥٢٧٨ - ٨٨ عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ^(٨٨) قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، كَرِبَ لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ.

٥٢٧٩ - ٨٩ عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ^(٨٩) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ. فَلَمَّا أَتَلَى عَنْهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ.

المعنى العام

مجموعة من صفاته الخلقية والخلقية صلى الله عليه وسلم، فقد كان لون بشرته أبيض بياضا مشوباً بحمرة أو سمرة، وخاصة الوجه واليدين والقدمين، بسبب المهنة والتعرض للشمس والهواء، وكان جلده ناعم الملمس كالحرير، وكان طيب الرائحة من غير طيب، وكان عرقه أبيض صافياً كاللؤلؤ، وأطيب ريحا من المسك، حتى كانت أم سليم تجمعها وتتطيب به، وكانت مشيته موجهة إلى الجهة التي يقصدها، لا يتوجه ولا يتلفت يمينا ولا شمالا، وكان ينام على فراش غيره، من غير أنفة أو غضاضة، وكان رحيما بالصبيان، يمسح خدودهم بيده الكريمة، إذا تعرضوا له فى الطريق، يطلبون بركة يده وملامسته.

(٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا وَهْبٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ

(٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

(٨٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَأَبْنُ بَشْرِ جَمِيعًا عَنْ هِشَامٍ

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرِ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

(٨٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ حِطَّانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ

عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ

(٨٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ حِطَّانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ عَنِ عِبَادَةَ

ابْنِ الصَّامِتِ

وكان جميل الوجه، منفرج الأسارير، لكن إذا أتاه الوحي ثقل عليه، فتغير وجهه، وتصبب العرق من جبينه، وأخذة غطيظ كغطيظ النائم، فإذا ذهب الوحي عاد كما كان. صلى الله عليه وسلم.

المباحث العربية

(صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى) قال النووي: يعنى صلاة الظهر. اهـ.

وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وقد أجازته النحويون الكوفيون وتأوله البصريون، على أن فيه محذوفاً، تقديره: صلاة الساعات الأولى.

(ثم خرج إلى أهله) أى خرج من المسجد نحو بيوت أزواجه.

(فاستقبله ولدان) بكسر الواو، وسكون اللام، وتنوين النون، جمع وليد، بفتح الواو، وكسر اللام، وهو المولود حين يولد، والمراد هنا وصف الصبية بالصغر، والتعبير باستقبله يشعر بأنهم تعمدوا استقباله، ليمسح عليهم تبركاً، وصاهم بذلك آبائهم.

(فجعل يمسح خدى أحدهم واحداً واحداً) « خدى » بفتح الخاء والذال المشددة، مثنى خد، وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يمسح الخدين بكفيه، أو كان يمسح الخدين باليمنى، وواحداً واحداً يشعر بأنه كان يستوعبهم جميعاً.

(وأما أنا فمسح خدى) بالإفراد، وكان جابر إذ ذاك صبياً، ومات سنة ست وستين.

(فوجدت ليده برداً أو ريحاً) « برداً » بفتح الباء وسكون الراء، ضد الحر، والظاهر أن هذا المسح كان فى الصيف، وفى شدة الحر وقد يراد من البرد الراحة والسكون، والمراد من الريح هنا الطيب و« أو » بمعنى الواو.

(كأنما أخرجها من جؤنة عطار) قال النووي: هى بضم الجيم والهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة، بقلبها واوا، كما فى نظائرها، وقد ذكرها كثيرون أو الأكثرون فى الواو، قال القاضى: هى مهموزة، وقد يترك همزها، وقال الجوهري: هى بالواو، وقد تهمز، وهى السفت الذى فيه متاع العطار، هكذا فسره الجمهور، وقال صاحب العين: هى سليلة مستديرة، مغشاة أدماً. أى جلدأ، والمراد هنا إناء الطيب.

(ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ) « شممت » بكسر الميم الأولى، وفتحها لغة، حكاها الفراء، ويقال فى مضارعه أشمه بالفتح على الأفصح، وبالضم على اللغة المذكورة.

والعنبر طيب معروف، وكذا المسك « وشيئاً » أى من الطيب، من ذكر العام بعد الخاص، وفى رواية للبخارى « ولا شممت ريحاً قط - أو عرفاً قط - أطيب من ريح - أو عرف النبى ﷺ » وفى روايه له « مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة من ريح رسول الله ﷺ » قال الحافظ ابن حجر: وقوله « عنبرة » ضبط بوجهين، أحدهما بسكون النون، بعدها باء، والآخر « عبيرا » بكسر الباء بعدها ياء، والأول معروف،

والثانى طيب معمول من أخلاط، يجمعها الزعفران، وقيل: هو الزعفران نفسه، وعند البيهقى « ولا شممت مسكاً، ولا عنبراً، ولا عبيراً » ذكرهما جميعاً، والعرف بفتح العين وسكون الراء، الريح الطيب، ووقع فى بعض الروايات « عرقاً » بفتح العين والراء والقاف، و « أو » فى روايات « أو » للتنويح.

(ولا مسست شيئاً قط، ديباجاً، ولا حريراً، ألين مساً من رسول الله ﷺ) فى الرواية الثالثة « ولا مسست ديباجة، ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ » « مسست » السين الأولى مكسورة، ويجوز فتحها، والثانية ساكنة، وقد استشكل هذا بما جاء فى البخارى « إنه كان ضخم اليدين » وفى رواية « والقدمين » وفى رواية « شئن القدمين والكفين » فسرهُ الأصمعى بغليظهما فى خشونة، قال الحافظ ابن حجر: والجمع بينهما أن المراد اللين فى الجلد، والغلظ فى العظام، فيجتمع له نعومة البدن، وقوته، أو حيث وصف باللين واللطافة، أريد حيث لا يعمل بهما شيئاً، أو بالنسبة إلى أصل الخلقة، وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسبة إلى امتهانهما بالعمل، فإنه كان يتعاطى كثيراً من أموره بنفسه، صلى الله عليه وسلم. اهـ.

ولم يوافق كثير من اللغويين الأصمعى على تفسير « شئن » بالخشونة، وفسروه بالغلظ فقط، وقال ابن بطال: كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممثلة لحمياً، غير أنها مع خضامتها كانت لينة، اهـ. وقد نقل ابن خالويه أن الأصمعى لما فسر الشئن بما مضى، قيل له: إنه ورد فى صفة النبى ﷺ؟ فألى على نفسه أنه لا يفسر شيئاً فى الحديث. اهـ.

وعندى أن حديث أنس يصف كفه صلى الله عليه وسلم باللين والنعومة، وهذا الوصف أمر نسبي، يرتبط بكف من يمس كفه صلى الله عليه وسلم، فإن كان خشناً أحس فى المقابل بنعومة ولين، كما يرتبط بالأكف التى يمسها أنس، فإن كانت خشنة - كما هى العادة فى العرب الأوائل - أحس بنعومة كفه صلى الله عليه وسلم - والظاهر أن كفه صلى الله عليه وسلم كانت بين النعومة والخشونة، فالنعومة واللين بإطلاق وصف حسن فى النساء، والخشونة بإطلاق وصف امتهان، والممدوح فى الرجال الوسطية بين النعومة والخشونة. والله أعلم.

والديباج نوع من الحرير، فعطف الحرير عليه هنا من عطف العام على الخاص. وفى رواية للبخارى « حريراً ولا ديباجاً ».

(كان رسول الله ﷺ أزهر اللون) أى أبيض مشرباً بحمرة، فعند الترمذى والحاكم « كان أبيض، مشرباً بياضه بحمرة » وعند البيهقى فى الدلائل « كان رسول الله ﷺ أبيض، بياضه إلى السمرة » وعند أحمد والبخارى بإسناد صحيح « إن النبى ﷺ كان أسمر » وفى الروايات الصحيحة إطلاق كونه أبيض، فعند البخارى بإسناد قوى « كان شديد البياض » وعند الطبرانى « ما أنسى شدة بياض وجهه، مع شدة سواد شعره » وفى شعر أبى طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه. وعند أحمد « فنظرت إلى ظهره، كأنه سبيكة فضة » قال الحافظ ابن حجر: وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة. وجمع البيهقى بأن المشرب بحمرة وسمرة من جلده صلى الله عليه وسلم ما تعرض للشمس، وأما تحت الثياب فهو أبيض أزهر. اهـ. يريد أبيض خالصاً، غير مشرب بسمرة، فمن معانى الأزهر الأبيض الصافى المشرق.

(كأن عرقه اللؤلؤ) فى الصفاء والبياض، و « اللؤلؤ » بهمزتين، وقد يترك همزه.

(إذا مشى تكفاً) أى مال يميناً وشمالاً، كما تكفاً السفينة، قال الأزهرى: هذا خطأ، لأن هذا صفة المختال، وإنما معناه أن يميل إلى سمتة وقصد مشيه، وقال القاضى محبداً التفسير الأول: ولا يعد اختيالا إذا كان خلقه وجبلة، والمذموم منه ما كان مستعملا مقصودا، قلت: وإن صح ما يقوله القاضى، لكن خلقه رسول الله ﷺ خالية من السوء، ومما يوهم السوء، فقول الأزهرى أسلم.

(دخل علينا النبى ﷺ، فقال عندنا) أى فنام نومة القيلولة، فى الرواية الخامسة « كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها، وليست فيه، فجاء ذات يوم، فنام على فراشها » فجاءت، وقبل أن تدخل عليه « فأثبت » بضم الهمزة وكسر التاء وفتح الياء، مبنى للمجهول، أى أتاها أت من داخل البيت « فقبل لها: هذا النبى ﷺ نام فى بيتك، على فراشك » والظاهر أن هذه القيلولة لم تكن الأولى فى الرواية السادسة « عن أم سليم رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يأتيها، فيقبل عندها » بفتح الياء وكسر القاف « فتبسط له نطعا » بكسر النون وسكون الطاء، وكسرها وفتحها، بساط من جلد مدبوخ، والمراد هنا الفروة « فيقبل عليه » أى فجاء ذات يوم، فنام على فراشها الذى كانت تفرشه له، فجاءت فقبل لها، فدخلت عليه، وقد عرق « وكان كثير العرق » واستنقع عرقه على قطعة أديم، على الفراش، ففتحت عتيدتها « بفتح العين، وكسر التاء بعدها ياء فдал، وهى كالصندوق الصغير، تجعل المرأة فيها ما يعز من متاعها، وكان فيه قوارير طيبها، فأخرجت منه قارورة » فجعلت تنشف ذلك العرق « بخرقه أو نحوها » فتعصره فى قواريرها « فتجعله فى الطيب والقوارير ».

وفى رواية البخارى « أخذت من عرقه وشعره، فجعلته فى قارورة » وفى ذكر الشعر فى هذه الرواية غرابة، وقد حملة بعضهم على ما ينتشر من شعره صلى الله عليه وسلم عند الترجل، وحملة بعضهم على أنها كانت قد أخذت من شعره سابقا، فوضعت فى القارورة، فعند ابن سعد بسند صحيح عن أنس ﷺ « أن النبى ﷺ لما حلق شعره بمنى، أخذ أبو طلحة، زوج أم سليم، أم أنس، أخذ شعره، فأتى به أم سليم، فجعلته فى سكهها » والسك بضم السين وتشديد الكاف طيب مركب، فيستفاد من هذه الرواية أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى الشعر الذى عندها، لا أنها أخذت من شعره لما نام، ويستفاد منها أيضا أن القصة المذكورة كانت بعد حجة الوداع، لأنه صلى الله عليه وسلم إنما حلق رأسه بمنى فيها.

(ففزع النبى ﷺ) حين أحس بحركة يدها تحته وهو نائم، فاستيقظ، فرأى ما تصنع .

(فقال: ما تصنعين يا أم سليم)؟ فى الرواية السادسة « يا أم سليم، ما هذا؟ »

(فقالت: يا رسول الله. نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت) فى الرواية السادسة « قالت: عرقتك، أدوف به طيبى » قال النووى « أدوف » بالذال وبالذال، ومعناه: أخطت به طيبى.

ولا معارضة بين قولها للبركة، وبين أنها كانت تجمعها لطيبها، فإنها تفعل ذلك للأمرين معا.

(عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن كان لينزل على رسول الله ﷺ فى الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقا) هذا الحديث وصله البخارى بالرواية الثامنة، وقد أخرجه

الدارقطنى مفضولاً، كمسلم، والغداة الصباح و« إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و« ينزل » بضم الياء وسكون النون وفتح الزاي، مبنى للمجهول. وفي رواية البخارى « ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً ».

(كيف يأتيك الوحي)؟ يحتمل أن يكون المسئول عنه، صفة الوحي نفسه، أى صفة الإيحاء ويحتمل أن يكون صفة حاملة، ويحتمل أن يكون المسئول عنه الأمرين معاً.

(فقال: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس) « أحياناً » جمع « حين » ويطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد به هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أحياناً يأتيني، وهو منصوب على الظرفية، وعامله « يأتيني » مؤخر عنه، و« صلصلة الجرس » فى الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، والمراد من الجرس هنا الججل الذى يعلق فى رءوس الدواب. (وهو أشده على) أى أشد حالاته.

(ثم يفصم عنى وقد وعيته) « يفصم » بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد، أى يقلع، وينجلى ما يغشاني، ويروى بضم الياء وكسر الصاد، من الرباعى، ويروى بضم الياء وفتح الصاد، مبنى للمجهول، وأصل الفصم القطع .

(وأحياناً ملك فى مثل صورة الرجل) فى رواية للبخارى « وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً » والمراد من الملك جبريل، وقد صرح به فى رواية ابن سعد، والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه.

(فأعى ما يقول) زاد فى رواية « وهو أهونه على »

(كان النبى ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رءوسهم) أى خفض رأسه من شدة الوحي، وخفضوا رءوسهم خشوعاً ورهبة، وفى الرواية التاسعة « كرب لذلك، وتريد وجهه » « كرب » بضم الكاف وكسر الراء، أى أصابه الكرب والشدة و« تريد » بفتح التاء والراء وتشديد الباء المفتوحة، أى تغير، وصار كلون الرماد، ولا يتعارض هذا مع ما روى من « أن يعلى بن أمية نظر إليه حال نزول الوحي، وهو محمر الوجه » لأن المراد منه أنه حمرة كدرة، وهذا معنى التريد، ويحتمل أنه يتريد فى أول الوحي، ثم يحمر، أو بالعكس.

(فلما أتلى عنه رفع رأسه) قال النووى: هكذا هو فى معظم نسخ بلادنا « أتلى » بضم الهمزة وسكون التاء وكسر اللام، بعدها ياء، ومعناه ارتفع عنه الوحي، هكذا فسره صاحب التحرير وغيره، ووقع فى بعض النسخ « أجلى » بالجيم، وفى رواية البخارى « انجلى » ومعناها أزيل عنه، وزال عنه.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى عطفه صلى الله عليه وسلم على الصبيان ولطفه بهم، وصبره عليهم، ورحمته بهم.

٢- تبرك الصبية بمصافحته صلى الله عليه وسلم، بتوجيه من آبائهم، ومسحه صلى الله عليه وسلم خدودهم.

٣- تبريكه صلى الله عليه وسلم جابر بن سمرة رضي الله عنه ومسحه خده.

٤- طيب ريحه صلى الله عليه وسلم - ومع أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الطيب، لكن ريحه صلى الله عليه وسلم من غير تطيب كان طيبا، كما سيأتى عن عرقه، وقد روى أبو يعلى والبخاري بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرفى طريق من طرق المدينة، وجد منه رائحة المسك، فيقال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعند أحمد « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء، فشرب منه، ثم مَجَّ في الدار ثم في البئر، ففاح منه مثل ريح المسك ».

٥- ومن الرواية الثالثة لين كفه، ونعومة ملمسه صلى الله عليه وسلم.

٦- وبياض وشفاء عرقه صلى الله عليه وسلم.

٧- ومن الرواية الرابعة والخامسة والسادسة طيب عرقه صلى الله عليه وسلم، وأنه أطيب الطيب وأخرج أبو يعلى الطبراني من حديث أبي هريرة، فى قصة الذى استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته « فلم يكن عنده شيء، فاستدعى بقارورة، فسلت له فيها من عرقه، وقال له: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، فسموا بيت المطيبين »

٨- قال المهلب: وفيها طهارة شعر الأدمى وعرقه، وقال بعضهم: لا دلالة فيه، لأنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك متمكن فى القوة، ولا سيما إن ثبت الدليل على عدم طهارة كل منهما.

٩- وفيها جواز نوم الرجل الأجنبى على فراش المرأة الأجنبية، وفيه نظر، لما سيأتى فى علاقته صلى الله عليه وسلم بأُم سليم.

١٠- قال المهلب: وفيه مشروعية القائلة للكبير فى بيوت معارفه، لما فى ذلك من ثبوت المودة. وتؤكد المحبة. أهـ وقال بعضهم: بشرط الإذن، وأمن الفتنة.

١١- وفيها خدمة المرأة الأجنبية للضيف، وتمهيدها لفراشه.

١٢- وفيها إباحة ما قدمته المرأة للضيف من مال زوجها، لأن الأغلب أن الذى فى بيت المرأة هو من مال الرجل كذا قال ابن بطال.

١٣- وفيها أن الوكيل والمؤتمن، إذا علم أنه يسر صاحبه ما يفعله من ذلك جازله فعله، ولا شك أن زوج أم سليم كان يسره ذلك.

وقد أثار هذا التصرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم سليم، ومع أختها أم حرام بنت ملحان، فقد ثبت أنه كان ينام فى حجرها، وأنها كانت تطفى شعر رأسه، أثار هذا للعلماء توجيهات:

- فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أختها أم سليم، فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة، فلذلك كان ينام عندها، وتناول منه ما يجوز للمحرم أن يتناوله من محارمه.

- ونقل ابن عبد البر عن بعضهم أن أم حرام كانت منه ذات محرم، من قبل خالاته، لأن أم عبد المطلب جده كانت من بنى النجار قال ابن وهب: قال بعضهم: إنما كانت خالة لأبيه أو جده عبد المطلب.
 - وقال ابن الجوزي: سمعت بعض الحفاظ يقول: كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ من الرضاعة. اهـ. وبالغ الدمياطى فى الرد على من ادعى المحرمية.
 - وقال بعضهم: بل كان النبي ﷺ معصوماً، يملك أربه عن زوجته، فكيف عن غيرها، مما هو المنزه عنه، وهو المبرأ عن كل فعل قبيح، فيكون ذلك من خصائصه، ورده القاضى عياض بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، وثبوت العصمة مسلم، لكن الأصل عدم الخصوصية، وجواز الاقتداء به فى أفعاله، حتى يقوم على الخصوصية دليل.
 - وقال بعضهم: ثبت فى الصحيح « أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدخل على أحد من النساء، إلا على أزواجه، وإلا على أم سليم، فليل له...، فقال: أرحمها، قتل أخوها معى يعنى حرام بن ملحان، وكان قتل يوم بئر معونة » وأم حرام وأم سليم أختان، كانتا فى دار واحدة، كل واحدة منهما فى بيت من تلك الدار وحرام بن ملحان أخوهما معاً، فالعلة مشتركة فيهما، وتعقب بأن الشهداء كثيرين، ولم يثبت أنه فعل مع أخت أحدهم ما فعله مع أم سليم وأختها، وقد أضاف بعضهم إلى العلة المذكورة أن أنساً ابن أم سليم كان خادم النبي ﷺ، وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه، ورفع الحشمة التى تقح بين الأجانب عنهم. قلت: جريان العادة لا يغير حكم الشرع، ولا يرخص فيه.
 - وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ذلك قبل الحجاب، ورد بأن ذلك كان بعد الحجاب قطعاً، فقد مضى أنه كان بعد حجة الوداع.
 - وقال بعضهم: ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة بأمر أنس أو أم حرام، ولعل ذلك كان مع وجود ولد أو خادم أو زوج أو تابع، قال الحافظ ابن حجر: وهو احتمال قوى، لكنه لا يدفع الإشكال من أصله، لبقاء الملامسة فى تغطية الرأس، وكذا النوم فى الحجر. قال: وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية، ولا يردها كونها لا تثبت إلا بدليل، لأن الدليل على ذلك واضح، اهـ. قلت: ليس بأحسن الأجوبة، لأنها لو كانت خصوصية له صلى الله عليه وسلم لاستخدمها مع غيرهما، أما الاقتصار عليهما فالأشبه أنها خصوصية لهما، ولأمر خاص بهما، فأحسن الأجوبة القول بالمحرمية.
- ١٤- يؤخذ من الرواية الثامنة أن مثل صلصلة الجرس كانت علامة على قدوم الوحى، إشعاراً للرسول ﷺ، ليتفرغ له، ويستعد للقاءه ويتهيأ لاستقباله، وقد استشكل هذا بأن الجرس مذموم، لصحة النهى عنه، والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما سبق فى الأحاديث، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟ والجواب أن الصوت الذى يصاحب الملك ليس صوت جرس، حتى ينفر منه، إنما هو شبيه به، فى وجه ما، فذكر ما ألفه السامعون سماعه تقريباً للأفهام، ولا يشترط فى التشبيه تساوى المشبه والمشبه به فى الصفات كلها، بل ولا فى أخص وصف له، بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما.

وأما مصدر هذا الصوت ففيل: هو صوت الملك بالوحي، أى صوت متدارك بسمعه، ولا يتبين حروفه، حتى يصل، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك. والله أعلم.

١٥- وفيها أن الوحي كله شديد، لقوله « وهو أشده على » قالوا: لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أصعب من الفهم من كلام الرجل للرجل بالتخاطب المعهود، قالوا: والحكمة فيه أن العادة جرت بوجود مناسبة بين القائل والسامع، وهى هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل، بغلبة الروحانية، وهو النوع الأشد، وإما باتصاف القائل بوصف السامع، وهو البشرية، وهو النوع الثانى، وليس بالأشد.

١٦- ومن الرواية السابعة والتاسعة والعاشره صفات النبى ﷺ الجسمية فى غير حالة نزول الوحي، وفى حالة نزول الوحي.

والله أعلم

(٦٢١) باب فى صفاته الخلقية، وصفة شعره وشيبته

٥٢٨٠ - ٩٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٩٠) قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم. وكان المشركون يفرقون رؤوسهم. وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل رسول الله ﷺ ناصيته. ثم فرق بعد.

٥٢٨١ - ٩١ عن البراء^(٩١) قال: كان رسول الله ﷺ رجلاً مرتوعاً. بعيد ما بين المنكبين. عظيم الجممة إلى شحمة أذنيه. عليه حلة حمراء. ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ.

٥٢٨٢ - ٩٢ عن البراء^(٩٢) قال: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ شعره يضرب منكبيه. بعيد ما بين المنكبين. ليس بالطويل ولا بالقصير. قال أبو كريب: له شعر.

٥٢٨٣ - ٩٣ عن البراء^(٩٣) يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً. وأحسنه خلقاً. ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

٥٢٨٤ - ٩٤ عن قتادة^(٩٤) قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعراً رجلاً. ليس بالجعد ولا السبط، بين أذنيه وعاتقه.

٥٢٨٥ - ٩٥ عن أنس^(٩٥)؛ أن رسول الله ﷺ كان يضرب شعره منكبيه.

٥٢٨٦ - ٩٦ عن أنس^(٩٦) قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه.

(٩٠) حدثنا منصور بن أبي مزاحم ومحمد بن جعفر بن زياد قال منصور حدثنا وقال ابن جعفر أخبرنا إبراهيم يعنيان ابن سعد

عن ابن شهاب عن حميد الله بن عبد الله عن ابن عباس

- وحدثني أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب بهذا الإسناد نحوه.

(٩١) حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشر قالوا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت أبا إسحاق قال سمعت عن البراء يقول

(٩٢) حدثنا عمرو الناقد وأبو كريب قالوا حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن البراء

(٩٣) حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا إسحاق بن منصور عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت عن البراء

(٩٤) حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا جرير بن حازم حدثنا قتادة

(٩٥) حدثني زهير بن حرب حدثنا حيّان بن هلال ح وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الصمد قال حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس

(٩٦) حدثنا يحيى بن يحيى وأبو كريب قالوا حدثنا إسماعيل ابن عليّ عن حميد عن أنس

٥٢٨٧ - $\frac{97}{8}$ عن جابر بن سمره رضي الله عنه ^(٩٧) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم. أشكل العين. منهوس العقيين. قال: قلت لسمك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين. قال: قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب.

٥٢٨٨ - $\frac{98}{9}$ عن أبي الطفيل رضي الله عنه ^(٩٨) قال: قلت له: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. كان أبيض. مليح الوجه. رضي اللهم تعالى عنها. مات أبو الطفيل سنة مائة. وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥٢٨٩ - $\frac{99}{10}$ عن أبي الطفيل رضي الله عنه ^(٩٩) قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما على وجه الأرض رجل رآه غيري. قال: فقلت له: فكيف رأيتة؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً.

٥٢٩٠ - $\frac{100}{11}$ عن ابن سيرين ^(١٠٠) قال: سئل أنس بن مالك: هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنه لم يكن رأى من الشيب إلا. قال ابن إدريس: كأنه يقلله. وقد خضب أبو بكر وعمر بالجنا والكتم.

٥٢٩١ - $\frac{101}{12}$ عن ابن سيرين ^(١٠١) قال: سألت أنس بن مالك: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب؟ فقال: لم يبلغ الخضاب. كان في لحيته شعرات بيض. قال: قلت له: أكان أبو بكر يخضب؟ قال: فقال: نعم. بالجنا والكتم.

٥٢٩٢ - $\frac{102}{13}$ عن محمد بن سيرين ^(١٠٢) قال: سألت أنس بن مالك: أخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً.

٥٢٩٣ - $\frac{103}{14}$ عن ثابت ^(١٠٣) قال: سئل أنس بن مالك: عن خضاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لو

(٩٧) حدثنا محمد بن المنثري ومحمد بن بشر واللفظ لابن المنثري قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سمك بن حرب قال سمعت جابر بن سمره

(٩٨) حدثنا سعيد بن منصور حدثنا خالد بن عبد الله عن الجريري عن أبي الطفيل

(٩٩) حدثنا عبيد الله بن عمرو القواريري حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن الجريري عن أبي الطفيل

(١٠٠) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو نمير وعمرو الناقد جميعاً عن ابن إدريس قال عمرو حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي عن هشام عن ابن سيرين

(١٠١) حدثنا محمد بن بكر بن الريان حدثنا إسماعيل بن زكرياء عن عاصم الأخول عن ابن سيرين

(١٠٢) وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب بن خالد عن أيوب عن محمد بن سيرين

(١٠٣) حدثني أبو الربيع العتكي حدثنا حماد حدثنا ثابت

شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ. وَقَالَ: لَمْ يَخْتَضِبْ. وَقَدْ اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكَنْمِ. وَاخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَاءِ بَحْتًا.

٥٢٩٤ - ١٠٤/١٥ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(١٠٤) قَالَ: يُكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الشُّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. قَالَ: وَلَمْ يَخْتَضِبْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ نَبْذًا.

٥٢٩٥ - ١٠٥/١٦ عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه ^(١٠٥)، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ شَيْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ اللَّهُ بِيَضَاءٍ.

٥٢٩٦ - ١٠٦/١٧ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ^(١٠٦) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، هَذِهِ مِنْهُ بِيَضَاءٌ. وَوَضَعَ زُهَيْرٌ بَعْضَ أَصَابِعِهِ عَلَى عَنَقَتِهِ. قِيلَ لَهُ: مِثْلُ مَنْ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: أَبْرِي النَّبْلَ وَأَرِيشَهَا.

٥٢٩٧ - ١٠٧/١٨ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ^(١٠٧) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيْضًا قَدْ شَابَ. كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشَبِّهُهُ.

٥٢٩٨ - وفي رواية عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ بِهَذَا. وَلَمْ يَقُولُوا: أَيْضًا قَدْ شَابَ.

٥٢٩٩ - ١٠٨/١٩ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه ^(١٠٨) سُئِلَ عَنِ شَيْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ: كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يَرِ مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِذَا لَمْ يَدُهْنِ رَأْسَهُ مِنْهُ.

المعنى العام

صان الله تعالى رسله من الصفات الذميمة والمنفرة في الخلقة، لأن رسالتهم تستدعي رغبة الناس فيهم، وعدم نفورهم منهم، وليس في صفات أجسامهم تشريع يمكن أن يعمل به ويقتدى، وإنما التشريع في ذلك هو الحكم بحسن ما كانوا عليه من صفات، وعدم ذم مثيلاتها عند البشر.

(١٠٤) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْظِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

(١٠٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورِيُّ وَهَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعًا عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ خَلِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ سَمِعَ أَبَا إِيَّاسٍ عَنْ أَنَسِ

(١٠٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ

(١٠٧) حَدَّثَنَا وَأَصِيلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضَيْلٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ - وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ
(١٠٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ ابْنِ حَرْبٍ قَالَ سَمِعْتُ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ يَقُولَا

فالطول البائن والقصر البائن ليسا هو الوضع الأحسن فى الخلقة، بل الأحسن الوسطية المائلة قليلا نحو الطول.

والنحافة وغلظ الجسم ليسا من الوضع الأحسن، اللهم إلا نحافة العقبيين، لما فى ذلك من يسر المشى والجرى.

والشيب علامة على ظهور الضعف بعد القوة، وعدمه هو الأحسن.

والشعر للإنسان من سمات الجمال، وقد كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على نظافته ودهنه وتطيبه، وتسريحه، وفرقه، بعد أن كان يسدله.

وللعرف والعادة والبيئة دخل كثير فى الصورة التى تنبغى للمسلم بالنسبة إلى شعره، فقد تحبذ بيئة طول شعر الرجل، وتستنكر حلقه، وقد تحبذ بيئة أخرى حلق شعر الرجل وتستنكر طوله.

كذلك خضاب الشعر بالسواد أو بالصفرة، أو بالحمرة، للبيئة أثر كبير فى قبوله أو رفضه.

وقد تتأثر البيئة بتقليد الكافرين، فتحب ما هم عليه، وفى هذه الحالة لا تجيز الشريعة التشبه بهم، واستصحاب قصد ذلك يسىء إلى إسلام المسلم.

فله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ومن العزة استقلال الشخصية حتى فى المظهر واللباس. والله الهادى سواء السبيل .

(ملحوظة) سبق فى كتاب اللباس ما له صلة بهذا الباب فمن شاء فليراجعه.

المباحث العربية

(كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم) أى يرسلون شعرهم وسهم على جباههم. قال النووى: قال العلماء: المراد هنا إرساله على الجبين، واتخاذه كالقصة، بضم القاف وتشديد الصاد المفتوحة، و« يسدلون » بفتح الياء، يقال: سدل بفتح الدال يسدل بضمها وكسرهما، أى أرسل، وسدل شعره وثوبه إذا أرسله ولم يضم جوانبه، قال القاضى: والمراد به هنا إرساله على الجبين.

« وأشعار » بفتح الهمزة جمع شعر بفتح الشين مع سكون العين وفتحها، مذكران، وهو ما ينبت على الجسم مما ليس بصوف ولا وبر، للإنسان وغيره، ويجمع أيضا على شعور، والواحدة من الشعر شعرة، بفتح الشين وسكون العين.

(وكان المشركون يفرقون رؤوسهم) « يفرقون » بفتح الياء وضم الراء وكسرهما، وفرق رأسه وشعره بفتح الفاء والراء، أى ألقى شعره إلى جانبيه رأسه، فلم يترك منه شيئا على جبهته، وفى الكلام مضاف محذوف، أى يفرقون شعر رؤوسهم.

(وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به) لصلتهم بالشرائع والكتب، وهل الحب كان بوحى أو من نفسه؟ وهل كان ذلك على الوجوب أو الندب؟ سيأتى تفصيله فى فقه الحديث.

(فسدل رسول الله ﷺ ناصيته) أى شعر ناصيته.

(ثم فرق بعد) أى فرق شعر رأسه بعد أن كان يسدل.

(كان رسول الله ﷺ رجلا مريوعا) وعند البخارى « كان ربعة » بفتح الراء وسكون الباء، أى مريوعا، والتأنيث باعتبار النفس، يقال: رجل ربعة، وامرأة ربعة، وقد فسرفى الحديث بأنه ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط فى الطول، مع اضطراب القامة، وفى رواية « كان ربعة، وهو إلى الطول أقرب » وفى رواية « رجل بين رجلين » وعند ابن أبى خيثمة « لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان، فيطولهما، فإذا فارقه نسبا إلى الطول، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة » و فى الرواية الرابعة « ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير ».

(بعيد ما بين المنكبين) أى عريض الظهر.

(عظيم الجمة، إلى شحمة أذنيه) « الجمة » بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة الشعر الذى نزل إلى المنكبين، وفى رواية « كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة، ودون الجمة » « الوفرة » أقل من الجمة وهى الشعر النازل إلى شحمة الأذنين، و « اللحمة » التى ألفت بالمنكبين، و « شحمة الأذن » الجزء اللين فى أسفلها، وهو معلق القرط منها، وفى الرواية الثالثة « شعره يضرب منكبيه » وفى الرواية الخامسة « كان شعرا رجلا » بفتح الراء وكسر الجيم وقد تسكن، « أى سلسا متسرحا بين الجعودة والسبوبة » ليس بالجعد ولا السبط « والجعودة فى الشعر أن لا يتكسر ولا يسترسل، والسبوبة ضده، فى رواية للبخارى « ليس بجعد قطط ولا بسط ». « بين أذنيه وعاتقه » وفى الرواية السابعة « كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه » قال القاضى والجمع بين هذه الروايات أن ما يلى الأذن هو الذى يبلغ شحمة أذنيه وهو الذى بين أذنيه وعاتقه، وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه، قال: وقيل: ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكان الشعر يقصر ويطول بحسب ذلك، والعاتق ما بين المنكبين والعنق.

(كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها، وأحسنه خلقا) بفتح الخاء. قال النووى: قال أبو حاتم وغيره: هكذا تقول العرب « وأحسنه » - أى كان الظاهر أن يقول: وأحسنهم - يريدون: وأحسنهم، ولكن لا يتكلمون به، وإنما يقولون: أجمل الناس وأحسنه، ومنه الحديث « خير نساء ركن الإبل نساء قريش، وأشفقه على ولد، وأعطفه على زوج » وحديث أبى سفيان « عندى أحسن نساء العرب وأجمله » أى وأجمل هذا الجنس.

(كان رسول الله ﷺ ضليح الفم) فسره الراوى فى الحديث بعظيم الفم. قال النووى: كذا قاله الأكثرون، وهو الأظهر، قالوا: والعرب تمدح ذلك الرجل، وتذم فيه صغر الفم، وهو معنى قول ثعلب: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

(**أشكل العين**) بسكون الشين وفتح الكاف، وفسره الراوى فى الحديث بطول شق العين، قال القاضى: وهذا من الراوى باتفاق العلماء، غلط ظاهر، وصوابه، ما اتفق عليه العلماء أن الشكلة حمرة فى بياض العينين، وهو محمود، والشهلة بالهاء حمرة فى سواد العين.

(**منهوس العقبين**) فسرته الراوى بقليل لحم العقبين، و« منهوس » بالسين عند الجمهور، وروى بالشين، وهما متقاربان.

(**كان أبيض مليح الوجه**) فى الرواية العاشرة « كان أبيض مليحاً مقصداً » بفتح القاف والصاد المشددة، وهو الذى ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا قصير.

(**هل خضب رسول الله ﷺ ؟**) « خضب » بفتحات يخضب بكسر الضاد خضبا وخضبة، يقال: خضب الشيء غير لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما، ويقال: اختضب الرجل واختضبت المرأة، من غير ذكر الشعر، والمراد هنا تغيير لون شعر الرأس واللحية بالحناء والأصباغ الأخرى.

(**إنه لم يكن رأى من الشيب إلا...**) وكأنه أشار بأصابعه إلى قلة الشيب، لسيغنى بالإشارة عن العبارة، وفى الرواية الثانية عشرة « لم يبلغ الخضاب » أى لم يبلغ شيبه ما يحتاج إلى الخضاب.

(**كان فى لحيته شعرات بيض**) وفى الرواية الثالثة عشرة « إنه لم ير من الشيب إلا قليلا » وفى الرواية الرابعة عشرة « لو شئت أن أعد شمطات كن فى رأسه فعلت. لم يختضب » يقال: شمط بفتح الشين وكسر الميم وأشمط، أى صار سواد شعره، مخالطاً لبياضه، والمراد هنا الشعرات البيضاء، والمراد من الرأس هنا جزؤها، وحددته الرواية الثانية عشرة باللحية، وحددته الرواية الخامسة عشرة بالعنفقة وبالصدغين، وقالت « وفى الرأس نبد » أى شعرات منبوذة نادرة شاذة، وحددته الرواية السابعة عشرة بالعنفقة إشارة، وفى الرواية التاسعة عشرة « كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيء » أى شيب « وإذا لم يدهن رأى منه » قال النووى: اختلاف الروايات فى قدر شيبه صلى الله عليه وسلم يجمع بينها بأنه كان شيئاً يسيراً، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير، ومن نفاه أراد أنه لم يكثر فيه.

(**وقد خضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم**) بفتح الكاف والتاء المخففة، قال النووى: هذا هو المشهور، وقال أبو عبيده: هو بتشديد التاء وهو نبات يصبغ به الشعر، يحول بياضه أو حمرة إلى الدهمة، وقوله « بالحناء والكتم » أى مخلوطين، وقوله « واختضب عمر بالحناء بحتا » أى منفرداً، غير مخلوط بالكتم أو غيره.

(**ما شأنه الله ببيضاء**) « ما شأنه » بدون همز، أى ما شأنه الله بشعرات بيضاء كثيرة.

(**كنت أبرى النبل وأريشها**) « أبرى » بفتح الهمزة وسكون الباء، كبرى القلم ليدخل النبل فى جسم المرمى، و« أريشها » بفتح الهمزة وكسر الراء وإسكان الياء، أى أجعل للنبل ريشاً. والريش السن والنصل المدبب الذى يركب فى طرف النبل والسهم.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى مشروعية فرق الشعر، قال النووي: قال العلماء: والفرق سنة، لأنه الذي رجع إليه النبي ﷺ، قالوا: فالظاهر أنه رجع إليه بوحى، لقوله « إنه كان يوافق أهل الكتاب فيما لم يؤمر به » أى إنه لم يعدل عن موافقتهم إلا بأمر، قال القاضى: حتى قال بعضهم: نسخ السدل، فلا يجوز فعله، ولا اتخاذ الناصية والجمعة. قال: ويحتمل أن المراد جواز الفرق، لا وجوبه، أى ولا استحبابه، قال: ويحتمل أن الفرق كان باجتهاد فى مخالفة أهل الكتاب، لا بوحى، ويكون الفرق مستحبا، ولهذا اختلف السلف فيه، ففرق شعره جماعة منهم، واتخذ الجمعة آخرون، قال: وقد جاء فى الحديث « أنه كان للنبي ﷺ لمة، فإن انفردت فرقتها، وإلا تركها » قال مالك: فرق الرجل أحب إلى. هذا كلام القاضى عياض: قال النووي: والحاصل أن الصحيح المختار جواز السدل والفرق، وأن الفرق أفضل.

٢- استحباب مخالفة أهل الكتاب فيما لم يرد عنه شيء فى شرعنا، قال القاضى: واختلف العلماء فى تأويل موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه شيء، فقيل: فعله استئلافاً لهم فى أول الإسلام، وموافقة لهم على مخالفة عبدة الأوثان، فلما أغنى الله تعالى عن استئلافهم، وأظهر الإسلام على الدين كله، صرح بمخالفتهم فى غير شيء، منها صبغ الشيب، وقال آخرون: يحتمل أنه أمر باتباع شرائعهم فيما لم يوح إليه شيء، وإنما كان هذا فيما علم أنهم لم يبدلوه، إذ كانوا فى زمانه متمسكين ببقايا من شرائع الرسل، فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عبدة الأوثان، فلما أسلم غالب عباد الأوثان أحب صلى الله عليه وسلم حينئذ مخالفة أهل الكتاب.

٣- استدلل بعضهم بالحديث على أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه، وقال آخرون: بل هذا دليل على أنه ليس بشرع لنا، لأنه قال: يحب موافقتهم، فأشار إلى خيريته، ولو كان شرعاً لنا لتحتم اتباعه، وعلى التسليم ففى نفس الحديث أنه رجع عن ذلك آخرأ.

٤- ومن الرواية الثانية والثالثة والرابعة أن جسمه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالطويل المفرط، ولا بالقصير الظاهر، بل كان وسطاً، يميل إلى الطول.

٥- ومن الرواية الثانية والثالثة أنه صلى الله عليه وسلم كان عريض الظهر، بعيد ما بين المنكبين.

٦- ومن الرواية الثانية والثالثة والخامسة والسادسة السابعة أنه صلى الله عليه وسلم كان طويل الشعر، يصل شعره أحياناً منكبيه.

٧- ومن الرواية الخامسة أن شعره صلى الله عليه وسلم كان سلسا، ليس جعدا ولا بسطة.

٨- ومن الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة أن الشيب فى شعره كان قليلا، وفى رواية لأنس « توفي رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ».

٩- وأن رسول الله ﷺ لم يخضب الشيب.

- ١٠- وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما خضبا بالحناء والكتم.
- ١١- ومن الرواية الثامنة أنه كان أشكل العين، أى فى بياضها حمرة.
- ١٢- وأنه كان عظيم الفم والأسنان.
- ١٣- وأنه كان قليل لحم العقب.
- ١٤- ومن الرواية التاسعة والعاشره أنه كان أبيض مليح الوجه، وفى الباب السابق تفصيل للون بشرته صلى الله عليه وسلم.
- ١٥- ومن الرواية الخامسة عشرة كراهة أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته، قال النووى: وهذا متفق عليه، قال أصحابنا وأصحاب مالك: يكره ولا يحرم.
- ١٦- ومن الرواية السادسة عشرة أن الشيب ليس ممدوحا، وليس من الجمال.
- ١٧- ومن الرواية السابعة عشرة أن الشعرات البيضاء كانت على عنقته صلى الله عليه وسلم.
- ١٨- ومن الرواية الثامنة عشرة أن الحسن بن على رضى الله عنهما كان يشبهه صلى الله عليه وسلم فى الخلقة.
- ١٩- ومن الرواية التاسعة عشرة أن رسول الله ﷺ كان يدهن شعره.

والله أعلم

(٦٢٢) باب إثبات خاتم النبوة، وصفته، ومحله من جسده صلى الله عليه وسلم

٥٣٠٠ - ١٠٩ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ^(١٠٩) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَيَّنْ. وَإِذَا شَعَثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ. وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهَهُ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا. بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَكَانَ مُسْتَدِيرًا. وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ.

٥٣٠١ - ١١٠ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ^(١١٠) قال: رأيتُ خاتَمًا في ظهرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، كأنه بَيْضَةُ حَمَامٍ.

٥٣٠٢ - ١١١ عن السائب بن يزيد رضي الله عنه ^(١١١) قال: ذهبتُ بي خالتي إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ الله! إنَّ ابنَ أخي وجعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبُرْكَاءِ. ثُمَّ تَوَضَّأَ. فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ. ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ.

٥٣٠٣ - ١١٢ عن عبدِ الله بنِ سرجس رضي الله عنه ^(١١٢) قال: رأيتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم. وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا. أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: نَعَمْ. وَلكَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، فَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاحِيَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى. جُمَعًا. عَلَيْهِ خَيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ.

المعنى العام

كثير من العلماء يرون أن خاتم النبوة من صنع الملكين، وهو قطعة لحم مستديرة بارزة في ظهره صلى الله عليه وسلم، بين كتفيه، أقرب ما تكون إلى الكتف الأيسر في حجم بيضة الحمامة، وأنه علامة من علامات نبوته.

(١٠٩) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن سيمالك أنه سمع عن جابر بن سمرة يقول

(١١٠) حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سيمالك قال سمعتُ.

- وحدثنا ابن نمير حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حسن بن صالح عن سيمالك بهذا الإسناد مثله.

(١١١) وحدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد قالوا حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل عن الجعدي بن عبد الرحمن قال سمعتُ عن السائب بن يزيد يقول

(١١٢) حدثنا أبو كامل حدثنا حماد يعني ابن زهير وحدثني سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر كلاهما عن عاصم الأحول ح وحدثني حامد بن عمر البكرائي واللفظ له حدثنا عبد الواحد يعني ابن زياد حدثنا عاصم.

ونحن نؤمن ببروز هذه المضغة من اللحم بين كتفيه فى صدره صلى الله عليه وسلم لثبوت رؤية الصحابة لها فى الأحاديث الصحيحة، ولكن لم يثبت فى حديث صحيح أنها علامة النبوة، نعم فى بعض الأحاديث أن بعض اليهود كشفوا عن كتفيه صلى الله عليه وسلم، فلما رأوها عرفوا رسالته، لكن فى هذه الروايات مقال.

وعلى الرغم من أن البخارى وغيره ذكر أحاديث الخاتم فى علامات النبوة، وفى مناقب الرسول ﷺ، وعلى الرغم من روايات ضعيفة ذكرها علماء السير فى وصف الخاتم، فقد قال الحافظ ابن حجر: ما ورد فى أنها كأثر محجم، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء، أو مكتوب عليها « محمد رسول الله » أو « سر، فأنت المنصور » أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء، وقد أطنب الحافظ قطب الدين استيعابها، فى شرح السيرة، وتبعه مغلطاي فى الزهر الباسم، ولم يبين شيئاً من حالها، والحق ما ذكرته ولا تغتر بما وقع منها فى صحيح ابن حبان، فإنه غفل، حيث صحح ذلك . والله أعلم

المباحث العربية

(فقال رجل: وجهه مثل السيف. قال جابر: لا. بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً) فى رواية للبخارى « سئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر » كأن السائل أراد أنه مثل السيف فى الطول، فرد عليه البراء، فقال: بل مثل القمر فى التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللمعان والصقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين، من التدوير واللمعان، وفى رواية « أكان وجه النبي ﷺ حديداً مثل السيف؟ والسؤال فى رواية البخارى وجه إلى البراء بن عازب ؓ، وهو الذى أجاب، وفى روايتنا وجه السؤال إلى جابر بن سمرة ؓ، وهو الذى أجاب، ولا مانع من تعدد القصة، ولا من أن يكون السائل واحداً، وتعدد المسئولون. وقد زاد جابر فى التشبيه عن البراء « مثل الشمس » وقد جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحظة، دون غيرها، ولهذا جاء فى الجواب « وكان مستديراً، للتنبية على أنه جمع الصفتين معاً، الحسن والاستدارة، وعند أحمد وابن سعد وابن حبان عن أبى هريرة « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجرى فى جبهته » قال الطيبى: شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم، وهو من التشبيه المقلوب، وعند الطبرانى والدارمى عن الربيع بنت معوذ « لو رأيت لرايت الشمس طالعة ».

(ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده) فى الرواية الثانية « كأنه بيضة حمام » لكن وقع عند ابن حبان « كبيضة نعامة » ونبه على أنها غلط، وعند ابن حبان من حديث ابن عمر « مثل البندقة من اللحم » وعند الترمذى « كبضعة ناشزة من اللحم » وفى رواية للبخارى « كانت بضعة ناشزة » أى مرتفعة على جسده، ومعنى « يشبه جسده » فى روايتنا أى فى اللون، قال الحافظ ابن حجر: وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، وكالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها « محمد رسول الله » أو « سر. فأنت المنصور » أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء. اهـ

ولا تنافى بين قوله « عند كتفه » وقوله فى الرواية الثانية « فى ظهر رسول الله ﷺ » وقوله فى الرواية الثالثة والرابعة « بين كتفيه » فقد كان فى ظهره وبين كتفيه، عند كتفه الأيسر، قال القرطبى: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر، عند كتفه الأيسر قدره إذا قل بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد.

(عن السائب بن يزيد) فى البخارى عن الجعيد بن عبد الرحمن. قال: رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين، جلدأ معتدلاً، فقال: قد علمت ما متعت به، سمعى وبصرى، إلا بدعاء رسول الله ﷺ. إن خالتي ذهبت بى إليه ولد سنة أربع من الهجرة.

(ذهبت بى خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختى وجع)
بفتح الواو، وكسر الجيم وتنوين العين، وفى رواية للبخارى « وقع » بوزن « وجع » وبمعناها، وجاء بلفظ الفعل الماضى المبنى للمعلوم، والمراد أنه كان يشتكى رجله، كما ثبت فى بعض الطرق.

(فمسح رأسى، ودعا لى بالبركة) أى فهذا سر طول عمرى، وتمتعى بسمعى وبصرى.

(ثم توضأ فشربت من وضوئه) بفتح الواو، أى من الماء الذى تجمع بعد أن تساقط من وضوئه.

(ثم قمت خلف ظهره) أى وقفت خلف ظهره حين قام إلى الصلاة بعد الوضوء.

(فنظرت إلى خاتمه، بين كتفيه، مثل زر الحجلة) « زر » بكسر الزاى وتشديد الراء، و« الحجلة » بفتح الحاء والجيم، واحدة الحجال، وهى بيوت تزين بالثياب، فىكون لها عرى وأزوار كبار، وتستعمل كذلك فى دوائر الأسرة وتعرف بالكلية، وفى الستائر، وزرها فى حجم بيضة الحمامة غالباً. هذا هو الصواب المشهور الذى قاله الجمهور، وقال بعضهم: المراد بالحجلة الطائر المعروف، وزرها بيضتها، وقيل: من حجل الفرس، وهو البياض بين عينيه، ورد بأن التحجيل إنما يكون فى القوائم، وأما الذى فى الوجه فهو الغرة، وأجيب بأنه قد يطلق على ذلك مجازاً، واعترض بأن الغرة لا زرها، وكون هذه الكلمة مقحمة تكلف دون موجب، وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة الطير المعروف، وأن المراد بزرها بيضها، ويقال لهذا الطير اليعقوب، ويقال للأنتى منه حجلة.

وجاء فى رواية « رن » بتقديم الراء على الزاى، وهو مأخوذ من ارتن الشىء إذا دخل فى الأرض، والمراد بها هنا البيضة، يقال: ارتنت الجرادة، إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتبيض، وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف أيضاً.

(استغفر لك النبى ﷺ؟ قال: نعم. ولك) يا عاصم، وهو الراوى عن عبد الله بن سرجس، ويقصد بالاستغفار لهما دخولهما فى عموم المؤمنين والمؤمنات فى الآية.

(فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عند ناغض كتفه اليسرى جمعا) « ناغض »

بكسر الغين، بعدها ضاد، قال الجمهور: النغض بسكون الغين وفتحها والناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذى على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك.

وأما قوله « جمعا » فبضم الجيم، وسكون الميم، ومعناه أنه كجمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها.

(عليه خيلان، كأمثال التأليل) « خيلان » بكسر الخاء جمع « خال » وهو الشامة فى الجسد، أى على الخاتم، أو حوله خيلان، كأمثال التأليل، والتأليل، بفتح التاء ممدودة جمع ثؤلول بضم التاء، وهو خراج أو الحبة تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها، ويطلق على حلمة الثدي، وهو المناسب هنا.

فقه الحديث

قال الحافظ ابن حجر: كان الخاتم الذى بين كتفى النبى ﷺ علامة من علامات النبوة، التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها، قال: وادعى عياض هنا أن الخاتم هو أثر شق الملكين لما بين كتفيه، وتعقبه النووى: فقال: هذا باطل، لأن الشق إنما كان فى صدره وبطنه، وأثره إنما كان خطأ واضحا من صدره إلى مرق بطنه، كما فى الصحيحين، قال: ولم يثبت قط أنه بلغ بالشق، حتى نفذ من وراء ظهره، ولو ثبت للزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى قطنته، لأنه الذى يحاذى الصدر، من سرتة إلى مرق بطنه. قال: فهذه غفلة من هذا الإمام، ولعل هذا وقع من بعض نساخ كتابه، فإنه لم يسمع عليه، فيما علمت.

ودافع الحافظ ابن حجر عن القاضى عياض، وقال: وقد وقفت على مستند القاضى، وهو حديث عتبة بن عبد السلمي، أخرجه أحمد والطبرانى، وغيرهما عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ: كيف كان بدء أمرك؟ فذكر القصة فى ارتضاعه فى بنى سعد، وفيه أن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه، وختم عليه بخاتم النبوة، اه. قال: فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل ذلك عياض على أن الشق لما وقع فى صدره، ثم خيط، حتى التأم كما كان، ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الشق، وفهم النووى وغيره منه، أن قوله « بين كتفيه » متعلق بالشق، وليس كذلك، بل هو متعلق بأثر الختم. ثم ساق الحافظ ابن حجر أحاديث ضعيفة لا يحتج بها، دفاعا عن القاضى عياض، ولسنا معه، والقول هنا قول النووى.

وقد ذكر البخارى حديث السائب بن يزيد، وروايتنا الثالثة فى باب استعمال فضل وضوء الناس من كتاب الطهارة، مستدلا بشرب السائب من ماء وضوئه صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر: أراد البخارى الاستدلال بهذا الحديث على رد قول من قال بنجاسة الماء المستعمل وهو قول أبى يوسف، وعن أبى حنيفة ثلاث روايات: الأولى طاهر، لا طهور، وهو قول الشافعى فى الجديد، وهو المفتى به عند الحنفية، الثانى نجس نجاسة خفيفة، الثالثة نجس نجاسة غليظة، وهذه الأحاديث ترد عليه، لأن النجس لا يتبرك به.

قال ابن المنذر: وفي إجماع أهل العلم على أن البلل الباقي على أعضاء المتوضئ، وما قطر منه على ثيابه طاهر، دليل قوى على طهارة الماء المستعمل.

كما ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب المسح على رأس المريض، والدعاء له بالبركة في كتاب الدعوات. وذكره أيضا تحت باب من ذهب بالصبي المريض ليدهى له، في كتاب المرضى. كما ذكره تحت باب خاتم النبوة، من كتاب المناقب.

والله أعلم

(٦٢٣) باب قدر عمره صلى الله عليه وسلم،

وإقامته بمكة والمدينة

٥٣٠٤ - ١١٣ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١١٣) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. وليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم. ولا بالجعد القبط ولا بالسبط. بعثه الله على رأس أربعين سنة. فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة. وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

٥٣٠٥ - وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه، بمثل حديث مالك بن أنس، وزاد في حديثهما: كان أزهراً.

٥٣٠٦ - ١١٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١١٤) قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين. وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين. وعمر وهو ابن ثلاث وستين.

٥٣٠٧ - ١١٥ عن عائشة رضي الله عنها ^(١١٥)؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقال ابن شهاب: أخبرني سعيد بن المسيب. بمثل ذلك.

٥٣٠٨ - ١١٦ عن عمرو ^(١١٦) قال قلت لعروة كم كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة؟ قال: عشرًا. قال: قلت: فإن ابن عباس يقول: ثلاث عشرة.

٥٣٠٩ - ١١٧ عن عمرو ^(١١٧) قال: قلت لعروة: كم لبث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة؟ قال: عشرًا. قلت: فإن ابن عباس يقول: بضع عشرة. قال: ففغرة، وقال: إنما أخذه من قول الشاعر.

(١١٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ - وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرِ ح وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَاءَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ كِلَاهُمَا عَنْ رِبِيعَةَ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (١١٤) حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الرَّازِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ زَائِدَةَ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (١١٥) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ - وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبَادُ بْنُ مُوسَى قَالَا حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَ حَدِيثِ عُقَيْلٍ. (١١٦) حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَدَلِيُّ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو (١٠٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍو حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو

٥٣١٠ - ١١٧/٥ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١١٧)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ. وَتُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١١ - ١١٨/٦ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١١٨) قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ. وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا. وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٥٣١٢ - ١١٩/٧ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ^(١١٩) قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُثْبَةَ. فَذَكَرُوا سِنِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْبَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، يُقَالُ لَهُ عَامِرُ ابْنِ سَعْدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ. فَذَكَرُوا سِنِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَقُتِلَ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١٣ - ١٢٠/٨ عَنْ جَرِيرٍ^(١٢٠) أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ فَقَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

٥٣١٤ - ١٢١/٩ عَنْ عَمَّارِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ^(١٢١) قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: كَمْ أَتَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ؟ فَقَالَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ مِثْلَكَ مِنْ قَوْمِهِ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ النَّاسَ فَاخْتَلَفُوا عَلَيَّ. فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ قَوْلَكَ فِيهِ. قَالَ: أَنْحَسِبُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمْسِكْ أَرْبَعِينَ بُعْثَ لَهَا. خَمْسَ عَشْرَةَ بِمَكَّةَ. يَأْمَنُ وَيَخَافُ. وَعَشْرَ مِنْ مُهَاجِرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(١١٧) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رُوحِ بْنِ عَبَّادَةَ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١١٨) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الصَّبْعِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١١٩) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبَانَ الْجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا سَلَامٌ أَبُو الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ (١٢٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ

عَامِرِ بْنِ سَعْدِ الْبَجَلِيِّ عَنْ جَرِيرٍ

(١٢١) وَحَدَّثَنِي ابْنُ مِيْنَهَالِ الضَّرِيرِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُثْبَةَ عَنْ عَمَّارِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ

- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يُونُسَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ.

٥٣١٥ - ١٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٢٢)؛ أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين.

٥٣١٦ - ١٢٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٢٣) قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة. يسمع الصوت، ويرى الضوء، سيع سين، ولا يرى شيئاً. وتمان سنين يوحى إليه. وأقام بالمدينة عشرًا.

المعنى العام

يشتهر العرب بالمعمرين الذين يبلغون ما فوق السبعين، ربما لبيئة الصحراء، قليلة الأمراض، نقية الهواء، وربما لقلة مشاغلهم ومشاكلهم.

والأعمار الحقيقية لا تقاس بالسنين، فالأزمنة ظروف لما يحدث فيها، وقيمتها بقيمة ما يشغلها. فلو أن عملاً ما تم في شهر مع إنسان، وتم هو نفسه مع إنسان آخر في عام كانت قيمة العام عند هذا مساوية لقيمة الشهر عند ذلك.

ومن هنا نعجب كل العجب لما أحدثه رسول الله ﷺ في الإنسانية من نهضة وتطور في زمن يقل عن ثلاثة وعشرين عاماً، فقد أوحى إليه صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.

كانت ساعاته بأيام عند غيره، وما رجح من غزوة إلا وري بأخرى، وما جلس في المسجد إلا دعا ونصح وبلغ، يلقي جبريل، ويلقى أصحابه، ويلقى أعداءه، ويدير مملكة يحاربها خصوم ألداء من جهات متعددة، ويطبق شريعة الله، ويقضى بين الناس، وهو القائد في الحرب، الوالد في السلم، ولقد عظمت المسؤولية لعظمة المسئول.

حقاً. إن المرء ليعجب، ولا يعجب من سؤال الصحابة بعضهم بعضاً عن عمره صلى الله عليه وسلم، ما قضاه منه في مكة بعد البعثة وقبل الهجرة، وما قضاه صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١٢٢) و حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ يَعْنَى ابْنُ مُفَضَّلٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْخَدَّاءِ حَدَّثَنَا عَمَّارٌ مَوْلَى أَبِي هَاشِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ - وَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ إِسْنَادٍ.
(١٢٣) وَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(بعثه الله على رأس أربعين سنة) أى أوحى إليه عند تمامه أربعين سنة.

(فأقام بمكة عشر سنين) أى بعد بدء الوحي.

(وبالمدينة عشر سنين) ابتداء من الهجرة، حتى الوفاة.

(وتوفاه الله على رأس ستين سنة) من تاريخ ولادته.

(كم كان النبي ﷺ بمكة ؟) أى كم سنة أقام بمكة بعد أن بعث؟ وفى ملحق الرواية الرابعة « كم لبث النبي ﷺ بمكة »؟

(فإن ابن عباس يقول: بضع عشرة) فسر البضع فى الرواية السادسة بثلاث ولفظها « مكث بمكة ثلاث عشرة » أى بعد أن بعث.

(قال: فغفره) بفتح الغين، وتشديد الفاء المفتوحة، أى دعا عروة لابن عباس بالمغفرة، قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « فغفره » أى قال: غفر الله له، وهذه اللفظة يقولونها غالبا لمن غلط فى شيء. فكأنه قال: أخطأ غفر الله له. قال القاضى: وفى رواية ابن ماهان « فصغره » بصاد ثم غين، أى استصغره عن معرفة هذا، وعن إدراكه وضبطه.

(وقال: إنما أخذه من قول الشاعر) أى استمد ابن عباس هذا القول من قول الشاعر، وليس له علم بذلك، والشاعر المقصود هنا هو أبو قيس، صرمة بن أبى أنس، حيث يقول:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة . . . يذكر، لو يلقى خليلا مواتيا

أى يتمنى أن يلقى صاحباً يسلم ويتبعه، قال القاضى: وقد وقع هذا البيت فى بضع نسخ صحيح مسلم، وليس هو فى عامتها. قال النووى: وأبو قيس هذا أنصارى من بنى النجار، كما قال ابن إسحق، قال: كان قد ترهب فى الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، واتخذ بيتاً له مسجداً، لا يدخل عليه حائض ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم، فلما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم، فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالاً بالحق، وكان معظماً لله تعالى فى الجاهلية يقول الشعر فى تعظيمه سبحانه وتعالى. اهـ.

(فذكروا سننى رسول الله ﷺ) بكسر السين وكسر النون مخففة، وأصلها « سنين » حذف النون للإضافة، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، أى تذكروا عمر النبي ﷺ، وعدد السنين التى عاشها.

(كان أبوبكر أكبر من رسول الله ﷺ) وهذا خطأ باتفاق الجمهور

(مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وأبوبكر وعمر) الخبر محذوف للعلم به من المقام، أى وأبوبكر وعمر ماتا وكل منهما ابن ثلاث وستين .

(وأنا ابن ثلاث وستين) يقول معاوية: وأنا الآن ابن ثلاث وستين. والجملة مستأنفة، يقصد وأنا أتوقع موافقتهم، فأموت في سنتي هذه، قيل: عاش سبعا وسبعين سنة.

(عن عمار، مولى بنى هاشم، قال: سألت ابن عباس: كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟) أى كم من الدهر والسنين أتى على حياته صلى الله عليه وسلم يوم مات؟

(ما كنت أحسب مثلك من قومه يخفى عليه ذلك) ظن ابن عباس أن عماراً يسأل لخفاء الأمر عليه، ليعلم، والحقيقة أن عماراً كان يسأل للتقرير، وليتأكد من الخبر الشائع عن شذوذ ابن عباس بقوله. ولذلك كان جوابه: إني قد سألت الناس - أى الصحابة - فاختلفوا على، فأحببت أن أعلم قولك فى هذا الأمر

(قال: أتحسب) بضم السين، من الحساب، أى أتعرف الجمع؟

(أربعين بعث لها) أى بعث عندها. أضف إليها.

(خمس عشرة بمكة، يأمن ويخاف) أى بعد أن أوحى إليه أقام بمكة خمس عشرة سنة، يسر بالدعوة ويجهر بها.

(وعشر من مهاجرة إلى المدينة) «عشر» غير ممنون، على نية الإضافة، أى وعشر سنين، مبتدئة من تاريخ هجرته إلى وفاته.

(أقام النبى ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يوحى إليه) قال القاضى: أى يسمع صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى نور الملائكة، أو نور آيات الله، حتى رأى الملك بعينيه، وشافهه بوحى الله تعالى.

فقه الحديث

يحسن بنا أن نسرد الأقوال منضبطة، ثم نرجح أو نجمع بينها، أو نختار

فعن تاريخ ميلاده صلى الله عليه وسلم يقول النووى: ولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وقيل: بعد الفيل بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وادعى القاضى عياض الإجماع على عام الفيل، وليس كما ادعى.

واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول، واختلفوا: هل هو ثانى الشهر؟ أم ثامن؟ أم عاشره؟ أهـ. وهذه الأقوال غير منسجمة، فإذا كان هناك اتفاق على يوم الاثنين أمكن تحديد وضعه من الشهر هكذا. ثانيه أو تاسعه؟ أو سادس عشره؟، أما أن يكون الاثنين ثانياً أو ثامناً أو عاشراً أو ثانى عشره فغير معقول.

وسبب هذا الاختلاف أن العرب لم يكونوا يكتبون، ولا يقيدون الموالي، والإنسان يحتاج تاريخ الميلاد غالباً عندما يصبح مهماً، أى بعد ميلاده بفترة، تنسى تاريخ الميلاد غالباً.

أما تاريخ وفاته صلى الله عليه وسلم فقد اتفقوا على أنه توفي يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ضحى.

وأما متى بعث؟ وعند أى سنة من عمره أوحى إليه، فالصواب المشهور أنه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين من عمره، وحكى القاضى عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة « أنه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة.

ولعل هذه الرواية حسبت البعثة من تاريخ عودة الوحي بعد أن فتر.

واتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين.

والخلاف الواضح فى الروايات إنما هو فى المدة التى أقامها بمكة بعد البعثة، مما ترتب على هذا الخلاف خلاف فى عمره صلى الله عليه وسلم ككل.

فالرواية الأولى تصرح بأنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وبعث على رأس الأربعين، وأقام بالمدينة عشر سنين، فتوفى على رأس الستين، وهى مروية عن أنس رضي الله عنه.

وفى البخارى عن عائشة وابن عباس.

والرواية الرابعة وملحقها تنسب لعروة أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين وأن عروة أنكر على ابن عباس قوله « ثلاث عشرة » وعليه فعروة يعتبر عمره صلى الله عليه وسلم حين وفاته ستين سنة، على خلاف ما عليه الجمهور، وما نسب إلى ابن عباس فى الرواية الرابعة والخامسة والسادسة يتفق مع قول الجمهور، وقد روى أيضا فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها.

أما الرواية التاسعة فتنسب لابن عباس أن الإقامة بمكة بعد البعثة خمس عشرة سنة، والبعثة على رأس الأربعين، فيكون عمره صلى الله عليه وسلم حين الوفاة خمسا وستين، وقد صرح بذلك الرواية العاشرة، فيكون هذا رأياً لابن عباس مخالفا للجمهور.

فتحصل من هذا:

قول بأنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة.

وقول بأنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين سنة.

وقول بأنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال النووى: وهو أصح الأقوال وأشهرها، رواه مسلم هنا من رواية عائشة وأنس وابن عباس. رضى الله عنهم.

وتأول الجمهور الروايات الأخرى، تأول رواية الستين بأنه اقتصر فيها على العقود، وترك الكس، وتأول روايات الخمس والستين بالجبر إلى نصف العقد، أو أن هذه الروايات حصل فيها اشتباه، فلصاحبها روايات بخلافها.

قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن كل من روى عنه من الصحابة ما يخالف المشهور - وهو ثلاث وستون - جاء عنه المشهور، وهم ابن عباس وعائشة وأنس.

ثم قال: ومن الشذوذ ما رواه عمر بن شبة أنه عاش إحدى أو اثنتين وستين، ولم يبلغ ثلاثا وستين، وكذا رواه ابن عساكر من وجه آخر أنه عاش اثنتين وستين ونصفا، وهذا يصح على قول من قال: ولد في رمضان، وهو قول شاذ.

واللّٰه أعلم

(٦٢٤) باب فى أسمائه صلى الله عليه وسلم

٥٣١٧ - ١٢٤ عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنِ أَبِيهِ (١٢٤)، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ. وَأَنَا أَحْمَدُ. وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ. وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى عَقِيبي. وَأَنَا الْعَاقِبُ». وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

٥٣١٨ - ١٢٥ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنِ أَبِيهِ (١٢٥)؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً. أَنَا مُحَمَّدٌ. وَأَنَا أَحْمَدُ. وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ. وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي. وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ». وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَعُوفًا رَحِيمًا.

٥٣١٩ - ١٢٦ فِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْمَرٍ (١٢٦): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَفِي حَدِيثِ عَقِيلٍ: قَالَ: قُلْتُ: لِلزُّهْرِيِّ: وَمَا الْعَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ. وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ وَعَقِيلٍ: الْكُفْرَةَ. وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ: الْكُفْرَ.

٥٣٢٠ - ١٢٦ عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (١٢٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً. فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

المعنى العام

كثير من الأسماء يلحظ واضعوها مشتقها ومعناها، تيمناً وتفאוؤلاً ورغبة فى أن يكون المسمى له نصيب من اسمه، ولهذا كان النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يغير الأسماء القبيحة أو التى تبعث الشؤم فى نفس السامع إلى أسماء حسنة مبشرة.

لقد توفي عبد الله والد محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ومحمد فى بطن أمه، فلما ولد سماه جده عبد المطلب محمداً، رجاء أن يحمد فى السموات وفى الأرض، وكان الرهبان يبشرون الناس بأن نبيا فى ذلك الزمان

(١٢٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْنُ أَبِي عُمَرَ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ سَمِعَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنِ أَبِيهِ

(١٢٥) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنِ أَبِيهِ

(١٠٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عَقِيلُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ وَمَعْمَرٍ

(١٢٦) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنِ أَبِي عُيَيْنَةَ عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ

سيبعث، واسمه محمد، فبدأ الآباء يسمون أبناءهم محمداً، أملاً في أن يكون هو النبي ﷺ المنتظر، حتى بلغ اسم محمد في تلك الآونة خمسة عشر، بعد أن لم يكن معروفاً عند العرب، وكانت تورا عيسى بشرت بهذا النبي ﷺ وسمته «أحمد» قال عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقد جرت العادة بأن يسمى العظماء أسماء مشتقة من مجال عظمتهم، تسجيلاً لهذه الأعمال مرتبطة بأصحابها في سجل التاريخ، فسمى عمر ﷺ بالفاروق، وسمى أبو بكر ﷺ بالصديق، وهكذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم «الماحي» لأنه يمحو ظلام الكفر عن رقعة كبرى من الأرض، و«الحاشر» الذي سيقود العالم في الحشر يوم القيامة، و«العاقب» الذي كان بعد الأنبياء ولا نبي بعده، و«المقفي» أي التابع للرسول السابقين، والمتبوع من أمته، و«نبي التوبة» و«نبي الرحمة» لما تفضل الله به على أمته من قبول توبتهم إذا عصوا فتابوا رحمة بهم.

وهو المبشر المنذر الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولو ذهبنا نسمى رسول الله ﷺ بما وصفه الله به من صفات المجد والشرف لبلغنا بأسمائه ألفاً أو يزيد، صلى الله وسلم وبارك عليه.

المباحث العربية

(أنا محمد) قال أهل اللغة: يقال: رجل محمد، ومحمود، إذا كثرت خصاله الحمودة، فهذا منقول من صفة الحمد، من باب التفعيل، يقال: حمد بتشديد الميم المكسورة وضم الحاء، وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، أي الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال الحمودة. قال القاضي عياض: لم يكن العرب يسمون محمداً، إلا قرب ميلاده ﷺ، لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبيا سيبعث في ذلك الزمان، يسمى محمداً، فرجوا أن يكون في أبنائهم، فسموا أبناءهم بذلك، قال: وهم ستة لا سابع لهم، ورد الحافظ ابن حجر هذا الحصر، وأوصلهم خمسة عشر نفساً، وسردهم في فتح الباري، وقد تكرر اسم محمد في القرآن الكريم،

(وأنا أحمد) وذكر هذا الاسم في القرآن، حكاية عن قول عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو أفعال تفضيل في الأصل، ثم صار علماً منقولاً من صفة، ومعناه أحمد الحامدين، قالوا: وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام بحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل: الأنبياء حمادون، وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمداً، أو أعظمهم في صفة الحمد.

قال القاضي عياض: كان رسول الله ﷺ «أحمد» قبل أن يكون «محمداً» كما وقع في الوجود، لأن تسميته «أحمد» وقعت في الكتب السالفة، وتسميته «محمداً» وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة، يحمده ربه، فيشفعه، فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد، وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحماديين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه، صلى الله عليه وسلم.

(وأنا الماحى الذى يمحق بى الكفر) فى الرواية الثانية « وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر » قيل: المراد إزالة الكفر من جزيرة العرب، فـ«ال» فى « الكفر » عهدية، أى كفر أهل الجزيرة، والتقييد بذلك لأن الكفر لم ينمح به من جميع البلاد، وقيل: إنه محمول على الأغلب، أى ينمحق به أغلب الكفر، وفى رواية « يمحو الله به الكفرة » والمراد كفر الكفرة، وفى الكلام مضاف محذوف، وقيل المراد من المحو المحو العام، بمعنى الظهور بالحجة والغلبة، كما قال الله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩] وجاء فى حديث آخر تفسير الماحى بأنه الذى محيت به سيئات من أتبعه، وفى الكلام مضاف محذوف أيضاً، أى محيت به سيئات الكفر السابقة على الإيمان، فهو كقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] والحديث الصحيح « الإسلام يهدم ما قبله ».

(وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى) وفى الرواية الثانية « على قدمى » قال النووى: اتفقت النسخ على أنها « على قدمى » لكن ضبطوه بتخفيف الياء على الأفراد، وتشديدها على التثنية، وأما الرواية الأولى فهى فى معظم النسخ، وفى بعضها « قدمى » كالثانية، قال العلماء: معناهما يحشرون على أثرى، وزمان نبوتى ورسالتى، وليس بعدى نبى، وقيل: يتبعونى، وقيل: معناه إنه أول من يحشر، كما جاء فى الحديث الآخر « أنا أول من تنشق عنه الأرض »، وفى رواية « وأنا حاشر، بعثت مع الساعة » وهى تؤيد رأى الأول.

(وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد) من الأنبياء، وفى الرواية الأولى يفسرها الراوى بقوله « والعاقب الذى ليس بعده نبى » وفى ملحق الرواية الثانية « قال عقيب: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذى ليس بعده نبى » فهذا التفسير ظاهره الإدراج، بخلاف ما فى الرواية الأولى، ويؤيدها رواية الترمذى، ولفظها « الذى ليس بعدى نبى » .

(وقد سماه الله رءوفا رحيمًا) قال البيهقى فى الدلائل: هذه العبارة مدرجة من قول الزهري.

(والمقفى) بكسر الفاء المشددة، قال شمر: هو بمعنى العاقب، وقال ابن الأعرابى: هو المتبع للأنبياء، يقال: قفوته، أقفوه، وقفيته بتشديد الفاء المفتوحة، أقفيه، إذا اتبعته، وقافية كل شيء آخره.

(ونبى التوبة، ونبى الرحمة) أى النبى الذى جاء بالتوبة لأمته، وبالتراحم أكثر من أى نبى آخر، قال تعالى ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال ﴿وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

فقه الحديث

ذكر أبو بكر بن العربى فى كتابه: الأحوذى فى شرح الترمذى عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم، وللنبى ﷺ ألف اسم، ثم ذكر منها على التفصيل بضعة وستين، وفى رواية للبخارى « لى خمسة أسماء » وذكر الخمسة التى فى الرواية الأولى، وزاد عند ابن سعد « الخاتم » لكن فسر عند البيهقى

«العاقب» بالخاتم، وزعم بعضهم أن حصر العدد ليس من قوله صلى الله عليه وسلم، وإنما ذكره الراوى بالمعنى، قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، لتصريحه فى الحديث بقوله «إن لى خمسة أسماء» والذى يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها، لم يسم بها أحد قبلى، أو خمسة أسماء معظمة، أو مشهورة فى الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها.

قال: ومما وقع من أسمائه فى القرآن بالاتفاق: الشاهد، والمبشر والنذير، والمبين، والداعى إلى الله، والسراج المنير، وفيه أيضا: المذكر والرحمة، والنعمة، والهادى، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر، وله فى الأحاديث: المتوكل، قال: ومن أسمائه المشهورة: المختار، والمصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق، والمصدق.

قال: وغالب الأسماء التى ذكرها المصنفون وصف بها صلى الله عليه وسلم، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية، مثل «اللينة» لحديث «فكنت أنا اللينة»، وفى بعض الأحاديث «نبي الملحمة» و«نبي الجهاد».

والله أعلم

(٦٢٥) باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله، وشدة خشيته له

٥٣٢١ - ١٢٧ عن عائشة رضي الله عنها^(١٢٧) قالت: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه. فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه. فبلغه ذلك. فقام خطيباً فقال: «ما بال رجال بلغهم عني أمرٌ ترخصت فيه. فكرهوه وتنزهوا عنه. فوالله! لأنا أعلمهم بالله وأشدُّهم له خشيةً».

٥٣٢٢ - ١٢٨ عن عائشة رضي الله عنها^(١٢٨) قالت: رخص رسول الله ﷺ في أمرٍ، فتنزه عنه ناسٌ من الناس. فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه. فوالله! لأنا أعلمهم بالله وأشدُّهم له خشيةً».

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي إلا ليعبدوه لمصلحتهم هم، فيثابون، وينعمون، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، ولو أن أهل السموات والأرض كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أهل السموات والأرض كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

عبادة العابدين علامة على السمع والطاعة والاعتراف بالعبودية والخضوع، وظاهرة من ظواهر شكر المنعم على ما أنعم، وهي من هذه الحيثية لا تتأثر بالزيادة والمبالغة والغلو، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم القلبي، والتصديق القلبي، فقد سبق درهم ألف درهم عند الله، كما قال رسول الله ﷺ.

ومهما بالغ الإنسان في العبادة فلن يبلغ عشر معشار من عبادة الملائكة الذين منهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، ومنهم الذاكر أبداً، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وللإنسان طاقة، إذا استنفدها - ولو في العبادة - وفي وقت قصير، خلت بقية الأوقات، وإن خيراً الأعمال ما داوم عليها فاعلها، وإن قلت، فالمدائمة وحدها ارتباط متصل بين

(١٢٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الصُّحَيْ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ يَعْنَى ابْنُ غِيَاثٍ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ حَشْرَمٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عَيْسَى ابْنُ يُونُسَ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ نَحْوَ حَدِيثِهِ.

(١٢٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ

العبد وربه، وقد قيل: قليل دائم، خير من كثير ينقطع، والمبالغة، والغلو يعقبهما - غالباً - الملل، والملل من العبادة معصية، قد تأتي على ثواب ما قبلها، وفي الحديث «أوغل في الدين برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهراً أبقى» ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

من هنا كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على عدم مغالاة أصحابه في دين الله، بل كان يريد عبادة ربه بشيء، فيتزكاه، مخافة أن يقتدى به أصحابه، فيشق عليهم، كما فعل صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان، وكان إذا رأى تعمقاً أو رغبة في التعمق من أصحابه غضب، ولجأ إلى المنبر يذمهم الجميع إلى الترفق بأنفسهم، ويدعو إلى الترخص برخص الله، اقتداءً به صلى الله عليه وسلم، فهو أعلم الناس بالله، وهو أرقاهم، وأخشاهم لله، ولكنه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، كان يصوم ويفطر مع أنه قادر على الصوم أبداً، إذ يطعمه ربه ويسقيه، ويقوم وينام، ويتمتع بالنساء كما يتمتع بالصلاة، فهو رسول الله وسطاً لدين وسط، لأمة وسط. صلى الله عليه وسلم ورضى عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المباحث العربية

(صنع رسول الله ﷺ أمراً، فترخص فيه) أى فاختار الرخصة واليسر، وقد أوماً ابن بطال إلى أن الذى صنعه صلى الله عليه وسلم وتنزهوا عنه هو القبلة للصائم، وقال غيره: لعله الفطر فى السفر.

(فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكأنهم كرهوه، وتنزهوا عنه) فى الرواية الثانية بدون تشبيه، بل بالجزم، ولفظها «فتنزه عنه ناس من الناس» أى جماعة من الصحابة، بحجة أنه صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإذا ترخص فى شيء لم يكن غيره مثله، ممن لم يغفر له ذلك، إذ يحتاج الذى لم يغفر له إلى الأخذ بالعزيمة، والشدة لينجو.

(ما بال رجال بلغهم عنى أمر، ترخصت فيه، فكرهوه وتنزهوا عنه ؟) البال هو الحال، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى ما كان ينبغى أى يكون حالهم كذلك، وفى الرواية الثانية «فغضب، حتى بان الغضب فى وجهه، ثم قال: ما بال أقوام يرغبون عما رخص لى فيه»؟

(فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية) معناه: أنهم يتوهمون أن تنزههم عما فعلت أقرب لهم عند الله، وإن فعلت خلاف ذلك، وليس كما توهموا، بل أنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية وإنما يكون القرب إليه سبحانه وتعالى، والخشية له على حسب ما أمر، لا بمخيلات النفوس، وتكلف أعمال لم يأمر بها، قاله النووى.

وجمع بين العلم بالله، وشدة الخشية له، ليجمع بين القوة العلمية، والقوة العملية.

فقه الحديث

كان رسول الله ﷺ رحيمًا بأمته، يعز عليه عنتهم ومشقتهم، فكان يباعد بينهم وبين المغالاة في الدين، كما كان يخفف عنهم العقاب، إذا فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة، فلا يواجه المتعمق، ولا يحرجه، حياءً منه صلى الله عليه وسلم، وسترا عليه، فلا يعين الشخص عند العتاب، كأن يقول له: ما بالك يا فلان فعلت كذا؟ أو ما بال فلان يفعل كذا؟ فهو في هذه الحالة التي يستخدمها صلى الله عليه وسلم كأنه لم يواجه المخطئ وإن كان موجودا في جملة المخاطبين.

وقد أخرج مسلم في كتاب الصيام عن عائشة رضي الله عنها « أن رجلا قال: يا رسول الله، إنني أصبح جنبًا، وأنا أريد الصيام، فأغتسل وأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: وأنا تدركني الصلاة، وأنا جنب، فأصوم، فقال: يا رسول الله، إنك لست مثلنا؟ قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب رسول الله ﷺ، وقال: إنني أرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أنقى » ونحو هذا في حديث أنس المذكور في كتاب النكاح، « أن ثلاثة رهط سألوا عن عمل رسول الله ﷺ في السر » الحديث. وفيه قولهم « وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وفيه قوله لهم « والله إنني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. ».

ويؤخذ من الحديث

١- الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأقواله. والأصل فيه قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقد ذهب جمع إلى وجوبه، لدخوله في عموم الأمر، بقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] ويقول «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ويقول تعالى ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣، ١٥٥] فيجب اتباعه في فعله، كما يجب اتباعه في قوله، حتى يقوم دليل على الندب أو الخصوصية، وقال آخرون: يحتل الوجوب والندب والإباحة، فيحتاج إلى القرينة، والجمهور للندب، إذا ظهر وجه القرينة، وقيل: ولو لم يظهر، ومنهم من فصل بين التكرار وعدمه، وقال آخرون: ما يفعله صلى الله عليه وسلم. إن كان بيانًا لمجمل، فحكمه حكم ذلك المجمل، وجوبا أو ندبا أو إباحة، فإن ظهر وجه القرينة فللندب، وما لم يظهر فيه وجه التقرب للإباحة.

وأما تقريره صلى الله عليه وسلم على ما يفعل بحضرتة فيدل على الجواز، وإذا تعارض فعله وقوله. قيل: يقدم القول، لأن له صيغة، تتضمن المعاني، بخلاف الفعل، وقيل: يقدم الفعل، لأنه لا يطرقة من الاحتمال ما يطرقة القول، ثالث الأقوال: يلجأ إلى الترجيح، وكل ذلك ما لم تقم قرينة تدل على الخصوصية.

وذهب الجمهور إلى القول الأول والحجة له أن القول يعبر عنه عن المحسوس والمعقول، بخلاف الفعل، فيختص بالمحسوس، فكان القول أتم، وبأن القول متفق على أنه دليل، بخلاف الفعل، ولأن القول يدل بنفسه، بخلاف الفعل، فيحتاج إلى واسطة، وبأن تقديم

الفعل يقضى إلى ترك العمل بالقول، والعمل بالقول يمكن معه العمل بما دل عليه الفعل، فكان القول أرجح بهذه الاعتبارات.

قال ابن بطال - بعد أن حكى الاختلاف فى أفعاله صلى الله عليه وسلم - محتجاً لمن قال بالوجوب بحديث الخاتم، فقد خلع خاتمه، فخلعوا خواتيمهم، ونزع نعله فى الصلاة، فنزعوا، ولما أمرهم فى الحديدية بالتحلل، وتأخروا عن المبادرة، رجاء أن يؤذن لهم فى القتال، وأن ينصرفوا، فيكملوا عمرتهم، قالت له أم سلمة: اخرج إليهم، واحلق واذبح، ففعل، فتابعوه مسرعين، فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول، ولما نهاهم عن الوصال، قالوا: إنك تواصل، فقال: إنى أطعم وأسقى، فلولا أن لهم الاقتداء به لقال: وما فى مواصلى ما يبيح لكم الوصال، لكنه عدل عن ذلك، وبين لهم وجه اختصاصه بالمواصلة. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وليس فى جميع ما ذكره ابن بطال ما يدل على المدعى، من الوجوب، بل على مطلق التأسى به صلى الله عليه وسلم.

٢- وذم التعمق، والمغالاة فى الدين، لقوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] والغلو هو المبالغة فى الشيء، والتشديد فيه، بتجاوز الحد، وعند النسائى وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم والغلو فى الدين، فإنما أهلك من قبلكم الغلو فى الدين»

٣- وأن الخير فى الاتباع، سواء كان ذلك فى العزيمة، أو الرخصة.

٤- وأن استعمال الرخصة، بقصد الاتباع، فى المحل الذى وردت فيه، أولى من استعمال العزيمة، بل ربما كان استعمال العزيمة حينئذ مرجوحاً، كما فى إتمام الصلاة فى السفر، وربما كان مذموماً، إذا كان رغبة عن السنة.

ونقل ابن التين عن الداودى أن التنزه عما ترخص فيه صلى الله عليه وسلم من أعظم الذنوب، لأنه يرى نفسه أتقى لله من رسوله، وهذا إلهاد.

قال الحافظ ابن حجر: لا شك فى إلهاد من اعتقد ذلك، ولكن الذى اعتل به من أشير إليهم فى الحديث أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يكون إلهاداً.

٥- وفى الحديث الغضب عند انتهاك حرمت الشرع، وإن كان المنتهك متأولاً وتأويلاً باطلاً.

٦- وفيه حسن المعاشرة، بإرسال التعزير، والإنكار فى الجمع، من غير تعيين الفاعل.

٧- وأن القرب إلى الله تعالى سبب لزيادة العلم به، وشدة خشيته.

ولهذا الباب علاقة بالباب بعده

والله أعلم

(٦٢٦) باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، وتوقيره،

وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه

٥٣٢٣ - ١٢٩ عن عبد الله بن الزبير (١٢٩) رضي الله عنه؛ أنَّ رجلاً من الأنصارِ خاصمَ الزُّبيرَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، في شِراجِ الحِرةِ التي يسقونُ بها النَّخلَ. فقالَ الأنصاريُّ: سَرِحَ المَاءُ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِمْ. فَاحْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ للزُّبيرِ «اسقِ يا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ» فَغَضِبَ الأنصاريُّ. فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُنْ كَانِ ابْنُ عَمَّتِكَ! فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ، اسقِ، ثُمَّ احسِبِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ» فقالَ الزُّبيرُ: وَاللهِ! إِنِّي لَاحسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلكَ «فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا».

٥٣٢٤ - ١٣٠ عن أبي هريرة (١٣٠) رضي الله عنه؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ. وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةَ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ».

٥٣٢٥ - ١٣١ عن أبي هريرة (١٣١) رضي الله عنه. كُلهُمْ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ» وَفِي حَدِيثِ هَمَامٍ «مَا تَرَكَتُمْ. فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

٥٣٢٦ - ١٣٢ عن عامر بن سعدٍ عن أبيه (١٣٢) رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ ما

(١٢٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ غُرُورَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ

(١٣٠) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّحِيْبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، وَهُوَ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخَزَاعِيُّ، أَخْبَرَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. بِهَذَا الْإِسْنَادِ. مِثْلُهُ سَوَاءٌ.

(١٣١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي الْجَزَامِيَّ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا عُثَيْبُ بْنُ مَعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - ثُمَّ ذَكَرُوا نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ وَأَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١٣٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ رَاهِيْمٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ غَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ

المُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحْرَمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

٥٣٢٧- ١٣٣/٤ عَنْ غَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ (١٣٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ
فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحْرَمْ، فَحُرِّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

- وَزَادَ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ: «رَجُلٌ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ وَنَقَرَ عَنْهُ» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ يُونُسَ
غَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدًا.

٥٣٢٨- ١٣٤/٥ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ (١٣٤) قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْئًا.
فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا
أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَشَدُّ
مِنْهُ. قَالَ: غَطُّوا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَيْنٌ. قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،
وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فُلَانٌ» فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾.

٥٣٢٩- ١٣٥/٦ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ (١٣٥) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ
أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ» وَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ
لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ تَمَامَ الْآيَةِ.

٥٣٣٠- ١٣٦/٧ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ (١٣٦) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ.
فَصَلَّى لَهُمْ صَلَاةَ الظُّهْرِ. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ. فَذَكَرَ السَّاعَةَ. وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا

(١٣٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا عَنْ
سُفْيَانَ قَالَ أَحْفَظُهُ كَمَا أَحْفَظُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الزُّهْرِيُّ عَنْ غَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ
- وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ
كِلَاهِمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهِذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ فِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ

(١٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ السُّلَمِيُّ وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّؤْلُؤِيُّ وَالْفَاظُ لَهُمْ مُتَقَارِبَةٌ قَالَ مُحَمَّدُ حَدَّثَنَا
النُّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ وَقَالَ الْآخِرَانِ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَنَسِ
(١٣٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ بْنُ رَبِيعٍ الْقَيْسِيُّ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ
مَالِكٍ يَقُولُ

(١٣٦) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ النَّجَّيْبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابِ
أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

عَظَامًا. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ. فَوَاللَّهِ! لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا» قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ «سَلُونِي» فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ خُذَافَةُ» فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَقُولَ «سَلُونِي» بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْلَى. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَقَدْ عَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَيُّفَا فِي عَرَضِ هَذَا الْحَائِطِ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خُذَافَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُذَافَةَ: مَا سَمِعْتُ بِأَنَّ قَطُّ أَعَقَّ مِنْكَ؟ أَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمَّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُذَافَةَ: وَاللَّهِ! لَوْ أَحَقَّنِي بَعْدُ أَسْوَدَ، لَلْحَقُّتُهُ.

بمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ (١١).

٥٣٣١ - ١٣٧/٨ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ (١٣٧) أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوهُ بِالْمَسْأَلَةِ. فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ، فَقَالَ: «سَلُونِي، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْقَوْمُ أَرْمُوا وَرَهَبُوا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ قَدْ حَضَرَ. قَالَ أَنَسُ: فَجَعَلْتُ أَتْلِفُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي. فَأَنْشَأَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، كَانَ يُلَاحِظُ قَيْدَعِي لِغَيْرِ أَبِيهِ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ خُذَافَةُ» ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، عَائِدًا بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. إِنِّي صَوَّرْتُ لِي الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَرَأَيْتُهُمَا دُونَ هَذَا الْحَائِطِ».

(١٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَحَدِيثِ عُيَيْدِ اللَّهِ مَعَهُ غَيْرَ أَنَّ شُعَيْبًا قَالَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ خُذَافَةَ قَالَتْ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ

(١٣٧) حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنِ سَعِيدِ بْنِ قَنَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

٥٣٣٢ - ١٣٨/٩ عَنْ أَبِي مُوسَى (١٣٨) قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا. فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ. غَضِبَ. ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ» فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ خُذَافَةٌ» فَقَامَ آخَرَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ» فَلَمَّا رَأَى عَمْرُ مَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: قَالَ: مَنْ أَبِي؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ، مَوْلَى شَيْبَةَ».

المعنى العام

إن الإيمان بمحمد ﷺ نبيا ورسولا، يستلزم الإجابة لما جاء به، وقبول أوامره ونواهيه، وامتثال قراراته وأحكامه، وفي ذلك يقول جل شأنه ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

لقد طبع العرب على العصبية القبلية، ونصر القريب والدفاع عنه، والحكم له، وإن كان ظالما، ومن الصعب انتزاع العادات والطبائع في زمن يسير، وقد لاقى رسول الله ﷺ من هذه الطبيعة ما لاقى، وتحمل في سبيل تقويمها ما تحمل.

فهذا رجل من الأنصار، تجاور أرضه ونخيله أرض ونخيل الزبير بن العوام، ابنة عمه رسول الله ﷺ ومياه سقيه لا بد لها أن تمر في أرض الزبير، والمياه، كما يقول العامة: لا تمر على العطشان، فلا يشرب، لكن قانون القوة، وقانون العصبية لا يلتزم الحقوق، لقد حاول الأنصاري أن تمر المياه في أرض الزبير، دون أن يسقى نخيله، فمنعه من فتح القناة في أرضه، وطلب منه أن يترك القناة مغلقة الجوانب حتى يصل الماء أرضه فيروى أولا، ورفعا الأمر إلى رسول الله ﷺ، فكان حكم الله أن يسقى الأعلى الأقرب إلى مصدر المياه أولا حتى يكتفى، لكن رسول الله ﷺ رغب في أن يتنازل الزبير عن بعض حقه، وأن يسقى الضروري فقط، وأن يسمح للماء بالمرور إلى أرض الأنصاري قبل أن يشبع الزبير أرضه، فقال: اسق يا زبير قدر الضرورة وأرسل الماء لجارك، وكان الأنصاري مشبعا بالعادة، فقال لرسول الله ﷺ: لأنه ابن عمك حكمت لمصلحته؟ وغضب صلى الله عليه وسلم، وبان الغضب في وجهه، فأعطى الزبير حقه، وقال: اسق يا زبير حتى يشبع بالماء نخلك، ثم اترك الماء، ونزلت الآية الكريمة، تدعو الأمة إلى قبول حكمه صلى الله عليه وسلم، والتسليم به.

وكان لا بد من توقيره صلى الله عليه وسلم، وتهيب الأمة لمقامه، وإن نواضع، لكن الطبيعة العربية

(١٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامِ ح وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ جَمِيعًا حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ (١٣٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

الخشنة جعلتهم يعاملونه بما لا يليق بمقامه، ينادونه باسمه، ويطلبون منه ما يطلبون من سوقة الناس، فيقولون: يا محمد، اخرج إلينا، فينزل الله تعالى ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

يكثر أسئلته بما لا ينفج، وبما لا يعنى، ويتوافه الأمور حتى من ضاعت ناقتة يسأل: أين ناقتي؟ وحتى يسأل من يشك في نسب نفسه: من أبي؟ فيتأذى رسول الله ﷺ من ذلك، وينزل قوله تعالى ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

إن الرسالة تكريم وتشريف وتفضيل للرسول، وطاعتهم طاعة الله، من يطع الرسول فقد أطاع الله، وتكريمهم والتسليم لهم تكريم لأوامر الله، وتسليم لأحكام الله.

المباحث العربية

(أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ) فى رواية « خاصم الزبير رجلا » والمخاصمة مفاعلة من الجانبين، فكل منهما مخاصم للآخر، كذا قال الحافظ ابن حجر: قلت: لكن جعل أحدهما فاعلا، والآخر مفعولا يشير إلى أن الفاعل هو الشاكي والمدعى، وهو هنا كذلك وأن الأنصارى هو الشاكي.

وفى رواية « أن رجلا من الأنصار قد شهد بدرًا » وفى رواية « أنه كان من بنى أمية بن زيد، وهم بطن من الأوس، وحكى ابن بشكوال عن شيخه أبى الحسن بن مغيث أنه ثابت بن قيس بن شماس، ولم يأت على ذلك بشاهد، قال الحافظ ابن حجر: وليس ثابت بدرياً، وحكى الواحدى أنه ثعلبة بن حاطب الأنصارى، الذى نزل فيه قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ هَادَ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧٥] ولم يذكر مستنده، ولم يكن بدرياً أيضاً، وحكى الواحدى أيضاً أنه حاطب بن أبى بلتعة، وتعقب بأن حاطباً وإن كان بدرياً لكنه من المهاجرين، ومال الحافظ ابن حجر إلى ترجيح هذا الرأى، فقال: لكن يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبى حاتم عن سعيد بن المسيب، فى قوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]، قال: نزلت فى الزبير بن العوام وحاطب بن أبى بلتعة، اختصما فى ماء » الحديث، وإسناده قوى مع إرساله. وعلى هذا فيقول قوله « من الأنصار » على إرادة المعنى الأعم، كما وقع ذلك فى حق غير واحد، كعبد الله بن حذافة، وأما قول الكرمانى بأن حاطباً كان حليفاً للأنصار ففيه نظر، وأما قوله من « بنى أمية بن زيد، فلعله كان مسكنه هناك، كعمر، قال: وذكر الثعلبى بغير سند أن الزبير وحاطباً لما خرجا، مرا بالمقداد، قال: لمن القضاء؟ فقال: حاطب: قضى لابن عمته، ولوى شذقه، ففطن له يهودى، فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنه رسول الله ويتهمونه. قال الحافظ: وفى صحة هذا نظر، قال: ويترشح بأن حاطباً كان حليفاً لآل الزبير بن العوام، من بنى أسد، وكأنه كان مجاوراً للزبير، أى فى الحائط والزراعة.

وأما قول الداودى وغيره: إن خصم الزبير كان منافقاً - للكلمة التى قالها - فقد وجهه القرطبى بأن قول من قال إنه كان من الأنصار، يعنى نسباً، لا ديناً. قال: وهذا هو الظاهر من حاله، ويحتمل أنه لم يكن منافقاً، ولكن صدر منه ذلك ببادرة النفس، كما وقع لغيره ممن صحت توبته، وقوى هذا

شارح المصابيح التوريشتى، ووهى ما عداه، وقال: لم تجر عادة السلف بوصف المنافقين بصفة النصر - قولهم: من الأنصار- التى هى المدح، ولو شاركهم فى النسب، قال: بل هى زلة من الشيطان، تمكن به منها عند الغضب، وليس ذلك بمستنكر من غير المعصوم فى تلك الحالة. اهـ.

وقال الداودى - بعد جزمه بأنه كان منافقا - وقيل: كان بدريا، فإن صح فقد وقع ذلك منه قبل شهودها، لانتفاء النفاق عن شهودها.

وقال ابن التين: إن كان بدريا فمعنى قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يستكملون الإيمان.

(فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل) « شراج » بكسر الشين وفتح الراء مع المد، بعدها جيم، جمع شرح، بسكون الراء، مثل بحرويحار، ويجمع أيضا على شروج، وحكى ابن دريد « شرح » بفتح الراء، وحكى القرطبى « شرجة » والمراد بها هنا مسيل الماء، أى مجراه، والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء موضع معروف فى المدينة، وهو فى الأصل الأرض الملساء، فيها حجارة سود، قال أبو عبيد: كان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطرفيتنافس الناس فيه.

وأضيف « شراج » إلى الحرة لأنه فيها، والمعنى اختصما بشأن الماء الجارى فى مسيل الحرة.

وقوله « التى يسقون بها النخل » أى توصل الماء إلى نخيلهم، وفى رواية « كانا يسقيان بها كلاهما » أى كان هذا المجرى يسقى لهما، لكن أرض الزبير أعلى من أرض الرجل، أى أقرب إلى مصدر الماء، ولا يصل الماء للرجل إلا بعد أن يمر فى أرض الزبير.

(فقال الأنصارى: سرح الماء يمر) « سرح » فعل أمر من التسريح، أى قال الرجل للزبير: أطلق الماء يمر، وفى الكلام طى، أى فحبس الزبير الماء فى أرضه، حتى يسقى، فقال الأنصارى لا تحبس الماء عنى، وأطلقه يمر من أرضك إلى أرضى، لنسقى سويا، وفى رواية فى آخرها « وكان النبى ﷺ قد أشار على الزبير برأى فيه سعة له وللأنصارى » والحقيقة أن رأى كان فيه سعة للرجل.

(فأبى عليهم) أى امتنع الزبير من إجابة مطلب الرجل، والجمع باعتبار أهله معه.

(فاختصموا عند رسول الله ﷺ) أعاد الجملة لطول الفصل عن الأولى، والجمع فى « اختصموا » باعتبار أفراد وأهل كل منهما، كقوله تعالى ﴿ هَذَا نِ حَصْمَانِ حِ حَصْمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩].

(اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك) أى اسق شيئا يسيرا، دون قدر حقه، ثم أرسله إلى جارك.

(أن كان ابن عمك ؟) الزبير بن العوام، أمه صفية بنت عبد المطلب، عمه النبى ﷺ، وأصل الكلام: لأنه كان ابن عمك حكمت له؟ فحذف الاستفهام وحرف الجر لام التعليل قبل « أن » وهو كثير، وحذف الضمير، اسم « أن » و « ابن » بالنصب، خبر « كان » كما فى قوله تعالى ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [القلم: ١٤] أى لأنه كان ذا مال وبنين كذب؟ وحكى القرطبى تبعالعياض أن همزة « أن » ممدودة، قال: لأنه استفهام على جهة الإنكار، قال الحافظ ابن حجر: ولم يقع لنا فى الرواية مد، لكن يجوز حذف همزة الاستفهام، وحكى الكرماني « إن كان » بكسر الهمزة على أنها شرطية، والجواب

محدوف، أى وإن كان ابن عمك فاعدل، وقريب من هذا رواية « فقال: يا رسول الله، اعدل وإن كان ابن عمك » وفى رواية للبخارى « إنه ابن عمك » قال ابن مالك: يجوز فى « إنه » فتح الهمزة وكسرها، لأنها وقعت بعد كلام تام، معتل بمضمون ما صدر بها، فإذا كسرت قدر ما قبلها بالفاء، وإذا فتحت قدر قبلها اللام.

(فتلون وجه نبي الله ﷺ) أى تغير، وهو كناية عن الغضب، وفى رواية « حتى عرفنا أن قد ساءه ما قال ».

(ثم قال: يا زبير، اسق، ثم احبس الماء، حتى يرجع إلى الجدر) أى حتى يصير إلى الجدر، و« الجدر » ضبط فى أكثر الروايات بفتح الدال، وفى بعضها بالسكون، وهو الذى فى اللغة، وهو أصل الحائط، اهـ.

وهو بفتح الجيم فيهما، ويروى بضم الدال والجيم، جمع جدار، ويروى بكسر الجيم، وهو الجدار والمراد حتى يرتفع الماء فى أصول النخيل، إلى أن يصير إلى حافة الجدار الترابى، الذى يحيطون به النخلة، ليحجز الماء لها، حتى تشرب كثيراً، فتصير به النخلة فى مثل حفرة، وفى رواية للبخارى « اسق يا زبير، حتى يبلغ الماء الجدر، ثم أمسك » أى أمسك نفسك عن السقى، وأرسل الماء لجارك.

وحكى الخطابى « الجدر » بسكون الدال، والمراد حتى يبلغ الجدر تمام الشرب، وفى رواية للبخارى « اسق، ثم احبس، حتى يرجع الماء إلى الجدر - واستوعى له حقه » بفتح العين، أى استوعى الرسول ﷺ للزبير حقه، واستوفاه له.

(قال الزبير: والله إنى لأحسب هذه الآية نزلت فى ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾) وفى رواية « والله إن هذه الآية أنزلت فى ذلك » بالجزم بدل الظن، وفى رواية « ونزلت ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ... ﴾ الآية » قال الحافظ ابن حجر: والراجح رواية الأكثر، وأن الزبير كان لا يجزم بذلك.

وجزم مجاهد والشعبى بأن الآية إنما نزلت فىمن نزلت فيه الآية التى قبلها، وهى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ... ﴾ الآية، فروى إسحق بن راهويه فى تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبى قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فدعا اليهودى المنافق إلى النبی ﷺ، لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودى إلى حكاهم، لأنه علم أنهم يأخذونها، فأنزل الله هذه الآيات، إلى قوله ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وروى الكلبي فى تفسيره عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية فى رجل من المنافقين، كان بينه وبين يهودى خصومة، فقال اليهودى: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتى كعب بن الأشرف، فذكر القصة وفيها أن عمر قتل المنافق، وأن ذلك سبب نزول هذه الآيات. قال الطبرى: ولا مانع أن تكون قصة الزبير وخصمه، وقعت فى أثناء ذلك، فيتناولها عموم الآية.

زاد البخارى « قال ابن جريج: فقال له ابن شهاب « فقدرت الأنصار والناس قول النبی ﷺ » اسق، ثم احبس، حتى يرجع إلى الجدار » وكان ذلك إلى الكعبيين « يعنى أنهم لما رأوا أن الجدار

يختلف بالطول والقصر، قاسوا ما وقعت فيه القصة، فوجدوه يبلغ الكعبين، فجعلوا ذلك معياراً لاستحقاق الأول فالأول. وسيأتى توضيح هذا الحكم فى فقه الحديث.

(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم) وفى الرواية الثالثة « ذرونى ما تركتكم » وفى ملحقتها « ما تركتكم » بالبناء للمجهول، وفى رواية للبخارى « دعونى » والكلمتان أمات العرب ماضيهما، واسم الفاعل منهما، واسم مفعولهما، وأثبتوا الفعل المضارع والأمر، فقالوا: يدع، ودع، ويذر. ذر. و« ما » فى « ما تركتكم » مصدرية ظرفية زمانية، أى مدة تركى إياكم بغير أمر بشيء، ولا نهى عن شيء، قال: ولم يقل: اتركونى ما تركتكم، على سبيل التفنن فى العبارة، وأطلق فى النهى، ولم يقيد بالاستطاعة، كما قيد الأمر، لأن المقصود النهى العام عن جميع المناهى، قال الفاكهى: لا يتصور امتثال اجتناب المنهى حتى يترك جميعه، فلو اجتنب بعض شرب الخمر أو بعض الزنا لم يعد متمثلاً، بخلاف الأمر المطلق، فإن من أتى بأقل ما يصدق عليه الاسم كان متمثلاً.

وقد أخرج مسلم سبب هذا الحديث، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذرونى ما تركتكم... « الحديث.

(فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم) يريد بالذين من قبلهم بنى إسرائيل، ويريد أن كثرة التنقيب قد تفضى إلى المشقة، فقد أمروا أن يذبحوا بقرة، فلو ذبحوا أى بقرة كانت، لامتنلوا، ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

وسياتى فى فقه الحديث أقوال العلماء فى المراد من المسائل المشار إليها.

(إن أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً من سأل عن أمر لم يحرم، فحرم على الناس)، قال القاضى عياض: والمراد بالجرم هنا الحرج على المسلمين، لا أنه الجرم الذى هو الإثم المعاقب عليه، لأن السؤال كان مباحاً. اهـ.

ورده النووى، فقال: وهذا الذى قاله القاضى ضعيف، بل باطل، والصواب ما قاله الخطابى وجماهير العلماء فى شرح هذا الحديث، وأن المراد بالجرم الإثم والذنب، قال: ويقال منه جرم بالفتح واجترم وتجرم إذا أثم. اهـ.

وسياتى فى فقه الحديث تفصيل القول فى نوعية السؤال.

(ورجل سأل عن شيء، ونقر عنه) أى بالغ فى البحث والاستقصاء عنه.

(بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب، فقال) يحتمل أن يكون الشيء هو الرغبة فى أسئلة لا حاجة إليها.

(عرضت على الجنة والنار) أى وما فيهما من نعيم وعذاب، وفى الرواية الثامنة « إنى صورت لى الجنة والنار، فرأيتهما دون هذا الحائط »

(فلم أر كاليوم فى الخير والشر) أى لم أر خيراً أكثر مما رأيت فى الجنة، ولا شراً أكثر مما رأيت فى النار.

(ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً) أى ولو رأيتم ما رأيتم، وعلمتم ما علمت لأشفقتم على أنفسكم إشفاقاً بليغاً، ولقل ضحككم، وكثر بكاءكم.

(فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه) أى من هذا اليوم الذى أُنذرتهم فيه بهذا الإنذار، والمراد ما حصل لهم ساعتها من الخوف.

(غطوا رؤوسهم، ولهم خنين) قال النووى « خنين » بالخاء فى معظم النسخ ولمعظم الرواة، ولبعضهم بالخاء، قالوا: ومعناه بالخاء صوت البكاء، وهو نوع من البكاء، دون الانتحاب، قالوا: وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف، والحنين خروجه من الفم، وقال الخليل: الخنين بالخاء صوت فيه غنة، وقال الأصمعى: إذا تردد البكاء فصار فيه غنة فهو خنين، وقال أبو زيد: الخنين مثل الحنين، شدة البكاء.

(فقام عمر، فقال: رضينا بالله ربا) هذا معطوف على محذوف، مطوى، أبرزته الرواية السابعة وفيها « خرج حين زاغت الشمس، فصلى لهم صلاة الظهر، فلما سلم قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن قبلها أموراً عظيماً، ثم قال: من أحب أن يسألنى عن شيء فليسألنى عنه، فوالله لا تسألونى عن شيء، إلا أخبرتكم به، ما دمت فى مقامى هذا، فأكثر الناس البكاء، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: سلونى » فلما أكثر رسول الله ﷺ من أن يقول: سلونى، برك عمر، فقال: « رضينا بالله ربا » وفى الرواية الثامنة « أن الناس سألو نبي الله ﷺ، حتى أحفوه بالمسألة » أى أكثروا فى الإلحاح والمبالغة فيه، يقال: أحفى وألحف، وألح بمعنى « فخرج ذات يوم، فصعد المنبر، فقال: سلونى، لا تسألونى عن شيء إلا بينته لكم » قال القاضى: وظاهر الحديث أن قوله « سلونى » إنما كان غضباً، كما قال فى الرواية التاسعة « سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلونى عم شئتم » قال: وكان اختياره صلى الله عليه وسلم ترك تلك المسائل، لكن وافقهم فى جوابها، لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها، قال: وأما برك عمر رضي الله عنه، وقوله « رضينا... إلخ » فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله ﷺ، وشفقة على المسلمين، لئلا يؤذوا النبي ﷺ، فيهلكوا.

وفى الرواية الثامنة « فلما سمع ذلك القوم أرموا » بفتح الهمزة والراء وتشديد الميم المضمومة، أى سكتوا، وأصله من المرمة، وهى الشفة، أى ضموا شفاههم، بعضها على بعض، فلم يتكلموا، « ورهبوا » أى خافوا « أن يكون بين يدي أمر قد حضر » أى أن يكون الرسول ﷺ عنده أمر خطير، كالساعة ويوادرها، قد آن أوانه، « قال أنس: فجعلت ألتفت يمينا وشمالا، فإذا كل رجل لاف رأسه » أى قد لاف رأسه « فى ثوبه يبكى ».

(رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً) أى رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى، وسنة نبينا ﷺ، واكتفينا به عن السؤال، ففيه أبلغ كفاية.

(قال: فسكت رسول الله ﷺ، حين قال عمر ذلك) أى سكت عن قول « اسألونى ».

(أولى) بفتح الهمزة وسكون الواو، وفتح اللام، وهى لفظة تهديد ووعيد، وقيل: كلمة تلهف، فعلى هذا يستعملها من نجا من أمر خطير، والصحيح المشهور أنها للتهديد، ومعناها قرب منكم ما تكرهونه، ومنه قول تعالى ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٤] أى قاربك ما تكره، فاحذره، مأخوذ من الولي، وهو القرب.

(أنفا) أى قريبا، أى هذه المسألة، والمشهور فيها المد، ويقال بالقصر، وقرئ بهما فى السبع، والأكثر بالمد.

(فى عرض هذا الحائط) عرض الحائط بضم العين جانبه.

(فقام ذاك الرجل، فقال: من أبى؟ قال: أبوك فلان) فى الرواية السابعة « فقام عبد الله بن حذافة، فقال: من أبى؟ يا رسول الله، قال: أبوك حذافة » وفى الرواية الثامنة « فأنشأ رجل من المسجد » أى بدأ رجل الكلام من المسجد « كان يلاحى » بضم الياء، وفتح الحاء، أى كان يخاصم ويجادل « فيدعى لغير أبيه » بضم الياء وسكون الدال وفتح العين، أى ينسب لغير أبيه، زاد فى الرواية التاسعة « فقام آخر، فقال: من أبى؟ يا رسول الله. قال: أبوك سالم، مولى شيبه » هذا الرجل هو سعد ابن سالم مولى شيبه بن ربيعة، وزاد الطبرى فى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ غضبان محمرا وجهه، حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل، فقال أين أنا؟ قال: فى النار» وعند أحمد « فقال رجل: يا رسول الله، فى الجنة أنا أو فى النار؟ قال: فى النار».

(ما سمعت بابن قط أعق منك) أى أنت أكثر الأبناء عقوقا لأمك.

(أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية الزنا) فتفضحها على أعين الناس؟ (« قارفت » أى ارتكبت، والمراد بما تقارف نساء أهل الجاهلية الزنا، والجاهلية من كانوا قبل النبوة، ومعنى « فتفضحها » أى لو كنت من زنا، فنفاك عن أهلك حذافة فضحتنى.

(والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقته) وآمنت بصدق كلامه، فإنه لا ينطق عن الهوى.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى حق الأعلى فى الشرب قبل الأسفل، قال العلماء: الشرب من نهر أو مسيل غير مملوك، يقدم الأعلى فالأعلى، ولا حق للأسفل حتى يستغنى الأعلى، وحده أن يغطى الماء الأرض، حتى يظهر على سطحها، ويرجع إلى الجدار، ثم يطلق، وقد أمر صلى الله عليه وسلم الزبير أولا أن يسامح ببعض حقه، إثارا لحسن الجوار، فلما جهل الخصم واعترض استوفى لصاحب الحق حقه.

والمراد بالأول هنا عند الجمهور من يكون مبدأ الماء من ناحيته، وقال بعض المتأخرين من الشافعية: المراد به من لم يتقدمه أحد في الغراس، بطريق الإحياء، والذي يليه من أحيا بعده، وهلم جرا. اهـ ويمكن قبول هذا الترتيب إذا كانوا متساوين في القرب من مصدر الماء، أو كان مصدره في وسط أراضيهم، وقضيتنا في ماء يخرق أرضاً، ليصل إلى أخرى.

قال ابن التين: الجمهور على أن الحكم أن يمسك الأول الماء حتى يصل في الأرض إلى الكعبين، الحد الواجب في الوضوء، وخصه ابن كنانة بالنخل والشجر، قال: وأما الزروع فيالي الشراك - أى السير الذى فوق القدم من النعل - وقال الطبرى: الأراضي مختلف، فيمسك لكل أرض ما يكفيها، لأن الذى فى قصة الزبير واقعة عين.

واختلف أصحاب مالك: هل يرسل الأول جميع الماء بعد أن يبلغ الكعبين - فتصفي الأرض؟ أو يرسل ما زاد على الكعبين؟ والأول أظهر، إذا لم يبق له به حاجة.

٢- وفى الحديث إشارة الإمام بالصلح بين المتخاصمين، قبل أن يحكم، فما أشار به صلى الله عليه وسلم أولاً كان على سبيل الصلح، ولا يلزم الخصم به إلا إذا رضى.

٣- وأن الحاكم يستوفى لصاحب الحق حقه، ولو لم يسأله صاحب الحق.

٤- وحكى الخطابى أن فيه دليلاً على جواز فسخ الحاكم حكمه، لأنه صلى الله عليه وسلم حكم أولاً بالإحسان إلى الجار، فلما اعترض الخصم، رجع عن حكمه الأول إلى الحقوق، ليكون ذلك أبلغ فى زجر الخصم، وتعقب بأن الحكم الأول لم يثبت، حتى يرجع عنه، فقد كان إشارة إلى المصالحة.

٥- قيل: إن الحكم والحق هو الحكم الأول، أما الثانى فكان عقوبة على ما بدر منه، وكان ذلك لما كانت العقوبة بالأموال جائزة، حكاها ابن الصباغ من الشافعية، ووافق عليه، وهو بعيد، وسياق طرق الحديث يأباه، لا سيما قوله « واستوفى للزبير حقه » فى صريح الحكم، فمجموع الطرق دال على أنه أمر الزبير أولاً أن يترك بعض حقه، وثانياً أن يستوفى جميع حقه.

٦- وفيه أن من سبق إلى شيء من مياه الأودية والسيول التى لا تملك، فهو أحق به، لكن ليس له إذا استغنى أن يحبسها عن الذى يليه.

٧- وفيه توبيخ من جفا على الحاكم ومعاقبته.

٨- ويمكن أن يستدل به على أن للإمام أن يعفو عن التعزير المتعلق به، لكن محل ذلك ما لم يؤد إلى هتك حرمة الشرع، وإنما لم يعاقب النبى ﷺ صاحب القصة، لما كان عليه من تأليف الناس، قال القرطبى: فلو صدر مثل هذا من أحد فى حق النبى ﷺ، أو فى حق شريعته قتل قتلة زنديق، ونقل النووى نحوه عن العلماء.

٩- وفيه صحة حكم الحاكم وهو غضبان، إذا أمن الخطأ والغلط، والنبى ﷺ مأمون، لعصمته من ذلك حال السخط.

١٠- وفيه ما تحمله رسول الله ﷺ من إيداء، والحث على الصبر على الأذى.

- ١١- وفيه وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، والرضا بحكمه، والتسليم لأمره.
- ١٢- وفيه إيدال الرسول ﷺ على بعض أصحابه، فإن ما أشار به صلى الله عليه وسلم على الزبير كان إيدالاً عليه، لعلمه بأنه يرضى بذلك، ويؤثر الإحسان.
- ١٣- ومن الرواية الثانية والثالثة النهى عن كثرة الاستفصال، وعن كثرة التنقيب الذى قد يفضى إلى مثل ما وقع لبنى إسرائيل.
- ١٤- استدل قوم بإطلاق النهى، وتقييد الأمر بالاستطاعة على عموم النهى، وقالوا: الإكراه على ارتكاب المعصية لا يبيحها. قال الحافظ ابن حجر: والصحيح عدم المؤاخذه، إذا وجدت صورة الإكراه المعتبرة، واستثنى بعض الشافعية من ذلك الزنا، فقال: لا يتصور الإكراه عليه، وكأنه أراد التماضى فيه، وإلا فلا مانع أن ينتشر الرجل بغير سبب، فيكره على الإيلاج حينئذ، فيولج فى الأجنبية، فإن مثل ذلك ليس بمحال، ولو فعله مختاراً كان رانياً، فتصور الإكراه على الزنا فى الرجل، أما فى المرأة فكراهها على الزنا ممكن.
- ١٥- واستدل به من قال: لا يجوز التداوى بشيء محرم كالخمر، ولا دفع العطش بالخمر، ولا إساعة الغصة بالخمر، قال الحافظ ابن حجر: والصحيح عند الشافعية جواز الثالث، حفظاً للنفس، فصار كأكل الميتة لمن اضطر، بخلاف التداوى، فإنه ثبت النهى عنه نصاً، وفى مسلم «إنه ليس بدواء، ولكنه داء» وعند أبى داود «ولا تداووا بحرام» و«إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها» وأما العطش، فإنه لا ينقطع بشربها، ولأنه فى معنى التداوى. والتحقيق أن الأمر باجتنباب المنهى على عمومته، ما لم يعارضه إذن فى ارتكاب منهى، كأكل الميتة للمضطر، وقال الفكهانى: لا يتصور امتثال اجتناب المنهى، حتى يترك جميعه، فلواجتنب بعضه لا يعد متمثلاً، بخلاف الأمور.
- وقال هنا ابن فرج إن النهى يقتضى الأمر، فلا يكون متمثلاً لمقتضى النهى حتى لا يفعل واحداً من آحاد ما يتناوله النهى، بخلاف الأمر، فإنه على عكسه، ومن ثم نشأ الخلاف، هل الأمر بالشىء نهى عن ضده؟ وهل النهى عن الشىء أمر بضده؟ والتفاصيل فى كتب الأصول.
- ١٦- وعن قوله «وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم» قال النووى: هذا من جوامع الكلم، وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام، كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط، فيأتى بالمقدور، وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ بعض الفاتحة، وإخراج بعض الزكاة لمن لم يقدر على الكل، والإمسك فى رمضان لمن أفطر بالعدر، ثم قدر فى أثناء النهار، إلى غير ذلك من المسائل التى يطول شرحها. وقال غيره: إن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور، وعبر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور.
- ١٧- قال الحافظ ابن حجر: واستدل به على أن من أمر بشىء، فعجز عن بعضه، ففعل المقدور، أنه يسقط عنه ما عجز عنه، وبذلك استدل المزنى على أن «ما وجب أدائه لا يجب قضاؤه» ومن ثم كان الصحيح أن القضاء بأمر جديد.

١٨- واستدل بالحديث على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات، ولو مع المشقة فى الترك، وقيد فى المأمورات بقدر الطاقة.

فإن قيل: إن الاستطاعة معتبرة فى النهى أيضا، إذ يقول الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فجوابه أن الاستطاعة تطلق باعتبارين. قال الحافظ ابن حجر: كذا قيل، والذي يظهر أن التقييد فى الأمر بالاستطاعة لا يدل على اعتناء الشرع بالنهى، بل هو من جهة أن النهى كف، وكل واحد قادر على الكف، لولا داعية الشهوة مثلا، فلا يتصور عدم الاستطاعة عن الكف، بل كل مكلف قادر على الترك، بخلاف الفعل، فإن العجز عن تعاطيه محسوس، فمن هنا قيد فى الأمر بحسب الاستطاعة، دون النهى، قال: وعبر الطوفى فى هذا الموضوع بأن ترك المنهى عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه، أو الاستمرار على عدمه، وفعل المأمور به عبارة عن إخراج من العدم إلى الوجود. وقد نوزع بأن القدرة على استصحاب عدم النهى عنه قد تخلف، وقال الماوردى: أن الكف عن المعاصى ترك والترك سهل، وعمل الطاعة فعل، وهو يشق.

فالحكمة فى تقييد الحديث بالاستطاعة فى جانب الأمر، دون النهى، أن العجز يكثر تصويره فى الأمر، بخلاف النهى، فإن تصور العجز فيه محصور فى الاضطرار.

١٩- واستدل به على أن المكروه يجب اجتنابه، لعموم الأمر باجتنب المنهى عنه، فشمى الواجب والمندوب، وأجيب بأن قوله «فاجتنبوه» يعمل به فى الإيجاب والندب بالاعتبارين ويجيء مثل هذا الجواب فى الجانب الآخر، وهو الأمر.

٢٠- واستدل به على أن المباح ليس مأمورا به، وأجيب بأن من قال: المباح مأمور به لم يرد الأمر بمعنى الطلب، وإنما أراد المعنى العام، هو الإذن.

٢١- واستدل بقوله «فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم» النهى عن إكثار السؤال، والسؤال أنواع، ولكل نوع منه حكمة.

أ- فالسؤال عما لم يحدث تكلفا أو تعنتا، فيما لا حاجة إليه منهى عنه، فقد يؤدى إلى المشقة بالمسلمين، ويكون سببا لتحريم شيء عليهم، لم يكن ليحرم، لولا السؤال، كما أشير إليه فى الرواية الرابعة والخامسة، وهذا النوع قد يكون مأمونا اليوم، بعد أن ثبت التحليل والتحريم، واستقرت الشريعة، وأكمل الله الدين، لكنه قد يتصور فى المنقبين المشددين المتنطعين، الذين يسألون أمثالهم، فيجيبونهم بما يشق عليهم، وقد أخرج البزار «ما أحل الله فى كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن ينسى شيئا، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وأخرج الدارقطنى «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» ومن أمثلة ما وقع من الصحابة رضي الله عنهم من هذا النوع قبل نزول الآية، سؤالهم عن وجوب طاعة الأمراء، إذا أمروا بغير طاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة، وما قبلها من الملاحم والفتن، وسؤالهم عن الكلاله والخمر والميسر، والقتال فى الشهر الحرام، واليتامى، والمحيض، والنساء، والصيد، فكثير من هذه الأسئلة كانت سببا للتكليف بما يشق.

ب- وقد يؤدي إلى الإساءة إلى السائل، كالذى سأل: أين أنا؟ فقيل له: فى النار.
ج- وقد يؤدي السؤال إلى فتح باب الإلحاح والإلحاف والكثرة التى تعنى ولا تعنى، وتضر أكثر مما تنفع، فتخرج المسئول وتؤذيه، كما تشير إلى ذلك الرواية السادسة وما بعدها، وكسؤال الرجل تضل ناقتة: أين ناقتى؟.

د- وقد يكون السؤال من منطلق التعر والتشدد والتظاهر بالعلم والتعمق فيه، مما يسيء إلى العلم والعلماء، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود عند مسلم، رفعه «هلك المتنطعون».

ه- وقد يكون السؤال جرياً وراء أمور غيبية، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كیفيتها، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شيء، فيجب الإيمان به من غير بحث فى تفصيله، وصرف الزمان فى غيره مما ينفع أولى.

و- وقد يؤدي السؤال إلى الإضرار بالسائل، أو وقوعه فى الشك والحيرة، ومثلوا له بسائل يسأل عن السلع المجهول مصدرها فى الأسواق، فيجاب بجواز شرائها ممن هى فى يده، من غيره بحث عن طريق مصيرها إليه، فيعود ويسأل: أخشى أن تكون هذه السلعة من نهب حصل قريبا، فيجاب بكراهة أو تحريم الشراء، من ذلك ما يحكى أن ماء سقط على عالم من نافذة بيت، فنادى العالم صاحبة النافذة. أهذا الماء طاهر أم نجس؟ فقالت له: نجسته بسؤالك أيها الفقيه.

أما الممدوح من الأسئلة فهو ما كان فى العلم للعلم، ويقدر الحاجة، وبدون إضرار أو إيذاء، أو مضايقة أو رياء، وبالجملة أن يجرنفعاً، ولا يشوبه ضرر.

٢٢- ومن الرواية السادسة من عرض الجنة والنار، أن الجنة والنار مخلوقتان. قاله النووى.

٢٣- ومن قوله «لو تعلمون ما أعلم» عدم كراهة استعمال لفظة «لو» فى مثل هذا.

٢٤- وقد يؤخذ من قول عبد الله بن حذافة «لو ألحقنى بعد للحقته» أن الزنا يثبت به نسب، مع أنه ليس كذلك، وأجيب بأنه يحتمل وجهين: أحدهما: أن ابن حذافة ما كان بلغه هذا الحكم، وكان يظن أن ولد الزنا يلحق بالزانى، قال النووى: وقد خفى هذا على أكبر منه، وهو سعد بن أبى وقاص، حين خاصم فى ابن وليدة زمعة، فظن أنه يلحق أخاه بالزنا، والثانى أنه يتصور الإلحاق بعد الوطء بشبهة، فيثبت النسب منه.

٢٥- ومن بروك عمر رضي الله عنه جواز بروك الطالب، كمظهر من مظاهر الانزعاج والاهتمام، فقد فهم عمر أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشى أن تنزل العقوبة بسبب ذلك، فقال: رضينا بالله ربا: إلخ.

٢٦- وفيه فضيلة لعمر وذكائه وإدلاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ رضى النبى صلى الله عليه وسلم بقول عمر. فسكت.

٢٧- وفيه جواز الغضب عند الموعظة والتعليم.

٢٨- وفيه دقة ملاحظة الصحابة لأحوال النبي ﷺ في الرضا والغضب.

٢٩- وحرصهم على رضاه، وخوفهم من غضبه.

٣٠- وقد يتمسك القدرية بالرواية الرابعة والخامسة في أن الله تعالى يفعل شيئاً من أجل شيء، قال المهلب: وليس كذلك، بل هو على كل شيء قدير، وهو فاعل السبب والمسبب، كل ذلك بتقديره، ولكن الحديث محمول على التحذير مما ذكر، فعظم جرم من فعل ذلك، لكثرة الكارهين لفعله، وقال غيره: أهل السنة لا ينكرون إمكان التعليل، وإنما ينكرون وجوبه، فلا يمتنع أن يكون المقدر: الشيء الفلاني تتعلق به الحرمة إن سئل عنه، فقد سبق القضاء بذلك، لا أن السؤال علة التحريم.

٣١- ويؤخذ منه أن من عمل شيئاً أضربه غيره كان آثماً، وإن كان العمل في أصله مباحاً، فالسؤال عن تكرير الحج في أصله مباح، لكن لما كان سبباً لمشقة الآخرين حرم ومنع.

والله أعلم

(٦٢٧) باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي

٥٣٣٣- ١٣٩ عن موسى بن طلحة عن أبيه عليه السلام ^(١٣٩) قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل. فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقحونه. يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظنُّ يُعْنِي ذلك شيئاً» قال: فأخبروا بذلك فتركوه. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه. فإنني إنما ظننت ظناً. فلا تؤاخذوني بالظن. ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به. فإنني لن أكذب على الله عز وجل».

٥٣٣٤- ١٤٠ عن رافع بن خديج عليه السلام ^(١٤٠) قال: قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل. يقولون: يلقحون النخل. فقال: «ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنع. قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً» فتركوه. فنفضت أو فنقصت. قال: فذكروا ذلك له. فقال: إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر» قال عكرمة: أو نحو هذا. قال: المعقري: فنفضت. ولم يشك.

٥٣٣٥- ١٤١ عن أنس عليه السلام ^(١٤١) أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يلقحون فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصاً. فمرَّ بهم فقال: «ما لنخلكم» قالوا: قلت: كذا وكذا. قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

المعنى العام

جاءت الرسالة المحمدية رسالة وسطاء، تحرص على خيري الدنيا والآخرة، بدرجة لا تطغى إحداها على الأخرى، جاءت تأخذ بالأسباب بالدرجة التي تعتمد فيها على القضاء والقدر «اعقلها

(١٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ التَّقْفِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سِمَاكِ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ
(١٤٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّؤْمِيِّ اليماميُّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ العنبريُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ المَعْقِرِيِّ قَالُوا حَدَّثَنَا النُّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو النُّجَاشِيِّ حَدَّثَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ
(١٤١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ كِلَاهِمَا عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ غَامِرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ غَامِرٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ ابْنِ سَلْمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ غُرُورَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

وتوكل» يستعد صلى الله عليه وسلم للهجرة، ويخفى أمرها، ويخرج ليل، ويختبئ في الغار، في الوقت الذي يقول فيه « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ».

لقد جاء الإسلام والناس على عنصر واحد، هو عنصر الأسباب المادية، والمتطرف إذا أريد له الوسطية شد إلى الطرف الآخر، ليعود برغبة منه إلى الوسط، وهذا هو ما وقع في قصتنا.

كان صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وخمسين سنة، حوله جبال وصحراء، وهاجر إلى المدينة، بلاد نخل وزروع، وبينما هو يمشى في طرقاتها بين النخيل، ومعه بعض أصحابه، رأى رجالا تسلقوا النخل، حتى وصلوا إلى سعفها، ورأى شيئا في أيديهم، يتحركون به، ولم يتبين ماذا يعملون، فسأل من معه: ماذا يصنع هؤلاء؟ قالوا: يلحقون النخل. لأن النخل في موسم معين يخرج طلعا، قوالب بداخلها فروع بيضاء على جانبيها بروز الثمر، ومليئة بما يشبه الدقيق، يخرج هذا في النخل الذكر ولا يثمر، ويخرج في الأنثى وهو أصل الثمر، لكن بشرط أن يوضع شيء من طلع الذكر في طلع الأنثى، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يربطهم بالقضاء والقدر، فقال: لا أظن أن ذلك ينفعهم إلا بإرادة الله وقدرته، وأظن أنهم لو لم يفعلوا ذلك واعتمدوا على الله وسألوه لصلح، وكان من الممكن أن تحمل الرياح طلع الذكر إلى الأنثى، وتقوم مقامهم، كما يحصل في كثير من الفواكه، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] لكن الله تعالى أراد أن يربط المسببات بالأسباب في هذه القصة، فلما سمعوا كلام الرسول ﷺ، ولم يلحقوا، خرج البلح شيصا، فلم رآه كذلك صلى الله عليه وسلم قال لهم: ما لتمرر هذا العام خرج شيصا؟ قالوا: لأننا لم نلحقه، استجابة لقولك كذا وكذا، قال: إنما قلت لكم ذلك من عند نفسي ظنا، ولست في ذلك مبلغا عن الله، فإذا أمرتكم بأمر مبلغا فالتمزموه، وإذا أمرتكم بأمر من نفسي فأنتم وشأنكم، فأنتم أعلم بأمور دنياكم، وما دام في ذلك خير لكم فافعلوه.

فعادوا إلى تلقيح نخلهم، وعادت المدينة خير بلد، وتمرها خير تمر.

المباحث العربية

(مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤس النخل) مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحادا، أى على كل نخلة رجل، والمراد من رأس النخلة أعلاها.

(فقال: ما يصنع هؤلاء)؟ أى سأل طلحة ومن معه عما يفعلون؟ وقد رآهم لا يقطعون سعفا كما يعهد، وكان ذلك أول قدومه المدينة، التى هى ذات نخل، ولم تكن مكة ذات نخل، ففي الرواية الثانية « قدم نبي الله ﷺ المدينة، وهم يأبرون النخل » فسر ذلك بقوله « يقولون: يلحقون النخل » وليس المراد أنه رأى ذلك فى طريق قدومه، بل المراد أنه رأى ذلك فى أوائل وصوله، حين خرج إلى المزارع، و« يأبرون » بسكون الهمزة، وكسر الباء وضمها، يقال: أبر يأبر، ويأبر، كبذر يبذر ويبذر، ويقال: أبر بتشديد الباء يؤبر تأبيرا، والمراد به التلقيح، ومعناه إدخال شيء من طلع الذكر، فرع أو دقيق، فى طلع الأنثى، فتعلق الأنثى، ويصلح ثمرها، بإذن الله تعالى، « فقالوا: يلحقونه، يجعلون الذكر فى الأنثى، فيلقح ».

(فقال: ما أظن يغنى ذلك شيئاً) أى ما أظن أن ذلك العمل يغنى عن قدر الله شيئاً إذا أراد عدم صلاحه « لولم تفعلوا » التأبير وأراد الله صلاحه « لصلح » ولعله أراد صلى الله عليه وسلم أن يوجههم إلى الاعتماد على الله بدلا من الاعتماد الكلى على الأسباب.

(فأخبروا بذلك) أى أخبر الذين على رؤوس النخل بما قاله صلى الله عليه وسلم، وكانوا مسلمين.

(فتركوه) أى تركوا التأبير، اعتماداً على إشارته صلى الله عليه وسلم.

(فأخبر رسول الله ﷺ) معطوف على محذوف، أبرزته الرواية الثانية والثالثة، والأصل: « فتركوه، فنفضت - أو فنقصت - فذكروا ذلك له » « فنفضت » بالفاء والصاد، أى أسقطت النخل ثمرها، ويقال لذلك المتساقط: النفض، بفتح النون والفاء، بمعنى المنفوض، كالخبط، بمعنى المخبوط، وأنفض القوم فنى زادهم، وأما « نقصت » بالقاف والصاد فمعناه نقص صلاحها وهو المعبر عنه فى الرواية الثالثة بقوله « فخرج شيصاً، فمر بهم، فقال ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا » والشيص بكسر الشين هو البسر الردىء، الذى إذا يبس صار حشفاً.

(فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنى إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذونى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإنى لن أكذب على الله عز وجل) فى الرواية الثانية « قال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم، فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأى، فإنما أنا بشر » وفى الرواية الثالثة « قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم ».

قال النووي: قال العلماء: قوله « من رأى » أى فى أمر الدنيا ومعاشها، لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم، ورآه شرعاً، يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله، قال: مع أن لفظة « رأى » إنما أتى بها عكرمة على المعنى، لقوله فى آخر الحديث: قال عكرمة أو نحو هذا، فلم يخبر بلفظ النبى ﷺ محققاً، قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبراً، وإنما كان ظناً، كما بينه فى هذه الروايات، قالوا: ورأيه صلى الله عليه وسلم فى أمور المعاش، وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص فى ذلك، وسببه تعلق همهمم بالآخرة ومعارفها. اهـ.

فقه الحديث

هذا الحديث يتعلق به كل من يحاول التحلل من كثير من أحكام الشرع، مما يتعلق بالحياة، والمعاملات ويتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بشئون دنياكم » فبعضهم يدخل تحته كل ما يتعلق بالأكل والشرب والنوم واللبس والجلوس والمشى، وغير ذلك من الأمور الخاصة بالحاجة والطبيعة البشرية.

فالشىخ شلتوت يقول: ما ورد عن النبى ﷺ، ودون فى كتب الحديث من أقواله وأفعاله وتقاريراته على أقسام: أحدها ما سبيله سبيل الحاجة البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشى والتزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية، والشفاعة والمساومة فى البيع والشراء.

ثانيها: ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذى ورد فى شئون الزراعة والطلب وطول اللباس وقصره.

ثالثها: ما سبيله التدبير الإنسانى، أخذنا من الظروف الخاصة، كتوزيع الجيش على المواقع الحربية، والكمون والفر، وما إلى ذلك مما يعتمد على وحى الظروف الخاصة.

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا، يتعلق به طلب الفعل والترك، وإنما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول فيها تشريعا، ولا مصدر تشريع^(١).

والتحقيق أنه من الخطأ أن نطلق هذا الإطلاق، فكل من هذه الأمور منها الواجب شرعا، ومنها المحرم شرعا، ومنها المكروه والمندوب والمباح.

والدكتور عبد المنعم النمر يدخل مع ذلك كل المعاملات، على أنها تدخل تحت قوله « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ويؤكد أن الرسول ﷺ لم يصدر عنه ذلك بوحى، ولم يكن فى ذلك محروسا بوحى مباشر أو وحى سكوتى أو إقرارى^(٢).

وقد رددت عليهما فى بحثين منشورين: بعنوان السنة والتشريع، والسنة كلها تشريع.

والذى يعيننا فى هذا المقام: الحديث، تحليله، وفهمه الفهم الصحيح.

فمن غير المعقول فهمه على إطلاقه، بمعنى أنتم معشر مؤبرى النخل أعلم من محمد ﷺ بشئون دنياكم كلها، فالإسلام نصف تشريعاته للدنيا، ونصفه للدين، بل المصالح الدنيوية هى من الدين، ومرتبطة بالدين، يثاب عليها، كما يثاب على الصلاة، فالرجل الذى سقى الكلب، والرجل الذى أنظر معسرا، والرجل الذى أزال غصن شوك، غفر لهم، والمرأة التى حبست قطة دخلت النار.

والرجل يزرع زرعا أو يغرسا غرسا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة له بكل ذلك صدقة، والرجل يأتى شهوته حلاله، له أجر، والبائع الغاش، والمشتري الغاش، والحاكم الغاش، كل هؤلاء عليهم وزن، ومحمد ﷺ أعلم بالصالح فيها، عن غيره من البشر، فلا بد من تقييد « أمور دنياكم » ببعض أمور دنياكم، وهذا البعض هو ما وقعت القصة فيه « تلقيح النخل » وكأنه قال: أنتم أعلم بكيفية وفائدة تلقيح النخل منى، وهذه حقيقة لا تضر بالرسالة، ومع أن العلماء يقولون: إن واقعة العين كهذه الواقعة، يقتصر الحكم عليها، ولا ينقل إلى غيرها، أولا يكون حجة لغيرها، مع هذا لو نقلناها نقلناها إلى ما يشبهها، من الأعمال التى تكتسب عن طريق العلم والتدريب والممارسة والتجارب والخبرة، كالزراعة والنجارة والحدادة والغزل والنسيج والحياسة، والصناعات الأخرى، فهذه ليست من مهمة الرسالة، وليس من مهمة الرسول ﷺ، ولا من مؤهلاته أن يكون ماهرا فيها، ولا خبيرا بدقائقها.

فإذا تكلم مع الخبراء فيها فكلامه مبنى على الظن الذى قد يخطئ، كأى إنسان غير متخصص، وحديث تأبير النخل من هذا القبيل، ومحاولة تطبيقه - حتى على جميع شئون الزراعة - خطأ، فقد

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٠٨ وما بعدها، للشيخ شلتوت. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٨٥.

(٢) السنة والتشريع للدكتور عبد المنعم النمر - دار الكتاب المصرى بالقاهرة.

تدخل صلى الله عليه وسلم فى كيفية سقى الأشجار، وتقديم الأعلى فالأعلى، فى قصة الزبير والأنصارى، التى شرحناها فى الباب السابق، بل بمناسبتها نزل قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقد يتساءل المرء: هل من حكمة نلتمسها من الإشارة بغير الصواب، ويقبولها وتنفيذها من الصحابة دون مناقشة مع أنهم ناقشوا فى كثير غيرها، كالإنحر، وشهود الزنا، والسلم، وغير ذلك كثير، وما الحكمة فى عدم تعديل هذه المشورة من قبل الوحي، وتدارك الثمرة حتى لا تصير شيصا، وقد تلمسنا لذلك حكما وضحناها فى بحثنا، نذكر منها:

أولاً: هناك من الأمور ما نحسبه شراً لنا، وهو فى الحقيقة خير لنا، كحديث الإفك الذى استمر أياما وأياما دون حسم، وقال الله فيه ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١] وكخرق السفينة، يحسب لأول وهلة أنه شر لأصحابها، فلما اتضحت الحقيقة إذا هو خير لهم، وبالقياس على هذا، فإن المشورة وقعت فى أوائل الهجرة، وكان من الجائز جدا أن يطمع الكافرون فى تمر المدينة، فيها جموها حربا لمحمد وطمعا فى تمرها، فخرج التمر شيصا يجعلهم لا يطمعون فى غير مطمع، وكأن الله يصرف بذلك هجوم الكافرين، حتى يستعد المؤمنون للدفاع.

ثانياً: من المعروف أن الدرس العملى أشد أثراً من الوعظ النظرى، ولا شك أن هذا الدرس كان قاسياً عليهم، ومنه حرصوا وتنافسوا بعده فى الرقى بأسباب الحياة.

ثالثاً: إن الابتلاء بمثل هذا امتحان واختبار ﴿وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ﴿وَلَنَبَلِّوَنَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] فقوى الإيمان يظل متمسكاً بالإيمان مهما أصابه، وضعيف الإيمان يظهر ضعفه، فلا يندفع به غيره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] فكانت هذه الحادثة ابتلاء واختباراً لهم، وهى حتى اليوم فى هذا الشرح ابتلاء واختبار، وقد نجح الصحابة رضوان الله عليهم فى هذا الاختبار القاسى - وهم فى أول الإيمان - نجاحاً باهراً، فقد استمروا على طاعة أوامره والبعد عن كل ما نهى عنه، بالدرجة نفسها، التى كانت قبل مشورته، ولم يصل إلينا أن أحدا ارتد بسببها، بل لم يرد عتاب أحد منهم لرسول الله ﷺ عليها، على الرغم من خسارتها الكبرى، رضى الله عنهم أجمعين.

والله أعلم

(٦٢٨) باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم

٥٣٣٦ - ١٤٢/١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٢) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ يَوْمَ وَلَا يَرَانِي. ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ». قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْمَعْنَى فِيهِ عِنْدِي، لَأَنْ يَرَانِي مَعَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَهُوَ عِنْدِي مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ.

المعنى العام

للإنسان حواسه الخمسة، وله شعوره ووجدانه، وعن طريق الحواس الظاهرة والباطنة يتمتع الإنسان بالنعيم، ويشقى بالآلام والكروب، وحب الإنسان لشيء لا يكون لذاته، بل لصفة فيه، ولا شك أن العقل والوجدان والروح والشعور الداخلي للمؤمن الحق سعيد بالإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، أما الحواس الظاهرة فهي طريق أيضا لسعادة المؤمن، وقد مر بنا من صفات خلقته صلى الله عليه وسلم طيب ريحه، وجوامع كلمه، والتبرك بفضلات طعامه وشرابه، ولين ملمسه، وهذا الحديث في متعه النظر إليه صلى الله عليه وسلم، فرؤيته صلى الله عليه وسلم خير من الأهل والمال والولد، لأنه أساس في إثبات الصحبة، والصحبة من أفضل خصال الإسلام، وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم، ولقد أتى زماننا متأخراً، فلم يكتب لنا أن نسعد برؤيته، فهل شوقنا لرؤيته، وحنيننا إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقوم مقام رؤيته؟ أو يسد - ولو جزئياً - مسد رؤيته؟ نسأل الله تعالى أن يمنحنا وصال الروح، حيث حرماننا وصال الأجساد، وأن يجمعنا به صلى الله عليه وسلم في الآخرة وأن يجعلنا من أهل شفاعته.

المباحث العربية

(لَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ يَوْمَ وَلَا يَرَانِي) الخطاب للصحابة السامعين له، أي ستشغلكم الدنيا وأمور الحياة عن ملازمتي في مسجدي وفي حلي وترحالي، وسيأتيني على بعضكم يوم، بل أيام لا يراني فيها، وقد وقع ذلك من أقرب الناس إليه، عمر بن الخطاب، فقد كان يزرع في أرض الأنصار في أطراف المدينة، وينزل يوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وينزل جاره يوماً، بل كانت التجارة والأسواق تشغله أياماً عن النزول أحياناً، حتى قال: ألهاني عنه الصفاق بالأسواق.

(ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ) يقول أبو إسحاق الراوي: هو عندي، مقدم ومؤخر، مراده أن كلمة «ثم» أخرت، وأصلها مقدم على «لا يراني» و«ثم لا يراني» مقدم من

(١٤٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

تأخير، وأصل الجملة ليأتين على أحدكم يوم، لأن يرانى فيه أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله (ثم لا يرانى) أى رؤيته إياى أفضل عنده، وأحظى من أهله وماله، ولفظة «معهم» فى موضعها. أى يأتى على أحدكم يوم، لأن يرانى فيه لحظة، ثم لا يرانى بعدها، أحب إليه من أهله وماله جميعاً.

فقه الحديث

مقصود الحديث الحث على ملازمة الصحابة مجلس الرسول ﷺ، حضراً وسفراً، ففى ذلك مشاهدة آداب الشرع فى حركاته وسكناته، وتعلم الشرائع وحفظها عنه مباشرة دون وساطة، والتبرك بمجلسه، والانتفاع بالرحمة التى تغمر هذا المشهد العظيم.

والله أعلم

(٦٢٩) باب فضائل عيسى عليه السلام

٥٣٣٧- ١٤٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٤٣) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ. الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ. وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ».

٥٣٣٨- ١٤٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى. الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ. وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ».

٥٣٣٩- ١٤٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٥)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأَوْلَى وَالْآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ. وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى. وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ. فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

٥٣٤٠- ١٤٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٦)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَحَسَهُ الشَّيْطَانُ. فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَحْسَةِ الشَّيْطَانِ. إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

٥٣٤١- - فِي رِوَايَةٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَا: «يَمَسُّهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ» وَفِي حَدِيثِ شُعَيْبٍ «مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ».

٥٣٤٢- ١٤٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٧)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا».

٥٣٤٣- ١٤٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٨) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَبَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ».

(١٤٣) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ

(١٤٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٤٥) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ جَمِينًا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

(١٤٧) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ سَلِمًا مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ.

(١٤٨) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَّانَةَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥٣٤٤ - ١٤٩/٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٤٩)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَى عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ. فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا. وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عَيْسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ. وَكَذَّبْتُ نَفْسِي».

المعنى العام

تحكى سورة مريم قصة حمل مريم لعيسى من غير أب، وتعجبها من هذا الحمل وهى غير بغى، وانتبأها بحملها مكانا قصيا، وكيف رزقها الله بطعامها وشرابها مدة حملها، وكيف جاءها المخاض إلى جذع النخلة، وقولها: يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، وكيف بشرها ربيها بسلام ذكى، يكون آية للناس ورحمة من الله، وكيف أمرت أن تقابل قومها ولا تتكلم معهم، وأن تطلب من طفلها أن يرد عليهم ﴿فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩-٣١] كان عيسى عليه السلام معجزة فى ميلاده، معجزة فى كلامه فى المهد، على يديه فى حياته ظهرت معجزات إحياء الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، فى رسالته اختلف الأحزاب فيما بينهم - كما هو الشأن مع الأنبياء، طلب حواريوه مائدة من السماء، فدعا بها عيسى فنزلت، وعاداه آخرون، واتهموه بأنه ابن زنا. نعم كانت حياته معجزة، مغالاة وتطرف فى الحب والتقديس، ومغالاة وتطرف فى البغضاء والشحناء، عبده بعضهم وقالوا: إنه ابن الله، ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وحاربه آخرون، حتى وضعوا ونصبوا له الصليب ليقتلوه، وكان موته معجزة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء: ١٥٧-١٥٨] وما بعد موته معجزة، ينزل حاكما عادلا فى آخر الزمان، كمسلم من أمة محمد ﷺ، يقيم العدل، ويحارب الشرك والظلم، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، فأى علاقة هذه بينه وبين أخيه محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام، ومن أولى به من رسول الله رسول الإسلام؟

لقد عاش مثلا للزهد والإعراض عن الدنيا، مثلا للرحمة والتسامح والتواضع، مثلا للعفو والرفق، رأى سارقا يسرق مال غيره، رآه بعينى رأسه، طلبه فجاء، قال له: أنت سرقت ساعة كذا من مكان كذا. قال الرجل: لا. لم أسرق. والذى لا إله إلا هو.

فغلب التسامح العقوبية، وارتفع حسن الظن على السوء، وعلا الرفق والإحسان على المحاسبة والانتقام، فقال للرجل: آمنت بالله، وعظمته وقدسته، واستسلمت لحلفك به،

(١٤٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهِ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

وكذبت نفسى وبصرى وعينى، وكانت دعوته دائماً ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [آل عمران: ٥٠-٥١].

المباحث العربية

(أنا أولى الناس بابن مريم) فى الرواية الثانية « أنا أولى الناس بعبسى » وفى الرواية الثالثة « أنا أولى الناس بعبسى ابن مريم فى الأولى والأخرة » أى أخص الناس به، وأقربهم إليه، لأنه بشر عليه السلام برسول يأتى من بعده اسمه أحمد، فالاختصاص على هذا سببه معرفة الفضل لأهل الفضل، لكن الرواية الثالثة جعلت سبب هذا الاختصاص قرب العهد مع جامع الرسالة، فلفظها « أنا أولى الناس بعبسى ابن مريم فى الأولى والأخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبى » ولا مانع من تعدد أسباب الاختصاص.

وقد استشكل على هذه الولاية بما جاء فى القرآن الكريم، من قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] قال الكرمانى: التوفيق أن الحديث وارد فى كونه صلى الله عليه وسلم متبوعاً، والآية واردة فى كونه تابِعاً. اهـ.

ولم يرض الحافظ ابن حجر هذا التوفيق، فقال: إن مساق الحديث كمساق الآية، فلا دليل على هذه التفرقة، والحق أنه لا منافاة، ليجتاج إلى الجمع، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم، كذلك هو أولى الناس بعبسى، ذاك من جهة قوة الاقتداء به، وهذا من جهة قوة قرب العهد به.

(الأنبياء أولاد علات) قال العلماء: أولاد العلات، بفتح العين وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى، أما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان، فالعلات الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة، ثم تزوج أخرى، كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وفى الرواية الثالثة « الأنبياء إخوة من علات، أى إخوة من أب، أى إخوة من ضرائر، وقد فسرت الرواية بقولها « وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد » فهو من باب التفسير، كقوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج: ١٩-٢١] ومعنى الحديث: إن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت الفروع، وقيل المراد أزمنتهم مختلفة، فالمراد من وحدة الدين وحدة أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالى.

(وليس بينى وبينه نبى) هذا ما أورده كالشاهد لقوله: إنه أقرب الناس إليه.

(ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان) وفى ملحق الرواية الرابعة « ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مسة الشيطان إياه » وفى الرواية الخامسة « كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه » وفى الرواية السادسة « صياح المولود حين يقع نزعاً من الشيطان » والنخس والنزع الطعن، ومعنى حين يقع « أى حين يسقط من بطن أمه، والاستهلال الصياح، أى يصيح صارخاً من الألم الناتج من مسة الشيطان،

وقد فسرت رواية البخارى هذا المس، ولفظها « كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بإصبعه، حين يولد » قال القرطبى: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط.

(إلا ابن مريم وأمه) وفى الرواية الخامسة « إلا مريم وابنها » وفى رواية للبخارى « غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب » والمراد من الحجاب الجلدة التى فيها الجنين أى المشيمة، أو الثوب الملفوف على الطفل، والاقتصار على عيسى فى هذه الرواية دفع بعضهم أن يقول عن روايات مريم وابنها: إنه من عطف التفسير، والمقصود الابن، كقولك: أعجبنى زيد وكرمه، وحمل الحافظ ابن حجر على هذا القول: وقال: إنه تعسف شديد، وقال: يحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس، وذاك بالنسبة إلى الطعن فى الجنب. وهذا الاحتمال مستبعد، لأن الرواية التى اقتضرت على عيسى نفت الطعن، والتى ذكرتهما نفت المس عنهما، ونفى المس نفى للطعن، وكون مريم طعنت ولم تمس مستبعد.

قال: ويحتمل أن يكون ذلك قبل الإعلام بما زاد - يعنى أعلم أولاً بنفى الطعن والمس لعيسى، ثم أعلم آخرًا بنفيهما عنه وعن أمه - قال: وفيه بعد، لأنه حديث واحد، وقد روى بلفظ « كل بنى آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد، غير عيسى وأمه، جعل الله دون الطعنة حجابا، فأصاب الحجاب، ولم يصبهما » قال: والذى يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، والزيادة من الحافظ مقبولة.

(اقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦])
هذه الجملة موقوفة على أبى هريرة، يستدل بها على حفظ الله مريم وابنها من الشيطان، ببركة دعوة أمها، ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

(فقال له: سرقت)؟ بحذف همزة الاستفهام، ليقر فيحاسبه، وقيل: خبر وإثبات.

(قال: كلا. والذى لا إله إلا هو) وفى رواية للبخارى « قال: كلا. والذى لا إله إلا الله » وفى رواية « قال: لا. والذى لا إله إلا هو ».

(فقال عيسى: آمننت بالله، وكذبت نفسى) وفى رواية للبخارى « وكذبت عيني » بالثنائية، وبالإفراد، وفى رواية « وكذبت بصرى »، و « كذبت » بتشديد الذال و « نفسى » و « عيني » مفعول، وفى رواية بتخفيف الذال وفتح الباء، و « نفسى » فاعل.

قال ابن التين: قال عيسى ذلك على المبالغة فى تصديق الحالف، ولم يرد حقيقة تكذيب النفس أو العين فى هذا، أى والعين قد تكذب.

وقيل: إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم، لا باطن الأمر، وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين، فكيف يكذب عينه؟ ويصدق قول المدعى؟ أى وإن كنت موقنا باطنا بأنك سرقت، لكنى أصدقك ظاهرا من أجل يمينك.

ويحتمل أنه رآه مد يده إلى الشيء، ولم يسرقه، فظن عيسى أنه سرقه، فلما حلف له أنه ما سرقه رجح عن ظنه، وصدقته.

وقال القرطبي: ظاهر قول عيسى للرجل: «سرت» أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة، لكونه رآه أخذ مالا من حزر في خفية، وقول الرجل: كلا. نفى لذلك، وأكد باليمين، وقول عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني. أى صدقت من حلف بالله، وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة، فإنه يحتمل أن يكون الرجل قد أخذ شيئا له فيه حق، أو شيئا أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقبله، وينظر فيه، ولم يقصد الغصب والاستيلاء، قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه، بقوله: سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة، وهو سائغ كثيرا. اهـ. قال الحافظ ابن حجر: واحتمال الاستفهام بعيد، مع جزمه صلى الله عليه وسلم بأن عيسى رأى رجلا يسرق، قال: واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضا، بهذا الجزم بعينه.

قال ابن القيم: والحق أن الله كان في قلب عيسى أجل من أن يحلف أحد كاذبا، فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قال الحافظ ابن حجر: وهذا متكلف أيضا. اهـ.

واستبعاد الحافظ ابن حجر للاستفهام مستبعد، لأن الاستفهام المجازي في استعمال العربية أكثر من الحقيقي، فقد يكون للتقرير، وقد يكون للتعجب، ولا يتعارض ذلك مع جزمه صلى الله عليه وسلم بأنه سرق، ولا مع إنكار الرجل، فكثيرا ما ينكر المتهم الواقع ويحلف، ولا مع تصديق عيسى له ظاهرا، وتسليمه له، فالقاضي لا يحكم بعلمه، ولم يظهر لي ما رجح عند الحافظ ابن حجر من الاحتمالات، وقد ردها جميعا، وعندى أن ما قاله ابن التين، وما قاله القرطبي محتمل، والله أعلم.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

- ١- تواضع الرسول ﷺ، وإعلان ارتباطه بإخوانه عليهم السلام.
- ٢- فضيلة عيسى ابن مريم وأمه، وظاهر الأحاديث اختصاص هذه الميزة بهما، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.
- ٣- تسليط الله تعالى إبليس على ابن آدم من اللحظة الأولى في حياته.
- ٤- أن صراخ الطفل عند ولادته من نخسة الشيطان.
- ٥- أن السرقة محرمة في الديانات الأخرى.
- ٦- أن بعض النصارى كانوا موحدين، لا يقولون بالتثليث.
- ٧- استبدل بموقف عيسى من السارق على درء الحدود بالشبهات.
- ٨- واستدل به على منع القضاء بالعلم، قال الحافظ ابن حجر: والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقا، وعند الشافعية جوازها إلا في الحدود، وهذه الصورة من ذلك.

٩- استدلل بقوله « ليس بينى وبين عيسى نبي » على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ. قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى؟ قال: والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد في ذلك، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى.

والله أعلم

(٦٣٠) باب من فضائل إبراهيم الخليل، ولوط، عليهما السلام

٥٣٤٥ - ١٥٠ عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١٥٠) قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام» وحدثناه أبو كريب.

٥٣٤٦ - ١٥١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥١) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقُدوم».

٥٣٤٧ - ١٥٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٢)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى﴾ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿ وَيَرْحَمَ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ. وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ لَيْثِ يُوسُفَ لَاجَبْتُ الدَّاعِيَ».

٥٣٤٨ - ١٥٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يغفر الله للوط إنه أوى إلى ركن شديد».

٥٣٤٩ - ١٥٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط، إلا ثلاث كذبات. ثنتين في ذات الله. قوله ﴿إني سقيم﴾ وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وواحدة في شأن سارة. فإنه قديم أرض جبار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي، يغليني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك. فلما دخل

(١٥٠) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر وابن فضال عن المختار وحديثي علي بن حنبل السعدي واللفظ له حدثنا علي بن مسهر أخبرنا المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

- حدثنا ابن إدريس قال سمعت مختار بن فلفل مولى عمرو بن حريث قال سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله بئله

- وحدثني محمد بن المنني حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المختار قال سمعت أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

(١٥١) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا المغيرة يعني ابن عبد الرحمن الجزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (١٥٢) وحدثني حزملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة

- وحدثناه إن شاء الله عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية عن مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب وأبا عبيد أخبراه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى حديث يونس عن الزهري.

(١٥٣) وحدثني زهير بن حرب حدثنا شبابة حدثنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (١٥٤) وحدثني أبو الطاهر أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني جريس بن حازم عن أيوب السخيتي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة

أَرْضُهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَيْتِ بِهَا. فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكَ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا. فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً. فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطَلِّقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ. فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى. فَقَالَ لَهَا: مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ. فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطَلِّقَ يَدِي. فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ. فَفَعَلَتْ. وَأَطْلَقَتْ يَدَهُ. وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجِرًا. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي. فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انصَرَفَ. فَقَالَ لَهَا: مَهْمٌ؟ قَالَتْ: خَيْرًا. كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخَذَ خَادِمًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَلَغَ أُمَّكُمْ يَا بِنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

المعنى العام

إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] أبو الأنبياء كنيته عليه الصلاة والسلام، وهب الله له إسماعيل وإسحق ومن ذرية إسماعيل محمد عليهما الصلاة والسلام، ومن ذرية إسحق يعقوب، والد أنبياء بنى إسرائيل، كان إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا، جاهد في الله حق جهاده، وتعرض لصنوف الأذى والاضطهاد، حطم الأصنام بيده، وأتى به على أعين الناس يشهدون ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ قَالَ أَفْتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٧١] ... ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْقِينِ﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤-٧٥].

إن الإسلام يعرف للأنبياء قدرهم، ويؤمن بهم جميعًا، لا يفرق بين أحد منهم، ومع أن القرآن الكريم يقول ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فإن محمدًا ﷺ يقول لأصحابه: « لا تخيروا بين الأنبياء » ويقول تواضعا « لا تخيروني على موسى ». « لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى » وحين قال له أحد أصحابه « يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم عليه السلام » وحين سئل صلى الله عليه وسلم « من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ».

وحين نزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمْتُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ

وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿ [البقرة: ٢٦٠] قال الصحابة: شك إبراهيم عليه السلام، ولم يشك نبينا. فقال صلى الله عليه وسلم: « نحن أحق بالشك من إبراهيم » وحين علم الصحابة أن إبراهيم عليه السلام قال لعبدة الأصنام: إني سقيم، ولم يكن سقيما، وحين قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا، ولم يكن فعل، وحين قال للجبار عن امرأته: إنها أختي. قال الصحابة: كذب إبراهيم ولم يكذب نبينا، قال صلى الله عليه وسلم « لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، كلها في ذات الله، ودفاعا عن شرع الله، وحين نزل قوله تعالى على لسان لوط ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] قال الصحابة: إن نبينا يعتمد على الله وإن لوطا لم يعتمد على الله. قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد »، هو الله.

وحين نزل قوله تعالى على لسان يوسف لخادم الملك ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] أى عند مليكك، قال الصحابة: نبينا لا يسأل إلا ربه، ويوسف سأل الملك وأرسل وساطة إليه، قال لهم صلى الله عليه وسلم: لوليت في السجن - بدون ذنب - طول المدة التي لبثها يوسف في السجن لأجبت الداعي، حين جاءه في السجن وقال: اخرج من السجن لتقابل الملك، لكن يوسف لم يسارع بالخروج، ولم يكن معتمدا على الملك، بل على الله وعلى البراءة.

وهكذا نجد رسول الله ﷺ محبا لإخوانه الأنبياء، مدافعا عنهم، منزها لأفعالهم عن الخطأ، مبرئا لهم مما قد يثار حول بعض تصرفاتهم، بل كان يرفعهم على نفسه، ويدعو لتوقيرهم فوق توقيره، مؤمنا بما أنزل عليهم، داعيا أمته إلى الإيمان بكل ما جاء عنهم، عملا بقوله تعالى ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فأللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

المباحث العربية

(يا خير البرية) « خير » أفعل تفضيل، استعمل المصدر فيها لكثرة الاستعمال، والبرية الخلق، والبارئ الخالق.

(ذاك إبراهيم عليه السلام) أى خير البرية إبراهيم عليه السلام.

قال الحافظ ابن حجر: وإبراهيم بالسريانية معناه أب راحم، وهو ابن آزر، واسمه تارح بالقاء، ابن ناحور ابن شاروخ بن راغوء بن فالخ بن عبيير - ويقال: عابر - بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فبينه وبين نوح عشرة آباء، قال الحافظ ابن حجر: لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك، إلا في النطق ببعض هذه الأسماء.

(اختتن إبراهيم النبي ﷺ عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة) الختان معروف، وهو قطع غلفة الذكر، وفي مسند مسعود « اختتن إبراهيم بعد ما مرت به ثمانون » ووقع في الموطأ موقوفا

على أبى هريرة وعند ابن حبان مرفوعا « أن إبراهيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أنه سقط من المتن شيء، فإن هذا القدر هو مقدار عمره، ووقع مثل ذلك عند أبى الشيخ، وزاد « وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » فعلى هذا يكون عاش مائتى سنة، وجمع بعضهم بأن الأول حسب من مبدأ نبوته، والثانى من مبدأ مولده. والله أعلم.

(بالقدوم) روى بتشديد الدال، وروى بتخفيفها، قال النووى: لم يختلف الرواة عند مسلم فى التخفيف، وأنكر يعقوب بن شيبه التشديد أصلا، واختلف فى المراد به، فقيل: هو اسم مكان، أى اختتن فى مكان يدعى القدوم، وقيل: هى قرية بالشام، وقيل: اسم آلة النجار، فعلى الثانى هو بالتخفيف لا غير، وعلى الأول ففيه اللغتان. هذا قول الأكثر، وعكسه الداودى، وقد أنكر ابن السكيت التشديد فى الآلة، والراجح أن المراد فى الحديث الآلة، فقد روى أبو يعلى « أمر إبراهيم بالختان، فاختنن بقدوم، فاشتد عليه، فأوحى إليه: أن عجلت قبل أن نأمرك بآلتك، فقال: يا رب. كرهت أن أؤخر أمرك. »

(نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: ﴿ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾) اختلف السلف فى المراد بالشك هنا.

فحمله بعضهم على ظاهره - أى مساواة الوقوع واللاوقوع - ثم اختلفوا فقال بعضهم: كان قبل النبوة وقال بعضهم: كان ذلك بعد النبوة، وسببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر، ولم تزلزل الإيمان الثابت، واستندوا فى ذلك إلى ما أخرجه الطبرى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « هذا لما يعرض فى الصدور، ويوسوس به الشيطان، فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى » وإلى ذلك جنح عطاء، حيث سأله ابن جريج عن هذه الآية، فقال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال ذلك.

وروى الطبرى عن قتادة قال: ذكر لنا أن إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع.

وفى رواية عن ابن جريج قال: بلغنى أن إبراهيم أتى على جيفة حمار، مزقتها السباع والطير، فعجب وقال: رب لقد علمت لتجمعنها، ولكن رب أرنى كيف تحيى الموتى؟

وذهب آخرون إلى تأويل ذلك، واختلفوا:

فقال بعضهم: إن المراد من الشك المنفى الخواطر التى لا تثبت، وأما الشك المصطلح، وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر، فهو منفى عن الخليل قطعاً، لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان فى قلبه، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة؟

وقال بعضهم: إن الآية تدل على أن إبراهيم مؤمن يقينا بالبعث، لأن السؤال بكيف سؤال عن حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان؟ فكيف فى الآية سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت مقرر.

وقال بعضهم: إن السؤال عن كيفية إحياء الموتى ليس لشك فيه، ولكن إبراهيم طلب من ربه كعلامة على رضاه جل شأنه عليه، كما طلب زكريا آية على تحقق البشرى، فروى الطبرى وابن أبى

حاتم من طريق السدى قال: «لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، استأذنه ملك الموت أن يبشره، فأذن له... فذكر قصة معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن. قال: فقام إبراهيم يدعو ربه «رب أرني كيف تحيي الموتى؟ حتى أعلم أني خليلك» وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد قال: «ليطمئن قلبي بالخلة» ومن طريق سعيد بن جبير، قال «ليطمئن قلبي أني خليلك» ومن طريق الضحاك عن ابن عباس «لأعلم أنك أجبت دعائي» ومن طريق علي بن أبي طلحة عنه «لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك» وإلى هذا جنح القاضي أبو بكر الباقلاني.

وقال بعضهم: إنما طلب إبراهيم هذا المطلب حبا للرؤية، واشتياقا إليها، وإعجابا بها وتمتعا، وليس شكا في وقوعها، فأراد أن يسر قلبه ويطمئن برؤية آثار القدرة التي لا يشك فيها.

وقال بعضهم: إنما طلب إبراهيم أن يريه ربه، ويرى قومه المكذبين للبعث، وذلك أن النمرود لما قال لإبراهيم: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال النمرود: أنا أحيي وأميت، فجاء بمحكوم عليه بالإعدام فأطلقه، وببريء فقتله، فأراد إبراهيم أن يريه الله إحياء الموتى الحقيقي ليعلم الفرق بين القدرة الإلهية وعبث النمرود، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال: «المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك تحيي الموتى» أي ليطمئن قلبي بإيمانهم بالبعث.

وقال بعضهم: إنما طلب لزيادة اليقين البالغ حد الجزم، كزيادة الإيمان بكثرة نزول الآيات، فاليقين العلمي الخالي من الشك يزداد بالمعينة والمشاهدة. وهذا من أحسن التوجيهات وهناك توجيهات بعيدة. منها:

أن مراده أقدرني على إحياء الموتى، فتأدب في السؤال، قال ابن الحصار: إنما أراد أن يحيي الله الموتى على يديه، فلماذا قيل له في الجواب ﴿فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله «قلبي» رجلا صالحا كان يصحبه سأله عن ذلك.

وأبعد مما سبق ما حكاه القرطبي عن بعض الصوفية أنه سأل ربه أن يريه كيف يحيي القلوب؟

وأبعد منه أنه طلب هذا المطلب لمجرد حب المراجعة في السؤال.

وبناء على ما سبق من توجيهات اختلف العلماء في معنى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم»

ف قيل: معناه: نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم.

وقيل: معناه: إذا كنا لا نشك نحن، فإبراهيم لم يشك، فنحن أولى بالشك منه، أي لو كان الشك في ذلك يتطرق إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم. وقال ذلك تواضعا منه، أو قيل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم، فهو من قبيل ما قيل في روايتنا الأولى، حيث قيل: أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك، فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم، أي إبراهيم لم يشك.

وقيل: أراد من «نحن» أمته الذين يجوز عليهم الشك، وأخرج نفسه من ضمير المتكلمين، بدليل العصمة.

وقيل: معناه: أن هذا الذي ترون أنه شك، أنا أولى به، لما عانيت من تكذيب قومي، وردهم على، وتعجبهم، من أمر البعث، فكأنه قال: أنا أحق من أن أسأل ما سأل إبراهيم، لعظيم ما جرى لى مع قومي المنكرين لإحياء الموتى، ولمعرفتى بتفضيل الله لى ولكن لا أسأل فى ذلك.

وحكى بعض علماء العربية أن «أفعل» ربما جاءت لنفى المعنى عن الشئئين، نحو قوله تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّحُ﴾ [الدخان: ٣٧]؟ أى لا خير فيهما، وعلى هذا فمعنى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» لا شك عندنا جميعاً.

والاستفهام فى قوله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ للتقرير، لأنه طلب الكيفية، وهو مشعر بالتصديق بالإحياء.

(ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوى إلى ركن شديد) وفى ملحق الرواية « يغفر الله للوط، إنه أوى إلى ركن شديد » أى إلى الله تعالى، يشير صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يدافع عن لوط عليه السلام، فقد قيل: لما نزلت الآية قال بعضهم: اعتمد لوط على العشيرة، ولم يكن له عشيرة، فتحس، ولم يعتمد على الله تعالى، فأشار صلى الله عليه وسلم إلى أن المراد بالركن الشديد فى الآية الله تعالى، قال الحافظ ابن حنبل: ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه فى نسبه، فقال: لو أن لى منعة وأقارب وعشيرة، لكنت استنصر بهم عليكم، ليدفعوا عن ضيفانى أى ولكنى أوى إلى الله. ولهذا جاء فى بعض طرق هذا الحديث عند أحمد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « وقال لوط: لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد. قال: فإنه كان يأوى إلى ركن شديد، ولكنه عنى - بالقوة - عشيرته، فما بعث الله نبياً إلا فى نزوة من قومه » زاد ابن مردويه ألم تر إلى قول قوم شعيب ﴿وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] فالمراد من الركن الشديد الله، و «أو» هنا بمعنى «بل» التى للإضراب الإبطالى، وقيل: المراد بالركن الشديد فى الآية عشيرته، لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله، وقال النووى: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك - مريداً عشيرته ونسى الالتجاء إلى الله تعالى - أو التجأ إلى الله فى باطنه، وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً، وسمى العشيرة ركناً، لأن الركن يستند إليه، ويمتنع به، فشبههم بالركن من الجبل، لشدتهم ومنعتهم.

(ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى) فى رواية البخارى « ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم أتانى الداعى لأجبتة » يدافع صلى الله عليه وسلم عن يوسف عليه السلام، فى قوله لصاحب السجن ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فقد قيل: إنه تبرم بالقضاء، ولجأ إلى وساطة الخلق عند الخلق، فأشار إلى أنه عليه السلام كان مثلاً للصبر والرضا بالقضاء، فقد سجن مظلوماً، ورضى، وطال سجنه، ورضى، بل بعد أن طال سجنه وعز مقداره، وأتاه رسول الملك ليخرجه من السجن، لم يبادر بالخروج، بل قال له: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ولم يخرج حتى ثبتت براءته، ولو كان غيره قد طال به السجن ظلماً لأسرع إلى إجابة الداعى بالخروج، فوصفه صلى الله عليه وسلم بشدة الصبر، وقال عن نفسه ما قال تواضعاً.

(لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط، إلا ثلاث كذبات) قال أبو البقاء: الجيد أن يقال: كذبات بفتح الذال فى الجمع، لأنه جمع « كذبة » بسكون الذال، وهو اسم لا صفة، لأنك تقول: كذب كذبة، كما تقول: ركع ركعة.

وقد استشكل على هذا الحصر، ففى مسلم فى حديث الشفاعة الطويل، فى قصة إبراهيم ذكر قوله فى الكوكب: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ وقوله لآلهتهم ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ وقوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصفات: ٨٩] قال القرطبي ذكر الكوكب يقتضى أنها أربع. قال الحافظ ابن حجر: الذى يظهر أنها وهم من بعض الرواة، فإنه ذكر قوله فى الكوكب، بدل قوله فى سارة، والذى اتفقت عليه الطرق ذكر سارة، دون الكوكب، وكأنه لم يعد، مع أنه أدخل - فى المقصود - من ذكر سارة، لما نقل من أنه قاله فى حال الطفولية، فلم يعده، لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف. وهذه طريقة ابن إسحق، وقيل: إنما قال ذلك بعد البلوغ، لكنه قاله على طريق الاستفهام، الذى يقصد به التوبيخ، وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه، تنبيهها على أن الذى يتغير لا يصلح للربوبية، وهذا قول الأكثر، وأنه قاله توبيخاً لقومه، أو تهكما بهم، وهو المعتمد. وهذا الذى ذهب إليه الحافظ يصلح بصفة أكثر فى قوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ فإنه يبعد عن التصديق عند المتكلم والسامع معاً، ولذلك قال: ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ وقالوا رداً عليه ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ فعقب على ذلك بقوله ﴿ أَلَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟ فالإشكال باق، والذى أوقع فيه هو الرواية، وخير التوجيهات أنه قاله على سبيل الاستفهام، ولا يدخله الكذب، فالكذب فى الأخبار.

على أن إطلاق الكذب على الأمور الثلاث ليس على سبيل الحقيقة المتفق عليها، إذا أدخلنا اعتقاد المتكلم والسامع فى تعريفه، فالتعريض والتورية، يقصد المتكلم فيها مطابقة الخبر للواقع، وإن كان حسب فهم المخاطب غير مطابق للواقع، فإبراهيم حين قال ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ربما قصد أنه كان السبب، أى تسبب فى الفعل، وأثارنى كبيرهم هذا والإسناد إلى الشيء مع إرادة السبب كثير، وربما قصد توقف الكلام عند قوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ ﴾ مريداً إبراهيم، ثم البدء بقوله ﴿ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ﴾ أى أسأله ومن حوله، وربما قصد توقف الجواب المستحيل على الشرط المستحيل، أى إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم لكنهم لا ينطقون. قال ابن قتيبة، وقوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ربما قصد مريض النفس، ضائق الصدر من أفعالكم وتصرفاتكم، وربما كان عنده مرض حقيقى يعلمه وحده وربّه، وإن كان لا يمنع من الخروج، فقد حكى النووى عن بعضهم، أنه كان تأخذه الحمى فى ذلك الوقت، وربما أراد الاستقبال، أى سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً، وقوله « هذه أختى » قصد به أخوة الإسلام، كما جاء فى الرواية صريحاً، ونتيجة ذلك أن الثلاث صور كذبات وليست فى الحقيقة كذبات.

(ثنتين فى ذات الله، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة فى شأن سارة) خص الثنتين بذلك، وإن كانت الثالثة أيضاً فى ذات الله، لكنها لما تضمنت حظاً لنفسه ونفعاً له، لم تعتبر فى ذات الله محضاً، بخلاف الثنتين، وقد وقع فى بعض الروايات « إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات، كل ذلك فى ذات الله » وعند أحمد « والله إن جادل بهن إلا عن دين الله » وفى رواية « ما فيها كذبة إلا مما حل بها عن الإسلام » أى جادل ودافع.

(فإنه قدم أرض جبار) قال الحافظ ابن حجر: اسم الجبار المذكور عمر بن امرئ القيس بن سبأ، وأنه كان على مصر، وقيل: اسمه صادق، وكان على الأردن، وقيل غير ذلك.

(ومعه سارة وكانت أحسن الناس) فى رواية البخارى « من أحسن الناس » وفى رواية « هاجر إبراهيم بسارة ، فدخل بها قرية، فيها ملك أو جبار، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هى من أحسن النساء ».

قال الحافظ ابن حجر: واختلف فى والد سارة - مع القول بأن اسمه هاران - فقيل: هو ملك حران، وأن إبراهيم تزوجها لما هاجر من بلاد قومه إلى حران، وقيل: هى ابنة أخيه، وكان ذلك جائزا فى تلك الشريعة، حكاه ابن قتيبة والنقاش، واستبعد، وقيل: بل هى بنت عمه.

قال الحافظ ابن حجر: والجمهور على أنها ليست بنبية.

(فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتى، يغلبنى عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختى، فإنك أختى فى الإسلام) فىنى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه، فقال له: (لقد قدم أرضك امرأة، لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتى بها) فى هذه الرواية طى، أوضحته رواية البخارى، ولفظها « بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلا، معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختى، فأتى سارة، قال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك، وإن هذا سألنى عنك، فأخبرته أنك أختى، فلا تكذبنى، فأرسل إليها » فروايتنا ليس فيها تصريح بأنه كذب، وقال عن زوجته: أختى، والواقع أن الجبار طلب إبراهيم أولا، وسأله عنها فقال له إبراهيم: إنها أختى، ثم رجع إبراهيم إليها فأخبرها بذلك، لئلا تكذبه عنده، وقال الحافظ ابن حجر: ويمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أحس بأن الملك سيطلبها منه، فأوصاها بما أوصاها، فلما وقع ما حسبه أعاد عليها الوصية.

واختلف فى السبب الذى حمل إبراهيم على هذه الوصية، مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها، أختا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين الملك أن لا يتعرض إلا لنوات الأزواج، فكانت عنده شهوة قتل الزوج، واغتصاب الزوجة، فأراد إبراهيم دفع أعظم الضررين، بارتكاب أخفهما، وهذا التقرير قريب مما جاء عن وهب بن منبه عند ابن حميد فى تفسيره، وقريب مما ذكره المنذرى فى حاشية السنن عن بعض أهل الكتاب، وهو مأخوذ من كلام ابن الجوزى فى مشكل الصحيحين، أما من قال: إنه كان عند دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من غيره، فلذلك قال: هى أختى، اعتمادا على ما يعتقد الجبار، فلا ينازعه فيها - فإنه متعقب بأنه لو كان ذلك لقال: هى أختى وأنا زوجها، ولا يقتصر على قوله: هى أختى، وأيضا فالجواب إنما يفيد لو كان من الجبار يريد أن يتزوجها، لا أن يغتصبها نفسها.

وقد أشكل على قوله « لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك » بلوط عليه السلام، فقد كان معه، كما قال تعالى ﴿ فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] قال الحافظ ابن حجر: ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض التى وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط.

(فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة) وهكذا كان نبينا ﷺ إذا ضربه أمر قام إلى الصلاة.

(فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة) فى رواية « فقام إليها، فقامت نوضاً وتصلى » وقبض يده يبسها وتجمدها، وفى رواية البخارى « فأخذ » وفى رواية « فغط حتى ركض برجله » يعنى اختنق، حتى صار كأنه مصروع، قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه عوقب تارة بقبض يده، وتارة بالصرع.

(فقال لها: ادعى الله أن يطلق يدي، ولا أضرك، ففعلت) فى رواية البخارى « فدعت الله فأطلق » وفى رواية « قالت فى نفسها - اللهم إن يمت يقولوا: هى التى قتلته، فقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر فأرسل ».

(فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأولىين، فقال: ادعى الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده) لم يكتف اللعين بالعقاب الأول، فتمادى، فتكرر العقاب، فأيقن أن فى الأمر سرًا.

(ودعا الذى جاء بها) فى رواية البخارى « فدعا بعض حجبته ».

(فقال له: إنك إنما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بإنسان) فى رواية البخارى « إنك لم تأتنى بإنسان، إنما أتيتنى بشيطان » وفى رواية « إنكم ما أرسلتم إلى إلا شيطاناً، أرجعوها إلى إبراهيم » والمراد بالشيطان الجن المتمرد، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جداً، ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

(فأخرجها من أرضى، وأعطها هاجر) فى بعض النسخ « وأعطها آجر » بالهمز بدل الهاء، وفى رواية البخارى « فأخدمها هاجر » أى وهبها لها لتخدمها، لأنه أعظمها أن تخدم نفسها. قال الحافظ ابن حجر: هاجر اسم سريانى، ويقال: إن أباه كان من ملوك القبط، وأنها من الحفن، بفتح الحاء وسكون الفاء، قرية بمصر، قال اليعقوبى: كانت مدينة. اهـ. وهى الآن كفر من عمل ألسنا بالبر الشرقى من الصعيد، فى مقابلة الأشمونين وفيها آثار عظيمة باقية.

(فأقبلت تمشى، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف) من الصلاة، وفى رواية البخارى « فأنته ».

(فقال لها: مهيم ؟) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء، أى ما شأنك؟ وما خبرك؟ ووقع فى البخارى « مهياً » بالألف، وفى رواية « متهياً » وفى رواية « مهين » بنون بدل الميم.

(قالت: خيراً. كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً) فى رواية البخارى « رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - فى نحره » وفى رواية « أشعرت أن الله كبت الكافر، وأخدم وليدة »؟ أى جارية للخدمة؟ وفاعل « أخدم » يحتمل أن يكون الله، وأن يكون الكافر.

(**فتلك أمكم يا بنى ماء السماء**) قال النووي: قال كثيرون: المراد ببني ماء السماء العرب كلهم، لخلوص نسبهم وصفائهم، وقيل: لأن أكثرهم أصحاب مواش، وعيشهم من المرعى والخصب، وما ينبت بماء السماء، وقال القاضى: الأظهر عندي أن المراد بذلك الأنصار خاصة، ونسبتهم إلى جدهم عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأدد، وكان يعرف بماء السماء، وهو المشهور بذلك، والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور، اهـ.
وقيل: أراد بماء السماء زمزم، لأن الله أنبعها لهاجر، فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولادها.

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

١- من الرواية الأولى فضيلة إبراهيم عليه السلام، قال النووي: قال العلماء: إنما قال صلى الله عليه وسلم عن إبراهيم إنه خير البرية، تواضعا، واحتراما لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، لخلته وأبوتيه، وإلا فنبينا ﷺ أفضل، كما قال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم» ولم يقصد به الافتخار، ولا التناول على من تقدمه، بل قاله بيانا لما أمر ببيانه وتبليغه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «ولا فخر» لينفى ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة، وقيل: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال: إبراهيم خير البرية قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فإن قيل: التأويل المذكور ضعيف، لأن هذا خبر، فلا يدخله خلف ولا نسخ؟ فالجواب أنه لا يمتنع أنه أراد أفضل البرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم. لأنه أبلغ في التواضع، وقد جزم صاحب التحرير بمعنى هذا، فقال: المراد أفضل برية عصره، وأجاب القاضى عن التأويل الثانى بأنه وإن كان خبرا، فهو مما يدخله النسخ من الأخبار، لأن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء، فأخبر بفضيلة إبراهيم، إلى أن علم تفضيل نفسه، فأخبر به.

٢- ويؤخذ منه جواز التفاضل بين الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، مصداقا لقوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ويجاب عن حديث النهى عن التفضيل بين الأنبياء بالأجوبة السابقة فى أول كتاب الفضائل.

٣- ومن الرواية الثانية مشروعية الختان، وقد سبق فى باب خصال الفطرة، فى كتاب الطهارة.

٤- ومن الرواية الثالثة وفاء الرسول ﷺ لإخوانه الأنبياء، ودفاعه عما أثير حول بعضهم.

٥- ومن طلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى إدلاله على الله، وقربه منه.

٦- واستحباب الترقى فى الإيمان من علم اليقين إلى عين اليقين.

٧- وفضيلة يوسف عليه السلام، وصبره، ونزاهته.

٨- وتواضع رسول الله ﷺ، إذ يقول «لأجبت داعى» والتواضع لا يحط مرتبة الكبير، بل يزيده رفعة وجلالا.

٩- ومن الرواية الخامسة تبرئة إبراهيم عليه السلام من حقيقة الكذب، وأن ما جرى منه مما يوهم ذلك كان من أجل دين الله.

قال ابن عقيل: الدلالة العقلية تصرف وتبعد إطلاق الكذب على إبراهيم عليه السلام، وذلك أن العقل يقطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به، ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه؟ وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام إلا في حال شدة الخوف، لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين، دفعا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تدم، فإن الكذب وإن كان قبيحا مخلًا، لكنه قد يحسن في مواضع، وهذا منها. اهـ.

وقال المازري: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى، فالأنبياء معصومون منه، سواء كثيره أو قليله، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ، ويعد من الصفات، كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا، ففي إمكان وقوعه منهم، وعصمتهم منه، القولان المشهوران للسلف والخلف.

وقال القاضي عياض: الصحيح أن الكذب، فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم، سواء جوزنا الصغائر منهم أم لا، وسواء قل الكذب أم كثر، لأن منصب النبوة يرتفع عنه، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم.

وقال المازري: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات، وأخرجها عن كونها كذبا، قال: ولا معنى للامتناع من إطلاق لفظ أطلقه رسول الله ﷺ، ورد عليه النووي بقوله: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع، لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح، لا مانع فيه.

وقال النووي أيضا: وحتى لو كان كذبا، لا تورية فيه ولا تأويل لكان جائزا في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم، يطلب إنسانا مختفيا، ليقتله ظلما، أو يطلب وديعة لإنسان، ليأخذها غصبا، وسأل على ذلك، وجب على من علم ذلك إخفاؤه، وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز، بل واجب، لكونه في دفع الظالم، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم.

١٠- وفي توجيه إبراهيم عليه السلام أخوة سارة مشروعية أخوة الإسلام..

١١- وفي الحديث إباحة المعارض.

١٢- والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب.

١٣- وقبول صلة الملك الظالم.

١٤- وقبول هدية المشرك.

١٥- وإجابة الدعاء، بإخلاص النية

١٦- وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح، كما في قصة أصحاب الغار

١٧- واقتلاء الصالحين، لرفع درجاتهم.

١٨- ومن قبض الظالم عن سارة مرات كرامة لها، ومعجزة لإبراهيم عليه السلام.

١٩- وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفرغ إلى الصلاة.

٢٠- قال الحافظ ابن حجر: وفيه أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا، وليس مختصاً بهذه الأمة، ولا بالأنبياء، لثبوت ذلك من سارة.

واللَّهُ أعلم

(٦٣١) باب من فضائل موسى عليه السلام، ويونس، ويوسف، وزكريا، والخضر، عليهم السلام

٥٣٥٠ - ١٥٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٥)، عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عرأة. ينظرون بعضهم إلى سواة بعض. وكان موسى عليه السلام يغتسل وخذة. فقالوا: والله! ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آذر. قال: فذهب مرة يغتسل. فوضع ثوبه على حجر. ففر الحجر بثوبه. قال: فجمع موسى بثوبه يقول: ثوبي حجر. ثوبي حجر. حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى» فقالوا: والله! ما بموسى من بأس. فقام الحجر بعد. حتى نظرت إليه. قال: فأخذ ثوبه فطفيق بالحجر ضرباً. قال أبو هريرة: والله! إنه بالحجر ندب. ستة أو سبعة. ضرب موسى عليه السلام بالحجر.

٥٣٥١ - ١٥٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٦) قال: كان موسى عليه السلام رجلاً حياً. قال: فكان لا يرى متجرداً. قال: فقال بنو إسرائيل. إنه آذر. قال: فاعتسل عند مؤبه. فوضع ثوبه على حجر. فأنطلق الحجر يسعى. وأتبعه بعصاه يضربه: ثوبي حجراً! ثوبي حجراً! حتى وقف على ملا من بني إسرائيل. ونزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها﴾.

٥٣٥٢ - ١٥٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٧) قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام. فلما جاءه صكه ففقا عينه. فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له يصع يده على متن تور، فله بما عطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب! ثم مه؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يذنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. فقال رسول الله ﷺ: «فلو كنت، ثم لاريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكتيب الأحمر».

(١٥٥) حدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة (١٥٦) وحدثنا يحيى بن حبيب الحارثي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق قال أنبأنا عن أبو هريرة (١٥٧) وحدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طالس عن أبيه عن أبي هريرة

٥٣٥٣ - ١٥٨/٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٨)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبِّكَ. قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا. قَالَ: فَارْجِعْ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ: إِنَّكَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ. وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةُ تَرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْتَنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ. قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ. رَبِّ! أَمْتَنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاللَّهِ! لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْبِ الْأَحْمَرِ».

٥٣٥٤ - ١٥٩/٥ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٥٩) قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ. شَكََّ عَبْدُ الْعَزِيزِ. قَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ. قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ. قَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَظْهُرِنَا. قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ. ثُمَّ قَالَ: لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْنَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَبِإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ. فَلَا أُدْرِي أَحْوَسِبَ بِصَعْتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي. وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ ابْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

٥٣٥٥ - ١٦٠/٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٦٠) قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ، رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ،

(١٥٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ

- قَالَ أَبُو إِسْحَقَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

(١٥٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ

الْهَاشِمِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ سِوَاءً.

(١٦٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالَا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعَالَمِينَ. قَالَ: فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ. فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى. فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ. فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشَى اللَّهَ».

٥٣٥٦ - ١٦١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٦١) قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود. بمثل حديث إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب.

٥٣٥٧ - ١٦٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١٦٢) قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه. وساق الحديث، بمعنى حديث الزهري، غير أنه قال: «فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو اكتفى بصعقة الطور».

٥٣٥٨ - ١٦٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١٦٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروا بين الأنبياء» وفي حديث ابن نمير عمرو بن يحيى، حدثني أبي.

٥٣٥٩ - ١٦٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١٦٤)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت» وفي رواية هذاب «مررت على موسى ليلة أسري بي، عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

٥٣٦٠ - ١٦٥ عن أنس رضي الله عنه (١٦٥) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررت على موسى وهو يصلي في قبره» وزاد في حديث عيسى «مررت ليلة أسري بي».

(١٦١) وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وأبو بكر بن إسحاق قالوا أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة

(١٦٢) وحدثني عمرو الناقد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري

(١٦٣) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان ح وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري

(١٦٤) حدثنا هذاب بن خالد وشيبان بن فروخ قالوا حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس بن مالك

(١٦٥) وحدثنا علي بن خنيزم أخبرنا عيسى يعني ابن يونس ح وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير كلاهما عن سليمان التيمي عن أنس ح وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدة بن سليمان عن سفيان عن سليمان التيمي سمعت أنس يقول

فضل يونس عليه السلام

٥٣٦١ - ١٦٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٦٦)، عن النبي ﷺ أنه قال: «يَعْنِي اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي (وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى لِعَبْدِي) أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ.

٥٣٦٢ - ١٦٧ عن أبي العالية رضي الله عنه (١٦٧) قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمٍّ نَبِيِّكُمْ ﷺ (يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

٥٣٦٣ - ١٦٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٦٨) قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ. قَالَ: «فَيُوسُفُ بْنُ اللّٰهِ ابْنُ نَبِيِّ اللّٰهِ ابْنِ خَلِيلِ اللّٰهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ. قَالَ: «فَعَنَ مَعَادِنَ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَهُوا».

٥٣٦٤ - ١٦٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٦٩) أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ: «قَالَ كَانَ زَكَرِيَاءُ نَجَارًا».

٥٣٦٥ - ١٧٠ عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه (١٧٠) قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللّٰهِ. سَمِعْتُ أَبِي بِنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. قَالَ: فَعَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدِّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ. فَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ! كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَحْمِلْ حُوتًا فِي مَكْتَلٍ. فَحَيْثُ تَفْقُدُ الْحُوتَ فَهُوَ تَمَّ. فَانْطَلِقْ وَانْطَلِقْ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشِعُ بِنُ نُونٍ. فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالُوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ

إِبْرَاهِيمَ قَالَ سَمِعْتُ حَمِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٦٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَسَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ يَقُولُ

(١٦٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعَبِيدُ اللّٰهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللّٰهِ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ

أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٦٩) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٧٠) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعَبِيدُ اللّٰهِ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَمْرٍ الْمَكِّيُّ كُلُّهُمْ عَنِ

ابْنِ عُيَيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عَمْرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ

حوتًا فِي مِكَتَلٍ، وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى آتَيَا الصَّخْرَةَ. فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ. فَاضْطَّرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكَتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكَتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ. قَالَ: وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ. فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا. فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَيَلْتِيهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدًّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قَالَ: يَقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى آتَيَا الصَّخْرَةَ. فَرَأَى رَجُلًا مُسَجِّيَ عَلَيْهِ بَنُوبٍ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عِلْمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ. وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عِلْمِيهِ لَا تَعْلَمُهُ. قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ قَالَ: نَعَمْ. فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا. فَعَرَفُوهُمَا الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ. فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدَتْ إِلَيْنَا سَفِينَتَهُمْ فَخَرَقَتْهَا ﴿لَتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ. فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غَلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ. فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ. فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾ يَقُولُ: مَا تِلْ. قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا. فَأَقَامَهُ. قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّقُونَا وَلَمْ يُطْعَمُونَا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقْصَ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا» قَالَ: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ» ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا

الْعَصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ» قَالَ: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَكَانَ يَقْرَأُ: وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا. وَكَانَ يَقْرَأُ: وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا.

٥٣٦٦ - ١٧١/١٣ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (١٧١) قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ، لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: أَسْمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؟ قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ.

٥٣٦٧ - ١٧٢/١٣ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه (١٧٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ. وَأَيَّامِ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبِلَاؤُهُ. إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمَ مِنِّي. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ. إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ. أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ. إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ! فَذَلِّبْنِي عَلَيْهِ. قَالَ فَقِيلَ لَهُ: تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا. فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفَقَّدَ الْحُوتَ. قَالَ: فَاَنْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ. فَعَمِيَ عَلَيْهِ فَاَنْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ. فَاَضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لَا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِ. صَارَ مِثْلَ الْكُؤُورَةِ. قَالَ: فَقَالَ فَتَاهُ: أَلَا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخْبِرُهُ؟ قَالَ: فَنَسِيَ. فَلَمَّا تَجَاوَزَا ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا. قَالَ فَتَدَكَّرَ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَارَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ. قَالَ: هَا هُنَا وَصِفَ لِي. قَالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْحَضِيرِ. مُسَجَّى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا. أَوْ قَالَ عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا. قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ. مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِي ﴿تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾ شَيْءٌ أَمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ قَالَ: انْتَحَى عَلَيْهِمَا. قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

(١٧١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رُقَيْعَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
(١٧٢) حَدَّثَنَا أَبُو بِنِ كَعْبٍ

قَالَ لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا يَلْعُبُونَ قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَيَّ أَحَدِهِمْ بِأَدْيِ الرَّأْيِ. فَتَلَّه. فَدَعَرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَعْرَةً مُنْكَرَةً ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذِمَامَةً» ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَحْيِي كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا» ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ لِنَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴿وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ﴾ قَالَ: ﴿سَأَلْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخَّرُهَا، وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً، فَتَجَاوَزَهَا، فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ فَطَبَعَ يَوْمَ طَبَعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ. فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿فَارْذَنَّا أَنْ يَبُدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

٥٣٦٨ - ١٧٣/١٤ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٧٣) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ﴿لَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

٥٣٦٩ - ١٧٤/١٥ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١٧٤)، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ ابْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ، فِي صَاحِبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْخَضِرُ. فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بِنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيُّ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، هَلُمَّ إِلَيْنَا. فَإِنِّي قَدْ تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقَالَ أَبِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ مُوسَى بَلْ عَبَدْنَا الْخَضِرُ. قَالَ: فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ. فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا

- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِإِسْنَادِ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ نَحْوَ حَدِيثِهِ. (١٧٣) وَحَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرُو عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبِ (١٧٤) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

افْتَقَدَتِ الْحُوتَ فَارْجِعِ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ. فَسَارَ مُوسَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ. ثُمَّ قَالَ لِفَعَاهُ ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ فَقَالَ فَتْسَى مُوسَى حِينَ سَأَلَهُ الْغَدَاءَ ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصُّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فَقَالَ مُوسَى لِفَعَاهُ ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدًّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَوَجَدَا حَضِرًا. فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ» إِلَّا أَنَّ يُونُسَ قَالَ: فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ.

٥٣٧٠ - ١٧٥ عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١٧٥)، أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أفدام المشركين على رؤوسنا، ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فالرسل عليهم السلام صفة بنى آدم، لأنهم الوسطاء بين الله وبين خلقه، يبلغون عن الله ما يشاؤه جل شأنه، ومن شأن الوسيط أن يكون على صورة محبوبه، حتى يتقبله الطرف المأمور، صورة عالية كريمة شريفة خلقيا وخلقيا، وهكذا كانت الرسل في مناقبهم، ولكل رسول ميزة خاصة، لا يلزمها أن يكون أعلى من زملائه من الرسل، فالخصوصية لا تقتضى الأفضلية، كما يقولون، لكن بعضهم امتاز بخصوصيات تفوق خصوصيات سواه، ومع ذلك فلا يلزم أن يكون أعلى رتبة عند ربه، ومن هنا حرص صلى الله عليه وسلم أن يوصى بعدم المفاضلة بين الرسل، فقال: لا تفاضلوا بين الأنبياء، بل نهى أن تفضله أمته على أحد من الرسل، فقال: لا تفضلوني على الأنبياء، وذلك على الرغم مما أوحى إليه من أنه سيد ولد آدم، وعلى الرغم من أنه صلى الله عليه وسلم أعلن هذه السيادة لأصحابه، إذ فرق بين أن يكون الإنسان سيداً في نفسه، وبين أن يسيد نفسه، أو حبيبه في كل مجلس، فرق بين ثبوت صفات الفضل في ذاتها، وبين أن يتباهى بها أهلؤها، فحين قال اليهودى للطمعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لام المسلم، وذكر لطمه المسلم، وقال: وعلى محمد؟ وحين شك اليهودى للطمعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لام المسلم، وذكر أفضلية لموسى عليه السلام، وأنه أول من يفوق من الصعقة يوم القيامة، وقال: لا نفضلوني على موسى، حتى الرسول الذي لا نعرف له كثير ميزات كان صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نفضله عليه، فهو يقول: لا ينبغي لمسلم أن يقول: إن محمداً خير من يونس بن متى، وكان كثيراً ما يدفعه هذا التواضع إلى الثناء على غيره من الرسل، فحين سئل: من أكرم الناس؟ قال يوسف بن نبي الله يعقوب، ابن نبي الله إسحق، ابن نبي الله وخليفه إبراهيم عليه السلام.

(١٧٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخِرَانِ حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَابَتٌ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

ومن هنا عنى علماء الإسلام بإبراز فضائل الرسل، عناية لا تقل عن عنايتهم بإبراز فضائل رسولهم، فأفاضوا فى عرض خصائص موسى عليه السلام، وهم فى ذلك سائرون على نهج القرآن الكريم، الذى أفاض فى أحداث قصص موسى عليه السلام إفاضة لا تماثلها إفاضة لأحد من الرسل.

وفى هذا الباب ذكر الإمام مسلم لموسى عليه السلام قصة الحجر الذى جرى بثيابه، لبراءة موسى مما اتهمه به قومه، وقصة ملك الموت، وما جرى له مع موسى، وقصة اليهودى الذى حلف برب موسى، وقصة رؤية محمد ﷺ فى إسرائه موسى عليه السلام يصى، وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وفى شرحهما ما يغنى عن تكراره هنا.

وزاد الإمام البخارى على ذلك قصة ندائه من جانب الطور، وقصة أمه، وقد أصبح فؤادها فارغا، وقصة شد عضده بأخيه هارون، وقصة وعد موسى ثلاثين ليلة، وقصة أمره قومه أن يذبحوا بقرة، وقصة احتجاج آدم وموسى بخصوص القدر والخطيئة.

فصلى الله وسلم وبارك على جميع رسله، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله مسلمون.

المباحث العربية

(كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة) أى جماعتهم وأكثرهم، أو بعضهم، كقوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] والمراد يغتسلون جماعات فى مكان واحد، فسر ذلك بقوله:

(ينظر بعضهم إلى سوءة بعض) الظاهر أن ذلك كان غير محرم عندهم.

(وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده) لئلا يرى سوءته أحد استحياء وأدباً، وفى الرواية الثانية « كان موسى عليه السلام رجلا حيايا، قال: فكان لا يرى متجربا ».

(فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر) أى قال بعض بنى إسرائيل المحيطون به، القريبون من حياته، فى الرواية الثانية « قال: فقال بنو إسرائيل: إنه آدر » أى بعض بنى إسرائيل، والآدر بهمة ممدودة ثم دال مفتوحة، وهو عظيم الخصيتين، والأدرة بضم الهمزة وسكون الدال على المشهور، وبفتحتين أيضا فيما حكى، ورجح الأول وهو نفخة فى الخصية، وعند البخارى « إن موسى كان رجلا حيايا ستيرا، لا يرى من جلده شيء، استحياء منه، فأذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة، وإما آفة ».

(فذهب مرة يغتسل) حال مقدرة، أى يريد الاغتسال، فى الرواية الثانية « فاغتسل عند مويه » فيه مجاز المشاركة، أى فأراد الاغتسال وأشرف عليه، و « مويه » بضم الميم، وفتح الواو، وإسكان الياء وهو تصغير ماء، وأصله « موه » والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها. قال القاضى: وقع فى معظم الروايات « مشربة » بفتح الميم وإسكان الشين، وهى حفرة فى أصل النخلة، يجمع الماء فيها لسقيها، قال القاضى: وأظن الأول تصحيفا.

(فوضع ثوبه على حجر) وفى رواية للبخارى « فخلا يوم وحده، فوضع ثيابه على الحجر »

وظاهره أنه خلع كل ثيابه قبل دخوله في الماء، وأنه دخل في الماء عرياناً، وعليه بوب البخارى في الغسل « من اغتسل عرياناً » لكن عند أحمد « أن موسى كان إذا أراد أن يدخل الماء لم يلق ثوبه، حتى يوارى عورته في الماء » فالمراد من وضع ثوبه على الحجر وضع بعض ثيابه، ويساعد هذا المعنى رواية تنكير الثياب عند الكشميهني « فوضع ثياباً له » ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن أبي بكر النيسابوري أن موسى نزل إلى الماء مؤتزرًا، فلما خرج تتبع الحجر، والمئزر مبتل بالماء، فعلموا عند رؤيته أنه غير آدر، لأن الأدرّة تظهر تحت الثوب المبلول بالماء. قال الحافظ ابن حجر: هذا القول محتمل، لكن المنقول خلافه.

(**ففر الحجر بثوبه**) في الرواية الثانية « فانطلق الحجر يسعى » وبينت رواية البخارى أن انطلاق الحجر كان بعد أن اغتسل موسى، ولفظها « فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه » وفيها « وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ».

(**فجمع موسى بأثره، يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر**) « جمع » بالحاء، أى ذهب سريعًا وإسراعًا بليغًا وروى « فخرج » ومعنى « ثوبى حجر » دع ثوبى يا حجر، أو أعطنى ثوبى يا حجر وعند البخارى « ثوبى يا حجر » ومخاطبة الحجر أمر عادى يحصل عند الدهشة، كأنه كلام نفسى، أو أنه أجراه مجرى من يعقل، لكونه فربثوبه، فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم من يعقل، فناداه، فلما لم يعطه ضربه، وقريب من هذا قول بعضهم: يحتمل أنه كان يعتقد أن فى الحجر تمييزًا، يدرك به النداء، بقدره الله، وعند البخارى « فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر »

(**حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد، حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً**) « ضرباً » منصوب على المصدر، أى يضربه ضرباً وفى رواية للبخارى « حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل، فرأوه عرياناً، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه » وظاهره أنهم رأوا جسده، وترتيب الأحداث على هذا واضح، فضرب موسى للحجر كان بعد أن وقف الحجر، وأخذ موسى ثيابه ولبسها، فروايتنا الثانية، فى قولها « وأتبعه موسى بعصاه، يضربه، ثوبى حجر. ثوبى حجر حتى وقف على ملأ من بنى إسرائيل » فيها تقديم وتأخير، إذ لو تمكن موسى من ضرب الحجر لتمكن من أخذ ثيابه، قبل الوقوف على بنى إسرائيل.

قال ابن الجوزي: والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما فى الخبر، حتى وقف على مجلس لبنى إسرائيل، كان فيهم من قال فيه من قال، وبهذا تظهر الفائدة، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم فى الجملة لم يقع ذلك الموقع. اهـ.

وعند ابن مردويه وابن خزيمة « فقالت بنو إسرائيل: قاتل الله الأفاكين، وكانت براءته »

(**قال أبو هريرة: والله إنه بالحجر ندب، ستة أو سبعة، ضرب موسى عليه**)

. **السلام بالحجر**) الندب بفتح النون والبدال أصله الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والمراد أن عصا موسى أثرت فى الحجر، تأثيراً ظاهراً، ست علامات أو سبعا، وليس هذا بغريب على عصا موسى عليه السلام.

(**ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]**) وفى رواية للبخارى « فذلك قوله تعالى... » وظاهر هذه الرواية أن ذكر الآية مع القصة من كلام أبى هريرة واجتهاده، لكن فى رواية له عند ابن مردويه، قال: « قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا...﴾ الآية قال: إن بنى إسرائيل كانوا يقولون: إن موسى آدر.. فذكر نحو الحديث السابق. مما يفيد أن سبب النزول مرفوع، لكن روى أحمد بن منيع فى مسنده بإسناد حسن والطحاوى وابن مردويه أن الآية المذكورة نزلت فى طعن بنى إسرائيل على موسى بسبب هارون، لأنه توجه معه إلى زيارة، فمات هارون، فدفعه موسى، فطعن فيه بعض بنى إسرائيل، وقالوا: أنت قتلته، فبرأه الله تعالى بأن رفع لهم جسد هارون، وهو ميت فخاطبهم بأنه مات « قال الحافظ ابن حجر: وفى الإسناد ضعف، ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون فى الفريقين معا، ففى كل منهما أودى موسى، فبرأه الله مما قالوا، والله أعلم.

(**أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام**) « أرسل » مبنى للمجهول، أى أرسله ربه، فى الرواية الرابعة « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ريك » أى للموت وعند أحمد والطبرى « كان ملك الموت يأتى الناس عيانا، فأتى موسى... » والرواية الثالثة موقوفة، لكن الرابعة مرفوعة.

(**فلما جاءه صكه، ففقأ عينه**) أى فلما جاءه، وأخبره بموته، كره الموت، فطمه، وفتح عين الملك قيل على الحقيقة، وأن الله أذن لموسى فى هذه اللطمة، امتحاناً للمكلم، والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ما يشاء، ويمتحنهم بما أراد، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية، ليرجع إلى موسى، على كمال الصورة، فيكون ذلك أقوى فى اعتباره، قال ابن عقيل: يجوز أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التى هى تخييل وتمثيل، وليست عينا حقيقية، ومعنى رد الله عينه أعاده إلى خلقته الحقيقية.

وقال بعض العلماء: إن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه، فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان، إذا غلبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصا. قال المازرى: وفى هذا القول ضعف، قوله صلى الله عليه وسلم « فرد الله عينه » قال النووى: فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيداً.

وقال بعض العلماء: إن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده، يريد نفسه، فدافعه، فأدت المدافعة إلى فقء العين، لا أنه قصدها بالفقء، قال النووى: وتؤيده رواية « صكه » وهذا جواب ابن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازرى والقاضى عياض، قالوا: وليس

فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، قال النووي: فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانىاً بأنه ملك الموت؟ فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة، علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم، بخلاف المرة الأولى.

أقول: وهذا بعيد أيضاً، فالملائكة لا تحكمهم الصورة، والمختار عندى أنه خيل لموسى أنه فقأ عين ملك الموت، كما خيل إليه حين رآه فى المرة الثانية أن الله رد له عينه، أو الكلام على التشبيه، أى فكأنه فقأ عينه، وكان الله رد إليه عينه، وسيأتى مزيد لهذه المسألة فى فقه الحديث.

(أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت) فى الرواية الرابعة « إنك أرسلتنى إلى عبد لك، لا يريد الموت، وقد فقأ عينى » وفى رواية « قال: يارب، عبدك موسى فقأ عينى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه »

(ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعره سنة) فى الرواية الرابعة « ارجع إلى عبدى، فقل: الحياة تريد؟ » والكلام على الاستفهام، و« الحياة » مفعول مقدم « فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما توارت » أى فما غطت « يدك من شعره، فإنك تعيش بها سنة » والمتن بفتح الميم وسكون التاء الظهر.

(قال: أى رب، ثم مه؟ قال: ثم الموت) فى الرواية الرابعة « قال: ثم مه؟ قال: ثم الموت » وفى الكلام طى، تقديره، فرجع ملك الموت إلى موسى، فقال له ما قال ربه، فقال موسى مناجياً ربه. يارب، ثم ماذا بعد هذه السنين؟ قال له ربه. ثم الموت يقع. و« مه » هى « ما » الاستفهامية، دخل عليها هاء السكت.

(قال: فالآن) الفاء فى جواب شرط مقدر، أى إذا كانت النهاية الموت لا محالة فالمختار عندى الموت الآن، وفى الرواية الرابعة « فالآن من قريب ».

(فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر) وفى الرواية الرابعة « رب أمتنى » بفتح الهمزة وكسر الميم وسكون التاء، أى قريباً « من الأرض المقدسة رمية بحجر » أى مسافة رمية بحجر، وفى بعض النسخ « رب أدننى » بالبدال ونونين.

(فلو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، تحت الكتيب الأحمر) فى الرواية الرابعة « عند الكتيب الأحمر » وهو التل من الرمال الحمراء.

وزعم ابن احبان أن قبر موسى بمدين، بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة، ولا من بيت المقدس، قال: وهذا اشتهر عن قبر بأريحا، عنده كتيب أحمر، أنه قبر موسى « وأريحا » من الأرض المقدسة.

وفى بعض الروايات « فشمه شمة، تقبض روحه، وكان يأتى الناس خفية » أى وصار يأتى خفية « لقبض الأرواح قيل: عاش مائة وعشرين سنة ».

(بينما يهودى يعرض سلعة له، أعطى بها شيئاً كرهه - أولم يرضه) قال

الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسم هذا اليهودي في هذه القصة، وزعم بعضهم أنه فنحاص - بكسر الفاء وسكون النون - وعزاه لابن إسحاق، والذي ذكره ابن إسحاق لفنحاص مع أبي بكر الصديق في لطمه إياه، قصة أخرى، في نزول قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(قال: لا. والذي اصطفى موسى - عليه السلام - على البشر) « لا » متضمنة معنى جملة، أي لا أبيع. وفي الرواية السادسة « والذي اصطفى موسى على العالمين » زاد البخاري « في قسم يقسم به ».

(فسمعه رجل من الأنصار، فلطم وجهه) في الرواية السادسة « فرجع المسلم يده عند ذلك. فلطم وجه اليهودي » « عند ذلك » أي عند سماعه قول اليهودي، وإنما صنع ذلك لفهمه من عموم لفظ « العالمين » دخول محمد ﷺ فيه، وقد تقرر عنده أن محمدا ﷺ أفضل. وعند سفيان بن عيينة في جامعه، وابن أبي الدنيا في كتاب البعث، عن سعيد بن المسيب قال: « كان بين رجل من أصحاب النبي ﷺ، وبين رجل من اليهود كلام في شيء » قال عمرو بن دينار: هو أبو بكر الصديق، وهذا القول يتنافى مع روايتنا « من الأنصار » اللهم إلا أن يراد من الأنصار المعنى الأعم، أي الذين ناصروا رسول الله ﷺ، وأبو بكر أهم وأول من ناصر.

(تقول: والذي اصطفى موسى على البشر؟ ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟) وفي الرواية السادسة « فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا ﷺ على العالمين، وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى عليه السلام على العالمين » فيحتمل أنهما استبا بعد حلف اليهودي، فحلف كل منهما، فكان حلف اليهودي بعد حلف المسلم، وفي رواية « قال المسلم: أي خبيث. على محمد؟ » أي فضل موسى على محمد؟

(فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي) وفي الرواية السادسة « فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ».

(فقال رسول الله ﷺ: لم لطمت وجهه؟) معطوف على محذوف، أي فدعا المسلم، فقال له... إلخ. ففي رواية « فدعا النبي ﷺ المسلم، فسأله عن ذلك، فأخبره » وفي رواية « فقال ادعوه لي، فجاء، فقال: أضربته؟ »

(لا تفضلوا بين أنبياء الله) وفي الرواية السادسة « لا تخيروني على موسى » وفي ملحق الرواية السادسة « لا تخيروا بين الأنبياء ».

(ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث - أو في أول من بعث - فإذا موسى عليه السلام أخذ بالعرش، فلا أدري. أحوسب بصعقته يوم الطور؟ أو بعث قبلي؟) وفي الرواية السادسة « فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فما أدري، أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي؟ أم كان ممن استثنى الله؟ » وفي رواية « فإن الناس يصعقون

يوم القيامة، فأصعق معهم» قال العلماء: المراد بالصعق غشى يلحق من سمع صوتا، أو رأى شيئا يفرغ منه، قال الحافظ ابن حجر: وهذه الرواية «ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث» ظاهر في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح منها رواية «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة» قال: وأما ما وقع في حديث أبي سعيد «فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض» فهو وهم من الرواية - كما قال المحققون - والصواب ما وقع في رواية غيره «فأكون أول من يفيق» وأن كونه صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه في حديث آخر، ليس في قصة موسى، قال: ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق، أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع، ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه، وللأحياء موتا، ثم ينفخ الثانية للبعث، فيفيقون أجمعون، فمن كان مقبورا انشقت عنه الأرض، فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك، وقد ثبت أن موسى ممن قير في الحياة الدنيا.

قال الحافظ ابن حجر: وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون - أي يغشى عليهم من الفزع - مع أن الموتى لا إحساس لهم، فقيل: المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء، وأما الموتى فهم في الاستثناء في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك، فإنه لا يصعق، وإلى هذا جنح القرطبي، ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث أن موسى ممن استثنى الله، لأن الأنبياء أحياء عند الله، وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا، وقد ثبت ذلك للشهداء، ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء، وورد التصريح بأن الشهداء ممن استثنى الله، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث، حين تنشق السماء والأرض، وتعقبه القرطبي بأنه صلى الله عليه وسلم صرح بأنه حين يخرج من قبره يلقي موسى، وهو متعلق بالعرش، وهذا إنما يكون عند نفخة البعث، اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: ويرده قوله صريحا - كما تقدم - «إن الناس يصعقون، فأصعق معهم» إلى آخر ما تقدم، قال: ويؤيده أنه عبر بقوله «أفاق» لأنه إنما يقال: أفاق من الغشى، وبعث من الموت، وكذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة، لأنها لم تكن موتا بلا شك، وإذا تقرر ذلك كله ظهر صحة الحمل على أنها غشوية، تحصل للناس في الموقف. اهـ.

وقوله في الرواية السادسة «فإذا موسى باطش بجانب العرش» أي أخذ بجانب من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة، أما قوله في الرواية الخامسة «فإذا موسى أخذ بالعرش» أي أخذ ببعض قوائم العرش، ففي رواية «أخذ بقائمة من قوائم العرش».

(مررت على موسى، وهو يصلي في قبره) يراجع شرح هذا في كتاب الإيمان، من كتابنا.

(ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام) كذا في الرواية الخامسة، وفي الرواية السابعة والثامنة «يقول الله تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبد لي - أولعبدى - أن يقول: أنا خير من يونس ابن متى، عليه السلام» وفي رواية البخارى «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس» والضمير في «إني» للرسول ﷺ.

وارتباط النهي عن تفضيله صلى الله عليه وسلم بالكلام عن موسى إنما هو ارتباط النهي عن

التفضيل مطلقا، حتى عن يونس عليه السلام، الذي قال الله تعالى في شأنه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] مغموم ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لُنُبِدَ بِالْعِزَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] لكنه نبذ غير مذموم.

(ونسبه إلى أبيه) من كلام الراوى، أى نسبه صلى الله عليه وسلم إلى أبيه فقال: يونس بن فلان، ولم ينسبه إلى « متى » لأن « متى » اسم أمه، وهذا محكى عن وهب بن منبه، وذكره الطبرى، وتبعه ابن الأثير فى الكامل، وكان الراوى نسي اسم أبيه الذى ذكره رسول الله ﷺ، كذا قيل: وهو بعيد، والصحيح ما فى الصحيح أنه يونس بن متى، وكان الراوى بهذه الجملة يرد على القول الأول، ويقول: ونسبه إلى أبيه متى.

(من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم) أصل الكرم كثرة الخير، وقد فهم صلى الله عليه وسلم أن السؤال عن أكمل الكرم وأعمه، فأجاب بالأتقى، أخذا من قوله تعالى ﴿إِن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ومن كان متقيا كان كثير الخير، وكثير الفائد فى الدنيا، وصاحب الدرجات العلى فى الآخرة.

(ليس عن هذا نسألك)، ظن صلى الله عليه وسلم أنهم يسألون عن شخصية جامعة لمكارم الأخلاق، فأجاب بقوله:

(فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله) فهو ابن ثلاثة أنبياء، متناسلين، فهو ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وانضم إلى هذا الشرف علم الرؤيا، وتمكنه فيه، ورياسة الدنيا، وملكها بالسيرة الجميلة، وحياطته الرعية، وعموم نفعه إياهم، وشفقته عليهم، وإنقاذه إياهم من تلك السنين، والفاء فى جواب شرط مقدر، أى إذا كنتم لا تقصدون الأكرم بالمعنى الذى ذكرته، فيوسف، وينطق بضم السين وكسرها وفتحها، مع الهمز على الواو وتركه، فهذه ستة أوجه.

(ليس عن هذا نسألك) ففهم صلى الله عليه وسلم أنهم يسألون عن قبائل العرب، فقال: -

(فعن معادن العرب تسألونى؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا) ومعناه: إن كنتم تسألون عن أصول العرب فأصحاب المروءات ومكارم الأخلاق فى الجاهلية، إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس .

(كان زكريا نجارا) أى فكان يأكل من عمل يده، وهو فضيلة، و« زكريا » فيها خمس لغات، المد والقصر، وزكى بالتشديد، والتخفيف و« زكر » كحلم.

وزكريا والد يحيى، ويحيى وعيسى ابن مريم ابنا خالة، قال ابن إسحق: كان زكريا وابنه آخر من بعث من بنى إسرائيل، قبل عيسى، وقال أيضا: أراد بنو إسرائيل قتل زكريا، ففر منهم، فمر بشجرة، فانفلقت له، فدخل فيها، فالتأمت عليه فأخذ الشيطان بهدية ثوبه، فأرأها، فوضعوا المنشار على الشجرة، فنشروها، حتى قطعوه من وسطه فى جوفها، وكذلك قتلوا يحيى، وكان ذلك قبل أن يرفع عيسى عليهم السلام.

(إن نوباً البكالى) قال النووى: هكذا ضبطه الجمهور، بكسر الباء، وفتح الكاف مخففة، رواه

بعضهم بفتح الباء، وتشديد الكاف، قال القاضي: هذا الثانى: هو ضبط أكثر الشيوخ وأصحاب الحديث، قال: والصواب الأول، وهو قول المحققين، وهو منسوب إلى بنى بكال، بطن من حمير، وقيل من همدان، ونوف هذا هو ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن أخيه، والمشهور الأول، قاله ابن أبى حاتم وغيره، وكان عالماً حكيماً قاضياً، وإماماً لأهل دمشق، وضبطه العلماء بفتح النون، وسكون الواو، بعدها فاء، قال الحافظ ابن حجر: وهو تابعى صدوق.

(ليس هو موسى صاحب الخضر) روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « إنما سمي الخضر» بفتح الخاء وكسر الضاد - لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» زاد عبد الرزاق في مصنفه « الفرو الحشيش الأبيض، وما أشبهه » قال عبد الله بن أحمد بعد أن رواه عن أبيه: أظن هذا تفسيراً من عبد الرزاق. اهـ. وجزم بذلك القاضي عياض، وقال ابن الأعرابي: الفروة أرض بيضاء، ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه، وحكى عن مجاهد أنه قيل له الخضر، لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه، وفي نسبه، وفي نبوته، وفي تعميره، فقال وهب بن منبه، هو بلياً، بفتح الباء، وسكون اللام، وقيل بزيادة ألف بعد الباء، وقيل: إلياس، وقيل: اليسع، وقيل: عامر، وقيل: خضرون، والأول أثبت. وهو ابن ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقيل: كان بعد عهد إبراهيم، وقيل ابن آدم لصلبه، وقيل: ابن قابيل، وقيل: ابن فرعون، وقيل: ابن بنت فرعون، وقيل: كان أبوه فارسياً، وقيل: إنه الذى أماته الله، ثم بعثه بعد مائة عام، فلا يموت حتى ينفخ فى الصور، أقوال كثيرة لا سند لها يعتد به.

أما عن نبوته فعند أكثر أهل العلم أنه نبى، ثم اختلفوا: هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيري هو ولى.

وفى الرواية الثانية عشرة « إن نوحاً يزعم أن موسى الذى ذهب يلتمس العلم ليس بموسى بنى إسرائيل. قال: أسمعته يا سعيد؟ قلت: نعم، قال: كذب نوح » وفى رواية للبخارى « إن بالكوفة رجلاً قاصاً، يقال له: نوح يزعم... إلخ ».

(كذب عدو الله) قال النووى: قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغة فى إنكاره قوله، لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك فى حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ، ولا يراد بها حقيقتها.

(قام موسى عليه السلام خطيباً فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم) وفى الرواية الثالثة عشرة « إنه بينما موسى عليه السلام فى قومه، يذكرهم بأيام الله - وأيام الله نعمائهم وبلائهم - إذ قال: ما أعلم فى الأرض رجلاً خيراً - أو أعلم - منى » وفى رواية للبخارى « بينما موسى فى ملاء من بنى إسرائيل، جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا » وفى رواية للبخارى « ذكر الناس يوماً، حتى إذا فاضت العيون، ورفقت القلوب ولى، فأدركه رجل، فقال... ».

(قال: فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عباده بمجمع البحرين هو أعلم منك) فى الرواية الثالثة عشرة « فأوحى الله إليه:

إني أعلم بالخير منه، أو عند من هو؟ إن في الأرض رجلا، هو أعلم منك» أي كان حقه أن يقول: واللّه أعلم، فيرد العلم لله.

«ومجمع البحرين» ملتقاهما، قيل: هما بحر فارس والروم، والمراد مكان يقرب من التقائهما، وإلا فهما لا يلتقيان إلا في البحر المحيط، وهما شعبتان منه، قيل: عند طنجة، قيل: الكر والرس بأرمينية. (قال موسى: أي رب. كيف لي به؟) في الرواية الثالثة عشرة «قال: يارب، فدلني عليه» وفي رواية للبخاري «فسأل موسى السبيل إليه».

(فقيل له: احمل حوتا في مکتل، فحيث تفقد الحوت، فهو ثم) بفتح التاء، أي هناك، والحوت السمكة وكانت السمكة مألحة، ففي الرواية الثالثة عشرة «تزود حوتا مألحا» والمکتل بكسر الميم وسكون الكاف وفتح التاء هو القفة والزنبيل، وفي رواية للبخاري «تأخذ حوتا، فتجعله في مکتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم» وفي رواية أخرى له «فجعل له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه».

(فانطلق، وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتا في مکتل، وانطلق هو وفتاه يمشيان، حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحوت في المکتل، حتى خرج من المکتل، فسقط في البحر) ومعنى «فتاه» صاحبه، و«تون» مصروف، مثل نوح، وفي الرواية الثالثة عشرة «حتى انتهيا إلى الصخرة، فعمى عليه، فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوت في الماء، فجعل الماء لا يلتئم عليه» أي لا يغطيه و«صار مثل الكوة» أي الفتحة أو الفجوة.

(وأمسك الله عنه جرية الماء) فبقي في فجوة ظاهرا، والجرية بكسر الجيم.

(فكان مثل الطاق) كوة تتخذ في الحائط، غير نافذة توضع فيها الأشياء.

(فكان للحوت سريرا) أي مسلكا، كالسرب، وهو النفق.

(وكان لموسى وفتاه عجبا) أي بعد أن رجعا إلى المكان ورأياه، فهذا الكلام مقدم من تأخير.

(فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسى صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه: ﴿أَتَيْنَا غَدَاءً نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾) في الرواية الثالثة عشرة «فجعل الماء لا يلتئم عليه، صار مثل الكوة، فقال فتاه: ألا ألحق نبي الله فأخبره؟ قال: فَنسى» وفي القرآن الكريم ﴿فَلَمَّا بَلَغَا بَلَغًا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي حال حوتهما، أي نسي موسى وجوده أو عدم وجوده في المکتل، ونسى فتاه أن يخبر موسى بوقوعه في البحر، وقيل: إن الناسي هو فتاه لا غير، نسي أن يخبر موسى بخبر الحوت، والشيء قد ينسب إلى الجماعة، وإن كان الذي فعله واحداً.

(﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾) أي وما أنساني ذكر أمره لك إلا الشيطان.

(**﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾**) أى نطلب، معناه أن الذى جئنا نطلبه هو الموضع الذى نفقد فيه الحوت.

(**﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾**) أى ارتدا فى طريقهما الذى جاء منه، يقصانه قصصا، أى يتبعانه اتباعاً. زاد فى الرواية الثالثة عشرة « فأراه مكان الحوت، قال: ههنا وصف لى، فذهب يلتمس ».

(**﴿فَرَأَىٰ رَجُلًا مَسْجِيًّا عَلَيْهِ بَثُوبٌ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَىٰ﴾**) أى مغطى عليه بثوب، وفى الرواية الثالثة عشرة « فإذا هو بالخضر، مسجى ثوبا، مستلقيا على القفا - أو قال: على حلاوة القفا - قال: السلام عليكم »

(**﴿فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَىٰ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ﴾**)؟ أى كيف يأتى السلام من أرضك؟ فالاستفهام للتعجب، أى هذه التحية عجيبة بأرضك، ويحتمل أن يكون المعنى من أين هذا الكلام بأرضك؟ فهى ظرف مكان. وفى رواية لابن أبى حاتم « فرأى الخضر وعليه جبة من صوف، وكساء من صوف، ومعه عصا، قد ألقى عليها طعامه ».

(**﴿قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ. قَالَ: مُوسَىٰ بَنَىٰ إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ﴾**) فى الرواية الثالثة عشرة « قال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه، قال: وعليكم السلام. من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بنى إسرائيل، قال: مجيء ما، جاء بك » أى سبب ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمنى مما علمت رشدا « أى علما ذا رشد، وإصابة للخير.

(**﴿قَالَ إِنَّكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلِمَكَ اللَّهُ، لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلِمْتَنِيهِ، لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي﴾﴾**) وروى « أن الخضر استوى جالسا، لما عرف أنه موسى، ثم قال: يا موسى، أما يكفيك أن التوراة بيدك؟ وأن الوحي يأتيك؟ قال موسى: إن ربي أرسلنى إليك لأتبعك، وأتعلم من علمك ».

(**﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾**) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبيرا » زاد فى الرواية الثالثة عشرة، « شيء أمرت به أن أفعله، إذا رأيتك لم تصبر؟ أكد عدم صبره بـ «إن» وبلن، وعدل عن «لن تصبر» إلى «لن تستطيع» ونكر «صدرا» فى سياق النفي، لإفادة العموم، أى لن تستطيع معى صبورا، أى صبر، مهما قل، وعلل ذلك بأنه عليه السلام يتولى أمورا خفية المراد، منكرة الظواهر، والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة، لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها، وكأنه علم مع ذلك حدة موسى عليه السلام، ومزيد غيرته التى أوصلته إلى أن يأخذ برأس أخيه، يجره إليه.

(**﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾**) حذف التعليق على المشيئة فى معصية الأمر اكتفاء بذكره فى الصبر، وهو مراد، وقيل: علق فى الصبر فصير ثلاث حوادث، ولم يعلق فى الطاعة وعدم المعصية، فاعترض وأنكر من أول حادثة.

(**﴿قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ﴾**)

نِكْرًا قال: نعم) أى لا تسألنى عن سر شىء تشاهده - فضلا عن المناقشة، والاعتراض والإنكار - حتى أبتدئك ببيانه.

(**فَانْطَلَقَا**) أى موسى والخضر، عليهما السلام، ولم يضم إليهما يوشع لأنه تابع، وقيل: رده موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل، وفى رواية «أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما من غير أجر».

(**حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا**) روى أنهما لما ركبا فى السفينة أخرج الخضر من مكنه القدم، أو متقابا ومطرقة، وانتحى ناحية عنهم وخرق خرقا، وضع عليه لوحا، وجلس عليه.

(**قَالَ: أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**) أى فظيحا منكرا، واللام فى «لتغرق» لام العاقبة، وقيل للتعليل. روى أن موسى عليه السلام اشتد غضبا، وشد على الخضر ثيابه، وأراد أن يقذف به فى البحر وهو يقول: أردت هلاكهم؟ فستعلم أنك أول هالك.

(**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**؟) والاستفهام تقريرى، أى قرب أنك لن تستطيع معى صبرا.

(**قَالَ لَا تَوَاجِدْنِي بِمَا نَسِيتُ**) أى لا تؤاخذنى على إنكارى المتسبب عن نسيانى الوصية.

(**وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**) أى لا تحملنى من اتباعى لك صعوبة، ويسر على المتابعة بالإغضاء عما وقع منى، فقبل عذره، وجنحت السفينة إلى الشاطئ لإصلاحها، ونزلا منها.

(**فَانْطَلَقَا**) يمشيان على الشاطئ، فمرا بقرية.

(**حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ**) روى أنه كان يلعب مع الغلمان، وكانوا على ما قيل عشرة، وأنه لم يكن فيهم أحسن منه ولا أنظف، وروى أنه ضرب رأسه بالجدار فقتله، وقيل: اقتلع رأسه، وقيل: ذبحه بالسكين، قيل: كان بالغا، وقيل لم يكن بالغا، وفى الرواية الثالثة عشرة «فانطلقا، حتى إذا لقيا غلاما يلعبون، قال: فانطلق إلى أحدهم، بادى الرأى، فقتله، فذعر عندها موسى عليه السلام، ذعرة منكورة».

(**قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**) أى نفسا طاهرة من الذنوب، بغير قصاص لك عليه، و«نكرا» بضم النون وسكون الكاف، أى منكرا جدا.

(**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**؟ قال: وهذه أشد من الأولى) زاد فى الرواية الثالثة عشرة «فقال رسول الله ﷺ - عند هذا المكان - من القصة رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة» بفتح الذال، أى حياء، وإشفاق من اللوم «ولو صبر لرأى العجب» قال الراوى: «وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحد من الأنبياء بدأ بنفسه: رحمة الله علينا، وعلى أخى كذا رحمة الله علينا».

(**قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا**) أى إن

سألتك عن شيء تفعله من الأعاجيب بعد هذه المرة فلا تصحبنى معك، قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقى، حيث خالفتك مرة بعد مرة.

(**﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾**) قيل: القرية هي أنطاكية، وقيل: هي الأيلة، والمعنى استطعما بعض أهلها، أى طلبا طعاما، ولم يطلبوا ضيافة.

وفى الرواية الثالثة عشرة « حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً، فطافا فى المجالس، فاستطعما أهلها».

(**﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾**) أى أبوا مجرد إيوائهما، فضلا عن إطعامهما.

(**﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾**) قيل: هدمه، فبناه، وفى الكلام مجاز، لأن الجدار لا إرادة له.

وقيل: وجده مائلاً، فقال له الخضر بيده هكذا، فأقامه، قال القرطبي: كونه مسحه بيده فأقامه هو الصحيح، وهو أشبه بأحوال الأنبياء عليهم السلام، واعترض بأنه غير ملائم لما بعد، إذ لا يستحق بمثله الأجر.

(**﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾**) أى قال موسى عليه السلام ذلك تحريضا للخضر عليه السلام، وحثا على أخذ الأجرة، لحاجتهما إليها، وقيل: قاله تعريضا بأن فعله ذلك ليس فى محله.

(**﴿قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾**) زاد فى الرواية الثالثة عشرة « وأخذ بثوبه».

(**﴿وجاء عصفور﴾**) مجيئه مناسب لأن يكون بعد كشف السر، لكن السفينة كانت فى أول الرحلة.

(**﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾**) أى كانت لضعفاء، لا يقدرّون على مدافعة الظلمة، أى كانت لهم ملكاً، أو عارية، أو كانوا أجراء، واللام للاختصاص، يتعیشون منها، فأردت أن أجعلها ذات عيب، ولم أرد إغراق من بها، كما حسبت.

(**﴿وَكَانَ وَّرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾**) أى يأخذ كل سفينة صالحة غصبا يسخرها، أى فوجدها الملك معيبة، فتركها، فأصلحوها بقطعة خشب، وتكسبوا عليها.

(**﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾**) فى الرواية الثالثة عشرة « وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرا، وكان أبواه قد عطفوا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانا وكفرا».

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- من قصة موسى عليه السلام، والحجر، الرواية الأولى والثانية معجزتان ظاهرتان لموسى عليه

- السلام، إحداهما مشى الحجر بثوبه إلى ملأ بنى إسرائيل، والثانية حصول الندب، وأثر الضرب فيه، كيف لا. وقد ضرب الحجر من قبل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا؟
- ٢- قال النووي: وفيه وجود التمييز في الجمادات كالحجر ونحوه، ومثله تسليم الحجر بمكة، وحنين الجذع.
- ٣- وجواز الغسل عريانا في الخلوة، وإن كان ستر العورة أفضل، وبهذا قال الشافعي، ومالك وجماهير العلماء، وخالفهم ابن أبي ليلى، وقال: إن للماء ساكنا، واحتج في ذلك بحديث ضعيف.
- ٤- وفيه ما ابتلى به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء والجهال، وصبرهم عليهم.
- ٥- وفيه أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مزهون عن النقائص في الخلقة، سالمون من العاهات والمعاييب. ذكره القاضى وغيره، وقالوا: ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم، بل نزههم الله تعالى من كل عيب وكل شيء يبغض العيون، أو ينفر القلوب.
- ٦- وفيه جواز المشى عريانا لضرورة، وقال ابن الجوزي: لما كان موسى في خلوة، وخرج من الماء، فلم يجد ثوبه، تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحدا وهو عريان، فاتفق أنه كان هناك قوم، فمر بهم، كما أن جوانب الأنهار - وإن خلت غالبا - لا يؤمن وجود قوم قريب منها، فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد، لأجل خلاء المكان، فاتفق رؤية من رآه، قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أنه استمر يتبع الحجر، حتى وقف على مجلس لبنى إسرائيل، كان فيهم من قال فيه ما قال، وبهذا تظهر الفائدة.
- ٧- وفيه جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية لذلك من مداواة أو براءة من عيب، وهذا على قول من يقول: شرع من قبلنا شرع لنا.
- ٨- ومن قوله «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوء بعض» أن ذلك كان جائزا في شرعهم، وإلا لما أقرهم موسى على ذلك، وكان هو عليه السلام يغتسل وحده، أخذا بالأفضل، وأغرب ابن بطلال، فقال: هذا يدل على أنهم كانوا عصاة له، وتبعه القرطبي في ذلك.
- ٩- وفيه أن من نسب نبيا من الأنبياء إلى نقص في خلقته، فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر.
- ١٠- وأن الآدمي يغلب عليه طباع البشر، لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله، ومع ذلك عامله معاملة من يعقل، فناداه، وضربه.
- ١١- ومن قصة موسى عليه السلام وملك الموت، روايتنا الثالثة والرابعة، أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في أحاديث مشهورة.
- ١٢- قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فوق عينه؟ قال: والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى، وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختبارا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه

رأى آدميا، دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشرع فقاء عين الناظر فى دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط فى صورة آدميين، فلم يعرفهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

قال: وعلى تقدير أن يكون عرفه، فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى، فلم يقتص له.

وقال النووى: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى فى هذه اللطمة، امتحانا للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه، من قبل أن يخبره، لما ثبت أنه لم يقبض نبى حتى يخبر، فلهذا لما خيره فى المرة الثانية أذعن.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التى هى تخييل وتمثيل، وليست عينا حقيقية، ومعنى «رد الله عينه» أعاده إلى خلقته الحقيقية.

وقيل على ظاهره، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية، ليرجع إلى موسى على كمال الصورة، فيكون ذلك أقوى فى اعتباره. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو المعتمد.

وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك، كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر.

١٣- واستدل بقوله «فلك بكل شعرة سنة» على أن الذى بقى من الدنيا كثير جدا، لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد كثير.

١٤- واستدل به على جواز الزيادة فى العمر، وقد قال به قوم فى قوله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١] وأنه زيادة ونقص فى الحقيقة.

ومنع قوم ذلك، وأجابوا عن قصة موسى بأن أجله قد كان قرب حضوره، ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين، فأمر بقبض روحه أولا، مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة، وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولا.

١٥- وفيه فضل الدفن فى الأماكن المقدسة، والفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين. قاله النووى.

١٦- ومن الرواية الخامسة النهى عن التفضيل بين الأنبياء.

١٧- فضيلة موسى عليه السلام.

١٨- أهل الذمة لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

١٩- فضيلة يونس عليه السلام. وكذا من الرواية السابعة والثامنة.

٢٠- ومن الرواية التاسعة فضيلة يوسف عليه السلام.

٢١- وأن الناس معادن. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا.

٢٢- وأن التقوى رأس الفضائل.

٢٣- ومن الرواية العاشرة فضيلة زكريا عليه السلام.

٢٤- ومن الرواية الحادية عشرة وما بعدها، من قصة موسى والخضر عليهما السلام.

ما يؤكد قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٢٥- ومن إنكار تعلم موسى بنى إسرائيل من الخضر ذهب أهل الكتاب وتابعهم من تبعهم من المحدثين والمؤرخين وزعموا أن موسى هنا هو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب، وهو موسى الأول، وتعللوا بأن موسى النبي لا يتعلم من غيره، وأجيب بأن التعلم كان من نبي، ولا غضاضة في تعلم نبي من نبي، قالوا: ولو سلمنا نبوة الخضر لا نسلم أن موسى بن عمران، وهو الأفضل يتعلم ممن ليس مثله في الفضل، فإن الخضر عليه السلام على القول بنبوته، بل القول برسالته، لم يبلغ درجة موسى عليه السلام.

واستبعدوا أن يكون موسى هو موسى بنى إسرائيل، على أساس أن بعد الخروج من مصر حصل هو وقومه في التيه، وتوفي فيه، ولم يخرج قومه منه إلا بعد وفاته والقصة تقتضى خروجه عليه السلام من التيه، لأنها لم تكن وهو في مصر بالإجماع، وتقتضى أيضا الغيبة أياما، ولو وقعت لعلمها كثير من بنى إسرائيل، الذين كانوا معه، ولو علمت لنقلت، لتضمنها أمرا غريبا، تتوافر الدواعى على نقله، فحيث لم يكن لم تكن، وأجيب بأن عدم سماح نفوسهم بالقول بتعليم نبيهم عليه السلام من مثله في الفضل، أمر لا يساعده العقل، وليس هو إلا كالحمية الجاهلية، إذ لا يبعد عقلا تعلم الأفضل الأعم، شيئا ليس عنده، ممن هو دونه في الفضل والعلم، وقد يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل.

ثم إن عدم خروج موسى من التيه غير مسلم، وكذلك اقتضاء الغيبة أياما، لجواز أن يكون على وجه خارق للعادة، وقد يقال: يجوز أن يكون عليه السلام خرج وغاب أياما، لكن لم يعلموا أن عليه السلام ذهب لهذا الأمر، وظنوا أنه ذهب يناجى ويتعبد، ولم يوقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع، لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، ويجوز أن يكون غاب عنهم، وعلموا غيبته، لكن لم يتناقضوا جيلا بعد جيل، لتوهم أن فيها شيئا مما يحط قدره عندهم.

قال العلماء: ولا يخفى أن باب الاحتمال واسع، وبالجملة لا نبالي بإنكارهم بعد جواز الوقوع عقلا، وإخبار الله تعالى به. والله أعلم.

٢٦- وفي الحديث مصداق لقوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

٢٧- ومن بناء الخضر عليه السلام للجدار، وحفظ الكنز لليتيم أن صلاح الآباء ينفع الأبناء بعد موتها.

والله أعلم

كتاب

فضائل الصحابة

- ٦٢٢- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- ٦٢٣- باب من فضائل عمر رضي الله عنه .
- ٦٢٤- باب من فضائل عثمان رضي الله عنه .
- ٦٣٥- باب فضائل علي رضي الله عنه .
- ٦٣٦- باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
- ٦٣٧- باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما .
- ٦٣٨- باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .
- ٦٣٩- باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما .
- ٦٤٠- باب من فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة، رضي الله عنهما .
- ٦٤١- باب من فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنه .
- ٦٤٢- باب من فضائل خديجة رضي الله عنها .
- ٦٤٣- باب من فضائل عائشة رضي الله عنها .
- ٦٤٤- تابع باب فضائل عائشة رضي الله عنها .
- ٦٤٥- باب من فضائل فاطمة رضي الله عنها .
- ٦٤٦- باب من فضائل أم سلمة رضي الله عنها .
- ٦٤٧- باب من فضائل زينب، أم المؤمنين، رضي الله عنها .
- ٦٤٨- باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها .
- ٦٤٩- باب من فضائل أم سليم، وبلال، رضي الله عنهما .
- ٦٥٠- باب من فضائل عبد الله بن مسعود، وأمه، رضي الله عنهما .
- ٦٥١- باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم .
- ٦٥٢- باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه .
- ٦٥٣- باب من فضائل أبي دجانة: سماك بن خرشة رضي الله عنه .
- ٦٥٤- باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما .
- ٦٥٥- باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه .
- ٦٥٦- باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه .
- ٦٥٧- باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه .
- ٦٥٨- باب من فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
- ٦٥٩- باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
- ٦٦٠- باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه .
- ٦٦١- باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه .
- ٦٦٢- باب من فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه .

- ٦٦٣- باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه .
- ٦٦٤- باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .
- ٦٦٥- باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم .
- ٦٦٦- باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما .
- ٦٦٧- باب من فضائل أبي سفيان بن صخر ابن حرب رضي الله عنه .
- ٦٦٨- باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما .
- ٦٦٩- باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم .
- ٦٧٠- باب من فضائل الأنصار رضي الله عنهم .
- ٦٧١- باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطىء.
- ٦٧٢- باب خيار الناس.
- ٦٧٣- باب من فضائل نساء قريش.
- ٦٧٤- باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم .
- ٦٧٥- باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة.
- ٦٧٦- باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.
- ٦٧٧- باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم «على رأس مائة سنة لا يبقَى نفس منقوسة ممن هو موجود الآن» .
- ٦٧٨- باب تحريم سب الصحابة.
- ٦٧٩- باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه .
- ٦٨٠- باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر.
- ٦٨١- باب فضل أهل عمان .
- ٦٨٢- باب ذكر كذاب ثقيف.
- ٦٨٣- باب فضل فارس.
- ٦٨٤- باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم: «الناس كإبل مائة» .

(٦٣٢) باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ

٥٣٧١ - ١ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ نَالِئُهُمَا».

٥٣٧٢ - ٢ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدُ خَيْرَةِ اللَّهِ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيَبْنَ مَا عِنْدَهُ. فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ. وَبَكَى. فَقَالَ: فَدَيْتَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرُ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ. لَا تُبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»

٥٣٧٣ - - فِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ يَوْمًا. بِمِثْلِ حَدِيثِ مَالِكٍ.

٥٣٧٤ - ٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ^(٣) يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي. وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

٥٣٧٥ - ٤ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ^(٤)، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي أَحَدًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٧٦ - ٥ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ^(٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا».

(١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخِرَانِ حَدَّثَنَا حَبَابُ بْنُ هِلَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

(٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي النَّظْرِ عَنْ عُثَيْبِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّظْرِ عَنْ عُثَيْبِ بْنِ حُنَيْنٍ وَرُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْهَدَّادِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ

(٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَرِينٍ أَخْبَرَنَا أَبُو غَمَيْسٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

٥٣٧٧ - ٦ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ^(٦)؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا. وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

٥٣٧٨ - ٧ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ^(٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ حِلٍّ مِنْ حِلِّهِ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

٥٣٧٩ - ٨ عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ^(٨) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ. فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عَمْرٌ» فَعَدَّ رِجَالًا.

٥٣٨٠ - ٩ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٩) وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عَمْرٌ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عَمْرٍ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.

٥٣٨١ - ١٠ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنِ أَبِيهِ ﷺ^(١٠)، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا. فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: أَبِي كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «فَبِإِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٨٢ - - وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ^(١١) أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبَّادِ بْنِ مُوسَى.

٥٣٨٣ - ١١ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١١) قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ:

(٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ وَاوِيلِ بْنِ حَيَّانٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَدَّادِ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كُلُّهُمُ عَنْ الْأَعْمَشِ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُمَا قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَدَةَ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عُمَرَ عَنْ أَبِي عُمَرَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ

(٩) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَائِيُّ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ عَنْ أَبِي عُمَيْسٍ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ

(١٠) حَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ امْرَأَةً

(١١) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ غُرُورَةَ عَنْ عَائِشَةَ

«ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ، وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا. فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنَّي وَيَقُولُ قَائِلًا: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

٥٣٨٤ - ١٢/١٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

٥٣٨٥ - ١٣/١٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، انْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقْرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُحْلَقْ لِهَذَا. وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! تَعَجُّبًا وَفَزَعًا. أَبْقَرَةُ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَادَا عَلَيْهِ الذُّبُّ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً. فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَقْدَمَهَا مِنْهُ. فَانْتَفَتَ إِلَيْهِ الذُّبُّ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُوْمِنُ بِذَلِكَ. أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

٥٣٨٦ - - وفي رواية عن ابن شهاب ^(٦)، بهذا الإسناد قصة الشاة والذئب. ولم يذكر قصة البقرة.

٥٣٨٧ - - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٦)، عن النبي ﷺ بمعنى حديث يونس عن الزهري. وفي حديثيهما ذكر البقرة والشاة معًا. وقال في حديثيهما: «فإنني أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم.

(١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا مَرْوَانَ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَا أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمَا سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ

(-) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُفَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ
(-) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ عَنْ سُفْيَانَ كِلَاهُمَا عَنْ

أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مِسْعَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

المعنى العام

إنما يعرف الفضل للناس ذوهه، وذكر الفضائل، والثناء على من يستحق الثناء حق لأهل الخير، وعلى من انتفع منهم، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾؟ [الرحمن: ٦٠] «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه؛ فإن لم تقدرُوا فادعوا له»

إن تسجيل الفضائل، والتنوية بها نوع من أنواع شكرها، والله تعالى يقول ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وتسجيل الفضائل والتنويه بها رد لبعض جميل صاحبها، وحث وترغيب للاقتداء به، ومعرفة قدره، ومن هنا عقد علماء الحديث كتابا لفضائل الصحابة، ومن هنا أثنى ﷺ على أصحابه، وذكر مآثر لكثير منهم، ورفع من قدر أعمالهم وجهادهم.

فأثنى بالدرجة الأولى على أبي بكر الصديق ﷺ، أول من أسلم من الرجال، وكان إيمانه تصديقا لا نظير له، حتى لقب بالصديق، وأنفق على الدعوة كل ماله، أسلم وهو يملك أربعين ألف درهم أنفقها كلها في سبيل الإسلام، اشترى العبيد الذين أسلموا، وأوذوا لإسلامهم، وأعتقهم، وأنفق على هجرة الرسول ﷺ، وزوج رسول الله ﷺ ابنته عائشة رضي الله عنها، فكانت بلسما لجراحه، وأنسا وسعادة لحياته في بيته، وشاركه في جميع غزواته، وجاهد في الله حق جهاده، وكان كوزيره الأول في إدارة شئون أمته، وكان الأخ الأول في أخوة الإسلام، وكان ثاني اثنين إذ هما في الغار، وكان رفيق رحلة الهجرة، بل كان خير من يرافق في السفر، روى أنه كان في هذه الرحلة يتقدم رسول الله ﷺ تارة، ويتأخر عنه أخرى، فلما سئل قال: أخشى الرصد من أماننا، فأتقدم لحماية الرسول ﷺ والصد عنه، وأخشى الملاحقة والمتابعة من خلفنا، فأتأخر للدفاع عنه.

لقد كان أحب الرجال إليه ﷺ، وأول من يثق فيه من أصحابه، والمرشح الأول من جهته للخلافة، ولقد هم صلى الله عليه وسلم أن يعينه خليفة من بعده، لكنه - وبالوحي - علم أنه سيكون كذلك عن طريق الأمة، فقال: لقد هممت أن أكتب كتابا أوصي فيه بخلافة أبي بكر، ولكني قلت: يأبى الله إلا خلافة أبي بكر، كتبت أولم أكتب، ويدفع المؤمنون الطامعين في الخلافة.

نعم. أعطى رسول الله ﷺ إشارات واضحة لاستخلاف أبي بكر، فأمر بسد فتحات البيوت المحيطة بالمسجد، والتي يدخل منها الناس في المسجد إلا فتحته صلى الله عليه وسلم وفتحة بيت أبي بكر.

ويعد صلى الله عليه وسلم امرأة أن تأتيه بعد عام، فتقول المرأة: فإن لم أجدك بعد عام؟ فيقول لها: فائت أبا بكر، ويعينه صلى الله عليه وسلم رئيسا وإماما للمسلمين في حجتهم سنة تسع من الهجرة، قبل أن يحج بهم صلى الله عليه وسلم، وأخيرا وفي مرضه صلى الله عليه وسلم حين عجز عن إمامة الناس في المسجد قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فصلى أبو بكر بالناس ثلاثة أيام أو نحوها بدلا عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال قائل الصحابة: ائتمنه رسول الله ﷺ على ديننا، أفلا نأتمنه على ديننا؟ رضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا الجزاء.

المباحث العربية

(من فضائل أبي بكر) واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر.

صحاب النبي ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول الإقامة بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم غزوة تبوك، وحج بالناس سنة تسع، وأسلم على يديه كثير من الصحابة، وأعتق سبعة، كلهم كان يعذب في الله، كان يشتغل بالتجارة، كان يملك أربعين ألفاً، أنفقها في سبيل الله، كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وما ترك ديناراً ولا درهما.

والفضائل جمع فضيلة، وهي الخصلة الجميلة، التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة، إما عند الحق، وإما عند الخلق.

(نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار) غار ثور، ولما كان الغار تجويفاً في داخل جبل، أشعر هذا التعبير بأنه كان منخفضاً، إلا أنه كان ضيقاً.

(ما ظنك باثنين الله ثالثهما) المراد ناصرهما ومعينهما، وإلا فالله ثالث كل اثنين بعلمه.

(جلس على المنبر فقال عبد خيره الله بين أن يؤتية زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختر ما عنده) كانت هذه الخطبة في مرضه الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم، وفي رواية لمسلم « قبل أن يموت بخمس ليال » وفي رواية للبخاري « إن الله خير عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختر ما عند الله » وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصبا رأسه بخرقه، فقع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ... « وزهرة الدنيا نعيمها وأعراضها، شبهت بزهرة الروض.

(فبكي أبو بكر، وبكى) معناه: بكى كثيراً، وكان أبو بكر قد فهم أن النبي ﷺ هو المقصود بالعبد المخير، بقريظة مرضه فبكى حزناً على فراقه، وانقطاع الوحي، وغيره من الخير، وإنما قال صلى الله عليه وسلم « عبد » وأبهمه، لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق، كذا قال النووي. والظاهر أن الإبهام لعدم إثارة العامة، وعدم إدخال الهم والحزن عليهم مبكراً، ليبقوا بين الشك في البلاء وعدمه فترة، فيهون عليهم عند وقوعه.

وفي رواية للبخاري، يقول أبو سعيد الخدري « فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير؟ فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا » وفي رواية « فقلت في نفسي » وفي رواية « فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد، وهو يقول: فديناك؟ » زاد في رواية للبخاري « فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر لا تبك »

(إن أمن الناس علىّ في ماله وصحبته أبو بكر) قال العلماء: معناه أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله، قال النووي: وليس هو من المن، الذي هو الاعتداد بالصنعة، لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنّة لله ولرسوله ﷺ .

وقال القرطبي: هو من الامتنان، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق، ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها، ويؤيده رواية « ليس أحد أمن على » أى يمكن أن يمن على لماله عندي من يد وفى رواية « إن من آمنّ الناس علىّ أبا بكر » وعند الترمذى « ما لأحد عندنا يد، إلا كافأناه عليها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً، يكافئه الله بها يوم القيامة » زاد فى رواية للطبرانى « منة أعتق بلالا، ومنة هاجر بنبيه » وفى رواية له أيضاً « واسانى بنفسه وماله، وأنكحنى ابنته »

(ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) فى الرواية الرابعة « لو كنت متخذاً من أمتى أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر » وفى الرواية الخامسة « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبى قحافة خليلاً » قال أهل اللغة: الخلة أرفع رتبة من المودة والمحبة والصدقة، ولذلك نفى الخليل، وأثبت المحب، فهو صلى الله عليه وسلم يحب أبا بكر وعائشة وفاطمة والحسنين وغيرهم وقال الزمخشري: الخليل هو الذى يوافقك فى خالك، ويسايرك فى طريقك، أو الذى يسد خلك، وتسد خلله، أو يداخلك خلال منزلك، وقيل: أصل الخلة انقطاع الخليل إلى خليله، وقيل الخليل من يتخلله سرك، وقيل: من لا يسع قلبه غيرك، وقيل: أصل الخلة الاستصفاء، وقيل: المختص بالمودة، قال الحافظ ابن حجر: وهذا كله بالنسبة إلى الإنسان، أما خلة الله للعبد فبمعنى نصره له، ومعاونته، وفى الرواية الثالثة « وقد اتخذنا الله عز وجل صاحبكم خليلاً » وفى الرواية السادسة « ولكن صاحبكم خليل الله » ولا ينافى هذا قول أبى هريرة و أبى ذر وغيرهما « أخبرنى خليلى صلى الله عليه وسلم » فذلك جائز لهم، لأن الصحابى يحسن فى حقه الانقطاع إلى النبى ﷺ ، وفى الرواية السابعة « ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله » قال النووي: هما بكسر الخاء، فأما الأول فكسره متفق عليه، والخل بمعنى الخليل، وأما قوله « من خله » فبكسر الخاء عند جميع الرواة فى جميع النسخ، والخل الصدقة، وصوب القاضى فتحها، والمعنى على كل: أبرأ من خلة كل خليل أى أن يكون خليلى.

(ولكن أخوة الإسلام) فى الرواية الثالثة « ولكنه أخى وصاحبى » وعند البخارى « ولكن أخوة الإسلام ومودته » وعند الطبرانى « ولكن أخوة الإيمان والإسلام أفضل » ولا يعكر عليه اشتراك جميع الصحابة فى هذه الفضيلة، لأن زيادة أبى بكر فى ذلك لا تخفى.

(لا تبقيين فى المسجد خوذة إلا خوذة أبى بكر) المراد بالمسجد مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة، والخوذة باب صغير، قد يكون بمصرع، وقد لا يكون، وإنما أصلها فتح فى حائط، كالطاقة تفتح لأجل الضوء، ولا يشترط علوها، وحيث تكون سفلى يمكن الانتقال منها لتقريب الوصول من البيت إلى مكان مطلوب وهو المقصود هنا، ولهذا أطلق عليها- فى رواية للبخارى « باب »، وقيل: لا يطلق عليها « باب » إلا إذا كانت تغلق، وكان أصحاب البيوت المحيطة بالمسجد النبوى، قد فتحوا فى بيوتهم خوحدات فى المسجد، وكان لأبى بكر بيت ملاصق، غير بيته

الذى كان فى السنج من عوالى المدينة، وضواحيها، وقد جاء فى بعض الروايات « وأمر بسد الأبواب إلا باب على » وستعرض لها فى فقه الحديث، ورواية مسلم « لا تبقيين » بضم التاء مع نون التوكيد، مبنى للمجهول، و « خوخة » بالرفع نائب فاعل، أى لا تبقى خوخة، أى لا تبقوا خوخة .

وفى رواية للبخارى « لا يبقين » بفتح الياء الأولى، مبنى للمعلومات أى لا تبقى خوخة، كأنه قال: لا تبقوها حتى لا تبقى، فأضيف النهى إلى الخوخة، والمراد نهيم عن إبقائها، من إضافة الشئ إلى لازمه.

وفى رواية البخارى « لا يبقين باب إلا سد، إلا باب أبى بكر » وقد ادعى بعضهم أن الباب فى الحديث كناية عن الخلافة، والأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلب أحد الخلافة إلا أبى بكر، فإنه لا حرج عليه فى طلبها. وإلى هذا جنح ابن حبان.

(عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل) ذكر

ابن سعد أن جمعا من قضاة تجمعا، وأراد أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعد له لواء أبيض، وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ثم أمده بأبى عبيدة بن الجراح فى مائتين، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن لا يختلفا، فأراد أبو عبيدة أن يؤم، فمنعه عمرو، وقال: إنما قدمت على مددا، وأنا الأمير، فأطاع له أبو عبيدة، فصلى بهم عمرو، وروى الحاكم « أن عمرو بن العاص أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا، وذلك فى ليلة باردة، فأنكر عمر ذلك، فقال له أبو بكر: دعه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب، فسكت عنه » وروى ابن حبان نحو هذا، وفى رواية « فقال عمرو: لا يوقد أحد منكم نارا إلا قذفته فيها، فلقوا العدو، فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم، فمنعهم، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا، فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم، فيكون لهم مدد هناك. فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، فقال: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ ... الحديث، وكانت الغزوة فى أوائل السنة الثامنة، عقب إسلام عمرو بن العاص فعند أبى عوانة وابن حبان والحاكم « قال عمرو بن العاص: بعثت إلى النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى، فقال: يا عمرو، إنى أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك الله ويسلمك. قلت: إنى لم أسلم رغبة فى المال. قال: « نعم المال الصالح للرجل الصالح ».

(فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها.

قلت: ثم من؟ قال: عمر. فعد رجالا) كان هذا الإتيان بعد عودته من الغزوة، وبعد سؤاله صلى الله عليه وسلم عما حدث فيها، وتبين رواية البيهقى دوافعه إلى هذا السؤال، ولفظها « قال عمرو: فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على قوم، فيهم أبو بكر وعمر، إلا لمنزلة لى عنده » وقوله « فعد رجالا » أى ذكر أسماء بعد أبى بكر وعمر، ولم يذكره فى أحب الناس إليه، والظاهر أن ممن عداهم أبى عبيدة، المذكور فى الرواية التاسعة، والذى جعلته عائشة ثالث وآخر من ذكر، زاد فى رواية على بن عاصم « قال: قلت فى نفسى: لا أعود لمثلها، أسأل عن هذا » وفى المغازى « فسكت، مخافة أن يجعلنى فى آخرهم » وقيل: إن عليا رضي الله عنه كان ممن أبهمه عمرو بن العاص، وتقول الرافضة: إن إبهامه عليا كان لما بينه وبينه، رضى الله عنهم.

(أرأيت) أى أخبرنى .

(إن جئت فلم أجدهك ؟) قال جبیر الراوى: كأنها تعنى الموت، وفى رواية « تعرض بالموت ومرادها: إن جئت فوجدتك قد مت، ماذا أعمل؟ والظاهر أن هذه القصة كانت فى أثناء مرضه صلى الله عليه وسلم، وكان طلب عودتها له بعد زمن.

(ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا) فى رواية للبخارى « لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبى بكر وابنه » وفى رواية « أو آتیه » قيل: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يستميل بذلك قلب عائشة، وكأنه يقول لها: كما أن الخلافة ستفوض إلى أبىك، فإن ذلك يقع بحضور أخيك.

قال النووى: قال القاضى: صوب بعضهم رواية « آتیه » وليس كما صوب، بل الصواب « وابنه » وهو أخو عائشة، وتوضحه رواية لمسلم « أخاك » ولأن إتيان النبى ﷺ كان متعذرا أو متعسرا، وقد عجز عن حضور الجماعة، واستخلف الصديق، ليصلى بالناس، واستأذن أزواجه أن يمرض فى بيت عائشة.

ومعنى « حتى أكتب كتابا » أى أعهد فيه بالخلافة من بعدى.

(فإنى أخاف أن يتمنى متمن) الخلافة، وهو لا يستحقها، وفى رواية للبخارى « أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون » بضم النون، جمع متمنى بكسرها. أى كراهة أن يقول القائلون: الخلافة لفلان، من غير استحقاق، أو يتمناها المتمنون ويطالبون بها من غير استحقاق.

(ويقول قائل: أنا أولى) قال النووى: فى بعض النسخ المعتمدة « أنا، ولا » بتخفيف النون واللام، أى يقول: أنا أحق بالخلافة، وليس كما يقول فأنا مبتدأ، خبره محذوف، و « لا » متضمنة معنى جملة حالية - وفى بعض النسخ « أنا أولى » أى أحق بالخلافة. قال القاضى: هذه الرواية أجودها، ورواه بعضهم « أنا ولى » بتخفيف النون وكسر اللام، أى أنا أحق، والخلافة لى - فأنا مبتدأ خبره محذوف، و « لى » خبر لمبتدأ محذوف، والجملة الثانية معطوفة على الأولى - وعن بعضهم « أنا ولاه » بتشديد اللام، أى أنا الذى ولاه النبى ﷺ، وعن بعضهم « أنى ولاه » بتشديد النون المفتوحة، أى كيف ولاه.

(ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) فى رواية البخارى « ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون » أى يأبى الله إلا خلافة أبى بكر، ويدفع المؤمنون خلافة غيره، أو يدفع الله خلافة غير أبى بكر ويأبى المؤمنون إلا خلافته، أى سيكون ذلك بدون عهد، فلا داعى للعهد، علم ذلك من الوحي.

(ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة) أى بدون عذاب، أو مع السابقين، وعند البخارى « فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة. ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد. ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام، باب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر. »

(بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث) فى رواية للبخارى « بينما رجل راكب على بقرة، التفتت إليه، فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة » فتبين أن معنى قوله « قد حمل عليها » أى حمل عليها نفسه، أو نفسه ومتاعه، وقوله فى روايتنا « إنما خلقت للحرث » فيه قصر ادعائى، أو إضافى، قصر قلب، فقد اتفقوا على جواز أكلها، وفى رواية للبخارى « بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها... إلخ ».

(فقال الناس: سبحان الله؟؟؟ تعجباً وفزعاً، أبقرة تكلم ؟) أى تتكلم، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، والمراد من الناس الصحابة المستمعون لهذا الحديث من النبى ﷺ، والاستفهام تعجيبى، والقصة مذكورة عن بنى إسرائيل.

(فىأنى أومن به أنا وأبو بكر وعمر) وهذا محمول على أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبرهما بذلك، فصدقه، أو أطلق ذلك لما علم عنهما من أنهما يصدقان بذلك، إذا علما بقوله، أو سمعاه منه، ولا يترددان فيه، وفى ملحق الرواية « وما هما ثم » بفتح التاء، أى وما هما هناك فى هذه الجلسة، وهو من كلام الراوى، وفى رواية للبخارى « قال أبو سلمة: وما هما يؤمئذ فى القوم ».

(عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له من لها يوم السبع؟ يوم ليس لها راع غيرى؟ فقال الناس سبحان الله!!) الظاهر أنهما حديثان، حديث البقرة، وحديث الذئب، ذكرهما أبو بكر فى جلسة، وأخذهما عن الرسول ﷺ فى جلستين، وفى ملحق الرواية اقتصار على أحدهما، وذكرهما البخارى مجتمعتين فى رواية له، وفيها « فقال له الذئب: هذا، استنقذتها منى » أى هذا اليوم استطعت أن تغلبنى وتنقذها منى « فمن لها يوم السبع؟ » الاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى فلا أحد لها ينقذها منى يوم السبع، بضم الباء وسكونها، ولكن الرواية بالضم، والمراد من السبع الحيوان المعروف، أى لا أحد منكم يستطيع أن ينقذها يوم يأخذها السبع، أى أنك تهرب، وأكون أنا قريباً منه، أرعى ما يفضل لى منها، ولا راعى لها حينئذ غيرى، وقيل: إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن، فتصير الغنم هملاً، فتذهبها السباع « فيصير الذئب كالراعى لها، لانفراده بها، وقوله « يوم ليس لها راع غيرى » مبالغة فى تمكنه منها، زاد البخارى فى رواية « فقال الناس: سبحان الله!! ذئب يتكلم؟ ».

فقه الحديث

الصحابى، من هو؟ وما حقوقه؟

قال الحافظ ابن حجر: اسم صحبة النبى ﷺ مستحق لمن صحبه، أقل ما يطلق عليه اسم صحبة لغة، وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة.

ويطلق أيضاً على من رآه رؤية، ولو على بعد. وهذا الراجح. إلا أنه هل يشترط فى الرأى أن يكون بحيث يميز ما رآه؟ أو يكتفى بمجرد حصول الرؤية؟ محل نظر، قال: وعمل من صنف فى الصحابة

يدل على الثانى، فإنهم ذكروا محمد بن أبى بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة النبى ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، ومع ذلك فأحاديث هذا الضرب مراسيل، والخلاف الجارى بين الجمهوريين أبى إسحق الأسفراينى ومن وافقه على رد المراسيل مطلقاً، حتى مراسيل الصحابة، لا يجرى فى أحاديث هؤلاء، لأن أحاديثهم ليست من قبيل مراسيل كبار التابعين ولا من قبيل مراسيل الصحابة الذين سمعوا من النبى ﷺ، وهذا مما يلغزبه، فيقال: صحابى حديثه مرسل، لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة، ومنهم من بالغ، فكان لا يعد فى الصحابة إلا الصحبة العرفية، فقد جاء عن عاصم الأحول، قال « رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ، غير أنه لم يكن له صحبة » أخرجه أحمد، كذلك روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد فى الصحابة إلا من أقام مع النبى ﷺ سنة فصاعداً، أو غزا معه غزوة فصاعداً. قال الحافظ: والعمل على خلاف هذا القول، لأنهم اتفقوا على عد جمع جم فى الصحابة لم يجتمعوا بالنبى ﷺ إلا فى حجة الوداع، ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية، أو من اجتمع به، لكن فارق عن قرب، كما جاء عن أنس « أنه قيل له: هل بقى من أصحاب النبى ﷺ غيرك؟ قال: لا » مع أنه كان فى ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب.

ومنهم من اشترط أن يكون حين اجتماعه به بالغاً، وهو مردود أيضاً، لأنه يخرج مثل الحسن بن على ونحوه من أحداث الصحابة. والبخارى يقول: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. وقيد « من المسلمين » قيد يخرج به من صحبه أو رآه من الكفار، فأما من أسلم منهم بعد موته، فإن كان قوله « من المسلمين » حالاً، خرج من هذه صفته، وهو المعتمد.

قال: ويرد على التعريف، من صحبه أو رآه مؤمناً به، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابياً اتفاقاً، فينبغى أن يزداد فيه « ومات على ذلك » فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكن لم يره ثانياً بعد عودته، فالصحيح أنه معدود فى الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه، ممن وقع له ذلك، وإخراجهم أحاديثهم فى المسانيد.

قال الحافظ: وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم؟ أو يعم غيرهم من العقلاء؟.

أما الجن فالراجح دخولهم، لأن النبى ﷺ بعث إليهم قطعاً، وهم مكلفون، فيهم العصاة والطائعون، فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة، وإن كان ابن الأثير عاب ذلك على أبى موسى، فلم يستند فى ذلك إلى حجة.

وأما الملائكة فيتوقف عددهم فيهم على ثبوت بعثته إليهم، فإن فيه خلافاً بين الأصوليين، حتى نقل بعضهم الإجماع على ثبوته، وعكس بعضهم.

وهذا كله فيمن رآه، وهو فى الحياة الدنيوية. أما من رآه بعد موته وقبل دفنه، فالراجح أنه ليس بصحابى، وإلا لعد من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم، ولو فى هذه الأعصار، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه كذلك عن طريق الكرامة، إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحياة ليست دنيوية وإنما هى أخروية، لا تتعلق بها أحكام الدنيا، فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى.

ثم قال: وكذلك المراد بهذه الرؤية من اتفقت له ممن تقدم شرحه وهو يقظان، أما من رآه في المنام، وإن كان قد رآه حقاً، فذلك مما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابياً، ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة.

هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وقد أحال بسط المسألة إلى ما جمعه من علوم الحديث.

وخلاصة هذه الأقوال

أن من أسلم من بنى آدم وأقام مع النبي ﷺ بالغاً عاقلاً، سنة فصاعداً، أو غزاه معه غزوة فأكثر، واستمر على إسلامه حتى مات فهو صحابي باتفاق. فإذا فقد وصفاً من هذه الأوصاف ففي استحقاق وصف الصحبة خلاف بين المحدثين، من ذلك:

- ١- من اتصف بهذه الصفات من غير بنى آدم كالجن، ثم الملائكة.
- ٢- من رآه حياً لحظة، بالغاً عاقلاً مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.
- ٣- من رآه حياً لحظة - ولو طفلاً مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.
- ٤- من رأى جسده الشريف بعد موته، مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.
- ٥- من كشف له عنه من الأولياء، فرآه بعد موته على سبيل الكرامة.
- ٦- من رآه مسلماً، ثم ارتد، ثم أسلم، ولم يره بعد عودته إلى الإسلام.
- ٧- من رآه مميزاً غير بالغ مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.
- ٨- من رآه طفلاً مسلماً واستمر على إسلامه حتى مات.
- ٩- من عاش معه طويلاً كافراً، ثم أسلم بعد وفاته.

وهناك أقوال أخرى لا تستحق الذكر في هذا المقام.

والتحقيق أن وصف الصحبة ليس وصفاً يمنح، وإنما هو شرف يستحق، له مؤهلات، وله حقوق، فمن حقوقه:

(أ) صيانة صاحبه من السب والتجريح فوق صيانة المسلم، لحرمة فيه، فوق حرمة الإسلام، ففي إذائه إيذاء لرسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول « لا تؤذوني في أصحابي » ولا شك أن الإنسان يتأذى بإيذاء صاحبه وحببيه أكثر مما يتأذى بإيذاء غيره.

(ب) تقديره بتقدير ما قدم في خدمة الإسلام من جهاد ونشر للدعوة، وإنفاق في وقت الحاجة والضيق، فقد بذل نفسه وماله في سبيل الإسلام، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » قال ذلك لبعض أصحابه، وكأنه عنى البعض الذي قدم.

(ج) اعتماد رواياتهم عن النبي ﷺ فهم الذين سمعوا ورأوا بدون واسطة، وهم الذين خوطبوا بالشرعية، وهم حملتها إلينا، وهم الذين عنوا بها وحفظوها، وأراؤهم وفتاواهم وتفسيراتهم أقوى وأهم وأحق قبولاً من آراء غيرهم.

(د) وجوب الإمساك عن تنقيصهم، عند ذكر ما ينقصهم من الأعمال، فلعل ما قدموا من الخير يفوق بكثير ما يؤخذ عليهم من قصور، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم عن حاطب بن أبي بلتعة - وقد اتهم بتسريب أخبار المسلمين إلى كفار قريش - «لعل الله اطلع إلى أهل بدن فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم».

فإذا ما أريد بوصف الصحبة هذه المعاني، وهذه الحقوق، لم يستحقه إلا النوع الأول المتفق عليه، وهو من أسلم من بنى آدم وأقام مع النبي ﷺ بالغاً عاقلاً، سنة فصاعداً، أو غزا معه غزوة فأكثر، واستمر على إسلامه، حتى مات. دون الأنواع التسعة الأخرى.

أما إذا أريد بوصف الصحبة مجرد الوصف، فلا مانع من إطلاقه على كل الأنواع، حتى على من سيدخل النار، ممن شهد النبي ﷺ مسلماً، ففي الحديث الصحيح أن ناساً من أصحابه صلى الله عليه وسلم يذادون عن حوضه يوم القيامة، فيقول: أصحابي. أصحابي؟ أين تذهبون بهم؟ فيقال: إلى النار، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً. سحقاً.

وقد اهتم الإمام النووي بالحق الرابع (د). وهو وجوب الإمساك عن تنقيصهم، فقال: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول - رضى الله عنهم - ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون، اختلفوا في محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

قال: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر له بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه - فيما اعتقدوه - ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء، ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته، وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم، حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه، فكلهم معذورون. رضى الله عنهم، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتقد به في الإجماع على قبول شهاداتهم، ورواياتهم، وكمال عدالتهم، رضى الله عنهم أجمعين. اهـ.

ونحن نقدر مشاعر الإمام النووي في تبرئة ساحتهم جميعاً رضي الله عنهم، لكننا لا نوافق على تعميم هذه البراءة، فهم بشر، وليسوا معصومين، وكان في جيوش النبي ﷺ ومن أصحابه من يقاتل للمغنم، ومن يقاتل حمية، ومن يقاتل للغضب، ومن يقاتل ليرى مكانه، ولا شك أن هذه الدوافع كانت موجودة في جيش عائشة وعلى رضي الله عنهما في موقعة الجمل التي قتل فيها نحو عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين، ثم موقعة صفين، وقبلهما الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رضي الله عنه. ومع أننا لا نبرئ ساحة الجميع - لأن تبرئتهم تقربنا من السوفسطائية شعبة العنيدية، التي ترى أن الحق يختلف باختلاف ما عند كل واحد - إلا أننا نمسك عن لوم وتعنيف ودم أحد منهم، فلهم من الفضل ما يحملنا على التوقف عن الإساءة إليهم، وإن اعتقدنا أن الصواب كان في هذا الجانب، دون هذا الجانب. رضي الله عنهم أجمعين.

التفاضل بين الصحابة

والكلام فيه في مقامين:

مقام التفاضل بين الخلفاء الأربعة، ومقام التفاضل بين أزواجه صلى الله عليه وسلم وبناته.

أما المقام الأول فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، رضي الله عنهم» وفي رواية له «كنا لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ، فلا نفاضل بينهم» وله عند أبي داود «كنا نقول - ورسول الله ﷺ: - أحسن أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان» زاد الطبراني «فيسمع رسول الله ﷺ ذلك، فلا ينكره» قال الحافظ ابن حجر: وتقديم «عثمان» على «علي» رضي الله عنهما هو المشهور عند جمهور أهل السنة، وذهب بعض السلف إلى تقديم «علي» على «عثمان» وممن قال به سفيان الثوري، ويقال: إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة وطائفة قبله وبعده، وقال مالك في المدونة: لا يفضل أحدهما على الآخر، وتبعه جماعة.

وقال ابن معين: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة، وأنكر ابن معين رأى قوم - وهم العثمانية، الذين يغالون في حب عثمان، ويستنقصون عليا، وقال فيهم قولا غليظا.

قال الحافظ ابن حجر: ولا شك في أن من اقتصر على ثلاثة، ولم يعرف لعلي بن طالب فضله فهو مذموم، وادعى ابن عبد البر أنهم أجمعوا على أن عليا أفضل الخلق بعد الثلاثة، قال: ودل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر [التوقف عند الثلاثة] غلط، وإن كان السند صحيحا، وتعقب بأنه لا يلزم من سكوتهم إن ذلك عن تفضيله، عدم تفضيله على الدوام، وتعقب أيضا بأن الإجماع المذكور الذي ادعاه، إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر، فيخرج حديثه عن أن يكون غلطا. قال الحافظ ابن حجر: وأظن أن ابن عبد البر إنما أنكر الزيادة التي وقعت في رواية ابن عمر، وهي قوله «ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ، فلا نفاضل بينهم» ولا يلزم من تركهم التفاضل إن ذلك أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل «علي» على من سواه.

وذهب قوم إلى أن أفضل الصحابة من استشهد في حياة النبي ﷺ، وذكر منهم جعفر بن أبي طالب، ومنهم من ذكر العباس، قال الحافظ: وهو قول مرغوب عنه، ليس قائله من أهل السنة، ولا من أهل الإيمان.

وذهب قوم، وهم الخطابية إلى أن أفضل الصحابة مطلقاً عمر، متمسكا بالحديث الآتي في ترجمته، في المنام الذي فيه في حق أبي بكر «وفي نزعه ضعف» وهو تمسك واه. وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم «على» على «عثمان».

وقال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة على الترتيب، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون، وهم من صلى إلى القبلتين.

قال النووي: واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي؟ أم لا، وهل هو في الظاهر والباطن؟ أم في الظاهر خاصة، وممن قال بالقطع أبو الحسن الأشعري، قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة، وممن قال: إنه اجتهادي ظني أبو بكر الباقلاني.

ثم قال النووي: وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلوماً، وقتلته فسقة، لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجز منه رضي الله عنه ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف والأراذل، تحزبوا، وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصره، حتى قتلوه رضي الله عنه. قال: وأما على رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته، لا خلافة لغيره.

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء رضي الله عنهم.

أما عن المقام الثاني، وهو التفاضل بين أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ فيقول النووي: اختلف العلماء في عائشة وخديجة، أيتهما أفضل؟ وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنهما. اهـ وسيأتي مزيد لهذه المسألة في باب فضائل خديجة وباب فضائل عائشة، وباب فضائل فاطمة رضي الله عنهن جمعا.

من فضائل أبي بكر رضي الله عنه

أما عن فضائل أبي بكر رضي الله عنه فقد ذكر البخاري زيادة عما ذكر في بابنا حديث ابن عمر الذي ذكرناه وحديث عمار رضي الله عنه قال « رأيت رسول الله ﷺ، وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» أما الأعبد فهم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فإنه أسلم قديماً مع أبي بكر، وكان ممن يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وأبو فكيهة، مولى صفوان بن أمية بن خلف، أسلم حين أسلم بلال، فعذبه أمية، فاشتراه أبو بكر، فأعتقه، وأما الخامس فقيل: بشقران، وقيل عمار بن ياسر، وأما المرأتان فخديجة وأم أيمن.

كما ذكر البخاري حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر أخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر» أي حصلت له خصومة

ومغامرة « فسلم، وقال: يا رسول الله، إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه » فى رواية « فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه مغضبا، فاتبعه أبو بكر»

« ثم ندمت، فسألته أن يغفر لى، فأبى على، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر. ثلاثا، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبى بكر، فسأل: أتم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبى ﷺ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر» أى تذهب نضارته من الغضب، وفى رواية « فجلس عمر، فأعرض عنه - أى النبى ﷺ - ثم تحول، فجلس إلى الجانب الآخر، فأعرض عنه، ثم قام، فجلس بين يديه، فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله، ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عنى، فما خير حياتى وأنت معرض عنى؟ فقال: أنت الذى اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه؟ يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل؟ » « وأشفق أبو بكر، فجتا على ركبتين، فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظلم - مرتين » قال عمر: والذى بعثك بالحق، ما من مرة يسألنى إلا وأنا أستغفر له، وما خلق الله من أحد أحب إلى منه بعدك، فقال أبو بكر: وأنا والذى بعثك بالحق كذلك » « فقال صلى الله عليه وسلم يخاطب عمر: فهل أنتم تاركوا لى صاحبي؟ مرتين » فما أودى بعدهما.

كما ذكر حديث أبى هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بينا أنا نائم رأيتنى على قلبى، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع بها ذنوبيا أو ذنوبين، وفى نزعها ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرىا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن » أى حتى رويت الإبل فأناخت.

ثم ذكر حديث وفاة النبى ﷺ، ثم حديث خطبته فى سقيفة بنى ساعدة عند البيعة له بالخلافة ثم حديث تبشير أبى بكر بالجنة، ثم حديث « أثبت أحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان ».

ويؤخذ من الأحاديث

- ١- من الرواية الأولى عظيم توكل النبى ﷺ، حتى فى هذا المقام.
- ٢- وفيها مدى خوف أبى بكر ؓ على رسول الله ﷺ.
- ٣- من قوله « ماظنك باثنين، الله ثالثهما » منقبة ظاهرة لأبى بكر ؓ.
- ٤- ومن الرواية الثانية من قول أبى بكر: فدينك بأبائنا وأمهاتنا جواز التفدية.
- ٥- والترغيب فى اختيار الآخرة على الدنيا.
- ٦- والإشارة بالعلم الخاص، دون التصريح، لإثارة أفهام السامعين.
- ٧- وتفاوت العلماء فى الفهم.
- ٨- وشكر المحسن والتنويه بفضله، والثناء عليه.
- ٩- من أحاديث الأمر بسد الخوخات واستثناء خوذة أبى بكر خصوصية عظيمة لأبى بكر ؓ.
- ١٠- قال ابن بطال: فيه أن المرشح للإمامة يخص بكرامة تدل عليه، كما وقع فى حق الصديق فى هذه القصة.
- ١١- وقال الحافظ ابن حجر: ويؤخذ منه أن للخليل صفة خاصة، تقتضى عدم المشاركة فيها.

١٢- وأن المساجد تصان عن التطرق إليها لغير ضرورة.

١٣- جاءت بعض الأحاديث بالأمر بسد الأبواب إلا باب علي عليه السلام، فعند أحمد والنسائي بإسناد قوى، عن سعد بن أبي وقاص، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب علي « وعند الطبراني في الأوسط برجال ثقات زيادة » فقالوا: يا رسول الله! سددت أبوابنا؟ فقال: ما أنا سددها، ولكن الله سدها » وعن زيد بن أرقم قال: « كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سدوا هذه الأبواب، إلا باب علي، فتكلم ناس في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني والله! ما سددت شيئاً ولا فتحتة، ولكن أمرت بشيء، فاتبعته » أخرجهما أحمد والنسائي والحاكم، ورجاله ثقات، وعن ابن عباس قال: « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبواب المسجد، فسدت، إلا باب علي » وفي رواية « وأمر بسد الأبواب غير باب علي، فكان يدخل المسجد وهو جنب، ليس له طريق غيره » أخرجها أحمد والنسائي، ورجاله ثقات، وعن جابر بن سمرة قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب كلها، غير باب علي، فربما مرفيه وهو جنب » أخرج الطبراني، وعن ابن عمر قال: « كنا نقول في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم: زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته، وولدت له، وسد الأبواب إلا بابيه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر » أخرج أحمد، وإسناده حسن، وعند النسائي نحوه، وقال فيه: « وأما علي فلا تسأل عنه أحداً، وانظر إلى منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد سد أبوابنا في المسجد، وأقربابه » ورجاله رجال الصحيح، إلا العلاء، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره.

قال الحافظ ابن حجر: وهذه الأحاديث يقوى بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح للاحتجاج به، فضلاً عن مجموعها. قال: وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، أخرج من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر، مقتصرًا على بعض طرقه عنهم، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته، قال الحافظ: وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعله أيضاً بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة، قابلوا به الحديث الصحيح في أبي بكر. اهـ.

قال الحافظ: وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً، فإنه سلك في ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة، مع أن الجمع بين القستين ممكن، وقد أشار إلى ذلك البزار في مسنده، فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصة علي، وورد من روايات أهل المدينة في قصة أبي بكر، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبي سعيد الخدري، الذي أخرج الترمذي « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك » والمعنى أن باب علي كان إلى جهة المسجد، ولم يكن لبيته باب غيره، فلذلك لم يؤمر بسده، ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين، ففي الأولى استثنى باب علي، لما ذكره، وفي الثانية استثنى باب أبي بكر، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما في قصة « علي » على الباب الحقيقي، وما في قصة أبي بكر على الباب المجازي، والمراد به الخوخة، كما صرح به في بعض طرقه، وكانهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوفاً، يستقربون بها الدخول إلى المسجد،

فأمرؤا بعد ذلك بسدها. فهذه طريقة لا بأس بها فى الجمع بين الحديثين، وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوى فى مشكل الآثار، وأبو بكر الكلابادى فى معانى الأخبار، وصرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد، وخوخة إلى داخل المسجد، وبيت على لم يكن له باب إلا من داخل المسجد. والله أعلم. هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر فى هذه المسألة.

وأميل إلى ما ذهب إليه ابن الجوزى، فى أحاديث باب «على» عليه السلام رائحة الوضع، والجمع الذى جمعوا به بين الحديثين بعيد جدا، من وجوه: الأول أنه يفرق بين الباب والخوخة وهما واحد من حيث الغرض، الذى هو قرب الوصول من البيت إلى المسجد، فكيف ينهى عن أحدهما مرة؟ وعن الثانى أخرى؟ الثانى لو صح أن الأبواب سدت، وبقي باب على، واستحدثت خوحدات بدل الأبواب، وسدت الخوحدات إلا خوخة أبى بكر. ما مصير باب «على» المستثنى؟ لم يقل أحد إنه ظل مفتوحا بعد سد الخوحدات، وإن كان قد سد مع الخوحدات سلم لأبى بكر الاختصاص ببقاء خوخته، دون الأبواب والخوحدات، الثالث لو كان هذا الجمع واقعا لنقل إلينا فى رواية من الروايات لتبقى فضيلة أبى بكر وثبتت معها - فى الخصلة نفسها فضيلة لعلى، الرابع أن الجمع فى الوقائع والأحداث لا يكون بالاحتمال بل بإثبات الواقعة. والله أعلم.

١٤- ومن الرواية التاسعة، من قول السائل: «من كان مستخلفا لو استخلفه» أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعين الخليفة بعده، إذ لو كان هناك نص لما اختلفوا فى اجتماع السقيفة، ولا تفاوضوا فيه، قال الحافظ ابن حجر: وهذا قول جمهور أهل السنة، واستند من قال: إنه نص على خلافة أبى بكر بأصول كلية، وقرائن حالية، تقتضى أنه أحق بالإمامة وأولى بالخلافة. اهـ. من ذلك إمامته للصلاة فى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم، وروايتنا العاشرة والحادية عشرة.

١٥- ومن الرواية الحادية عشرة إشارة إلى أن نزاعا سيقع، ووقع.

١٦- وفيه إخبار بما سيقع فى المستقبل بعد وفاته، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره

١٧- وفيه استمالة قلب الزوجة، والإفشاء إليها بما يستره عن غيرها.

١٨- وفى الرواية الثانية عشرة، من فضائل أبى بكر، وأعماله الصالحات.

١٩- وفضيلة أعمال الخير المذكورة.

٢٠- ومن الرواية الثالثة عشرة خرق العادات، وكرامات الأولياء، قال النووى: وهو مذهب أهل الحق.

٢١- وجواز التعجب من خوارق العادات.

٢٢- وتفاوت الناس فى المعارف.

٢٣- وفضيلة ظاهرة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

(فائدة) قال الزبير بن بكار: مات أبو بكر صلى الله عليه وسلم بمرض السل، وقال الواقدى: إنه اغتسل فى يوم بارد، فحم، خمسة عشر يوما، وقيل: بل بالسقم فى طعام دسسته له اليهود، ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، ولم يختلفوا أنه استكمل سن النبى صلى الله عليه وسلم، فمات وهو ابن ثلاث وستين، رضى الله عنه.

والله أعلم

(٦٣٣) باب من فضائل عمر رضي الله عنه

٥٣٨٨ - ١٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٤) قال: وضع عمر بن الخطاب على سريرهِ. فتكفَّه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه. قبل أن يُرْفَع، وأنا فيهم. قال فلم يرعني إلا برجلٍ قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُ إليه فإذا هو عليٌّ. فترحمتُ على عمر وقال: ما خلقتُ أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثلِ عملِهِ منك. وإني لله! إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلكَ اللهُ معَ صاحبيكَ. وذلكَ أني كنتُ أكثرُ أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقول: «جئتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ. ودخلتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ» فإن كنتُ لأرجو، أو لأظنُّ، أن يجعلكَ اللهُ معهما.

٥٣٨٩ - ١٥ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه^(١٥) قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بيننا أنا نائمٌ، رأيتُ الناسَ يعرضونَ وعليهم قمصٌ. منها ما يبلغُ الثدي، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك. ومرَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليه قميصٌ يجرُّه» قالوا: ماذا أولتَ ذلك؟ يا رسولَ الله! قال: «الدين».

٥٣٩٠ - ١٦ عن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنه^(١٦)، عن رسولِ الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائمٌ، إذ رأيتُ قدحًا أُنيتُ به، فيه لبنٌ. فشربتُ منه حتى إنني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري. ثم أُعطيتُ فضلي عمرَ بنِ الخطابِ» قالوا: فما أولتَ ذلك؟ يا رسولَ الله! قال: «العلم».

٥٣٩١ - ١٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه^(١٧) قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائمٌ رأيتني على قليب، عليها ذلٌّ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابنُ أبي قحافة فنزعَ بها ذنوبًا أو

(١٤) حدَّثنا سعيد بن عمرو الأشعري وأبو الربيع العنكي وأبو كريب محمد بن العلاء واللفظ لأبي كريب قال أبو الربيع حدَّثنا وقال الآخرون أخبرنا أبو المبارك عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة قال سمعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ

— وحدَّثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد في هذا الإسناد بمثله

(١٥) حدَّثنا منصور بن أبي مزاحم حدَّثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان ح وحدَّثنا زهير بن حرب والحسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد واللفظ لهم قالوا حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم حدَّثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب حدَّثني أبو أمامة ابن سهل أنه سمعَ أبا سعيد الخدري يقولُ

(١٦) حدَّثني حرمة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس أن ابن شهاب أخبره عن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه

— وحدَّثناه فتية بن سعيد حدَّثنا ليث عن عقيل ح وحدَّثنا الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدَّثنا أبي عن صالح بإسناد يونس نحو حدِيثِهِ.

(١٧) حدَّثنا حرمة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره أنه سمعَ أبا هريرة يقولُ

ذُنُوبَيْنِ. وَفِي نَزْعِهِ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ضَعْفٌ. ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرَبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ. فَلَمْ أَرِ
عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بَعْطَنٍ».

٥٣٩٢ - - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٨) قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت ابن أبي
قحافة ينزع» بنحو حديث الزهري.

٥٣٩٣ - ١٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٨)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم، أريت أني أنزع
على حوضي أسقي الناس. فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحي. فنزع ذنوبين. وفي
نزعِهِ ضَعْفٌ. وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ. فَجَاءَ ابْنُ الْخَطَّابِ فَأَخَذَ مِنْهُ. فَلَمْ أَرِ نَزْعَ رَجُلٍ قَطُّ أَقْوَى مِنْهُ.
حَتَّى تَوَلَّى النَّاسُ، وَالْحَوْضُ مَلَأَ يَنْفَجِرُ».

٥٣٩٤ - ١٩ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ^(١٩)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أريت
كأنني أنزع بدلوا بكرة على قليب. فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين. فنزع نزعًا ضعيفًا.
والله، تبارك وتعالى، يغفر له. ثم جاء عمر فاستقى. فاستحالت غربًا، فلم أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ
النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَهُ. حَتَّى رَوَى النَّاسُ وَضَرَبُوا الْعَطْنَ».

٥٣٩٥ - ٢٠ عن جابر رضي الله عنه ^(٢٠)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا.
فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فأردت أن أدخل. فذكرت غيرتك» فبكى عمر
وقال: أي رسول الله! أو عليك يغار؟

٥٣٩٦ - ٢١ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢١)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «بينما أنا نائم إذ رأيتني

(١٨) وحدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي حدثني عقيل بن خالد ح وحدثنا عمرو الناقد والحلواني

وعبد بن حميد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن صالح بإسناد يونس نحو حديثه إن أبا هريرة

- حدثنا الحلواني وعبد بن حميد قالوا حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح قال قال الأعرج وغيره

(١٨) حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي
هريرة حدثه عن أبي هريرة

(١٩) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لأبي بكر قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا غيبه الله بن
عمر حدثني أبو بكر بن سالم عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر

- حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثني موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بنحو حديثهم

(٢٠) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا سفيان عن عمرو وابن المنكدر سمعا جابرًا يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ح وحدثنا زهير
ابن حرب واللفظ له حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر وعمرو عن جابر

- وحدثناه إسحاق بن إبراهيم أخبرنا سفيان عن عمرو وابن المنكدر عن جابر ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا
سفيان عن عمرو سمع جابرًا ح وحدثناه عمرو الناقد حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابرًا عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل

حديث ابن نمير وزهير.

(٢١) حدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس أن ابن شهاب أخبره عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة

- وحدثني عمرو الناقد وحسن الحلواني وعبد بن حميد قالوا حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن
شهاب بهذا الإسناد مثله.

فِي الْخِنَةِ. فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأَتْ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ. فَوَلَّيْتُ مُذْبِرًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعَلَيْكَ أَعَارُ؟.

٥٣٩٧ - ٢٢/٩ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ (٢٢)؛ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا قَالَ: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ. عَلِيَّةُ أَصَوَاتُهُنَّ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَتَدِرْنَ الْحِجَابَ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي؟ فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحَقُّ أَنْ يَهْتَنَ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهْتَنِي وَلَا تَهْتَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. أَنْتَ أَغْلَطَ وَأَفْطُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

٥٣٩٨ - - وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ (٢٦)، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ قَدْ رَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ.

٥٣٩٩ - ٢٣/١٠ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ. فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ» قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدِّثُونَ مُلْهُمُونَ.

٥٤٠٠ - ٢٤/١١ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٤) قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ.

(٢٢) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدِ ح وَحَدَّثَنَا حَسَنُ الْخُلَوَائِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَحْمَرِ بْنِ وَقَالَ حَسَنُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحِ بْنِ ابْنِ شِهَابِ أَحْمَرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ سَعْدًا

(-) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنِي سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرِّحٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ كِلَاهِمَا عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

(٢٤) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مَكْرَمٍ الْعَمِّيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ جَوَابِيَّةٌ بِنُ أَسْمَاءَ أَخْبَرَنَا عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

٥٤٠١ - ٢٥٠ عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٢٥) قال: لما توفي عبد الله ابن أبي، ابن سلول، جاء ابنه عبد الله ابن عبد الله إلى رسول الله ﷺ. فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه. فأعطاه. ثم سأله أن يصلّي عليه. فقام رسول الله ﷺ ليصلّي عليه. فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله! أتصلّي عليه وقد نهاك الله أن تصلّي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال» ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ [التوبة/٨٠] وسأزيد على سبعين» قال: إنه منافق. فصلّي عليه رسول الله ﷺ. وأنزل الله عز وجل ﴿ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ [التوبة: ٨٤].

٥٤٠٢ - وفي رواية عن عبيد، الله بهذا الإسناد، في معنى حديث أبي أسامة، وزاد: قال: فترك الصلاة عليهم.

المعنى العام

عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، مناقبه كثيرة، وفضائله جمة، فهو مؤسس دولة الإسلام كدولة ذات أجهزة إدارية وفنية.

وتعداد المناقب لا يستلزم الحصر، ولا يستلزم أن المذكور أفضلها، فقد تشرك الفضيلة الكبرى اعتماداً على شهرتها، ولقد كان له فضل حسم موضوع الخلافة لأبي بكر رضي الله عنهما، يوم أن مد يده إليه في سقيفة بني ساعدة، وقال له: امدد يدك نبايعك بالخلافة، فتتابع الصحابة يبايعون، وكان من أزهدهم زهاد الدنيا في خلافته، وأعدل الخلفاء والحكام على الإطلاق.

إن ذكر بعض فضائله في كتب الحديث كشاهد على غيرها، وكمصباح ينير جوانب الحياة، ومن يشهد له رسول الله ﷺ لا يحتاج شهيدا آخر، فكيف إذا كانت الشهادة عن قرب، وعن طول صحبة، لقد كان عمر من السابقين إلى الإسلام، كان إسلامه مكملًا للأربعين من المسلمين، ولم يكن إسلامه إسلام فرد، بل كان إسلام أمة، كان الإسلام يتمناه على لسان رسول الله ﷺ حيث كان يدعو به: اللهم أعز الإسلام بعمر، وأعز الله به الإسلام حقاً. لقد كان المسلمون قبل إسلام عمر يعبدون الله خفية، ويسلم المسلم منهم سرّاً عن صناديد قريش. فلما أسلم قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أنحن على الحق أم على الباطل؟ قال: نحن على الحق. قال: فعلام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ والذي بعثك بالحق. لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه معلنا الإيمان، وخرج بالصحابة المسلمين صفيين من دار أخته إلى المسجد الحرام، والكفار ينظرون، لا يجرون على الاعتراض، ومن هنا لقب الفاروق، لأنه بإسلامه فرق بين الإسرار بالدعوة والإيمان، وبين الجهر بهما.

(٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

ولقد مدحه رسول الله ﷺ كثيراً، وأثنى عليه كثيراً، وكان من استمرار صحبته له يقول: ذهبت إلى كذا أنا وأبو بكر وعمر، ودخلنا كذا أنا وأبو بكر وعمر، ورجعنا من كذا أنا وأبو بكر وعمر، وآمنت بكذا أنا وأبو بكر وعمر، حتى استقر في نفوس الصحابة اتصالاً فريداً بين الثلاثة، يوحى بصحبته بعد الموت، وقد كان، حيث دفنوا في مقابر ثلاث في حجرة واحدة.

كما أشار صلى الله عليه وسلم إلى علم عمر وإيمان عمر، وغيره عمر بما رآه في منامه صلى الله عليه وسلم. وموافقات عمر لأحكام شرعية قبل تشريعها كثيرة منها قول عمر لرسول الله ﷺ: لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى، فنزل قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال للرسول ﷺ: احجب نساءك، حيث يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية حجاب أمهات المؤمنين، وحاول منع الرسول ﷺ من الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، لكن الرسول ﷺ صلى عليه فنزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤].

وهكذا كان عمر رضي الله عنه ينطق بالحق، وهكذا جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه رضي الله عنه وأرضاه ورضى عن الصحابة أجمعين

المباحث العربية

(وضع عمر بن الخطاب على سريرته) أى على نعشه، لما مات، وعمر بن الخطاب بن نفيل - بضم النون، مصغرا ابن عبد العزى بن رياح - بكسر الراء وبالياء، ابن عبد الله بن قرط بن رزاح - بفتح الراء، ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، يجتمع مع النبي ﷺ فى كعب، وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد، بخلاف أبى بكر، فبين النبي ﷺ وكعب سبعة آباء، وبين عمر وبين كعب ثمانية، وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، ابنة عم أبى جهل والحارث ابنى هشام بن المغيرة، كنيته أبو حفص، كناه بها رسول الله ﷺ، وكانت حفصة أكبر أولاده، ولقبه الفاروق، قيل: لقبه بذلك رسول الله ﷺ، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: جبريل.

(فتكنفه الناس) أى أحاطوا به، وأصله جعلوه فى كنفهم، وكنف الإنسان جانبه، وكنفا الرجل حضناه، وكنفا الطائر جناحاه، والمراد من الناس بعض الصحابة وكبارهم.

(يدمعون، ويثنون، ويصلون عليه) أى يدعون له بخير، ويثنون عليه ثناء جميلا، ويصلون عليه، أى يدعون له بلفظ الصلاة، والصلاة من الله الرحمة.

(قبل أن يرفع) فى نعشه إلى قبره.

(وأنا فيهم) من كلام ابن عباس، أى وأنا محيط به معهم.

(فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى) أى لم يفزعنى إلا رجل، فالباء زائدة، وفى رواية البخارى « فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى » أى واضع يده على كتفى، والمراد أنه رآه بغتة، وهو منشغل بالمنظر، ففزع.

قال النووي: «يرعنى» بفتح الياء وضم الراء، ومعناه لم يفجأنى إلا ذلك، قال «برجل» هكذا هو فى جميع النسخ، بالياء، أى لم يفجأنى الأمر فى الحال إلا برجل. اهـ.

وجملة «قد أخذ بمنكى» صفة «رجل».

(**فالتفت إليه، فإذا هو على، فترحم على عمر**) أى دعا له بالرحمة، وفى رواية للبخارى «فقال: يرحمك الله».

(**وقال: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك**) «ما خلفت» بفتح الخاء وتشديد اللام المفتوحة، والتاء للخطاب، والمعنى لا أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله إلا أنت، أى أتمنى أن ألقى الله بمثل عملك.

(**وأيم الله**) «أيم» اسم، خبر لمبتدأ محذوف، أى يمين الله قسمى، وجوز بعضهم جره بحرف القسم.

(**إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك**) رسول الله ﷺ وأبى بكر، وفى آخر رواية «فإن كنت لأرجو - أو لأظن - أن يجعلك الله معهما» وإعادة الجملة السابقة للتأكيد، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أى إن الحال والشأن أننى كنت أظن وأعتقد أن الله سيجعلك فى صحبة صاحبك فى الجنة وفى الفضل، بل وفى مكان الدفن، فقد استأذن - قبل أن يموت - عائشة فى أن يدفن فى بيتها مع صاحبيه، فأذنت له.

ثم علل هذا الظن أنه فهمه من كثرة الملازمة فى أحاديث رسول الله ﷺ بينه وبين أبى بكر وعمر.

(**بيناً أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص**) بضم القاف والميم، جمع قميص، والرؤيا رؤيا منام، «يعرضون» بضم الياء من العرض يوم القيامة، ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحاداً، أى على كل واحد قميص.

(**منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك**) «الثدى» بضم التاء وكسر الدال وتشديد الياء، ومن المعروف أن القميص يلبس على الصدر إلى الركبة غالباً، فكونه إلى الثدى كناية عن القصر والصغر، وكونه دون ذلك أى أعلى من الثدى أو تحت الثدى كناية عن القصر أيضاً.

(**ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**) أى يلبسه، فيسبغ جسمه كله، حتى يجره على الأرض لطوله.

(**قالوا: ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟**) جاء فى بعض الروايات أن السائل عن ذلك أبو بكر.

(**قال: الدين**) قال أهل تعبير المنام: القميص فى المنام معناه الدين، وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة، وسنته الحسنة فى المسلمين بعد وفاته، ليقتنى به.

(**بيناً أنا نائم إذ رأيت قدحا، أتيت به، فيه لبن، فشربت منه**) أى من القدح، أو من اللبن.

(حتى إني لأرى الري يجرى في أظفاري) « إني » يجوز فتح الهمزة وكسرها، ورؤية الري على سبيل الاستعارة، كأنه لما جعل الري جسماً أضاف إليه ما هو من خواص الجسم، وهو كونه مرئياً، وكان الأصل أن يقول: حتى رأيت الري، بالفعل الماضي، لكنه عبر بالمضارع استحضاراً للصورة، والرؤية بصرية، والري بكسر الراء، ويجوز فتحها.

(ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب) فى رواية البخارى « ثم ناولت عمر » وفى رواية « ثم ناولت فضلى » والفضل والفضيلة ما فضل.

(قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم) « العلم » بالنصب، أى أولته العلم، وبالرفع، أى المؤول به هو العلم، وفى رواية « فقالوا: هذا العلم الذى آتاكه الله، حتى إذا امتلأت فضلت منه فضلة، فأخذها عمر، قال: أصبتم » فإن صحت هذه الرواية احتمل أن يكون بعضهم أول، وبعضهم سأل، ووجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبى والعلم فى كثرة النفع، وكونها سبباً للصالح، فاللبى للغذاء البدنى، والعلم للغذاء المعنوى.

(بينما أنا نائم رأيتنى على قليب) « القليب » البئر غير المطوية، أى غير المبينة، وغير السقوفة.

(عليها دلو) « الدلو » يذكر ويؤنث، وفى الرواية الخامسة « أريت أنى أنزع على حوضى، أسقى الناس » وفى الرواية السادسة « أريت كأنى أنزع بدلو بكرة على قليب » « بكرة » بفتح الباء وسكون الكاف على المشهور، وحكى بعضهم تثليث أوله، والمراد الخشبة المستديرة التى يعلق فيها الدلو، فتلف به، قيل: ويجوز إسكان الكاف على أن المراد بها الأنثى الشابة من الإبل، نسبت الدلو إليها، لأنها التى يستقى بها.

(فنزعت منها ما شاء الله) استقيت بالدلو وأخرجت من البئر ماء، ما شاء الله فى كثرته.
(ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع بها ذنوباً أو ذنوبيين) « الذنوب » بفتح الذال الدلو المملوءة.

(وفى نزعه - والله يغفر له - ضعف) بسكون العين، مع فتح الضاد وضمها، لغتان مشهورتان.

وفى الرواية الخامسة « فجاءنى أبو بكر، فأخذ الدلو من يدي، ليروحنى » بضم الياء وفتح الراء وتشديد الواو المكسورة، أى ليريحنى من النصب والتعب « فنزع دلوين، وفى نزعه ضعف » وفى الرواية السادسة « فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبيين فنزع نزعا ضعيفاً ».

(ثم استحالت غريباً) « الغرب » بفتح الغين وسكون الراء، الدلو الكبيرة العظيمة، أى ثم تحولت الدلو الصغيرة إلى كبيرة.

(فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرى من الناس، ينزع نزع عمر بن الخطاب) « العبقرى » بكسر الراء وتشديد الياء، قيل: السيد، وقيل: الذى ليس فوقه شىء، وقيل: النافذ الماضى الذى لا شىء يفوقه، قال أبو عمر: عبقرى القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم، والمعنى: فلم أر عظيماً من

عظماء الرجال يسقى بدلو، ويخرج ماء من البئر، مثل عمر، وفي الرواية السادسة ورواية البخارى « فلم أربقياً من الناس يفرى فريه » « يفرى » بفتح الياء وكسر الراء بينهما فاء ساكنة، و« فريه » قال النووى: روى بوجهين، أحدهما بإسكان الراء وتخفيف الياء، والثانية كسر الراء وتشديد الياء، وهما لغتان صحيحتان، وأنكر الخليل التشديد، وقال: هو غلط، واتفقوا على أن معناه: لم أربقياً يعمل عمله، ويقطع قطعه، وأصل الفرى بالإسكان القطع، يقال: فريت الشئ أفريه فرياً، قطعته للإصلاح، فهو مفرى وفرى، وأفريته إذا شققته على جهة الإفساد. اهـ.

وفي الرواية الخامسة « فلم أرنز رجل قط أقوى منه ».

(حتى ضرب الناس بعطن) بفتح العين والطاء، وهو الموضع الذى تساق إليه الإبل بعد السقى، لتسريح، والمعنى: حتى سقى الناس إبلهم، وذهبوا بها إلى مباركها، وزووها، وفي الرواية الخامسة « حتى تولى الناس » أى حتى انصرفوا بإبلهم « والحوض ملآن، يتفجر » وكانوا يخرجون الماء من البئر، ويصبونه فى حوض على حافظه، لتشرب الإبل من الحوض، والمراد من تفجر الحوض سيلان الماء من حافظه بعد امتلائه.

يقال: ضرب الرجل فى الأرض إذا ذهب وأبعد، وضرب الشئ عليه ألزمه إياه، وضرب الشئء بالشئء، خلطه به، وفي الرواية السادسة « حتى روى الناس، وضربوا العطن » قال النووى، قال القاضى: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة، وقيل: يعود إلى خلافة أبى بكر وعمر جميعاً، لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر، وضرب الناس بعطن، لأن أبى بكر قمع أهل الردة، وجمع شمل المسلمين وأفهم، وابتدأ الفتوح، ومهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك، وتكاملت فى زمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما.

(دخلت الجنة، فرأيت فيها داراً أو قصراً، فقلت: لمن هذا؟) القصر وفى الرواية الثامنة « بينا أنا نائم، إذ رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة توضع إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا؟ » وفى رواية للبخارى « رأيت قصراً، بغنائها جارية، فقلت: لمن هذا؟ » وفى رواية « لمن هذا القصر؟ » وفى رواية للبخارى « فإذا أنا بالرميضاء، امرأة أبى طلحة » وهى أم سليم، والرميضاء صفة لها، لمرض كان بعينها، وقيل: هو اسم أختها، أم حرام، وقيل: اسم أخت أم سليم من الرضاعة، وجوزابن التين أن يكون المراد امرأة أخرى لأبى طلحة، وفى رواية للبخارى « وسمعت خشفة » بفتح الخاء والشين والفاء، أى حركة، أو صوتاً خفيفاً « فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن المخاطب بقوله « لمن هذا؟ » جبريل أو غيره من الملائكة.

وقوله « تتوضأ » يحتمل أن يكون على ظاهره، ولا ينكر كونها تتوضأ حقيقة، لأن الرؤيا وقعت فى زمن التكليف، والجنة وإن كان لا تكليف فيها، فذاك فى زمن الاستقرار، بل ظاهر قوله « تتوضأ إلى جانب قصر » أنها تتوضأ خارجة منه، أو هو على غير الحقيقة، ورؤيا المنام لا تحمل دائماً على الحقيقة، بل تحتل التأويل، فيكون معنى قوله « تتوضأ » أنها تحافظ فى الدنيا على العبادة، أو المراد بقوله « تتوضأ » أى تستعمل الماء، لأجل الوضوء، على مدلوله اللغوى، قال الحافظ ابن حجر: وزعم ابن قتيبة والخطابى أن قوله « تتوضأ » تصحيف وتغيير من الناسخ، وإنما الصواب « امرأة شوهاء »

ولم يستند فى هذه الدعوى إلا إلى استبعاد أن يقع فى الجنة وضوء، لأنه لا عمل فيها، وعدم الاطلاع على المراد من الخبر لا يقتضى تغليط الحفاظ، ثم فسر الخطابى «شوهاء» بمعنى حسناء، والكلمة تستعمل فى النقيضين.

(فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل، فذكرت غيرتك) والخطاب لعمر، فقد كان حاضرًا قص الرؤيا، وفى الرواية الثامنة « فذكرت غيرة عمر، فوليت مدبرا » وفى رواية للبخارى « فأردت أن أدخله، فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك »

(فبكى عمر، وقال: أى رسول الله، أو عليك أغانى؟) « أى » حرف نداء، و« أو » بفتح الواو حرف عطف، والهمزة للاستفهام الإنكارى، والعطف على محذوف، أى أشك فىك وأغار منك؟ لا يحصل شيء من ذلك، أى لا أشك فىك ولا أغار منك، فأنت عندى ثقة مأمون. وأصل التعبير: أعليتها أغانى منك، فحصل قلب، وفى رواية الثامنة « قال أبو هريرة: فبكى عمر، ونحن جميعا فى ذلك المجلس، مع رسول الله ﷺ، ثم قال عمر: بأبى أنت يا رسول الله! أعليك أغانى؟ قال ابن بطال: وبكاء عمر يحتمل أن يكون سرورا، ويحتمل أن يكون تشوقا، أو خشوعا، وزاد فى رواية « قال عمر: وهل رفعتنى الله إلا بك؟ وهل هدانى الله إلا بك؟ »

(استأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن) قال الحافظ ابن حجر: هن من أزواجه، ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن، لكن قرينة قوله « يستكثرنه » أى يطلبن منه أكثر مما يعطينهن، يؤيد أنهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم، وزعم الداودى أن المراد أنهن يكثرن الكلام عنده، وهو مردود بما وقع التصريح به « أنهن يطلبن النفقة » كذا قال الحافظ ابن حجر، قلت: ومراد الداودى يكثرن الكلام فى طلب زيادة النفقة، فقوله ليس مردودا، بدليل قوله « عالية أصواتهن » زاد البخارى « على صوته » و« عالية » يجوز فيه الرفع على الصفة، والنصب على الحال، « وأصواتهن » بالرفع فاعل « عالية ».

(فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب) يقال: ابتدر فلانا بكذا عاجله به، وابتدر القوم الشيء تسارعوا إليه، والظاهر أن المراد من القيام البدء والإنشاء، لكن قوله « عجت من هؤلاء اللائى كن عندى » يشعر أنهن قمن من مجلسهن، لحجب شخوصهن، لكن خطاب عمر لهن بعد، يوحى بأنهن رجعن إلى جلستهن.

(أضحك الله سنك) قال الحافظ ابن حجر: لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه، وهو السرور، أو نفى ضد لازمه، وهو الحزن.

(قال عمر: فأنت يا رسول الله، أحق أن يهين) أى أنت أحق منى بالهيبه والاحترام والتوقير.

(ثم قال عمر: أى عدوات أنفسهن) « أى » بسكون الياء، حرف نداء، ووصفهن بهذا الوصف لأن الذى يفعل الخطأ عدو نفسه، فهو يوقعها فى الضرر.

(أتَهَبُنِي وَلَا تَهَبِنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟) الاستفهام إنكارى توبيخى، أى ما كان ينبغى لكن أن تفعلن ذلك، والإنكار ليس لابتدأه من الحجاب، وإنما لرفع الصوت والمطالبة بالإلحاح.

(أَنْتِ أَغْلَظُ وَأَقْظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) قال النووى: الفظ والغليظ بمعنى، وهو عبارة عن شدة الخلق، وخشونة الجانب. قال العلماء: وليست لفظة « أفعل » هنا للمفاضلة، بل هى بمعنى « فظ » و « غليظ » أى فليست الصيغة هنا على أصلها، الذى هو مشاركة اثنين فى صفة وزيادة أحدهما عن الآخر فى هذه الصفة، لأن الرسول ﷺ ليس فيه أصل هذه الصفة، لقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتُلْنَاكَ بِالْعَقْلِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهذه الصيغة هنا من قبيل قوله تعالى ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] - قال القاضى: وقد يصح حملها على المفاضلة، وأن القدر الذى منها فى الرسول ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وكان يغضب ويغلظ عند انتهاك حرمت الله. اهـ.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتُلْنَاكَ مِنَ حَوْلِكَ﴾ نفى تلك الصفة كصفة لازمة، فلا ينافى مجرد وجودها فى بعض الأحوال، فكان صلى الله عليه وسلم يغضب للحق أحياناً، ولا يواجه بالعتاب أو المؤخذة أحياناً، أما عمر فكان يواجه بالمؤاخظة، ويبالغ فى الزجر، حتى كان يضرب بالعصا.

(وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ. مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ، سَالِكًا فَجَاءٌ، إِلَّا سَلَكَ فَجَاءٌ غَيْرَ فَجِكِ) الفج الطريق الواسعة قال النووى: هذا محمول على ظاهره، وأن الشيطان يهرب إذا رآه، وقال عياض: يحتمل أن يكون ذلك على سبيل ضرب المثل، وأن عمر فارق سبيل الشيطان، وسلك طريق السداد، فخالف كل ما يحبه الشيطان. قال النووى: والصحيح الأول.

(قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ) قال العلماء: اختلف فى المراد من « محدثون » بفتح الدال المشددة، اسم مفعول، أى يحدثهم الله، أو الملائكة، فقيل: ملهمون، قاله الأكثرون، قالوا: المحدث هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقى فى روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى، فيكون كالأذى حدثه غيره به، وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلمون - بفتح اللام المشددة، تتكلم الملائكة على لسانهم، وهو قريب من المعنى الأول، فهم مكلمون، لا يرون مكلما فى الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وفسره ابن التين بالترفس، وفى مسند الحميدى: المحدث الملهم بالصواب الذى يلقى على فيه، وقيل: المصيب بغير نبوة، وقيل: ملهمون، بفتح الهاء المشددة، فعند أحمد والترمذى « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ».

(فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنْ عَمِرَ بِنِ الْخَطَابِ مِنْهُمْ) فى رواية للبخارى « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون - بفتح الياء، أى يتكلمون - من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر ».

وكان الظاهر أن يقول: إن عمر منهم، بدون شك أو ترديد أو تعليق، لأن أمته صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم، فإنما كان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده بهذا المورد

للتأكيد، كما يقول الرجل: إن يكن لى صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفي الأصدقاء. قال الحافظ ابن حجر: وهذا وإن جاز أن يقع، لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبيناً على اتباع الكتاب والسنة، قال: وتمحضت الحكمة فى وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، فى زيادة شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة فى تكثيرهم مضاهاة بنى إسرائيل فى كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها، لكون نبيها خاتم الأنبياء، عوضوا بكثرة الملهمين. اهـ. وهكذا ينحو الحافظ نحو الأولياء والكرامات والإلهامات، ولسنا معه فى هذا النحو، بل نحن مع الطيبى إذ يقول: المراد بالمحدث الملهم، البالغ فى ذلك مبلغ النبى فى الصدق، والمعنى لقد كان فيمن قبلكم من الأمم أنبياء ملهمون، فإن يكن فى أمتى أحد هذا شأنه فهو عمر، فكأنه حكم بانقطاع قرينه فى ذلك، ويؤيده حديث « لو كان بعدى نبى لكان عمر » فلو فيه بمنزلة « إن » أى على سبيل الفرض والتقدير، وقد أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم والطبرانى فى الأوسط.

والسبب فى تخصيص عمر بذلك كثرة ما وقع له زمن النبى ﷺ من الموافقات التى نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبى ﷺ عدة إصابات.

(وافقت ربي فى ثلاث) وقائع، قال الحافظ ابن حجر: والمعنى: وافقنى ربي، فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار بذلك إلى حدوث رأيه، وقدم الحكم، قال: وليس فى تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفى الزيادة عليها، لأنه حصلت له الموافقة فى أشياء غير هذه، من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين، قال: وأكثر ما وقفنا عليه منها بالتعيين خمس عشرة. اهـ.

(فى مقام إبراهيم) بدل من « ثلاث » أى فى طلب الصلاة فى مقام إبراهيم، ومقام إبراهيم معروف الآن فى المسجد الحرام، مواجه لباب الكعبة، على مسافة سبعة وعشرين ذراعاً وقد أحيط بمقصورة من الزجاج، وعن أصله قيل: إنه الحجر الذى قام عليه إبراهيم حين ارتفع به بناء الكعبة، فأثرت فيه أصابع إبراهيم وعلمت وغاصت، ولكن الناس تماسحوا فيه حتى انمحو الأثر أو كاد، قيل: وكان المقام فى زمن النبى ﷺ ملتصقاً بالكعبة، ثم أخره عمر إلى مكانه الآن، لما رأى أن بقاءه يضيق على الطائفين، أو على المصلين، فوضعه فى مكان يرتفع به الحرج، قالوا: وتهيأ له ذلك، لأنه الذى كان قد أشار باتخاذ مصلين، وأول من عمل عليه المقصورة. و«المقام» مفعول من القيام، يراد به المكان، أى مكان قيامه، وذهب النخعى ومجاهد إلى أن المراد من «مقام إبراهيم» فى الآية الحرم كله، وذهب ابن عباس وعطاء إلى أن المراد به مواقف الحج كلها، وذهب الشعبى إلى أن المراد به عرفة ومزدلفة والجمار، ومعنى اتخاذها مصلين على هذه الآراء أن يدعى فيها، ويتقرب إلى الله تعالى عندها. والصواب الذى عليه الجمهور هو القول الأول.

وموافقة عمر ﷺ فى مقام إبراهيم أخرج صورتها أبو نعيم من حديث ابن عمر « أن النبى ﷺ أخذ بيد عمر، فقال: يا عمر، هذا مقام إبراهيم، فقال عمر: أفلا تتخذ مصلين؟ فقال: لم أوامر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ والأمر فيها للاستحباب، وقيل: الأمر بصلاة ركعتى الطواف عنده، لما أخرجه مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ لما فرغ من

طوافه عمد إلى مقام إبراهيم، فصلى خلفه ركعتين، وقرأ الآية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] والأمر للوجوب على بعض الأقوال.

(وفي الحجاب) أى حجاب أمهات المؤمنين، وقد أخرج البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: « قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله تعالى آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] - وكان رضى الله تعالى عنه حريصا على حجابهن، وما ذاك إلا حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « وعن عائشة « أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل، إذا برزن إلى المناصب، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - رضى الله عنها، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر رضي الله عنه بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى الحجاب « وذلك إحدى موافقات عمر رضي الله عنه، وأخرج نحوه مسلم وابن جرير

وأخرج البخارى فى الأدب والنسائى من حديث عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأكل معه عليه الصلاة والسلام، وكان يأكل معهما بعض أصحابه، فأصابته يد رجل يدها، فكره النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عمر: وكان الذى أصابته إصبغه إصبغها: أوه، لو أطاع فيكن ما رأتن عين، ونزل الحجاب، قال العلماء، ولا يبعد أن يكون مجموع ما ذكر سببا للنزول، وعمر رضي الله عنه فى جميعها سبب للنزول.

(وفي أسارى بدر) أسرا المسلمون من كفار قريش يوم بدر سبعين رجلا، وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن على رضي الله عنه قال: « جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال: خير أصحابك فى الأسرى، إن شاءوا القتل، وإن شاءوا الفداء، على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم. قالوا: الفداء، ويقتل منا » وأخرج مسلم هذه القصة مطولة من حديث عمر، ذكر فيها أنه رضي الله عنه قال: ما ترون فى هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: أرى أن تأخذ منهم فدية تكون قوة لنا، وعسى الله أن يهديهم، فقال عمر: أرى أن تمكنا منهم، فنضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر « فنزل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] فنزل القرآن برأى عمر

ومن موافقات عمر رضي الله عنه أنه دخل على أمهات المؤمنين، حين تحزين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحذرهن العواقب، وقال لهن: « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » فنزلت الآية على وفق ما قال. ومن موافقاته أيضا تحريم الخمر.

ومن أبرز موافقاته رضي الله عنه محاولة منع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على المنافقين، وستأتى القصة فى رويتنا الثانية عشرة.

(لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول) « أبى » بضم الهمزة وفتح الباء وتشديد الياء، قال النووي: هكذا صوابه، ويكتب « ابن سلول » بالألف، ويعرب بإعراب « عبد الله » فإنه وصف ثان له، لأنه عبد الله بن أبي وهو عبد الله ابن سلول أيضا، فأبى أبوه، « وسلول » أمه، فنسب إلى أبويه جميعا، ووصف بهما، وكانت وفاته - كما ذكر الواقدي - بعد منصرفهم من تبوك، فى ذى القعدة سنة تسع، وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة: ٤٧].

(جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ) كان عبد الله بن عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة، وشهد بدرًا، وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة، فى خلافة أبى بكر الصديق، ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه، فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه فى قتله، فقال له: « بل أحسن صحبتته »، ولما بلغه قول أبيه « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » يعنى ابن أبى بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ وقف عبد الله هذا على باب المدينة بسيفه، يمنع أباه من دخولها، حتى يقول: إنه الأذل ورسول الله ﷺ هو الأعز، فقالها.

(فسأله أن يعطيه قميصه، أن يكفن فيه أباه، فأعطاه) فى رواية البخارى « أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه » وعند الطبرى « لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله! إن أبى قد احتضر، فأحب أن تشهده وتصلى عليه » وقد ورد أن عبد الله هذا فعل ذلك بعهد وطلب من أبيه، كما روى « أن النبي ﷺ ذهب إليه ليشهده، فلما دخل عليه قال له: أهلكك حب يهود، فقال: يا رسول الله! إنما أرسلت إليك لتستغفر لى، ولم أرسل إليك لتوبخنى، ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه، فأجابته » وعند الطبرانى « لما مرض عبد الله بن أبى، جاءه النبي ﷺ فكلمه، فقال: قد فهمت ما تقول، فامنن على، فكفنى فى قميصك، وصل على، ففعل » ولم يكن ابن أبى مؤمنا، بل منافقا كافرا من أهل النار، لكنه - كما يقول الحافظ ابن حجر: أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته، فأظهر الرغبة فى صلاة النبي ﷺ، ووقعت إجابته إلى سؤاله، بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك.

(فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أتصلى عليه، وقد نهاك الله أن تصلى عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله تعالى، فقال ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] وسأزيد على سبعين. قال: إنه منافق) وعند البخارى عن عمر ﷺ قال « لما مات عبد الله بن أبى دعى له رسول الله ﷺ، ليصلى عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله! أتصلى على ابن أبى، وقد قال كذا وكذا وكذا؟ قال: أُعِدُّ عليه، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: أخرجنى يا عمر، فلما أكثرت عليه. قال: إني خيرت فاخترت، ولو أنى أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ».

والإشكال هنا قول عمر « وقد نهاك الله أن تصلى عليه » ولم تكن أية ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ لم تكن نزلت، فمن أين لعمر هذا القول؟ وعلام استند؟ لقد أقدم بعض المحدثين فرد هذه

الرواية، وقال إنها وهم من بعض الرواة، لكن القرطبي قال: لعل ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الإلهام، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] ويؤيده رواية أخرى للبخارى، وفيها « تصلى عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم » وعند ابن مردويه « فقال عمر: أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه؟ قال: أين؟ قال: قال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ فكان عمر رضي الله عنه فهم من الآية المذكورة أن « أو » ليست للتخيير، بل للتسوية، أى إن الاستغفار لهم، وعدم الاستغفار لهم سواء، وفهم عمر أيضا من قوله ﴿ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ أنها للمبالغة، وأن العدد المذكور لا مفهوم له، بل المراد نفي المغفرة لهم، ولو كثرا الاستغفار، فيحصل من ذلك أن الاستغفار لهم عبث نهى عنه، وفهم أيضا أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت الاستغفار له، والشفاعة له، فالنهى عن الاستغفار له يستلزم النهى عن الصلاة.

(فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ فترك الصلاة عليهم) وعند الواقدي « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف » وفى رواية أن عمر رضي الله عنه ترك رأيه، وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقه الحديث

وفاة عمر

قصة وفاة عمر رضي الله عنه أخرجها البخارى تحت باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه، قال البخارى: وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجها عن عمرو بن ميمون قال: « إنى لقائم ما بينى وبينه - يقصد عمر - إلا عبد الله بن عباس، غداة أصيب - كان ذلك بعد عودته من الحج، سنة ثلاث وعشرين - « وكان إذا مر بين الصفيين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خلا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو نحو ذلك فى الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلى - أو أكلنى - الكلب، حين طعنه، فطار العليج - بكسر العين وسكون اللام، الحمار « بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد، يمينا ولا شمالا، إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه » وعند ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري قال: كان عمر لا يأذن لتسبى قد احتلم، فى دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبه - وهو على الكوفة - يذكر غلاما عنده صانعا، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالا تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ما خراجك بكثير، فى جنب ما تعمل، فانصرف ساخطا، فلبث عمر لياالى، فمر به العبد، فقال: ألم أحدث أنك تقول: لو أشياء لصنعت رحي تطحن بالريح؟ فالتفت إليه عابسا، فقال: لأصنعن لك رحي، يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه، فقال: نوعدنى العبد، فلبث لياالى، ثم اشتمل على خنجر ندى رأسين، نصابه وسطه، فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس « فى الفجر وقبله « حتى خرج عمر يوقظ الناس: الصلاة. الصلاة. وكان عمر يفعل ذلك، فلما

دنا منه عمر وثب إليه، فطعنه ثلاث طعنات [رواية البخارى «أن الطعن كان بعد أن كبر» أصح من رواية ابن سعد التى فيها «أن القتل كان وهو يسوى الصفوف»] إحداهن تحت السرة، وهى التى قتله، وفى رواية «كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة، وكان يستغله أربعة دراهم - أى كل يوم - فلقى عمر، فقال: إن المغيرة أثقل على، فقال: اتق الله، وأحسن إليه، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة، فيكلمه، فيخفف عنه، فقال العبد: وسع الناس عدله غيرى؟ وأضمر على قتله، فاصطنع له خنجرا، له رأسان، وسمه، فتحرى صلاة الغداة، حتى قام عمر، فقال: أقيموا صفوفكم، فلما كبر طعنه، فسقط «وعند مسلم «أن عمر خطب، فقال: رأيت ديكا نقرنى ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلي» زاد فى رواية «فما مر إلا تلك الجمعة، حتى طعن» وفى رواية «طعن أبو لؤلؤة نفرا، فأخذ أبا لؤلؤة رهط من قريش، منهم عبد الله بن عوف فطرح عليه خميصة كانت عليه» وعند ابن سعد «أن عبد الله بن عوف أحتز رأس أبى لؤلؤة، بعد أن نحر نفسه».

ونعود إلى عمر فى حديث البخارى «وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف، فقدمه، قال عمرو بن ميمونة فمن كان يلى عمر، فقد رأى الذى أرى، وأما من فى نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله. فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة» فى رواية «بأقصر سورتين فى القرآن: إنا أعطيناك الكوثر، وإذا جاء نصر الله والفتح» وزاد فى رواية «ثم غلب عمر النزف، حتى غشى عليه، فاحتملته فى رهط، حتى أدخلته بيته، فلم يزل فى غشيته حتى أسفر» أى بدأ ضوء الصبح، فنظر فى وجوهنا، فقال: أصلى الناس؟ فقلت: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلى» وفى رواية ابن سعد «فتوضأ وصلى الصبح، فقرأ فى الأولى: والعصر، وفى الثانية قل يا أيها الكافرون، قال: وتساند إلى، وجرحه يثغب دما، إنى لأضح إصبعى الوسطى، فما تسد الفتق».

فى رواية البخارى: لما انتهى عبد الرحمن بن عوف من الصلاة، وقبل أن يغمى على عمر «قال يا ابن عباس. انظر من قتلنى؟ فجال ساعة - أى وقتا قصيرا - ثم جاء، فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ - أى الصنایعى؟ - قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الإسلام» وفى رواية «الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط» وفى رواية «يحاجنى بلا إله إلا الله» وفى رواية «لا تعجلوا على الذى قتلنى. فقليل: إنه قتل نفسه، فاسترجع عمر، فقليل له: إنه أبو لؤلؤة، فقال: الله أكبر» ثم قال لابن عباس: «قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة». وفى رواية «فقال عمر: هذا من عمل أصحابك، كنت أريد أن لا يدخلها علج من السبى، فغلبتمونى» وفى رواية «قال عمر: من أصابنى؟ قالوا: أبو لؤلؤة، واسمه فيرون، قال: قد نهيتكم أن تجلبوا عليها من علوجهم أحدا، فعصيتمونى» قيل: وكان العباس قد قال لعمر: إن عمل المدينة شديد، لا يستقيم إلا بالعلوج، وكان العباس من أكثر الصحابة استخدا ما لهم، فقال عبد الله بن عباس: إن شئت فعلت؟ أى قتلت علوجنا - قال: كذبت. بعد ما تكلموا بلسانكم؟ وصلوا قبلكم؟ وحجوا حجكم؟ «وكان عمر رضي الله عنه يخشى أن يكون وراء القاتل محرضون، وأن يكون قد ظلم فى حكمه جماعة دون قصد فخططوا لهذا العمل، فقال لابن عباس - وكان يحبه ويدينه - يا عبد الله بن عباس. اخرج، فناد فى الناس: أعن ملاً منكم كان هذا؟ فقالوا: معاذ الله. ما

علمنا، ولا اطلعنا، وفي رواية « فقال عمر لابن عباس. أحب أن تعلم. عن ملامن الناس كان هذا؟ فخرج، لا يمر بملامن الناس، إلا وهم يبكون، فكأنما فقدوا بكار أولادهم، فأخبر عمر بذلك، قال: فرأيت البشر في وجهه.

(وقفه عند هذا الحديث)

من الصعب أن نقنع أنفسنا بأن دافع قتل عمر هو عدم إنصافه لهذا العبد من وجهة نظره، إذ كان الأولى بأن يقتل سيده، الظالم له، حسب فهمه، وكانت هناك وسائل أخرى يسلكها العبد لرفع هذا الظلم غير القتل، وأقلها رفض هذا التكسب، والاكْتفاء بالخدمة والعبودية، كشأن الآلاف، ولكننا نعتقد أن هناك ثارا سابقا، من غزو المسلمين لبلادهم، وقتلهم أباه أو عمه أو أخاه، أو أحب الناس إليه، وهو وأمثاله لم يسلموا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، حتى يغسل أضغانهم، فكان الحذر منهم واجبا، كما أشار عمر، ولكن لا يغنى حذر من قدر، ففي رواية ابن سعد « فلما طعن قال: وكان أمر الله قدرا مقدورا ». ونعود إلى رواية البخاري، وعمر الجريح في بيته « وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ » يتوافدون عليه، ويحيطون به، ويدعون له، ويثنون عليه، وجاءوا له بالطبيب، فأتى بنبيذ، فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى له بلبن، فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، « وقال الطبيب: اعهد يا أمير المؤمنين. فقال عمر: صدقني، ولو قال غير ذلك لكذبتة »

وكثر الثناء والدعاء والمواساة، فمن قائل: لا بأس، ومن قائل: نخاف عليك وعلى الإسلام، ومن قائل يقول له: أبشر - يا أمير المؤمنين - ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال عمر: وددت أن ذلك كفاف، لا علي، ولا لى، وعلى بن أبى طالب ﷺ يقول: يرحمك الله يا عمر، ما تركت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثله منك، أى ليتنى ألقى الله بمثل ما ستلقاه به، لقد كان رسول الله ﷺ يجمع بينك وبينه وبين أبى بكر فى غالب المناسبات، فيقول: خرجت أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت كذا أنا وأبو بكر وعمر، وجئت أنا وأبو بكر وعمر، وها هى عائشة قد أذنت لك بأن تدفن مع صاحبك، وستكون معهما فى الجنة إن شاء الله. فهنيئا لك. وهنيئا لك.

قال عمر: « يا عبد الله بن عمر، انظر ما على من الدين، فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفا، أو نحوه قال: إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تفر أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال » وفى رواية « قال: يا عبد الله، أقسمت عليك بحق عمر، إذا مت، فدقنتنى أن لا تغسل رأسك، حتى تبيع من رباح آل عمر بثمانين ألفا، فتضعها فى بيت مال المسلمين، فسأله عبد الرحمن بن عوف، أى عن أسباب هذا الدين - فقال: أنفقتها فى حجج حجتها، وفى نوائب كانت تنوينى » قال ابن التين: قد علم عمر أنه لا يلزمه غرامة ذلك، إلا أنه أراد أن لا يتعجل من عمله شيئا فى الدنيا.

ثم قال عمر « يا عبد الله، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب

السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت كنت أريده لنفسى، ولأثرته به اليوم على نفسى، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعونى. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين. أذنت. قال: الحمد لله. ما كان من شيء أهم إلى من ذلك « وخشى عمر أن تكون أذنت فى حياته، حياء منه، وأن ترجع عن ذلك بعد موته، فأراد أن لا يكرها على ذلك، فقال « فإذا أنا قضيت فأحملونى، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين ».

قال عبد الله بن عمر: وجاءت أم المؤمنين حفصة، والنساء تسير معها، قال: فلما رأيناها قمنا، فدخلت عليه، فبكت عنده ساعة، ثم دخلت داخلا، ودخل الرجال، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين. استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزيبر وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر - وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذلك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال: « أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يُعفى عن مسيئتهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم رءء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشى أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم ».

قال عبد الله بن عمر: « فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر ابن الخطاب قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هناك مع صاحبيه ».

قال الحافظ بن حجن: اختلف فى صفة القبور المكربة الثلاثة، فالأكثر على أن قبر أبى بكر وراء قبر الرسول ﷺ، وقبر عمر وراء قبر أبى بكر، وقيل: إن قبره ﷺ مقدم إلى القبلة، وقبر أبى بكر حذاء منكبيه، وقبر عمر حذاء أبى بكر، وقيل قبر أبى بكر عند رأس النبى ﷺ، وقبر عمر عند رجليه، وقيل: قبر أبى بكر عند رجلي النبى ﷺ، وقبر عمر عند رجلي أبى بكر، وقيل غير ذلك.

إسلام عمر ؓ

أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » وذلك لما كان فيه من الجلد والقوة فى أمر الله، وروى ابن أبى شيببة والطبرانى، عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: كان إسلام عمر عزا، وهجرته نصرا، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين، حتى أسلم عمر.

وفى ملابسات إسلامه ؓ أخرج الدارقطنى، عن أنس ؓ قال: خرج عمر متقلدا السيف، فلقية رجل من بنى زهرة - فذكر قصة دخول عمر على أخته، وإنكاره إسلامها، وإسلام زوجها سعيد بن زيد،

وقراءته سورة طه، ورغبته في الإسلام - فخرج خباب فقال: أبشريا عمر، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك. قال: اللهم أعز الإسلام بعمر، أو بعمر بن هشام.

زاد ابن شيبه في تاريخه « فقلت: يا رسول الله! ففيم الاختفاء؟ فخرجنا في صفين، أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، فنظرت قريش إلينا، فأصابتهم كآبة، لم يصبهم مثلها » وأخرجه البزار مطولا، وأخرج أبو خيثمة من حديث عمر نفسه ﷺ قال: « لقد رأيتنى وما أسلم مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلا، فكمثلهم أربعين، فأظهر الله دينه، وأعز الإسلام » وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس - رضی اللہ عنہما - وقال فيه « فنزل جبريل، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وأخرج الترمذى حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك. بأبى جهل أو عمر، قال: فكان أحبهما إليه عمر » وروى ابن سعد من حديث صهيب قال: « لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم منا » وروى البزار والطبراني نحوه.

من فضائل عمر ﷺ

وزاد البخارى عن أحاديث بابنا

- (١) حديث الذئب والشاة السابق في فضائل أبى بكر ﷺ .
- (٢) وحديث عبد الله بن عباس رضی اللہ عنہما، يواسى به عمر ﷺ عند موته، ويخفف من جزعه، فيقول: « يا أمير المؤمنين. ولئن كان ناك » أى الموت « لقد صحبت رسول الله ﷺ، فأحسنت صحبتته، ثم فارقتة وهو عنك راض، ثم صحبتت أبا بكر، فأحسنت صحبتته، ثم فارقتة وهو عنك راض، ثم صحبتت صحابتهما، فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه، فإنما ذاك من الله تعالى، من به على، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه، فإنما ذاك من الله تعالى، جل ذكره، من به على، وأما ما ترى من جزعى، فهو من أجلك وأجل أصحابك أى فيمن أستخلف عليهم، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله عز وجل، قبل أن أراه ».
- (٣) وحديث أبى موسى ﷺ قال: « كنت مع النبي ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل، فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لى: افتح له، وبشره بالجنة على بلوى نصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان ».
- (٤) وحديث أنس بن مالك ﷺ قال « سعد النبي ﷺ أهدأ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضره برجله، وقال: اثبت أهد، فما عليك إلا نبى، وصديق، وشهيدان ».
- (٥) وحديث زيد بن أسلم عن أبيه أسلم، مولى عمر قال: سألتنى ابن عمر عن بعض شأنه - أى عن

بعض أخبار أبيه عمر- قال: فأخبرته، فقال - أى ابن عمر- ما رأيت أحدا قط - بعد رسول الله ﷺ، من حين قبض - كان أجد وأجود - حتى انتهى - من عمر بن الخطاب».

ويؤخذ من أحاديث الباب، بعد ما تقدم

١- من الرواية الأولى تقدير على ﷺ لعمر، ورضاؤه عنه، ودعاؤه له، خلافا لما يزعمه الرافضة من الطعن فيه.

٢- ومن الرواية الثانية فضيلة لعمر، وشدة أمره فى الدين.

٣- من طول قميصه أخذ بعضهم أن عمر أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما، وتعقب باحتمال تخصيص أبى بكر من عموم قوله « رأيت الناس يعرضون » فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبوبكر وكون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبى بكر قميص أطول منه وأسبخ، والاقتصار فى ذلك الوقت كان لإرادة بيان فضلية عمر، على أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية.

٤- ومن الرواية الثالثة أن رؤيا اللين فى المنام خير، ويثول شربه بالعلم.

٥- ومن الرواية الرابعة صدق منامه صلى الله عليه وسلم. قال النووى: قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما، وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ، ومن بركته وآثار صحبتته، فكان النبى ﷺ هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأنزل الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ثم توفى رسول الله ﷺ فخلفه أبو بكر ﷺ سنتين وشهرا، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم «ذنوبيا أو ذنوبيين» وهذا شك من الراوى، والمراد ذنوبيان، كما صرح به فى الرواية الأخرى، وحصل فى خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم، واتساع الإسلام، ثم توفى فخلفه عمر ﷺ، فاتسع الإسلام فى زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقلب عن أمر المسلمين، لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم، وتدبير أمورهم، قال النووى: وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر «وفى نزعه ضعف» فليس فيه حط من فضيلة أبى بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس فى ولاية عمر لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال وغيرها، من الغنائم والفتوحات وتمصير الأمصار، وتدوين الدواوين.

قال: وأما قوله صلى الله عليه وسلم «والله يغفر له» فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هى كلمة المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة.

٦- قال العلماء: وفى كل هذا إعلام بخلافة أبى بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها.

٧- وفى قوله « فأخذ الدلو من يدي ليروحني » فيه إشارة إلى نيابة أبى بكر عنه، وخلافته بعده، وراحته صلى الله عليه وسلم بوفاته، كما قال صلى الله عليه وسلم « مستريح ومستراح منه » و« الدنيا سجن المؤمن » و« لا كرب على أبيك بعد اليوم ».

- ٨- ومن الرواية السابعة، واعتماد غيره عمر الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه.
- ٩- ومن علو أصوات الزوجات فى الرواية التاسعة أن مثل هذا يغتفر بين الأزواج، ولا يدخل فى قوله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] وقال القاضى عياض: يحتمل أن هذا قبل النهى عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعها، لا أن كلام كل واحدة بانفرادها أعلى من صوته صلى الله عليه وسلم.
- ١٠- وفى هذا الحديث فضل لين الجانب والحلم والرفق، ما لم يفوت مقصودا شرعيا، قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وقال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
- ١١- وفيه تغلب عمر رضي الله عنه على شيطانه، قال النووى: هذا الحديث محمول على ظاهره، وأن الشيطان متى رأى عمر سالكا فجا، هرب هيبة من عمر، وفارق ذلك الفج، وذهب فى فج آخر، لشدة خوفه من بأس عمر، أن يفعل فيه شيئا، قال القاضى: ويحتمل أنه ضرب مثلا لبعده الشيطان وإغوائه منه، والصحيح الأول. اهـ. ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له، إذ الأمر محمول على الغالب.
- ١٢- وفى الرواية العاشرة إثبات كرامات الأولياء، قاله النووى.
- ١٣- وفى الرواية الحادية عشرة بعض موافقات عمر رضي الله عنه.
- ١٤- ومن الرواية الثانية عشرة كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين.
- ١٥- تطيب قلب المسلم، فقد فعل صلى الله عليه وسلم ما فعل مع ابن أوى تطيبا لخاطر ابنه عبد الله، فإنه كان صحابيا جليلا، وقد سأل ذلك، فأجابته إليه، وقيل: مكافأة لعبد الله المنافق الميت، لأنه كان ألبس العباس حين أسريوم بدر قميصا.
- ١٦- وفيه عظيم مكارم أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء، وقابله بالحسنى. فألبسه قميصه كفنا، وصلى عليه، واستغفر له. قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٥].
- ١٧- وفى الحديث والآية تحريم الصلاة على المنافقين والدعاء لهم بالمغفرة، والقيام على قبرهم بالدعاء.
- ١٨- وقد مال بعض أهل الحديث إلى تصحيح إسلام عبد الله بن أبى، لكون النبى صلى الله عليه وسلم عليه وذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة فى حقه بما ينافى ذلك، فأقدم على الدعوى المذكورة، وهو محجوج بإجماع من قبله على نقيض ما قال، وإطباقهم على ترك ذكره فى كتب الصحابة مع شهرته، وذكر من هو دونه فى الشرف والشهرة بأضعاف مضاعفة.
- ١٩- استدل بعضهم بالحديث على التأليف بالوسائل الممكنة، فقد أخرج الطبرى «وما يغنى عنه قميص عن الله؟ وإنى لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه».
- ٢٠- وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حيا وميتا، لقوله عمر: إن عبد الله منافق، ولم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم قوله.

- ٢١- وأن المنهى عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم، لا التعريف.
- ٢٢- وأن المنافق تجرى عليه أحكام الإسلام الظاهرة.
- ٢٣- وأن الإعلام بوفاة الميت مجردا لا يدخل فى النعى المنهى عنه.
- ٢٤- وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجى بركته شيئا من ماله، لضرورة دينه.
- ٢٥- وفيه رعاية الحى المطيع بالإحسان إلى الميت العاصى.
- ٢٦- وفيه التكفين بالمخيط.
- ٢٧- وجواز تأخير البيان عن وقت النزول، إلى وقت الحاجة.
- ٢٨- وفيه العمل بالظاهر إذا كان النص محتملا.
- ٢٩- وفيه جواز تنبيه المفضل للفاضل على ما يظن أنه سها عنه.
- ٣٠- وتنبيه الفاضل المفضل على ما يشكل عليه.

والله أعلم

(٦٣٤) باب من فضائل عثمان

٥٤٠٣ - ٢٦ عن عائشة رضي الله عنها^(٢٦) قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيهِ. أو ساقِيهِ. فاستأذن أبو بكرٍ. فأذن له. وهو على تلك الحال. فتحدثت. ثم استأذن عمرُ. فأذن له. وهو كذلك. فتحدثت. ثم استأذن عثمانُ. فجلس رسول الله ﷺ. وسوى ثيابه - قال محمدٌ: ولا أقول ذلك في يومٍ واحدٍ - فدخلتُ فتحدثت. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكرٍ فلم تهتس له ولم تباله. ثم دخل عمرُ فلم تهتس له ولم تباله. ثم دخل عثمانُ فجلستُ وسويتُ ثيابك. فقال: ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكةُ.

٥٤٠٤ - ٢٧ عن عائشة رضي الله عنها^(٢٧)، زوج النبي ﷺ وعثمان ﷺ، أن أبا بكرٍ استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه، لا يس مرطاً عائشة، فأذن لأبي بكرٍ وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف. ثم استأذن عمرُ، فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان: ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيتُ إليه حاجتي ثم انصرفتُ. فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فرغت لأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما كما فرغت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجلٌ حسيٌّ. وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال، أن لا يبلغ إلي في حاجته».

٥٤٠٥ - - وفي رواية عن أبي موسى، أن عثمان وعائشة حدثاه، أن أبا بكرٍ الصديق استأذن على رسول الله ﷺ. فذكر بمثل حديث عقيل عن الزهريِّ.

٥٤٠٦ - ٢٨ عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ^(٢٨) قال: بينما رسول الله ﷺ في حائطٍ من حائط المدينة، وهو متكئ يرتكز بعودٍ معه بين الماء والطين، إذا استفتح رجلٌ. فقال: «افتح. وبشره بالجنة» قال: فإذا أبو بكرٍ. ففتح له وبشرته بالجنة. قال: ثم استفتح رجلٌ

(٢٦) حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قال يحيى بن يحيى أخبرنا وقال الآخرون حدثنا إسماعيل بن عيون

ابن جعفر عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة

(٢٧) حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد حدثني أبي عن جدي حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى بن

سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه

- وحدثناه عمرو الناقد والحسن بن علي الخلوالي وعبد بن حميد كلهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن

صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عثمان وعائشة حدثاه

أن أبا بكر

(٢٨) حدثنا محمد بن المثنى العنزي حدثنا ابن أبي عدي عن عثمان بن عياض عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعريِّ

آخِرُ. فَقَالَ: «افْتَحْ. وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عَمْرُ. فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرَ. قَالَ: فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «افْتَحْ. وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ: وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ. فَقَالَ اللَّهُمَّ صَبْرًا. أَوْ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

٥٤٠٧ - وفي رواية عن أبي موسى الأشعريؓ (-)، أن رسول الله ﷺ دخل حائطًا وأمرني أن أحفظ الباب. بمعنى حديث عثمان بن غياث.

٥٤٠٨ - ٢٩ عن أبي موسى الأشعريؓ (٢٩)، أنه توضأ في بيته ثم خرج. فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومي هذا. قال: فجاء المسجد. فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج. وجّه هاهنا. قال: فخرجت على أثره أسأل عنه. حتى دخل بئر أريس. قال: فجلست عند الباب. وبأبها من جريد. حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ. فقممت إليه. فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر. قال: فسلمت عليه. ثم انصرفت فجلست عند الباب. فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك. قال: ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن. فقال: «أئذن له وبشّره بالجنة» قال: فأقبلت حتى قلت لأبي بكر. ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. قال: فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجله في البئر، كما صنع النبي ﷺ، وكشف عن ساقيه. ثم رجعت فجلست. وقد تركت أحي يتوضأ ويلحقني. فقلت: إن يرد الله بفلان - يريد أخاه - خيرًا يأت به. فإذا إنسان يحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عمر ابن الخطاب. فقلت: على رسلك. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن. فقال: «أئذن له وبشّره بالجنة» فجئت عمر فقلت: أذن ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. قال: فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف، عن يساره، ودلى رجله في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا - يعني أخاه - يأت به. فجاء إنسان فحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك. قال: وجئت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أئذن له وبشّره بالجنة مع بلوى تصيبه» قال: فجئت فقلت ادخل.

(-) حدثنا أبو الربيع العتكي حدثنا حماد عن أيوب عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري (٢٩) حدثنا محمد بن مسكين البمامي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا سليمان وهو ابن بلال عن شريك بن أبي نجر عن سعيد بن المسيب أخبرني أبو موسى الأشعري

وَيُشْرِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصَيِّكُ. قَالَ: فَدَخَلَ. فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِيَ. فَجَلَسَ وَجَاهَهُمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ. قَالَ شَرِيكٌ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوْلَتْهَا قُبُورَهُمْ.

٥٤٠٩ - عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه (١٠٠) قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَلَكَ فِي الْأُمُورِ. فَتَبِعْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ دَخَلَ مَالًا، فَجَلَسَ فِي الْقُفِّ، وَكَشَفَ عَن سَاقَيْهِ، وَذَلَاهُمَا فِي الْبُئْرِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ يَحْيَى ابْنِ حَسَّانَ. وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ سَعِيدٍ: فَأَوْلَتْهَا قُبُورَهُمْ.

٥٤١٠ - فِي رِوَايَةٍ عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه (١٠١) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا إِلَى حَائِطٍ بِالْمَدِينَةِ لِحَاجَتِهِ. فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ. وَأَقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ. وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَتَأَوَّلْتُ ذَلِكَ قُبُورَهُمْ. اجْتَمَعَتْ هَاهُنَا، وَأَنْفَرَدَ عُثْمَانُ.

المعنى العام

عثمان بن عفان رضي الله عنه أبو عمرو القرشي، هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، قيل: إنه كان يكنى أبا عبد الله، بابنه عبد الله، الذي رزق به من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات عبد الله المذكور صغيراً، وله ست سنين، وحكى ابن سعد أن موته كان سنة أربع من الهجرة، وماتت أمه رقية قبل ذلك سنة اثنين.

وكان غنياً، لكنه أنفق كثيراً جداً من ماله في سبيل الله، وكان ثالث الخلفاء الراشدين، وكان مثلاً في صلة الرحم، وإكرام الأهل، مما أخذ عليه في مدة حكمه، وكان لين الجانب، يثق في القريبين منه حتى سلم خاتم الدولة لقريبه، فكان يختم به على أشياء لا يقرها.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وكان سبب قتله أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه، كان بالشام كلها معاوية، وبالبحيرة سعيد بن العاص، وبمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وبخراسان عبد الله بن عامر، وكان من حج من هذه الأمصار يشكو من أميره، وكان عثمان لين العريكة، كثير الإحسان والحلم، وكان يستبدل ببعض أمرائه، فيرضى الشاكين، ثم يعيده، إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح، فعزله، وكتب لهم كتاباً بتولية محمد بن أبي بكر الصديق، فرضوا بذلك، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا راكباً على راحلة، فاستخبروه، فأخبرهم أنه من عند عثمان، ومعه أمر باستقرار ابن أبي سرح، ومعاقبة جماعة من أعيانهم، فأخذوا الكتاب، ورجعوا، وواجهوه به، فحلف

(١٠٠) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ هَاهُنَا وَأَشَارَ لِي سُلَيْمَانُ إِلَى مَجْلِسِ سَعِيدِ نَاحِيَةِ الْمَقْصُورَةِ قَالَ أَبُو مُوسَى
(١٠١) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلُولِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَرْيَمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ

أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا: سلمنا كاتبك، فخشى عليه منهم القتل، وكان كاتبه مروان بن الحكم، وهو ابن عمه، فغضبوا، فحصبوه في داره، واجتمع جماعة من الصحابة يحمونه منهم، فكان ينهاتهم عن القتال، إلى أن تسوروا عليه من دار إلى دار، فدخلوا عليه، فقتلوه، فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم، وانفتح باب الفتنة، وكان ما كان، والله المستعان.

المباحث العربية

(كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي) في الرواية الثانية « أن أبا بكر ﷺ استأذن على رسول الله ﷺ، وهو مضطجع على فراشه، لابس مرط عائشة » والمرط بكسر الميم وسكون الراء كساء من صوف، وقيل: من صوف أو كتان أو غيره، وقيل: هو الإزار ففي هاتين الروایتين أن قصة كشف الساق ودخول أبي بكر وعمر وعثمان وقعت في بيت عائشة، أما الرواية الثالثة وما بعدها ففيها أن ذلك كان في حائط من حيطان المدينة، وعلى بئر أريس، ومن هنا قال الحافظ ابن حجر: أنكر الداودي أن يكون كشف الساق وتغطيته قد وقع في رواية البئر، وزعم أن ذكرها في رواية البئر من إدخال الرواة حديثا في حديث، وقرر أن كشف الركبة وتغطيتها عند دخول الثلاثة إنما وقع في بيت عائشة فحسب، قال الحافظ: ولا مانع أن يتفق للنبي ﷺ أن يغطي ذلك مرتين، حين دخل عثمان، وأن يقع ذلك في موطنين، ولا سيما مع اختلاف مخرج الحديثين، وإنما يقال ما قاله الداودي حيث تتفق الخارج، فيمكن أن يدخل حديث في حديث، لا مع افتراق الخارج، كما في هذا، فلا يلزم منه تغليب الرواية.

(كاشفا عن فخذه أو ساقيه) بالشك، وفي قصة البئر « عن ساقيه » بدون شك، وعند البخاري في قصة البئر « قد كشف عن ركبتيه، أو ركبته » والفخذ ما فوق الركبة، والساق ما تحتها. (فأذن له وهو على تلك الحال) أي أذن الرسول ﷺ له في الدخول عليه، وهو كاشف عن ساقيه.

(فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث) في الرواية الثانية انصرف كل منهما قبل مجيء الآخر، ولفظها « فقصى إليه حاجته، ثم انصرف » وفي روايتنا يقول الراوي « ولا أقول: ذلك في يوم واحد » وكأن دخول كل واحد كان في يوم غير يوم دخول الآخر، ومعنى قولها « وهو على تلك الحال » أي على حالة مشبهة تلك الحال، وهذا بخلاف قصة البئر، فكانت جلسة واحدة، وهيئة واحدة، اجتمعوا عليها، مما يدل على تعدد الواقعة.

(ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه) أي غطى ساقيه، زاد في الرواية « وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك » ويحتمل أن يكون هذا قبل الحجاب، فقد دخل عمر، ولم تؤمر عائشة بجمع ثيابها عليها. (فلما خرج) أي عثمان.

(قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله) قال النووي: هكذا هو في جميع نسخ بلادنا « تهتش » بالتاء بعد الهاء، وفي بعض النسخ الطارئة بحذفها، وفتح الهاء وكذا ذكره

القاضي، يقال: هش يهش - بفتح الهاء، هشاشة، وهشاشة والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه، وحسن اللقاء، أما الهش الذي هو خبط الورق من الشجر، فيقال منه: هش يهش بضم الهاء، قال تعالى ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ عَنَمِي﴾ [طه: ١٨] ومعنى «لم تباله» لم تكثرث به، ولم تحتفل لدخوله، يقال: بالاه يباليه مبالاة، أى اهتم به، واللامبالاة عدم الاهتمام، وأمر ذو بال، أى ذو أهمية، والبال الحال والشأن والخاطر، قال تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهُمُ﴾ [محمد: ٥] وفى الرواية الثانية «مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - كما فزعت لعثمان»؟ أى مالى لم أرك اهتمت بهما، واحتفلت بدخولهما، قال النووى: هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا «فزعت» بالزأى والعين، وكذا حكاه القاضي عن رواية الأكثرين، قال: وضبطه بعضهم «فرغت» بالراء والغين، وهو قريب من معنى الأول.

(فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟) «ألا» للعرض والتحضيض، أى أحث نفسى وأحضها على الحياء من رجل تستحي منه الملائكة، قال النووى: هكذا هو فى الرواية «أستحي» بياء واحدة فى كل واحدة منها، قال أهل اللغة: يقال: استحيا يستحي بياءين، واستحي يستحي، بياء واحدة، لغتان، الأول أفصح وأشهر، وفى الرواية الثانية «إن عثمان رجل حى» بكسر الياء الأولى وتشديد الثانية، أى كثير الحياء، «وانى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلى فى حاجة» أى خشيت أن يمنعه حيائه - إذا رأى مكشوف الساقين - من الدخول والوصول إلى، فلا يقضى منى حاجته التى جاء من أجلها.

(فى حائط من حائط المدينة) «حائط» جنس، يصدق على كثيرين، فكأنه قال من حوائط المدينة، أو من حيطان المدينة، وهو كذلك فى بعض النسخ، والحائط البستان وفى ملحق الرواية الرابعة «فوجدته قد سلك فى الأموال» أى قد دخل فى البساتين «فتبعته فوجدته قد دخل مالا» أى بستانا.

(وهو متكى) فى كتب اللغة: المتكى من استوى قاعدا على وطاء متمكنا.

(يركز بعود معه، بين الماء والطين) «يركز» بفتح الياء وسكون الراء وضم الكاف، أى يضرب طرفه وأسفله فى الطين، ليثبت فيه، وقد بينت الرواية الرابعة بداية القصة، وأن أبا موسى توطأ فى بيته، ثم خرج، قاصدا أن يلزم رسول الله ﷺ طول هذا اليوم، سأل عنه فى المسجد فقالوا: «خرج وجه ههنا» قال النووى: المشهور فى الرواية «وجه» بتشديد الجيم - أى وفتح الواو، أى وجه نفسه هذه الجهة، قال: وضبطه بعضهم بإسكانه، لوجود «خرج» أى خرج قاصدا هذا الوجه وهذه الجهة «قال: فخرجت على أثره» بفتح الهمزة والناء، أى أتبع آثار قدميه، أو أتبع طريقه «أسأل عنه، حتى» علمت أنه «دخل بئر أريس» والأريس بفتح الهمزة وكسر الراء مخففة، والإريس بكسر الهمزة وكسر الراء مشددة الحرات، أى بئر حرات، وهو فى الرواية مصروف، ولأبار المدينة أسماء، وبئر أريس معروف بالمدينة، قريب من قباء، وهو الذى سقط فيه خاتم النبى ﷺ من يد عثمان ؓ، وكان بجوار كل بئر حوض يملأ، فيستقى أو يتوطأ منه، ويحاط البئر وحوضه غالبا بحائط له باب، وقد يكتفى بباب البستان، «قال: فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، وتوطأ، فقامت إليه» أى توجهت نحوه «فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسط قفها» بضم القاف،

وتشديد الغاء، أى حافتها، وأصل القف الغليظ المرتفع من الأرض « وكشف عن ساقيه، ودلاهما فى البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت، فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم » وفى ملحق الرواية الثالثة « دخل حائطا، وأمرنى أن أحفظ الباب » والظاهر التعارض بين الرواية الرابعة، وفيها أن أبا موسى أراد أن يحفظ الباب من تلقاء نفسه، بل فى بعض الروايات، قال: « ولم يأمرنى » وبين ملحق الرواية الثالثة، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم أمره أن يحفظ الباب، وفى رواية أبى عوانة قال « يا أبا موسى، أملك على الباب، فانطلق، ففضى حاجته، وتوضأ، ثم جاء، فقع على قف البئر » وفى رواية الترمذى « يا أبا موسى، أملك على الباب، فلا يدخلن على أحد » ويرفع هذا التعارض باختلاف الزمان، إذ يحتمل أنه أمر بحفظ الباب أثناء قضاء الحاجة، وتطوع بحفظ الباب بعد الوضوء، ويعد جلوسه صلى الله عليه وسلم على حافة البئر.

(إذ استفتح رجل، فقال: افتح وبشره بالجنة، قال: فإذا أبوبكر) فى الرواية الرابعة « فجاأ أبو بكر فدفح الباب، فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر. فقلت: على رسلك » بكسر الراء وفتحها، لغتان، أى تمهل وتأن، يقال: ترسل فى كلامه وقراءته ومشيه، والرسل بكسر الراء والرفق والتؤدة « قال: ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: ائذن له، وبشره بالجنة » وظاهر الرواية الثالثة أن الرسول ﷺ أمر بالفتح والتبشير بالجنة قبل أن يعلم من المستفتح؟ وظاهر الرواية الرابعة أنه أمر بالفتح والتبشير بالجنة بعد أن علمه، ولا تعارض، فمن المحتمل أنه أمر بذلك قبل العلم، وأمر به بعد العلم.

(ففتحت له، وبشرته بالجنة) فى الرواية الرابعة « فأقبلت، حتى قلت لأبى بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ، معه فى القف، ودلى رجليه فى البئر، كما صنع النبى ﷺ، وكشف عن ساقيه » زاد فى رواية أن أبا بكر حين بشر بالجنة حمد الله.

(ثم استفتح رجل آخر) كان أبو موسى يتربح مجيء أخيه، فقد تركه فى البيت يتوضأ، ليلحق به فلما سمع التبشير بالجنة تمنى أن يكون المستفتح الثانى أخاه، فتقول الرواية الرابعة « ثم رجعت » أى إلى الباب « فجلست - وقد تركت أذى يتوضأ، ويلحقنى، فقلت: إن يرد الله بفلان - نكر اسم أخيه - خيراً، يأت به » الآن « فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، وقلت: هذا عمر يستأذن؟ فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فجئت عمر، فقلت: أذن، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، قال: فدخل، فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف، عن يساره، ودلى رجليه فى البئر » قال النووى: وقوله « دلى رجليه فى البئر » دليل للغة الصحيحة أنه يجوز أن يقول: دليت الدلو فى البئر كما يقال: أدليت، ومنهم من منع الأول. « قال: ثم رجعت، فجلست، فقلت » فى نفسى: « إن يرد الله بفلان خيراً - يعنى أخاه - يأت به، فجاأ إنسان، فحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، قال: وجئت النبى ﷺ، فأخبرته، فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، مع بلوى تصيبه، قال: فجئت، فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، مع بلوى تصيبك » فى رواية

« قال: فحمد الله، ثم قال: الله المستعان » وفي رواية عند أحمد « فجعل يقول: اللهم صبرا. حتى جلس ». « قال: فدخل، فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاههم من الشق الآخر » وجاههم « بكسر الواو، وضمها، أى قبالتهم، وفي مواجعتهم.

(قال سعيد بن المسيب) راوى الحديث عن أبى موسى:

(فأولتها قبورهم) فى الملحق الثانى « فتأولت ذلك قبورهم، اجتمعوا ههنا، وانفرد عثمان » يعنى أن الثلاثة دفنوا فى مكان واحد، وعثمان دفن فى مكان بائن عنهم، حيث دفن بالبقيع.

فقه الحديث

ذكر البخارى بالإضافة إلى حديث الباب، من فضائل عثمان رضي الله عنه:

١- حديث توليه الخلافة، وقد ذكرنا صدره عند الكلام على فضل عمر رضي الله عنه، ونذكر بقيته:

قال عمرو بن ميمون: « فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط [أى الذين رشحهم عمر للخلافة، على وعثمان والزيير وطلحة وسعد وعبد الرحمن] فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم » ليقل الاختلاف فى الاختيار « فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، وقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه والإسلام » أى والله رقيب عليه، والإسلام رقيب عليه « لينظرن أفضلهم فى نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلى، والله على أن لا ألوعن أفضلكم؟ قال: نعم، فأخذ بيد أحدهما [هو على] فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقدم فى الإسلام - بكسر القاف وفتحها مع فتح الدال « ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر، فقال مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له على، وولج أهل الدار، فبايعوه »

٢- قال البخارى: وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان » وقال « من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان » وروى البغوى فى الصحابة « لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين، يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: تبيعنيها بعين فى الجنة؟ فقال: يا رسول الله! ليس لى ولا لعيالى غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: أنجعل لى فيها ما جعلت له؟ قال: نعم. قال: قد جعلتها للمسلمين » فلعل عثمان حفر بئرا على هذه العين، أو بناها ووسعها، فنسب إليه حفرها. وأما تجهيز جيش العسرة، فعند الترمذى أنه جهزهم بثلاثمائة بعير، وعند أحمد أنه جاء بألف دينار فى ثوبه، فصحبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم حين جهز جيش العسرة، فقال صلى الله عليه وسلم « ما على عثمان ما عمل بعد اليوم » وعند أسد بن موسى فى فضائل الصحابة « حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسا فى العسرة ».

٣- وحديث « اثبت أحد، فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » كما ذكره فى فضائل أبى بكر.

٤- وحديث عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: إن المسورين مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، قالوا: ما يمنعك أن تكلم عثمان، لأخيه « أى لأجل أخيه، أو عن أخيه « الوليد » بن عقبة بن أبي معيط، وكان أخوا عثمان لأمه، وكان عثمان وولاه الكوفة، بعد أن عزل سعد بن أبي وقاص، الذي وولاه عثمان على الكوفة بوصية من عمر، ثم عزله بالوليد، سنة خمس وعشرين « فقد أكثر الناس فيه » أى فى شأن الوليد، ومنها أنه شرب الخمر، ولم يقم عليه عثمان الحد، فقد أخرج مسلم « أن عثمان أتى بالوليد، وقد صلى الصبح بالناس ركعتين وهو مخمور، وقال للناس عقب السلام إن شئتم أزيدكم، أى أزيد الصبح ركعات على أصلها، وشهد عليه رجالان، وأكثر الناس الكلام عن عزل سعد وتولية الوليد، وسعد أحد العشرة، ومن أهل الشورى، واجتمع له من الفضل والسنن والعلم والدين والسبق إلى الإسلام ما لم يتفوق شيء منه للوليد بن عقبة.

ونعود لحديث عبيد الله بن عقبة، قال: « فقصدت لعثمان، حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لى إليك حاجة، وهى نصيحة لك. قال: أعوذ بالله منك، قال: فانصرفت، فرجعت إليهما، إذ جاء رسول عثمان، فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين « يقصد هجرة الحبشة الأولى، والهجرة إلى المدينة، وكان عثمان ﷺ واحدا من أحد عشر رجلا وأربع نسوة وكانت معه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ » وصحبت رسول الله ﷺ، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس فى شأن الوليد؟ قال - عثمان مخاطبا عبيد الله: أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلص إلى من علم ما يخلص إلى العذراء فى سترها - أراد أن علم النبي ﷺ لم يكن مكتوما ولا خاصا، بل كان شائعا ذائعا، واصلا للعذراء فى سترها، فوصله إليه مع حرصه عليه أولى - قال: أما بعد: فإن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وأمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول الله ﷺ، وبايعته، فوالله ما عصيته، ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت. أفليس لى من الحق مثل الذى لهم؟ « فى رواية « أفليس لى عليكم من الحق مثل الذى كان لهم على »؟ من السمع والطاعة « قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم؟

أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا عليا، فأمره أن يجلبه « وأخرج مسلم أن عثمان قال لعلى: قم فاجلبه - بعد أن شهد عليه الشهود، وبعد أن قال لهم عثمان وما يدريكم أنه شرب الخمر؟ قالوا: هى التى كنا نشربها فى الجاهلية، أى نعرفها جيدا، ونعرف ربحها وأعراضها على شاربها - فقال على: قم يا حسن فاجلبه، فقال الحسن: ولّ حارها من تولى قارها، أى من انتفع بالولاية يحمل أثقالها ومساوئها ويقيم الحد على قريبه، فكأن علياً وجد على ابنه لرفضه، فقال: قم يا عبد الله بن جعفر فاجلبه. فجلده وعزله عثمان عن الكوفة بعد أن تولاه خمس سنين وولى بعده سعيد بن العاص.

٥- وحديث عثمان بن موهب قال: « جاء رجل من أهل مصر - وكانوا أبرز الخارجين على عثمان - وحج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا بن عمر، إنى سائلك عن شيء، فحدثنى عنه. هل تعلم أن عثمان

فريوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر؟ ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ فلم يشهدها؟ قال: نعم قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان.

ثم قال له ابن عمر: «أذهب بها الآن معك» أي توجه بما تمسكت به، فإنه لا ينفعك بعد ما بينت لك.

وعند النسائي: أرسل عثمان وهو محصور إلى علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، فحضروا، فأشرف عليهم، زاد الترمذي «يقال: هل تعلمون أن حراء حين انتفض، قال رسول الله ﷺ: اثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: نعم».

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها إلا بثمن، فابتعتها، فجعلتها للفقير والغنى وابن السبيل؟ قالوا: نعم.

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد، بخير منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي؟ فأنتم اليوم تمنعونني أن أصلي فيها؟

وفي رواية قال لهم: «وجيش العسرة، جهزتهم حتى لم يفقدوا عقلاً، ولا خطاماً».

وفي رواية قال لهم: «أنشد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: هذه يد الله وهذه يد عثمان ..».

وفي رواية قال لهم: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ زوجني ابنتيه؟ واحدة بعد أخرى؟ رضى بي؟ ورضى عني؟ قالوا: نعم.

وفي رواية «قال يا طلحة، أنشدك الله. أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فأخذ بيدي، فقال: هذا جليسي في الدنيا والآخرة؟ قال: نعم».

(فائدة) ولد عثمان بن عفان ﷺ بعد الفيل بست سنين على الصحيح، كان يلقب نا النورين، كان يقوم الليل، ويصوم الدهر، ويصل الرحم، وفي الإصابة: بويح في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وقتل في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، على الصحيح المشهور، ودفن في حش كوكب وهو أرض كان عثمان اشتراها، فوسع بها البقيع. ﷺ وأرضاه.

ويؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى والثانية، من قوله «كاشفاً عن فخذه» قال النووي: هذا الحديث مما يحتج به

المالكية وغيرهم ممن يقول: ليست الفخذ عورة، ولا حجة فيه، لأنه مشكوك في المكشوف، هل هو الساقان أو الفخذان، فلا يلزم منه الجرم بجواز كشف الفخذ.

٢- وفي هذا الحديث، وفي استمرار كشف النبي ﷺ ساقه مع حضور أبي بكر وعمر جواز تدلل العالم والفاضل بحضرة من يدل عليه من فضلاء أصحابه، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب، أو صاحب يستحي منه.

٣- وفيه فضيلة عثمان رضي الله عنه، وجلالته عند الملائكة.

٤- وفضيلة الحياء، وأنه صفة جميلة من صفات الملائكة.

٥- ومن تبشيرهم بالجنة في الرواية الثالثة فضيلة هؤلاء الثلاثة.

٦- وأنهم من أهل الجنة.

٧- وفيه فضيلة لأبي موسى رضي الله عنه.

٨- وجواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب.

٩- وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى.

١٠- ومن قوله عند توقع البلاء « والله المستعان » استحباب قول ذلك عند مثل تلك الحال.

١١- ومن قول سعيد بن المسيب « فأولتها قبورهم » وقوع التأويل في اليقظة، أي تأويل الإشارات إلى أحداث، وهو الذي يسمى الفراسة، وقد أخذ سعيد بن المسيب من اجتماع الصحابين مع النبي ﷺ على قف البئر، وانفراد عثمان تجاههم، اجتماعهم في الدفن، وانفراد عثمان عنهم في البقيع، وفي رواية « وقال سعيد: فأولت ذلك انتباز قبره من قبورهم » وفي رواية زيادة « اجتمعوا هنا، وانفرد عثمان » والظاهر أن هذا التأويل إنما وقع في نفس سعيد بعد دفنهم جميعاً، فهو يربط بين أخبار ماضية وأحداث حدثت تصدقها.

١٢- وفي وقوف أبي موسى على باب البئر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، وليس معنى ذلك أنه لم يكن له بواب لحظة من حياته، بل المعنى أنه لم يكن له بواب مرتب خاص بذلك على الدوام.

١٣- ومن تدلية الصحابين لساقيهما في البئر مدى حرص أبي بكر وعمر على موافقة رسول الله ﷺ في حركاته وسكناته.

١٤- وفي هذا الفعل أيضاً الحرص على راحة الرسول ﷺ، إن ربما لو لم يفعلوا ذلك استحيا منهما فرفع ساقيه.

والله أعلم

(٦٣٥) باب فضائل عليّ عليه السلام

٥٤١١ - ٣٠ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص^(٣٠)، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلّي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبي بعدي» قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعدًا. فلقيت سعدًا. فحدثته بما حدثني عامر. فقال: أنا سمعته. فقلت أنت سمعته؟ فوضع إصبعه على أذنيه فقال: نعم. وإلا فاستكتنا.

٥٤١٢ - ٣١ عن سعد بن أبي وقاص عليه السلام^(٣١) قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك. فقال: يا رسول الله! تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي».

٥٤١٣ - ٣٢ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص^(٣٢)، عن أبيه عليه السلام قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا الثراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ﷺ، فلن أسبه. لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض معاربه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي» وسمعته يقول يوم خيبر: «لعلين الرؤية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فطأوتنا لها. فقال: «ادعوا لي عليًا» فأتني به أرمد. فبصق في عينه. ودفع الرؤية إليه. ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

(٣٠) حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو جعفر محمد بن الصباح وعبيد الله القواريري وسريح بن يونس كلهم عن يوسف بن الماجشون واللفظ لابن الصباح حدثنا يوسف أبو سلمة الماجشون حدثنا محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد

(٣١) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا غندر عن شعبة ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن سعد بن أبي وقاص - حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة في هذا الإسناد.

(٣٢) حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد وقارنا في اللفظ قالا حدثنا حاتم وهو ابن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد

٥٤١٤ - عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه (٣٢)، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى».

٥٤١٥ - ٣٣/٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٣٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرَتْ لَهَا، رَجَاءً أَنْ أَدْعَى لَهَا. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. وَقَالَ امشِ. وَلَا تَلْتَفِتْ. حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ» قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ. فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. إِلَّا بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

٥٤١٦ - ٣٤/٥ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه (٣٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «أَيُّنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ. فَأْتِي بِهِ. فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبِرَأً حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: انْفِذْ عَلَى رَسُولِكَ. حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ اذْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يُحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ! لَأَنْنَ يَهْدِيَّ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

٥٤١٧ - ٣٥/٦ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه (٣٥) قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي

(٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ

(٣٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَعْنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٣٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ حَارِمٍ عَنْ أَبِي حَارِمٍ عَنْ سَهْلِ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ هَذَا

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَعْنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَارِمٍ أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدِ

(٣٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ

خَيْرَ، وَكَانَ رَمِدًا. فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَخَرَجَ عَلَيَّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ. فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا غَطِينَ الرَّأْيَةَ، أَوْ لِيَأْخُذَنَّ بِالرَّأْيَةِ، غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيِّ. وَمَا نَرُجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيُّ. فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّأْيَةَ. فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

٣٦٦ - ٥٤١٨ - عن يزيد بن حيان^(٣٦) قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم. فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا. رأيت رسول الله ﷺ. وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا. حدثنا يا زيد! ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي! واللّه! لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ. فما حدثتكم فاقبلوا. وما لا، فلا تكلفوه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا. بماء يدعى خمًا. بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر. ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: «وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيتي؟ يا زيد! أليس نساؤه من أهل بيتي؟ قال: نساؤه من أهل بيتي. ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

٥٤١٩ - عن أبي حيان^(٣٧)، بهذا الإسناد، نحو حديث إسماعيل، وزاد في حديث جرير «كتاب الله فيه الهدى والنور. من استمسك به وأخذ به، كان على الهدى. ومن أخطأه، ضل».

(٣٦) حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعًا عن ابن علية قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن حيان
(٣٧) وحدثنا محمد بن بكر ابن الريان حدثنا حسنا يعني ابن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ وساق الحديث بنحوه بمعنى حديث زهير
- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير كلاهما عن أبي حيان

٥٤٢٠-٣٧ عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه ^(٣٧) قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا. لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. هُوَ حَبْلُ اللَّهِ. مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى. وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ» وَفِيهِ: فَقُلْنَا: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ نِسَاؤُهُ؟ قَالَ: لَا. وَإِنَّمِ اللَّهُ! إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ. ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَقَوْمِهَا. أَهْلُ بَيْتِهِ أَصْلُهُ، وَعَصَبَتُهُ الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.

٥٤٢١-٣٨ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ^(٣٨) قَالَ: اسْتُعْمِلَ عَلِيُّ الْمَدِينَةَ رَجُلًا مِنْ آلِ مَرْوَانَ. قَالَ فَدَعَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا. قَالَ: فَأَبَى سَهْلٌ. فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِذْ أُبَيِّتَ فَقُلْ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ. فَقَالَ سَهْلٌ: مَا كَانَ لِعَلِيِّي اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي التُّرَابِ. وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِيَ بِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ. لِمَ سُمِّيَ أَبَا تُرَابٍ؟ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْتَ فَاطِمَةَ. فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟» فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ. فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ. فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلْإِنْسَانِ: «انظُرْ. أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُضْطَجِعٌ. قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ. فَأَصَابَهُ تُرَابٌ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا التُّرَابِ! قُمْ أَبَا التُّرَابِ!».

المعنى العام

على بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ثلاثين سنة، وقد تربي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من صغره، إذ كان أبوه الحامى والمدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة بعد الهجرة، وكان من أشجع الصحابة، وله مواقف الجرأة والمنازلة، والمبارزة يوم بدر ولما حاصر المسلمون يهود خيبر أياما وكانوا قد تحصنوا فى حصون منيعة أعدوها لهذا اليوم، وجمعوا فيها قوت أشهر، وكانوا يخرجون من الحصون يناوشون جيش المسلمين، ثم يعودون، فيتحصنون، استمر حصار المسلمين لهم أياما، دون فتح، وأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة أن المسلمين سيفتحون خيبر بقيادة على رضي الله عنه، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين أجهدهم طول الحصار، حتى أكلوا البصل والثوم الأخضر وذبحوا الحمير، قال لهم: سأعطى الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله

(٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ بْنُ الرِّيَّانِ حَدَّثَنَا حَسَّانُ يَغْنِي ابْنَ إِبرَاهِيمَ عَنْ سَعِيدٍ وَهُوَ ابْنُ مَسْرُوقٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ

(٣٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَغْنِي ابْنَ أَبِي حَارِمٍ عَنْ أَبِي حَارِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ

ويحبه الله ورسوله، وسيفتح الله خيبر على يديه، وتمنى كل واحد منهم أن ينال هذا الشرف العظيم، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما تمنيت الإمارة في يوم من الأيام، إلا في تلك الساعة، وانتظر المسلمون الصباح بفارغ الصبر، وسارعوا إلى رسول الله ﷺ، وكل من زعمائهم وقادتهم يتناول بعنقه نحو الرسول ﷺ، يرجو هذا الشرف، وكأنه يقول: أنا هو؟ فقال رسول الله ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ لم يكن أحد منهم ينتظر ذلك، فعلى مريض، يشكو عينيه، ولم يحضر حصار الأيام الماضية ولقد تركوه بالمدينة، لكنهم قاموا يبحثون عنه - وإذا بسلمة بن الأكوع يراه من بعيد قادمًا من المدينة، لقد لام نفسه على أن يتخلف عن رسول الله ﷺ، مهما كان عذره، فتحامل، وصبر وصابر، ولحق بالجيش، وصحبه سلمة إلى رسول الله ﷺ، فبصق في كفه الشريف، ومسح بكفه على عينيه، فبرأ كأن لم يكن به وجع، وسلمه راية القيادة، فبارز قائد اليهود، فقضى عليه، وفتح الله به خيبر.

ومرت الأيام، وتعددت الغزوات. عزوة مؤتة والحرقات والفتح وحنين، وأوطاس، والطائف، وفي كل غزوة منها نجد عليًا رضي الله عنه جنديًا عاملاً مجاهدًا، إن وضع في المقدمة كان في المقدمة، وإن وضع في الساقة كان في الساقة، ليس حريصًا على قيادة، وإن كان أهلاً لها، ولا أسفاً عليها إن أبعد عنها، وهكذا كانت تربية الإسلام للقيادة، بل في أصعب الغزوات وأشدّها وأخطرها، غزوة تبوك، نجد الرسول ﷺ يحجبه عنها، ويعينه على المدينة، غائبًا عن المحاربين، ويتألم البطل الشجاع من هذا القرار، ويتظلم لرسول الله ﷺ، ويقول له: أتخلفني هنا مع النساء والصبيان؟ والرسول الحكيم ﷺ، حريص على أن يدرّب القيادة على قيادة الشعب، كما يدرّبها على قيادة الجيش والرسول ﷺ هو قائد المسلمين في الحرب وفي السلم.

فليخلف عليًا على المدينة في هذه الغزوة، فقال له: ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ لقد خلف موسى أخاه هارون في قومه، حين ذهب لمناجاة ربه، وأنا أخلفك على أهل المدينة في غزوتي هذه، فقال علي ﷺ: رضيت يا رسول الله.

المباحث العربية

(أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي) في الرواية الثانية « خلف رسول الله ﷺ على بن أبي طالب في غزوة تبوك » أي خلفه مكانه على المدينة « فقال: يا رسول الله! تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي » وفي الرواية الثالثة « خلفه في بعض مغازيه » أي تبوك « فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أن لا نبوة بعدي » وعند أحمد وابن سعد، أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلي: « لا بد أن أقيم أو تقيم، فأقام علي، فسمع ناسًا يقولون: إنما خلفه لشيء كرهه منه، فاتبعه فذكر له ذلك، فقال له: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ فقال علي: رضيت. رضيت. بلى يا رسول الله. قال: فإنه كذلك ».

وفي الكلام تشبيهه من حيث المعنى. أي أنت في صلتك بي تشبه هارون في صلته بموسى، ووجه

الشبه ليس أخوة النسب قطعاً، وليس النبوة المشتركة بين موسى وهارون، فهي منفية بلفظ الحديث، فدل ذلك على أنه الخليفة في غيابه، كما قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي، فعلى كان المستحق للخلافة من بعده. هكذا يفهم بعض الشيعة، ويجيب أهل السنة بأن هارون المشبه به إنما كان خليفة في حياة موسى، حين ذهب لميقات ربه، للمناجاة لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى بالاتفاق وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على المشهور، فالتشبيه إنما هو في قيام عليّ على المدينة في فترة غياب الرسول ﷺ عنها في هذه الغزوة فقط، فقد أقام صلى الله عليه وسلم غيره على المدينة في غير هذه الغزوة.

(قال سعيد: فأحبت أن أشافه بها سعدا، فلقيت سعدا، فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته. فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه، فقال: نعم، وإلا فاستكتا) أصل الإسناد: عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال... إلخ، فسعيد استوثق من سعد نفسه ما سمعه من ابنه، وقول سعد «وإلا فاستكتا» بتشديد الكاف، دعاء على أذنيه بالصمم إن لم تكونا سمعنا ما أخبر به أنه سمعه، يقال: استك أي انسد، واستكت مسامعه أي صمت.

(أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا) المأمور به محذوف، لصيانة اللسان عنه، والتقدير: أمره بسب علي ﷺ، وكان سعد قد اعتزل الفتنة، [حرب علي مع خصومه]، ولعله اشتهر عنه الدفاع عن علي.

(فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب)؟ معطوف على محذوف، والتقدير: أمر معاوية سعدا أن يسب عليا، فامتنع، فقال له: ما منعك؟

ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء، فيقول: قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها، قالوا: ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدا بسبه، وإنما سأل عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول هل امتنعت تورعا؟ أو خوفا؟ أو غير ذلك؟ فإن كان تورعا وإجلالا له عن السب، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدا كان في طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار عليهم، فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلا آخر، أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده؟ وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا، وأنه أخطأ. اهـ.

وهذا تأويل واضح التعسف والبعث، والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي، وهو غير معصوم، فهو يخطئ، ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ، وسب علي في عهد معاوية صريح في روايتنا التاسعة.

(أما ما ذكرت ثلاثا - قالهن له رسول الله ﷺ - فلن أسبه) « ما ذكرت » بضم التاء للمتكلم، و« ما » ظرفية دوامية، والمعنى لا أسبه مدة ذكرى لثلاث، طالما أنا أذكر ثلاثا.

(لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم) اللام في جواب قسم محذوف،

و«حمر النعم» الإبل الحمر، وهى أنفوس أموال العرب، يضربون بها المثل فى نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيهه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها.

(يقول له: خلفه فى بعض مغازيه) الجملة ليست مقول القول، وإنما هى تعبير من الراوى عن مقول القول، ومقول القول الأصلي: أخلفك فى المدينة فى هذه الغزوة.

(خلفتني مع النساء والصبيان)؟ الكلام على سبيل الاستفهام الإنكارى، أى لا ينبغي أن تخلفنى .

(فتطاولنا لها) وفى الرواية الرابعة « ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى إليها » ومعنى الروایتين واحد، أى رفعنا وجوهنا ورءوسنا، كناية عن التصدى لها.

وفى الرواية الخامسة « فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها »؟ قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ والروايات « يدوكون » بضم الدال وبالواو، أى يخوضون ويتحدثون فى ذلك، وفى بعض النسخ « يذكرون » بإسكان الدال وبالراء. اهـ. أى يذكر كل منهم هذا القول، فيتوقع كل منهم ما يتوقع.

(فقال: ادعوا لى عليا) معطوف على محذوف، أى فأصبح فقال إلخ.

(فأتى به أرمده، فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه) فى الرواية الرابعة « فدعا رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب فأعطاه إياها » وفى الرواية الخامسة « فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله - يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا إليه » بفتح السين « فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية » وفى الرواية السادسة « كان على قد تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر، وكان رمدا، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فخرج على، فلحق بالنبى ﷺ، فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها قال رسول الله ﷺ، لأعطين الراية - أولياخذن بالراية غدا رجل يحب الله ورسوله - أو قال: يحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلى، وما نرجوه، فقالوا: هذا على، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية » ولا تعارض بين الروايات، والجمع سهل، وبعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر

(ففتح الله عليه) وقد ذكرنا سير المعركة ونتيجتها عند الكلام عن غزوة خيبر.

(ولما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ... ﴾) دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: « اللهم هؤلاء أهلى » هذه هى الفضيلة الثالثة لعلى ﷺ فى نظر سعد ابن أبى وقاص، وهى أن عليا من أهل رسول الله ﷺ، بل اعتبره من أبنائه.

وسياتى الكلام على آل بيته صلى الله عليه وسلم.

(فأعطاه إياها، وقال: امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك، قال، فسار على شيئا ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يارسول الله! على ماذا أقاتل الناس)؟ قال النووى: هذا الالتفات المنهى عنه يحتمل وجهين. أحدهما أنه على ظاهره، أى لا تلتفت بوجهك يمينا ولا شمالا،

ولا خلفا، بل اجعل وجهك إلى الأمام دائما، ويلزمه الإقدام وعدم التراجع والثبات، فالكلام على الحقيقة، الثانى أن المراد الحث على الإقدام والمبادرة، وعدم التشاغل بغير ما توجه له، فالكلام على سبيل الكناية، التى هى لفظ أطلق وأريد لازم معناه، مع صحة إرادة المعنى الأصلي، وحمله بعضهم على الكناية البعيدة، على معنى: لا تنصرف عن القتال بعد لقاء عدوك براحة أو توقف أو هدنة، حتى يفتح الله عليك، فقد كانت الأيام الأولى من القتال قبل تسلم على الراية مناوشات يرجع المسلمون بعدها إلى عسكرهم، ويرجع أهل خيبر إلى حصونهم.

وقد حمله على ﷺ على الحقيقة، ولم يتلفت بوجهه إلى الخلف نحو الرسول ﷺ حين احتاج لسؤاله، بل سأل سؤاله بدون مواجهة.

(قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى «خما» بين مكة والمدينة) «خما» بضم الخاء وتشديد الميم، وهو اسم لغیضة أى لمكان يكثرفيه الشجر، على ثلاثة أميال من المكان الذى يسمى الحسنة، وعنده غدیر غير مشهور، يضاف إلى الغیضة، فيقال: غدیر خم.

(وأنا تارك فيكم ثقلين) بفتح التاء والقاف، أى أمرين ثقلين عظيمين، شأنهما كبير، والعمل بهما ثقيل.

(كتاب الله... وأهل بيتى) فى الرواية السابعة « أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس » وفى الرواية الثامنة « فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا. وإيم الله! إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر » أى الزمن القصير من الزمن الطويل، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده. »

قال النووي: هاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف فى معظم الروايات فى غير مسلم أنه قال: « نساؤه لسن من أهل بيته، فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يسكنونه ويعولهم، وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلا، ووعظ فى حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات فى هذا كله، ولا يدخلن فىمن حرم الصدقة، قال: وقد أشار إلى هذا فى الرواية الأولى بقوله « نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة » فاتفقت الروايتان. اهـ. وحاصل التوفيق والجمع، أن نساءه رضى الله عنهن من أهل بيته من جهة الاحترام والتقدير، وليس من أهل بيته من جهة تحريم الصدقة عليهم، فى الإثبات تراد جهة، وفى النفي تراد أخرى. وسيأتى خلاف الفقهاء فى تحديد أهل بيته ﷺ.

(فأمره أن يشتم عليا) أى يسب عليا رضى الله عنه باسمه.

(فقال له: أما إذا أبييت فقل: لعن الله أبا التراب) أى حيث أبييت سبه باسمه، فسبه بكنيته « أبى التراب » ويلمحون بذلك إلى تنقيصه بهذه الكنية، فكان الرد عليهم:

(ما كان لعلى اسم أحب إليه من أبى التراب، وإن كان ليفرح إذا دعى بها) وفى رواية « وما سماه أبا تراب إلا النبى ﷺ » وأطلق كلمة « اسم » وأراد بها الكنية « وإن » فى قوله « وإن كان ليفرح » مخففة من الثقيلة.

(أين ابن عمك) هو ابن عم أبيها، ففي هذا الإطلاق تجوز للاستعطاق.

(كان بيني وبينه شيء) أى من الخلاف والنقاش.

(فغاضبني فخرج) كان حقها أن تقول: فغاضبته، فخرج، لأنه هو الغضبان، ولكنها المرأة.

(فلم يقل عندي) « يقل » بفتح الياء وكسر القاف، من قال يقل قيلولة، وهى النوم نصف النهار.

(فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟) قال الحافظ ابن حجر: يظهر لى أنه سهل، راوى الحديث، لأنه لم يذكر أنه كان مع النبي ﷺ أحد، وللبخارى فى الأدب « فقال النبي ﷺ لفاطمة: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد » فيحمل طلبه ﷺ من سهل أن ينظر أين هو؟ أى فى أى مكان هو من المسجد؟ .

(هو فى المسجد راقد) عند الطبرانى « فوجده مضطجعا فى فىء الجدار » أى فى ظل جدار المسجد داخله.

(فجاءه رسول الله ﷺ، وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه، ويقول: قم أبا تراب) أى كان ينام على جنبه الذى سقط عنه الرداء، ولاصق الأرض، فلصق به التراب، وخلص التراب إلى ظهره، فلما قعد رأى التراب على هذا الجنب، فأخذ رسول الله ﷺ يمسح عنه هذا التراب، ويقول له مداعبا مضاحكا: يا أبا التراب. يا أبا التراب. مرتين.

قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن ذلك هو أول قول هذه الكلمة، لكن ثبت فى غزوة العسرة أن النبي ﷺ خاطبه بذلك هناك، قال: وهذا إن ثبت حمل على أنه خاطبه بذلك فى حالة أخرى. والله أعلم

فقه الحديث

على بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبو الحسن، ابن عم رسول الله ﷺ .

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وكان قد رياه النبي ﷺ من صغره.

أول الناس إسلاما فى قول كثير من أهل العلم، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، إلا غزوة تبوك، ولما آخى النبي ﷺ بين الصحابة، قال له: أنت أختى.

واشتهر بالفروسية والشجاعة، وكان أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة، فعرضها عليه عبد الرحمن ابن عوف، وشرط عليه شروطا، امتنع من بعضها، فعدل عنه إلى عثمان، فقبلها، فولاه، وسلم على وبائع عثمان، فلما قتل عثمان بايعه الناس، ثم كان ما كان من وقعة الجمل وصفين، ثم استشهاده رضى الله عنه ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين بعد الهجرة، وكانت مدة خلافته خمس سنين، تنقص ثلاثة أشهر ونصف شهر، على الصحيح.

ومناقبه كثيرة. قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلی: وقال غيره: كان سبب ذلك بغض بنی أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحاب يثبته، وكلما أراد الأمويون إخماده ازداد انتشارا، وقد ولدت له الرافضة مناقب موضوعة، هو غنى عنها.

ولقد صار الناس في حق علي عليه السلام بعد الفتنة على ثلاثة: أهل السنة، والمبتدعة من الخوارج، والمحاريين له من بنی أمية وأتباعهم، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، لكنهم أكثروا في ذلك، وقام الطرفان: الثاني الرافضة بصنع أحاديث كثيرة لا أصل لها، وذهب الخوارج - وكانوا من أنصاره - إلى بغضه، وزادوا حتى كفروه، لقبوله التحكيم، وضموه إلى عثمان في التكفير، أما الأمويون فتنقصوه، واتخذوا لعنه على المنابر سنة.

وقال النووي: قال القاضي عياض: عن الرواية الأولى: هذا الحديث مما تعلق به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلی، وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا، لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد عليهم أحد، أو يناظرهم، قال: ولا شك في كفر من قال هذا، لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول، فقد أبطل نقل الشريعة، وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره، لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة، لجواز تقديم المفضول عندهم.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلی، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأنه كان خاصا بغزوة تبوك، كما قدمنا في المباحث العربية.

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

- ١- من الرواية الأولى قال العلماء: في قوله عليه السلام « لا نبى بعدى » دليل على أن عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان حكماً من حكام هذه الأمة، يحكم بشريعة نبينا محمد عليه السلام، ولا ينزل نبيا، كما سبق توضيحه في كتاب الإيمان.
- ٢- من مشافهة سعيد بن المسيب لسعد بن أبي وقاص عن الحديث مدى حرص التابعين على الاستيثاق من الحديث.
- ٣- وحرصهم على علو الإسناد.
- ٤- ومن رد سعد بن أبي وقاص ثقة الصحابة في أحاديثهم، والتأكد منها، وتأكيدهم لسامعهم صحتها.
- ٥- ومن الرواية الثالثة، من رفض سعد سب علي رضي الله عنهما قوة سعد وصلابته في دين الله، وجراته في قوله الحق، غير خائف من أذى أو لومة لأثم.
- ٦- ومن قوله « يحبه الله ورسوله » فضيلة لعلی عليه السلام.
- ٧- ومن تناول الصحابة للراية، وقول عمر « ما أحببت الإمارة إلا يومئذ » فضيلة أخرى لعلی، وإنما كانت محبته لها لما دلت عليه الإمارة من محبته لله ورسوله عليه السلام ومحبتهم له، والفتح على يديه.

- ٨- ومن فتح الله خيبر على يد علي عليه السلام معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لإخباره بما سيقع.
- ٩- وفي بصرى الرسول صلى الله عليه وسلم فى عينى على عليه السلام، وشفائهما معجزة أخرى.
- ١٠- وفى الحديث الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، قال النووى: وقد قال بإيجابه على الإطلاق طائفة، ومذهبنا ومذهب آخرين أنهم إن كانوا ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال، وإلا فلا يجب، لكن يستحب.
- ١١- وفيه قبول الإسلام ممن نصبوا القتال، سواء كان فى حال القتال أم فى غيره، وحسابهم على الله، أى نكف عنهم فى الظاهر، وأما ما بينهم وبين الله تعالى، فإن كان صادقاً مؤمناً بقلبه نفعه ذلك فى الآخرة، ونجا من النار، كما نفعه فى الدنيا، وإلا فلا ينفعه، بل يكون منافقاً من أهل النار.
- ١٢- وفيه أنه يشترط فى صحة الإسلام النطق بالشهادتين، فإن كان أخرس، أو فى معناه كفته الإشارة إليهما.
- ١٣- وفيه بيان فضيلة العلم، لقوله «لأن يهدى الله بك رجلاً... إلخ».
- ١٤- والدعاء إلى الهدى، وسن السنن الحسنة.
- ١٥- فى الرواية السابعة والثامنة الوصاية بأهل البيت، واختلف فى المراد بهم، والراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب على الأرجح، وعن أبى حنيفة ومالك: بنو هاشم فقط.
- وفى حديث أبى حميد «أزواجه وذريته» وقد أطلق على أزواجه عليه السلام آل محمد، فى حديث عائشة «ما شيع آل محمد من خبز مآدوم ثلاثاً» وحديث أبى هريرة «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» وقيل: المراد بآله ذرية فاطمة خاصة، وقيل: هم جميع قريش، وقيل: جميع أمة الإجابة، وهو يتعارض مع نصوص الأحاديث.
- ١٦- وفى الرواية التاسعة جواز القائلة فى المسجد.
- ١٧- وإطلاق ابن العم على أقارب الأب، لأنه ابن عم أبيها، وقال عنه «ابن عمك؟».
- ١٨- وفيه إرشادها إلى أن تخاطبه بذلك، لما فيه من الاستعطاف بذكر القرابة.
- ١٩- وفيه مازحة المغضب بما لا يغضب منه وبما يحصل به تأنيسه.
- ٢٠- وفيه التكنية بغير الولد.
- ٢١- وتكنية من له كنية.
- ٢٢- والتلقيب بالكنية لمن لا يغضب.
- ٢٣- ومداراة الصهر، وتسكين غضبه.
- ٢٤- ودخول الوالد بيت ابنته، بغير إذن زوجها، حيث يعلم رضاه.

والله أعلم

(٦٣٦) باب من فضائل سعد بن أبي وقاص

٥٤٢٢ - ٣٩ عن عائشة رضي الله عنها^(٣٩) قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «لئت رجلاً صالحاً من أصحابي يخرسني الليلة» قالت: وسمعنا صوت السلاح. فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله! جئت أحرصك. قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطة.

٥٤٢٣ - ٤٠ أن عائشة رضي الله عنها^(٤٠) قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة. فقال: «لئت رجلاً صالحاً من أصحابي يخرسني الليلة» قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح. فقال: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرصه. فدعا له رسول الله ﷺ. ثم نام. وفي رواية ابن رُمح: فقلنا من هذا؟

٥٤٢٤ - وفي رواية عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قالت عائشة: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة. بمثل حديث سليمان بن بلال.

٥٤٢٥ - ٤١ عن علي بن أبي طالب^(٤١) قال: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك. فإنه جعل يقول له يوم أحد: «ارم فذاك أبي وأمي».

٥٤٢٦ - ٤٢ عن سعد بن أبي وقاص^(٤٢) قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد.

(٣٩) حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عائشة (٤٠) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رُمح أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عائشة

- وحدثناه محمد بن المنثري حدثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد يقول: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول - حدثنا محمد بن المنثري وابن بشار قالوا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع ح وحدثنا أبو كريب وإسحق الحنظلي عن محمد بن بشر عن مسعر ح وحدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مسعر كلهم عن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن شاذان عن علي بن النبي ﷺ بمثله.

(٤١) حدثنا منصور بن أبي مزاحم. حدثنا إبراهيم (يعني ابن سعد) عن أبيه، عن عبد الله بن شداد. قال: سمعت علياً يقول (٤٢) حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا سليمان يعني ابن بلال عن يحيى وهو ابن سعيد عن سعد بن أبي وقاص

- حدثنا قتيبة بن سعيد وابن رُمح عن الليث بن سعد ح وحدثنا ابن المنثري حدثنا عبد الوهاب كلاهما عن يحيى بن سعيد بهذا الإسناد.

٥٤٢٧- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ (٤١)، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» قَالَ: فَتَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ، لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ. فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ، فَسَقَطَ، فَاثْبَتْتُ عَوْرَتَهُ، فَضَجَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِدِهِ.

٥٤٢٨- ٤٣ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ (٤٣)، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ. وَلَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ. قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ. وَأَنَا أُمُّكَ. وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ. فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ. فَسَقَاهَا. فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْمَةً عَظِيمَةً. فَبَادَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ. فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ. فَقُلْتُ: نَفَلَنِي هَذَا السَّيْفُ. فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ. فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنِّي حَيْثُ أَخَذْتَهُ» فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لَامَتْنِي نَفْسِي، فَارْجَعْتُ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: أَعْطِيهِ. قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِنِّي حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ قَالَ وَمَرَضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي. فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ. قَالَ: فَأَبَى. قُلْتُ: فَالْصَّنْفُ. قَالَ: فَأَبَى. قُلْتُ: فَالْثُلُثُ. قَالَ: فَسَكَتَ. فَكَانَ، بَعْدُ، الثُّلُثُ جَائِزًا. قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ. فَقَالُوا: تَعَالِ نُطْعِمُكَ وَنَسْقِيكَ حَمْرًا. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ. فَبَادَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ وَرِزْقٌ مِنْ خَمْرِ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لِحْيِي الرَّأْسِ فَصَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بَأَنفِي. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

٥٤٢٩- ٤٤ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ (٤٤)، أَنَّهُ قَالَ: أَنْزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ. وَسَاقَ

(٤٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ
(٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ
(٤٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ

الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنِ سِمَاكٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بَعْصًا. ثُمَّ أَوْجَرُوهَا. وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا: فَضْرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ. وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُورًا.

٥٤٣٠ - ٤٥/٨ عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه (٤٥): فِي نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي سِتَّةِ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُذْنِبِي هَؤُلَاءِ؟!

٥٤٣١ - ٤٦/٩ عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه (٤٦): قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سِتَّةَ نَفَرٍ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُنَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ. فَحَدَّثَ نَفْسَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

المعنى العام

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أوائل السابقين إلى الإسلام، ومن كبار المجاهدين من الصحابة، كان مشهوراً بالفروسية والشجاعة والذكاء، والفراسة، وبعد النظر، شارك الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته وضرب المثل الأعلى في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، والحرص عليه وحمايته من كل سوء، وكان يحرسه مما يخاف عليه منه، يقف على بابه ساهراً مستعداً بسلاحه في السلم، ويفديه بصدرة في الحرب، وعند الشدائد يعرف الحب والإخلاص، وفي الأزمات تتبين المعادن الأصيلية، لقد هزم المسلمون في أحد، وفاجأت الصدمة الشجعان فأذهلتهم، وممن غشى عليه سعد بن أبي وقاص، انتبه فوجد نفسه على الأرض، أفاق فوجد أمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط به المشركون وليس معه إلا أقل من عشرة من المسلمين، يحيطون به، ويقدمون نحورهم فداء لنحره، وسعد من كبار الرماة، تحسس جعبة سهامه فوجدها مليئة، وتحسس نبله فوجده جاهزاً، فأخذ يرمى المشركين حتى نفذت سهام جعبته، وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينثرله جعبته، ويقول له: ارم يا سعد! فذاك أبي وأمي. ويرمى سعد، فتنفذ السهام، فيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة العائدين بعد فرار فيقول لهم: انثروا جعبكم أمام سعد، ويظل سعد يرمى في نحور المشركين حتى بعدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا عن المسلمين.

وكانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له: اللهم! سدده رميته، وأجب دعوته. فكان مجاب الدعوة، كما كان سديد الرمي، وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عاون أبا بكر في حروبه، وعينه عمر رضي الله عنه قائداً لجيوش المسلمين في حربهم لكسرى، ففتح بلاد كسرى، وفتح العراق، وبنى مدينة الكوفة، وعينه عمر رضي الله عنه والياً على الكوفة، ولما عزل عمر استجابة لشكاية من بعض أهلها وكانت تهماً باطلة قال في وصيته: لم أعزله عن قصور، ورشحه أحد الستة الذين حصر الخلافة فيهم من بعده، وأوصى بالاستعانة به.

(٤٥) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ سَعْدِ
(٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ سَعْدِ

رضى الله عنه وأرضاه، ورضى عن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة) « أرق » بفتح الهمزة وكسر الراء وفتح القاف، أى سهر، ولم يأت نوم، فى الرواية الثانية « سهر رسول الله ﷺ، مقدمه المدينة ليلة » أى فى أوائل إقامته بالمدينة وعند البخارى « كان النبى ﷺ سهر فلما قدم المدينة » وفى ليلة من الليالى بعد أن تزوج عائشة، وكان يخاف غدر اليهود « قال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة » ولم يبين زمان السهر، وظاهر أن السهر كان قبل القدوم، والقول بعده، وظاهر روايتنا أن السهر والقول معا كانا بعد القدوم، وعند النسائى « كان رسول الله ﷺ أول ما قدم المدينة يسهر من الليل » وعند أحمد « أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة، وهى إلى جنبه، قالت: فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ ... » الحديث، وعند الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان النبى ﷺ يحرس، حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ».

(قالت: وسمعنا صوت السلاح) فى الرواية الثانية « فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح » أى صوت سلاح، صدم بعضه بعضا.

(فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قال: سعد بن أبى وقاص: يا رسول الله، جئت أحرسك) فى الرواية الثانية « فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبى وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ قال: وقع فى نفسى خوف على رسول الله ﷺ، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ».

(فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غميطه) الغميط صوت النائم المرتفع.

(ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أحد: ارم. فذاك أبى وأمى) المعنى: ما جمع فى التفدية بين أبويه، ولكنه كان كثيراً ما يقول: فذاك أبى - فقط، وفى الرواية الرابعة يقول سعد: لقد جمع لى رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد « وفى نفى جمع أبويه عن غير سعد نظر، فقد ثبت - وسيأتى - أن النبى ﷺ جمع أبويه للزبير بن العوام، يوم الخندق، ويجمع بينهما بأن علياً ﷺ لم يطلع على ذلك، أو مراده تقييد ذلك بيوم أحد، ويؤيد الجمع الأول رواية البخارى « عن على ﷺ قال: ما سمعت النبى ﷺ جمع أبويه لأحد، إلا لسعد بن مالك، فإنى سمعته يقول يوم أحد: يا سعد، ارم. فذاك أبى وأمى ».

وتوضح الروايات سبب هذه التفدية، فى البخارى عن سعد ﷺ « نثل لى رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد، فقال: ارم. فذاك أبى وأمى » « نثل » أى نفض، والكنانة جعبة السهام، وتكون غالباً من جلود، وعند الحاكم عن سعد ﷺ قال: « جال الناس يوم أحد تلك الجولة » أى انهزموا وفروا « فتنحيت، فقلت: أدود عن نفسى، فيما أن أنجو، وإما أن أستشهد، فإذا رجل محمر الوجه - وقد كاد المشركون أن يركبوه، فملا يده من الحصى، فرماهم وإذا بينى وبينه المقداد، فأردت أن أسأله عن الرجل، فقال لى: يا سعد، هذا رسول الله ﷺ يدعوك،

فقلت، وكأنه لم يصبنى شيء من الأذى، وأجلسنى أمامه، فجعلت أرمى ...» وقد روى مسلم عن ظروف هذه التفدية، عن أنس رضي الله عنه قال «أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد فى سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش» وكأن المراد بالرجلين طلحة وسعد.

(كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين) أى أثن فىهم، وأكثر وبالغ فى جرحهم وقتلهم، وعمل فىهم نحو عمل النار.

(قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل) أى رميته بسهم ليس فيه زج، أى رماه بعود من الخشب ليس فى طرفه الحديد النفاذة الجارحة.

(فأصبت جنبه) قال النووى: بالجيم والنون، هكذا هو فى معظم النسخ، وفى بعضها «حبتة» بجاء مفتوحة وباء مشددة مفتوحة، بعدها تاء، أى حبة قلبه.

(فسقط، فانكشفت عورته) أى وقع على جنبه، فرفع الإزار عن عورته.

(فضحك رسول الله ﷺ) فرحا بإصابته وسقوطه، وليس لانكشاف عورته.

(حتى نظرت إلى نواجذه) بالذال، أى أنيابه، أو أضراسه.

(أنه نزلت فيه آيات من القرآن) أى كان سببا فى نزولها.

(حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا، حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب) أى حتى يكفر بالإسلام.

وأمه خمر بنات سفيان بن أمية، بنت عم أبى سفيان بن حرب بن أمية، وهذه العلاقة وحدها كافية فى تبرير موقفها، أو فهمه، رغم أن السيدة أم حبيبة من السابقات وهى ابنة أبى سفيان..

(مكثت ثلاثا حتى غشى عليها من الجهد) أى ثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب، حتى غشى عليها من التعب.

(فقام ابن لها يقال له: عمارة؛ فسقاها) فى الرواية السابعة «فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها» أى أو يسقوها «شجروا فاهها بعضا» أى فتحوا فاهها، ووضعوا فيه عصا لثلا تطبق، ثم صبوا الطعام، فيصل جوفها رغم أنفها. قال النووى: هكذا صوابه «شجروا» بالشين والجيم والراء، وهكذا هو فى جميع النسخ، قال القاضى: ويروى «شحو فاهها» بالحاء وحذف الراء، ومعناه قريب من الأول، أى أوسعوه وفتحوه، والشحو التوسعة، ودابة شحو، واسعة الخطو، ويقال: أوجره، ووجره، لغتان، الأولى أفصح، وأشهر. اهـ.

وفى كتب اللغة: الوجور، بفتح الواو وضمها الدواء يصب فى الحلق، وأوجر الناس العليل، صبوا الوجور فى حلقه.

(فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾.... وفيها ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾)

وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والطبرانى وابن عساكر، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كنت برا بأبى، لما أسلمت قالت: يا سعد، وما هذا الذى أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا، أو لا أكل ولا أشرب، حتى أموت، فتعيربى، فيقال: يا قاتل أمه. قلت لا تفعلنى يا أمه، فإنى لا أدع دينى هذا لشيء، فمكثت يوماً وليلة، لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين. والله! لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت دينى هذا لشيء، فإن شئت فكلى، وإن شئت لا تأكلى، فلما رأيت ذلك أكلت، فنزلت هذه الآية.»

(وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غزيمة عظيمة، فإذا فيها سيف، فأخذته، فأتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم، فقلت: نفلنى هذا السيف) أى أعطنيه نافلة، رائدة على حقى «فأنا من قد علمت حاله» جهادا وشجاعة وكفاءة «فقال: ربه من حيث أخذته، قال: فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقىه فى القبض» بفتح القاف والباء، الموضع الذى يجمع الغنائم «لامتنى نفسى، فرجعت إليه، فقلت: أعطنيه. فقال: فشدد لى صوته: ربه من حيث أخذته، قال: فأنزل الله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ أى الأنفال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يمنحها لمن يشاء، وقد جاء أن النبی صلى الله عليه وسلم بعد نزول الآية أرسل إلى سعد، أن يأخذ السيف. فقد أخرج أحمد وأبو داود، والترمذى وصححه والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه، والحاكم وصححه والبيهقى فى السنن عن سعد رضى الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، قد شفانى الله تعالى اليوم من المشركين، فهب لى هذا السيف. قال: إن هذا السيف لا لك، ولا لى. ضعه، فوضعت، ثم رجعت فقلت: عسى يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلى بلائى، وإذا رجل يدعونى من ورائى، فقلت: قد أنزل فى شيء، قال عليه الصلاة والسلام: كنت سألتنى هذا السيف، وليس هو لى، وإنى قد وهب لى، فهو لك، وأنزل الله هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.

(ومرضت، فأرسلت إلى النبی صلى الله عليه وسلم) كان هذا المرض بمكة فى حجة الوداع، وعاش سعد بعدها أزيد من أربعين سنة.

(فكان بعد. الثلث جائزا) أى لم ينزل فى هذا قرآن، بل السنة قيدت القرآن، فى قوله ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢] فالوصية فى القرآن مطلقة، والسنة قيدتها بالثالث. والموضوع مبسوط فى كتاب الوصية.

(فأتيتهم فى حش. والحش البستان) بفتح الحاء وتشديد الشين.

(فإذا رأس جذور مشوى عندهم) «مشوى» بالرفع، صفة لرأس، والجذور ما يصلح لأن يذبح من الإبل، ذكرا أو أنثى، ولفظه أنثى، يقال للبعير: هذه جذور سميئة، والجمع جزائر وجزر والجزر بفتح الجيم وسكون الزاى النحر، يقال: جزر الجزور نحرها، فهو جازر وجزار، وجزير

(وزق من حمر) أى عندهم، فزق معطوف على «رأس» أو مبتدأ، خبره محذوف والجملة معطوفة على الجملة، والزق بكسر الزاى وعاء من جلد، يجز شعره ولا ينتف، يستخدم إناء للشراب وغيره، وجمعه أزقاق، وزقاق.

(فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم) بضم الذاو وكسر الكاف وفتح الراء بالبناء للمجهول، وفي بعض النسخ يفتح الذاو والكاف وسكون الراء، وضمير المتكلم « فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم » وفي رواية « فتفاخرنا » فقلت: المهاجرون خير من الأنصار

(فقلت: المهاجرون خير من الأنصار) في بعض النسخ « المهاجرين خير من الأنصار » والصحيح الأول.

(فأخذ رجل أحد لحيى الرأس، فضرينى به) أى فأخذ رجل من الأنصار - يدافع عن الأنصار - واللحاء بكسر اللام، ويقصر - من كل شيء قشره، ولحاء التمرة ما كسا النواة، وليس ما هنا منه، بل تثنية لحي، يفتح اللام وسكون الحاء وتحريك الياء، وهو منبت اللحية من الإنسان وغيره، وهما لحيان، واللحيان بفتح اللام حائطا الفم، وهما العظامان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم، من كل جانب لحي، ويكون للإنسان والدابة، وهو المراد هنا.

(فجرح بأنفى) « جرح » تتعدى بنفسها، فالمفعول محذوف، والباء بمعنى « فى » أى جرحنى فى أنفى، فى الرواية السابعة « فضرِبَ به أنف سعد، ففرزه، وكان أنف سعد مفزورا » أى فشقه قال الراوى: وكان أنف سعد مفزورا أى بقى أثر الضربة فى أنف سعد بقية حياته.

(فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فى - يعنى نفسه - شأن الخمر) ذكر العلماء هذا سببا لنزول الآية ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ وذكر بعضهم سببا أو أسبابا أخرى، وتعدد الأسباب لنازل واحد كثير.

(فى نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال: نزلت فى ستة. أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدنى هؤلاء؟ وفى الرواية التاسعة عن سعد رضي الله عنه قال « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا » أى لئلا يجترءوا علينا، ويطمعوا فينا، ويلغوا الفوارق بيننا وبينهم، إن نحن أسلمنا، فكانوا معنا، أى اطردهم لنسلم « قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال، ورجلان لست أسميهما » وقد أخرج أحمد والطبرانى وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « مر الملأ من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم، وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن تتبعك، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فىهم القرآن ».

(فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾) وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقى فى الدلائل وغيرهم، عن خباب رضي الله عنه قال « جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى، فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى أناس ضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه، فخلوا به، فقالوا: نحب أن تجعل لنا منك مجلسا، تعرف العرب له فضلنا، فإن وفود العرب تأتئك، فنستحى أن ترانا قعوداً مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك، فأقمهم معنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فدعا بالصحيفة، ودعا علياً عليه السلام ليكتب، ونحن قعود فى ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ عِبَادَتِهِمْ﴾** [إلخ، ثم دعانا، فأتيناها، وهو يقول: «سلام عليكم. كتب ريكم على نفسه الرحمة» فكانا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا، فأنزل الله تعالى **﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾** [الكهف: ٢٨] إلخ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التى يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم».

وأخرج ابن المنذر وغيره عن عكرمة قال: مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة ابن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر ومطعم بن عدى فى أشرف الكفار من عبد مناف، إلى أبى طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعبد والحلفاء، كان أعظم له فى صدورنا وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، وتصديقه، فذكر ذلك أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو فعلت يا رسول الله؟ حتى ننظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه من أمرهم؟ فأنزل الله تعالى **﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾** إلى قوله **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾** وكانوا بلالا وعمار بن ياسر، وسالما مولى أبى حذيفة، وصبيحا مولى أسيد، والحلفاء بن مسعود والمقداد بن عمرو، وواقد بن عبد الله الحنظلي، وعمرو بن عبد عمرو، ومرثد بن أبى مرثد وأشباههم».

فقه الحديث

سعد بن مالك بن أهيب - ويقال له: وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى، أبو إسحاق، ابن أبى وقاص، أحد العشرة، وآخرهم موتا، أحد فرسان الصحابة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى، وقال عمر فى وصيته الماضية: إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستعن به الوالى، وكان رأس من فتح العراق، وولى الكوفة لعمر سنة إحدى وعشرين، وهو الذى بناها، وعزله عمر عنها، وأعادها عثمان إليها، ثم عزله، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة، ولزم بيته، مات بقصره بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة، وحمل إليها على الأعناق، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم مات سنة خمس وخمسين على الأشهر، ولما حضره الموت دعا بجبة له، خلقة، من صوف، فقال: كفونى فيها، فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر، وهى على، وإنما كنت أخبؤها لهذا، وهو الذى فتح مدائن كسرى، وأكثر مدن فارس، وله كان فتح القادسية وغيرها.

وكان سابع سبعة أسلموا، أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة، وشهد بدرًا والحديبية، وسائر المشاهد، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته، فكان مجاب الدعوة، أخرج البخارى عن جابر ابن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه، شكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن صلى، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى، قال أبو إسحاق: أما أنا والله! فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق» وقال أحد الشاكين: «إن سعداً لا يسير بالسرية» أى لا يخرج للجهاد مع السرايا «ولا يقسم السوية، ولا يعدل فى القضية» فدعا عليه سعد ثلاث دعوات، قال: «اللهم! إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن» فطال عمره، حتى سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن، وكان يقول: شيخ كبير مفتون. أصابته دعوة سعد.

ويؤخذ من أحاديث الباب

١- من الرواية الأولى والثانية جواز الاحتراس من العدو، والأخذ بالحزم، وترك الإهمال، فى موضع الحاجة إلى الاحتياط. قال النووى: قال العلماء: وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] لأنه صلى الله عليه وسلم ترك الاحتراس، حين نزلت الآية - أى ترك الحراسة وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته، وقد صرح فى الرواية الثانية بأن هذا الحديث الأول كان فى أول قدومه المدينة، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: وإنما عانى صلى الله عليه وسلم ذلك مع قوة توكله للاستئنان به فى ذلك، وأيضا فالتوكل لا ينافى تعاطى الأسباب، لأن التوكل عمل القلب، وتعاطى الأسباب عمل البدن، وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وقال عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل» قال ابن بطال: نسخ ذلك، كما دل عليه حديث عائشة، وقال القرطبي: ليس فى الآية ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ما ينافى الحراسة، كما أن إعلان الله نصر دينه وإظهاره، لم يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدة، وعلى هذا فالمراد من العصمة العصمة من الفتنة والإضلال.

٢- وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم، خشية القتل.

٣- والثناء على من تبرع بالخير، وتسميته صالحا.

٤- وفيه جواز التفدية بالأبوين، قال النووى: وبه قال جماهير العلماء، وكرهه عمر بن الخطاب والحسن البصرى، رضى الله عنهما، وكرهه بعضهم بالمسلم من أبويه، والصحيح الجواز مطلقا، لأنه ليس فيه حقيقة فداء، وإنما هو كلام، وإلطاف، وإعلام بمحبته له، ومنزلته، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالتفدية مطلقا، وقد جمع رسول الله ﷺ أبويه للزبير، ولغيره أيضا.

٥- وفيه فضيلة الرمي، والحث عليه.

٦- ومن قوله «ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى» جواز التمنى، وقول لو.

والله أعلم

(٦٣٧) باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما

٥٤٣٢ - ٤٧ عن أبي عثمان رضي الله عنه (٤٧) قال: لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير طلحة وسعد. عن حديثهما.

٥٤٣٣ - ٤٨ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (٤٨) قال: ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق. فانتدب الزبير. ثم ندبهم. فانتدب الزبير. ثم ندبهم. فانتدب الزبير. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حواري وحواري الزبير».

٥٤٣٤ - ٤٩ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (٤٩) قال: كنت أنا وعمرو بن أبي سلمة، يوم الخندق مع النسوة. في أطم حسان. فكان يطأطئ لي مرة فأنظر. وأطأطئ له مرة فينظر. فكنت أعرف أبي إذا مر على فرسه في السلاح، إلى بي قريظة. قال: وأخبرني عبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن الزبير قال: فذكرت ذلك لأبي. فقال: ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: أما والله! لقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يومئذ، أبويه. فقال: «فذاك أبي وأمي».

٥٤٣٥ - وفي رواية عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمرو ابن أبي سلمة في الأطم الذي فيه النسوة. يعني نسوة النبي صلى الله عليه وسلم. وساق الحديث، بمعنى حديث ابن مسهر، في هذا الإسناد. ولم يذكر عبد الله بن عمرو في الحديث، ولكن أدرج القصة في حديث هشام، عن أبيه، عن ابن الزبير.

٥٤٣٦ - ٥٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٥٠)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جراء، هو وأبو بكر وعمرو وعثمان وعلي وطلحة والزبير. فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اهدأ. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

(٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ وَحَامِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْكُرَّاءِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالُوا حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ وَهُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ أَبِي عُثْمَانَ

(٤٨) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ النَّافِلِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ وَكَيْعٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْنَةَ.

(٤٩) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ مُسْهَرٍ قَالَ إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهَرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

- وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ (٥٠) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

٥٤٣٧ هـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٥٠)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عَلَى جَبَلٍ حِرَاءٍ فَتَحَرَّكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اسْكُنْ حِرَاءً فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٥٤٣٨ هـ - ٥١/ وفي رواية عن هشام^(٥١)، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: أَبَوَاكَ وَاللَّهِ مِنْ رضي الله عنه الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.

٥٤٣٩ هـ - وفي رواية عن هشام بهذا الإسناد، وَزَادَ تَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرَ.

٥٤٤٠ هـ - ٥٢/ عَنْ غُرُوزَةَ^(٥٢) قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: كَانَ أَبَوَاكَ مِنْ رضي الله عنه الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.

المعنى العام

بطلان من أبطال الإسلام، عظيمان في السلم، أسد عند اللقاء طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وهو من المهاجرين الأولين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ومن الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة من بعده، له مواقف مشهودة في المعارك، وله قصب السبق إلى الجهاد في سبيل الله.

أما طلحة: فيكفيه فخراً ما كان منه يوم أحد، لقد أوجب واستحق الجنة، وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أحاطوا به بعد هزيمة أصحابه، وكان يقول له: لا تبرز يا رسول الله، فتصيبك سهامهم، صدرى دون صدرك، ونحرى دون نحرِكَ، كان يصد السهام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، حتى قطعت إصبعه، ولم يتوقف عن رمى الكافرين، حتى نفذت سهام جعبته، فنثر له رسول الله صلى الله عليه وسلم جعبته، ولما نفذت سهامهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: انثروا سهامكم لطلحة، حتى أجلى الكافرين عن الموقع، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يصعد إلى صخرة يجلس عليها بعد أن كسرت ربايعته وسال الدم من جبهته، ولم يستطع صعودها من الإجهاد حمله طلحة على ظهره، فرفعه إلى الصخرة، فأجلسه عليها، وظل حامياً حارساً له مع بعض قادة المسلمين.

وأما الزبير بن العوام: فقد شارك طلحة في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته من الكافرين يوم أحد، كان معهما أبو بكر وعمر وعلي، نحو العشرة من الرجال أحياناً، وأحياناً لا ترى حوله إلا طلحة

(٥٠) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْدِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٥١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَعَبْدَةُ قَالََا حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ أَبِيهِ - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ
(٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ غُرُوزَةَ

والزبير، لانشغال الآخرين بالحركة ومتابعة الكافرين، وأحياناً ترى العدد الكبير الذى عاد حول قيادته بعد الفرار

لكن الزبيرين العوام امتاز بميزة أخرى يوم الأحزاب، وكان يهود بنى قريظة قد نقضوا العهد، وتعاونوا مع الأحزاب، وطلب الرسول ﷺ من صحابته أن يتطوع أحدهم بالدخول فى بنى قريظة، يتحسس أخبارهم وتحركاتهم، قال: من يأتينى بخبر القوم وله الجنة؟ فسكتوا خوفاً من غدر اليهود، والوقت وقت حرب، فقال الفارس الشجاع الزبير بن العوام: أنا يا رسول الله. وأعاد الرسول ﷺ الطلب: من يأتينى بخبر القوم وله الجنة؟ فسكتوا إلا الزبير، فقال: أنا يا رسول الله. وأعاد الرسول ﷺ الطلب ثالثاً، فلم يجب إلا الزبير، قال: أنا يا رسول الله. قال له صلى الله عليه وسلم: توكل على الله، فذاك أبى وأمى، وأخذ الفارس الشجاع يتجول بين المسلمين وبين بنى قريظة، يتظاهر بالحراسة، وهو يتجسس للمسلمين، ويتحسس تحركات اليهود، ويأتى رسول الله ﷺ بأخبارهم، حينئذ قال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي حوارى » أى ناصر ومخلص « وحوارى الزبير ».

المباحث العربية

(لم يبق مع رسول الله ﷺ فى بعض تلك الأيام، التى قاتل فيهن رسول الله ﷺ، غير طلحة وسعد) أى طلحة بن عبيد الله، وستأتى قصته، وسعد بن أبى وقاص، وقد سقت قصته فى الباب السابق، والمراد ببعض تلك الأيام هنا يوم أحد، وهو يوم من أيام القتال مع الكفار، أى غزوة من الغزوات.

(عن حديثهما) هذا قول أبى عثمان، يعنى به أن طلحة وسعداً هما اللذان حدثاه بذلك، وهو تابعى، لم يشهد الواقعة، فمن أين له علم ذلك؟ يوضح ذلك ما عند أبى نعيم فى المستخرج، فى هذا الحديث « قال سليمان (الراوى عن أبى عثمان) فقلت لأبى عثمان: وما علمك بذلك؟ قال: عن حديثهما ».

(نذب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق) أى دعاهم للجهاد، وحرصهم عليه.

(فانتدب الزبير) أى أجاب الزبير، فالزبير فاعل، يقال: ندبته فانتدب، أى دعوته فأجاب.

(ثم ندبهم فانتدب الزبير) أى طلب منهم، فأجاب الزبير، وتشرح رواية البخارى الواقعة فتقول: عن جابر ﷺ قال: « قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال إن لكل نبي حوارياً وإن حوارى الزبير » وكان بنو قريظة قد نقضوا العهد، وأيدوا الأحزاب، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أخبارهم وتحركاتهم، فطلب من الصحابة من يقوم بهذه المهمة، فخاف الصحابة من غدر اليهود، فسكتوا وأجاب الزبير، وقام بفرسه يجوب المنطقة، ويدرس التحركات فيها، وتحكى الرواية الثالثة هذه الطليعة.

(لكل نبي حوارى، وحوارى الزبير) « لكل نبي حوارى » بفتح الحاء والواو، وكسر

الراء، وضم الياء مشددة. و«حوارى الزبير» قال القاضى: اختلف فى ضبطه، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء مشددة، كمصرخى، وضبطه أكثرهم بكسرها، أى مشددة، وعن الضحاك: الحوارى هو الغسال، وعن قتادة: الذى يصلح للخلافة، وقيل: هو الوزير، وقيل: هو الناصر، وقيل: هو الخالص، وقيل: هو الخليل.

(كنت أنا وعمر بن أبى سلمة يوم الخندق مع النسوة) فى ملحق الرواية « يعنى نسوة النبى ﷺ ».

(فى أطم حسان) الأطم بضم الهمزة والطاء الحصن، وجمعه آطام، كعنق وأعناق. قال القاضى: ويقال فى الجمع أيضاً إطما بكسر الهمزة « وكان عبد الله بن الزبير وعمر بن أبى سلمة صبيين صغيرين حول الرابعة.

(فكان يطئ لى مرة، فأنظر، وأطأطئ له مرة فينظر) أى فكان باب الحصن ضيقاً، لئلا يرى من بداخله، وفتحته للطريق منخفضة وكان الصبيان على بابيه، بحيث لا يرى أحدهما المار بالطريق إلا إذا طأطأ الآخر ظهره وخفض رأسه.

(فكنت أعرف أبى إذا مر على فرسه فى السلاح إلى بنى قريظة) يعرفه بفرسه ولباسه وسلاحه، حيث يكون ملثماً فى هذه الحالة. وفى رواية للبخارى « فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه، يختلف إلى بنى قريظة، مرتين أو ثلاثاً ».

(قال: فذكرت ذلك لأبى، فقال: ورأيتنى يا بنى ؟) فى رواية البخارى « فلما رجعت قلت: يا أبت. رأيتك تختلف. قال: أو هل رأيتنى يا بنى؟ ».

(كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة) هذا التواجد غير تواجد عليه ﷺ مع أبى بكر وعمر وعثمان. قال النووى: وقع فى معظم النسخ بتقديم على، على عثمان، وفى بعضها تقديم عثمان على على، كما فى الرواية الخامسة، وترتيبها باتفاق النسخ.

(اهدأ، فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد) « اهدأ » بهمز آخره، أى اسكن وفى الرواية الخامسة « اسكن حراء » وفيها ذكر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وهو ليس صديقاً، ولا شهيداً، وأجاب القاضى بقوله: إنما سمي شهيداً لأنه مشهود له بالجنة.

(أبواك - والله - من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) فى ملحق الرواية « نعى أبا بكر والزبير » لأن أم عروة أسماء بنت أبى بكر، فأطلقت على الجد أبا، ويحتمل أنه من قبيل التغليب، كقولهم القمران للشمس والقمر. والآية (١٧٢) من سورة آل عمران وقبلها ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران: ١٦٩-١٧٢].

فقه الحديث

طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يكنى أبا محمد، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، من المهاجرين الأولين، بعثه رسول الله ﷺ وسعيد ابن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار قبيل بدر، فلم يشهدا بدرًا، وجاءا عقبها، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى يا رسول الله؟ قال: وأجرك، وشهد أحدا والمشاهد بعدها، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا، وقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده، حتى قطعت إصبعه، وكان يقول له لا تظهر يا رسول الله، تصبك سهامهم، صدرى دون صدرك، ونحرى دون نحرك، ولما نهض رسول الله ﷺ ليستقل صخرة، ولم يستطع، حمله طلحة على ظهره حتى استقلها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم، قيل: إنه بايع عليا بعد عثمان، ثم خرج عليه ليحاربه مع عائشة في موقعة الجمل، لكنه اعتزل المعركة هو والزيير عند الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم وكان في حزيه فقتله، وفيما زعموا أنه كان ممن حاصر عثمان.

وقتل طلحة رحمه الله وهو ابن ستين سنة، سنة ست وثلاثين ويقال: إن طلحة تزوج أربع نسوة، عند النبي ﷺ أخت كل منهن، أم كلثوم بنت أبي بكر، أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفرعة بنت أبي سفيان، أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية، أخت أم سلمة، وكان بكفاحه غنيا، قال عنه سفيان بن عيينة: كانت غلة طلحة بن عبيد الله ألف دينار كل يوم ﷺ وأرضاه.

أما الزبير بن العوام بن خولد بن أسد بن عبد العزى بنى قصى بن كلاب القرشي أبو عبد الله، فهو حوارى رسول الله ﷺ، وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى.

أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد، وكان في جيش عائشة يوم الجمل، فالتقى به على، فذكره، فانصرف، فلقبه ابن حرمون فقتله غدراً، سنة ست وثلاثين وله سبع وستون سنة، بمكان يقال له: وادى السباع.

وقد أوضح البخارى ثروة الزبير فى حديث طويل، تحت باب بركة الغازى فى ماله، حيا وميتا، مع النبى ﷺ حيا وميتا، قال عبد الله بن الزبير « فقتل الزبير ﷺ ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة وداراً بمصر، وما ولى إمارة قط، ولا جباية خراج، ولا شيئاً، إلا أن يكون فى غزوة مع النبى ﷺ، أو مع أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين، فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف، وإنما كان دينه الذى عليه، أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه إياه على أنه سلف مأذون له فى التصرف فيه، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قسم باقى التركة على الورثة وأنفذ وصيته، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف.

ولوضوح الرؤية، وأن هذه الثروة الهائلة كانت نتيجة سعى وكفاح لبناء الحياة الدنيا، متوازنة مع السعى والكفاح الأخرى نسوق حديث البخارى عن زوجته أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما وكانت قد تزوجها بمكة، وهاجرت إلى المدينة، وهى حامل بابنها عبد الله، قالت: « تزوجنى الزبير، وما له فى الأرض من مال ولا مملوك، ولا شيء، غير ناضح » أى جمل لسقى الماء، « وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقى الماء، وأخرز غربه » أى دلوه « وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعها رسول الله ﷺ على رأسى، وهى منى على ثلثى فرسخ، قال: حتى أرسل لى أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفينى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى ».

(فائدة) جمع النووى فى تدويب شرحه لصحيح مسلم بين طلحة والزبير رضى الله عنهما تحت باب واحد، وتبعناه فى ذلك، ولعله لاحظ ما جاء من أن النبى ﷺ لما آخى بين أصحابه بمكة قبل الهجرة آخى بين طلحة والزبير، ولعله لاحظ اشتراكهما فى كثير من الفضائل، فكل منهما أحد العشرة، وأحد الستة، وأحد السابقين وأحد أصحاب الدور البارز فى الجهاد، وفى الدفاع عن رسول الله ﷺ، بل وفى دورهما مع عثمان ومع على، وفى طريقة وأسباب مقتلتهما رضى الله عنهما. وكان من المقبول ضم طلحة إلى سعد بن أبى وقاص، لجمعهما فى الرواية الأولى، كما كان من المقبول تخصيص باب لكل منهما.

ويؤخذ من أحاديث الباب فوق ما تقدم

- ١- فضيلة طلحة لدوره فى غزوة أحد.
- ٢- فضيلة الزبير لدوره فى غزوة الخندق.
- ٣- من الرواية الثالثة قال النووى: وفى هذا الحديث دليل لحصول ضبط الصبى وتمييزه، وهو ابن أربع سنين، فإن ابن الزبير ولد عام الهجرة فى المدينة، وكان الخندق سنة أربع من الهجرة على الصحيح، فيكون له وقت ضبطه لهذه القضية دون أربع سنين، وفى هذا رد على ما قاله جمهور المحدثين أنه لا يصح سماع الصبى حتى يبلغ خمس سنين، والصواب صحته، متى حصل التمييز، وإن كان ابن أربع أو دونها. اهـ.
- قال الحافظ ابن حجر: المقصود أن البلوغ ليس شرطاً فى التحمل، وقال يحيى بن معين: أقل سن التحمل خمس عشرة سنة، فبلغ ذلك أحمد، فقال: بل إذ عقل ما يسمع. وهذا هو المعتمد، فالتحمل لا يشترط فيه كمال الأهلية، وإنما يشترط عند الأداء، ويلحق بالصبى فى ذلك العبد والفاسق والكفار.
- ٤- وفى ضبط ابن الزبير وجودته لهذه القضية مفصلة، فى هذا السن منقبة لابن الزبير.
- ٥- وفى الرواية الرابعة إثبات التمييز فى الجماد.
- ٦- وجواز التزكية والثناء على الإنسان فى وجهه، إذا لم يخف عليه فتنة، بإعجاب ونحوه.
- ٧- وفى الرواية السادسة جواز التعبير عن الجد بالأب.

والله أعلم

(٦٣٨) باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

٥٤٤١ - ٥٣ عن أنس رضي الله عنه (٥٣) قال: رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيْنًا. وَإِنَّ أَمِيْنَنَا، أُيْتَهَا الأُمَّةُ، أَبُو عُبَيْدَةَ بِنُ الْجَرَّاحِ».

٥٤٤٢ - ٥٤ عن أنس رضي الله عنه (٥٤)، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ. فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِيْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ».

٥٤٤٣ - ٥٥ عن حذيفة رضي الله عنه (٥٥) قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ. فَقَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ! ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِيْنًا. فَقَالَ: «لَا بَعْثَنَّا إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِيْنًا حَقَّ أَمِيْنٍ. حَقَّ أَمِيْنٍ» قَالَ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ. قَالَ: فَبِعَثْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بِنُ الْجَرَّاحِ.

المعنى العام

أبو عبيدة بن الجراح أحد السابقين الأولين الذين حظوا بحب الرسول ﷺ ولهم دور بارز في قيادات الحروب والفتوح. له مساجلة في القضاء والقدر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ذكرناها في باب الطاعون. رضي الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا - أيتها الأمة - أبو عبيدة بن الجراح) « أيتها الأمة » صورته صورة النداء، لكن المراد فيه الاختصاص، أي أمتنا مخصوصون من بين الأمم، وعلى هذا فهو بالنصب على الاختصاص، ويجوز الرفع، والأمين هو الثقة الرضى، وهذه الصفة، وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره، لكن السياق يشعر بأن له مزيداً في ذلك، وقد خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة، ووصفه بها، فأشعر بقدر رائد فيها على غيره، كالحياة لعثمان، والقضاء لعلي، ونحو ذلك، وقد

(٥٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ خَالِدِ بْنِ حَزْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا خَالِدٌ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ
(٥٤) حَدَّثَنِي عُمَرُو النَّافِدُ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ
(٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرٍ عَنْ حَذِيفَةَ
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

أورد الترمذى، وابن حبان « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشهدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم كتاب الله أبى، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، ألا وإن لكل أمة أميناً... » الحديث.

(أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ) فى الرواية الثالثة « جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ » قال الحافظ ابن حجر: أهل نجران هم أهل بلد قريب من اليمن، وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد، ومن معهما، ذكر ابن سعد أنهم وفدوا على النبي ﷺ فى سنة تسع، وفى الرواية الثانية « إن أهل اليمن، قدموا على النبي ﷺ، فقالوا » قال الحافظ: فإن كان الراوى تجوز عن أهل نجران، بقوله « أهل اليمن » لقرب نجران من اليمن، فذاك، وإلا فهما واقعتان، والأول أرجح. اهـ

(لأبعثن إليكم رجلاً أميناً، حق أمين، حق أمين) التكرير للتأكيد، و« حق أمين » من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى أمين أمانة حقة، أى كاملة.

(فاستشرف لها الناس) أى من حضر من الصحابة، وفى رواية « فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ » أى تطلعوا للولاية، ورغبوا فيها، حرصاً على تحصيل صفة الأمين الحق، لا حرصاً على الولاية من حيث هى.

(فبعث أباً عبدة بن الجراح) فى الرواية الثانية « فأخذ بيد أبى عبدة، فقال: هذا أمين هذه الأمة... »

فقه الحديث

(أبو عبدة) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر، القرشى، مشهور بكنيته، وبالنسبة إلى جده، وكان إسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيد بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد فى ساعة واحدة، قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهو أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، ويقال: إنه هو الذى قتل أباه كافراً يوم بدر، فقد أخرج الطبرى « جعل والد أبى عبدة يتصدى لأبى عبدة يوم بدر، فيحيد عنه، فلما أكثر قصده فقتله » فتح كثيراً من بلاد الشام وتولى جنداً من أجنادها، ومات فى طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، عن عمر يناهز ثمانياً وخمسين سنة.

والله أعلم

(٦٣٩) باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما

٥٤٤٤ - ٥٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٥٦)، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لحسن: «اللهم إني أحبه. فأحبه وأحب من يحبه».

٥٤٤٥ - ٥٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٥٧) قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار. لا يكلمني ولا أكلمه. حتى جاء سوق بني قينقاع. ثم انصرف. حتى أتى خيابة فاطمة فقالت: «أتم لكع؟ أتم لكع؟» يعني حسنا فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابا. فلم يلبث أن جاء يسعي. حتى اغتنق كل واحد منهما صاحبه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أحبه. فأحبه وأحب من يحبه».

٥٤٤٦ - ٥٨ عن البراء بن عازب رضي الله عنه ^(٥٨) قال: رأيت الحسن بن علي علي عاتق النبي صلى الله عليه وسلم. وهو يقول: «اللهم إني أحبه. فأحبه».

٥٤٤٧ - ٥٩ عن البراء رضي الله عنه ^(٥٩)، قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً الحسن بن علي علي عاتقه، وهو يقول: «اللهم إني أحبه. فأحبه».

٥٤٤٨ - ٦٠ عن إياس ^(٦٠)، عن أبيه قال: لقد قُدت بنبي الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين، بغلته الشهباء. حتى أذخلتهم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم. هذا قدامه. وهذا خلفه.

٥٤٤٩ - ٦١ عن عائشة رضي الله عنها ^(٦١) قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال: «إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

(٥٦) حدثني أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة حدثني عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة

(٥٧) حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة

(٥٨) حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عدي وهو ابن ثابت حدثنا البراء بن عازب

(٥٩) حدثنا محمد بن بشر وأبو بكر بن نافع قال ابن نافع حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عدي وهو ابن ثابت عن البراء

(٦٠) حدثني عبد الله بن الرومي الأيمامي وعباس بن عبد العظيم العنبري قالا حدثنا نصر بن محمد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثنا إياس عن أبيه

(٦١) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واللفظ لأبي بكر قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة

المعنى العام

الحسن والحسين عاشا حياة الطفولة بين يدي أطف الناس، وأرحم الناس بالناس، كان إذا سجد فى صلاته صلى الله عليه وسلم وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أراد الصحابة أن يمنعوها أشار إليهم: أن دعوها، فإذا قضى صلاته وضعها فى حجره، فقال: من أحبنى فليحب هذين.

عاش الحسن بالمدينة، حتى دعاه معاوية بعد أن قتل على عليه السلام، وكان الحسن يكره القتال، فتنازل لمعاوية وباعه، وأعطاه معاوية من المال أربعمئة ألف، وأجرى عليه كل عام ألف درهم، وأعطاه عهداً، إن حدث لمعاوية حدث، والحسن حى، ليعلن هذا الأمر إليه، فجمع الحسن رءوس أهل العراق فى قصر المدائن، فقال: إنكم قد بايعتمونى على أن تسالموا من سالمتم، وتصاربوا من حاربتم، وإنى قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا، فكانوا يقولون: يا عار أمير المؤمنين، فيقول: العار خير من النار، وأقنع أخاه الحسين بذلك، وعادا الى المدينة، وعاشا فيها، عاش الحسن بعد ذلك نحو عشر سنين، ثم مات مسموما سنة خمسين على المشهور.

أما الحسين فقد استمر فى المدينة مع أخيه، حتى مات معاوية، فخرج إلى مكة، فأنته كتب أهل العراق أن بايعوه، فتوجه إليهم، وكان يزيد بن معاوية قد عين عبيد الله بن زياد على الكوفة والبصرة، فقتل بالشبهة، وذبح بالظنة وأرهب أهل العراق، والحسين لا يعلم ذلك، حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، وكان عبيد الله قد جهز الجيش لملاقاته، على رأسه عمر بن سعد بن أبى وقاص، فالتقيا عند كربلاء، فقتل الحسين وأصحابه وفيهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته، وأتى برأس الحسين إلى عبيد الله، فأرسله ومن بقى من أهل بيته إلى يزيد بن معاوية، ومنهم على بن الحسين، فأدخلهم على عياله، ثم جهزهم إلى المدينة.

المباحث العربية

(أنه قال لحسن: اللهم إني أحبه) اللام بمعنى « عن » أى قال عن حسن...

(فأحبه وأحب من يحبه) وفى الرواية الثالثة والرابعة « فأحبه » وليس فيهما « وأحبيب من يحبه ».

(فى طائفة من النهار) طائفة الشيء جزءه، والمراد فى ساعة من نهار، وفى رواية « صائفة » بالصاد أى فى حر النهار.

(حتى جاء سوق بنى قينقاع) السوق اسم لكل مكان يقح فيه التباعد بين من يتعاطى البيع والشراء، و« قينقاع » بفتح القاف وسكون الياء وضم النون، وضبط بكسرهما، وحكى فتحها، اسم لقبيلة من اليهود، نسب إليها السوق، فإذا أريد القبيلة. منع من الصرف للعلمية والتأنيث، وإذا أريد الحى صرف، وهو أحد أسواق المدينة المشهورة، والظاهر أنه كان فى طريقه إلى بيت فاطمة، فمر به ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

(ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة) فى رواية البخارى « حتى أتى سوق بنى قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة » قال الراوى سقط فى رواية البخارى بعض الحديث، لأن بيت فاطمة ليس فى سوق بنى قينقاع، فرواية مسلم تثبت ما سقط، والفناء بكسر الفاء بعدها نون ممدودة، الموضع المتسع أمام البيت، وفى مسلم « خباء فاطمة » بالحاء المكسورة بعدها باء، والمراد به بيتها.

(فقال: أثم لكح؟ أثم لكح؟ يعنى حسنا) الهمزة للاستفهام، و« ثم » بفتح التاء وتشديد الميم بمعنى « هنا » واللح بضم اللام وفتح الكاف يراد به الصغير، يقال: لكح فلان بفتح اللام، والكاف، يلح بفتح الكاف لكحا، بسكونها، أى أكل وشرب، ولكح الصبى إذا نهز فى الرضاع، ويقال: لكح بكسر الكاف، يلح بفتحها، ولكح يلح بضم الكاف فيهما، لكحا بفتحها، ولكاعة إذا لؤم وحمق، فهو ألكح، وهى لكعاء، ويقال فى سب المرأة بالحمق لكح، بضم اللام وفتح الكاف، فقله « لكح » فى الحديث إن كان من فتح الكاف فهو الصغير، وإن كان من كسرهما أو ضمها فالمراد منه المداعبة والتلميح بهذا الوصف، غير المراد حقيقته.

(فظننا أنه إنما تحبسه أمه، لأن تغسله وتلبسه سخابا) الفاء عاطفة على محذوف، أى فتأخر الجواب أو فتأخر مجيئه، فظننا أن أمه تؤخره، لتنظيفه، وإلباسه ما يجمله، وتغسله بضم التاء وفتح الغين، وكسر السين، من غسل المشدد « وتلبسه » بضم التاء من ألبس، والسخاب بكسر السين وبالحاء مفرد سخب بضمين، قال النووى: والسخاب قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب، يعمل على هيئة السبحة، ويجعل قلادة للصبيان والجوارى، وقيل: هو خيط فيه خرز، سمي بذلك لصوت خرزه عند حركته، من السخب، بفتح السين والحاء، ويقال: صخب بالصاد، وهو اختلاط الأصوات.

(فلم يلبث أن جاء يسعى) أى فلم يمكث مجيئه، ولم يتأخر بل جاء يجرى نحوه.

(حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه) تعلق الحسن برقبة جده، واحتضنه جده، وفى رواية البخارى « فجاء يشدد، حتى عانقه وقبله » وفى رواية « فقال النبى ﷺ بيده هكذا - أى مدها، والمراد يديه - فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه ».

(رأيت رسول الله ﷺ واضعا الحسن بن علي على عاتقه) العاتق ما بين المنكب والعنق.

(لقد قدت بنبى الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء) يقال: قاد البغلة يقودها، إذا أمسك بلجامها وسار بها، والشهباء ما خالط بياض شعرها سواد، وهذه البغلة هى التى أهداها له المقوقس، وكانت له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء، أهداها له صاحب أيلة.

(خرج النبى ﷺ غداة، وعليه مرط مرحل، من شعر أسود) الغداة أول النهار، والمرط بكسر الميم، وسكون الراء كساء، وجمعه مروط، والمرحل بضم الميم وفتح الراء وتشديد الحاء المفتوحة الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل، ووقع لبعض رواة كتاب مسلم « مرحل » بالجيم، أى المنقوش عليه صور المراحل، وهى القدور.

(فجاء الحسن بن علي، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي، فأدخله) وإنما دخل الحسين بنفسه، دون إدخال لصغره، وتغايرا من أخيه، وإدلالا، على جده، بخلاف غيره.

(ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾) «الرجس» في الأصل الشيء القذر، وأريد به هنا الذنب مجازا، وقيل: الإثم، وقيل: الفسق، وقيل: الشرك، وقيل: الشيطان، وقيل: الشك، وقيل: البخل والطمع، وقيل الأهواء والبدع، وقيل: ما يعم كل ذلك، والمعنى: إنما يريد الله سبحانه وتعالى أن يذهب عنكم الرجس، ويصونكم من المعاصي صونا بليغا، فيما أمر ونهى، ونصب «أهل البيت» على النداء، و«أل» في «البيت» للعهد، أى بيت النبي ﷺ، وجمهور المفسرين على أن المراد من «أهل البيت» أزواجه المطهرات، وتوحيد البيت لأن بيوتهن باعتبار إضافتها إلى النبي ﷺ بيت واحد، وباعتبار إضافتها إليهن متعددات، كما فى قوله تعالى ﴿ وَقُرْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ و أورد ضمير جمع المذكور «عنكم.... ويطهركم» رعاية للفظ الأهل، والعرب كثيرا ما يستعملون صيغ المذكور فى مثل ذلك، فقد قال موسى لامرأته ﴿ امْكُتُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا ﴾ [طه : ١٠ ، القصص: ٢٩] والتذكير أدخل فى التعظيم، وسابق الآية ولاحقها يؤيد ذلك.

وقيل: المراد من البيت بيت النسب، وقيل: المراد بهم جميع بنى هاشم، ذكورهم وإناثهم، أى المؤمنون من بنى هاشم عند الحنفية، وبنوالمطلب عند الشافعية، وفى المسألة كلام كثير.

فقه الحديث

ولد الحسن فى نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة على المشهور، ومات مسموما، ودفن بالبقيع سنة خمسين.

أما الحسين فولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة على الصحيح، وقتل بكرىلاء يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

وقد أخرج البخارى بالإضافة إلى بعض أحاديث الباب - عن أبى بكره ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ على المنبر - والحسن إلى جنبه - ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة، ويقول: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وعن أنس بن مالك ﷺ أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي، فجعل فى طست فجعل ينكت - فى رواية «بقضيب له فى أنفه» وفى رواية فى عينه وأنفه» - وقال فى حسنه شيئا فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وفى رواية للطبرانى «فقلت: ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله ﷺ فى موضعه».

وعن عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر ﷺ وحمل الحسن، وهو يقول: بأبى. شبيهه بالنبى، ليس بعلى، وعلى يضحك».

وعن أنس «لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن بن علي».

وعن عبد الله بن عمر - وسأله سائل عن المحرم يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا».

وعند الترمذي من حديث أنس « أن النبي ﷺ كان يدعو الحسن والحسين، فيشمهما ويضمهما إليه ».

وعند الطبراني عن أبي أيوب « دخلت على رسول الله ﷺ، والحسن والحسين يلعبان بين يديه، فقلت: أتحبهما يا رسول الله؟ قال: وكيف لا؟ وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما ».

ويؤخذ من أحاديث الباب

- ١- من الرواية الثانية جواز إلباس الصبيان القلائد والسخب، ونحوها من الزينة. قاله النووي.
- ٢- واستحباب تنظيفهم، لا سيما عند لقائهم أهل الفضل، واستحباب النظافة مطلقا.
- ٣- استحباب ملاطفة الصبي، ومداعبته، رحمة له ولطفًا.
- ٤- استحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم.
- ٥- أن مماسة الأطفال، وأن رطوبات وجههم ونحوها طاهرة، حتى تتحقق نجاستها، قال النووي: ولم ينقل عن السلف التحفظ منها، ولا يخلون منها غالبًا.
- ٦- ومن الرواية الخامسة جواز ركوب ثلاثة على دابة واحدة، إذا كانت مطيقة، قال النووي: وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة، وحكى القاضى عن بعضهم منع ذلك مطلقًا، وهو فاسد.

والله أعلم

(٦٤٠) باب من فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة، رضي الله عنهما

٥٤٥٠ - ٦٢ عن سالم بن عبد الله^(٦٢)، عن أبيه، أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد. حتى نزل في القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الشيخ أبو أحمد، محمد بن عيسى: أخبرنا أبو العباس السراج ومحمد بن عبد الله بن يوسف الدويري. قالوا: حدثنا قتيبة بن سعيد، بهذا الحديث، حدثني أحمد بن سعيد الدارمي، حدثنا حبان، حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني سالم، عن عبد الله. بمثله.

٥٤٥١ - ٦٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٦٣) قال: بعث رسول الله ﷺ بعثنا. وأمر عليهم أسامة بن زيد. فطعن الناس في أمرته. فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في أمرته، فقد كنتم تطعنون في امرأة أبيه من قبل. وإيم الله! إن كان لخليقا للإمرة. وإن كان لمن أحب الناس إلي. وإن هذا لمن أحب الناس إلي، بعده».

٥٤٥٢ - ٦٤ عن سالم^(٦٤)، عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال، وهو على المنبر: «إن تطعنوا في إمارته- يريد أسامة بن زيد- فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله. وإيم الله! إن كان لخليقا لها. وإيم الله! إن كان لأحب الناس إلي. وإيم الله! إن هذا لها لخليق- يريد أسامة ابن زيد- وإيم الله! إن كان لأحبهم إلي، من بعده. فأوصيكم به فإنه من صالحكم».

المعنى العام

كان رسول الله ﷺ يحب في الله، ويبغض في الله، وهكذا شريعة الإسلام تجعل صلة الدين أقوى من قرابة النسب، قانونها قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن هنا أحب رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، أعتقه، ثم تبناه، ثم زوجه حاضنته أم أيمن، ثم زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش، ثم أمره على جيوش، من جنودها أبو بكر وعمر، وما بعثه في بعث إلا أمره عليهم، فكان حقا عند حسن ظن رسول الله ﷺ به، وكان حقا جديرا بالإمارة، وكيف لا؟ وهو تربية محمد بن عبد الله؟.

(٦٢) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله
(٦٣) حدثنا يحيى بن يحيى وأبو قتيبة وابن حجر قال يحيى بن يحيى أخبرنا وقال الآخرون حدثنا إسماعيل يعقوب
ابن جعفر عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول
(٦٤) حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن عمر يعنى ابن حمزة عن سالم عن أبيه

كان آخر عهده بإمرة الجهاده غزوة مؤتة من أرض الشام فى جمادى سنة ثمان من الهجرة، وفيها أمره رسول الله ﷺ على الجيش، وقال: إن قتل زيد فالإمارة لجعفر بن أبى طالب، وإن قتل جعفر تولى الإمارة عبد الله بن أبى رواحة، فقتل زيد هناك شهيدا.

وقد اشتهر زيد بحبب - أى حبيب - رسول الله ﷺ، كما اشتهر ابنه أسامة بالحب ابن الحب، أى الحبيب ابن الحبيب، لدرجة أن بنى مخزوم لما أرادوا أن يوسطوا فى قضية سرقة امرأتهم، لم يجدوا فى الصحابة من يجرؤ أن يكون وسيطا، له من الإدلال ما ليس لغيره، مثل أسامة، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، أبوه حب رسول الله ﷺ، وأمه حاضنة رسول الله ﷺ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «هى أمى بعد أمى» وكان يجلسه على فخذيه، حتى بعد أن كبر. رضى الله عنه وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(بعث النبي ﷺ بعثا، وأمر عليهم أسامة بن زيد) هذا هو البعث الذى أمر النبي ﷺ بتجهيزه فى مرض وفاته، وقال فى وصيته «أنفذوا بعث أسامة» فأنفذه أبو بكر بعده.

(فطعن الناس فى إمرته) على أنه صغير، إذ كان لا يتجاوز الثامنة عشرة.

(فقال: إن تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل) قيل: طعن يطعن بفتح العين، إذا كان فى العرض والنسب، وبضم العين فيهما إذا كان بالرمح واليد، وقيل: هما لغتان فيهما، ويشير بذلك إلى طعنهم فى إمارة زيد بن حارثة، وقد جمع له الحافظ ابن حجر سبع غزوات كان أميرا فيها، وأولها فى جمادى الآخرة سنة خمس، قبل نجد، فى مائة راكب، والثانية فى ربيع الآخر سنة ست، إلى بنى سليم، والثالثة فى جمادى الأولى منها، فى مائة وسبعين فتلقى عيرا لقريش، وأسروا أبا العاص بن الربيع، والرابعة فى جمادى الآخرة منها، إلى بنى ثعلبة، والخامسة إلى حسمى - بضم الحاء وسكون السين آخره ألف مقصور - فى خمسمائة إلى أناس من بنى خدام، بطريق الشام، كانوا قطعوا الطريق على دحية، وهوراجع من عند هرقل، والسادسة إلى وادى القرى، والسابعة إلى ناس من بنى فزارة.

(وايم الله! إن كان خليقا للإمرة) أى ويمين الله قسمى، إن الحال والشأن كان زيد خليقا وجديرا بالإمرة. «إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الحال، والشأن محذوف والجملة بعدها خبرها.

(وإن كان لمن أحب الناس إلى) أى وإن الحال والشأن كان زيد من أحب الناس إلى .

(وإن هذا لمن أحب الناس إلى) يشير إلى أسامة بن زيد، وفى الرواية الثالثة «وايم الله! إن هذا» أى أسامة «لها خليق. وايم الله! إن كان (أسامة) لأحبهم إلى من بعده» أى من بعد أبيه زيد فأوصيكم به «أى بأسامة» فإنه من صالحكم ..

فقه الحديث

زيد بن حارثة بن شرحبيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس، حب رسول الله ﷺ، وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، من بنى معن بن طيء، زارت قومها، وزيد معها، فأغارت خيل لبني القيس بن جسر، فى الجاهلية، على أبيات من بنى معن، فاحتملوا زيدا، وهو غلام، فأتوا به إلى سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام، لعمته خديجة بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، فحج ناس من قومه، فرأوا زيدا، فعرفهم وعرفوه، فأبلغوا أهله، فخرج أبوه حارثة، وأخوه كعب بفدائه، فقدموا مكة، ودخلا على رسول الله ﷺ، فقالا: يا بن عبد المطلب يا بن سيد قومه. أنتم أهل حرم الله، تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ولدنا، عبدك، فامنن علينا، وأحسن فى فدائه، قال: وما ذلك؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال: أو غير ذلك. ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم من غير فداء، وإن اختارنى، فوالله! ما أنا بالذى أختار على من اختارنى فداء، قالوا: زدتنا على النصف، فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم. هذا أبى وهذا عمى، قال: فأنا من قد علمت، قد رأيت صحبتى لك، فاخترنى، أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحدا، أنت منى بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد؟؟؟ أتختار العبودية على الحرية؟ وعلى أبيك وعمك؟ وأهل بيتك؟ قال: نعم. إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئا، ما أنا بالذى أختار عليه أحدا، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، قال: اشهدوا أن زيدا ابنى، يرثنى وأرثه (كان ذلك جائزا قبل أن ينزل قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤-٥]) فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، وانصرفا، فكان من ذلك الحين يدعى زيد بن محمد، وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن، حاضنته، فولدت له أسامة، ثم زوجه رسول الله ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش، فلم تحسن العشرة بينهما، فطلقها، وتزوجها بعده رسول الله ﷺ، بأمر ربه، تأكيدا لإبطال التبني، وبعد أن طلق زينب زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة، أم أمها البيضاء بنت عبد المطلب، فولدت له زيد بن زيد ورقية، ثم طلق أم كلثوم، وتزوج مرة بنت أبى لهب بن عبد المطلب، ثم طلقها وتزوج هذا بنت العوام، أخت الزبير.

وشهد زيد بن حارثة بدرا وما بعدها، وقتل فى غزوة مؤتة، وهو أمير، واستخلفه رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره على المدينة، وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن عمر فرض لأسامة أكثر مما فرض لابن عمر، قال: فسألته فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وإن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك.

وأما أسامة بن زيد فقد ولد فى الإسلام بمكة، ومات النبى ﷺ وله ثمانى عشرة سنة واعتزل أسامة الفتنة بعد قتل عثمان، إلى أن مات فى أواخر خلافة معاوية وكان قد سكن المزة من أعمال دمشق، ثم رجع، فسكن وادى القرى، ثم نزل إلى المدينة، فمات بها، سنة أربع وخمسين على الصحيح.

ويؤخذ من الحديث

- ١- قال النووي: فيه جواز إمارة العتيق.
- ٢- وجواز تقديمه على العرب.
- ٣- وجواز تولية الصغار على الكبار.
- ٤- وجواز تولية المفضل على الفاضل، للمصلحة.
- ٥- فيه فضائل ظاهرة لزيد وأسامة رضى الله عنهما.
- ٦- وجواز الحلف من غير استحلاف.

والله أعلم

(٦٤١) باب من فضائل عبد الله بن جعفر عليه السلام

٥٤٥٣ - ٦٥ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُلَيْكَةَ ^(٦٥). قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام لِابْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَذْكُرُ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. أَنَا وَأَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَحَمَلْنَا، وَتَرَكَكَ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ. بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُثَيْبَةَ وَإِسْنَادِهِ.

٥٤٥٤ - ٦٦ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام ^(٦٦) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّيَ بِصَبِيَّانِ أَهْلِ بَيْتِهِ. قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسَبَقَ بِي إِلَيْهِ. فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ. قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا عَلَى دَابَّةٍ.

٥٤٥٥ - ٦٧ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام ^(٦٧) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّيَ بِنَا. قَالَ: فَتَلَقَّيَ بِي وَبِالْحَسَنِ أَوْ بِالْحُسَيْنِ. قَالَ: فَحَمَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْآخَرَ خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

٥٤٥٦ - ٦٨ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام ^(٦٨) قَالَ: أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فَأَسْرَأَ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أَحَدٌ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

المعنى العام

إن الرحمة كلمة صغيرة، ولكن معناها وأثرها كبير في نفس من تلحقه هذه الرحمة، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان من أبرز خلاله الرحمة، وقد وصفه الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقد يأنف بعض الكبراء من مداعبة الصبيان، والتلطف معهم، والتعاطف عليهم، ترفعا وتكبيرا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل كل ذلك، تواضعا وشفقة، يحمل الصبي، ويركبه خلفه، وأمامه بين يديه، على الراحلة، ويمسح على رأسه، حتى أحب الصبية لقاءه، وترقبوا قدومه، ليستقبلوه بكل الحب والبشر والسرور وكان الصبي الذي يحظى بشيء من ذلك يزهو ويفخر، ويعد من مناقبه وفضائله أن حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أردفه خلفه، أو حمله أمامه بين يديه، ونعمت المنقبة، ونعمت الفضيلة.

(٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبَةَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُلَيْكَةَ

(٦٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا وَقَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ مُورِقِ الْعَجَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ

(٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَاصِمِ حَدَّثَنِي مُورِقٌ حَدَّثَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ

(٦٨) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَوْلَى الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ

المباحث العربية

(قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير) أى لعبد الله بن الزبير، وكانا فى سن متقاربة، وكان هذا القول فى كبرهما، وكانت الحادثة المحكية فى صباهما، وسنهما نحو سبع سنين.

(أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ) كان الصبية يتلقون رسول الله ﷺ، فرحا به، وتبركا، إذا قدم من سفر، وكان صلى الله عليه وسلم يتبسط منهم، ويمسح برءوسهم ويلطفهم.

(أنا وأنت وابن عباس) سبق أن ذكرنا بعض فضائل الزبير، وسيأتى باب خاص بابن عباس .

(قال: نعم. فحملنا وتركك) ظاهر العبارة أن قوله « فحملنا وتركك » من كلام ابن الزبير، وهكذا توهم القاضى عياض، فخطأ الرواية، ووصفها بالخلط، لأن الذى وقع أن الرسول ﷺ حمل فى هذه الحادثة ابن جعفر وابن عباس، وترك ابن الزبير، لأن الدابة حينئذ كان يشق عليها حمل الثلاثة والتحقيق أن الرواية لا وهم فيها ولا خلط، وكل ما فيها أن لفظ « قال: نعم » مقدمة من تأخير، وأن قوله « فحملنا وتركك » من تنمة كلام ابن جعفر قال النووى: معناه: قال ابن جعفر: فحملنا وتركك » اهـ.

فقدر النووى: « قال ابن جعفر » بعد « نعم » ثم قال النووى: وتوضحه الروايات بعده. اهـ.

وليس فى الروايات بعده ما يوضح أن المتروك ابن الزبير، فالروايتان الثانية والثالثة. ليس فى أيهما ذكر لابن الزبير ولا لابن عباس، بل هما فى حادثة أخرى، أفرادها ابن جعفر، وأحد ابني فاطمة، وإنما الذى يوضح ذلك واقع القصة.

(إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته) وبغيرهم من الصبيان، و « تلقى » بضم التاء، مبنى للمجهول، للإشارة إلى أن أهليهم هم الذين كانوا يدفعونهم لذلك، ولذلك بنى للمجهول أيضا قوله « فسوق بى إليه » ولم يقل: فسوقت إليه، وقوله « ثم جيء » ولم يقل: ثم جاء.

(فحملنى بين يديه) أى حملنى على الدابة التى يركبها، ووضعنى أمامه عليها.

(فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة) الرسول ﷺ وابن جعفر وأحد ابني فاطمة، ولم يحددهما كما ورد بينهما فى الرواية الثالثة، فقال « وبالحسن أو بالحسين ».

فقه الحديث

عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، ابن ابن عم الرسول ﷺ، كنيته أبو محمد، وأبو جعفر، والثانية أشهر، أمه أسماء بنت عميس، أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولد بأرض الحبشة، لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، وقدم مع أبيه من الحبشة إلى المدينة مرجع رسول الله ﷺ من خيبر، وكان الرسول ﷺ يحبه، كما كان يحب أباه، وبعد أن استشهد أبوه زاد حب رسول الله ﷺ

له، وكان يدعو «اللهم اخلف جعفرا في ولده» وأخبره في الكرم كثيرة ومشهورة، مات رسول الله ﷺ وهو ابن عشر سنين، وكان أحد أمراء علي في حرب صفين، ومات بالمدينة سنة ثمانين على الصحيح.

ما يؤخذ من الحديث

استحباب تلقى الصبيان للعلماء وأهل الفضل، عند عودتهم من سفر أو غيبة، وأن يتلطف بهم، وأن يركب الصبيان معه، ولا نقص في ذلك، وأنه لا بأس بركوب ثلاثة على دابة إذا كانت مطيقة، وفي ذلك فضل ومنقبة لعبد الله بن جعفر.

والله أعلم

(٦٤٢) باب من فضائل خديجة رضي الله عنها

٥٤٥٧ - ٦٩ عن علي رضي الله عنه (٦٩) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

٥٤٥٨ - ٧٠ عن أبي موسى رضي الله عنه (٧٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

٥٤٥٩ - ٧١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٧١) قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك. معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل. ومني. وبشرها بيئت في الجنة من قصب. لا صخب فيه ولا نصب. قال أبو بكر في روايته. عن أبي هريرة. ولم يقل سمعت. ولم يقل في الحديث. ومني.

٥٤٦٠ - ٧٢ عن إسماعيل رضي الله عنه (٧٢) قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراً خديجة بيئت في الجنة؟ قال: نعم. بشرها بيئت في الجنة من قصب. لا صخب فيه ولا نصب. حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية.

٥٤٦١ - ٧٣ عن عائشة رضي الله عنها (٧٣) قالت: بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بيئت في الجنة.

(٦٩) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة ح وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة وابن نمير وكيع وأبو معاوية ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبدة بن سليمان كلهم عن هشام بن عروة واللفظ حديث أبي أسامة ح وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول سمعت علياً بالكوفة يقول (٧٠) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر جميعاً عن شعبة ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري واللفظ له حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن أبي موسى

(٧١) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وابن نمير قائلوا حدثنا ابن فضال عن عمارة عن أبي زرعة قال سمعت أبا هريرة (٧٢) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي ومحمد بن بشر العبدي عن إسماعيل ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا المعتبر بن سليمان وجرير ح وحدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله (٧٣) حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

٧٤-٥٤٦٢ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٤) قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ. وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ. لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا. وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُشَرَّهَا بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يَهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا.

٧٥-٥٤٦٣ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٥) قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ. وَإِنِّي لَمْ أُذْكَرْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ أُرْسِلُوا بِهَا إِلَيَّ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا. فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا».

٥٤٦٤ - - وفى رواية عن هشام بهذا الإسناد، نحو حديث أبي أسامة. إلى قصة الشاة. ولم يذكر الزيادة بعدها.

٧٦-٥٤٦٥ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٦) قَالَتْ: مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا. وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ.

٧٧-٥٤٦٦ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٧) قَالَتْ: لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ.

٧٨-٥٤٦٧ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٨) قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَأَحَ لِذَلِكَ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» فَعِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِرِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشُّدْقِيِّنِ، هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكِ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا!

المعنى العام

خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - أول من تزوجها صلى الله عنها، تزوجها سنة

(٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
(٧٥) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ غَفْمَانَ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ غُرُوةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ
(٧٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ غُرُوةَ عَنْ عَائِشَةَ
(٧٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ غُرُوةَ عَنْ عَائِشَةَ
(٧٨) حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

خمس وعشرين من مولده، فى قول الجمهور، وكانت قبله عند أبى هالة بن النباش بن ززارة التميمى، وله منها ولد اسمه « هند » ومات أبو هالة فى الجاهلية، وكانت خديجة قبله عند عتيق بن عاذن المخزومى.

وكان النبى ﷺ قبل أن يتزوج خديجة قد سافر فى مالها مقارضا إلى الشام، وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة.

وصدقت النبى من أول وهلة، مما يدل على قوة يقينها، ووفور عقلها، وصحة عزمها، شاركته الحصار الاقصادى، وكانت حصنا له صلى الله عليه وسلم، حتى قال: ما نالت منى قريش ما نالت منى بعد موت خديجة وأبى طالب.

وكان جميع أولاده صلى الله عليه وسلم منها، إلا إبراهيم، والمتفق عليه من أولاده منها:

القاسم، وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل المبعث، أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: وهما أخوان له، ومات الذكور صغارا باتفاق.

وماتت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح، فأقامت معه خمسا وعشرين سنة، لم يتزوج فى حياتها غيرها. رضى الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد. قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض) قال القرطبى: الضمير فى « خير نسائها » عائد على غير مذكور، لكنه يفسره المقام والمشاهدة، يعنى خير نساء الدنيا، وقال الطيبى: الضمير الأول يعود على الأمة التى كانت فيها مريم، والثانى على هذه الأمة - أى خير نساء عصر مريم مريم، وخير أمة محمد ﷺ خديجة - قال: ولهذا كرر الكلام « خير نسائها » - تنبيها على أن حكم كل واحدة منها غير حكم الأخرى. اهـ. لكن لا يساعد هذا التفسير إشارة وكيع إلى السماء والأرض، مما يرجح أن المراد بالضميرين نساء الدنيا.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر لى أن قوله « خير نسائها » خبر مقدم، والضمير لمريم، فكأنه قال: مريم خير نسائها، أى خير نساء زمانها، وكذا فى خديجة.

وقال النووى: الأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير من نساء الأرض فى عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه.

وقال القاضى: يحتمل أن الكلام على تقدير « من » أى أنهما من خير نساء الأرض والصحيح الأول.

(كمل من الرجال كثير) فكانوا أنبياء، ورسلاً، و « كمل » بفتح الكاف، والميم مفتوحة ومضمومة ومكسورة ثلاث لغات مشهورات، والكسر ضعيف.

(ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١] وذكر بعضهم أنها كانت عمه موسى عليه السلام، وأنها آمنت به، حين سمعت بتلقف العصا إفاك السحرة، فعذبها فرعون.

وأخرج أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة « أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد، فى يديها ورجليها، فكانت إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة عليهم السلام، وقالت: رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة، فيكشف لها عن بيتها فى الجنة » وفى رواية عند عبد بن حميد « أنه وتد لها أربعة أوتاد، وأضجعها على ظهرها، وجعل على صدرها رضى، واستقبل بها عين الشمس » وعن الحسن « فنجأها الله تعالى أكرم نجاه، فرفعها إلى الجنة، فهى تأكل وتشرب، وتنعم فيها » قال المفسرون: وظاهر هذه الرواية أنها رفعت بجسدها، وهو لا يصح.

أما مريم ابنة عمران - ولها سورة باسمها فى القرآن الكريم - فصدقت وآمنت بكلمات ربها وصحفه، وبجميع كتبه، من التوراة والإنجيل، والزيور والقرآن، وإن لم يكن قد نزل، ﴿وَكَاَنَتْ مِنْ الْقَائِمِينَ﴾ ومن عداد المواظبين على الطاعة.

وأخرج الطبرانى عن سعد بن جنادة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى عليه السلام ».

ولفظه الكمال تطلق على تمام الشيء وتنأيه فى بابيه، والمراد هنا التناهى فى جميع الفضائل، وخصال البر والتقوى.

(وإن فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام) يقال: ثرد الرجل الخبز، بفتح الشاء والراء، يثرده بضم الراء، ثرداً، بسكونها، أى فته، ثم بله بمرق.

قال النووى: قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه - ومعنى هذا تقييد « سائر الطعام » وجعل « أل » فيه وفى « الثريد » للعهد، أى الثريد من أى نوع أفضل من سائر طعامه ومرقه من غير فتات الخبز معه - قال: والمراد بالفضيلة نفعه، والشبع منه، وسهولة مساعه، والالتذاد به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك. قال: فهو أفضل من المرق كله، ومن سائر الأطعمة، أى فضل عائشة على النساء زائد، كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة، اهـ. وفى هذه العبارة الأخيرة نظر لأن من الأطعمة ما هو أفضل من الثريد فى كل ما ذكره إلا أن يقال: إنه لم يكن ميسورا لهم، فالكلام جرى على حسب عادتهم وعرفهم.

وما ذكر من صفات الثريد المشبه به يقابله من صفات عائشة رضى الله عنها ما أعطيت من حسن الخلق، وحلاوة المنطق، وفصاحة اللهجة، وجودة القريحة، ورزانة الرأى، ورضانة العقل، والتحبب للبعل، وحسبك أنه عقلت من النبى ما لم يعقل غيرها من النساء، وروت عنه ما لم يرو مثله كثير من الرجال.

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم....) قال النووي: هذا الحديث من مراسيل الصحابة، لأن أبا هريرة لم يدرك أيام خديجة، فهو محمول على أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، أو من صحابى، ولم يذكر أبو هريرة أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ومراسيل الصحابة حجة عند الجماهير.

(هذه خديجة قد أتتك، معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك) قال النووي: معنى « أتتك » الأولى توجهت إليك، ومعنى « أتتك » الثانية وصلت إليك. اهـ. والمعنى هذه خديجة أراها ولا تراها، أعدت لك طعاما، وحملتة متوجهة به نحوك، وعند الطبراني كان حيسا، بفتح الحاء وسكون الياء، وهو تمر وأقط وسمن، تخلط وتعجن وتسوى، كالثريد، فإذا وصلت عندك.

(فاقراً عليها السلام، من ربه عز وجل، ومنى) زاد فى رواية الطبراني أنها لما بلغت قالت: « هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام » وعند النسائي « قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يقرئ خديجة السلام » يعنى فأخبرها « فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته » زاد ابن السنن « وعلى من سمع السلام، إلا الشيطان » قال الحافظ ابن حجر: والظاهر أن جبريل كان حاضراً عند جوابها، فردت عليه وعلى النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، مرة بالتخصيص، ومرة بالتعميم.

قيل: إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم احتراماً للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك وقع له لما سلم على عائشة، ولم يواجهها بالسلام، بل راسلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، لكن قد واجهه مريم بالخطاب، قيل: لأنها لم يكن معها زوج، ويحترم معه مخاطبتها.

يقال: قرأ عليه السلام قراءة، أبلغه إياه، وكذا أقرأه السلام، أبلغه إياه، ولا يقال: يقرؤك السلام بفتح الياء.

(ويشرها ببيت فى الجنة من قصب) قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف، والقصب من الجوهر، ما استطال منه فى تجويف، ويقال لكل مجوف قصب، وقال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة، كالقصر المنيف، وعند الطبراني فى الأوسط « يعنى قصب اللؤلؤ » وعنده فى الكبير « بيت من لؤلؤة مجوفة » وعنده فى الأوسط، من حديث فاطمة رضى الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أين أمى خديجة؟ قال: فى بيت من قصب. قلت: أمن هذا القصب؟ « تقصد النباتات المعروفة بالحواء؟ تخيلته منسوجة حوائطه بعيان القصب، بدلا من أعواد الحطب والجريد التى يقيمونها حوائط، ويغلفونها بالطين » قال: لا، من القصب المنظوم بالدر، واللؤلؤ والياقوت.»

والمراد بهذا البيت بيت وقصر رائد على ما أعده الله لها من ثواب عملها، أى بيت صفته كذا وكذا هدية خالصة، لا دخل لعملها فى تحصيله، وعلى هذا فسر قوله .

(لا صخب فيه، ولا نصب) أى لا نصب ولا تعب منها فى تحصيله، والصخب بفتح الصاد والخاء الصياح والمنازعة برفع الصوت، وأغرب الداودى، فقال: الصخب العيب، والنصب العوج، وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة، والنصب بفتح الحين، وبضم النون وسكون الصاد، كالحزن والحزن، لغتان، والفتح أشهر وأفصح.

(ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة) « ما » مصدرية، أى ما غرت على رسول الله ﷺ، من امرأة من نسائه غيرتى عليه من خديجة، وفى الرواية السابعة « ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة ».

(ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين) جملة معترضة بين الخبر، وبين بيان سببه، جيء بها للإشارة إلى أنها لو كانت اجتمعت معها، فى عصمته صلى الله عليه وسلم فى زمن واحد، لكانت غيرتها منها أشد، والمراد من الهلاك الموت، قال النووى: تعنى قبل أن يدخل بها، لا قبل العقد، وإنما ماتت قبل أن يعقد عليها بنحو سنة ونصف سنة، وفى الرواية السابعة « وإنى لم أدركها » أى لم أدرك حياتها زوجة مشاركة لى رسول الله ﷺ، أى وإن أدركتها ووعيتها زوجة له، قبل أن يتزوجنى، وفى الرواية الثامنة « وما رأيتها قط » أى وأنا زوجة لرسول الله ﷺ.

(لما كنت أسمعُه يذكرها) اللام للتعليل، و « ما » موصولة، أو مصدرية، والمراد لكثرة سماعى ذكرها على لسانه صلى الله عليه وسلم، أى ذكرها بالمدح والخير والثناء، وفى الرواية الثامنة « لكثرة ذكره إياها » ومن هذا الذكر تبشيرها. بيت فى الجنة، وكونه إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها - أى بجزئها - إلى أصدقاء خديجة، وإشعاره بأنه لم يتزوج عليها حتى ماتت، كما فى الرواية التاسعة، ولحبه وارتياحه وسروره ببقاء أهلها وصاحباتها بعدها كما فى الرواية العاشرة، وعند البخارى « ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها... فيقول: إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد » أى فهى أم أولادى الذين أحبهم، إذ كان جميع أولاده من خديجة، إلا إبراهيم، « وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها ».

(وإن كان ليذبح الشاة، ثم يهديها إلى خلائلها) « ثم يهديها » أى يهدى الكثير منها، والخلائل جمع خليلة، وهى الصديقة، و « إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن والحال، محذوف، وفى رواية للبخارى « وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة » وفى الرواية السابعة « وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة » « والفاء عاطفة على محذوف، جوابه « إذا » أى إذا ذبح الشاة اهتم بأصدقائها، فيقول:، وهذا الأسلوب وإن كان يفيد العادة والشأن مراد به هنا الكثرة، وفى رواية للبخارى « ربما ذبح الشاة » بلفظ « ربما » وفى رواية أخرى للبخارى « وإن كان ليذبح الشاة، فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن » أى ما يكفيهن، وفى رواية « ما يشبعهن ».

(قالت: فأغضبه يوماً، فقلت: خديجة؟) وفى رواية « خديجة؟ خديجة؟ » بال تكرير، أى فى كل وقت تذكر بالثناء خديجة؟ وفى رواية للبخارى « كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ » وفى روايتنا العاشرة « ما تذكر من عجوز من عجائز قريش؟ حمراء الشدقين » بالجر، وقال أبو البقاء: جوز فى « حمراء » الرفع على القطع، والنصب على الحال. وحكى فى بعضهم رواية « حمراء » بالجيم والزاي، ولا معنى لها، بل هى تصحيف، قال القرطبى: قيل: معنى « حمراء الشدقين » بياض الشدقين، والعرب تطلق على الأبيض الأحمر، قال: والذى عندى أن المراد بذلك نسبتها إلى كبر السن، لأن من دخل فى سن الشيخوخة، مع قوة فى بدنه، يغلب على لونه غالباً الحمرة المائلة إلى السمرة. كذا قال:

قال الحافظ ابن حجر: والذي يتبادر أن المراد بالشدقين ما فى باطن الفم، فالكلام كناية عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة، وغيرها، وبهذا جزم النووى وغيره.

(هلكت فى الدهر) أى ماتت فى الزمن الماضى، وعفا على آثارها الزمان.

(استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ) كانت « هالة » زوج الربيع بن عبد العزى، والد العاصى بن الربيع، زوج زينب بنت النبى ﷺ، فهى « حماة » زينب، وكان رسول الله ﷺ يفتى على معاملتها ومعاملة ابنها لزينب، قبل أن يسلم، وبعد أن أسلم، وقد ذكروها فى الصحابة، وهو ظاهر هذا الحديث، وقد هاجرت إلى المدينة، لأن استئذانها للدخول كان بالمدينة، ويحتمل أن تكون قد دخلت على النبى ﷺ بمكة، حيث كانت عائشة معه فى بعض سفره.

(فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: اللهم. هالة بنت خويلد) أى هذا صوت هالة بنت خويلد، عرفه لشبهه بصوت خديجة أختها، فتذكر خديجة بذلك، و« ارتاع » من الروع، بفتح الراء، وهو الفزع، والمراد من الفزع لازمه، وهو التغير، والمقصود التغير فرحا وبهجة وشوقا، ووقع فى بعض الروايات « ارتاح » بالحاء، أى اهتز لذلك سرورا، قال الحافظ ابن حجر: وقوله « اللهم هالة » فيه حذف تقديره: اجعلها هالة، فعلى هذا فهو منصوب - أى كما نقول: يا رب تكون هالة - قال: ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أى هذه هالة.

(فأبدلك الله خيرا منها) تعنى نفسها، فعند أحمد والطبرانى فى هذه القصة « قالت عائشة: فقلت: أبدلك الله بكبيرة السن حديثه السن » وفى رواية لأحمد والطبرانى « فقال ﷺ ما أبدلنى الله خيرا منها. آمنيت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » وفى روايتنا السابعة « إنى رزقت حبها ».

فقه الحديث

يؤخذ من أحاديث الباب

١- عن الرواية الثانية قال القاضى: هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء، ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهما ليستا نبيتين، بل هما صديقتان، ووليتان من أولياء الله تعالى، ثم قال: فإن قلنا: هما نبيتان فلا شك أن غيرهما لا يلحق بهما، وإن قلنا: وليتان لم يمتنع أن يشاركهما من هذه الأمة غيرهما. اهـ. قال النووى: وهذا الذى نقله من القول بنبوتها غريب ضعيف، وقد نقل جماعة الإجماع على عدمها. اهـ.

وقد استدل بعضهم على نبوة مريم بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] ورد بأنه ليس بصريح فى ذلك.

كما استدل على نبوتها بذكرها مع الأنبياء فى سورة مريم، ورد بأن دلالة الاقترن ليست دلالة شرعية، قيل: ووصفها بصديقة يبعد كونها نبية، ورد بأن يوسف عليه السلام قد وصف بالصديق وهو نبى.

وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات، حصرهن ابن حزم في ست: حواء وسارة وهاجر، وأم موسى، وآسية ومريم وأسقط القرطبي سارة وهاجر ونقله في التمهيد عن أكثر الفقهاء، وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية، قال عياض: والجمهور على خلافه، وعن الحسن ليس في النساء نبية، ولا في الجن.

وقد استدل على عدم نبوة النساء بروايتنا الأولى، وبحديث البخاري «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة» فقد استويا في الخيرية، وخديجة ليست نبية باتفاق، فمريم كذلك، وإذا لم تكن مريم نبية، لم تكن غيرها من النساء كذلك، ورد بأنه لا يلزم من التسوية في الخيرية التسوية في جميع الصفات.

٢- واستدل بقوله في الرواية الثانية «وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» على تفضيل عائشة على نساء النبي ﷺ، وقال ابن التين: في سكوت النبي ﷺ على عائشة، حين قالت: قد أبدلك الله خيرا منها» دليل على أفضلية عائشة على خديجة، إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة، وصغر السن، ورد بما جاء في الروايات الأخرى من أنه لم يسكت، وبأنها صرحت في بعض الروايات بأن الخيرية التي تعنيها خيرية الصورة وحدثة السن.

٣- ومن الرواية الأولى والثالثة والرابعة وما بعدهما فضل خديجة، ففي الأولى «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» فخديجة خير من عائشة. قال ابن التين: ويحتمل أن لا تكون عائشة دخلت في ذلك، لأنها كانت لها عند موت خديجة ثلاث سنين (كذا قال) فلعل المراد النساء البوالخ، قال الحافظ ابن حجر: وهو ضعيف، فإن المراد بلفظ النساء أعم من البوالخ، ومن لم تبلغ أعم ممن كانت موجودة وممن ستوجد، وعند البزار والطبراني «فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين» وهو حديث حسن الإسناد، وعند النسائي بإسناد صحيح، والحاكم «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» قال: وهذا نص صريح، لا يحتمل التأويل.

٤- ومن الرواية الثالثة، من قوله «اقرأ عليها السلام من ربه عز وجل ومنى» أفضلية خديجة على عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربه.

وزعم ابن العربي: أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، قال الحافظ: ورد بأن الخلاف ثابت قديما، وإن كان الراجح أفضلية خديجة. قال السبكي الكبير: لعائشة من الفضائل ما لا يحصى، ولكن الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة، ثم عائشة، اهـ.

قال السبكي: ونساء النبي ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل، وهن أفضل النساء، لقول الله تعالى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن تَقِيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وظاهر كلام السبكي تفضيلهن على فاطمة، لكن قوله الأول المختار عنده تفضيل فاطمة، حتى على خديجة وعائشة وقد نقل عنه أنه سئل: هل قال أحد: إن أحدا من نساء النبي ﷺ غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة؟ فقال: قال به من لا يعتد بقوله، وهو من فضل نساء النبي ﷺ على جميع الصحابة، لأنهن في درجته في الجنة. قال: وهو قول ساقط مردود، اهـ وقائله هو أبو محمد بن حزم، وفساده ظاهر.

وعندى أن التفضيل بحث غير علمي، لا طائل تحته، وعلمه عند الله، فمقادير الفضائل، وتقدير كل فضيلة مرجعه إلى الله تعالى وحده، وواجبنا الاعتراف بالفضائل وتعظيم أصحابها، والله أعلم.

٥- ومن غيرة عائشة رضي الله عنها ثبوت غيرة النساء، وأنها غير مستنكر وقوعها من فضلات النساء، فضلا عن دونهن.

٦- وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ، لكن كانت تغار من خديجة أكثر.

٧- وأن الغبراء قد تعذر لما يصدر منها، قال الطبري: وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء ما يقع فيها، ولا عقوبة عليهن في تلك الحالة، لما جبلن عليه منها. اهـ وهذا فيما صدر من توافه الأمور، أو كان لها عذر ظاهر، وقد اعتذروا عن عائشة في موقفها من ذكر خديجة بأنها قد اجتمع فيها حينئذ الغيرة، مع صغر السن، مع الإدلال، فلا يقال على الإطلاق بالصفح عن الغبراء فيما تأتي بسبب الغيرة وحدها، ثم إن عائشة لم تأت محرما، وإنما صدر منها في وقت الغيرة ما لا يصدر منها في حال عدم الغيرة.

٨- وفي هذه الأحاديث مزيد حب رسول الله ﷺ لخديجة رضي الله عنها، وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية السابعة « إني قد رزقت حبها » أن حب الرسول ﷺ فضيلة لمن يحبه.

٩- وفي موقف الرسول ﷺ من خديجة بعد موتها دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة صاحب والعشير، في حياته، وبعد وفاته، وإكرام أهل ذلك صاحب.

١٠- وفي إخبار عائشة - رضي الله عنها - بغيرتها من خديجة، وبما قد ينقص عند البعض من رفعتها ومكانتها، زيادة إيمان، وفرط إنصاف.

والله أعلم

(٦٤٣) باب فضائل عائشة رضي الله عنها

٧٩ - ٥٤٦٨ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٧٩)، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَيْتَكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ. جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ. فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفِي عَن وَجْهِكِ. فَإِذَا أَنْتِ هِيَ. فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يُمِضِيهِ».

٨٠ - ٥٤٦٩ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٠) قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ وَ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ «أَمَّا إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لا. وَرَبِّ مُحَمَّدٍ! وَإِذَا كُنْتَ غَضَبِي قُلْتَ: لا. وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ أَجَلٌ وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.

٥٤٧٠ - - فِي رِوَايَةٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: «لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

٨١ - ٥٤٧١ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨١)، أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي. فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ.

٥٤٧٢ - فِي رِوَايَةٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بَيْتِهِ. وَهُنَّ اللَّعْبُ.

٨٢ - ٥٤٧٣ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٢)، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَذَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرَضَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٧٩) حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ جَمِيعًا عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَادٌ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعًا عَنْ هِشَامِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ.

(٨٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

- وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامِ

(٨١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ

كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ

(٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ

٥٤٧٤ - ٨٣ عن عائشة رضي الله عنها^(٨٣)، زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ. فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطبي. فأذن لها. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألك العذل في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكئة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «أي بنية! ألسنت تجميع ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأجبي هذه» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ. فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ. فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغيت عنا من شيء. فأرجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك يشدوك العذل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله! لا أكلمه فيها أبدا. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرّب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة، كانت فيها تسرع منها الفئمة. قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك، يسألك العذل في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي. فاستطالت علي. وأنا أرقب رسول الله ﷺ. وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصير. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبهها حتى أنحيت عليها. قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «إنها ابنة أبي بكر».

٥٤٧٥ - - وفي رواية عن الزهري بهذا الإسناد، مثله في المعنى، غير أنه قال: فلما وقعت بها لم أنشبهها أن أنحيتها غلبة.

٥٤٧٦ - ٨٤ عن عائشة رضي الله عنها^(٨٤) قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقّد يقول: «أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟» استبطاء ليوم عائشة. قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري.

(٨٣) حدثني الحسن بن علي الحلواني وأبو بكر بن النضر وعبد بن حميد قال عبد حدثني وقال الآخران حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب أخبرني محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن عائشة قالت - وحدثني محمد بن عبد الله بن فهراذ قال عبد الله بن عثمان حدثني عن عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري (٨٤) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال وجدت في كتابي عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة

٥٤٧٧ - $\frac{٨٥}{٧}$ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٥)، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدًا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي. وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ».

٥٤٧٨ - $\frac{٨٦}{٨}$ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٦) قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بَحَّةٌ يَقُولُ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خَيْرَ حِينِيذٍ.

٥٤٧٩ - $\frac{٨٧}{٩}$ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٧)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَاحِحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ: عَائِشَةُ فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَأْسُهُ عَلَى فِخْذِي، غَشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» قَالَتْ: عَائِشَةُ قُلْتُ إِذَا لَا يَخْتَارُنَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَاحِحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى».

٥٤٨٠ - $\frac{٨٨}{١٠}$ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٨٨) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ. فَخَرَجْنَا مَعَهُ جَمِيعًا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ، يَتَحَدَّثُ مَعَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلَا تَرَ كَيْبَانَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكَ فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرِي؟ قَالَتْ: بَلَى، فَارْكَبِي عَائِشَةَ عَلَى بَعِيرِ حَفْصَةَ، وَارْكَبِي حَفْصَةَ

(٨٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قَرَأَ عَلَيْهِ عَنْ هِشَامِ بْنِ غَرْوَةَ عَنْ عُبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ كُلُّهُمُ عَنْ هِشَامِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٨٦) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ غَرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح وَحَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

(٨٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَغَرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي رَجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَائِشَةَ

(٨٨) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَنْزَلِيُّ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ابْنُ أَبِي يَمِينٍ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ

عَلَى بَعِيرٍ عَائِشَةَ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ. فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا. حَتَّى نَزَلُوا. فَأَتَقَدَّتْهُ عَائِشَةُ فَغَارَتْ. فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي. رَسُولُكَ وَلَا أَسْتَطِيعُ. أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا.

٥٤٨١ - ٨٩/١١ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (٨٩) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فَضَّلْتُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَّلْتُ الشَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.

٥٤٨٢ - ٩٠/١٢ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٩٠)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ جِبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ». قَالَتْ: فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

٥٤٨٣ - ٩١/١٣ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٩١)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشُ! هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى.

المعنى العام

الصديقة بنت الصديق، عائشة ابنة أبي بكر، وأمها أم رومان، كانت قبل أبي بكر تحت عبد الله ابن الحارث الأزدي، وكان قد قدم بها مكة، فحالف أبا بكر قبل الإسلام وتوفى عن أم رومان بمكة، بعد أن ولدت له الطفيل، فتزوجها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، أسلمت، وبايعت، وهاجرت، وتوفيت في حياة النبي ﷺ سنة ست من الهجرة على المشهور.

ولدت عائشة بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وخطبها النبي ﷺ وهي بنت ست، وبعد أن جاءه جبريل عليه السلام بصورتها في ثوب من حرير يحمل على كفه، ويقول له: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، فكان صلى الله عليه وسلم يكشف الثوب عن وجهها، فيرى عائشة بنت أبي بكر، فيعجب،

(٨٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْبٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ خُبْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرِ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ.

(٩٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ زَكَرِيَاءَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ

- وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمَلَابِي حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا بِمِثْلِ حَدِيثِهَا

- وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ زَكَرِيَاءَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ (٩١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ

إنها طفلة يراها صباح مساء، وكان في هذه الفترة يذهب صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر مرة أو مرتين في اليوم، إنها في هذه السن، وفي هذا الجسم النحيل لا تصلح للزواج. فكيف يفهم كلام جبريل؟ أهي بشرى سابقة لما سيقع بعد سنين؟ لكنها حق من عند الحق. فكان يقول: إن كان هذا قدر الله فسيقع.

وفي يوم من أيام الحزن على خديجة جاءت الخاطبة خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون، فقالت: يا رسول الله. ألا تتزوج؟ فتخرج من هذا الحزن؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا؟ قال: فمن البكر؟ قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك، قال: فاذهبي، فاخطبيهما لي.

خطبها صلى الله عليه وسلم على أساس الانتظار بدخولها حتى تنضج وتصلح، ثم هاجر، وهاجرت من بعده، وبعد سنة من الهجرة دخل بها، وهي بنت تسع سنين، وعاشت في بيته تسع سنين، تعطيه من عذوبة البنات، وحنان الأم وهي الصبية الصغيرة، وعواطف الزوجة الشابة الحبيبة، حتى كانت أحب الناس إليه.

روى ابن سعد أنها قالت: «فضلت بعشر، أتاه الملك بصورتى فى كفه، لينظر إليها - تشير بذلك إلى روايتنا الأولى - ولم ينكح بكرا غيرى، ولا امرأة أبواها مهاجران غيرى، وأنزل الله براءتى من السماء، وكان ينزل عليه الوحي وهو معى» تشير إلى روايتنا الثالثة عشرة، وما سياتى فى المباحث العربية، فى رده صلى الله عليه وسلم على أم سلمة، كما جاء فى البخارى «وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه، وقبض بين سحرى ونحرى، فى بيتى وفى ليلتى» تشير إلى روايتنا السادسة والسابعة، «ودفن فى بيتى» زاد فى رواية «ورأيت جبرائيل، وكنت أحب نسائه إليه، ومرضته، فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة».

عاشت رضى الله عنها بعد وفاة رسول الله ﷺ طويلا، إذ ماتت سنة ثمان وخمسين فى رمضان، وأمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بعد التراويح والوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل قبرها خمسة: عبد الله وعروة، ابنا أختها، ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد، ابنا محمد أخيها، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

قال الزهري: لوجمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

رضى الله عنها وأرضاها بقدر ما خدمت الشريعة، وبلغت حديث رسول الله ﷺ.

المباحث العربية

(أريتك فى المنام ثلاث ليال) أى ثلاث مرات فى ثلاث ليال، أراه الله إياها أو أراه الملك إياها.

(جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير) « سرقة » بفتح السين والراء وهى الشقق، أى

ملفوفة فى أثواب وشرائح من حرير أبيض، وفى كتب اللغة: السرقة بفتح السين والراء شقق الحرير، أو أجوده، الواحدة سرقة. معرب.

(فيقول: هذه امرأتك) أى زوجتك فى المستقبل.

(فأكشف عن وجهك فإذا أنت هى) كأنها كانت ملفوفة بالحرير مغطاة الوجه، وقول « أنت هى » مبتدأ وخبر، أو خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، أى فإذا صورتك هى التى كانت فى اللفافة، أو فإذا التى كانت فى اللفافة تشبهك، وفى رواية « لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته، حين أمررسول الله ﷺ أن يتزوجنى » ويجمع بينهما بأن المراد أن صورتها كانت فى الخرقه، والخرقة فى راحته، ويحتمل أن تكون نزل بالكيفيتين فى مرتين.

(فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه) أى فأقول بعد اليقظة تفسيراً للرؤيا، و« إن يك » بحذف نون « يكن » تخفيفاً، وبأن التى للشك، وقد استشكل بأن الرسول ﷺ لا يشك فى رؤياه، فهى وحى، وأجيب باحتمال أن تكون قبل النبوة وقبل تخلص أحلامه ﷺ من الأضغاث، والمعنى إن كانت رؤيا حق فسيمضيها الله.

وعلى فرض أنها بعد النبوة فالمراد: إن تكن الرؤيا على ظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير، فسيمضيها الله تعالى وينجزها، فالشك فى كونها على ظاهرها لا تحتاج إلى تعبير.

وقيل: إن قوله « هذه امرأتك » يحتمل أن المراد هذه امرأتك فى الآخرة، أو هذه امرأتك فى الدنيا، فالشك فى كونها زوجة فى الآخرة فقط، أو هى ستكون زوجة فى الدنيا.

ويحتمل أنه لم يشك، ولكن الخبر على التحقيق، أى هو من عند الله وسيمضيه، وأتى بصورة الشك، كقوله « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ » [سبأ: ٢٤] وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة، ويسمونه تجاهل العارف، وسماه بعضهم مزج الشك باليقين.

(إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية) أكد الكلام بيان واللام، لتنزيل عائشة منزلة المنكر للحكم، وسبب هذا التنزيل إخفاؤها غضبها عنه صلى الله عليه وسلم، و« إذا » ظرف لمفعول « أعلم » المحذوف، والتقدير: إنى لأعلم شأنك وحالك وقت رضاك عنى، وقد استدلل ابن مالك بمثل هذا الحديث على خروج « إذا » عن الظرفية، وإعرابها مفعول « أعلم » والجمهور على خلافه.

(ومن أين تعرف ذلك؟) أصل « أين » للمكان، والمراد هنا السببية، فكأنها قالت: بأى شيء تعرف ذلك؟ والمشار إليه مفعول « أعلم ».

(أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد) « لا » حرف نفي، وقعت جواباً عن كلام سابق، وجواب القسم محذوف، والتقدير: ورب محمد لم أفعل.

(قلت: أجل) بفتح الهمزة والحيم، حرف جواب، بمعنى « نعم » يكون تصديقا للمخبر، وإعلانا للمستخبر، ووعدا للطالب.

(والله - يا رسول الله - ما أهرج إلا اسمك) عبرت بالقسم والقصر، لتأكيد مضمون

الجملة، وزيادة تقديره، فى ذهن الرسول ﷺ، وإنما كان غضبها من شدة غيرتها عليه، وقوة حبه له عليه الصلاة والسلام.

(أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ) المراد بالبنات هنا لعب الأطفال التى فى شكل البنات والادميين والحيوانات وغيرها، وقيل: المعنى أنها كانت تلعب مع البنات، أى مع الجوارى والقربانات القربيات منها فى السن، فالباء بمعنى « مع » ويرده ما جاء فى رواية بلفظ « ولكن جوارى، يأتين، فيلعبن بها معى » وما جاء فى ملحق روايتنا بلفظ « كنت أَلعب بالبنات، وهن اللعِب » بضم اللام، جمع لعبة.

وعند أبى داود والنسائى عن عائشة، قالت: « قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر.. فكشف ناحية الستر على بنات لعائشة، لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتى. قالت: ورأى فيها فرسا مريوطا له جناحان، فقال: ما هذا؟ قلت: فرس. قال: فرس له جناحان؟ قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل، لها أجنحة؟ فضحك. »

(عند رسول الله) أى فى بيته كزوجة له، وفى ملحق روايتنا « كنت أَلعب بالبنات فى بيته. »
(وكانت تأتيني صواحبى) جمع صاحبة، أى يأتين ليلعبن معى.

(فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ) « ينقمعن » بفتح الياء وسكون النون وكسر الميم، أى يتغيبن ويستخفين منه، حياء منه وهيبة، فيدخلن فى حجرة أخرى، أو يتسترن فى زاوية أو وراء ستر حتى يمر، وأصله من قمع الثمرة، أى يدخلن فى الستر، كما تدخل الثمرة فى قمعها، وفى رواية للبخارى « ينقمعن » بفتح التاء وتشديد الميم المفتوحة.

(فكان رسول الله ﷺ يسريهن إلى) « يسريهن » بضم الياء، وفتح السين وكسر الراء المشددة بعدها باء، أى يرسلهن ويرجعهن إلى، ويطلب منهن أن يعدن إلى اللعب معى.

(أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ) هذه الرواية مقدمة، أو جزء من الرواية الخامسة، جمعها البخارى، وأوضح قصتها، فروى عن عائشة رضى الله عنها « أن نساء رسول الله ﷺ كن حزيين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، أى بقيتهن، وهن زينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، رضى الله عنهن. » « وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كان عند أحدهم هدية، يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ فى بيت عائشة، بعث صاحب الهدية هديته إلى رسول الله ﷺ فى بيت عائشة. »

يقصدون بذلك اختيار وقت المسرة، ومكان المسرة ليزيد ذلك فى سرور المهدى إليه، ومع أن رسول الله ﷺ كان يشركهن فى الهدايا إلا أن خروج الهدية من بيت عائشة، ومن يدها يوحى بفضله لها، وتميز فى وضعها على قريباتها، مما كان يؤلمهن، لدرجة أن بعضهم كان يرفض الهدية ويردها، أنفة وإباء، وكان الأمر فى نظرهن يتنافى مع العدل بين الزوجات، ذلك شأن الحزب المقابل، أما حزب عائشة فلم يكن عندهن غضاضة، لذلك كان التجمع، والتظاهر، والتضرر، والشكوى من حزبه أم سلمة.

وعند ابن سعد « كان الأنصار يكثرون لإطاف رسول الله ﷺ، سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وعمارة بن حزم وأبو أيوب، وذلك لقرب جوارهم من رسول الله ﷺ ».

والتحري دقة القصد يقال: تحرى الشيء إذا قصده دون غيره.

(أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ) فى رواية البخارى « فكلم حزب أم سلمة، أم سلمة فقلن لها: كلمى رسول الله ﷺ، يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدى إلى رسول الله ﷺ هدية، فليهدها حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت: ما قال لى شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك » أى حتى يجيبك على طلبك « فكلمته حين دار إليها أيضاً » أى حين جاءها فى ليلتها « فلم يقل لها شيئاً فسألنها، فقالت: ما قال لى شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها، فكلمته، فقال لها: لا تؤذيني فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة. قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأرسلتها إلى رسول الله ﷺ ».

(فاستأذنت عليه، وهو مضطجع معى فى مرطى، فأذن لها) أى ولم يغير من وضعه مع عائشة، والتحافه وإياها فى لحاف واحد مضطجعا، والمرط كساء من خز أو صوف أو كتان، يؤترز به وتتلفح به المرأة.

(فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلننى إليك، يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة، وأنا ساكتة) أى وظلت ساكتة، لم تتكلم عن فاطمة بشيء، وعائشة ابنة ابن أبى قحافة، فأضافتها إلى جدها، وحذفت أباهما. وعند ابن سعد أن النبى ﷺ سألها « أرسلتك زينب؟ قالت: هى وغيرها، قال: أهى التى وليت ذلك؟ قالت: نعم ».

وفى رواية للبخارى « إن نساءك ينشدنك العدل فى بنت أبى بكر » أى يطلبن منك العدل، وفى رواية « يناشدنك الله العدل: أى يسألنك بالله العدل ».

(أى بنية) يعنى يا بنية، والتصغير للتلميح والتلطف.

(أأست تحبين ما أحب؟) التعبير بما، دون « من » ليشمل العاقل وغير العاقل، والاستفهام تقريرى، أى قرى بأنك تحبين ما أحب.

(قال: بلى. قال: فأحبى هذه، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبى ﷺ) أى إلى الفريق الذى أرسلها.

(فأخبرتهن بالذى قالت: وبالذى قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أفنيت عنا من شيء، فارجعى إلى رسول الله ﷺ، فقولى له: إن أزواجك ينشدنك العدل فى ابنة أبى قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً) وفى رواية البخارى « فأبت أن ترجع ».

(فأرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبى ﷺ، وهى التى كانت تسامينى منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ) أى تعادلنى وتضاهينى فى الحظوة والمنزلة

الرفيعة، مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع، والمراد أنها كانت تعترز بقرابتها من رسول الله ﷺ، فهي ابنة عمته، وأن الله هو الذى زوجها رسول الله ﷺ صراحة وأمرأً، بخلاف عائشة، فإن كون تزويجها من الله كان رؤيا وإشارة، وأنها كانت شابة جميلة، وكان رسول الله ﷺ يحبها وإن كان بالدرجة الثانية بعد عائشة، فالمراد أنها كانت تنافس عائشة على حبه وتقديره صلى الله عليه وسلم، وفى الكلام قصر، طريقه تعريف الطرفين «هى التى» أى دون غيرها من نسائه صلى الله عليه وسلم.

(ولم أر امرأة قط خيراً فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى) المفضل فى كل تفضيل مقدر، أى أتقى لله من زينب، وأصدق حديثاً من زينب... إلخ. وأصل «تصدق» و«تقرب» تتصدق وتتقرب.

وهذا المدح والثناء من عائشة وفاء وشكر لجميل موقف زينب من عائشة فى حديث الإفك، إذ قالت: والله ما علمت عنها إلا خيراً.

(ما عدا سورة من حدة، كانت فيها، تسرع منها الفيئة) قال النووى: هكذا هو فى معظم النسخ «سورة من حد» بفتح الحاء، بلا هاء، وفى بعضها «من حدة» بكسر الحاء وبالهاء، وقوله «سورة» هى بالسين المفتوحة ثم واو ساكنة ثم راء ثم تاء، وهى الثوران وعجلة الغضب وأما الحدة فهى شدة الخلق وثورانه، قال: ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خلق، وسرعة غضب، والفيئة بفتح الفاء، والهمزة الرجوع، أى إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً، ولا تصر عليه، وقد صحف صاحب التحرير فى هذا الحديث تصحيفاً قبيحاً جداً، فقال: «ما عدا سودة» بالبدال، وجعلها سودة بنت زمعة، وهذا من الغلط الفاحش. نبهت عليه لئلا يغتر به.

(فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة فى مرطها، على الحالة التى دخلت فاطمة عليها، وهوبها) تشير بذلك إلى سرعة إرسالهن الرسل، وإلى طول مقام الرسول ﷺ معها فى مرطها مضاجعا.

(فأذن لها رسول الله ﷺ) فى رواية «فذهبت زينب حتى استأذنت، فقال: ائذنوا لها».

(قالت: ثم وقعت بى، فاستطالت على) فى رواية «فقال: حسبك إذا برقت لك بنت ابن أبى قحافة ذراعيها» أى إذا كشفت لك ذراعيها، مال قلبك نحوها، وانصرف قلبك عنها، ومعنى «وقعت بى» أى عابتنى، يقال: وقع بفلان، ووقع فى فلان، إذا سبه وعابه، أو اغتابه.. ومعنى «استطالت على» أى تطاولت على، وتكبرت على، وترفعت على، وأصله من مد العنق، ليراه غيره، وليبدو أطول، وفى رواية البخارى «فأغلظت».

(وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لى فيها؟) «أرقب» أى ألاحظ وأرصد وأنتظر، والطرف العين أى أرصد حركاته، وإشاراته وما تعبر عنه عينه، هل يأذن لى بالرد عليها؟ والوقوف فيها، كما وقعت فى؟.

(فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر) أى فلم

تغادر المكان، أو لم تتوقف عن مهاجمتي والإساءة إلي، حتى فهمت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أرد عليها.

قال النووي: وليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة، ولا أشار بعينه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك، فإنه صلى الله عليه وسلم تحرم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها، فلم ينهها. اهـ.

لكن روى النسائي وابن ماجه مختصراً، عن عائشة قالت: « دخلت على زينب بنت جحش، فسبتني، فرد عليها النبي ﷺ، فأبت، فقال: سببها، فسببتها، حتى جف ريقها في فمها » قال الحافظ ابن حجر: فيمكن أن يحمل على التعدد. اهـ. قلت: وعلى أى حال فإنه يرد قول النووي رحمه الله، وانتصار المظلوم مشروع، والإذن له بالانتصار مشروع وليس ذلك من قبيل خائنة الأعين، بل من أمينة الأعين، وعادلة الأعين.

(قالت: فلما وقعت بها لم أنشبهها، حتى أنحيت عليها) « لم أنشبهها » أى لم أمهلها، وفى لسان العرب: يقال: لم ينشبه أن فعل كذا، أى لم يلبث، وحقيقته: لم يتعلق بشيء غيره، ولا اشتغل بسواه، ومثل بحديث عائشة وزينب، ويقول عائشة فى رواية « لم أنشبه أن أنخت عليها » وفى ملحوق راويتنا الخامسة « فلما وقعت بها لم أنشبهها أن أنختها » أى بالغت فى جراحها وغلبيتها.

قال النووي: « حين أنحيت عليها » فى بعض النسخ « حتى أنحيت عليها، وهو صحيح، ورجح القاضى « حين » بالنون، ومعنى أنحيت عليها بالنون والحاء، أى حتى قصدتها واعتمدتها بالمعارضة. (فقال رسول الله ﷺ وتبسم: إنها ابنة أبى بكر) أى أنها شريفة، عاقلة، عارفة، كأبيها، وفى روية النسائي « فرأيت وجهه يتهلل ».

(إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد) يومى، ويسأل عنه استبطاء له، وتشوقاً إليه، و « إن » مخفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن والحال محذوف، وجملة « كان » خبرها.

(يقول: أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟) أى يقول ذلك فى مرضه لزوجاته، زاد فى رواية البخارى « حرصاً على بيت عائشة، فلما كان يومى سكن » وفى رواية للبخارى « كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه: أين أنا غدا. أين أنا غدا-يريد يوم عائشة - فأذن له أزواجه، يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة، حتى مات عندها » وفى رواية له « لما ثقل على النبي ﷺ، واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى، فأذن له » وعند أحمد « أنه ﷺ قال لنسائه: إنى لا أستطيع أن أدور بيونكن، فإذا شئتن أذنتن لى » وعند ابن سعد بإسناد صحيح « أن فاطمة هى التى خاطبت أمهات المؤمنين بذلك، فقالت لهن: إنه يشق عليه الاختلاف ».

(فلما كان يومى قبضه الله بين سحرى ونحرى) أى فلما كان يومها الأصيل، بحسب الدور والقسم، وإلا فقد صارت جميع الأيام فى بيتها، والسحر بفتح السين وضمها، وإسكان الحاء، هى الرئة وما تعلق بها، قيل والمراد به الصدر، قال القاضى: وقيل: إنما هو « شجرى » بالشين والجيم، وشبك هذا القائل أصابعه، وأوماً إلى أنها ضمته إلى نحرها، مشبكة يديها عليه. قال: والصواب

المعروف الأول. اهـ وفى رواية للبخارى عن عائشة رضى الله عنها: « أنها كانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتى و ذاقنتى » والحاقنة ما سفل من الذقن، والذاقنة ما علا منه، أو الحاقنة نقرة الترقوة، وقيل: ما دون الترقوة من الصدر، وقيل: هى تحت السرة، والذاقنة طرف الحلقوم، قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها صلى الله عليه وسلم، ورضى عنها، قال: وهذا لا يغير حديثها الذى فيه « أن رأسه كان على فخذها » لأنه محمول على أنها رفعتة من فخذها إلى صدرها.

قال الحافظ: وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد، من طرق، « أن النبى ﷺ مات ورأسه فى حجر على » وكل طريق منها لا يخلو من شيعى، فلا يلتفت إليهم، ثم ساق الأحاديث وبين ما فيها من ضعف أو توجيه.

(وهو مسند إلى صدرها) فى الأصول « مسند » بكسر النون، أى مسند رأسه إلى صدرها.

(الحقنى بالرفيق الأعلى) فى الرواية الثامنة « وأخذته بحة، يقول: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا » وفى الرواية التاسعة « فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ، قوله: اللهم الرفيق الأعلى » قال النووى: الصحيح الذى عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة « رفيق » تطلق على الواحد والجمع، قال تعالى ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69] وقيل: هو الله تعالى، يقال الله رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، فهو فعيل بمعنى فاعل، وفى الحديث « إن الله رفيق يحب الرفق » وأنكر الأزهري هذا القول، مستشكلا برواية « مع الرفيق » ورواية « فى الرفيق » قال الحافظ ابن حجر: ولا وجه لتغليطه من هذه الجهة، لأن تأويله على ما يليق بالله سائخ. اهـ وقيل: أراد مرتفق الجنة. اهـ.

وعند النسائى وصححه ابن حبان « فقال: أسألك الله الرفيق الأعلى الأسعد، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » وظاهره المكان الذى تحصل فيه المرافقة مع المذكورين، وفى الرواية السابعة « قال: اللهم اغفرلى، وارحمنى، وألحقنى بالرفيق » وفى رواية « فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى حتى قبض » وقال الجوهري: الرفيق الأعلى الجنة.

قال السهلبى: والحكمة فى اختتام كلام المصطفى بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، وفى الرواية التاسعة « فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذى، غشى عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف » أى رفعه إلى السماء، ولم يطرف « ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى ».

(كان رسول الله ﷺ إذا خرج) أى من المدينة مسافرا.

(أقرع بين نسائه) أى ضرب القرعة بينهن، بأن كتب اسم كل واحدة منهن على سهم، فخلطها، فأخرج من السهام سهما، وإذا أراد خروج اثنتين معه أخرج سهمين.

(فتنظرين وأنظر) أى فتنظرين لما يعاملك به على أنك أنا، وأنظر إلى ما يعاملنى به على أننى أنت، والظاهر أنها كانت تريد أن تطلع حفصة على الإدلال والرقرة وعبارات الحب التى تعامل بها عائشة، مغايرة لحفصة، وكانت عائشة تريد أن تطلع هى على موضوع أحاديثه مع حفصة.

(قالت: بلى) قبلت عائشة هذا الاقتراح مسرعة من غير روية، اندفاعا بحب الاستطلاع، فلما فكرت فى الأمر، ونفذت الفكرة أحست بآلامها وغيرتها.

(فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلط على عقريا أوحية تلدغنى) « جعلت » أى صارت « تجعل رجلها » أى تضع رجلها، والإذخر نبات دقيق الساعد يكثر فى الصحراء، تختفى فيه الهوام غالبا، ودعاؤها هذا ليس مقصوداً، فإجابته لن تدفع ما أصابها، وكأنها تقصد عقوبة نفسها على قبولها اقتراح حفصة، وإنما قالته من شدة الغيظ.

(رسولك. ولا أستطيع أن أقول له شيئاً) « رسولك » خبر مبتدأ محذوف، أى هذا رسولك، بجوار حفصة، قريب منى، لا أتحمل بعده عنى، لكن ماذا أفعل؟ لا أستطيع أن أكشف الحيلة، خوفاً من غضبه صلى الله عليه وسلم.

(يا عائش) منادى على الترخيم، وهو حذف آخر المنادى، وفيه لغتان. لغة من ينتظر فيبقى الحرف الذى قبل الآخر على حركته قبل الحذف، وعلامة إعرابه على الحرف المحذوف، ولغة من لا ينتظر فيحرك الحرف الذى قبل الآخر بحركات الإعراب.

(هذا جبريل) يشير إليه، وهو حاضر.

(يقرأ عليك السلام، قالت: فقلت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى) أى ورسول الله ﷺ يرى جبريل، ولا أراه، وفى رواية البخارى « ترى ما لا أرى، أريد رسول الله ﷺ ».

فقه الحديث

يؤخذ من روايات الباب

- ١- من الرواية الأولى فضيلة لعائشة رضى الله عنها.
- ٢- واستدل به البخارى على جواز النظر إلى المرأة قبل التزويج. قال ابن المنير: يحتمل أن يكون رأى منها ما يجوز للخاطب أن يراه، قال الحافظ ابن حجر: كأنه حمله على ذلك أن رؤيا الأنبياء وحى، وأن عصمتهم فى المنام كاليقظة.
- قال ابن المنير: واستدل البخارى بهذا الحديث على ما استدل به فيه نظر، لأن عائشة كانت إذ ذاك فى سنة الطفولية، فلا عورة فيها البتة، ولكن يستأنس به فى الجملة على أن النظر إلى المرأة قبل العقد فيه مصلحة، ترجع إلى العقد.
- قال الجمهور: لا بأس أن ينظر الخاطب إلى المخطوبة، قالوا: ولا ينظر إلى غير وجهها وكفيها، وقال الأوزاعى: يجتهد، وينظر إلى ما يريد منها، إلا العورة، وقال ابن حزم: ينظر إلى ما أقبل وما أدبر منها، وعن أحمد فى رواية عنه: ينظر إلى ما يظهر غالباً، وفى رواية عنه: ينظر إليها متجردة، وقال الجمهور أيضاً: يجوز أن ينظر إليها، إذا أراد ذلك بغير إذنها، وعن مالك فى رواية: يشترط

إذنها، ونقل الطحاوي عن قوم أنه لا يجوز النظر إلى المخطوبة قبل العقد بحال، لأنها حينئذ أجنبية، ورد عليهم بالأحاديث الصحيحة.

٣- واستدل البخارى بالرواية الثانية على غيرة النساء ووجدهن.

٤- ومن قوله « إني لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنت على غضبى... إلخ » استقرار الرجل حال المرأة من فعلها وقولها، فيما يتعلق بالميل إليه، وعدمه.

٥- والحكم بما تقتضيه القرائن فى ذلك، لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها، فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب.

٦- وفى جواب عائشة ما يشهد لها بالأدب والذكاء والرقه وحسن العشرة، قال الطيبى: الحصر فى قولها « ما أهجرت إلا اسمك » حصر لطيف جدا، لأنها أخبرت أنها إذا كانت فى حال الغضب الذى يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة، فهو كما قيل:

إنى لأمنحك الصدود وإننى .: قسما، إليك مع الصدود لأميل

وقال ابن المنير: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية، ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة، مودة ومحبة.

وقال الحافظ ابن حجر: وفى اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، دون غيره من الأنبياء دلالة على فريد فطنتها، لأن النبى ﷺ أولى الناس به، كما نص عليه القرآن، فلما لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف، أبدلته بمن هو منه بسبيل، حتى لا تخرج عن دائرة التعلق فى الجملة.

٧- قال المهلب: يستدل بقول عائشة على أن الاسم غير المسمى، إذ لو كان الاسم عين المسمى لكانت بهجرته تهجر ذاته، وليس كذلك. اهـ وقال النووى: هذا فى حق المخلوقين، وأما فى حق الله تعالى فالاسم هو المسمى، اهـ وفى هذا بحث طويل يطلب من محله.

٨- مغاضبة الزوجة لزوجها معفو عنها، وإن كانت ذات قدر كبير، قال القاضى: مغاضبة عائشة للنبى ﷺ هى مما سبق من الغيرة، التى عفى عنها للنساء فى كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة: يسقط عنها الحد، إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة. قال القاضى: ولولا ذلك لكان على عائشة فى ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبى ﷺ وهجره كبيرة عظيمة.

٩- ومن الرواية الثالثة جواز اللعب بالبنات، قال القاضى: وهو مخصص من الصور المنهى عنها، لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء فى صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن، قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، روى عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها، وتنزيه نوى المروءات عن تولى بيع ذلك، لا كراهة اللعب، قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن، وقالت طائفة: هو منسوخ بالنهاى عن الصور.

- ١٠- من قولها: «وكانت تأتيني صواحي فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ» حياء نساء الأنصار حتى الصغيرات منهن، وهيبتهن رسول الله ﷺ.
- ١١- ومن قولها «فكان رسول الله ﷺ يسربهن إلي» لطفه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه ومعاشرته.
- ١٢- واستدل به البخارى على استحباب الانبساط إلى الناس.
- ١٣- ومن الرواية الخامسة من قولها «يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة» إلخ قال النووى: كان صلى الله عليه وسلم يسوى بينهن فى الأفعال والمبيت ونحوه، أما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهم لا تكليف فيها، ولا يلزمه التسوية فيها، لأنه لا قدرة لأحد عليها، إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يؤمر بالعدل فى الأفعال.
- قال: وقد اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء، فى أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يلزمه القسم بينهن فى الدوام، والمساواة فى ذلك؟
- قال الحافظ ابن حجر: فى هذا الحديث أنه لا حرج على المرء فى إثارة بعض نسائه بالتحف، وإنما اللازم العدل فى المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة، كذا قرره ابن بطال عن المهلب وتعقبه ابن المنير بأن النبى ﷺ لم يفعل ذلك، وإنما فعله الذين أهدوا له، وهم باختيارهم لأنه ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل إلى الناس بمثل ذلك، لما فيه من التعرض لطلب الهدية، وأيضا فالذى يهدى لأجل عائشة كأنه ملك الهدية بشرط، والتميك يتبع فيه تحجير المالك، مع أن الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يشركهن فى ذلك، وإنما وقعت المنافسة لكون العطية تصل إليهن من بيت عائشة.
- ١٤- وفيه قصد الناس بالهدايا أوقات المسرة ومواضعها، ليزيد ذلك فى سرور المهدى إليه.
- ١٥- وفيه تنافس الضرائر وتغيرهن على الرجل.
- ١٦- وأن الرجل يسعه السكوت إذ تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض.
- ١٧- وفيه جواز التشكى والتوسل فى ذلك.
- ١٨- وما كان عليه أزواج النبى ﷺ من مهابته والحياء منه، حتى راسلنه بأعز الناس عنده، فاطمة رضى الله عنها.
- ١٩- وفيه سرعة فهمهن ورجوعهن إلى الحق، والوقوف عنده.
- ٢٠- وفيه إدلال زينب بنت جحش على النبى ﷺ، لكونها ابنة عمته.
- ٢١- وفيه عذر النبى ﷺ لزينب، فقد سكت عن طلبها العدل، مع أنه أعدل الناس، ولم يؤاخذها، وتناولت عائشة طويلا، وهو ساكت، وقالت عنها عائشة: «وهى التى كانت تسامينى منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ».

- ٢٢- وفيه منقبة عظيمة لزینب بنت جحش.
- ٢٣- وفيه حرص عائشة على الحق والتصريح به، والثناء على صاحبته، وإن كانت ضرة.
- ٢٤- وفي قولها «وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه...» جواز العمل بما يفهم من القرائن.
- ٢٥- وفيه انتصار الظالم.
- ٢٦- وفيه منقبة وفضيلة لعائشة.
- ٢٧- ومن الرواية السادسة أن القسم يسقط بإذن الأزواج، فكأنهن وهبن أيامهن.
- ٢٨- افتخار عائشة بأن النبي ﷺ مات في يومها وفي بيتها وعلى صدرها، وفي رواية البخارى «وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر لحظة من حياته».
- ٢٩- ومن الرواية التاسعة تخيير الرسل بين الموت والحياة، قبل موتهم.
- ٣٠- من قوله في آخر كلامه «اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفیق الأعلى» يستفاد الرخصة لغيره فى أنه لا يشترط أن يكون ذكر الشهادتين باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره إذا كان قلبه عامرا بالذكر. قاله السهيلي.
- ٣١- ومن الرواية العاشرة صحة الإقراع فى القسم بين الأزواج، وفى الأموال، وفى العتق، ونحو ذلك، مما هو مقرر فى كتب الفقه، مما فى معنى هذا. قال النووى: وبإثبات القرعة فى هذه الأشياء قاله الشافعى وجماهير العلماء.
- ٣٢- وفيه أن من أراد سفراً ببعض نسائه أقرع بينهما كذلك، قال النووى: وهذا الإقراع عندنا واجب، فى حق غير النبى ﷺ، وأما النبى ﷺ ففى وجوب القسم فى حقه خلاف، فمن قال بوجوب القسم جعل إقراعه واجبا، ومن لم يوجب به يقول: إقراعه صلى الله عليه وسلم من حسن عشرته، ومكارم أخلاقه.
- ٣٣- قال المهلب فى قول حفصة لعائشة: ألا تركيبين بعيرى وأركب بعيرك؟ وموافقة عائشة دليل على أن القسم لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم، فلهذا تحيلت حفصة على عائشة بما فعلت، ولو كان واجبا لحرم ذلك على حفصة. اهـ. قال النووى: وهذا الذى ادعاه ليس بلازم، فإن القائل بأن القسم واجب عليه لا يمنع حديث الأخرى فى غير وقت عماد القسم، قال: قال أصحابنا: يجوز أن يدخل فى غير وقت عماد القسم إلى غير صاحبة النوبة، فيأخذ المتاع، أو يضعه، أو نحو ذلك من الحاجات، وله أن يقبلها ويلمسها من غير إطالة، وعماد القسم فى حق المسافر هو وقت النزول، فحالة السير ليست منه، سواء كان ليلا أو نهارا.
- ٣٤- ومن الرواية الحادية عشرة فضيلة لعائشة، وقد تقدم ما قيل فى التفاضل بين الأزواج.
- ٣٥- ومن الرواية الثانية عشرة والثالثة عشرة فضيلة ظاهرة لعائشة رضى الله عنها.
- ٣٦- واستحباب بعث السلام.

٣٧- وأنه يجب على الرسول به أن يبلغه.

٣٨- وفيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة، إذا لم يخف ترتب مفسدة. قاله النووي.

٣٩- وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه. قال النووي: قال أصحابنا: وهذا الرد واجب على الفور، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب، لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور، إذا قرأه.

٤٠- وفيه أنه يستحب في الرد أن يقول: وعليك، أو وعليكم السلام، بالواو، فلو قال: عليكم السلام، أو عليكم، أجزاءه على الصحيح، وكان تاركاً للأفضل، وقال بعض الشافعية: لا يجزيه.

والله أعلم

(٦٤٤) تابع باب فضائل عائشة، رضي الله عنها، حديث أم زرع

٥٤٨٤ - ٩٢ عن عائشة رضي الله عنها^(٩٢)، أنها قالت: جالس إحدى عشرة امرأة. فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً. قالت الأولى: زوجي لحم جمل عث. على رأس جبلٍ وعرٍ. لا سهل فيرتقى. ولا سمين فينتقل. قالت الثانية: زوجي لا أبت خبره. إني أخاف أن لا أذره. إن أذكره أذكر عجره. وبجره قالت الثالثة: زوجي العشنق. إن أنطق. أطلق وإن أسكت أعلق. قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة. لا حر ولا قمر. ولا مخافة ولا سامة. قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد. وإن خرج أسد. ولا يسأل عما عهد. قالت السادسة: زوجي إن أكل لف. وإن شرب اشتف. وإن اضطجع التفف. ولا يولج الكف. ليعلم البث قالت السابعة: زوجي غيابة أو عيابة طباقاء. كل داء له داء. شجك أو فلك. أو جمع كلاً لك. قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرب والمس مس أرب. قالت التاسعة: زوجي ربيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النادي. قالت العاشرة: زوجي مالك. وما مالك؟ مالك خير من ذلك. له إبل كثيرات المبارك. قليلات المسارح؟ إذا سمعن صوت الميزهر أيقن أنهن هوالك. قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع. فما أبو زرع؟ أناس من حلي أذني. وملا من شحم عضدي. وبجحني فبححت إلي نفسي. وجدني في أهل غنيمه بشق. فجعلني في أهل سهيل وأطيظ، ودائس ومنق. فعنده أقول فلا أقبح. وأرقد فأتصبح. وأشرب فأتقح. أم أبي زرع. فما أم أبي زرع؟ عكومها رداخ. وبيتها فساح. ابن أبي زرع. فما ابن أبي زرع؟ مصجعه كمسل شطبة. ويشبعه ذراع الجفرة. بنت أبي زرع؟ فما بنت أبي زرع؟ طوغ أبيها وطوغ أمها. وملاء كسائها وغيط جارتها. جارية أبي زرع. فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديتنا تبيشا. ولا تنقث ميرتنا تنقيشا. ولا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض. فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين. يلعبان من تحت خصرها برمانتين. فطلقني ونكحها. فنكحت بعده رجلاً سرياً. ركب سرياً. وأخذ خطياً. وأراح علي نعماً ثرياً. وأعطاني من كل رائحة زوجاً. قال: كلي أم زرع وميري أهلك. فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آية أبي زرع. قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ: «كنت لك كأي زرع لأم زرع».

(٩٢) حدثنا علي بن خنجر السعدي وأحمد بن جناب كلاهما عن عيسى واللفظ لابن حجر حدثنا عيسى بن يونس حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة

٥٤٨٥ - - وفي رواية عن هشام بن عروة^(١)، بهذا الإسناد، غير أنه قال: عَيَاءُ طَبَاقَاءُ. وَكَمْ يَشُكُّ. وَقَالَ: قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ. وَقَالَ: وَصَفْرُ رِدَائِهَا. وَخَيْرُ نَسَائِهَا. وَعَقْرُ جَارَتِهَا. وَقَالَ: وَلَا تَنْقُتُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا وَقَالَ: وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ ذَابِحَةٍ زَوْجًا.

المعنى العام

عائشة وفاطمة - رضی اللہ عنہما - كانتا في سن متقاربة، وكانت غيرة النساء تدفع كلا منهما أن تنافس وتناقش الأخرى، ودخل رسول الله ﷺ في يوم، فسمع عائشة تفخر بأبيها، ويمال أبيها، فقد كان من أغنياء مكة، وتفخر بإنفاق أبيها ماله كله في سبيل الدعوة، حتى نفقة الهجرة كانت من ماله دينا على رسول الله ﷺ، ولم تجد فاطمة ما ترد به دعوى عائشة، فوقع في شبه إفحام وخجل، ورأى رسول الله ﷺ أن يدفع عن ابنته، وأن يبرز الحقيقة الساطعة، وهي أن المنة لله ورسوله، فقال مخاطباً عائشة: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إن مثلي ومثلك كأبي زرع لأم زرع، وبسرعة، وبذكاء مفرط، وبخفة روح، وبأدب ورقة، حولت عائشة جو المناقشة إلى جو الحب والمرح والمداعبة، فقال: بأبي أنت وأمي أفديك يا رسول الله، وما قصة أبي زرع وأم زرع؟ فبدأ يقص قصة حدثت منذ زمن بعيد، في أرض بعيدة عن أرضه، لا سبيل له بعلمها إلا عن طريق الوحي، وعلام الغيوب، قال: كان في الزمن الغابر، في قرية من قرى اليمن اجتمع نساء من أهل القرية في بيت إحداهن - وكما هي عادة النساء إذا اجتمعن تحدثن عن أزواجهن، وأحوالهن في معاشرتهم، فافتحرت زعيمتهن أن تتكلم كل واحدة منهن بإيجاز شديد عن زوجها، تصفه بما فيه، بل بأبرز ما فيه، من خير أو شر، وتعاهدن وتعاقدن على أن لا يكتمن ولا يكذبن، لكن لا عليهن أن يتكلمن بالكناية والإشارة، إن خفن الإفصاح والتصريح بالتجريح.

قالت الأولى: زوجي لحم جمل، لا لحم ضأن، بل لحم جمل غث رديء، ومع ذلك فهو بعيد المنال، صعب المعاملة، ليس سهلاً فتصل الزوجة إلى قلبه، وتعمل على مرضاته ابتغاء خير ولو قل، وليس فيه خير يطمع فيه فيسعى إليه، ولو بمشقة. فهو حقير بعيد المنال.

وقالت الثانية: زوجي لا حسن فيه، لا أجد ما أذكره به، كله عجرويجر وعيوب، وأخاف إن فسرتها وبلغه قولي طلقني، وأنا لا أستطيع العيشة بدونه.

وقالت الثالثة: زوجي مفرط في الطول المذموم، سيئ الخلق، أنا معه بين نارين، إن نطقت بكلمة أطلب فيها حقي ضربني وطلقني، وإن سكنت على حقوقي، وعلى إهاتته واحتقاره لي أكن كالمعلقة، لا هي زوجة ولا هي مطلقة.

وقالت الرابعة: زوجي سهل طيب مريح، كالنسيم العليل في ليالي الصيف، في منطقة تهامة، لا أخاف شره، ولا أسأم من جواره.

(١) وَحَدَّثَنِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَانِيُّ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنِ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ

وقالت الخامسة: زوجى حسن المعاشرة، رقيق حنون حين يدخل بيتى، خفيف الحركة، كثير الوقاع، يتغافل عما لا يرضيه من أحوالى، يتجاهل سوء تصرفى، لا يسألنى ماذا فعلت؟ ولا لماذا فعلت؟ ولا لم لم تفعل؟ وليس ذلك فيه غفلة وضعفا واستكانة وذلة، فهو مع الناس خارج البيت أسد جسور، يحسب له كل حساب.

قالت السادسة: زوجى شره، أكول، كثير النوم، قليل الوصال، يأكل، ويشرب، ينام، ولا يمد يده نحوى بالمداعبة، ولا يحاول مداخلى، ولا إرضائى، ولا معرفة همومى وأحزانى .

قالت السابعة: زوجى مظلم الأخلاق، ضال لا يهتدى، أموره كلها مغلقة عليه، لا يكاد يبين، فإن تكلم ظهر حمقه، يضرينى، فيكسر عظامى، أو يشق لحمى، أو يجمع بين الكسر والشق، كل داء عند الناس هو فيه.

قالت الثامنة: زوجى ناعم الملمس كالأرنب، رقيق المشاعر، لين الخلق، طيب الريح.

قالت التاسعة: زوجى رفيع العماد، شجاع كريم، يقصده الناس، فيكسب المعدوم، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الدهر، ويسكن فى أبرز مكان، وفى أقرب مكان للمحتاجين.

قالت العاشرة: زوجى اسمه مالك، وله من اسمه نصيب، فهو غنى مالك، وهو خير من كل من مدحتن من أزواج، يملك من الإبل الكثير، ويذبح منها للضيفان ذبح من لا يخشى الفقر، حتى أصبحت إبله الحية تترقب الموت، وتنتظر النحر، لما رأت من ذبح أختها بين الحين والحين.

قالت الحادية عشرة: وهى أم زرع - وقد كذبت بزرع ابن زوجها - زوجى غنى سخي حسن العشرة، احتضنى وأكرمنى، ورفعنى، وأعزنى، كنت من قوم فقراء، يعيشون على غنيمات بشق الأنفس، أجسامهم نحيلة من الجوع، ثيابهم خلقة من الفقر، لا يملكون زينة لنسائهم، فأثقل أذننى وصدرى وساعدى بالذهب والحلى، وأشبعنى بأصناف المأكولات والمشروبات حتى سمنت، واحترمنى، وعظمتنى، فعظمت نفسى إلى نفسى، وشعرت عنده بالعزة والكرامة، إذا تكلمت سمع قولى، ونفذ أمرى، وإذا نمت نمت نوم العروس، نوم هناء لا إزعاج فيه، إذا أكلت أكلت ما أشتهى من ألوان الطعام حتى أشبع، وإذا شربت شربت من أصناف المشروبات حتى أروى.

وهكذا شعرت أم زرع عند أبى زرع بالسعادة والحب، وحب الشخص يسرى إلى حب من حوله، حتى الجماد الذى يحيط به، وقديما قال الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى .: أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبى .: ولكن حب من سكن الديارا

وقال الآخر:

فأحبها وتحبنى .: ويحب ناقتها بعيرى

لذا نجدها تصف حماتها أم زوجها بالغنى وكثرة الخير وتصف ابن زوجها بالرقعة والحسن، وتصف ابنة زوجها بالجمال والحسن، ونقاء الطبع، حتى جارية أبى زرع تصفها بالأمانة والنظافة والطاعة.

كل هذه الأوصاف تقولها على الرغم من أن أبا زرع طلقها وتزوج غيرها، وتزوجت غيره من أهل الثراء، لكن صدق القائل: وما الحب إلا للحبيب الأول.

وهكذا ذكر رسول الله ﷺ هذه القصة ليقول في آخرها ما قاله في أولها: كنت لك كأبي زرع لأم زرع، فتقول عائشة رضي الله عنها - وعلى شفيتها ابتسامه الحب والاعتذار - بل أنت يا رسول الله، خير لي من أبي زرع لأم زرع.

المباحث العربية

(عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة) ظاهر هذا أن الحديث موقوف، غير مرفوع، قال الحافظ ابن حجر: المرفوع منه في الصحيحين، قوله صلى الله عليه وسلم « كنت لك كأبي زرع لأم زرع » وياقيه من قول عائشة، وجاء خارج الصحيحين مرفوعاً كله فعند النسائي بلفظ « قال لي رسول الله ﷺ: كنت لك كأبي زرع لأم زرع. قالت عائشة بأبي وأمي يا رسول الله، ومن كان أبو زرع؟ قال: اجتمع نساء... » فساق الحديث كله.

وأما قوله « جلس إحدى عشرة امرأة » فهو هكذا في معظم نسخ مسلم، قال ابن التين: التقدير: جلس جماعة، إحدى عشرة امرأة، وهو مثل قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠] اهـ. أى كان حق الفعل أن يؤنث، لأن الفاعل حقيقى التأنيث، وفي رواية أبي عوانة « جلست إحدى عشرة امرأة » وفي رواية « اجتمع إحدى عشرة امرأة » وفي بعض نسخ مسلم وفي رواية أبي يعلى « اجتمعن إحدى عشرة امرأة » قال القرطبي: زيادة النون على لغة « أكلوني البراغيث » وقد أثبتتها جماعة من أئمة العربية، أى أثبتوا لحوق علامة الجمع والتثنية والتأنيث في الفعل إذا تقدم على الأسماء، واستشهدوا لها بقوله تعالى ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] وحديث « يتعاقبون فيكم ملائكة » وقد تكلف بعض النحاة رد هذه اللغة إلى اللغة المشهورة، وهي أن لا يلحق علامة الجمع أو التثنية أو التأنيث في الفعل، إذا تقدم على الأسماء، وخرج لها وجوها وتقديرات في غالبها نظر، ولا يحتاج إلى ذلك، بعد ثبوتها نقلاً، وصحتها استعمالاً.

وقال عياض: الأشهر ما وقع في الصحيحين، وهو توحيد الفعل مع الجمع.

ومن التوجيهات التي ذكروها في رواية « جلسن » أى يكون « إحدى عشرة » بدلاً من الضمير، في « جلسن »، والنون على هذا ضمير، لا حرف علامة، أو أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: من هن؟ فقيل: إحدى عشرة امرأة، أو مفعول به منصوب، بإضمار أعنى.

وسميت أسماؤهن في روايات ضعيفة لا يعتد بها، ولم يسم - في رواية من الروايات - أزواجهن، ولا ابنة أبي زرع، ولا أمه، ولا الجارية، ولا المرأة التي تزوجها أبو زرع، ولا الرجل الذي تزوجته أم زرع.

وقد اختلف ترتيبهن في بعض الروايات في غير الصحيحين، عنها في الصحيحين، ولا ضمير في ذلك، ولا أثر للتقديم والتأخير.

وفي سبب سياق هذا الحديث أخرج أبو القاسم عبد الحكيم بن حيان، بسند له مرسل « دخل

رسول الله ﷺ على عائشة وفاطمة - وقد جرى بينهما كلام - فقال: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إن مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع. فقالت: يا رسول الله، حدثنا عنهما، فقال: كانت قرية، فيها إحدى عشرة امرأة، وكان الرجال خلوفاً، فقلن: تعالين، نتذاكر أزواجنا بما فيهم، ولا نكذب.»

وأخرج النسائي عن عائشة قالت: فخرت بجمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، وفيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أسكتي يا عائشة، فإنني كنت لك كأبي زرع لأم زرع.»

وفى رواية الزبير بن بكار عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ، وعندى بعض نسائه، فقال - يخصني بذلك - يا عائشة، أنا لك كأبي زرع لأم زرع. قلت: يا رسول الله، ما حديث أبي زرع وأم زرع؟ قال: «إن قرية من قرى اليمن، كان بها بطن من بطون اليمن، وكان منهن إحدى عشرة امرأة، وأنهن خرجن إلى مجلس، فقلن: تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم، ولا نكذب» لكن فى رواية الهيثم أنهم كن بمكة، والراجح الأول، فقد أفاد أبو محمد بن حزم فيما نقله عياض أنهم كن من خثعم، وهم من أهل اليمن، ووقع فى رواية عند النسائي أنهم كن فى الجاهلية.

قال الحافظ ابن حجر: وحكى عياض ثم النووى قول الخطيب فى المبهمات: لا أعلم أحدا سمي النسوة المذكورات فى حديث أم زرع إلا من طريق الزبير بن بكار، وهو غريب جدا. وذكر أسماء لا فائدة من ذكرها هنا. وترتيبهن فى رواية الزبير غير ترتيبهن فى روايات الصحيحين، فالأولى فيها هى الرابعة فى الصحيحين، والثانية فيها هى الثامنة فى الصحيحين، والثالثة فيها هى العاشرة، والرابعة فيها هى الأولى، والخامسة فيها هى التاسعة، والسادسة فيها هى السابعة، والسابعة فيها هى الخامسة، والثامنة فيها هى السادسة، والتاسعة فيها هى الثانية، والعاشرة فيها هى الثالثة، وقد اختلف كثير من الرواة فى ترتيبهن، قال الحافظ: ولا ضير فى ذلك، ولا أثر للتقديم والتأخير فيه.

(فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا) أى ألزمن أنفسهن عهداً، وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقداً، أن لا يكتمن من محاسن أو مساوئ أزواجهن شيئاً من الأمور المهمة، وفى رواية « أن يتصادقن بينهن، ولا يكتمن » وفى رواية « أن ينعتن أزواجهن ويصدقن » وفى رواية « فتبايعن على ذلك ».

(قالت الأولى: زوجى لحم جمل غث، على رأس جبل وعمر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل) « الغث » بفتح الغين، وتشديد الثاء، الهزيل، الذى يستغث من هزاله، أى يستترك ويستكره، وكثير استعماله فى مقابلة السمين، فيقال للحديث المختلط: فيه الغث والسمين، و« غث » هنا يجوز جره، صفة للجمل، ورفع صفة للحم، والمشهور فى الرواية الخفض، والوعر الصعب فى الوصول إليه، لكثرة عوائق الصعود، وفى رواية « وعث » بالثاء بدل الراء، وهى أوفق للسجع، أى صعب المرتقى، بحيث توحد فيه الأقدام، فلا يتخلص منه، ويشق فيه المشى، ومنه وعثاء السفر، وقولها « لا سهل » بالفتح بدون تنوين، ويجوز فيه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أى لا هو سهل ويجوز الجر على أنه صفة جمل وجبل، والأمر نفسه فى قوله « ولا سمين » وعند النسائي « لا سهلا ولا سميना » وعنده أيضاً « لا بالسمين ولا بالسهل » قال القاضى عياض: أحسن الأوجه عندى الرفع فى الكلمتين، من جهة سياق الكلام وتصحيح المعنى، لا من جهة تقديم اللفظ، وذلك أنها أودعت كلامها تشبيهه

شيئين بشيئين، شهبت زوجها باللحم الغث، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر، ثم فسرت ما أجملت، فكأنها قالت: لا الجبل سهل، فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ، إذا وجد بغير نصب، ثم قالت: ولا اللحم سمين، فتتحمل المشقة فى صعود الجبل، لأجل تحصيله. اهـ.

وقولها « ولا سمين فينتقل » من الانتقال، أى أنه لهزاله لا يرغب أحد فى الانتقال إليه، وفى رواية « فينتقى » أى ليس له نقى يستخرج، بكسر النون وسكون القاف، والنقى المخ، يقال: نقوت العظم، ونقيته، وانتقيته، إذا استخرجت مخه، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردىء، قال القاضى عياض: أرادت أنه ليس له نقى، فيطلب لأجل ما فيه من النقى، وليس المراد أنه فيه نقى لا يطلب استخراجها، قالوا: آخر ما يبقى فى الجمل مخ عظم المفاصل ومخ العين، وإذا نفدا لم يبق فيه خير، قالوا: وصفته بقله الخير، ويعدده مع القلة، فشبهته باللحم الذى صغرت عظامه عن النقى، وخبث طعمه وريحه، مع كونه فى مرتقى، يشق الوصول إليه، فلا يرغب أحد فى طلبه لينقله إليه، مع توفر دواعى أكثر الناس على تناول الشيء المبذول مجانا.

وقال النووى: فالمعنى أنه قليل الخير من أوجه، منها: كونه لحم جمل، لا لحم ضأن - يقول بعضهم: ليس فى اللحوم أشد غثاثة من لحم الجمل، لأنه يجمع خبث الطعام وخبث الريح - ومنه أنه مع ذلك الغث المهزول الردىء من لحوم الجمال، ومنها أنه صعب التناول، لا يوصل إليه إلا بمشقة شديدة، وقال الخطابى: إن التشبيه بالجبل الوعر إشارة إلى سوء خلقه، وأنه يترفع ويتكبر، ويسمو بنفسه فوق موضعها، فيجمع البخل وسوء الخلق.

(قالت الثانية: زوجى لا أبت خبره، إنى أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره ويجره) « لا أبت خبره » بالباء والفاء، أى لا أنشر خبره، ولا أشيعه، وفى رواية « لا أنت خبره » بالنون بدل الباء، أى لا أذيع شره، وفى رواية « لا أنم خبره » من النيمة، « إنى أخاف أن لا أذره » قال النووى: فيه تأويلان: أحدهما لابن السكيت وغيره، أن الهاء عائدة على « خبره » أى إنى أخاف - إن شرعت فى تفصيل خبره - أن لا أقدر على إتمامه لطوله وكثرت، ثانيهما أن الهاء عائدة على الزوج، وتكون « لا » زائدة، كما فى قوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف: ١٢] اهـ ومعناه: إنى أخاف أن يطلقنى، فأذره، كأنها خشيت - إذا ذكرت ما فيه - أن يبلغه، فيفارقه، وهى لا تقدر على تركه لعلاقتها به وبأولادها منه، فاكتفت بالإشارة إلى أن له معائب، وفاء لما التزمته من الصدق، وسكنت عن تفسيرها، للعدو الذى ذكرته. « والعجر » بضم العين وفتح الجيم، جمع عجرة، وهى تعقد العصب والعروق فى الجسد، حتى تصير ناتئة، وقال ابن الأعرابى: هى نفخة فى الظهر، وقال بعضهم: العجر العقد التى تكون فى البطن واللسان، وقيل: فى الجنب والبطن، أما « البحر » فبضم الباء وفتح الجيم، وجمع بجرة بضم الباء وسكون الجيم، وهى النفخة فى السرة، أو فى البطن ثم استعمالها فى الهموم والأحزان، وفيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره، وقال الخطابى: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، قال: ولعله كان مستورا الظاهر، ردىء الباطن، وقال بعضهم: عنيت أن زوجها كثير المعائب، متعقد النفس عن المكارم.

(قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق) «العشنق» بعين مفتوحة، وشين مفتوحة ونون مشددة مفتوحة بعدها قاف، وهو الطويل، وقيل: هو المذموم الطول، وقيل: هو طويل العنق، قال الأصمعي: أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله، من غير نفع، وقيل: ذمته بالطول، لأن الطول في الغالب دليل السفه، وعلل ببعده الدماغ عن القلب، وأعرب من قال: مدحته بالطول، لأن العرب تمتدح بذلك، وتعقب بأن سياقها يقتضى أنها ذمته، وأجيب عن التعقيب باحتمال أنها أرادت مدح خلقه، وذم خلقه، فكأنها قالت: له منظر بلا مخبر، وهو محتمل.

وقيل: العشنق الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه، ولا تتحكم النساء فيه، بل يحكم فيهن بما يشاء، فزوجته نهاه أن تنطق بحضرته، فهي تسكت على مضم.

وقيل: هو المقدم على ما يريد، الشرس في أموره، وقيل: السيئ الخلق.

وقولها «إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق» معناه أنها إذا ذكرت عيوبه فيبلغه طلقها وإن سكتت عن ذكر عيوبه فهي عنده كالمعلقة، ليست ذات زوج، ولا خالية من الزوج، أى لست ذات زوج، فانتفع به، ولا معلقة، فأتفرغ لغيره، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون قولها «أعلق» مشتقا من علاقة الحب، أو من علاقة الوصلة، أى إن نطقت طلقنى وإن سكت استمر بى زوجة، وأنا لا أوثر تطليقه لى، فلذلك أسكت.

(قالت الرابعة: زوجى كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سامة) ما بعد «لا» بالفتح من غير تنوين، مبنى مع «لا» على الفتح، وجاء الرفع مع التنوين فيها، على أن «لا» عاملة عمل «ليس» وخبرها محذوف، أى ليس فيه حر، كذا فى القراءات المشهورة فى مثل قوله تعالى ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً﴾ [البقرة: ٢٥٤] و﴿فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وعند النسائي «ولا برد» بدل «ولا قر» وزاد فى رواية الزبير بن بكار «والغيث غيث غمامة» وقد ضربوا المثل بليل تهامة فى الطيب، لأنها بلاد حارة فى غالب الزمان، وليس فيها رياح باردة، فإذا كان الليل كان وهج الحر ساكنا، فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار، أما أن ليل تهامة لا مخافة فيه على أهلها، فلأنهم محصنون بجبالها، فوصفت زوجها بجميل العشرة، واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذى عنده ولا مكروه، وأنا آمنة منه، فلا أخاف من شره، ولا ملل عندى منه، ولا عنده منى، فأسأم عشرته، أو يسأم عشرتى، لأنه ليس بسبيء الأخلاق، فأنا لذيدة العيش عنده، كلذة أهل تهامة بليهم المعتدل، وقيل: أرادت بنفى الخوف وصف زوجها بأنه حامى الذمار، مانع لداره وجاره، ولا مخافة عند من يأوى إليه، ثم أرادت وصفه بالجود بنفى سامة من يأوى إليه، ونفى سامة من كثرة الأضياف واللاجئين.

قال النووى: وهذا مدح بليخ.

(قالت الخامسة: زوجى إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد) «فهد» بفتح الفاء وكسر الهاء، فعل ماض، مشتق من الفهد، شبهته بالفهد فى كثرة النوم، يقال: أنوم من فهد، وفى كثرة الغفلة فى منزله عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقى، وقوله «أسد» بفتح الهمزة، وكسر السين، مشتق من الأسد، أى يصير بين الناس مثل الأسد؛ وكلاهما يحتمل المدح والذم، وأكثر

الشراح شرحوه على المدح، فقال بعضهم، وصفته بكثرة الجماع لها إذا دخل، فهي محبوبة لديه، بحيث لا يصبر عنها إذا رآها، وإذا خرج كان فى الإقدام مثل الأسد، وبأنه شديد الكرم، وكثير التفاضى، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته، لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى فى البيت من المعاييب، بل يسامح ويغضى.

وقال بعضهم: شبهته بالفهد فى دخوله بالرزق الوفير، لأنهم قالوا فى المثل: أكسب من فهد، وأصله أن الفهود الهرمة تجتمع على فهد منها فتى، فيتصيد عليها كل يوم، حتى يشبعها، فكأنها قالت: إذا دخل المنزل دخل بالكسب لأهله، كما يجىء الفهد لمن يلوذ به من الفهود الهرمة، ثم رفعت ما قد يحتمل الذم من جهة كثرة النوم بوصفها له بالأسد، فأفصحت أن الأول سجية كرم، ونزاهة شمائل، ومسامحة فى العشرة، لا سجية جبن وخور فى الطبع.

وزاد فى رواية الزبير بن بكار « ولا يرفع اليوم لغد » يعنى لا يدخر - لكرمه - ما حصل عنده اليوم من أجل غد، فكنت بذلك عن غاية جوده، أو المراد وصفه بالحزم فى جميع أموره، فلا يؤخر ما يجب عليه اليوم إلى الغد.

وبعض الشراح شرحوه على الذم، فقال بعضهم: شبهته بالفهد من جهة أنه غليظ الطبع، ليست عنده مداعبة ولا ملاعبة قبل المواقعة، بل يثب وثوباً كالوحش، أو من جهة سوء الخلق، وأنه يبطش بها، ويضربها، وإذا خرج على الناس كان أمره فى العنف أشد قسوة، ولا يسأل عن أحوالها إذا دخل بعد غيبة، حتى لو عرف أنها مريضة أو معوزة لا يسأل عن شيء من ذلك، ولا يتفقد حال أهله ولا بيته.

قال عياض: وقد قلب الوصف بعض الرواة، فقال « إذا دخل أسد، وإذا خرج فهد » قال: فإن كان محفوظاً فمعناه أنه إذا خرج إلى مجلسه كان على غاية من الرزانة والوقار وحسن السمات، أو كان على غاية من تحصيل الكسب، وإذا دخل كان متفضلاً مواسياً، لأن الأسد يوصف بأنه إذا افترس أكل من فريسته بعضاً، وترك الباقي لمن حوله من الوحوش، ولم يهاوشهم عليها. اهـ.

وفى الكلام مطابقة أو مقابلة لفظية بين « دخل » و « خرج » ومقابلة معنوية بين « فهد » و « أسد ».

(قالت السادسة: زوجى إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا

يولج الكف، ليعلم البث) قال النووى: قال العلماء: اللف فى الطعام الإكثار منه، مع التخليط من صنوفه، حتى لا يبقى منها شيء، والاشتفاف فى الشرب أن يستوعب جميع ما فى الإناء، مأخوذ من الشفافة، بضم الشين، وهى ما بقى فى الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل اشتفها وتشافها، وقولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » قال أبو عبيد: أحسبه كان بجسدها عيب أو داء، كنت به، لأن البث الحزن، فكان لا يدخل يده فى ثوبها، ليمس ذلك لئلا يشق عليها، فوصفته بالمروءة وكرم الخلق، وقد رد ابن قتيبة على أبى عبيد تفسيره، وقال: كيف تمدحه بهذا، وقد ذمته فى صدر الكلام؟ ورد ابن الأنبارى على ابن قتيبة بأن النسوة تعاقدن أن لا يكتمن شيئاً من أخبار أزواجهن، فمنهن من كانت أوصاف زوجها كلها حسنة، فوصفتها، ومنهن من كانت أوصاف زوجها قبيحة، فذكرتها ومنهن من كانت أوصافه فيها حسن وقبيح، فذكرتهما.

وقال ابن الأعرابي: هذا نم له، أرادت: وإن اضطجع ورقد التف في ثيابه في ناحية، ولم يضاجعها، ليعلم ما عندها من محبته، قال: ولا بث هناك إلا محبتها الدنوم من زوجها.

وقال آخرون: أرادت أنه لا يتفقد أموري، ومصالحى.

وعند النسائي «إذا أكل اقتف» أى جمع واستوعب، ومنه سميت القفة، لجمعها ما وضع فيها. وزاد «وإذا ربح اغتث» أى تحرى الغث الهزيل، وفى رواية «استف» بالسين بدل الشين، وهى بمعناها.

(قالت السابعة: زوجى غيايا، أو عيايا، طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو

جمع كلالك) قال النووى: هكذا وقع فى هذه الرواية «غيايا» بالعين «أو عيايا» بالعين، وفى أكثر الروايات بالعين، وأنكرها أبو عبيدة وغيره، وقالوا: الصواب بالعين، وهو الذى لا يلحق، وقيل: هو العين الذى تعييه مباحة النساء، ويعجز عنها، وقال القاضى وغيره: غيايا بالعين صحيح، وهو مأخوذ من الغاية، وهى الظلمة، وكل ما أظل الشخص، ومعناه لا يهدى إلى مسلك، أو أنها وصفته بثقل الروح، وأنه كالظل المتكاثف المظلم، الذى لا إشراق فيه، أو أنها أرادت أنه غطيت عليه أموره، أو يكون «غيايا» من الغى، وهو الانهماك فى الشر، أو من الغى الذى هو الخيبة، قال الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وأما «طباقاء» فمعناه المطبقة عليه أموره حمقا، وقيل: هو الذى يعجز عن الكلام، فتنطبق شفتاه، وقيل: هو العيى الأحمق. وقال ابن فارس: «الطباقاء» الذى لا يحسن الضراب، فعلى هذا يكون تأكيدا، لاختلاف اللفظ، كقولهم: بعدا وسحقا. وقولها «شجك» أى جرحك فى الرأس، فالشجاج جراحات الرأس، وقيل: الجراحات فيه وفى الجسد، والفل الكسر والضرب، ومعناه أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو، أو جمع بينهما، زاد فى رواية «أو بجك» بالباء والجيم، أى طعنك فى جراحتك، فشققها، والبج شق القرحة، ووقع فى رواية الزبير «إن حدثته سبك، وإن مازحته فلك، وإلا جمع كلالك»، وقيل: المراد بالفل هنا الخصومة، وقولها «كل داء له داء» أى جمع أدواء الناس وعيوبهم مجتمعة فيه. اهـ.

و «أو» فى «غيايا» أو «عيايا» شك من الراوى، و «أو» فى شجك، أو فلك، أو جمع كلالك للتقسيم، لا للتخيير.

(قالت الثامنة: زوجى الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب) فى رواية البخارى

«زوجى المس من أرنب، والريح ريح زرنب» وزاد فى رواية الزبير «وأنا أغلبه والناس يغلب».

والزرنب نبت طيب الريح، وقيل: هو شجرة عظيمة بالشام بجبل لبنان، لها ورق بين الخضرة والصفرة وقيل: هو حشيشة دقيقة طيبة الرائحة، وليست ببلاد العرب، وإن كانوا قد ذكروها فى أشعارهم.

والأرنب دويبة معروفة، لينة المس، ناعمة الوبر جدا. واللام فى «المس» و«الريح» نائية عن الضمير، أى مسه وريحه، وصفته بأنه لين الجسد ناعمه، ويحتمل أن تكون كنت بذلك عن حسن خلقه ولين جانبه، وبأنه طيب العرق، لكثرة نظافته، واستعماله الطيب تطرفا، ويحتمل أن تكون كنت بذلك

عن طيب حديثه، أو طيب الثناء عليه، لجميل معاشرته، وأما قولها فى رواية « وأنا أغلبه والناس يغلب » فقد وصفته بأنه مع جميل عشرته لها، وصبره عليها، وصفته بالشجاعة، وهو كما قال معاوية: يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام.

(قالت التاسعة: زوجى رفيع العماد، طويل النجاد، وعظيم الرماد، قريب البيت من الناد) قال النووى: هكذا هو فى النسخ « النادى » بالياء، وهو الفصيح فى العربية، لكن المشهور فى الرواية حذفها، ليتم السجع. و « العماد » بكسر العين أصله عماد البيت، وجمعه عمد بضم العين والميم، وهى العيدان التى تعتمد بها البيوت العربية - فى المضارب والخيام - والبيت الرفيع ببنائه أو بأرضه وقاعدته يسكنه عادة الأشراف، ومن لازم طول البيت غالباً أن يكون متسعاً، فيدل على كثرة الخدم والحشم والحاشية والغاشية، كما يراه الضيفان و أصحاب الحوائج فيقصده، فكأنها وصفته بالرفقة والشرف، وقيل: أرادت برفيع العماد أنه طويل الجسم، فارتفاع الخيمة قد يكون لطول قامته أهلها، وليس هذا بشيء، فسيأتى مدح طول القامة فى « طويل النجاد » و « النجاد » بكسر النون حمائل السيف، وطولها يسلتزم طول حاملها، قال بعضهم: وأشارت ضمن ذلك إلى أنه صاحب سيف، وأنه شجاع، وأما قولها « عظيم الرماد » أى كثير الرماد المتخلف عن كثرة النار التى يوقدها لطهى طعام الضيفان، أو النار التى يوقدها الأجواد ليلا على التلال ومشارف الأرض لتهدى بها الضيفان، وأرادت بذلك وصفه بالكرم والجود، وقولها « قريب البيت من الناد » تكنى به عن الكرم والسؤدد والمكانة، لأنه لا يقرب البيت من النادى إلا إذا كان صاحبه أهلاً للقاء القاصدين وإكرامهم، وحل مشاكلهم، وإصلاح أمورهم، فالنادى مجلس القوم، فهم إذا تفاوضوا وتشاوروا فى أمر جلسوا قريباً من بيته، فاعتمدوا على رأيه، وامتثلوا أمره.

زاد الزبير بن بكار فى روايته « لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف » أى يجوع ليشبع الضيفان، ويسهر حارساً وحامياً من يخاف.

ومحصل كلامها وصفه بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة.

(قالت العاشرة: زوجى مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك) « وما مالك؟ » الاستفهام للتفخيم والتعظيم والتعجب، كقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ ﴿۱﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿۲﴾﴾ [الحاقة: ١-٢]؟ و﴿الْقَارِعَةُ ﴿۱﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿۲﴾﴾ [القارعة: ١-٢]؟ أى شيء عظيم هائل أى ما أعظمه وما أكرمه وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى التعظيم، وتفسير لبعض الإبهام، والمعنى. مالك خير مما أقوله عنه من ثناء، أى هو خير مما سأقول عنه، ومدحى قاصر عن حقيقته وواقعه، ومهما قلت فلن أوفيه حقه، فالإشارة إلى ما ستقوله من مدح، وقيل: الإشارة إلى ما فى ذهن المخاطب، أى مالك خير مما يخطر ببالك من الثناء، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى ما تقدم من الثناء على الذين قبله، أى مالك أجمع من الذين قبله لخصال السيادة والفضل، و « المبارك » بفتح الميم والباء جمع مبارك، وهو موضع راحة الإبل ومبيتها، و « المسارح » جمع مسرح، وهو الموضع الذى تطلق الإبل لترعى فيه، والمعنى له إبل كثيرة، والقليل منها الذى يخرج للمسارح والرعى، أما غالبها فيبقى فى المبارك، استعداداً للضيفان، فإن

فاجأه ضيف وجد عنده ما يقريه به، من لحومها وألبانها، ويحتمل أن قلة المسارح كناية عن كثرة الضيفان فالיום الذى يكثرفيه الضيفان لا تسرح، حتى يقضى الضيفان حاجتهم منها، ويحتمل أن المراد من المبارك والمسارح أيام البروك، وأيام السرح، فالיום الذى لا يطرقه فيه أحد، أو يكون هو غائبا تسرح كلها، فأيام الطروق أكثر من أيام عدمه، فهى لذلك قليلات المسارح، ويحتمل أن المراد بكثرة المبارك أنها كثيرات ما تثار لتحلب، ثم تترك فتبرك، ثم تثار فتحلب، ثم تترك فتبرك، فهى بذلك كثيرات المبارك، وفى رواية «عظيمات المبارك» أى سميحة، وجثتها عظيمة فتعظم مباركها وتتسع، ويحتمل أن المراد بقله مسارحها قلة الأمكنة التى ترعى فيها من الأرض، وأنها لا تمكن من الرعى إلا بقرب المنازل، لئلا يشق طلبها إذا احتيج إليها، ويكون ما قرب من المنزل كثير الخصب، لئلا تهزل.

و «المزهر» بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء آلة من آلات اللّهو وقيل، هو العود، وقيل: هو دف مربع. وأنكر بعضهم تفسير المزهر بالعود وقال: ما كانت العرب تعرف العود، إلا من خالط منهم الحضر قال: وإنما هو بضم الميم وكسر الهاء، وهو الذى يوقد النار فيزهرها للأضياف، قال القاضى: وهذا خطأ منه، لأنه لم يروه أحد بضم الميم، ولأن المزهر - بكسر الميم - مشهور فى أشعار العرب، ولأنه لا يسلم له أن هؤلاء النسوة من غير الحاضرة، فقد جاء فى رواية أنهن من قرية من قرى اليمن. اهـ قال الحافظ ابن حجر: و«أيقن أنهن هوالك» معناه أنه كثرت عادته بنحر الإبل لقرى الضيفان ومن عادته أن يسقيهم ويلهيههم، أو يتلقاهم بالغناء، مبالغة فى الفرح بهم، فصارت الإبل، إذا سمعت صوت الغناء عرفت أنها تنحر، ويحتمل أن أم زرع لم ترد فهم الإبل لهلاكها، ولكن لما كان ذلك يعرفه من يعقل أضيف إلى الإبل. قال: والأول أولى.

(**قالت الحادية عشرة**) قال النووى: وفى بعض النسخ «الحادى عشر» وفى بعضها «الحادية عشر».

والصحيح الأول، اهـ وفى رواية الزبير «هى أم زرع بنت أكمل بن ساعدة».

(**زوجى أبوزرع**) فى رواية النسائى «نكحت أبا زرع»

(**فما أبوزرع؟**) فى رواية «وما أبوزرع» قال الحافظ ابن حجر: وهو المحفوظ للأكثر، زاد الطبرى فى رواية «صاحب نعم وزرع».

(**أناس من حلى أذننى**) «حلى» بضم الحاء وكسرهما اللام، جمع حلية، والياء فى «أذننى» مشددة تننية أذن، و«أناس» أى أثقل حتى تدلى واضطرب، والنوس حركة كل شيء متدل، يقال: ناس ينوس نوسا، وأناسه غيره، إناسة، ووقع فى رواية «أذننى وفرعى» بالياء المشددة فيهما، قال القاضى عياض: يحتمل أن تريد بالفرعين اليدين، لأنهما كالفرعين من الجسد، تعنى أنه حلى أذنيها ومعصمها، أو أرادت بالفرعين العنق واليدين، وأقامت اليدين مقام فرع واحد، أو أرادت بالفرعين اليدين والرجلين كذلك، أو أرادت

بالفرعين الغديرتين، وقرنى الرأس - والغديرة الذؤابة المصفورة من شعر المرأة - فقد جرت عادة المترفات - بتنظيم غدائرهن، وتحلية نواصيهن وقرونهن بالحلى، وفى رواية «وفرعى» بالإفراد، أى حلى رأسى، فصار يتدلى من كثرته وثقله، والعرب تسمى شعر الرأس فرعا.

(**ومأ من شحم عضدى**) بالثنائية، والعضد ما بين المرفق والكتف، قال العلماء: معناه أسمنى، ومأ بدنى شحما، فهى لم ترد العضد وحده، وإنما أرادت الجسد كله، لأن العضد إذا سمنت سمن سائر الجسد، وخصت العضد بالذكر من بين سائر الجسد لأنه أقرب ما يلى بصر الإنسان من جسده.

(**ويجحنى فبجحت إلى نفسى**) أى فرحنى ففرحت، وقيل عظمنى فعظمت إلى نفسى، وقيل: فرحنى ففخرت، وقيل: وسع على، ومتعنى وأترفنى، يقال: بجح به يبجح، بفتح الجيم فيهما، وبجح به يبجح، بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع، وأبجحه وبجحه، وروايتنا «بجحنى» بتشديد الجيم، ورواية البخارى بتخفيفها، «فبجحت» بكسر الجيم المخففة، وسكون التاء، وفى رواية «فتبجحت إلى نفسى» بتشديد الجيم المفتوحة، وسكون التاء، وفى رواية النسائى «ويجح نفسى فبجحت إلى» بسكون التاء، وفى أخرى له بضم التاء.

(**وجدنى فى أهل غنيمة بشق**) «غنيمة» بضم الغين، مصغر، للتقليل، وأهل الغنم أقل شأنا وحالا من أهل الإبل والخيلى، والعرب لا تعتد بأهل الغنم، وقولها «بشق» بكسر الشين وفتحها أى بشق جبل، لقلتهم، وقلة غنمهم، وقيل: اسم موضع، وقيل: بمشقة، وشظف من العيش، واختاره عياض وغيره، ومنه قوله تعالى ﴿لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧].

(**فجعلنى فى أهل سهيل وأطيط، ودائس ومنق**) الصهيل صوت الخيل، والأطيط أصوات الإبل، والدائس هو الذى يدوس الزرع ليخرج الحب من غلافه وقشوره، و«منق» قال أبو عبيد: أظنه بالفتح، من تنقى الطعام، وحكى الهروى أن المنق بالفتح الغريال، وعن بعض المغاربة أنه يجوز أن يكون بسكون النون، وفتح القاف مخففة، وقيل: هو من النقيق، وهو أصوات المواشى.

تصفه بأنه نقلها من شظف العيش عند أهلها، إلى الثروة الواسعة من الخيل، والإبل والزرع، وغير ذلك، وأنه كان كريما معها، حسن العشرة.

(**فعنده أقول فلا أقبح**) أى لا يقبح قولى، ولا يرده، بل يقبل منى، ويستحسن قولى. وفى رواية للنسائى «أنطق» وفى رواية «أتكلم».

(**وأرقد فأتصبح**) أرقد ليلى، وأستمر نائمة دون إزعاج، ودون إيقاظ حتى بعد الصباح، وفى ذلك إشارة إلى أنها مكتفية بمن يخدمها، وبمن يكفيها مؤنة بيتها، ومهنة أهلها.

(**وأشرب فأتقنح**) قال النووى: هو بالنون بعد القاف، هكذا هو فى جميع النسخ، قال القاضى: لم نروه فى البخارى ومسلم إلا بالنون، ورواه الأكثر فى غيرهما بالميم، قال أبو عبيد: «أتقنح» أى أروى، حتى لا أحب الشرب، قال: وأما بالنون فلا أعرفه، اهـ. وأثبت بعضهم أن معنى «أتقنح» بمعنى «أتقمح» لأن النون والميم يتعاقبان، مثل: امتقح، وانتقح، وحكى عن بعضهم أن

التقنح الشرب بعد الرى، وقيل: الشرب على مهل، وقيل: معناه لا يقطع على شرابى، فتوارد هؤلاء كلهم على أن المعنى أنها تشرب، حتى لا تجد مساعاً، أو أنها لا يقلل مشروبها، ولا يقطع عليها، حتى تتم شهوتها منه، وقيل: كناية عن سمن جسمها.

ووقع فى رواية «فأفتح» بالتاء والفاء، قال القاضى عياض: إن لم يكن وهما فمعناه التكبر والزهواه. وفى رواية «وأكل فأتمنح» أى أطعم غيرى يقال: منحه يمنحه إذا أعطاه. أشارت بذلك إلى عزتها عنده وكثرة الخير لديها، فهى تزهو لذلك، وإلتيان بالألفاظ كلها على وزن «أنفعل» للإشارة إلى تكرار الفعل وملازمته.

(أم أبى زرع، فما أم أبى زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح) «العكوم» بضم العين، جمع عكم بكسرها وسكون الكاف، وهى الأعدال والأحمال التى تجمع فيها الأمتعة، وقيل: هى نمط تجعل المرأة فيها نخيرتها، و«رداح» بكسر الراء وفتحها، أى عظام، كثيرة الحشو، أى ملأى، وقيل: معناه ثقيلة، ويقال: للكتيبة الكبيرة رداح، إذا كانت بطيئة السير، لكثرة ما فيها، ويقال للمرأة إذا كانت عظيمة الكفل، ثقيلة الورك: رداح، والمراد وصف أوانيها وخزائنها بأنها مملوءة بالخيرات، وقال الزمخشري: لوجاءت الرواية فى «عكوم» بفتح العين لكان الوجه على أن يكون المراد بها الجفنة التى لا تزول عن مكانها، إما لعظمتها، وإما لأن القرى متصل دائم، أو التى كثر طعامها وتراكم.

و«رداح» مفرد، ويصح أن يكون خبر «عكوم» وهو جمع، وأخبر بالمفرد عن الجمع، وهو مسموع بقلة، كقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ويحتمل أن يكون مصدراً، يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع، ويحتمل أنه على حذف مضاف، أى عكومها ذات رداح، ويحتمل أن يضبط «رداح» بكسر الراء، جمع رادح، كقائم وقيام، فيخبر بالجمع عن الجمع، ويصح أن يكون «رداح» خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر المبتدأ الأول، والتقدير: عكومها كلها رداح.

«وبيتها فساح» بفتح الفاء وتخفيف السين، أى واسع، ومثله فسيح، ومثله «فياح» كما جاء فى رواية، وقد وصفت والده زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث، واسعة المال، كبيرة البيت، إما حقيقة، فيدل ذلك على عظم الثروة، وإما كناية عن كثرة الخيرة ورغد العيش، والبر بمن ينزل بها، لأنهم يقولون: فلان رحب المنزل، أى يكرم من ينزل عليه، وفى هذا إشارة إلى أن زوجها كثير البر بأمه.

(ابن أبى زرع، فما ابن أبى زرع؟ مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة) «المسل» بفتح الميم والسين، بعدها لام مشددة، و«شطبة» بفتح الشين وسكون الطاء، ما شطب من جريد النخل، أى ما شق من السعفة، كالقضببان الرقاق، ينسج منها الحصر، قال ابن السكيت: الشطبة من سدى الحصير، وقال ابن حبيب: هى العود المحدد كالمسلة، وقال ابن الأعرابى: أرادت بمسل الشطبة سيفاً سل من غمده، فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسل شطبة واحدة، والمعنى على ما قاله الأولون: على قدر ما يسل من الحصير، فيبقى مكانه فارغاً، وأما على ما قاله ابن الأعرابى فهو كغمد السيف.

وأما الجفرة بفتح الجيم وسكون الفاء فهى الأنثى من ولد المعز، إذا كان ابن أربعة أشهر، وفصل عن أمه، وأخذ فى الرعى، وفى رواية «وترويه فيقة اليعرة» والفيقة بكسر الفاء وسكون الياء ما يجتمع

فى الضرع بين الحلبتين، والفواق بضم الفاء الزمان الذى بين الحلبتين، واليعرة بالياء المفتوحة وسكون العين بعدها راء العناق، وفى رواية «ويميس فى حلق النقرة» و «يميس» أى يتبختر «والنترة» بفتح النون وسكون التاء الدرع اللطيفة، وصفته بهيف القد، وأنه ليس ببطين ولا جاف، وأنه قليل الأكل والشرب، ملازم لآلة الحرب، يختال فى موضع القتال، قال الحافظ ابن حجر: ويظهر لى أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها، لأن زوجة الأب غالباً تستثقل ولد الزوج من غيرها، فكان هذا خفيفاً عليها، لا يحتاج إلى ما عندها بالأكل، فضلاً عن الأخذ، بل لو طعم عندها لاقتنع باليسير الذى يسد الرمق من المأكول والمشروب.

(بنت أبى زرع، فما بنت أبى زرع) فى بعض النسخ «وما بنت أبى زرع؟».

(طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها) أى أنها بارة بأبويها، وعند النسائي «زين أبيها، وزين أمها» وفى رواية «وزين أهلها ونسائها» وعند الطبرانى «وقرة عين لأمها وأبيها» و «ملء كسائها» كناية عن كمال شخصها، ونعمة جسمها، وقيل: معناه ممتلئة الجسم سميحة، وفى ملحق الرواية «وصفر رداؤها» بكسر الصاد وسكون الفاء، تصف رداءها بالخلو، قال الهروى: أى ضامرة البطن، وقال غيره: معناه أنها خفيفة أعلى البدن، وهو موضع الرداء، ممتلئة أسفله، ويؤيد هذا رواية «وملء إزارها» قال القاضى: والأولى أن المراد امتلاء منكبيها، وقيام نهديها، بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها، فلا يمسه، فيصير خالياً، بخلاف أسفلها، ومعنى قولها «وغيظ جارتها» أن حالها يغيظ ضررتها من حيث الحسن والجمال والعفة والأدب، وفى ملحق الرواية «وعقر جارتها» بفتح العين وسكون القاف، أى وغيظ جارتها، فتكون كالعقور، وقيل: ودهشة جارتها، من قولهم: عقر إذا دهش، وضبطه بعضهم «وعبر جارتها» بضم العين وسكون الباء، أى ترى جارتها من حسنها وعفتها وعقلها ما تعتبر به، وقيل: هو من العبرة، وهى البكاء، أى ترى من ذلك ما يبكيها، لغيظها وحسدها.

زاد فى رواية «قبا هزيمة الحشا» يقال: امرأة قبا بفتح القاف وتشديد الباء، أى دقيقة الخصر، ضامرة البطن، والهضم من النساء اللطيفة الكشحيين، والحشا ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطحال والكرش، أى ضامرة الخصر والبطن، لطيفة العجز، وفى الرواية نفسها «جائلة الوشاح» الوشاح نسيج عريض، يرصع بالجوهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، وجولانه تحركه واضطرابه لسعته، وفى الرواية نفسها «عكنا، فعماء، نجلاء، دعجاء، رجاء، قنواء، مؤنقة، مفنقة» والعكنا التى صارت ذات عكن بضم العين وفتح الكاف، أى ذات طيات فى لحم البطن سمنا، والفعماء الممتلئة الأعضاء، والنجلاء متسعة العينين حسنتهما، والدعجاء الشديدة سواد العين، والرجاء، بفتح الراء وتشديد الجيم، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه، وقيل ذات رجاء وأمل، والقنواء بفتح القاف وسكون النون الطويلة، والمؤنقة بفتح النون المشددة أى رائعة الحسن، يعجب بها من يراها ويحبها، يقال: أنق بكسر النون يأنق بفتحها أنقا وأناقة راع حسنه وأعجب، فهو أنيق، وأنقة الشيء، وأنق الشيء فلانا بتشديد النون أعجبه.

وقوله « مفنقة » بفتح الفاء وفتح النون المشددة بعدها قاف، أى منعمة، يقال: فنقه بفتح النون المشددة يفنقه إذا نعمه، فهو منفق أى منعم، اسم مفعول.

(جارية أبى زرع، فما جارية أبى زرع؟ لا تبث حديثنا تبيثاً، ولا تنقت ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً) عند الطبرانى « خادم أبى زرع » وفى رواية « وليد أبى زرع » والوليد الخادم، يطلق على الذكر والأنثى، و « لا تبث » بضم الباء، بعدها ثاء، أى لا تشيع أحوالنا وتظهر أخبارنا، بل تكتم سرنا وحديثنا كله، وفى رواية « لا تنث » بالنون بدل الباء، وهى بمعناها، والنثاء المغتاب، وفى رواية « ولا تخرج..... ». و « لا تنفت » بضم التاء وفتح النون وكسر القاف المشددة بعدها ثاء، أى لا تسرع بالخيانة وتذهب مالنا بالسرقه، و « الميرة » بكسر الميم الزاد والطعام، وأصله ما يحصله البدوى من الحض، ويحمله إلى منزله، لينتفع به أهله، وقال ابن حبيب: لا تفسد ميرتنا وفى ملحق الرواية « لا تنفت ميرتنا تنقيثاً » قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون إحدى الروايتين بالقاف، والأخرى بالفاء، وفى رواية « ولا تنقل » وفى رواية « ولا تفت » أى لا تفسد، وفى رواية « ولا تفش ميرتنا تفشيشاً » بالفاء من الإفشاش، ومعنى « ولا تملأ بيتنا تعشيشاً » بالعين، أى لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر، بل هى مصلحة للبيت، معنوية بتنظيفه، وقيل: معناه لا نخوننا فى طعامنا فى زوايا البيت كأعشاش من الطير، وفى رواية « تغشيشاً » بالغين من الغش.

(خرج أبو زرع والأوطاب تمخض) « الأوطاب » جمع وطب بفتح الواو وسكون الطاء، وهو جمع قليل النظير، وفى رواية فى غير مسلم « والوطاب » وهو الجمع الأصلى، وفى رواية « الأطاب » بغير واو، قال عياض: فإن كان مضبوطاً فهو على إبدال الواو همزة، كما قالوا فى « إكاف » « وكاف » والمراد من الأوطاب الأسقية التى يمخض فيها اللبن، أى يحرك تحريكاً شديداً، ليخرج زبده، أرادت أنه بكر بخروجه من منزلها، وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم، وفى خبرها هذا إشارة إلى كثرة خير داره، وغزارة لبنه، وأن عندهم منه ما يكفيهم، ويفيض عنهم حتى يمخضوه، ويستخرجوا زبده، ويحتمل أنها أرادت بهذه العبارة أن الوقت الذى خرج فيه كان فى زمن الخصب وطيب الربيع، قال الحافظ ابن حجر: وكان سبب ذكر ذلك التوطئة للباعث على رؤية أبى زرع للمرأة على الحالة التى رآها عليها، أى أنها من مخض اللبن تعبت، فاستلقت لتستريح، فرآها على ذلك.

(فلقى امرأة معها ولدان لها، كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقنى ونكحها) فى رواية الطبرانى « فأبصر امرأة لها ابنان كالفهدين » وفى رواية « كالصقرين » وفى رواية « كالشبلين » وعند النسائى « فإذا هو بأى غلامين » والغرض من ذكر الولدين ووصفهما بما وصفا به التنبيه على بعض الأسباب الداعية لتزوج أبى زرع بها، لأنهم كانوا يرغبون فى أن يكون لهم أولاد، وأن تكون أولادهم من النساء المنجبات، وفى وصفهما إشارة إلى صغر سنهما، واشتداد خلقتهما، وخفة حركاتهما، هذا بالإضافة إلى ما وصفت به المرأة، قال أبو عبيد: وصفت بأنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على ظهرها رفع خصرها عن الأرض، حتى يصير تحتها فجوة، تجرى فيها الرمانه. اهـ

وكان مع الولدين رمانتان كل واحد يرمى واحدة للأخر، أو هى رمانة واحدة ثنيت باعتبار تناول

كل من الولدين لها، ويؤيده ما وقع فى رواية أبى معاوية « وهى مستلقية على قفاها، ومعها رمانة، يرميان بها من تحتها، فتخرج من الجانب الآخر، من عظم إلتيتها».

وقال بعضهم: المراد بالرمانتين هنا ثدياها، والمعنى أن لها نهدين حنينين صغيرين كالرمانتين، يداعهما الولدان، قال القاضى عياض: وهذا أرجح، لا سيما وقد روى « من تحت صدرها » و « من تحت درعها » ولأن العادة لم تجر برمى الصبيان الرمان تحت ظهور أمهاتهم، ولم تجر العادة أيضا باستلقاء النساء كذلك، حتى يشاهده منهن الرجال، وردت رواية أبى معاوية بأن سياقها هذا لا يشبه كلام أم زرع، فلعله من كلام بعض رواتها، أورده على سبيل التفسير الذى ظنه، فأدرج فى الخبر، وفسر القاضى قولها فى روايتنا « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » بقوله إن ذلك كان إشارة إلى مكان الولدين منها، أى يلعبان وهما تحت خصرها، أى أنهما كانا فى حضنها أو جنبها، قال: وفى تشبيه النهدين بالرمانتين إشارة إلى صغر سنها، وأنها لم تترهل، حتى تنكسر ثدياها وتتدلى. اهـ.

وفى رواية « فأعجبته فطلقنى » وقد يقال « لم طلق أبوزرع أم زرع؟ وكان راغباً فيها ويحبها؟ وكان يمكن أن يتزوج المرأة مع استبقاء أم زرع؟ وقد فسرت رواية أبى معاوية السر فى ذلك، ولفظها « فخطبها أبوزرع، فتزوجها، فلم تزل به، حتى طلق أم زرع »

(فنكحت بعده رجلا سريا) بالسین على المشهور، ومعناه سيدا شريفا، وقيل: سخيا، وسراة الناس كبراً وهم فى حسن الصورة والهيئة، والسرى من كل شيء خياره.

(ركب شريا) بفتح الشين وكسر الراء وتشديد الياء، صفة لموصوف محذوف، أى ركب فرسا شريا، والشرى الذى يستشرى فى سيره، أى يمضى ويلح، دون فتور ولا انكسار، وقال ابن السكيت: هو الفرس الفائق الخيار.

(وأخذ خطيا) بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة، بعدها ياء مشددة، صفة لموصوف محذوف، أى أخذ رمحا خطيا، قالوا: والخطى الرمح منسوب إلى الخط، قرية من سيف البحر، أى ساحله، عند عمان والبحرين، ونسبت الرماح إليها لأنها تحمل إلى هذا الوضع وتثقف فيه.

(وأراح على نعما ثريا) قال النووى: أى أتى بها إلى مراحتها، بضم الميم، أى موضع مبيتها وقيل: معناه أنه غزا، فغنم، فأتى بالنعمة الكثيرة، وفى رواية « وأراح على بيتى نعما »، والنعمة بفتح النون والعين الإبل والبقر والغنم، ويحتمل أن المراد هنا بعضها، وهى الإبل، والثرى بالثاء وتشديد الياء الكثير المال وغيره، ومنه الثروة فى المال، وهى كثرته. اهـ.

و « ثريا » صفة لنعما، أى إبلا كثيرة، والتذكير فيه مع الموصوف المؤنث لمراعاة السجع، وفى رواية حكاها القاضى عياض: « نعما » بكسر النون، جمع نعمة والأشهر الأول.

(وأعطانى من كل رائحة زوجا) أى وأعطانى من كل ما يروح من الإبل والبقر والغنم اثنين، أو صنفا، فإن الزوج قد يطلق على الصنف، ومنه قوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ وفى ملحوظ الرواية « وأعطانى من كل ذابحة زوجا » قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ « ذابحة » بالذال وبالباء، أى من كل ما يجوز ذبحه، من الإبل والبقر والغنم وغيرها، وهى فاعلة بمعنى مفعولة. اهـ. مثل « عيشة

راضية « أى مرضية، وفى رواية الطبرانى « من كل سائمة » والسائمة الراعية، والرائحة الآتية وقت الرواح، وهو آخر النهار، وقد أرادت بذلك كثرة ما أعطاها.

(وقال: كلى. أم زرع، وميرى أهلك) « أم زرع » منادى بحذف حرف النداء، و« ميرى أهلك » بكسر الميم من الميرة، أى صليهم، وأوسعى عليهم بالميرة وهى الطعام.

والحاصل أنها وصفته بالسؤدد فى ذاته « رجلا سريا » والشجاعة فى فعاله « ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح على نعماتريا » وبالتفضل عليها وإكرامها، و« أعطانى من كل رائحة زوجا » وزاد فى إكرامها، فأباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله، وتهدى منه ما شاءت لأهلها.

(فلو جمعت كل شيء أعطانى ما بلغ أصغر آنية أبى زرع) فى رواية البخارى « أعطانيه » وفى رواية « ما ملأ إناء من آنية أبى زرع » وعند الطبرانى « فلو جمعت كل شيء أصبته منه، فجعلته فى أصغر وعاء من أوعية أبى زرع ما ملأه » وهذا الأسلوب كناية عن استصغار ما أصابته من زوجها الثانى بالنسبة لما أصابته من أبى زرع، لأنه كان أول أزواجها، فسكنت محبته فى قلبها.

(كنت لك كأبى زرع لأم زرع) قال النووى: قال العلماء: هو تطيبب لنفسها، وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه: أنا لك كأبى زرع، و« كان » زائدة، أول للدوام، كقوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أى كان فيما مضى، وهو باق كذلك. اهـ فأصل الفعل الماضى يدل على حصول حدث فى زمن مضى قبل التكلم، ومقتضاه أنه لا يدل على استمرار الحدث فى الحال ولا فى الاستقبال، ومقصود الحديث كنت لك فى الماضى، وأنا لك فى الحال، وسأظل لك فى المستقبل كأبى زرع لأم زرع، ووجه التشبه فى هذه القضية الألفة والوفاء، لأن المشبه به له صفات لا يليق التشبه بها، ولذلك زاد فى رواية الهيثم ابن عدى « فى الألفة والوفاء، لا فى الفرقة والجلاء » وزاد الزبير فى آخره « إلا أنه طلقها، وإنى لا أطلقك » زاد النسائى والطبرانى فى رواية له « قالت عائشة: يا رسول الله. بل أنت خير من أبى زرع » وفى رواية « قالت: بأبى وأمى لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع » قال النووى: وكأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطيببا لها، وطمأنينة لقلبها، ودفعاً لإيها م عموم التشبيه بجملة أحوال أبى زرع، إذ لم يكن فيه ما تدمه النساء به سوى طلاقه أم زرع، وأجابته هى عن ذلك جواب مثلها فى فضلها وعلمها.

فقه الحديث

هذا الحديث مسوق على أنه منقبة وفضيلة لعائشة رضى الله عنها.

ويؤخذ منه

١- فضيلة حسن عشرة المرء أهله، بالتأنيس والمحاذثة بالأمر المباحة، ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع.

٢- وفيه المزاح أحيانا، وبسط النفس به.

٣- ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبته لها، ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة، تترتب على ذلك من تجنيها عليه، وإعراضها عنه.

٤- وفيه منح الفخر بالمال، فقد ركز صلى الله عليه وسلم على حسن العشرة، وأهمل فخر أم زرع بالمال.

٥- وفيه جواز ذكر الفضل بأمور الدين، فقد ذكر لها حبه، وحسن عشرته، وهو من الدين.

٦- وفيه إخبار الرجل أهله بصورة حاله معهم، وتذكيرهم بذلك، لا سيما عند وجود ما طبعن عليه من كفر الإحسان.

٧- وفيه ذكر المرأة إحسان زوجها.

٨- قال الحافظ ابن حجر: وفيه إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها، بما يخصها به من قول أو فعل (هذا على احتمال حضور بعض الضرائر عند سياق القصة، والأولى أن يقال: فيه تخصيص بعض نسائه بذكر حبه وحسن عشرته لها من بين ضرائرها) قال: ومحلّه عند السلامة من الميل المفضى إلى الجور.

٩- وفيه جواز تحدث الرجل مع زوجته في غير نوبتها. قاله الحافظ ابن حجر. وهو غير واضح.

١٠- وفيه الحديث عن الأم الخالية، وضرب الأمثال بهم اعتباراً.

١١- وفيه جواز الانبساط، بذكر طرف الأخبار، ومستطابات النوادر، تنشيطاً للنفوس.

١٢- وفيه حض النساء على الوفاء لبعولتهن، وقصر الطرف عليهن والشكر لجميلهن، أخذاً من تقريره صلى الله عليه وسلم لأم زرع.

١٣- وفيه جواز وصف المرأة زوجها بما تعرفه من حسن وسوء. قاله الحافظ ابن حجر وفيه نظر.

١٤- وجواز المبالغة في الأوصاف ومحلّه إذا لم يصر ذلك ديدينا، لأنه يفضى إلى خرم المروءة، قاله الحافظ ابن حجر، ويحمل على أن شرع من قبلنا شرع لنا، وهو أيضاً غير ظاهر، فعمل هؤلاء النساء وقولهم لا يؤخذ منه شرع، وسيأتى ما يؤيده ذلك.

١٥- ومن طلب عائشة ذكر قصة أبي زرع وجواب الرسول ﷺ لها تفسير ما يجمله المخبر من الخبر، إما بالسؤال عنه، وإما ابتداء من تلقاء نفسه.

١٦- قال الحافظ ابن حجر: وفيه أن ذكر المرء بما فيه من العيب جائز، إذا قصد التنفير عن ذلك الفعل، ولا يكون ذلك غيبة، أشار إلى ذلك الخطابي، وتعبه التميمي شيخ عياض بأن الاستدلال بذلك إنما يتم أن لو كان النبي ﷺ سمع المرأة تغتاب زوجها، فأقرها، وأما الحكاية عن من ليس بحاضر فليس كذلك.

وقال المازري: قال بعضهم: ذكر بعض هؤلاء النسوة أزواجهن بما يكرهون، ولم يكن ذلك غيبة، لكونهم لا يعرفون بأعيانهم وأسمائهم. قال المازري: وإنما يحتاج إلى هذا الاعتذار لو كان من تحدث عنه بهذا الحديث سمع كلامهن في اغتياب أزواجهن، فأقرهن على ذلك. أما والواقع خلاف ذلك، وهو أن عائشة حكّت قصة عن نساء مجهولات غائبات فلا، ولو أن امرأة وصفت زوجها بما يكرهه، لكان غيبة محرمة على من يقوله ويسمعه، إلا إن كانت في مقام الشكوى منه.

عند الحاكم، وهذا فى حق المعين، فأما المجهول الذى لا يعرف فلا حرج فى سماع الكلام فيه، لأنه لا يتأذى، إلا إذا عرف أن من ذكر عنده يعرفه، ثم إن هؤلاء الرجال مجهولون، لا تعرف أسماءهم، ولا أعيانهم، فضلا عن أسمائهم، ولم يثبت للنسوة إسلام، حتى يجرى عليهن الغيبة، فبطل الاستدلال به على ما ذكره. اهـ. ونحن مع التميمي والمازري ولا نسلم بالمآخذ: [١٦، ١٤، ١٣].
والله أعلم.

١٧- وفيه تقوية لمن كره نكاح من كان لها زوج سابق، لما ظهر من اعتراف أم زرع بإكرام زوجها الثانى لها بقدر الطاقة، ومع ذلك حقرتة، وصغرتة، بالنسبة إلى الزوج الأول. وذلك طبع لغالب النساء.

١٨- وفيه أن الحب يستر الإساءة، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها، لم يمنعها ذلك من المبالغة فى وصفه، إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو.

١٩- وفيه جواز وصف النساء ومحاسنهن للرجل، لكن محله إذا كن مجهولات، والذى يمنع من ذلك وصف المرأة المعينة بحضرة الرجل، أو أن يذكر من وصفها ما لا يجوز للرجال تعمد النظر إليه. قاله الحافظ ابن حجر، وفيه نظر.

٢٠- وفيه أن التشبيه لا يستلزم مساواة المشبه بالمشبه به من كل جهة.

٢١- وفيه أن كناية الطلاق لا توقعه، إلا مع مصاحبة النية، فإنه صلى الله عليه وسلم تشبه بأبى زرع، وأبو زرع قد طلق، فلم يستلزم ذلك وقوع الطلاق، لكونه لم يقصره.

٢٢- وفيه جواز التأسى بأهل الفضل من كل أمة، لأن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بجميل عشرته، فامتثلته النبى ﷺ، كذا قال المهلب، واعترضه القاضى عياض، فأجاد، وهو أنه ليس فى السياق ما يقتضى أنه تأسى به، بل فيه أنه أخبر أن حاله معها مثل حال أبى زرع مع أم زرع، قال الحافظ ابن حجر: نعم ما استنبطه صحيح، باعتبار أن الخبر إذا سيق وظهر من الشارح تقريره، مع الاستحسان له، جاز التأسى به.

٢٣- قيل: وفيه قبول خبر الواحد، لأن أم زرع أخبرت بحال أبى زرع، فامتثلته النبى ﷺ، وتعبه عياض.

٢٤- وفيه مدح الرجل فى وجهه، إذا علم أن ذلك لا يفسده.

٢٥- وفيه أن شأن النساء إذا تحدثن أن لا يكون حديثهن غالبا إلا فى الرجال.

٢٦- وفيه جواز استعمال الألفاظ الغريبة.

٢٧- واستعمال السجع فى الكلام إذا لم يكن متكلفا.

والله أعلم

(٦٤٥) باب من فضائل فاطمة رضي الله عنها

٥٤٨٦ - ٩٣ عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه (٩٣)، أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: «إن بني هشام ابن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم، علي بن أبي طالب. فلا آذن لهم. ثم لا آذن لهم. ثم لا آذن لهم. إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم. فإنما ابنتي بضعة مني. يرييني ما رآبها. ويؤذييني ما آذآها».

٥٤٨٧ - ٩٤ عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه (٩٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني. يؤذييني ما آذآها».

٥٤٨٨ - ٩٥ عن علي بن الحسين رضي الله عنه (٩٥)، أنهم حين قدموا المدينة، من عند يزيد بن معاوية، مقل الحسین بن علي رضي الله عنهما، لقيه المسور بن مخرمة. فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا. قال له: هل أنت مغطى سيف رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. وإيم الله! لئن أعطيتيه لا يخلص إليه أبدا، حتى تبلغ نفسي. إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة. فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك، على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: «إن فاطمة مني. وإنني أتخوف أن تفتن في دينها» قال: ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس. فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن. قال: «حدثني فصدقني. ووعدني فأوفى لي. وإنني لست أحرّم حلالا ولا أجل حراما. ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا».

٥٤٨٩ - ٩٦ عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه (٩٦)، أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل.

(٩٣) حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس وقتيبة بن سعيد كلاهما عن الليث بن سعد قال ابن يونس حدثنا ليث حدثنا عبد الله ابن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي أن المسور بن مخرمة حدثه

(٩٤) حدثني أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة

(٩٥) حدثني أحمد بن حنبل أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن الوليد بن كثير حدثني محمد بن عمرو بن خلحلة الدؤلي أن ابن شهاب حدثه أن علي بن الحسين حدثه

(٩٦) حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن حسين

وحدثني أبو معمر الرقاشي حدثنا وهب يعني ابن جرير عن أبيه قال سمعت النعمان يعني ابن راشد يحدث عن الزهري بهذا الإسناد نحوه أن المسور بن مخرمة أخبره

وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ يَحَدِّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ. وَهَذَا عَلَيَّ نَاكِحًا ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ. قَالَ الْمِسْوَرُ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشْهَدُ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ. فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ. فَحَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي. وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مُضْعَةٌ مِنِّي. وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا. وَإِنَّهَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا». قَالَ: فَتَرَكَ عَلَيَّ الْخُطْبَةَ.

٥٤٩٠ - ٩٧ عن عائشة رضي الله عنها^(٩٧) أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها. فبكت: ثم سارها فضحكك. فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكت، ثم سارك فضحكك؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكت. ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكك.

٥٤٩١ - ٩٨ عن عائشة رضي الله عنها^(٩٨) قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة. فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً. فلما رآها رحب بها فقال: «مرحبا بابنتي» ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارها. فبكت بكاء شديداً. فلما رأى جزعها سارها الثانية. فضحكك. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نساؤه بالسرار، ثم أنت تبكين. فلما قام رسول الله ﷺ، سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ، قلت عزمت عليك بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن فنعلم. أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين «وإنني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك» قالت: فبكت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «يا فاطمة! أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة» قالت: فضحكك ضحكي الذي رأيت.

٥٤٩٢ - ٩٩ عن عائشة رضي الله عنها^(٩٩) قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن

(٩٧) حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاجِمٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الرَّبِيعِ حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ (٩٨) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ فَضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَّانَةَ عَنْ فِرَاسٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ. (٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ زَكْرِيَاءَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ عَنْ فِرَاسٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ

امرأة. فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال «مرحبا بابتني» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم إنه أسر إليها حديثا. فبكت فاطمة. ثم إنه سارها، فضجكت أيضا. فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. حتى إذا قبض سألتها. فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين «ولا أراني إلا قد حصر أجلي. وإنك أول أهلي لحوقا بي. ونعم السلف أنا لك» فبكت لذلك. ثم إنه سارني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضجكت لذلك.

المعنى العام

السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، كانت تكنى أم أبيها، أصغر بنات النبي ﷺ، وأحبهن إليه، ولدت والكعبة تبني، والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين على المشهور، وقيل سنة إحدى وأربعين من مولد الرسول ﷺ. تزوجها على ﷺ أوائل المحرم سنة ثنتين، وأصدقها درعه التي أعطاه إياها رسول الله ﷺ يوم بدر. وفي زواجها بعث معها رسول الله ﷺ بخميلة ووسادة من جلد حشوها ليف ورحاءين وسقاءين، وانقطع نسل النبي ﷺ إلا من فاطمة، عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، ودفنت بالبقيع، وقيل: في زاوية في دار عقيل، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع، كانت في تشييعها أول من غطى نعشها من النساء في الإسلام، فقد روى أنها قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء. إنني استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب، فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجريد رطب، فوقسته، ثم طرحته عليه ثوبا. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، فإذا أنا مت فاجعلوا على هذا.

كانت رضى الله عنها أشبه الناس كلاما ومشية برسول الله ﷺ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، كما كانت تصنع هي به صلى الله عليه وسلم.

وهو صلى الله عليه وسلم القائل: فاطمة بضعة مني: يقلقني ما يقلقها، ويؤذيها ما يؤذيها، ويرضيها ما يرضيها، ويبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها، وقد حماها صلى الله عليه وسلم من أن يتزوج عليها زوجها، حماية لها من تغاير النساء، بإذن من الله تعالى، فقال لعلي، حين علم رغبته في الزواج من ابنة أبي جهل. قال لعلي: لا آذن لك، ولا آذن لك، ولا آذن لك أن تجمع بين ابنة رسول الله وبين ابنة عدو الله، فصرف على نظره عن الزواج عليها، حتى ماتت رضى الله عنها.

ولم يكن أحد من أولاد النبي ﷺ حيا حين وفاته إلا فاطمة، وأحس صلى الله عليه وسلم وهو في مرض الموت جزع فاطمة عليه، وحسرتها وآلامها عند موته، فأراد تخفيف الصدمة عليها، وتهيئتها

لاستقبال الفجيعة، وإعلامها بالمصيبة قبل حصولها، فأسر إليها أنه يتوقع حضور الأجل في هذا المرض، فبكت بكاء شديداً، فأسر إليها أنها أول أهله لحوقاً به، فسرت كثيراً وضحكت. رضي الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(إن بنى هاشم بن المغيرة) كذا وقع عند مسلم « بنى هاشم » وعند البخارى « بنى هشام » قال الحافظ ابن حجر: والصواب « هشام » لأنه جد المخطوبة. اهـ.

وبنو هشام هم أعمام بنت أبي جهل، لأنه أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة، وقد أسلم أخواه الحارث بن هشام وسلمة بن هشام عام الفتح، وحسن إسلامهما، وقد خطب على ﷺ بنت أبي جهل من عمها الحارث بن هشام، فقال له: لا تزوجك على فاطمة، إلا أن يأذن رسول الله ﷺ، والظاهر أن الرسول ﷺ لم يأذن له، ثم خطب الناس، يبين سبب عدم إذنه، لئلا تذهب النفوس مذاهب غير سليمة، فسبب الخطبة استئذان بنى هشام، وقيل: إن سبب الخطبة ما أشيع عن خطبة على ابنة أبي جهل، قبل أن يستأذن بنو هشام، ففي روايتنا الرابعة عن الزهرى عن على بن الحسين « أن على خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ، فقالت: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك »، وفي رواية ابن حبان « إن الناس يزعمون أنك لا تغضب لبناتك »، وهذا على ناكحاً ابنة أبي جهل « كذا فى مسلم « ناكحاً » بالنصب على الحال، وأطلقت عليه وصف « ناكح » مجازاً، على سبيل مجاز المشاركة، أى مشرف على النكاح، وقيل: على سبيل تنزيل غير الواقع المصمم على وقوعه منزلة الواقع، فقام النبي ﷺ فخطب على المنبر »

(استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب) وقد أخرج الحاكم أن علياً ﷺ استشار النبي ﷺ بشأنها بعد أن خطبها من عمها، سأله عنها، فقال له صلى الله عليه وسلم: أعن حسبها تسألنى؟ فقال: لا؛ ولكن أتأمرنى بها؟ قال: لا. فاطمة مضغة منى، ولا أحسب إلا أنها تحزن، أو تجزع، فقال على: لا أتى شيئاً تكرهه « قال الحافظ ابن حجر: ولعل هذا الاستئذان وقع بعد خطبة النبي ﷺ بما خطب، ولم يحضر على الخطبة المذكورة، فاستشار، فلما قال له: لا، لم يتعرض بعد ذلك لطلبها، ولهذا جاء فى رواية « فترك على الخطبة » وفى رواية « فسكت على عن ذلك » اهـ قلت: ولا مانع من كون الخطبة بعد استشارة على ﷺ، وبعد وعده بعدم الزواج منها، إذ لم تكن الخطبة لمنع على، وإنما كانت لبيان الحكم والحكمة، قطعاً لنشر الخبر وتأويلاته. والله أعلم.

واختلف فى اسم ابنة أبى جهل، فقيل جويرية، وهذا الأشهر، وقيل العوراء، وقيل: الحنفاء، وقيل جرهمه، وقيل: جميلة.

(فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم) كثر ذلك ثلاثاً للتأكيد، أو لرفع المجاز، وأن يكون عدم الإذن مؤقتاً، و« لا » نافية، والفاء فى جواب شرط مقدر، أى إذا كانوا يستأذنون فلا آذن.

(إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى، وينكح ابنتهم) الاستثناء مفرغ من

عموم الأحوال أو الأزمنة، أى لا آذن فى حال من الأحوال، أوفى وقت من الأوقات، إلا فى حال طلاقه ابنتى، أوفى وقت طلاقه ابنتى، فأذن، حيث لا يحتاج شرعا إلى إذنى حينئذ، وليس المراد تعلق الإذن بحب على ذلك، بل بوقوعه، أى إلا أن يقع من ابن أبى طالب طلاق ابنتى.

(فإنما ابنتى بضعة منى، يرببني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها) « بضعة » بفتح الباء ، قال النووى: لا يجوز غيره، وقال الحافظ ابن حجر: وحكى ضمها، وكسرهما أيضا ، وسكون الضاد أى قطعة، وفى الرواية الرابعة « وإن فاطمة بنت محمد مضغة منى » والمضغة فى الأصل قطعة اللحم قدر ما يمشخ، و« يرببني » بفتح الياء، « ما رابها » من « راب » الثلاثى، ووقع فى رواية البخارى « يرببني ما أرابها » بضم الياء من « أراب » الرباعى، والريب ما دخلك من شيء خفت عقباه، قال الفراء وغيره: راب وأراب بمعنى، وقيل: رابني الأمر تيقنت منه الريبة، وأرابني شككني وأوهمني، وأما قوله « ويؤذيني ما آذاها » أى يؤلمني ما يؤلمها، وفى رواية للبخارى « فمن أغضبها أغضبني » وفى رواية « فمن آذاها فقد آذاني » وفى رواية « يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها » من النصب، وهو التعب، وعند الحاكم « يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها ».

(لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إلى من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا) تقدير الكلام: قال على بن الحسين: لقينى المسور، فقال لى: هل لك إلى من حاجة ومساعدة، فقلت له: لا، والمسور من شيعة على.

(قال له: هل أنت معطى سيف رسول الله ﷺ، فإنى أخاف أن يغلبك القوم عليه، وإيم الله! لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبدا، حتى تبلغ نفسى) « معطى » بضم الميم وسكون العين وكسر الطاء وتشديد الياء، والذى يظهر أن المراد بالسيف المذكور « ذوالقفار » وكان عند على بن الحسين، وأراد المسور أنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحدا منه حتى تزهق روحه، يبالغ بذلك فى تعصبه لعلى بن الحسين، وأنه مستعد لبذل نفسه دون السيف، رعاية لود ابن فاطمة، فأراد بذلك صيانة سيف النبي ﷺ وحفظه لعلى بن الحسين لئلا يأخذه منه أعداؤه.

(إن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل على فاطمة) إلخ . ومناسبة هذا الكلام لقصة السيف من جهة أن رسول الله ﷺ كان يحترز عما يوجب التكدير بين الأقرباء، أى فكذلك كان ينبغى أن تعطىنى السيف، حتى لا يحصل بينك وبين أقربائك كدورة بسببه، أو كما أن رسول الله ﷺ كان يحب رفاهية خاطر فاطمة رضى الله عنها، فأنا أيضا أحب رفاهية خاطر لكونك ابن ابنتها، فأعطىنى السيف، حتى أحفظه لك، وهذا الأخير هو المعتمد.

(فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس فى ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم) قال ابن سيد الناس: هذا غلط، والصواب ما وقع عند الإسماعيلى بلفظ « كالمحتلم » قال: لأن المسور لم يحتلم فى حياة النبي ﷺ، لأنه ولد بعد ابن الزبير فيكون عمره عند وفاة النبي ﷺ ثمانى سنين، قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، أى فى ادعاء الغلط نظر، إذ يمكن حملها على المبالغة، والمراد التشبيه بالمحتلم، فتلتئم رواية « محتلم » مع رواية « كالمحتلم » أى إنه كالمحتلم فى الحدق والفهم والحفظ.

(**وإني أتخوف أن تفتن في دينها**) فتقع منها المعصية بسبب الغيرة، يعنى أنها لا تصبر على الغيرة، فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين، وفي الرواية الرابعة « **وإني أكره أن يفتنوها** ».

(**ثم ذكر صهراً له من بنى عبد شمس**) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه هالة بنت خويلد، أخت خديجة، تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وكان من رجال مكة المعدودين مالا، وأمانة وتجارة، أسلمت زينب، ولم يسلم، حارب في صفوف الكفار يوم بدر، فكان من الأسرى، ولما بعثت قريش فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة لها، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها قلاتها؟ ففعلوا، فاشترط عليه رسول الله ﷺ أن يرسل زينب إلى المدينة، وأن يخلى سبيلها، فوفى، وفعل.

وفي جمادى سنة ست من الهجرة خرج أبو العاص بن الربيع في غير لقريش إلى الشام، فبعث النبي ﷺ زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب، فلقوا العير بناحية العيص، وفيهم أبو العاص، فقالوا له: يا أبا العاص. إنك في شرف من قريش، وأنت صهر رسول الله ﷺ، فهل لك أن تسلم، فتغنم ما معك من أموال أهل مكة؟ قال: بثسما أمرتموني به، أن أنسخ ديني بغدرة، فأسروه وجماعة، وأخذوا العير، وعادوا إلى المدينة وربط الأسرى بالمسجد، وعلمت به زينب، فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح نادى زينب: إني أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده ما علمت شيئاً مما كان حتى سمعت، وإنه يجير على المسلمين أديانهم، وقد أجرنا من أجارت، ثم أمرها أن لا يقربها، فطلبت أن يرد على أبي العاص ما كان في القافلة، ففعل، فمضى أبو العاص إلى مكة، فأدى الحقوق لأهلها، ثم قام فقال: يا أهل مكة، هل أوفيت ذمتي لكم؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قدم المدينة مهاجراً قبل الفتح بقليل، فدفع إليه رسول الله ﷺ زوجته.

رزق أبو العاص من زينب ولداً يسمى علياً، مات في حياة أبيه، وقد ناهز الاحتلام، وبنينا تسمى أمامة، كان رسول الله ﷺ يحملها في صلاته، وعاشت حتى تزوجها على ﷺ بعد وفاة خالتها فاطمة، وتوفى أبو العاص في خلافة أبي بكر، سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

(**فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فأحسن. قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي**)
الصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشيء، وأصهرته إذا قربته، والمصاهرة مقاربة بين الأجنب والمتباعدين. وقوله « فأحسن » أى أحسن الثناء عليه، وكان مما قال في ثنائه: حدثني فصدقني، يشير بذلك إلى ما مضى في القصة عند فك أسره ببدر، وأنه لن يسلم حتى يعتقد ويصدق، ومع ذلك أحسن عشرة زينب، وأحبها، وأرادت قريش منه أن يطلقها فأبى، ومما قاله صلى الله عليه وسلم في ثنائه « ووعدني فأوفى لي » إشارة إلى ما سبق في القصة من وفائه بإخلاء سبيل زينب، ووفائه بالإسلام بعد أن يؤدي لقريش حقوقها.

(**وإني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً**) بعدم إذنى لعلى أن يتزوج على فاطمة، أى لا

أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه، وإذا حرم شيئاً لم أحلله، فعدم إذنى لعلى ليس تحريماً عليه ما أحل. وسيأتى فى فقه الحديث مزيد إيضاح لذلك.

(ولكن. والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا) وفى رواية « ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله عند رجل أبداً » وفى الرواية الرابعة « عند رجل واحد أبداً ».

(أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته) أى فأتت، وكان ذلك فى مرضه الأخير، وفى الرواية السادسة « كن أزواج النبى ﷺ عنده » فى التعبير الجمع بين الضمير الفاعل والاسم الظاهر، كقوله « يتعاقبون فيكم ملائكة » « لم يغادر منهن واحدة » أى كن كلهن مجتمعات « فأقبلت فاطمة تمشى » ما تخطى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحباً بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله « فى الرواية السابعة « فجاءت فاطمة تمشى، كان مشيتها مشية رسول الله ﷺ ».

(فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت) وفى الرواية السادسة « ثم سارها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت » وفى الرواية السابعة « ثم إنه أسر إليها حديثاً، فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضاً ».

(قالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذى سارك به رسول الله ﷺ، فبكيته؟ ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارنى، فأخبرنى بموته، فبكيته، ثم سارنى، فأخبرنى أنى أول من يتبعه من أهل، فضحكت) سألت عائشة فاطمة عقب المسارتين، فامتنعت عن الإجابة، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها السؤال نفسه مرة ثانية، فاعتذرت عن الإجابة، فلما مات رسول الله ﷺ سألتها مرة ثالثة، فأجابت، فالجواب المذكور هنا جواب السؤال فى المرة الثالثة وفى الرواية السادسة « فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ، سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سره، فلما توفى رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لى عليك من الحق، لما حدثتنى ما قال لك رسول الله ﷺ. فقالت: أما الآن فنعم. أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين (كذا فى الرواية السادسة، قال النووى: وذكر المرتين شك من بعض الرواة، والصواب حذفها كما فى باقى الرواية) وإنه عارضه الآن مرتين، وإنى لا أرى (بضم الهمزة، أى لا أظن الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبرى، وإنه نعم السلف أنا لك،) (والسلف المتقدم) قالت: فبكيته بكائى الذى رأيت، فلما رأى جزعى سارنى الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضى (قال النووى: هكذا هو فى النسخ « ترضى » وهو لغة، والمشهور « ترضين ») أن تكونى سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكت الذى رأيت » وفى الرواية السابعة قريب من ذلك.

فقه الحديث

الروايات الأربع الأوليات فى رغبة على الزواج من ابنة أبى جهل على زوجته فاطمة بنت محمد عليه السلام، وعنهما يقول النووى:

أعلم صلى الله عليه وسلم بإباحة نكاح بنت أبى جهل لعلى، بقوله صلى الله عليه وسلم فى روايتنا الثالثة «لست أحرم حلالاً» ولكن نهى عن الجمع بينهما، لعلتين منصوصتين، إحداهما: أن ذلك يؤدى إلى إيذاء فاطمة، فيتأذى حينئذ النبى عليه السلام، فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقتة على على، وعلى فاطمة (والنص على هذه العلة قوله فى الرواية الأولى والثانية «فإنما ابنتى بضعة منى، يريبنى ما رابها، ويؤذبنى ما آذاها») والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة. اهـ والنص على هذه العلة قوله فى الرواية الرابعة «وإنما أكره أن يفتنوها» وسواء أراد النووى أن العلة مجموع الأمرين، وأن كلا منهما جزء علة، أو أراد أن كلا منهما علة مستقلة، توجب المعلول، فإن المعنى أن النهى عن الجمع بين فاطمة وبين بنت أبى جهل حينئذ ليس لذاته، وإنما لما يؤدى إليه، والشىء قد يكون مباحاً فى ذاته، لكنه يمنع وينهى عنه إذا كان وسيلة لمحرّم، من قبيل إعطاء الوسيلة حكم الغاية، كالخطوات فإنها إن كانت للصلاة كان لها الأجر، وإن كانت لفاحشة كان عليها الوزر. قال ابن التين: أصح ما تحمل عليه هذه القصة أن النبى عليه السلام حرم على على أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبى جهل، لأنه علل بأن ذلك يؤذيه وأذيته حرام بالاتفاق، ومعنى قوله «لا أحرم حلالاً» أى هى حلال له لولم تكن عنده فاطمة، وأما الجمع بينهما الذى يستلزمه تأذى النبى عليه السلام، لتأذى فاطمة به فلا. اهـ ومعنى هذا أن فاطمة لورضيت بذلك، لم يمنع على من التزويج بها أو بغيرها.

ثم قال النووى: وقيل: ليس المراد به النهى عن جمعهما، بل معناه أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن من فضل الله أنه قضى أنهما لا تجتمعان (فكأن قوله «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً» ليس نهياً، ولكنه إخبار عما سيحصل، لو توثق المخبر بالخبر).

ثم قال: ويحتمل أن المراد النهى وتحريم جمعهما، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت رسول الله عليه السلام وبنت عدو الله ويكون معنى «لا أحرم حلالاً» أى لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه، وإذا حرّمه لم أحلّه، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتى تحليل له. اهـ أى هذا الجمع حرام من عند الله، فأنا لا أحل ولا أحرم من عند نفسى.

قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر لى أنه لا يبعد أن يعد فى خصائص النبى عليه السلام أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمة عليها السلام.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

- ١- تحريم أذى من يتأذى النبى عليه السلام بتأذيه، لأن أذى النبى عليه السلام حرام اتفاقاً، قليله وكثيره.
- ٢- وفيه حجة لمن يقول بسد الذرائع.
- ٣- وفيه بقاء عار الأبياء فى أعقابهم، لقوله «بنت عدو الله» فإن فيه إشعاراً بأن للوصف تأثيراً فى المنع، مع أنها كانت مسلمة، حسنة الإسلام.

٤- احتج بهذا بعضهم، فمنع كفاءة من مس أباه الرق، ثم أعتق، بمن لم يمس أباه الرق، ومن مسه الرق بمن لم يمسها الرق أى، بل مس أباه فقط.

٥- وفيه أن الغبراء إذا خشى عليها أن تفتن في دينها كان لوليها أن يسعى في إزالة ذلك وذب الرجل عن ابنته في دفع الغيرة عنها والإنصاف لها، وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك، مع أن الغيرة كانت في أزواج النبي ﷺ، ولم يخش عليهن ما خشى على فاطمة؟ وأجيب بأن فاطمة كانت إذ ذاك فاقدة من تركن إليه، ممن يؤنسها، ويزيل وحشتها من أم أو أخت، بخلاف أمهات المؤمنين، فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها ذلك، على أن زوجهن صلى الله عليه وسلم كان عنده من الملاطفة، وتطبيب القلوب، وجبر الخواطر ما لم يكن عند غيره، فكانت كل واحدة منهن ترضى منه جميع ما يصدر منه، لحسن خلقه، بحيث لو وجد منها ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب.

٦- وفيه إكرام من ينتسب إلى الخير أو الشرف أو الديانة.

٧- وفي قصة المسور والسيف، في الرواية الثالثة تبرك الصحابة بأدوات النبي ﷺ.

٨- وأن النبي ﷺ لم يورث، ولم يبع ما ترك، بل ترك بيد من صار إليه، ولو كان ميراثا لبيع وقسم.

٩- وفيه الأخذ بالعموم حتى يظهر خلافه، فإن عليا ﷺ أخذ بعموم الجوان فخطب بنت أبي جهل، فلما ظهر له خلافه ترك الخطبة.

١٠- وفي الرواية الثالثة والرابعة منقبة للعاص بن الربيع.

١١- وفضيلة الإحسان في المصاهرة.

١٢- وفي الرواية الخامسة والسادسة والسابعة معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، بل معجزتان، إذ أخبر صلى الله عليه وسلم ببقاء فاطمة بعده، وبأنها أول أهله لحوقا به، ووقع كذلك.

١٣- وفي ضحك فاطمة رضی الله عنها إثارةهم الآخرة، وسرورهم بالانتقال إليها .

١٤- وفيه فضيلة لفاطمة رضی الله عنها.

١٥- وأنها أفضل بناته صلى الله عليه وسلم . رضی الله عنها وعن الصحابة أجمعين

(٦٤٦) باب من فضائل أم سلمة رضی الله عنها

٥٤٩٣ - ١٠٠٠ عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوْلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتُهُ. قَالَ: وَأُنْبِئْتُ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ. قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ قَامَ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ. قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ. حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخْبِرُ خَبْرَنَا. أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

المعنى العام

أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية أم المؤمنين واسمها على المشهور هند، ويلقب أبوها بزاد الراكب، لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزاد. وكانت أم سلمة زوجا لابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، وكانت ممن أسلم قديما هي وزوجها، وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قدما مكة، وهاجرا إلى المدينة، ولهجرتها قصة مشهورة، فولدت له بالمدينة عمرو ودرية وزينب.

مات عنها زوجها، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة أربع من الهجرة، وكانت موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأى الصائب، ولها مشورة مشهورة في غزوة الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها، أنقذت الأمة الإسلامية من الخلاف والضلال.

ماتت في شوال سنة تسع وخمسين على المشهور، وقيل سنة ستين، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً. رضی الله عنها وأرضاها.

المباحث العربية

(قال: لا تكونن - إن استطعت - أول من يدخل السوق) هذه وصية سلمان لفظا وفي كونها في حكم المرفوع خلاف.

(فإنها معركة الشيطان) المعركة بفتح الراء موضع القتال، لمعاركة الأبطال بعضهم بعضا فيها، ومصارعتهم، فشبه السوق، وفعل الشيطان بأهلها، ونيله منهم بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من

(١٠٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ كِلَاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ

أنواع الباطل، كالغش والخداع والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، ويخس المكيال والميزان، والضمير فى «فإنها» يعود على السوق، وهى تذكر وتؤنث، سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم.

(وبها ينصب رأيه) كناية عن ثبوته هناك، واجتماع أعوانه، وتحريك جنده، واستغلالهم حركتها فى الإفساد، فهى من أهم مواضع إيقاع البشر فى الشر والسيئات.

(قال: وأنبئت أن جبريل عليه السلام) الفعل « أنبئت » مبنى للمجهول، محذوف الفاعل، فهو من مراسيل الصحابة، إن كان القائل سلمان، لكن فى آخر الرواية « فقلت لأبى عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد » يفيد أن القائل أبو عثمان، فأصل الرواية: حدثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبى. حدثنا عثمان عن سلمان قال: لا تكونن .. قال: وأنبئت أن جبريل... إلخ.

(أتى نبي الله ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، ثم قام) أى انصرف.

(هذا دحية) بفتح الدال وكسرهما، وهو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس ابن الخزرج صحابى مشهور، أول مشاهده الخندق، ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا، وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة. شهد اليرموك، ونزل دمشق، وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية.

والظاهر أن الرسول ﷺ سكت عند قول أم سلمة: هذا دحية، ولم يخبرها بحقيقته، حتى سمعته صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، ويعلمهم أن جبريل عليه السلام يأتى أحيانًا فى صورة دحية.

(يخبر خبرنا) قال النووى: هكذا هو فى نسخ بلادنا، وكذا نقله القاضى عياض عن بعض الرواة والنسخ، وعن بعضهم « يخبر خير جبريل » قال: وهو الصواب، وقد وقع فى البخارى على الصواب.

فقه الحديث

فيه منقبة لأم سلمة رضى الله عنها، وأنها رأت جبريل عليه السلام.

وفيه جواز رؤية البشر الملائكة، ووقوع ذلك، وأنهم يرونهم على صورة آدميين، لأنهم لا يقدرّون على رؤيتهم على صورهم، وكان النبي ﷺ يرى جبريل على صورة دحية، أحيانًا، قال النووى: ورآه مرتين على صورته الأصلية.

وفى الجزء الأول من الحديث أن الأسواق مجالس الشياطين وميدانهم.

والله أعلم

(٦٤٧) باب من فضائل زينب، أم المؤمنين، رضى الله عنها

٥٤٩٤ - **ابن** عن عائشة رضى الله عنها^(١٠١)، أم المؤمنين، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بى، أطولكن يداً» قالت: فكنن يتطاوأن أيتهن أطول يداً. قالت: فكانت أطولنا يداً زينب. لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

المعنى العام

السيدة زينب بنت جحش الأسدية، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، وأمها أميمة، عمة النبي ﷺ، زوجها رسول الله ﷺ، مولاه زيد بن حارثة، وكان يدعى زيد ابن محمد، بالتبني فلما بطل التبني بقوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] ولم تستقم حالها مع زيد، فطلقها، تزوجها صلى الله عليه وسلم. كما حكى الله تعالى ذلك بقوله ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ بأنها ابنة عمته، وبأن الله زوجها له، وهن زوجهن أولياؤهن، وكانت لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت سالحة، صوامة، قوامة، صناعاً، تصنع بيدها تدبج الجلود وتخرمها وتتكسب، وتتصدق بذلك كله على المساكين، وكانت أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقاً به بعد موته، كان عطاء عمر لها اثني عشر ألفاً، لم تأخذه إلا عاماً واحداً، قسمته كله فى الفقراء، وأهل رحمها، فبلغ عمر ذلك، فوقف عليها، وأرسل بالسلام، وقال: بلغنى ما فرقت، فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت بها ذلك المسلك، وقالت: اللهم لا يدركنى هذا المال من قابل، فإنه فتنة، فتوفيت من عامها، وكانت قد أعدت لنفسها كفناً، وأوصت بالتصدق به، أو بالكفن الذى سيرسله عمر، فأرسل لها عمر خمسة أثواب، بخرها ثوباً ثوباً، فكفنت منها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى كانت قد أعدته. تزوجها النبي ﷺ وهى بنت خمس وثلاثين، ماتت سنة عشرين من الهجرة وهى بنت خمسين، وصلى عليها عمر. رضى الله عنها وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً) أى أولكن موتاً بعدى، ورواية البخارى صريحة فى أن هذا كان جواباً لسؤالهن، - أو سؤال إحداهن، ففيها «أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أيننا أسرع بك لحوقاً؟ قال: أطولكن يداً» وعند ابن حبان ما يفيد أن السائلة عائشة رضى الله عنها، فعنده

(١٠١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى السَّيْبَانِيُّ أَخْبَرَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ

« قالت: فقلت » وقد أخرج النسائي بلفظ « فقلن » و « لاحقاً » بفتح اللام، وهو منصوب على التمييز وفي رواية البخارى « لاحقاً » و « يدا » منصوب على التمييز أيضاً، وكان المناسب أن يقول « طولاكن » لكنه عبر بما يعبر عنه عن المذكر تعظيماً.

(فكن يتطاولن. أيتهن أطول يدا) أى ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، أو على الحائط، وفي رواية البخارى « فأخذوا قصبه يذرعونها » أى لترى أعينهن بالمقياس أيتهن أطول يدا.

(قالت: فكانت أطولنا يدا زينب) بنت جحش، وفي الكلام طى وحذف، والأصل وكانت سودة أطولنا يدا حقيقية، فلما توفيت زينب، وكانت أولنا لاحقاً به صلى الله عليه وسلم كانت هى أطولنا يدا، أى أكثرنا عطاء، أى علمنا أن مراده صلى الله عليه وسلم طول اليد فى الصدقة، وفعل الخير، وأهل اللغة يقولون: فلان طويل اليد، وطويل الباع، إذا كان سمحاً جواداً، وضده قصر اليد، وقصير الباع.

وقد فسرت رواية الحاكم هذا المراد، ولفظها « قال رسول الله ﷺ لأزواجه: أسرعن لاحقاً بى أطولكن يدا، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا فى الجدار، نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك، حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبى ﷺ أن أراد بطول اليد الصدقة، وكانت زينب امرأة صناعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز - أى وتبيع - وتصدق فى سبيل الله ».

وقد أوهمت رواية البخارى خلاف الصواب، ولفظها « فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لاحقاً به، وكانت تحب الصدقة ».

قال ابن الجوزى: هذا الحديث غلط من بعض الرواة. اهـ وقد أجمع أهل السير على أن زينب أول من مات من أزواجه، فقله عن سودة « وكانت أسرعنا لاحقاً به » غير صواب، والمعروف أن زينب ماتت سنة عشرين، وأن عمر صلى عليها أما سودة فقد ماتت بعدها فى آخر خلافة عمر على المشهور وحاول العلماء توجيه رواية البخارى، فمنهم من وجهها بتقدير محذوفات، أى قالت عائشة: فأخذوا قصبه يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا على الحقيقة، فعلمنا بعد أنما المراد طول اليد بالصدقة، أى بعد وفاة زينب، وكانت - أى زينب - أسرعنا لاحقاً به،، وفى الرواية حذف، وقد خلفت الضمائر مع الحذف هذا الإيهام، قال الزين بن المنير: قولها « فعلمنا بعد » يشعر إشعاراً قوياً أنهم حملن طول اليد على ظاهره، ثم علمن بعد ذلك خلافه، وأنه كناية عن كثرة الصدقة، والذى علمنه أخيراً خلاف ما اعتقدنه أولاً. اهـ

وقد جمع الطيبى بين الحديثين، فقال: يمكن أن يقال فيما رواه البخارى: المراد الحاضرات من أزواجه، دون زينب، فلم تكن حاضرة، وكانت سودة أولهن موتاً، قال الحافظ ابن حجر: لكن يعكز على هذا أن فى رواية ابن حبان « أن نساء النبى ﷺ اجتمعن عنده، لم تغادر منهن واحدة » والتحقيق أن فى رواية البخارى وهما من الرواة.

فقه الحديث

- ١- فى الحديث منقبة جليلة لزئب بنت جحش رضى الله عنها.
- ٢- وفيه فضل الصدقة.
- ٣- وفيه معجزة لرسول الله ﷺ.
- ٤- وفيه أن من حمل الكلام على ظاهره وحقيقته لا يلام، وإن كان مراد المتكلم مجازه، لأن النسوة حملن الكلام على الحقيقة، فلم ينكر عليهن.
- ٥- قال المهلب: فى الحديث دلالة على أن الحكم للمعاني، لا للألفاظ، لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة، وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة. اهـ. لكن ما قاله لا يطرد.

والله أعلم

(٦٤٨) باب من فضائل أم أيمن، رضى الله عنها

٥٤٩٥ - ١٠٢ عن أنس رضي الله عنه (١٠٢) قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ. فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ. فَنَاولَتْهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ. قَالَ: فَلَا أَذْرِي أَصَادَفْتُهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ يُرِدْهُ. فَجَعَلْتُ تَصْخَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمُّرُ عَلَيْهِ.

٥٤٩٦ - ١٠٣ عن أنس رضي الله عنه (١٠٣) قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالَا لَهَا: مَا يُتِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَأ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَتَكَيَّانِ مَعَهَا.

المعنى العام

أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته، قالوا: كان النبي ﷺ ورثها عن أمه فأعتقها حين تزوج خديجة، وقالوا: كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، والد النبي ﷺ، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ، بعدما توفى أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر، وتزوجها عبيد بن زيد، من بنى الحارث بن الخزرج، قبل الإسلام، فولدت له «أيمن» أسلم. وصحب النبي ﷺ، واستشهد في خيبر، ولما تبني الرسول ﷺ زيد بن حارثة وزوجه أم أيمن، ولدت له أسامة وكان النبي ﷺ يزورها، وكانت تدل عليه، وترفع صوتها، كما تفعل الأم، وكان يعاملها معاملة الأم، وقد روى البخاري وأحمد أن الرجل كان يجعل للنبي ﷺ النخلات، حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل يرد بعد ذلك، فسأله أحدهم أن يرد عليه بعض الذي أخذه، وكان أعطاه لأم أيمن - فأعطاه له، فجاءت أم أيمن، فجعلت تلوح بالثوب، وتقول: كلا والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال النبي ﷺ: لك كذا وكذا، وتقول: كلا، حتى أعطاه عشرة أمثاله.

وحفظ الصحابة مودتها كما حفظها رسول الله ﷺ، فكان أبو بكر وعمر يزورانها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وتوفيت في خلافة عثمان - رضى الله عنها وأرضاها.

(١٠٢) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ
(١٠٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ

المباحث العربية

(انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه) الظاهر أن هذا الانطلاق كان لمجرد زيارتها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يزورها كثيرا، كما هو صريح الرواية الثانية، وكان خادمه أنس يصحبه في أغلب الزيارات.

(فنأولته إناء فيه شراب) أى فلم يأخذه، ولم يشرب منه، وكان قصدها إكرامه وتحيته، وفى بعض الروايات « فقربت إليه لبنا ».

(فلا أدرى. أصادفته صائما؟ أو لم يره) أى لا يدري أنس، سر إجمامه صلى الله عليه وسلم عن الشرب، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبين عنه لأم أيمن، ولم يكن يعلم أنس حاله، إذ كان صلى الله عليه وسلم كثير الصوم، دون أن يخبر عن صومه، والغالب أنه كان صائما، ومن المستبعد أن يعاف شرابها، فهي حاضنته ومربيته.

(فجعلت تصخب عليه) أى تصيح، وترفع صوتها عليه، تنكر عليه رفض الشراب، وتلح عليه أن يشرب.

(وتذمر عليه) بفتح التاء والذال وتشديد الميم، وأصله تذمر، حذفتم إحدى التاءين تخفيفا، والتذمر الكلام بغضب، يقال: ذمر يذمر، كقتل يقتل إذا غضب، وإذا تكلم بالغضب، وكان هذا منها دلالة عليه صلى الله عليه وسلم، وكان يتقبل مثل هذا منها وفاء بحقها، وكان يقول « أم أيمن أمتى بعد أمتى ».

(قال أبو بكر ؓ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن، نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها) هذا من قبيل الوفاء للميت، وإكرامه، فتكريم من كان يكرمه من باب الإحسان إليه .

(فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ) القائل واحد منهما، وأسند القول إليهما لموافقة الثانی ورضاه، وقد ظنا أن بكاءها أسفا على موت الرسول ﷺ وحرزنا على فراقه، فصبراهما بما قالوا.

(ولكن أبكى أن الوحي قد انقطع من السماء) الكلام معطوف على محذوف، والتقدير: لا أبكى أسفا وحرزنا على فراقه ﷺ، فأنا أعلم أنه فارقنا إلى ما هو خير له، ولكن أبكى انقطاع الوحي من السماء إلى الأرض، وكان فى نزوله الرحمة، ووصلنا بالسماء.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فضيلة لأم أيمن، وتقدير الرسول ﷺ لها، ومن بعده تقدير الصحابين لها.
- ٢- قال النووي: فيه أن للضيف الامتناع من الطعام والشراب الذي يحضره المضيف، إذا كان له عذر من صوم أو غيره مما هو مقرر في كتب الفقه.
- ٣- وفيه زيارة الصالحين وفضلها.
- ٤- وزيارة الصالح لمن هو دونه.
- ٥- وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره.
- ٦- وزيارة المسلم لأهل ود صديقه.
- ٧- وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة.
- ٨- وسماع كلامها.
- ٩- واستصحاب العالم والكبير صاحباً له في الزيارة والعيادة ونحوها.
- ١٠- والبكاء حزناً على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه. كذا قال النووي: وقد أنكرت في جوابها أن يكون البكاء للفراق وأفادت أن البكاء لفقد الخير الذي حصل بالحياة، وأنقطع بالموت.
- ١١- وفي الرواية الأولى إدلال المحب، وصاحب الحق.
- ١٢- وتقبله صلى الله عليه وسلم لما يصاحب ذلك من إساءة، وعفوه وسماحته.

والله أعلم

(٦٤٩) باب من فضائل أم سليم، وبلال، رضي الله عنهما

٥٤٩٧- ١٠٤ عن أنس رضي الله عنه (١٠٤) قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا عَلَيَّ أَرْوَاجِهِ، إِلَّا أُمَّ سُلَيْمٍ. فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: «إِنِّي أَرْحَمُهَا فُقِيلَ أَخُوهَا مَعِيَ».

٥٤٩٨- ١٠٥ عن أنس رضي الله عنه (١٠٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. فَسَمِعْتُ خَشْفَةً. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ، أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

٥٤٩٩- ١٠٦ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (١٠٦)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرَيْتُ الْجَنَّةَ. فَرَأَيْتُ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ. ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخِشَةَ أُمَامِي. فَإِذَا بِلَالٌ».

٥٥٠٠- ١٠٧ عن أنس رضي الله عنه (١٠٧) قَالَ: مَاتَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ. فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِإِنِّي حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ. قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ عَشَاءً. فَأَكَلَ وَشَرِبَ. فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتَ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ. فَوَقَعَ بِهَا. فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ. فَطَلَّبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ. وَقَالَ: تَرَكْنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرٍ لَيْلَيْتُكُمْ» قَالَ: فَحَمَلْتُ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا. فَدَنُوا مِنَ الْمَدِينَةِ. فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ. فَاحْتَسِبَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ. وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ! إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ، مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخَلَ. مَعَهُ إِذَا دَخَلَ. وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى. قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ. فَانْطَلَقْنَا. قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا. فَقَالَتْ

(١٠٤) حَدَّثَنَا حَسَنُ الْخُلَوَانِيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسِ (١٠٥) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍو حَدَّثَنَا بِشْرُ يَغْيِي ابْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ (١٠٦) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَّابِ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١٠٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا بِهِزٌ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ

لي أمي: يَا أَنَسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَعْدُوَ بِهِ عَلَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا أَصْبَحَ اخْتَمَلْتُهُ. فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَصَادَقْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسَمٌ. فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وُلِدَتْ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَوَضَعَ الْمَيْسَمَ. قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ. فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ. ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ. فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انظُرُوا إِلَيَّ حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمَرُ» قَالَ: فَسَمَحَ وَجْهَهُ. وَسَمَاهُ عَبْدَ اللَّهِ.

- بِمِثْلِهِ (-).

٥٥٠١- ٥٨٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠٨) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبِلَالٍ، عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بِلَالُ! حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ، عِنْدَكَ، فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةٌ. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةٌ مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

المعنى العام

أم سليم بنت ملحان الأنصارية، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، اتخذت خنجرًا يوم حنين، وقالت: إنا دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه، عرضت ابنها أنسا على رسول الله ﷺ ليعلمه، فقبله، وكانت من عقلاء النساء، ومن الصالحات، يشهد لعقلها قولها في أحاديثنا: «يا أبا طلحة، أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم. ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك» ويشهد لصلاحها رؤية الرسول ﷺ لها في الجنة، ويكفي أن الرسول ﷺ كان يدخل بيتها دون تكلف، بل ويقبل فيه، سواء أكانت موجودة فيه أو غير موجودة، ولزوجها أبا طلحة مناقب كثيرة، ودعاؤه ربه - في حديثنا - وحرصه على صحبة الرسول ﷺ، واستجابة الله لدعاؤه خير شاهد على بعض فضائله، التي بلغت الذروة يوم دفاعه عن رسول الله ﷺ، وبلائه البلاء الحسن في غزوة أحد ﷺ.

(-) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُعْبِرَةِ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ مَاتَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَأَقْنَصَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ (١٠٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْيشَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ النَّجَّيُّ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

أما بلال بن رباح، الحبشي فقد كان مملوكاً لأمية بن خلف، فأمن بالله وبرسول الله ﷺ، فأخذ أمية يعذبه، ويخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة توضع على صدره، فضلاً عن ضربه بالسوط، وأخذوا يطوفون به والحبل في عنقه في طرقات مكة، وهو يقول: أحد. أحد. فمر به أبو بكر، فاشتراه من أمية، وأعتقه، فلزم النبي ﷺ، وكان مؤذنه، وخازناً له، شهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ: إني دخلت الجنة فسمعت خشفاً فقلت: من؟ قالوا: بلال. فكان بلال إذا ذكر ذلك بكى. وأذن لأبي بكر، بعد رسول الله ﷺ، ولم يؤذن لعمر، فقال له عمر: ما يمنعك أن تؤذن؟ قال: إني أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، ثم أذنت لأبي بكر حتى قبض، لأنه كان ولي نعمتي، ويقال: إنه أذن لعمر مرة إذ دخل الشام، فبكى عمرو غيره من المسلمين.

يقال: إنه أراد في آخر حياة أبي بكر أن يخرج إلى الشام مجاهداً، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي، فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله عز وجل فذرني أذهب إلى الله عز وجل، فقال: اذهب. فذهب إلى الشام، فكان بها حتى مات، سنة عشرين، ودفن بحلب رضي الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(كان النبي ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها) أي لا يدخل على أحد من النساء الأجنبية غير المحارم، وقد سبقت ترجمة أم سليم وزوجها أبي طلحة، وابنها أنس في كتاب الأشربة والأطعمة، باب تكثير الطعام ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم، في المباحث العربية.

كما سبق دخوله صلى الله عليه وسلم على أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم مع ترجمتها في المباحث العربية في باب الغزو في البحر، كما سبق توجيه هذا الدخول شرعاً في فقه الحديث في الباب المذكور، فيما يؤخذ من الحديث، المأخذ الثالث عشر.

وفي قوله « إلا على أزواجه، إلا أم سليم » استثناء من الاستثناء، ومثله في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِذْ آتَىٰ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠] وقد رتب عليه الفقهاء مسائل في الطلاق والإقرار.

(فقيل له في ذلك) أي سئل عن سر ذلك.

(فقال: إني أرحمها. قتل أخوها معي) يعني حرام بن ملحان، وكان قد قتل يوم بدر معونة، وما ذكر لعله جزء علة، وقد عقبنا عليه في فقه الحديث في كتاب الفضائل - باب عرق النبي ﷺ في المأخذ الثالث عشر.

(دخلت الجنة، فسمعت خشفة) بفتح الخاء وسكون الشين، وهى حركة المشى وصوته، ويقال أيضًا بفتح الشين.

(فقلت: من هذا؟) الذى يمشى بصوت؟.

(قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك) القائلون هم الملائكة، والغميصاء بضم الغين وبالصاد مع المد، ويقال لها أيضًا: الرميصاء، بالصاد وبالسين، قال ابن عبد البر: أم سليم هى الرميصاء والغميصاء، والمشهور فيه الغين، وأختها أم حرام الرميصاء، ومعناهما متقارب، والرمص والغمص قذى يابس وغير يابس يكون فى أطراف العين.

(أريت الجنة، فرأيت امرأة أبى طلحة) هى أم سليم، أم أنس، والرؤية منامية.

(ثم سمعت خشخشة أمامى، فإذا بلال) هذه الجملة هى التى جعلت النووى - رحمه الله - يجمع هنا بين أم سليم وبلال فى باب واحد، وقد تبعناه، والخشخشة صوت المشى اليابس إذا حك يابس.

(مات ابن لأبى طلحة من أم سليم) سبقت قصة هذا الولد، وشبهه هذا الحديث فى كتاب اللباس والزينة، باب وسم الحيوان، وفى كتاب الأدب، باب تحنيك المولود.

(فقالت لأهلها) أى للمقيمين معها فى البيت، والذين علموا بموته.

(ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك) أصله أحسن ما كانت تصنع له، أى أحسن ما كانت تتزين له، فتجملت، وتعرضت له، ليجامعها.

(فغضب، وقال: تركتني حتى تطلخت، ثم أخبرتني بابنى؟) الكلام على الاستفهام الإنكارى التوبيخى، أى ما كان ينبغى أن تفعل ذلك، والمراد من التلطح الجنابة.

(بارك الله لكما فى غابر ليلتكما) من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى فى ليلتكما الغابرة، أى الماضية.

(فحملت) من أبى طلحة فى تلك الليلة.

(فكان رسول الله ﷺ فى سفر، وهى معه) شروع فى قصة ولادتها بعد الحمل، وكانت تسافر معه صلى الله عليه وسلم فى غزواته، تسقى العطشى، وتداوى المرضى، وتحرس، وتعين، وكان زوجها أبو طلحة لا يتخلف عن الغزو أيضًا، وفى عودتهم من غزوة، وقرب المدينة حصل لها المخاض.

(إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا) أى لا يطرقها ولا يدخلها مفاجئًا، وبخاصة فى الليل، بل كان يضرب الخيام، وينزل قريبًا منها، حتى يصل خبر العودة للنساء.

(فضربها المخاض) أى جاءها طلق الولادة وآلامها.

(فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ) أى تحرك رسول الله ﷺ ومن معه نحو المدينة، ولم يستطع أبو طلحة أن يتحرك معهم لمرافقتها، وعدم قدرتها على السير، فرفع الله عنها الطلق، استجابة لدعوة زوجها، فرافقها رسول الله ﷺ .

(وضربها المخاض حين قدما) أى حين وصلا المدينة.

(فولدت غلاما...) هذه القصة سبق شرحها فى كتاب اللباس والزينة -باب وسم الحيوان وفى كتاب الأدب - باب تحنيك المولود.

(عند صلاة الغداة) أى صلاة الصبح.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- منقبة ظاهرة لأم سليم، ولها مناقب كثيرة، وقد اشتركت فى كثير من الغزوات.
- ٢- ومنقبة لبلال ؓ، وشهادة له بأنه من أهل الجنة.
- ٣- قال النووي: قال العلماء عن الرواية الأولى: فيه جواز دخول المحرم على محارمه. اهـ. وهذا على ثبوت كونها محرما له، وفيه نظر ذكرناه فى باب الغزو فى البحر.
- ٤- وفيه إشارة إلى منع دخول الرجل على الأجنبية، وإن كان صالحا.
- ٥- وفيه بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والتواضع، وملاطفة الضعفاء.
- ٦- وفيه صحة الاستثناء من الاستثناء.
- ٧- ومن الرواية الرابعة كثير من الفوائد . ذكرناها فى كتاب اللباس والزينة - باب وسم الحيوان وفى كتاب الأدب - باب تحنيك المولود.
- ٨- وفى الرواية الخامسة فضل الطهور والصلاة به.

والله أعلم

(٦٥٠) باب من فضائل عبد الله بن مسعود، وأمه، رضي الله عنهما

٥٥٠٢ - ١٠٩ عن عبد الله رضي الله عنه ^(١٠٩) قال: لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ».

٥٥٠٣ - ١١٠ عن أبي موسى رضي الله عنه ^(١١٠) قال: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ. فَكُنَّا حِينًا وَمَا نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ.

٥٥٠٤ - وفي رواية عن أبي إسحاق، أَنَّهُ سَمِعَ الْأَسْوَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ: لَقَدْ قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ. فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

٥٥٠٥ - ١١١ عن أبي موسى رضي الله عنه ^(١١١) قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. أَوْ مَا ذَكَرَ مِنْ نَحْوِ هَذَا.

٥٥٠٦ - ١١٢ عن أبي الأحوص ^(١١٢) قال: شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ. إِنْ كَانَ يُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا. وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا.

٥٥٠٧ - ١١٣ عن أبي الأحوص ^(١١٣) قال: كُنَّا فِي دَارِ أَبِي مُوسَى مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ. وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي مُصْحَفٍ. فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَا لَيْسَ قُلْتَ ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ يَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا. وَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا.

(١٠٩) حَدَّثَنَا مَنجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ وَسَهْلُ بْنُ غَثْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَّارَةَ الْحَضْرَمِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ شَجَاعٍ قَالَ سَهْلٌ وَمَنجَابٌ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ عَلْقَمَةَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ (١١٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ رَافِعٍ قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي مُوسَى

- وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ (١١١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنِ أَبِي مُوسَى

(١١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْأَخْوَصِ قَالَ

(١١٣) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا قُطَيْبَةُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ أَبِي الْأَخْوَصِ

٥٥٠٨ - وفي رواية عن أبي الأخص (١١٤) قال: أتيت أبا موسى، فوجدت عبد الله وأبا موسى. ح وحدثنا أبو كريب. حدثنا محمد بن أبي عبيدة. حدثنا أبي، عن الأعمش، عن زيد ابن وهب. قال: كنت جالساً مع خديفة وأبي موسى. وساق الحديث. وحديث فطبة أتم وأكثر.

٥٥٠٩ - ١١٤ عن عبد الله ﷺ (١١٤) أنه قال: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةٍ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً. وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: شَقِيقٌ فَجَلَسْتُ فِي حَلْقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعْبِيهِ.

٥٥١٠ - ١١٥ عن عبد الله ﷺ (١١٥) قال: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أَنْزَلْتُ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.

٥٥١١ - ١١٦ عن مسروق (١١٦) قال: كُنَّا نَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ - وَقَالَ ابْنُ نَمِيرٍ: عِنْدَهُ - فَذَكَرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلًا لَأَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ. مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ - فَبَدَأَ بِهِ - وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي خَدِيفَةَ».

٥٥١٢ - ١١٧ عن مسروق (١١٧) قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو. فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ - فَبَدَأَ بِهِ - وَمِنْ أَبِي بِنِ

(-) وحدثني القاسم بن زكرياء حدثنا عبد الله هو ابن موسى عن شيبان عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي الأخص (١١٤)

حدثنا إسحق بن إبراهيم الخطمي أخبرنا عبدة بن سليمان حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله

(١١٥) حدثنا أبو كريب حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فطبة عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله

(١١٦) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير قالوا حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن شقيق عن مسروق

(١١٧) حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب وعفمان بن أبي شيبة قالوا حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وإيل عن مسروق

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش بإسناد جرير وكيع في رواية أبي بكر عن أبي معاوية

- حدثنا ابن المنني وابن بشر قالوا حدثنا ابن أبي عدي ح وحدثني بشر بن خالد أخبرنا محمد يعني ابن جعفر كلاهما عن شعبة عن الأعمش بإسنادهم وأختلفا عن شعبة في تنسيق الأربعة.

كَعْبٍ، وَمِنْ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ « وَحَرَفٌ لَمْ يَذْكُرْهُ زُهَيْرٌ ». قَوْلُهُ: يَقُولُهُ.

٥٥١٣ - - وفي رواية عن أبي معاوية، قَدَّمَ مُعَاذًا قَبْلَ أَبِي. وفي رواية أبي كَرَيْبٍ، أَبِي قَبْلَ مُعَاذٍ.

٥٥١٤ - ١١٨ عن مسروق^(١١٨) قال: ذَكَرُوا ابْنَ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ. فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَرَأَى أَحَبَّهُ. بَعْدَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَغْرَبُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ! وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. - قَالَ شُعْبَةُ⁽⁻⁾: بَدَأَ بِهَذَيْنِ. لَا أُدْرِي بِأَيِّهِمَا بَدَأَ.

المعنى العام

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، كان أبوه قد حالف في الجاهلية عبد الله بن الحارث بن زهرة، وأمه أم عبد، وذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة « أم عبيد » بنت عبدود، من بني زهرة أيضا، أسلمت وبايعت وروى أنها باتت عند النبي ﷺ ليلة، لتري صلته بالليل، أما ابنها عبد الله فقد أسلم قديما، قيل: كان سادس من أسلم، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله ﷺ، فقال له: يا غلام، هل من لبن؟ فقال: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة حائل؟ فأتاه بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، وشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص. فقلص. فأشاه، فأسلم ودعا له، ثم ضمه إليه رسول الله ﷺ، فكان يدخل عليه بكثرة، ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه ومعه، ويستتره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وقال له رسول الله ﷺ: «إذ لك على، أن ترفع الحجاب، وأن تسمع سوادى، حتى أنهاك» وكان يعرف في الصحابة بصاحب الوساد، وصاحب النعلين، وصاحب السواك، شهد بدرًا، والحديبية، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وصلى للقبليتين، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، في حديث العشرة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود) وروى أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد» كان ينسب إلى أبيه «مسعود» كما كان ينسب إلى أمه «أم عبد» كان قصيراً نحيفاً، يكاد طوال الرجال جالسا يوازيه وهو قائم، وكان لا يغير شيبه، اشترك في قتل أبي جهل في غزوة بدر، ذلك أنه لما ضربه ابنا عفراء فخر على الأرض صريعا صعد ابن مسعود على صدره، فقال له: حتى أنت يا ربيع الغنم؟ بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة، مع

(١١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ

(-) حَدَّثَنَا عُثَيْبُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ قَالَ شُعْبَةُ

عمار بن ياسر وكتب إليهم: إني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء، وإني قد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي، ومع خلفه مع عثمان على المصحف ما تناوله بسوء، بل لما دعاه عثمان إلى المدينة أجابه، وقال لأصحابه الذين حاولوا منعه: إن له على حق الطاعة، توفي بالمدينة على المشهور سنة ثنتين وثلاثين رضي الله عنه

المباحث العربية

(لما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وءَامَنُوا وَاللَّهُ يُوْحِبُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] قال لي رسول الله ﷺ: قيل لي: أنت منهم) القائل لرسول الله ﷺ إن ابن مسعود منهم هو الله تعالى عن طريق الوحي، لأن صفة الإيمان والتقوى والإحسان على الحقيقة لا يعلمها إلا الله، وفرق بين أن تنطبق الآية على فرد، وبين سبب النزول، فقد قال المفسرون في سبب النزول، إنه لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة -رضى الله عنهم- كيف بمن شربها من إخواننا الذين ماتوا، وهم قد شربوا الخمر، وأكلوا الميسر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، ومعناها على هذا أن من مات ممن أكل محرماً، أو شرب محرماً قبل أن يحرم هذا المأكل والمشروب فلا إثم عليه إذا كان قد آمن، واتقى المحرمات المعلومة له، وأحسن العمل، ودخول ابن مسعود في الآية وفي الموصوفين بذلك بعيد، اللهم إلا إذا أدخلناه في بعض الصفات، وهي التقوى والإيمان والعمل الصالح والإحسان.

وقيل: إنها نزلت في القوم الذين حرموا على أنفسهم ملاذ الحياة الدنيا، وسلخوا طريق الترهيب، ولم يثبت أن ابن مسعود كان منهم، بل الثابت غيره.

وبغض النظر عن سبب النزول يدخل ابن مسعود وكثير غيره في مضمونها، وهو رفع الجناح عنهم فيما طعموا، إذ ما اتقوا الحرام، واتقوا الإسراف والتقتير، واستمروا على إيمانهم وعملهم الصالحات، وإحسانهم عبادة الله.

(عن أبي موسى ﷺ قال: قدمت أنا وأخي من اليمن) إلى المدينة مهاجراً، وكان ذلك بعد فتح خيبر.

(فكنا حيناً) أى فعشنا ومكثنا في المدينة زمناً، قال الشافعي وأصحابه ومحققو أهل العلم وغيرهم، الحين يقع على القطعة من الدهر، طال أم قصرت.

(وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ) «وما نرى» بضم النون، بمعنى نظن، أى وما كنا نظن ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت.

(من كثرة دخولهم ولزومهم له) أى من كثرة دخولهم بيوت رسول الله ﷺ، وطول إقامتهم

فى داخلها، وكان حقه يقول « من كثرة دخولها ولزومها له » أى هو وأمه، قال النووى: الاثنان يجوز جمعهما بالاتفاق، لكن الجمهور يقولون: أقل الجمع ثلاثة، فجمع الاثنين عندهم مجان، وغير الجمهور يقولون: أقل الجمع اثنان، فجمعهما عند غير الجمهور حقيقة.

(فقال أحدهما لصاحبه: أترأه ترك بعده مثله؟) « أترأه » بضم التاء، أى أتظن ابن مسعود بعد موته ترك على الأرض حياً فى درجته وعلمه؟ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا أظن أنا ولا أنت أن يوجد الآن مثله، أو حقيقى. والجواب مطوى، دل عليه ما قاله الآخر.

(إن قلت ذاك، إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا) « إن » الأولى شرطية، حذف جوابها، أى إن قلت ذلك القول لم تكن مبالغاً، ولا مجاوزاً الحقيقة، و« إن » الثانية مخففة من الثقيلة واسمها ضمير محذوف، والجملة مستأنفة استئنافاً تعليلياً، أى فإنه كان يأذن له رسول الله ﷺ فى الدخول عليه إذا حجب ومنع الصحابة، ومعنى « يشهد » يحضر، أى يحضر مجلس رسول الله ﷺ إذا غاب عنه الآخرون.

قال القسطلانى: وكان ابن مسعود ﷺ يلج على النبي ﷺ، ويلبسه نعليه، ويمشى أمامه ومعه، ويستتره إذا اغتسل، وقال: قال لى رسول الله ﷺ « إذ لك على، أن ترفع الحجاب » كانت الستارة على حجر النبي ﷺ، وبعد باب الدار، فكأنه أذن له، أن لا يطرق الباب - « وأن تسمع سوادى » أى وأن تسمع صوتى، وتعلم وجودى، وعدم المانع من دخولك « حتى أنهاك » أى حتى أسلبك هذه الخصوصية.

(كنا فى دار أبى موسى، مع نفر من أصحاب عبد الله) ابن مسعود، أى وعبد الله معهم، وهذه واقعة أخرى، وإن كانت قولة أبى موسى فى كل من الجلستين واحدة، فما فى الرواية الرابعة كان بعد موت ابن مسعود، وما فى الرواية الخامسة كان فى حياته، وقد بين ملحق الرواية الخامسة بعض هؤلاء الأصحاب، منهم زيد بن وهب وحذيفة بن اليمان.

(وهم ينظرون فى مصحف) لعله مصحف عبد الله بن مسعود، وكان به بعض اختلاف عن مصحف الجماعة، كما سيأتى.

(فقام عبد الله) ابن مسعود، أى منصرفاً من المجلس.

(أعلم بما أنزل الله من هذا القائم) أى من هذا الذى قام وانصرف.

(عن عبد الله ﷺ أنه قال: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) هذه الجملة جزء الآية (١٦١) من سورة آل عمران، وصدرها ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قال النووى: معناه أن ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجمهور، وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه، فأنكر عليه الناس، وأمره بترك مصحفه، وبموافقة مصحف الجمهور، وطلبوا مصحفه ليحرقوه، كما فعلوا بغيره فامتنع، وقال لأصحابه: غلوا مصاحفكم، أى اكتموها، وخبئوها، ﴿وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعنى: فإذا غلتموها جئتم بها يوم القيامة، وكفى لكم بذلك شرفاً. اهـ.

فكان ابن مسعود نقل الآية من معناها الأصلي، وهو الأخذ سرقة من الغنمية قبل القسمة، ونقل التهديد بالوعيد الذى يلحق الغال، وهو أن يحمل الغال على رقبته يوم القيامة ما سرق، جملاً أو بقرة، أو شاة تشهيراً به ونكالا، نقلها إلى معنى: من يكتنم شيئاً من الخير جاء يحمله متشرفاً به يوم القيامة، وفى رواية أنه قال لأصحابه: إنى غال مصحفى وحابسه عن أن يحرق، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليغل.

(ثم قال: على قراءة من؟ تأمرنى أن أقرأ) هكذا هو فى بعض النسخ « تأمرنى » أى أيها الذى تأمرنى، وفى بعض النسخ « على قراءة من تأمرونى » أى أيها الأمرون، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغي أن تأمرونى أن أقرأ بقراءة فلان، وأترك قراءتى، وقصده من « فلان » هذا زيد بن ثابت، فقد أثار ابن مسعود أنه لم يحظ بشرف جمع القرآن ونسخه، ضمن اللجنة التى ألفتها لذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه، واعتمد فيها على زيد بن ثابت، عز عليه إهماله، وهو إمام القراءة فى الكوفة، ومن السابقين الماهرين فى حفظ القرآن، وهو أول أربعة أمر المسلمون بأخذ القرآن عنهم، كما سيأتى فى الرواية الثامنة والتاسعة والعاشرية، ويقال: إنه خطب فى الناس، فقال: يا معشر المسلمين . أعزل عن نسخ كتابة المصاحف، ويتولاها رجل، واللّه لقد أسلمت وإنه لفى صلب كافر - يريد زيد ابن ثابت -، ولابن مسعود عذره فى هذا الغضب، ولعثمان عذره فى هذا الاختيار، فإبعاده عن هذا العمل المشرف - مع كفاءته له - يغضب دون مرء، وفى هذا الغضب جزء لله، لكنه جاوز ما يليق! إذ هاجم زيد بن ثابت، من غير ذنب، إلا أنه وقع عليه الاختيار، وما كان اختيار زيد إلا عن كفاءة ممتازة، مجمع عليها من المنصفين، فهو كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذى قام بجمع القرآن لأبى بكر، ثم هو أكتب القوم بشهادة الصحابة، فالطعن فى اختياره لهذا العمل افتئات واعتداء.

وعذر عثمان فى عدم ضم ابن مسعود للجنة أن ابن مسعود كان متميزاً بقراءة، متمسكاً بها فخشى من تحيزه لقراءته، على أن عثمان رضي الله عنه كان متعجلاً الأمر، منزعاً من الاختلاف فى القراءة، حريصاً على الإسراع بحسم الداء، وهو بالمدينة، وعبد الله بن مسعود بالكوفة، فاكتفى بمن هم فى المدينة، ولم يشتهر عنهم التحيز لقراءة معينة.

وترتب على غضبة ابن مسعود هذه غضبة أخرى، يوم أرسل مصحف عثمان إلى الكوفة، ليجمع عليه الناس، ويحرقوا ما عداه، فرفض أن يحرق مصحفه، ودعا أصحابه إلى ذلك الرفض.

(فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة) أى وأخذت بقية القرآن عن أصحابه، وفى رواية « لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وإن زيد ابن ثابت لصبى من الصبيان ».

(قال شقيق: فجلست فى حلق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه، ولا يعيبه) « شقيق » هو الراوى عن ابن مسعود، يحكى أنه جلس فى حلقات الصحابة العلمية، فيذكرون ابن مسعود، وقوله هذا، فلا يعترض على هذا القول، و« الحلق » بفتح الحاء واللام،

ويقال بكسر الحاء وفتح اللام، وقال الحربى بفتح الحاء وإسكان اللام، وهو جمع حلقة، بإسكان اللام على المشهور، وحكى فتحها وتفقوا على أن فتحها ضعيف.

(ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت) أى فى أى مكان نزلت.

(من ابن أم عبد) كانت أمه تكنى « أم عبد » و« أم عبد الله » بنت عبود.

(ومن أبى بن كعب) سيأتى الكلام عنه فى الباب التالى.

(ومن سالم مولى أبى حذيفة) وكان من أهل فارس، أعتقته مولاته زوج أبى حذيفة، فتبناه أبو حذيفة، ولذلك يعد من المهاجرين، ولما كانت معتقته أنصارية عد من الأنصار، ويعد فى العجم، وهو من خيار الصحابة، وكان يؤم المهاجرين بقباء، وفيهم عمر، قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وروى أنه هاجر مع عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة من مكة، وكان يؤمهم إذا سافر معهم، لأنه كان أكثرهم قرآنا، وروى أن عمر لما طعن قال: لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى، شهد بدرًا، وقتل يوم اليمامة شهيدًا هو ومولاه أبو حذيفة، وجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر، سنة اثنتى عشرة من الهجرة.

(ومن معاذ بن جبل) الأنصارى الخزرجى، الإمام المقدم فى علم الحلال والحرام، كان من أجمل الرجال، شهد بدرًا وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وأمره النبى ﷺ على اليمن، وقدم منها فى خلافة أبى بكر، وكانت وفاته بالطاعون فى الشام سنة سبع عشرة، وعمره أربع وثلاثون سنة، روى أن عمر ﷺ قال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ.

فقه الحديث

يؤخذ من الأحاديث

١- فيه منقبة من مناقب عبد الله بن مسعود، وفى الرواية الثانية والثالثة ملازمته للنبى ﷺ، وذلك يستلزم فضله، وفى الرواية الرابعة والخامسة أنه كان يؤذن له يوم لا يؤذن لغيره، ويسمح له يوم لا يسمح لغيره، وفى الرواية الثامنة والتاسعة تقديمه فى القراءة على غيره.

٢- وفى الرواية السادسة والسابعة استحباب الرحلة فى طلب العلم، والذهاب إلى الفضلاء، حيث كانوا.

٣- قال النووى: فيه جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة، وأما النهى عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة، بل للفخر والإعجاب، وقد كثرت تزكية النفس من الأمثال، عند الحاجة، كدفع شر عنه بذلك، أو تحصيل مصلحة للناس، أو ترغيب فى أخذ العلم عنه، أو نحو ذلك، فمن المصلحة قول يوسف عليه السلام ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ

عَلِيمٌ» [يوسف: ٥٥] ومن دفع الشر قول عثمان رضي الله عنه، في وقت الحصار « إنه جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة » ومن الترغيب قول ابن مسعود، وقول سهل بن سعد: ما بقى أحد أعلم بذلك مني، وقول بعضهم: على الخير وقعت.

٤- وفيه أن ابن مسعود أعلم الصحابة بكتاب الله، قال النووي: ولا يلزم منه أن يكون أعلم من أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم بالسنة، ولا يلزم من ذلك أيضا أن يكون أفضل منهم عند الله تعالى، فقد يكون واحد أعلم من آخر بباب من العلم، أو بنوع من العلم، والآخر أعلم من حيث الجملة، وقد يكون واحد أعلم من آخر، وذاك أفضل عند الله، بزيادة تقوى وخشية وورع وزهد وطهارة قلب، قال: ولا شك أن الخلفاء الراشدين الأربعة، كل منهم أفضل من ابن مسعود.

٥- وأن قراءة ابن مسعود معتمدة، وكذا الثلاثة المذكورون معه، قال النووي: قال العلماء: سببه أن هؤلاء أكثر ضبطا لألفاظه، وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه صلى الله عليه وسلم مشافهة، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم، أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك، فليؤخذ عنهم.

والله أعلم

(٦٥١) باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار ﷺ

٥٥١٥-١١٩ عن أنسٍ ﷺ (١١٩) قال: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَرْبَعَةَ. كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنْسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ غُمُومَتِي.

٥٥١٦-١٢٠ عن قَتَادَةَ (١٢٠) قال: قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ. كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ. أَبِي بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ.

٥٥١٧-١٢١ عن أنسٍ بن مالكٍ ﷺ (١٢١) أن رسول الله ﷺ قال لأبي: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» قَالَ: آَللَّهُ سَمَّائِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ» لِي قَالَ: فَجَعَلَ أَبِي يَبْكِي.

٥٥١٨-١٢٢ عن أنسٍ بن مالكٍ ﷺ (١٢٢) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا؟ قَالَ: وَسَمَّائِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَبَكَى.

المعنى العام

أبي بن كعب بن قيس، الأنصاري، الخزرجي، شهد العقبة الثانية، وباع النبي ﷺ فيها، ثم شهد بدرًا، وروى أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقروهم أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلمت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من نبي لهجة أصدق من أبي ذر، ولكل أمة أمين وأميين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

كان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله ﷺ قبل زيد بن ثابت، وكتب لرسول الله ﷺ مع زيد بن ثابت، وكان زيد ألزم الصحابة لكتاب الوحي، وكان يكتب كثيرا من رسائله صلى الله عليه وسلم، قال الواقدي: أول من كتب لرسول الله ﷺ أول قدومه المدينة أبي بن كعب، وكان إذا لم يحضر دعا رسول

(١١٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ

(١٢٠) حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ

(١٢١) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١٢٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ يَسَّارَ قَالََا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

- وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بِيضِي

اللَّهُ ﷺ زيد بن ثابت فكتب، وكان أبى وزيد يكتبان الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم، ويكتبان كتبه إلى الناس، وما يقع، وأول من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن أبى سرح، ثم ارتد، ورجع إلى مكة، وكان الكاتب لعهوده صلى الله عليه وسلم إذا عاهد، وصلحه إذا صالح على بن أبى طالب ﷺ، وممن كتب لرسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان والزبير بن العوام وخالد وأبان، ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة الأسيدي، والعلاء ابن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، وجهيم بن الصلت، ومعيقب بن أبى فاطمة، وشرحبيل بن حسنة.

ومات أبى بن كعب فى أواخر حياة عمر سنة ثنتين وعشرين على المشهور، روى أحمد وأبو يعلى وابن أبى الدنيا وابن حبان وصححه الطبرانى أن رجلا من المسلمين قال: يا رسول الله، رأيت هذه الأمراض التى تصيبنا، ما لنا فيها؟ قال: «كفارات». فقال أبى بن كعب: يارسول الله، وإن قلت؟ قال: «وإن شوكة فما فوقها»، فدعا أبى بن كعب أن لا يفارقه الوعك، حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج ولا عمرة، ولا جهاد ولا صلاة مكتوبة فى جماعة، فما مس إنسان جسده إلا وجد حره، حتى مات «رضى الله عنه وأرضاه».

المباحث العربية

(جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة) أى جمعه حفظا فى الصدور. قال المازرى: ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فقد يكون مراده: الذين علمهم من الأنصار أربعة، وأما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لا يعلمهم، فلم يفهم، ولو نفاهم كان المراد نفى علمه، ومع هذا فقد روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبى ﷺ، وذكر منهم المازرى خمسة عشر صحابيا، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن، وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبى ﷺ، فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ، فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها، ومن لم يحضرها وبقي بالمدينة أو بمكة أو غيرها؟ ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم من كبار الصحابة، الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه، مع كثرة رغبتهم فى الخير، وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات، وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى فى أهل عصرنا حفظة منهم فى كل بلدة ألوف، مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة، مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم إلا القرآن، وما سمعوه من النبى ﷺ، فكيف نظن بهم إهمالا؟ فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورون.

هذا جواب عن شبهة بعض الملاحدة فى عدم تواتر القرآن. قال: الجواب الثانى أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة لم يقدر فى تواتره، فإن أجزاءه حفظت، حفظ كل جزء منها خلأ لا يحصون،

يحصل التواتر ببعضهم، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر، صارت الجملة متواترة بلا شك، ولم يخالف في هذا مسلم ولا ملحد. اهـ.

(معاذ بن جبل) سبقت نبذة عنه في الحديث السابق.

(وأبى بن كعب) ذكرنا نبذة عنه في المعنى العام.

(وزيد بن ثابت) بن الضحاك، الأنصارى، الخزرجى، استصغريوم بدر، ويقال: إنه شهد أحدا، ويقال: أول مشاهده الخندق، وكان معه راية بنى النجار يوم تبوك، كتب الوحي للنبي ﷺ، وكان من علماء الصحابة، وهو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر، وكان أحد أصحاب الفتوى، والفرائض والقراءة بالمدينة، واستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات، فى حجتين، وفى خروجه إلى الشام، وكان عثمان يستخلفه أيضا على المدينة إذا حج، مات سنة اثنتين وأربعين بالمدينة على المشهور، وصلى عليه مروان.

(وأبوزيد) قلت لأنس: من أبوزيد؟ قال: أحد عمومتى (قال النووى: أبوزيد هذا هو سعد بن عبيد ابن النعمان الأوسى، بدرى، يعرف بسعد القارئ، استشهد بالقادسية سنة خمس عشرة، فى أول خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ، قال ابن عبد البر: هذا هو قول أهل الكوفة، وخالفهم غيرهم، فقالوا: هو قيس بن السكن الخزرجى، من بنى عدى بن النجار بدرى، وقال موسى بن عقبة: استشهد يوم جيش أبى عبيد بالعراق، سنة خمس عشرة. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: قال ابن نمير فى تاريخه: مات سعد بن عبيد القارئ بالقادسية شهيدا، وهو أبوزيد الذى جمع القرآن، روى أنه كان يؤم فى مسجد قباء فى زمن النبي ﷺ وأبى بكر وعمر.

(إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) فى الرواية الرابعة « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال القرطبى: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد، وبيان الجنة والنار مع وجازتها. اهـ.

وقال أبو عبيد: المراد بالعرض على أبى أن يتعلم أبى منه صلى الله عليه وسلم القراءة، ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبية على فضيلة أبى بن كعب وتقدمه فى حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئا بذلك العرض. اهـ.

وفى رواية أن النبي ﷺ دعا أبا، فقال: « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك » وفى رواية « لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل للنبي ﷺ: إن ربك يأمرك أن تقرئها أبا، فقال النبي ﷺ لأبى: إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة.»

(قال: أَلله سمانى لك؟ قال: أَلله سماك لى) فى الرواية الرابعة « قال: وسمانى؟ قال:

نعم». والكلام على الاستفهام التعجبي، والواو في «وسماني»؟ عاطفة على جملة محذوفة، أى أمرك أن تقرأ على؟ وسماني باسمي؟ أى هل نص على باسمي؟ أو قال: اقرأ على واحد من أصحابك؟ فاخترتني أنت؟ وعند الطبراني «قال: نعم. باسمك ونسبك فى الملاء الأعلى» قال القرطبي: تعجب أبى من ذلك. لأن فى تسمية الله له، ونصه عليه، ليقرأ عليه النبى ﷺ تشرىف عظيم.

(**فجعل أبى يبكى**) أى أخذ يبكى واستمر فى البكاء، سروراً، واستصغاراً لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة، قال النووى: والنعمة فيها من وجهين. أحدهما كونه منصوباً عليه بعينه، والثانى قراءة النبى ﷺ، فإنها منقبة عظيمة له، لم يشاركه فيها أحد من الناس، وقيل: إنما بكى خوفاً من تقصيره فى شكر هذه النعمة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فضيلة ظاهرة لأبى بن كعب رضي الله عنه.
- ٢- مشروعية التواضع فى أخذ الإنسان العلم من أهله.
- ٣- تعلق به بعض الملاحدة، ليقول: إن القرآن غير متواتر، إذ لم يجمعه من الصحابة فى عهد النبى ﷺ إلا أربعة، وهم دون عدد التواتر، وقد أجبنا على هذه الشبهة فى المباحث العربية.
- ٤- استحباب عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه، المجيدين لأدائه.
- ٥- وفيه حث للصحابة على الأخذ من أبى رضي الله عنه، قال النووى: وكان كذلك، فكان بعد النبى ﷺ رأساً وإماماً مقصوداً فى ذلك، مشهوراً به.

والله أعلم

(٦٥٢) باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه

٥٥١٩ - ١٢٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ^(١٢٣) قال: قال رسول الله ﷺ،
وجنّازة سعد ابن معاذ بين أيديهم: «اهتز لها عرش الرحمن».

٥٥٢٠ - ١٢٤ عن جابر رضي الله عنه ^(١٢٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت
سعد بن معاذ».

٥٥٢١ - ١٢٥ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١٢٥) أن نبي الله ﷺ قال، وجنّازته موضوعة يعني -
سعدًا - «اهتز لها عرش الرحمن».

٥٥٢٢ - ١٢٦ عن البراء رضي الله عنه ^(١٢٦) قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير. فجعل أصحابه
يلمسونها ويعجبون من لينها. فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة
خير منها وألين» حدثنا أحمد بن عبدة الصبي.

٥٥٢٣ - وفي رواية عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بثوب حرير.
فذكر الحديث. ثم قال ابن عبدة: أخبرنا أبو داود، حدثنا شعبة، حدثني قتادة، عن أنس بن
مالك، عن النبي ﷺ. بنحو هذا أو بمثله.

٥٥٢٤ - ١٢٧ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١٢٧) أنه أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس. وكان
ينهى عن الحرير. فعجب الناس منها. فقال: «والذي نفس محمد بيده! إن مناديل سعد بن
معاذ في الجنة أحسن من هذا».

٥٥٢٥ - وفي رواية عن أنس رضي الله عنه ^(٦)، أن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ
حلة. فذكر نحوه، ولم يذكر فيه. وكان ينهى عن الحرير.

(١٢٣) حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول

(١٢٤) حدثنا عمرو الناقد حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر

(١٢٥) حدثنا محمد بن عبد الله الرزقي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن سعيد عن قتادة حدثنا أنس بن مالك

(١٢٦) حدثنا محمد بن المنثري وابن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول

- حدثنا أبو داود حدثنا شعبة أنبأني أبو إسحق قال سمعت البراء بن عازب يقول

- حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة بهذا الحديث بالأسنادين جميعاً كرواية أبي داود

(١٢٧) حدثنا زهير بن حرب حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك

(٦) حدثنا محمد بن بشار حدثنا سالم بن نوح حدثنا عمر بن عامر عن قتادة عن أنس

المعنى العام

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأنصاري، يكنى أبا عمرو، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، على يد مصعب بن عمير، وشهد بدرًا، وأحدًا والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فقطع وريده من وسط الذراع، فأمر رسول الله ﷺ بضرب فسطاط له في المسجد، يتمرض فيه، وكان يعود في كل يوم، وكوى على جرحه، لكن يده انتفخت، ونزف الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني في بنى قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطرت منه قطرة، حتى نزل بنو قريظة على حكمه، فلما حكم فيهم بحكم الله - وقد ذكرت القصة في غزوة بنى قريظة - انفتق عرقه، فمات شهيدًا، بعد شهر من الخندق، وبعد ليال من حكمه على بنى قريظة.

بشره رسول الله ﷺ بالجنة، فقال: «لمناديل سعد في الجنة خير منها» أي من حلة الحرير التي تعجب الصحابة من نعومتها وجمالها، واهتز لموته عرش الرحمن، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا يجر ثوبه، فوجد سعدًا قد قبض، ولما شيعت جنازته، وكانت خفيفة جدًا على حاملها، مع أنه كان رجلاً طويلاً ضخماً تعجب المنافقون، فقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة حملته»، فقال رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالك .: علمنا به إلا لسعد أبي عمرو

رضى الله عنه وأرضاه

المباحث العربية

(اهتز لها عرش الرحمن) كذا في الرواية الأولى والثالثة، فالضمير يعود على الجنازة الحاضرة، أي لجنازة سعد، أي لسعد الميت على خشبة، وفي الرواية الثانية «لموت سعد بن معاذ» والظاهر أن الاهتزاز - على اختلاف المراد منه - للموت السابق على الجنازة، ففي الكلام مضافان محذوفان، أي اهتز لموت صاحبها عرش الرحمن - وعرش الرحمن مخلوق يحيط بالسموات والأرض، كما يحيط به الكرسي، أو يملؤه الكرسي، وهومن أوائل المخلوقات، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، فهو جرم من الأجرام، ومخلوق كبقية العالم، وقد سمي بما يفهمه المخاطبون عنه، على أنه مقر الحكم، وقاعة الملك، وسريره، ففي سورة يوسف ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] وفي سورة النمل ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] وفيها ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

وفي القرآن الكريم آيات تتحدث عن عرش الرحمن، كمظهر من مظاهر الهيمنة والجبروت، منها قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]؟ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٥٥﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿٥٦﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٥٧﴾ [البروج: ١٤-١٦]. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥].

واهتزاز هذا الجرم بإرادة الله تعالى أمر ممكن عقلا وشرعا، وقد فسرت طائفة اهتزازة لموت سعد
بتحركه فرحاً بقدوم روح سعد، سواء بالإرادة الإلهية التسخيرية، أو بإدراك وتمييز خلقه الله فيه، قال
المازري: ولا مانع منه، كما قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] قال:
وهذا القول هو ظاهر الحديث، فالاهتزاز على حقيقته، وأن العرش تحرك لموته، وهذا لا ينكر من جهة
العقل، لأن العرش جسم من الأجسام، يقبل الحركة والسكون. قال: وهذا القول هو المختار اهـ وعندي
أنه مستبعد جدا، إذ لم يحصل مثل هذا لنبي ولا لرسول، ولا لسيد المرسلين محمد ﷺ، وقد قال صلى
الله عليه وسلم هذا القول إظهاراً لفضيلة سعد، وهو لا تحصل به فضيلة سعد، كما يقول ذلك المازري
نفسه، حتى وإن جعل الله حركته علامة للملائكة على موته.

الرأى الثانى: أنا المراد اهتزاز أهل العرش، وهم حملته من الملائكة، ففى الكلام مضاف
محدوف، واهتزازهم حقيقة، فرحا بقدومه. وهو مستبعد أيضا بما استبعد به سابقه.

الرأى الثالث: كالثانى، إلا أن اهتزاز حملة العرش كناية عن استبشارهم بقدومه، وهو كثير فى
لغة العرب، ومنه قولهم: اهتز طريا للخبر وللمكارم، لا يريدون اضطراب الجسم وحركته، وإنما يريدون
الارتياح والإقبال، ويؤيده، ما أخرجه الحاكم « إن جبريل قال: من هذا الميت الذى فتحت له أبواب
السماء، واستبشربه أهلها؟ »، وهذا الرأى قريب من الرأى الذى سنختاره.

الرأى الرابع: أن المراد اهتزاز سرير الجنابة على أكتاف حملته، أى اهتزاز عرش سعد، فعند
الحاكم « اهتزاز العرش فرحا به » وأوله البراء بن عازب، فقال: اهتزاز العرش فرحا ببقاء الله سعدا، حتى
تفسخت أعواده على عواتقنا، وقال ابن عمر: يعنى عرش سعد، الذى حمل عليه، وعند الترمذى عن
أنس قال: « لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال النبى ﷺ: إن
الملائكة كانت تحمله ».

قال النووى: وهذا القول باطل، ويرده صريح هذه الروايات، التى ذكرها مسلم، اهتزاز موته عرش
الرحمن « قال: وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التى فى مسلم، وقال
الحاكم: الأحاديث التى تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة فى الصحيحين، وليس لمعارضها فى
الصحيح ذكر.

الرأى الخامس: قريب من الرابع: إلا أنه جعل الاهتزاز لحملة السرير، فرحا بقدومه على ربه.

الرأى السادس: وهو الذى نختاره أن اهتزاز عرش الرحمن كناية عن تعظيم أمر وفاة سعد والعرب
تنسب الشىء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت الأرض لموت فلان، وقامت القيامة لموت
فلان، ويكت عليه السماء والأرض. والله أعلم.

(أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير) فى ملحق الرواية « أتى رسول الله ﷺ بثوب حرير »

وفى الرواية الخامسة «أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس» وفى ملحقتها «أن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة» والأكثرين على أن الحلة - بضم الحاء وتشديد اللام المفتوحة - لا تكون إلا ثوبين، يحل أحدهما على الآخر، والبعض يقول: الحلة ثوب واحد جديد، قريب العهد بحله من طيه، ولما كان الثابت أن المهدي من أكيدر دومة الجندل كان قباء وأنه صاحب القصة كان قول غير الأكثرين هنا هو الصحيح، ويثول على قول الأكثرين .

والجبة بضم الجيم وتشديد الباء ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثياب، والقباء بفتح القاف ثوب يلبس فوق الثياب، و«أكيدر» بضم الهمزة، تصغير «أكدر» وهو أكيدر بن عبد الملك، و«دومة الجندل» بضم الدال وسكون الواو، بلد بين الحجاز والشام. مدينة قرب تبوك، بها نخل وزرع وحصن، على عشر مراحل من المدينة، وثمان مراحل من دمشق، وكان أكيدر ملكها، وكان نصرانياً، وكان النبي ﷺ أرسل إليه خالد بن الوليد فى سرية، فأسره وقدم به المدينة، فصالحه النبي ﷺ على الجزية، وأطلقه، وروى أنه لما قدم المدينة أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذهب، وقد سبق الموضوع فى كتاب اللباس، وفى باب حكم لبس الحرير.

(فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها) « يلمسونها » بضم الميم وكسرهما، وفى رواية البخارى « فجعل أصحابه يمسونها » وفى الرواية الخامسة « فعجب الناس منها ».

(أتعجبون من لين هذه؟) الاستفهام إنكارى توبيخى، بمعنى لا ينبغى أن تعجبوا، يعنى لا تعجبوا .

(لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها، وألين) وفى الرواية الخامسة «والذى نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا» فاللام فى «لمناديل سعد» فى جواب قسم محذوف. وفى رواية البخارى «خير منها أو ألين» والمناديل جمع منديل، بكسر الميم فى المفرد، وهو هذا الذى يحمل فى اليد، قال أهل اللغة: هو مشتق من الندل، وهو النقل، لأنه ينقل من واحد إلى واحد، وقيل: من الندل، وهو الوسخ لأنه يندل به، يقال: تندلت بالمنديل.

فقه الحديث

فى الحديث إشارة إلى عظيم منزلة سعد بن معاذ.

وتبشير له بأنه من أهل الجنة.

وأن أدنى ثيابه فيها خير من حرير الدنيا، لأن المنديل أدنى الثياب، لأنه معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل.

والله أعلم

(٦٥٣) باب من فضائل أبي دجانة: سماك بن خرشة رضي الله عنه

٥٥٢٦ - ١٢٨ عن أنس رضي الله عنه (١٢٨)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ. فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ. كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ، أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

المعنى العام

أبو دجانة، سماك بن خرشة، ويقال: سماك بن أوس بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصاري، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج.
شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وكان من الأبطال الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، هو ومصعب ابن عمير، أما هو فقد كثرت فيه الجراح، وأما مصعب فقد استشهد.
عاش أبو دجانة حتى استشهد يوم اليمامة، وهو ممن اشترك في قتل مسيلمة الكذاب يومئذ مع عبد الله ابن زيد بن عاصم، ووحشى بن حرب، رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(أبو دجانة) بضم الدال.

(أخذ سيفًا يوم أحد) أى أمسك بسيف من سيوفه صلى الله عليه وسلم، وعرضه على أصحابه يوم أحد، قبل المعركة.

(فقال: من يأخذ منى هذا ؟) ليقا تل به.

(فبسطوا أيديهم) أى بسط كثير منهم يده، ليأخذه.

(كل إنسان منهم يقول: أنا. أنا) أى أنا آخذه، لأقاتل به.

(قال: فمن يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم) أى تأخروا، وكفوا أيديهم، لما فهموا من أن حقه كبير، قد لا يوفونه، قال النووي: هكذا هو فى معظم نسخ بلادنا « فأحجم » بتقديم الحاء على الجيم،

(١٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا قَابِطٌ عَنْ أَنَسٍ

وفى بعضها بتقديم الجيم على الحاء، قال: وادعى القاضى أن الرواية بتقديم الجيم، ولم يذكر غيره، قال: فهما لغتان، ومعناهما تأخروا، وكفوا. اهـ

(فقال أبودجانة: أنا أخذه بحقه) وعند الدولابى فى الكنى « فقام أبودجانة سماك بن خرشة فقال: أنا. فما حقه؟ قال: لا تقتل به مسلما، ولا تفر به من كافر».

(فأخذه، ففلق به هام المشركين) أى شق رؤوسهم، و«هام» بتخفيف الميم جمع هامة، وهى الرأس، أو أعلاه، أو وسطه.

فقه الحديث

فيه فضيلة كبيرة لأبى دجانة، وأنه كان من الأبطال الشجعان. وفيه ما كان عليه الصحابة من توقير الرسول ﷺ، وخوفهم من مخالفته. وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التشجيع على القتال، واستخدام الأساليب المهيجة النافعة.

والله أعلم

(٦٥٤) باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام،

والد جابر رضي الله عنهما

٥٥٢٧- ١٢٩ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(١٢٩) قال: لما كان يوم أحد، جيء بأبي مسجى، وقد مثل به. قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي. ثم أردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع. فسمع صوت باكية أو صائحة. فقال: «من هذه؟» فقأوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو، فقال: «ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع».

٥٥٢٨- ١٣٠ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(١٣٠) قال: أصيب أبي يوم أحد. فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي. وجعلوا ينهونني، ورسول الله ﷺ لا ينهاني. قال: وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه. فقال رسول الله ﷺ «تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها، حتى رفعتوه».

٥٥٢٩- وفي رواية عن جابر ﷺ، بهذا الحديث. غير أن ابن جريج ليس في حديثه ذكر الملائكة وبكاء الباكية.

٥٥٣٠- وفي رواية عن جابر ﷺ قال: جيء بأبي يوم أحد مجدعا. فوضع بين يدي النبي ﷺ. فذكر نحو حديثهم.

المعنى العام

عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا جابر، كان نقيباً يوم العقبة الثانية، ويقال: إن ابنه جابراً كان معه في العقبة وهو صغير، وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم أحد شهيدًا، ومثل به المشركون، فقطعوا أنفه وأذناه، وكان أول قتيل من المسلمين يوم

(١٢٩) حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَعَمْرُو النَّاقِدُ كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ قَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ

(١٣٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفَةَ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ عَبْدِ عَدِيٍّ أَخْبَرَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ

أحد، جاءوا به مغطى، فحاول ابنه أن يكشف وجهه فمنعوه، لئلا يزداد حزنا وغيظا، حين يراه ممثلا به، ويكت عليه أخته بصوت، وبكى ابنه جابرويكى، فقال صلى الله عليه وسلم: «ابكوا عليه أو لا تبكوا عليه فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه»، يقول جابر: فجعلت أبكى، وجعل القوم يتهونى، ورسول الله ﷺ لا ينهاني، ودفن هو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد، وكان عمرو بن الجموح زوجا لأخته هند بنت عمرو بن حرام، وكان القبر فى جانب السيل، فجرف السيل القبر، وانكشف ما فيه، فحفر جابر لأبيه قبرا آخر، ونقله إليه بعد ستة أشهر من دفنه، يقول جابر: فوجدا لم يتغيرا، كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد وضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، يقول جابر: فما أنكرت من أبى شيئا إلا شعرات من لحيته، كانت مستها الأرض.

وظل جابر منكسرا، فقد ترك له أبوه دينا وعيالا، أخوات بنات قام عليهن بعد أبيه، مما اضطره إلى أن يتزوج ثيبا، ترعى شئونهن، وكان رسول الله ﷺ يحبه، ويعطف عليه، ويسامره، قال له يوما: «أفلا أبشرك يا جابر؟ أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك؟» قال جابر: بلى. يارسول الله. قال: «إن الله أحيا أباك، وكلمه كفاحا، وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب، فقال لأبيك: عدى. تمن أعطك. قال: يارب. تردنى إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانية، فقال الرب تعالى ذكره: إنه سبق منى ﴿أَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] قال: يارب. فأبلغ من ورائى، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

شهد جابر مع النبى ﷺ ثمانى عشرة غزوة، ولم يشهد بدرأ، ولا أحداً مقاتلا، لصغره، فقد روى عنه أنه قال: لم أشهد بدرأ ولا أحداً، منعنى أبى فلما قتل لم أتخلف، وقيل: إنه كان ينقل الماء لأصحابه يوم بدر.

واشترى منه رسول الله ﷺ جملة الضعيف، ونقده ثمنه، وأعاده إليه فى قصة سبقت فى باب بيع البعير واستثناء ركوبه، وشهد صفين مع على رضى الله عنهما، وكف بصره فى آخر عمره، وتوفى سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وكان من المكثرين من رواية الحديث، وكان له حلقة فى المسجد النبوى، يؤخذ عنه العلم، رضى الله عنه وعن أبيه عبد الله وعن الصحابة أجمعين.

المباحث العربية

(جاء بأبى مسجى) أى مغطى، يقال: سجا الشيء يسجوسجوا سكن، وسجا الليل وسجا البحر وسجت الرياح، وسجا الناس الميت، بتخفيف الجيم، وسجى الناس الميت بتشديدها غطوه.

(وقد مثل به) بضم الميم وتشديد الثاء المكسورة، مبنى للمجهول، وبضم الميم وكسر الثاء مخففة، والاسم المثلة، أما مثل بتشديد الثاء فهو للمبالغة. قال النووى: والرواية هنا بتخفيف الثاء المكسورة. ومثل بالقتيل إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو نحو ذلك، وفى رواية حماد

« قتل أبى يوم أحد، وجدع أنفه، وقطعت أذناه » وفى ملحق الرواية الثانية « جىء بأبى يوم أحد مجدعا ». قال الخليل: الجدع قطع الأنف والأذن.

(فأردت أن أرفع الثوب، فنهانى قومي) أى أردت أن أرفع الثوب عن وجهه، لأرى ما فعل به، وفى الرواية الثانية « فجعلت أكشف الثوب عن وجهه، وأبكى، وجعلوا ينفوننى، ورسول الله ﷺ لا ينهانى ». أى جعلت أحاول كشف الثوب، وهم يمنعوننى.

(فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع) الظاهر أن « أو » للإضراب، وأن الواقع أن الرسول ﷺ أمر به فرفع، وإسناد الرفع إلى الرسول ﷺ فى قوله « فرفعه » مجاز عقلى.

(فقالوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو) الشك من القائلين، وكان لعمر بن الجموح بنت وأخت واستشهد يوم أحد، حين انكشف المسلمون، شهد العقبة، ثم بدرًا، ودفن مع عبد الله بن عمرو ابن حرام فى قبر واحد، وعمر بن الجموح بن زيد بن حرام، فعبد الله بمنزلة عمه، وكان زوجاً لأخت عبد الله، فبنت عمرو تبكى أباها وخالها، وأخت عمرو تبكى أخاها وعمها، وفى الرواية الثانية « وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه » بدون شك، والمراد: تبكى عمرًا، أو تبكى خالها عبد الله، وهو الأولى لتناسق الضمائر، وعودها على مصدر واحد.

(فقال: ولم تبكى؟) الاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغى أن تبكى، لحسن خاتمتها التى يسر لها أحبابه، وفى الرواية الثانية « تبكيه أو لا تبكيه » أى يستوى بكائها وعدمه، فقد أكرمه الله بالشهادة التى تخفف حزن الحزين، قال النووى: معناه سواء بكت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله، أى فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره، فلا ينبغى البكاء على مثل هذا.

(فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع) قال القاضى: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه، لبشارته بفضل الله ورضاه عنه، وما أعد له من الكرامة، أو ازدحموا عليه إكرامًا وتكريمًا له، وفرحًا به، أو أظلوه من حر الشمس، لئلا يتغير ريحه أو جسمه. اهـ. وهذا الأخير مستبعد، لما سبق فى المعنى العام أنه لم يتغير بعد أشهر فى قبره.

فقه الحديث

فيه فضيلة عبد الله بن عمرو، وتكريم الله له عند موته، وبشارة النبى ﷺ لأهله، ومواساته لهم، وجواز البكاء على الميت، والكشف عن وجهه.

والله أعلم

(٦٥٥) باب من فضائل جليبيب رضي الله عنه

٥٥٣١ - ١٣١ عن أبي برة رضي الله عنه (١٣١)، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له. فأفأء الله عليه. فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم. فلأنا وفلأنا وفلأنا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكنني أفقد جليبيبا. فاطلبوه» فطلب في القتلى. فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم. ثم قتلوه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه. فقال: «قتل سبعة. ثم قتلوه. هذا مني وأنا منه. هذا مني وأنا منه» قال: فوضعه على ساعديه. ليس له إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فحفر له ووضع في قبره. ولم يذكر غسله.

المعنى العام

رجل دميم الخلقة قصير، لا يؤبه له حضر أو غاب، لكنه عند الله عظيم، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عزيز عظيم، سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: لم لم تتزوج يا جليبيب؟ فقال: إذن تجدني يا رسول الله كاسدا في سوق الرجال، فقال: إنك عند الله لست بكاسد، وذكر له ابنة أنصاري، فلما علم الأنصاري وزوجته كأنهما كرها ذلك، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأت قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ثم قالت: رضيت وسلمت لما يرضى لي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: اللهم اصحب عليها الخير صبأ، ولا تجعل عيشها كدا، وتزوجته، وجاهد في سبيل الله، وغنم، وغنم، وغنم، ونفله رسول الله صلى الله عليه وسلم لبطولته، فلما افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية غزوة، وفي تصفية مكاسبها وخسائرها سأل أصحابه، سؤال توجيه وتعليم: من فقدتم من الأبطال في هذه المعركة؟ قالوا: فقدنا فلانا وفلانا وفلانا، يذكرون من يؤبه لهم إذا حضروا، ويسأل عنهم إذا غابوا، وأعاد الرسول صلى الله عليه وسلم السؤال، فذكروا فلانا وفلانا وفلانا، غير من ذكروا أولاً، فكرر الرسول صلى الله عليه وسلم السؤال فلم يذكروا فيمن ذكروا جليبيبا، فقال: أما أنا فافتقد جليبيبا، ابحثوا عنه، وقام معهم يبحث عنه بين القتلى، فوجده بين سبعة من المشركين قتلهم قبل أن يستشهد، فقال: هكذا تكون البطولة، وهكذا يكون الجندی المجهول، وهكذا يكون الجهاد في سبيل الله. هو يشدهني في الشجاعة وأنا أشبهه، ثم حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه، لم يسمح للصحابة أن يحملوه إلى قبره، بل حمله هو بنفسه حتى وضعه في حفرته، أما زوجته فكانت بعده من أكثر النساء مالا ونفقة.

(١٣١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلَيْطٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ كَيْبَانَ بْنِ نَعِيمٍ عَنْ أَبِي بَرَّةَ

مثل أعلى فى تكريم الأعمال قبل تكريم الهيئات، والأجسام، وطوبى لعبد يجاهد فى سبيل الله، لايهتم بتقدير الناس، إن كان فى المقدمة أو كان فى الساقة، هو يتعامل لله، ومع الله ولدين الله. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(جليبيب) قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: اسم غير منسوب، أى لم يذكر له نسب من أهل النسب، وهو على هيئة تصغير جليباب.

(كان فى مغزى له) أى فى سفر غزو من أسفار غزواته، ولم أر من حدد هذه الغزوة.

(هذا منى وأنا منه) قال النووى: معناه المبالغة فى اتحاد طريقتهما، واتفاقهما فى طاعة الله.

فقه الحديث

فيه منقبة عظيمة لجليبيب، وتقدير النبى ﷺ للكفايات وتكريمهم، وفيه أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه.

والله أعلم

(٦٥٦) باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه

٥٥٣٢ - ١٣٢ عن أبي ذر رضي الله عنه (١٣٢) قال: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارًا. وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ. فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أَنَيْسٌ وَأَمْنَا. فَتَزَلْنَا عَلَى خَالِ لَنَا. فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا. فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أَنَيْسٌ. فَجَاءَ خَالُنَا فَشَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ. فَقُلْتُ: أَمَا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلَا جَمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ. فَقَرَرْنَا صِرْمَتَنَا. فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا. وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ. فَتَأَفَّرَ أَنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا. فَأَتَيْتُ الْكَاهِنَ. فَخَيْرَ أَنَيْسًا. فَأَتَانَا أَنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا. قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي! قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ. قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوجَّهُنِي رَبِّي. أَصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ. حَتَّى تَعْلُونَ الشَّمْسُ. فَقَالَ أَنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي. فَانْطَلَقَ أَنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ. فَرَأَتْ عَلِيٌّ. ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقَيْتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ. يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ. قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ. وَكَانَ أَنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ أَنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ. فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ. وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ. فَمَا يَلْتَبِمُ عَلَيَّ لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي؛ أَنَّهُ شِعْرٌ. وَاللَّهِ! إِنَّهُ لَصَادِقٌ. وَإِنَّهُمْ لَكَادِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ. قَالَ فَأَتَيْتُ مَكَّةَ. فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ. فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِيَّ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِيَّ. فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظْمٍ. حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ. قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نَصَبٌ أَحْمَرٌ. قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَعَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَاءَ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا. وَلَقَدْ لَبِثْتُ، يَا ابْنَ أَخِي! ثَلَاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي. وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءَ إِضْحِيانَ، إِذْ ضَرَبَ عَلَيَّ أَسْمِخَتِهِمْ. فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ وَامْرَأَتَيْنِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً. قَالَ: فَأَتَانَا عَلِيٌّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى. قَالَ: فَمَا تَنَاهَيْتَا عَنْ قَوْلِهِمَا. قَالَ: فَأَتَانَا عَلِيٌّ فَقُلْتُ: هُنَّ مِثْلُ الْخَشَبَةِ. غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْبِي. فَانْطَلَقْنَا تَوْلِيانَ، وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا! قَالَ فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ. وَهُمَا هَابِطَانِ. قَالَ: «مَا

(١٣٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُعْبِرَةِ أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ

لَكُمْ؟» قَالْنَا: الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا. قَالَ: «مَا قَالَ لَكُمْ؟» قَالْنَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْقَمَمَ. وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ. وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثُمَّ صَلَّى. فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ (قَالَ أَبُو ذَرٍّ) فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ. فَذَهَبْتُ آخِذٌ بِيَدِهِ. فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ. وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: «مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ زَمَزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عَظْمٌ بَطْنِي. وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: «إِنَّهَا مَبَارَكَةٌ. إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِمَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: انْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ. فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ. وَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا. فَتَفَتَّحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا. فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ. وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا. ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ. ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتَ نَخْلِ. لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ». فَاتَّيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَن دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاتَّيْنَا أُمَّنًا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَن دِينِكُمْ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى آتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يُؤْمَهُمْ أَيْمَاءُ بَنُ رَحِصَةَ الْغِفَارِيِّ. وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ الْبَاقِي. وَجَاءَتْ أَسْلَمَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِخْوَتُنَا. نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا. وَأَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ».

٥٥٣٣ - - وفي رواية عن حميد بن هلال^(٦) بهذا الإسناد، وزاد بعد قوله - قُلْتُ: فَأَكْفِينِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ - قَالَ: نَعَمْ. وَكُنْ عَلَى حَدَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنِفُوا لَهُ وَتَجَهَّمُوا.

٥٥٣٤ - - وفي رواية عن أبي ذرٍّ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! صَلَّيْتُ سَتَيْنِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ كُنْتَ تَوَجَّهْتَ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ. وَأَقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ

(٦) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ هِلَالٍ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ قَالَ أَتَانَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ حَمِيدِ ابْنِ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ

ابن المغيرة. وقال في الحديث: فسافرا إلى رجل من الكهان. قال: فلم يزل أخي، أنيس يمدحُه حتى غلبه. قال: فأخذنا صرمتة فضمناها إلى صرمتنا. وقال أيضا في حديثه: قال: فجاء النبي ﷺ قطاف بالبيت وصلى ركعتين خلف المقام. قال: فأتيته. فإني لأول الناس حياه بتحية الإسلام. قال: قلت: السلام عليك يا رسول الله! قال: «وعليك السلام. من أنت؟» وفي حديثه أيضا: فقال: «منذ كم أنت هاهنا؟» قال: قلت: منذ خمس عشرة. وفيه: فقال أبو بكر أنحني بضيافته الليلة.

٥٥٣٥ - ١٣٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٣٣) قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي. فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء. فاسمع من قوله ثم اتبني. فانطلق الآخر حتى قدم مكة. وسمع من قوله. ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيتني يأمر بمكارم الأخلاق. وكلاما ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني فيما أردت. فتزود وحمل سنة له، فيها ماء. حتى قدم مكة. فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه. وكره أن يسأل عنه. حتى أدركه - يعني الليل - فاضطجع. فرآه علي فعرف أنه غريب. فلما رآه تبعه. فلم يسأل واحدا منهما صاحبه عن شيء. حتى أصبح. ثم احتمل قريته وزاده إلى المسجد. فظل ذلك اليوم. ولا يرى النبي ﷺ. حتى أمسى. فعاد إلى مضجعه. فمر به علي. فقال: ما أنى للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه. فذهب به معه. ولا يسأل واحدا منهما صاحبه عن شيء. حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك. فأقامه علي معه. ثم قال له: ألا تحذرتني؟ ما الذي أفدتك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني، فعلت. ففعل. فأخبره. فقال: فإنه حق. وهو رسول الله ﷺ. فإذا أصبحت فاتبعني. فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك، فمت كائي أريق الماء. فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي. ففعل. فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه. فسمع من قوله. وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» فقال والذي نفسي بيده! لا صرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد. فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. وثار القوم فصرخوا حتى أضجعوه. فأتى

(١٣٣) وحدثني إبراهيم بن محمد بن عزرعة السامي ومحمد بن حاتم وتقرابا في سياق الحديث واللفظ لابن حاتم قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا المشي بن سعيد عن أبي جمره عن ابن عباس

الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَيَلَكُمْ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ. وَأَنَّ طَرِيقَ تَجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ. فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ. ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا. وَتَارَوْا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ. فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ.

المعنى العام

أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور، الصادق للهجة، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقيل: اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، وأمه اسمها رملة بنت الوقعة، غفارية أيضا، والحديث يحكى قصة إسلامه، وأنه من السابقين الأوائل، يقال: إن إسلامه كان بعد أربعة، وأنصرف إلى بلاده، فأقام بها، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، ومضت بدر وأحد، ولم يتهيأ له الهجرة إلا بعد ذلك، وكان طويلا نحيفا، أسمر اللون، وكان صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر، ويفتقده إذا غاب، وقد روى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد نشب فيها بشيء، غيرى». فكان زاهدا، واشتهر عنه مذهب يقول: المال مال الله، وأن كل فضل زائد عن الحاجة من مال هو مال المسلمين، وهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] كان يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم، وحملوا الوعيد على مانع الزكاة.

سكن الشام بعد النبي ﷺ، وكان يعظ الناس في المسجد، ويقول: هلم لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم، إلا ما ينفقه في سبيل الله. فضاق به معاوية ذرعا، وكان واليا على الشام من قبل عثمان، فكتب إلى عثمان: إن كان لك بالشام حاجة فابعت إلى أبي ذر، فكتب إليه عثمان: أن أقدم علي، فقدم المدينة، وأخذ يقول في مسجد المدينة ما كان يقوله في مسجد الشام، وتذمر المسلمون إلى عثمان من قول أبي ذر، وأخذوا ينفرون إذا رأوا أبا ذر، بل يفرون من وجهه إذا رأوه في الطريق، أو يتجمعون حوله، يسألونه عن سبب إخراجهم من الشام، فخشى عثمان على أهل المدينة ما خشيه معاوية على أهل الشام، فقال له: تنح قريبا عن المدينة، أو دع ما تقول.

فقال: والله لا أدع ما كنت أقوله، فاختار الرينة - بفتح الراء والباء، قرية بين مكة والمدينة - فنزل بها حتى مات سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وقد روى أن رسول الله ﷺ قال: «يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده». رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(خرجنا من قومنا غفار) سيأتى قريبا من فضائل هذه القبيلة.

(وكانوا يحلون الشهر الحرام) جملة معترضة، ولعلها لبيان الدافع على خروجهم من قومهم، إذ كان أبو ذر وأخوه من المحافظين على الأمور الدينية.

(فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا) تفصيل للمجمل فى قوله سابقا « خرجنا ». و « أنيس » بضم الهمزة مصغرا، كان أكبر من أبى ذر، وأمهما رملة بنت الوقيعة، غفارية أيضاً، والظاهر أن هذا الخروج كان هجرة، ولم يكن زيارة، ويحتمل أن خالهما قد تزوج من قوم آخرين، فأقام عندهم، واعتبروا قومه، لأننا قلنا: إن أمه غفارية، فخاله كذلك.

(فأكرمنا خالنا، وأحسن إلينا، فحسدنا قومه) أى وحققوا علينا حياتنا معه حياة هنيئة، ونحن من قوم لا يحبونهم، فأوقعوا فتنة بيننا وبينه.

(فقالوا) أى قال الواشون منهم لخالى، وفى رواية « فأتاه رجل فقال له ».

(إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس) كانوا قد أقاموا لهم منزلا بجوار منزل خالهم، وكانت لهم شياهم، وإبلهم التى خرجوا بها، فكانت الوشاية أن أنيسا يستغل خروج خاله من منزله، ليدخل على زوجة خاله.

(فجاءنا خالنا، فنثا علينا الذى قيل له) « نثا » نون ثم ثاء مخففة، أى أفضى وأذاع، يقال: نثا الحديث، ينثوه، نثوا، بثه.

(فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته) أى فقلت لخالى: كان معروفك دينا فى رقابنا صافيا جليلا، لكن بهذا الاتهام كدرته وعكرته.

(ولا جماع لك فيما بعد) أى ولا نجتمع معك فى مكان بعد ذلك، وفى رواية « فبلغ أخى، فقال: والله لا أساكنك، فارتحلنا ».

(فقربنا صرمتنا، فاحتملنا عليها) الصرمة بكسر الصاد القطعة من الإبل، وتطلق أيضا على القطعة من الغنم، والمعنى فجمعنا إبلنا من مرعاه، فارتحلنا عليها، يقال: احتمل القوم إذا ارتحلوا.

(وتغطى خالنا ثوبه، فجعل يبكى) على هذه النتيجة المحزنة، يقال: تغطى بثوبه، فى الكلام حذف وإيصال.

(فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة) أى حتى وصلنا حى مكة وأرضها وواديها وحيارتها فضربنا منزلنا بعيدا عن مبانيها.

(فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن، فخير أنيسا، فأتانا أنيس بصرمتنا، ومثلها معها) أصل المنافرة: المفارقة والمحكمة، فيفخر كل واحد

من الرجلين على الآخر، ثم يتحاكمان إلى رجل، ليحكم أيهما خير، وكانت هذه المفارقة بالشعر، وكان أنيس شاعرا، كما صرح بذلك فى الرواية، فغلب الآخر والمعنى فراهن أنيس رجلا، أيهما خير شعرا، وكان الرهن صرمة نا، وصرمة ذاك، فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين، فتحاكما إلى كاهن، فحكم بأن أنيسا أفضل، وخير أنيسا، أى جعله الخيار والأفضل، فرجع أنيس من رحلته ومن مرعاه بصرمتهم وبمثلها، وفى الملحق الثانى للرواية الأولى « فتنافرا إلى رجل من الكهان، فلم يزل أخى أنيس يمدحه حتى غلبه » أى يمدح الكاهن بالشعر حتى غلب الآخر، قال أبو نذر « فأخذنا صرمته، فضمامناها إلى صرمتنا ».

(قال: وقد صليت يابن أخى قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين). قلت: لمن؟ « أى لمن كنت تصلى؟ » قال: « لله. قلت: فأين توجه؟ » أى فى أى جهة تتوجه فى صلاتك قال: « أتوجه حيث يوجهنى ربي » أى كيفما تيسر، وفى ملحق الرواية « صليت سنتين » فيحتمل أن المدة سنتان وأشهر فجير الكسرتارة، وألغى الكسرتارة أخرى.

وهذه المقولة كانت بين أبى نرويين عبد الله بن الصامت، راوى الحديث عن أبى نر، وليس ابن أخيه على الحقيقة، فقلوه « يا بن أخى » جرى على عادة العرب فى التراحم.

(أصلى عشاء، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاء، حتى تعلقنى الشمس) الخفاء - بكسر الخاء - الكساء، وجمعه أخفية، ككساء وأكسية. قال القاضى: ورواه بعضهم « جفاء » بجيم مضمومة، وهو غشاء السيل، قال: والصواب المعروف الأول، والمعنى أنه كان يصلى من أول الليل حتى يقرب آخره، فينام من السهر والإعياء كثوب لا حراك به ولا إحساس، حتى ترتفع الشمس، أما كيف كان يصلى؟ فالظاهر أنها كانت مطلق عبادة ودعاء وثناء على الله.

(فقال أنيس: إن لى حاجة بمكة، فاكفنى) أى إن لى رغبة فى النزول إلى البلدة، فقم مقامى فى رعاية الشئون، وفى ملحق الرواية « فاكفنى حتى أذهب فأنظر » أى فأنظر أمر هذا الرجل الذى تكلمنا عنه، فى الرواية الثانية « فلما بلغ أبا نر مبعث النبى ﷺ بمكة، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى - أى وادى مكة، أى دورها - فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتبه الخبر من السماء، فاسمع من قوله، ثم ائتنى » وفى ملحق الرواية الأولى « وكن على حذر من أهل مكة، فإنهم قد شنفوا له، وتجهموا » « شنفوا » بفتح الشين وكسر النون، أى أبغضوه، والتجهم المقابلة بغلظة وكراهية.

(فانطلق أنيس، حتى أتى مكة، فزات على، ثم جاء) أى أبطأ على، ثم جاء، فى الرواية الثانية « فانطلق الآخر، حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبى نر » قال النووى: هكذا هو فى أكثر النسخ، وفى بعضها « الأخ » بدل « الآخر » وهو هو، فكلاهما صحيح.

(قال: لقيت رجلا بمكة على دينك) أى على شبه عقيدتك وعبادتك.

(يزعم أن الله أرسله) الظاهر أن أنيس لقيه، وسمع منه، فى الرواية الثانية « رأيتنه يأمر

بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر» و «كلاماً» منصوب بفعل محذوف أى ويقول كلاماً، كقولهم: علفتها تبناً وماء بارداً، والتقدير، وسقيتها ماء بارداً.

(لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم) أى فما يشبه قوله قولهم، فليس بكاهن.

(ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر)
« أقرء الشعر» بسكون القاف، طرقة وأنواعه وقوافيه وبحوره، جمع قرء بضم القاف وسكون الراء، فهو مشترك لفظى بين الحيز والطهر والقافية. والمعنى: لقد قلبت قوله على أصناف الشعر، فما هو بنوع منه، ولا يقبل على لسانى ولا على لسان غيرى أنه شعر.

(قلت: فاكفنى، حتى أذهب فأنظر) أى فقم هنا بالشتون، حتى أذهب إلى مكة وأقبله وأنظر أمره وأتدبره، وفى الرواية الثانية « رأيتته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتنى فيما أردت». قال النووى: كذا فى جميع نسخ مسلم « فيما » بالفاء، وفى رواية البخارى « مما » بالميم، وهو أجود، أى ما بلغتنى غرضى، وما أزلت عنى هم كشف هذا الأمر.

(قال: فأتيت مكة، فتضعفت رجلاً منهم) أى نظرت إلى أضعف رجل لاقيته، فسألته.

واختار الضعيف لأنه مأمون الغائلة غالباً، وفى رواية « فتضيفت » بالياء، وأنكرها القاضى وغيره، قالوا: لا وجه له هنا.

(فقلت: أين هذا الذى تدعوته الصابئ؟) يقال: صبأ من شىء إلى شىء إذا انتقل، وصبأ الرجل ترك دينه، ودان بآخر، والظاهر أن الرجل أحس أن أبا ذر يميل إلى محمد ﷺ، ويرغب فى لقائه حباً فيه، لقوله « تدعوته » لأنهم كانوا يمنعون الغريب أن يلتقى به.

(فأشار إلى، فقال: الصابئ) « الصابئ » منصوب بفعل محذوف، والمعنى، فأغرى بى أصحابه السفهاء والصبية، وأشار إلى، يقول لهم: اضربوا الصابئ.

(فمال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم، حتى خررت مغشياً على) المدر الطين المتماسك وما يعرف بالطوب اللبن، أى تجمع حولى أهل المنطقة يقذفونى بالحجارة والعظم، حتى سقطت على الأرض مغشياً على.

(قال: فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر) أى فانصرفوا عنى، فلما أفقت قمت ووقفت لا حراك بى، تغطينى الدماء التى سالت منى، كأنى تمثال أحمر من حجر، والنصب بضم الصاد وإسكانها الصنم والحجر الذى كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده، قال تعالى ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣].

(فسمنت، حتى تكسرت عكن بطنى) « العكن » بضم العين وفتح الكاف، جمع عكنة بسكون الكاف، وهى طيات البطن من السمن.

(وما وجدت على كبدى سخفة جوع) بفتح السين وضمها مع إسكان الخاء رقة الجوع وضعفه وهزأه. يقال: سَخَف الشيء بضم الخاء، يسَخِف، سَخِفا بضم السين وسكون الخاء، وسخفة وسخافة، رِق وضعف، وسَخَف العقل ضعف، ورأى سَخِيف، أى ضعيف، والمعنى ثلاثون يوماً لا أكل فيها ولا أشرب إلا ماء زمزم، لم أحس فيها بضعف ولا بجوع.

(قال: فبينما أهل مكة فى ليلة قمراء إضحيان، إذ ضرب على أسمختهم، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان إسافا ونائلة) الليلة القمراء التى ينيرها القمر، « والإضحيان » بكسر الهمزة والحاء وسكون الضاد هى المضيئة، يقال: ليلة إضحيان، وإضحيانة وضحياء، ويوم ضحيان، والإضحيان من الأيام الصحو الذى ليس فيه غيم. و « الأسمخة » جمع سماخ، وهو الخرق الذى فى الأذن المفضى إلى الرأس، ويقال له: سماخ بالصاد، وهو الأفصح والأشهر، والضرب على الأذان كناية عن النوم، قال تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١] والمعنى: فى ليلة مقمرة من الليالى الثلاثين نام أهل مكة، فلم يطف بالبيت منهم أحد، ولكن كان من أهل مكة امرأتان تدعوان الصنمين المسميين إسافا ونائلة، وتتضرعان إليهما، وكانا صنمين لقريش، إساف على هيئة رجل، ونائلة على هيئة امرأة، وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة. قال النووى: « وامرأتين » هكذا هو فى معظم النسخ بالياء، وفى بعضها « وامرأتان » بالألف، والأول منصوب بفعل محذوف، أى ورأيت امرأتين.

(قال فأتتا علىّ فى طوافهما) كان بجوار الكعبة، فجاءتا من دعائهما إسافاً ونائلة لتطوفا.

(فقلت: أنكح أحدهما الأخرى) أى قلت لهما، استهزاء وسخرية بالصنمين، وبدعائهما لهما: زوجا إسافا لنائلة، أو ركبا إسافا على نائلة، يجامعها.

(قال: فما تناهتا عن قولهما، فأتتا على) أى ما انتهتا عن عملهما وعقيدتهما، ولم تكثرتا بقولى، وأتتا بجوارى، مستخفتين بقولى.

(فقلت: هن مثل الخشبة - غير أنى لا أكنى) الهن والهنة بتخفيف نونهما، كناية عن كل شىء، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج، والذكر، و« أكنى » أى لم أتكلم بلفظ الكناية ولفظ الهن، بل صرحت لهما باللفظ المستقبح، فقال مثلاً: ذكر مثل الخشبة، وكان لإساف الصنم ذكر ظاهر بارز، وأراد بذلك سب إساف ونائلة والسخرية منهما، وإغاظه المرأتين.

(فانطلقتا تولولان) الولولة الدعاء بالويل.

(وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارتنا) الأنفار جمع نفر أو نفرير، وهو الذى ينفر عند الاستغاثة، قال النووى: ورواه بعضهم « أنصارنا » وهو بمعناه، و« لو » شرطية جوابها محذوف، أى لا نتصر لنا.

(فاستقبلهما رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وهما هابطان) الحرم فى المنخفض، والمباني على سفح الجبل المحيط بالحرم، فالذاهب إلى الحرم هابط، أى وأبو بكر مع رسول الله ﷺ داخلان الحرم، والمرأتان خارجتان صاعدتان منه.

(قال: مالكما) تولولان؟ وتقولان: لو كان معنا رجل لانتصرنا؟

(قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها) أى الذى بدل دينه، وسفه آلهتنا واقف بين الكعبة وأستارها، وهو الذى آذانا.

(قال: ما قال لكما؟ قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم) أى كلمة عظيمة، لا شيء أقبح منها، كالشيء الذى يملأ الشيء، ولا يسع غيره، كما نقول: تملأ سمع الدنيا، فالكلام كناية عن عظمتها وفضاعتها، وقيل: معناه كلمة لا يمكن نكرها وحكايتها، كأنها تسد فم حاكياها وتملؤه لاستعظامها، أى كلمة تجعل الفم مملوءا بغيرها لا يستطيع نكرها.

(وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر، وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى) وفى ملحق الرواية « فطاف بالبيت، وصلى ركعتين خلف المقام ».

(قال أبو ذر: فكنت أول من حياه تحية الإسلام. فقلت: السلام عليك يا رسول الله) إذ كان أبو ذر خامس أربعة آمنوا.

(قال: وعليك ورحمة الله) قال النووى: هكذا هو فى جميع النسخ «وعليك» من غير نكر «السلام» وفيه دلالة لأحد الوجهين لأصحابنا، أنه إذا قال فى رد السلام: وعليك، يجزئه لأن العطف يقتضى كونه جوابا، والمشهور من أحواله صلى الله عليه وسلم وأحوال السلف رد السلام بكماله، فيقول: وعليك السلام ورحمة الله. اهـ. والحق أن الحديث لا يصلح دليلا، فقد كان هذا أول الإسلام، والعبرة بما كان من تشريع فى أخريات الرسالة، على أن لفظ الحديث فى ملحق الرواية « قال: وعليك السلام ».

(ثم قال: من أنت؟ قال: قلت: من غفار قال: فأهوى بيده، فوضع أصابعه على جبهته) أى كالمتعجب، أو كالمندهش، أو كالمفكر. كيف لهذا الرجل بتحية الإسلام؟ وكيف ومتى أسلم؟ وهو من غفار بينما أهله فى مكة لم يسلموا؟ وكيف وصل إليه وحضار المشركين له شديد؟

(فقلت فى نفسى: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده، فقدعنى صاحبه، وكان أعلم به منى) وإنما ظن أنه كره انتماءه إلى غفار، لأنهم قد اشتهر عنهم أنهم يسرقون الحاج، و« قدعنى صاحبه » أى كفى ومنعنى أن آخذ بيده، يقال: قدعه وأقدعه إذا كفه ومنعه، وقوله « وكان أعلم به منى » إشارة إلى أنه استجاب للمنع.

(ثم رفع رأسه) أى ورفع أصابعه عن جبهته.

(ثم قال: متى كنت ههنا؟ قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم) فى ملحق الرواية « مذكم أنت ههنا؟ قلت: منذ خمس عشرة) والجمع بين الروایتين صعب.

(إنها طعام طعم) قال النووى: هو بضم الطاء وإسكان العين، أى تشيع شاريها، كما يشبعه الطعام.

(فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة) أى فأذن له، وفى ملحق الرواية « وقال أبو بكر: ألحقنى بضيافته الليلة » وفى بعض النسخ « أتحنى بضيافته الليلة ».

(فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابا) لعله باب خزن الزبيب والتمر.

(فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف) أى ويعطينا، ونأكل.

(وكان ذلك أول طعام أكلته بها) أى بمكة.

(ثم عبرت ما عبرت) أى ثم بقيت ما بقيت عند أبى بكر، ألتقى برسول الله ﷺ سرا.

(ثم أتيت رسول الله ﷺ) لأستأذنه فى العودة، وأتزود بنصحه.

(فقال: إنه قد وجهت لى أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب) « وجهت » بضم الواو وتشديد الجيم المكسورة، أى أريت جهتها، و « أراها » بضم الهمزة، أى أظنها.

(فهل أنت مبلغ عنى قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم) أسلوب عرض وتحضيض وطلب برفق، أى بلغ عنى قومك.

(فأتيت أنيسا) فى المنزل الذى نزلناه بقرب مكة.

(فقال: ما صنعت) مع هذا الرجل؟

(قلت: صنعت أنى قد أسلمت وصدقت. قال: ما بى رغبة عن دينكما، فإنى قد أسلمت) يقال: رغب فيه إذا أراد، ورغب عنه إذا لم يرد، فنفى الرغبة عنه تثبت الرغبة فيه، أى لا أكرهه، بل أدخل فيه.

(فاحتملنا) أى فرحلنا.

(حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم) بدعوتنا لهم، وشرحنا للإسلام.

(وكان يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري، وكان سيدهم) « إيماء » بكسر الهمزة فى أوله على المشهور، وحكى القاضى فتحها أيضا، وأشار إلى ترجيحها، قال النووى: ذكر الزبير بن بكار أن إيماء بن رخصة حضر بدرًا مع المشركين، فيكون إسلامه بعد ذلك، وذكر ابن سعد أنه أسلم قريبا من الحديبية، وهذا يعارض رواية مسلم. وفى رواية « خفاف بن إيماء أو أبوه إيماء بن رخصة »، فيمكن أن يكون إسلام خفاف تقدم على إسلام أبيه.

(وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا) فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم - قديلة قريبة من قبيلة غفار - فقالوا: يارسول الله، إختونا - الغفاريون - أسلموا نسلم على الذى أسلموا عليه. فأسلموا فكان إسلام أبى نذر سببا فى إسلام قومه جميعا، وسببا فى إسلام قبيلة أخرى.

(غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله) سيأتى الكلام عن ذلك فى باب فضائل غفار وأسلم.

(فتزود، وحمل شنة له، فيها ماء) الشنة بفتح الشين القريبة البالية، ومعنى « تزود » حمل زادا.

(فالتمس النبى ﷺ، ولا يعرفه) أى أراد مقابله، لكنه لا يعرفه إن قابله.

(وكره أن يسأل عنه) الناس، مخافة أن يؤذوه، إن كان المسئول من محاربى محمد ﷺ.

(حتى أدركه) « يعنى الليل »، يقصد أن الضمير يعود على غير مذكور، معلوم من المقام، كقوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] وفى رواية للبخارى « حتى أدركه بعض الليل ».

(فاضطجع) فى المسجد الحرام.

(فرآه على، فعرف أنه قريب) عرف ذلك من هيئته ولباسه، ومعرفة على بأهل المنطقة.

وفى رواية قال: « كأن الرجل غريب، قلت: نعم. قال: فانطلق إلى المنزل » أى فانطلق معى إلى منزلى، قال الحافظ ابن حجر: هذا يدل على أن قصة أبى نذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين، بحيث يتهيا لعل أن يستقل بمخاطبة الغريب، ويضيفه، فإن الأصح فى سن على حين المبعث كان عشر سنين، وقيل: أقل من ذلك، وهذا الخبر يقوى القول الصحيح فى سنه. اهـ.

قلت: لا دلالة فيه على ما استدل به، فيمكن للصبي المميز أن يصحب ضيفا، وربما كان أبوه أبو طالب فى سفر.

(فلما رآه تبعه) أى فلما رأى أبو نذر عليا على هذه الحالة من الاستئلاف والرفق ودعوته إلى منزله سار وراءه، حتى وصل إلى منزله، فاستضافه، وأكرمه، وأعد له مبيتا، فنام.

(فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح) أى عن شيء مما يعنيه السؤال عنه.

(ثم احتمل قريته، وزاده إلى المسجد الحرام) يأكل من زاده، ويشرب من قريته، وفى بعض النسخ « قريته » بالتصغير، وهى الشنة المذكورة من قبل.

(فضل ذلك اليوم، ولا يرى النبي ﷺ) أى ظل ذلك اليوم يرقب مجيء النبي ﷺ ولا يجيء.

(حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه) أى إلى المكان الذى اضطجع فيه بالأمس، فاضطجع.

(فمربه على، فقال: ما آن للرجل أن يعلم منزله؟) الكلام على الاستفهام الإنكارى، بمعنى النفى، دخل على نفى فصار إثباتاً، والمعنى آن للرجل أن يعلم منزله الذى نزل به بالأمس، وأن يأتى إليه بدون دعوة، وإضافة المنزل إليه مجازية، ويكون ذلك من على ﷺ دعوة مهذبة إلى بيته ثانياً. وقيل: المعنى أما آن للرجل أن يصرح بمقصده؟ ويؤيده ما جاء فى بعض الروايات « قلت: لا »، وفى رواية البخارى « أما نال للرجل أن يعلم منزله؟ » أى أما حان، يقال: نال له، بمعنى آن له، ويروى « أما أنى » بالقصر، وهى بنفس المعنى.

(فأقامه، فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء) أى حتى أصبح، ثم احتمل قريته وزاده إلى المسجد.

(فلما كان يوم الثالث) من إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم: مسجد الحرام، ومسجد الجامع، والأصل اليوم الثالث، و« كان » تامة، و« يوم » فاعل.

(فعل مثل ذلك) أى مثل ما فعل فى اليوم الثانى، ظل لا يرى النبي ﷺ، حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فى المسجد، فاضطجع.

(فأقامه على معه) فى رواية البخارى « حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد على على مثل ذلك، فأقام معه ».

(ثم قال له: ألا تحدثنى ما الذى أقدمك هذا البلد؟) أسلوب عرض وطلب برفق أى حدثنى، وهكذا يستبين على ويسأل ضيفه بعد ثلاث، كما هى عادة العرب.

(قال: إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت) العهد الوعد، والميثاق اليمين، أى إن وعدتني وعداً مؤكداً باليمين أن تخبرني عما أريد حدثتك بما فى نفسى .

(فأخبره، فقال: فإنه حق، وهورسول الله ﷺ) أى فأخبر أبو ذر علياً بمقصده، فقال على: فإن ما سمعت عنه حق، وهورسول الله ﷺ، وفى رواية البخارى « فأخبره، قال: فإنه حق، وهورسول الله ﷺ »، فيحتمل أن المعنى: فأعطاه على العهد والميثاق، فحكى أبو ذر ما فى نفسه، فأخبر على أبا ذر بالحقيقة، قال: كذا وكذا، ويؤيد الأول قول أبى ذر فى رواية « فأخبرته ».

(فإذا أصبحت فاتبعنى) وكأنك لا تعرفنى، ولا علاقة بينى وبينك.

(فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء) كأنى أتبول على جانب الطريق، وحينئذ عليك بالفرار، والبعد عن الخطر، وفى رواية « كأنى أصلح نعلى » ويحتمل أنه قالهما جميعاً.

(فإن مضيت فاتبعنى، حتى تدخل مدخلى) أى فإذا مضيت ولا خطر، فادخل ورائى، حيث أدخل.

(ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه) « ففعل » أى فمضى على، فانطلق أبو ذر يتبعه، حتى دخل على النبى ﷺ، فدخل أبو ذر فى إثره كأنه معه.

(فسمع من قوله، وأسلم مكانه) أى وأسلم فى الحال، وكأنه كان يعرف علامات النبى ﷺ، فلما رآه لم يتردد فى الإسلام.

(فقال له النبى ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم، حتى يأتىك أمرى) وفى رواية « اكنتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك، فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، » وفى روايتنا الأولى « إنه قد وجهت لى أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عنى قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم؟ ».

(فقال: والذي نفسى بيده، لأصرخن بها بين ظهرانيهم) « بها » أى بشهادة - أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، و « ظهرانيهم » بفتح النون تثنيه ظهر، يقال: أقام بين ظهرانيهم وظهرانيهم وأظهرهم، أى بينهم، والمراد من الصرخ هنا رفع الصوت. والمعنى والله لأرفعن صوتى بالشهادة بينهم، ولا أخفى إسلامى، ولا أخافهم.

(فخرج حتى أتى المسجد) الحرام، والمشركون مجتمعون فيه.

(فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وثار القوم) جماعة المشركين الموجودين فى الحرم.

(فضربوه حتى أضجعوه) أى حتى أسقطوه على الأرض، من شدة الضرب والإعياء، وظلوا يضربونه وهو منبطح على الأرض.

(فأتى العباس، فأكب عليه) أى انحنى عليه، يفرق بينه وبينهم، ليحول بينهم وبين ضربه، وكان العباس يومئذ مشركاً، وإنما حماه خوفاً من قومه.

(فقال: ويلكم. أستم تعلمون أنه من غفار؟) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى، دخل على نفى، ونفى النفى إثبات، أى اعلموا أنه من غفار.

(وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم) فاحسبوا حسابا لعصيبة قومه له، وتعرضهم في الطريق لتجارتكم.

(فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها) عاد أبو ذر في اليوم الثاني، ففعل مثل ما فعل بالأمس، وثاروا إليه مثل الأمس، وأنقذه منهم العباس كالأمس.

فقه الحديث

نجد أنفسنا أمام روايتين عن إسلام أبي ذر، الأولى وملحقها عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، والثانية عن ابن عباس، واقتصر عليها البخاري، وبينهما تعارض وتعارض أو تغاير كثير، قال عنه القرطبي: في التوفيق بين الروايتين تكلف شديد. وقال الحافظ ابن حجر: حديث عبد الله بن الصامت أكثره مغاير لما في حديث ابن عباس، ويمكن التوفيق بينهما. اهـ.

والعلماء إذا صح حديثان ظاهرهما التعارض حاولوا - قدر إمكانهم - التوفيق والجمع بينهما، قبل أن يرجحوا أحدهما على الآخر، لأن في الجمع بينهما عملا بهما معا بوجه من الوجوه، أما الترجيح فيعمل بأحدهما، ويهمل الآخر، والعمل بهما أولى من إهمال أحدهما. وسنحاول بيان أوجه المغايرة، ونحاول الجمع والتوفيق، والله المستعان.

أولاً: في الرواية الأولى أن لقاء أبي ذر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم، كان بعد قصة المرأتين وبعد أن استلم النبي صلى الله عليه وسلم الحجر، وطاف البيت هو وصاحبه، ثم صلى ركعتين خلف المقام.

وهذا لا يلتئم مع ما جاء في الرواية الثانية، من أن لقاء أبي ذر بالنبي صلى الله عليه وسلم كان عن طريق دخوله عليه مع علي، بعد ضيافته ثلاثة أيام.

ثانياً: أن الذي استضافه في الرواية الأولى أبو بكر رضي الله عنه، بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم، بعد لقائه، وكان الزبيب الذي قدمه له أول طعام أكله بمكة، وهذا لا يلتئم مع ما جاء في الرواية الثانية، من أن الذي استضافه على رضى الله عنه، وكانت ضيافته له قبل لقائه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: في الرواية الأولى أن أبا ذر حينما وصل مكة استضعف رجلاً، فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأغرى به السفهاء، فضربوه، حتى علاه الدم، ثم قضى أياماً لا يأكل ولا يشرب إلا ماء زمزم، وهذا لا يلتئم مع ما جاء في الرواية الثانية من أن أبا ذر حين قدم مكة أتى المسجد، وكره أن يسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أدركه الليل، فاضطجع، فرآه علي، فاستضافه.

رابعاً: في الرواية الأولى أن أبا ذر لم يكن له طعام في الأيام الأولى من وصوله إلى مكة سوى زمزم، وهذا لا يلتئم مع ما جاء في الرواية الثانية من أن أبا ذر عند سفره إلى مكة حمل معه زاده وقربة ماء، وكان يحمل معه قريته وزاده كلما غدا إلى المسجد في الصباح، بعد مبيته عند علي.

خامساً: ذكرت قصة المرأتين في الرواية الأولى دون الثانية، وذكرت قصة العباس في الرواية الثانية دون الأولى.

سادسا: هناك مغايرة بين الرواية الأولى، وفيها « قلت: قد كنت ههنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويوم»، وبين ما جاء في ملحقتها الثاني « قلت: منذ خمس عشرة».

هذا: وإذا سهل الجمع في بعض هذه المغايرات، بشيء من التأويل، فإنه لا يسهل في بعض آخر، وأحسن طريق نجمع به بين الحديثين أن نحملهما على سفرين ولقاءين، فقد قلنا: إن منزل أبي ذر وأخيه وأمه كان قريبا من مكة، في واد من وديانها، فمن المحتمل أن يصل مكة، فيسأل السفية، فيضرب، فيلتقى بالمرأتين، ثم بالرسول ﷺ في الحرم، ويستضيفه أبو بكر، بعد أن أمضى أياما على ماء زمزم، حيث لم يأخذ في رحلته هذه زاداً ولا ماء.

وبعد فترة قد تكون شهراً أو أقل من شهر، يذهب إلى مكة، ويحمل معه زاده وماءه، لئلا يقع فيما وقع فيه في المرة الأولى، ويتحرز من سؤال أحد، حيث لم يتحرز في المرة الأولى، ويدخل المسجد، مترقبا وصول النبي ﷺ، ويكون معنى « ولا يعرفه » أى ولا يعرف وصوله متى يكون؟ فيمر به اليوم، حتى يمسي فيراه على فيستضيفه، فيكاشفه، فيدخله على النبي ﷺ، فيخرج من عنده، فيشهد الشهادتين في الحرم فيضرب، فيحميه العباس، والإشكال الخفيف في هذا في سؤال النبي ﷺ له: من أنت؟ في المرة الثانية، والمفروض أنه عرفه في المرة الأولى، ويمكن أن يجاب عنه بأن الرسول ﷺ كان قد نسي الاسم، فسأله عن اسمه مرة أخرى، وكثيرا ما يحصل مثل هذا مع تعدد اللقاء، ويؤيده ما جاء في رواية أن الرسول ﷺ قال له: « أنت أبو نملة؟ قال: أبو ذر». والنملة والذرة يلتقيان وتفسر الذرة بالنملة، مما يرشح أن الرسول ﷺ قد سبق له ذكر اسمه.

أما المغايرة بين الرواية الأولى وملحقتها، فيحتمل أن المدة في الحقيقة خمسة عشر يوما بلياليها ومجموعها ثلاثون، بين يوم وليلة، كما نقول: عندي ثلاثون بين ذكروأنتي، فهذه الثلاثون فيها خمس عشرة ليلة وخمسة عشر يوما. والله أعلم.

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- من قوله في الرواية الأولى: « لا أراها إلا يثرب ». جواز تسمية المدينة بيثرب، من غير كراهة، وكره جماعة ذلك، وقالوا: كان ذلك قبل تسميتها « طابة وطيبة » وجاء النهي عن ذلك في حديث، أو أنه صلى الله عليه وسلم سماها باسمها المعروف عند الناس حينئذ.

٢- من قوله في الرواية الأولى: « وعليك ورحمة الله ». قال النووي: فيه دلالة لأحد الوجهين لأصحابنا، أنه إذا قال في رد السلام: وعليك، من غير ذكر السلام بجزئه، والمشهور من أحواله صلى الله عليه وسلم، وأحوال السلف رد السلام بكماله، فيقول: وعليك السلام ورحمة الله.

٣- في صلاة أبي ذر ﷺ قبل المبعث فضيلة له، وأن الله هداه إلى الحق.

٤- وفي سبقه إلى الإسلام فضيلة أيضا.

٥- وفي تحمله الأذى في سبيل الجهر بالدعوة قوة إيمان، وقوة عقيدة، ويؤخذ منه جواز قول الحق، لمن يخشى منه الأذى لمن قاله، وإن كان السكوت جائزا.

قال الحافظ ابن حجر: والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب الجزاء.

٦- من أمره صلى الله عليه وسلم أبا ذر بالكتمان، وقول أبي ذر: والذي نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، وسكوت النبي ﷺ، دليل على أن المأمور إذا أحس أن الأمر شفقة عليه، وأن به قوة جازله أن لا يعمل بالأمر.

٧- فيه صورة حية لبدء الدعوة الإسلامية، وما لاقى المسلمون الأوائل، وحكمة الرسول ﷺ فى نشرها.

والله أعلم

(٦٥٧) باب من فضائل جرير بن عبد الله

٥٥٣٦ - ١٣٤ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه (١٣٤) قال: ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت. ولا رأيتني إلا ضحك.

٥٥٣٧ - ١٣٥ عن جرير رضي الله عنه (١٣٥) قال: ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت. ولا رأيتني إلا تبسم في وجهي. زاد ابن نمير في حديثه عن ابن إدريس: ولقد شكوت إليه أنني لا أثبت على الخيل. فضرب بيده في صدري وقال: «اللهم ثبته. واجعله هاديًا مهديًا».

٥٥٣٨ - ١٣٦ عن جرير رضي الله عنه (١٣٦) قال: كان في الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة. وكان يقال له الكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل أنت مريحي من ذي الخلصة والكعبة اليمانية والشامية؟» فنفرت إليه في مائة وخمسين من أحمس. فكسرتناه وقتلنا من وجدنا عنده. فأتته فأخبرته. قال: فدعا لنا ولأحمس.

٥٥٣٩ - ١٣٧ عن جرير بن عبد الله الجلي رضي الله عنه (١٣٧) قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جرير! ألا تريخي من ذي الخلصة» بيت لخنعم كان يدعى كعبة اليمانية. قال: فنفرت في خمسين ومائة فارس. وكنت لا أثبت على الخيل. فدكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فضرب يده في صدري فقال: «اللهم! ثبته. واجعله هاديًا مهديًا» قال: فانطلق فحرقها بالنار ثم بعث جرير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يبشره، يكنى أبا أرطاة، من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ما جئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب. فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها، خمس مرات.

٥٥٤٠ - وفي رواية عن إسماعيل، بهذا الإسناد. وقال في حديث مروان: فجاء بشير جرير، أبو أرطاة، حصين ابن ربيعة، يبشر النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٣٤) حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا خالد بن عبد الله عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ح وحدثني عبد الحميد بن بيان حدثنا خالد بن بيان قال سمعت قيس بن أبي حازم يقول قال جرير بن عبد الله

(١٣٥) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع وأبو أسامة عن إسماعيل ح وحدثنا ابن نمير حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير

(١٣٦) حدثني عبد الحميد بن بيان أخبرنا خالد بن بيان عن قيس عن جرير

(١٣٧) حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع ح وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي ح وحدثنا محمد بن عباد حدثنا سفيان ح وحدثنا ابن أبي عمير حدثنا مروان يعني الفراري ح وحدثني محمد بن رافع حدثنا أبو أسامة كلهم عن إسماعيل

المعنى العام

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، نسبة إلى بجيلة أم قبيلته، وكان سيد قومه، أسلم في عام الوفود، وقيل: أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، كان طويلاً طويلاً مفرطاً، وكان جميل الخلقة، حتى قال عنه عمر: جرير يوسف هذه الأمة كان رسول الله ﷺ يهش لقدمه، ويبتسم في وجهه، ويكرمه، وكان يقول فيه: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ». روى الإمام أحمد وابن حبان عن جرير قال: « لما دنوت من المدينة أنخت، ثم لبست حلقى، فدخلت، فرماني الناس بالحدق، فقلت: هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم. ذكرك بأحسن ذكر، فقال: يدخل عليكم رجل من خير ذى يمن، على وجهه مسحة ملك ». وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيله.. وكان له أثر عظيم في فتح القادسية، ثم سكن جرير الكوفة، وأرسله على - رضى الله عنهما - إلى معاوية رسولا، فحبسه معاوية مدة طويلة، ثم رده بورقة مختومة، غير مكتوب فيها شيء، وبعث معه من يخبر عليا بمناذرة معاوية، ثم اعتزل الفريقين، وسكن قرقيسيا، حتى مات سنة إحدى وخمسين وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى ذى الخلصة، فهدمها بجيشه، كما جاء في الحديث.

كان حكيماً في إشارته، مهذباً في قوله، روى أن عمر رضي الله عنه وجد في مجلسه رائحة من بعض جلسائه، فقال: عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبد الله: علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم. قال: عليكم كلكم عزمت. ثم قال: يا جرير: ما زلت سيداً في الجاهلية والإسلام. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(ما حبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت) أى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته، فى وقت من الأوقات، إذا استأذنت عليه، وقيل: إن معنى « ما حبنى » أى ما منعنى طلبى، وفيه بعد. وقوله « منذ أسلمت » أى إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم، وكان إسلام جرير سنة تسع من الهجرة على الصحيح.

(ولا رآنى إلا ضحك) فى الرواية الثانية « ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى » وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع جرير تكريماً له، ولطفاً به، وبشاشة له.

(ولقد شكوت له أنى لا أثبت على الخيل، فضرب بيده فى صدرى، وقال: اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً) فى الرواية الرابعة « وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب يده فى صدرى، فقال: اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً، وعند البخارى « وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب على صدرى، حتى رأيت أثر أصابعه فى صدرى، » وعند الحاكم « فشكا جرير

إلى رسول الله ﷺ القلع « بفتح القاف واللام، وهو عدم الثبوت على السرج، وقيل: بكسر أوله، قال الجوهري: رجل قلع القدم بكسر أوله، إذا كانت قدمه لا تثبت عند الحرب، وفلان قلعة بكسر القاف وفتح اللام، إذا كان يتقلع عن سرجه، والمعنى أنه لخفته يرتفع عن السرج كلما ارتفع الحصان، ويهبط بهبوطه » فقال: ادن منى، فدنا منه، فوضع يده على رأسه، ثم أرسلها على وجهه وصدره، حتى بلغ عاتقه، ثم وضع يده على رأسه « مرة ثانية « وأرسلها إلى ظهره، حتى انتهت إلى إيلته ». ولا تعارض فإن اليد ضربت الصدر عند مرورها به، كما جاء فى حديث الحاكم أنه قال فى حالة إمراره يده عليه فى المرتين: « اللهم اجعله هاديا مهديا، وبارك فيه، وفى ذريته » زاد فى رواية البخارى « فما وقعت عن فرس بعد ». قال الحافظ ابن حجر: قوله: « واجعله هاديا مهديا ». فيه تقديم وتأخير، لأنه لا يكون هاديا، حتى يكون مهديا، وقيل: معناه كاملا مكملًا. اهـ. يعنى أن المطلوب الأول للمسلم أن يكمل نفسه، ثم بعد ذلك يكمل غيره، ويمكن حمل « هاديا » على معنى داعيا نفسه وغيره للهدى، و« مهديا » أى مستجيبا للدعوة بالفعل.

(كان فى الجاهلية بيت، يقال له: ذو الخلصة) والخلصة فى الأصل نبات، له حب أحمر، كخز العقيق، قال النووى: بفتح الخاء واللام. هذا هو المشهور، وحكى القاضى أيضا بضم الخاء مع فتح اللام، وحكى أيضا فتح الخاء وسكون اللام، وهو بيت فى اليمن، كان فيه أصنام يعبدونها. اهـ. ومن المعلوم أن الكعبة كانت مظهرًا من مظاهر عزة العرب بصفة عامة، ورفعة قريش بصفة خاصة، وكانت القبائل تحاول أن تتخذ لنفسها بيوتًا، تصنع فيها أصناما يعبدونها، لمنافسة قريش فى كعبتها، فكان ذو الخلصة أكبر بيت ينافس الكعبة، وكان بيتا لقبيلة خثعم كما جاء فى الرواية الرابعة، ولقبيلة بجيلة، كما جاء فى رواية البخارى.

(وكان يقال له: الكعبة اليمانية والكعبة الشامية) قال النووى: وفى بعض النسخ « الكعبة اليمانية الكعبة الشامية » بغير واو، وهذا اللفظ فيه إيهام، والمراد أن ذا الخلصة كانوا يسمونها الكعبة اليمانية، وكانت الكعبة الكريمة التى بمكة تسمى الكعبة الشامية، ففرقوا بينهما للتمييز. هذا هو المراد، فيتأول اللفظ عليه، وتقديره: يقال له: الكعبة اليمانية، ويقال للتى بمكة: الشامية.

أما من رواه « الكعبة اليمانية. الكعبة الشامية » بحذف الواو فمعناه كأن يقال: هذان اللفظان، أحدهما لموضع، والآخر لموضع آخر.

قال: وأما قوله « هل أنت مريحي من ذى الخلصة، والكعبة اليمانية والشامية » فقال القاضى عياض: ذكر « الشامية » وهم وغلط من بعض الرواة، والصواب حذفه، وقد ذكره البخارى بهذا الإسناد، وليس فيه هذه الزيادة والوهم. هذا كلام القاضى، وليس بجيد، بل يمكن تأويل هذا اللفظ، ويكون التقدير: هل أنت مريحي من قولهم: الكعبة اليمانية والشامية؟ ووجود هذا الموضع الذى يلزم منه هذه التسمية؟ اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: الذى يظهر لى أن الذى فى الرواية صواب، وأنها كان يقال لها: اليمانية باعتبار كونها باليمن، والشامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام، وقال بعضهم:

قوله: « والكعبة الشامية » مبتدأ، محذوف الخبر، تقديره: هي التي بمكة، وقيل: الكعبة مبتدأ، والشامية خبره، والجملة حال، والمعنى: والكعبة هي الشامية لا غير، وحكى السهيلي عن بعض النحويين أن كلمة « له » زائدة، وأن الصواب كان يقال: « الكعبة الشامية »، أى لهذا البيت الجديد، و« الكعبة اليمانية » أى للبيت العتيق - أو بالعكس، قال السهيلي: وليست فيه زيادة، وإنما اللام بمعنى من أجل، أى كان يقال من أجله: الكعبة الشامية، والكعبة اليمانية، أى إحدى الصفتين للعتيق، والأخرى للجديد.

(هل أنت مريحي من ذى الخلصة؟) وفى الرواية الرابعة « يا جرير، ألا تريحنى من ذى الخلصة » بتخفيف اللام طلب يتضمن الأمر برفق، وخص جريرا بذلك لأنها كانت فى بلاد قومه، وكان هو من أشرفهم، والمراد من الراحة راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب رسول الله ﷺ من بقاء ما يشترك به من دون الله تعالى، وروى الحاكم فى الإكليل، من حديث البراء بن عازب قال: « قدم على النبي ﷺ مائة رجل من بنى بجيلة وبنى قشير، وفيهم جرير بن عبد الله، فسأله عن بنى خثعم، فأخبره أنهم أبوا أن يجيبوا إلى الإسلام، فاستعمله على عامة من كان معه، وندب معه ثلاثمائة من الأنصار، وأن يسير إلى خثعم، فيدعوهم ثلاثة أيام، فإن أجابوا إلى الإسلام قبل منهم، وهدم صنمهم ذى الخلصة، وإلا وضع فيهم السيف.

(فنفرت إليه فى مائة وخمسين من أحمس) الضمير فى « إليه » يعود على ذى الخلصة، البيت الذى فيه الأصنام، والنفر الخروج للقتال مع السرعة، وفى رواية البخارى « فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس - بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الميم - وكانوا أصحاب خيل » وفى رواية ضعيفة للطبرانى أنهم كانوا سبعمائة، وفى كتاب الصحابة لابن السكن أن قيس بن غربة الأحمسي وفد فى خمسمائة وقدم جرير فى قومه، وقدم الحجاج بن ذى الأعين فى مائتين، وضم رسول الله ﷺ إليهم ثلاثمائة من الأنصار وغيرهم، فكان المائة والخمسين هم قوم جرير من قبيلة واحدة.

(فكسرناه، وقتلنا من وجدناه عنده) الضمير المذكر للبيت، والضمير المؤنث فى قوله فى الرواية الرابعة « فانطلق فحرقها بالنار » للكعبة، وعند البخارى « فانطلق إليها فكسرها وحرقها » أى بناءها، ورمى النار فيما فيها من الخشب.

(فأتيته، فأخبرته) ظاهر هذه الرواية أن الذى بشر النبي ﷺ بنتيجة الغزوة هو جرير، ولكن الرواية الرابعة أن الذى أخبر النبي ﷺ بذلك رسول أرسله جرير من قبيلته، فكان نسبة الإخبار لجرير مجازية، وفى الرواية الرابعة . قال رسول جرير للنبي ﷺ: « ماجئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب ». كناية عن نزع زينتها، وإنهاب بهجتها، وقال الخطابي: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلى بالقطران من جريه، إشارة إلى أنها صارت سوداء، لما وقع فيها من التحريق، وفى رواية « أجوف » بدل « أجرب » أى صارت صورة بغير معنى، والأجوف الخالى الجوف مع كبره فى الظاهر، وأنكره عياض، وقال: هو تصحيف وإفساد للمعنى.

(فدعنا لنا وأحمس) « أحمس » على وزن أحمر، وهم إخوة بجيلة، بفتح الباء وكسر الجيم، رهط جريز، وفي الرواية الرابعة « فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات » أى دعاهم بالبركة وفي رواية « فدعا لأحمس بالبركة ». وقد قيل فى حكمة الخمس أنها مبالغة مع الاحتفاظ بالوتر، وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون دعا للخيل والرجال أو لهما معا، ثم أراد التأكيد فى تكرير الدعاء ثلاثا، فدعا للرجال مرتين أخريين، وللخيل مرتين أخريين، ليكمل لكل من الصنفين ثلاثا، فكان مجموع ذلك خمس مرات.

(يكنى أبا أرطاة) فى ملحق الرواية « أبو أرطاة حصين بن ربيعة »، « أرطاة » بفتح الهمزة وسكون الراء، وقلبه بعضهم، فقال: ربيعة بن حصين، ومنهم من سماه أرطاة، والصواب أبو أرطاة، ومنهم من سماه حصن، بكسر الحاء وسكون الصاد، وعند بعض الرواة « حسين » بدل « حصين » وهو تصحيف.

(إضافة) زاد البخارى فى رواية: قال « ولما قدم جريز اليمن، كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقبل له: إن رسول الله ﷺ ههنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضربها - أى بالأزلام - إذ وقف عليه جريز، فقال: لتكسرنها - أى الأزلام- ولتشهدن أن لا إله إلا الله، أو لأضرين عنقك، فكسرها، وشهد، ثم بعث جريز رجلا من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبی ﷺ يبشره بذلك ». قال الحافظ ابن حجر: هذا يشعر باتحاد قصة غزوة ذى الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، وكأنه لما فرغ من أمر ذى الخلصة، وأرسل رسوله مبشرا، استمر ذاهبا إلى اليمن.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فيه مناقب عظيمة لجريز وقومه، ونصرهم للإسلام، ومحاربتهم القوم الذين هم منهم.
- ٢- وبركة يد رسول الله ﷺ ودعائه.
- ٣- وأنه كان يدعو وترا، وقد يجاوز الثلاث، فيكون فيه تخصيص لحديث أنس « كان إذا دعا دعا ثلاثا ». فيحمل على الغالب، وكأن الزيادة لمعنى اقتضى ذلك.
- ٤- وفيه مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس، من بناء وغيره، سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا.
- ٥- وفيه استمالة نفوس القوم، بتأمير من هو منهم.
- ٦- والاستمالة بالدعاء والثناء.
- ٧- والبشارة فى الفتوح.

- ٨- وفضل ركوب الخيل فى الحرب.
- ٩- وقبول خبر الواحد .
- ١٠- والمبالغة فى نكاية العدو.
- ١١- وفيه استحباب التلطف والتبسم فى وجه القادم.
- ١٢- استدلل بعضهم بقوله: « ما حجبنى ». على جواز الدخول بدون إذن للخاصة، ولا يصح، فعدم الذكر ليس دليل العدم.

والله أعلم

(٦٥٨) باب من فضائل عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما

٥٥٤١ ١٣٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٣٨) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى الْخَلَاءَ فَوَضَعَتْ لَهٗ وَضُوءًا. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» فِي رِوَايَةٍ زُهَيْرٍ قَالُوا، وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي بَكْرٍ - قُلْتُ: ابْنُ عَبَّاسٍ. قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ».

المعنى العام

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولد في الشعب الذي حوصر فيه بنو هاشم. أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، كان أبيض طويلا جسيما وسيما صبيح الوجه، حج بالناس سنة قتل عثمان، بأمر من عثمان، ولاه على البصرة، وحارب مع علي الجمل وصفين والنهروان، وظل واليا على البصرة حتى قتل علي، فمضى إلى الحجاز وكان يغشى الناس في رمضان، وهو أمير البصرة، فما ينقضى الشهر حتى يفقههم.

وفي سبب نفى ابن الزبير له إلى الطائف روى أن عبد الله بن صفوان بن أمية، مريوما بدار عبد الله بن عباس بمكة، فرأى فيها جماعة من طالبى الفقه، ومر بدار عبيد الله بن عباس، فرأى فيها جماعة جاءوها للطعام، فدخل على ابن الزبير، فقال له: أصبحت - والله - كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة . . . لم تبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس، أحدهما يفقه الناس، والآخر يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع، وقال: انطلق إلى ابني عباس، فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين: اخرجنا عنى - أى اخرجنا من مكة إلى بلد آخر - أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت. فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلا، رجل يطلب فقها، ورجل يطلب فضلا، فأى هذين تمنع؟ فنفاهما ابن الزبير إلى الطائف.

وعمى ابن عباس في آخر عمره، ومات بالطائف في أيام ابن الزبير، سنة خمس وستين على المشهور، وصلى عليه ابن الحنفية، وقال: مات والله اليوم حبر هذه الأمة.

رضى الله عنه وأرضاه

(١٣٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ قَالَا حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا زُرْقَاءُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشُّكْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي زَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(أتى الخلاء) أى موضع البول والغائط.

(فوضعت له وضوءاً) بفتح الواو، هو الماء الذى يتوضأ به، وقد فهم ابن عباس أن النبى ﷺ لم يكن معه ماء، وأنه يحتاج إليه، فوضعه له بجواره، دون أن يشعر به صلى الله عليه وسلم.
(من وضع هذا ؟) استفهام حقيقى.

(قالوا - قلت - ابن عباس) الظاهر أن القائل ابن عباس، وأسند إليهم فى الرواية الأخرى لتقريرهم له، وقولهم ذلك فى أنفسهم، وعند أحمد وابن حبان أن ميمونة - رضى الله عنها - هى التى أخبرته بذلك، وأن ذلك كان فى بيتها ليلاً، ولعل ذلك كان فى الليلة التى بات ابن عباس فى بيتها، ليرى صلاة النبى ﷺ، والتى وقف فيها خلف النبى ﷺ فى صلاة الليل، فقال له النبى ﷺ: « ما بالك؟ أجعلك حذائى - أى بجوارى - فتخلفنى - أى فتقف خلفى؟ » فقال: لا ينبغي لأحد أن يصلى حذاءك، وأنت رسول الله، فدعا له أن يزيد الله فهما وعلما.

(اللهم فقهه) وعند البخارى « ضمنى رسول الله ﷺ، وقال: اللهم علمه الكتاب»، وعند النسائى والترمذى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « دعا لى رسول الله ﷺ أن أوتى الحكمة مرتين»، وفى رواية « اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل»، وفى رواية « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب».

والفقه هو الفهم، قال تعالى ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] يقال: فقه بفتح الفاء وضم القاف، إذا صار الفقه له سجية، وفقه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقه بالكسر إذا فهم. وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: كونوا حكماً فقهاء. ويقال: الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره، ويقال: لا يقال للعالم: ربانى حتى يكون عالماً معلماً عاملاً.

فالفقه هو الفهم، والفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل. واختلف فى المراد بالحكمة فى دعوة ابن عباس، فقيل: القرآن، وهو المراد بالكتاب الوارد فى بعض الروايات، أى فهم المراد من آياته، وقيل: العمل بالقرآن، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة فى القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عند الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فضيلة الفقه، والعلم بالأحكام الشرعية.
 - ٢- واستحباب الدعاء بظهر الغيب.
 - ٣- واستحباب الدعاء لمن عمل خيراً مع الإنسان.
 - ٤- وإجابة دعاء النبى ﷺ، فقد كان ابن عباس فى الفقه بالمحل الأعلى.
- والله أعلم

(٦٥٩) باب من فضائل عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما

٥٥٤٢- ١٣٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما (١٣٩) قال: رأيتُ في المنام كأنَّ في يدي قطعةً استبرق. وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه. قال: فقصصته على حفصة. فقصصته حفصة على النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: «أرى عبد الله رجلاً صالحاً».

٥٥٤٣- ١٤٠ عن ابن عمر رضي الله عنهما (١٤٠) قال: كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ، إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ. فتمنيتُ أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ. قال: وكنتُ غلاماً شاباً عربياً. وكنتُ أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ. فرأيتُ في النوم كأنَّ ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار. فإذا هي مطوية كطي البئر. وإذا لها قرنان كقرني البئر. وإذا فيها ناس قد عرفتهم. فجعلت أقول: أعودُ بالله من النار. أعودُ بالله من النار. أعودُ بالله من النار. قال: فلقبهما ملك فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة. فقصصتها على رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: «نعم الرجل عبد الله! لو كان يصلي من الليل» قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً.

٥٥٤٤- وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنتُ أبيتُ في المسجد. ولم يكن لي أهل. فرأيتُ في المنام كأنما انطلق بي إلى بئر. فذكر عن النبي ﷺ بمعنى حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه.

المعنى العام

عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نوفل القرشي العدوي، يكنى أبا عبد الرحمن، أمه زينب بنت مطعون بن حبيب الجمحي، وشقيقته حفصة أم المؤمنين، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وأسلم صغيراً، وهاجر مع أبيه، عرض على النبي ﷺ يوم بدر، فاستصغره، وكانت سنة ثلاث عشرة، ثم بأحد، فاستصغره، ثم أجازة يوم الخندق، وسنة خمس عشرة سنة، وحضر بيعة الرضوان، وفتح مكة، وكان لا

(١٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَخَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ كُلُّهُمْ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ (١٤٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ خَالِدٍ حَتَّى الْقُرَيْبِيُّ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ، ثم كان بعد موته مولعا بالحج، قبل الفتنة، وفي الفتنة التي اعتزلها، روى أن مروان بن الحكم دخل عليه في نفر، بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه، فعرضوا عليه أن يبايعوا له، قال: وكيف لي بالناس؟ قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك- فقال: والله لو اجتمع على أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم، فخرجوا من عنده، ومروان يقول:

والملك بعد ابن ليلي لمن غلبا.

ويقال إنه ندم بعد ذلك أن لم يقاتل مع علي، إذ روى أنه قال حين حضرته الوفاة: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية، مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وروى أنه كان يقول: كففت يدي، فلم أقدم، والمقاتل على الحق أفضل.

كان رحمه الله تعالى من أهل الورع والعلم والتقوى، وروى عن مالك أنه قال: بلغ عبد الله بن عمر ستا وثمانين سنة، وأفتى في الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علما جما، ويقولون: إنه كان من أعلم الصحابة بمناسك الحج، وكان شديد التوقى في فتواه، وفي كل ما يأخذ به نفسه، شديد التحرى والتأسي والاعتداء بأفعال النبي ﷺ، حتى إنه كان يتحرى المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ ليبرك ناقته فيه، وكان يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، لذا كان من المكثرين عن النبي ﷺ، وكان في الحج يتتبع آثار النبي ﷺ، ويتقدم إلى المواقف التي وقف بها صلى الله عليه وسلم، ليقف بها، فكان ذلك يعز على الحجاج، وخطب الحجاج يوما، فأخر الصلاة، فقال له ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك. فقال ابن عمر في نفسه: قد يفعل، إنه سفيه مسلط.

فأمر الحجاج رجلا، فسم حديدة رمحه، وزحمه في الطريق، وغرس الحديدية في ظهر قدمه، وهو على راحلته، فمرض منها أياما، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال له: من فعل بك هذا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قتلني الله إن لم أقتله. قال: ما أراك فاعلا. أنت الذي أمرت الذي نخسنى بالحريه المسمومة، قال: لا تقل هذا يا أبا عبد الرحمن. ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو نحوها ودفن بذي طوى، في مقبرة المهاجرين. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق) الإستبرق ما غلظ من الحرير، أو من الديباج، وفي رواية للبخارى « كأن في يدي سرقة من حرير » بفتح السين وكسر الراء، أى قطعة، وفي رواية « قطعة من إستبرق » وفي رواية « سرقة من إستبرق » وعبر بلفظ « كأن » بالتشبيه، لأن ما يحصل في المنام شبيه بالواقع، وليس واقعا بالفعل.

(وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه) فهي توصلنى إلى أى مكان أريده من الجنة، وفى رواية للبخارى « لا أهوى بها إلى مكان فى الجنة إلا طارت بى إليه»، وفى رواية « فكأنى لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت بى إليه».

(فقصصته على حفصة) أى قصصت المنام على حفصة أختى، أم المؤمنين.

(أرى عبد الله رجلا صالحا) « أرى » بفتح الهمزة، أى أعلمه وأعتقده صالحا، والصالح هو القائم بحقوق الله، وحقوق العباد، وفى رواية للبخارى « إن أخاك رجل صالح، أو إن عبد الله رجل صالح » بالشك من الراوى، وفى الرواية الثانية « نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل ». قال ابن عمر: وكنت إذا نمت لم أقم حتى أصبح.

وزاد فى روايتنا الثانية « قال سالم: فكان عبد الله - بعد ذلك - لا ينام من الليل إلا قليلا»، وفى رواية « قال الزهرى: وكان عبد الله - بعد ذلك - يكثر الصلاة من الليل»، وفى رواية « وكان عبد الله يكثر الرقاد»، وفيها أيضا « إن الملك الذى قال له: لم ترع قال له: لا تدع الصلاة. نعم الرجل أنت، لولا قلة الصلاة».

(كان الرجل فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ) اللام فى « الرجل » للجنس ولا مفهوم له، والحكم للمرأة كذلك، وإنما ذكر للغالب.

(فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبى ﷺ) فى رواية « أنى أرى » وفى رواية للبخارى « فقلت فى نفسى: لو كان فىك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء».

(وكنت غلاما شابا عزيا) بفتح العين والزى، وهو من لزوجته له، ويقال له: الأعزب، مع قلة فى الاستعمال.

(وكنت أنام فى المسجد) فى ملحق الرواية « كنت أبيت فى المسجد، ولم يكن لى أهل » أى لم يكن لى زوجة، وفى رواية للبخارى « وأنا غلام حديث السن، وبيتى المسجد، قبل أن أنكح ». يعنى أنه كان يأوى إليه، قبل أن يتزوج.

(فرأيت فى النوم) فى ملحق الرواية « فرأيت فى المنام » وفى رواية للبخارى « فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم فى خيرا، فأرنى رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ ... »

(كأن ملكين أخذانى) فى رواية للبخارى « جاءنى ملكان فى يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، يقبلان بى إلى جهنم » والمقمعة بكسر الميم الأولى، والجمع مقامع، وهى كالسياط من حديد، رعوسها معوجة.

(فذهبا بى إلى النار) فى رواية للبخارى « يقبلان بى إلى جهنم، وأنا بينهما، أدعو الله: اللهم إنى أعوذ بك من جهنم » وفى رواية للبخارى « حتى وقفوا بى على شفير جهنم».

(فإذا هي مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر) فى رواية للبخارى « له قرون » البئر المطوية، هي المبنية، والبئر قبل أن تبنى تسمى قليبا، وقرون البئر جوانبها التى تبنى من حجارة، ترتفع، فتوضع عليها الخشبة التى تعلق فيها البكرة، والعادة أن لكل بئر قرنين، وفى رواية للبخارى « بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد ».

(وإذا فيها ناس قد عرفتهم) وفى رواية « فإذا فيها ناس عرفت بعضهم » وفى رواية للبخارى « وأرى فيها رجالا معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالا من قريش ». قال الشارحون: لم نقف على اسم أحد منهم.

(فلقيهما ملك، فقال لى: لم ترع) بضم التاء وفتح الراء، أى لم تفرع، وفى رواية « لن ترع » فعلى الأول ليس المراد أنه لم يقع له فرع، فقد فرع فعلا، ولكن لما كان الذى فرع منه لن يستمر، فكأنه لم يفرع، أو هو من قبيل تنزيل القليل منزلة العدم، وعلى الثانى فالمراد أنك لا روع عليك بعد ذلك، قال ابن بطال: إنما قال له ذلك لما رأى منه من الفرع، فعند ابن أبى شيبة « فلقيه ملك وهو يرعد، فقال: لم ترع » ووقع عند كثير من الرواة « لن ترع » بحرف « لن » ووجهه ابن مالك بأنه سكن العين للوقف، ثم شبهه بسكون الجزم، فحذف الألف، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، قيل: ويجوز أن يكون جزمه بلن، وهى لغة قليلة، حكاها الكسائى، وفى رواية للبخارى « فتلقاهما ملك، فقال: لم ترع. خليا عنه » وفى رواية للبخارى « فانصرفوا بى عن ذات اليمين » قال القرطبى: إنما فسر الشارح من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح، لأنه عرض على النار، ثم عوفى منها، وقيل له: لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم الليل، فحصل له من ذلك تنبيهه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك، وأشار المهلب إلى أن السرفى ذلك كون عبد الله كان ينام فى المسجد، ومن حق المسجد أن يتعبد فيه، فنبه على ذلك بالتخويف بالنار.

(فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ) فى الروايتين اللتين ساقهما مسلم هنا رؤيا قطعة الحرير، وفيها « فقصصته على حفصة، فقصصته حفصة على النبى ﷺ » ورؤيا جهنم، وفيها « فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ » ولا إشكال فى ذلك، سواء رآهما عبد الله فى ليلة، وأخبر بهما معا حفصة، فأخبرت بهما حفصة رسول الله ﷺ على مرتين، أو رآهما فى ليلتين، وأخبر بهما حفصة متفرقتين، فأخبرت بهما حفصة متفرقتين، والمستبعد أن تكون حفصة قد أخبرت بهما مجتمعتين، لقوله فى رواية للبخارى « فقصت حفصة على النبى ﷺ إحدى رؤياى » أى قصت إحدى رؤياى أولا، ثم قصت الأخرى.

(نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل) « لو » للتمنى، لا للشرط، فلا تحتاج إلى جواب، لأن مدحه لا يتوقف على صلاة الليل.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فضيلة ظاهرة لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما.
- ٢- جواز نوم الرجال في المسجد، وهو قول الجمهور، وروى عن ابن عباس كراهيته، إلا لمن يريد الصلاة، وعن ابن مسعود كراهيته مطلقا، وعن مالك التفصيل بين من له مسكن، فيكره، وبين من لا مسكن له، فيباح. وحديثنا يدل على إباحته لمن لا مسكن له.
- ٣- أن أصل التعبير إنما يكون من الأنبياء، ولذلك تمنى ابن عمر أنه يرى رؤيا، فيعبرها له الرسول ﷺ، كما يعبر للناس، وقد صرح الأشعري بأن أصل التعبير بالتوقيف من قبل الأنبياء، وعلى ألسنتهم، قال ابن بطال: وهو كما قال، لكن الوارد عن الأنبياء في ذلك وإن كان أصلا، لكنه لا يعم جميع المرأى، فلا بد للحاذق في هذا الفن أن يستدل بحسن نظره، فيرد ما لم ينص عليه إلى ما نص عليه، ويجعل النص أصلا يلحق به غيره، كما يفعل الفقيه في فروع الفقه. اهـ.
- ٤- وفيه تمنى الخير والعلم.
- ٥- وأن الرؤيا الصالحة تدل على خير رائيها غالبا.
- ٦- وفيه مشروعية النيابة في قص الرؤيا.
- ٧- وأب ابن عمر مع النبي ﷺ، ومهابته له، حيث لم يقص رؤياه عليه بنفسه، وكأنه لما هالته الرؤيا لم يؤثر أن يقصها بنفسه، فقصها على أخته، لإدلاله عليها.
- ٨- وأن بعض الرؤيا لا يحتاج إلى تعبير.
- ٩- وأن ما فسر في النوم فهو تفسيره في اليقظة، لأن النبي ﷺ لم يزد في تفسيرها على ما فسرهما الملك الذي جاء في بعض الروايات أن الملك وصف ابن عمر بالرجل الصالح.
- ١٠- وأن المعبر الحاذق يفسر من الرؤيا ما هو ممدوح، ويسكت ويعرض عما هو كرهه، فقد رأى الفزع، ولم يفسره.
- ١١- وفي الحديث الخوف والأمن في المنام، لكن قال أهل التعبير: من رأى أنه خائف من شيء، أمن منه، ومن رأى أنه قد أمن من شيء، فإنه يخاف منه.
- ١٢- وفي الرواية الأولى رؤيا الإستبرق في المنام، وقد يعبر بالحريز عن شرف الدين والعلم، لأن الحريز أشرف ملابس الدنيا، وكذلك العلم بالدين أشرف العلوم.
- ١٣- ومن قوله في الرواية الثانية « كأن ملكين أخذاني » يؤخذ منه الجزم بالشيء، وإن كان أصله

الاستدلال، لأن ابن عمر استدل على أنهما ملكان بأنهما وقفا على جهنم، ووعظاه بها، والشيطان لا يعظ، ولا يذكر بالخير.

١٤- وفي الحديث فضل قيام الليل.

١٥- وفيه الوعيد على ترك السنن، وجواز وقوع العذاب على ذلك، قال الحافظ ابن حجر: وهو مشروط بالمواظبة على الترك، رغبة عنها، فالوعيد والتعذيب إنما يقع على المحرم، وهو الترك بقصد الإعراض.

واللَّهُ أَعْلَمُ

(٦٦٠) باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه

٥٥٤٥ - ١٤١ عن أم سليم رضي الله عنها^(١٤١)، أنها قالت: يا رسول الله! خادِمك أنس. اذغ الله له. فقال: «اللهم! أكثر ماله وولده. وبارك له فيما أعطته».

٥٥٤٦ - وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أم سليم: يا رسول الله! خادِمك أنس. فذكر نحوه.

٥٥٤٧ - ١٤٢ عن أنس رضي الله عنه^(١٤٢) قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا. وما هو إلا أنا وأمّي وأمّ حرام، خالتي. فقالت أمّي: يا رسول الله! خويّئوك. اذغ الله له. قال: فدعا لي بكل خير. وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «اللهم! أكثر ماله وولده. وبارك له فيه».

٥٥٤٨ - ١٤٣ عن أنس رضي الله عنه^(١٤٣) قال: جاءت بي أمّي، أم أنس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أرزنتني ببنصف خمارها ورذنتني ببنصفه. فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني أيتك به يخدمك. فاذغ الله له. فقال: «اللهم! أكثر ماله وولده» قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير. وإن ولدي وولده ولدي ليتعادون على نحو المائة، اليوم.

٥٥٤٩ - ١٤٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(١٤٤) قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسمعت أمّي، أم سليم صوته. فقالت: يا أمّي! يا رسول الله! أنيس. فدعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات. قد رأيت منها اثنتين في الدنيا. وأنا أرجو الثالثة في الآخرة.

٥٥٥٠ - ١٤٥ عن أنس رضي الله عنه^(١٤٥) قال: أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان. قال: فسلم علينا. فبعثني إلى حاجة. فأبطأت على أمّي. فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت ما حاجته. قلت: إنها سيرة. قالت: لا تحدثن بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. قال أنس: والله! لو حدثت به أحدًا، لحدثتك، يا ثابت!

(١٤١) حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالوا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت فتادة يحدث عن أنس عن أم سليم

- حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن فتادة سمعت أنس يقول

- حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن هشام بن زيد سمعت أنس بن مالك يقول مثل ذلك

(١٤٢) وحدثني زهير بن حرب حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس

(١٤٣) حدثني أبو معن الرقاشي حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة حدثنا إسحق حدثنا أنس

(١٤٤) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن الجعد أبي عثمان قال حدثنا أنس بن مالك

(١٤٥) حدثنا أبو بكر بن نافع حدثنا بهز حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس

٥٥٥١ - ١٤٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١٤٦) قال: أسر إلي نبي الله صلى الله عليه وسلم سرًا. فما أخبرت به أحدًا بعد. ولقد سألتني عنه أم سليم. فما أخبرت بها به.

المعنى العام

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، أنصاري، خزرجي، من بني النجار، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد المكثرين من الرواية عنه صلى الله عليه وسلم.

صح عنه أنه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين، وخدمته صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي على شيء فعلته؟ ولا على شيء لم أفعله؟ لم لم تفعله؟ وأمه أم سليم - سبق الحديث عنها وعن فضائلها - كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازحها، ويقول له: يا ذا الأذنين.

خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، يخدمه، وهو غلام، ولم يذكر في البدرين لأنه لم يكن في سن من يقاتل، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى غزوات.

وكانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ثم شهد الفتوح، ثم قطن البصرة، ومات بها، في قصره على فرسخين منها، وكان آخر الصحابة موتًا بالبصرة سنة ثنتين وتسعين وله من العمر مائة سنة وستة أشهر.

قال ثابت البناني: قال لي أنس بن مالك: هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضعها تحت لساني عند موتي، فوضعها تحت لسانه، فدفن وهي تحت لسانه. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(عن أم سليم) بضم السين وفتح اللام، وقد سبقت فضائلها قبل تسعة أبواب.

(أنها قالت: يا رسول الله، خادمك أنس. ادع الله له) في الرواية الثانية بيان ظروف قولها ذلك، ففيها « دخل النبي صلى الله عليه وسلم - علينا - أي في بيتنا - وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقالت أمي: يا رسول الله، خويدمك - تصغير خادمك - ادع الله له »، وفي الرواية الرابعة ما يشبه الثانية في أن قولها ذلك وطلبها الدعاء لأنس كان في بيتها، ففيها « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي على بيتنا - « فسمعت أمي، أم سليم صوته » - أي فدعته، فدخل - « فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، أنيس » أي ادع له.

(١٤٦) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

لكن فى الرواية الثالثة ما يفيد أن طلب الدعاء لأنس كان فى بيت رسول الله ﷺ، إذ فيها « جاءت بى أمى، أم أنس، إلى رسول الله ﷺ، وقد أرتنى بنصف خمارها، وردتنى بنصفه » أى جعلت لى نصف خمارها إزارا، ونصفه رداء، والخمار هنا ما كانت تستر به المرأة رأسها، يقرب مما يعرف بالشال الكبير» فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس، ابنى، أتيتك به يخدمك، فادع الله له». ولا مانع من تعدد طلب الدعاء، والاستجابة لهذا الطلب، مرة حين ذهبت به تعرضه عليه خادما له فقبله، ومرة فى زيارته صلى الله عليه وسلم لها، وقد مر أنه كان كثير الزيارة لها، قبل تسعة أبواب، ويحتمل أن طلب الدعاء حصل مرة واحدة، فى بيتها، وجاءت به من الداخل بإزار ورداء، تعرضه للخدمة، وتطلب له الدعاء.

(فقال: اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته) وفى الرواية الرابعة « دعالى رسول الله ﷺ ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين فى الدنيا، وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة » وفى الرواية الثانية « فدعالى بكل خير، وكان فى آخر ما دعالى به، أن قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه ». قال العيني: الأولى بكثرة المال، والثانية بكثرة الولد، والثالثة بطول العمر، وهى المقصودة بالبركة له فيما أعطى، ومن أبرك ما أعطى له طول عمره. اهـ.

لكن هذا التفسير لا يتفق مع قوله « وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة »، والأولى حملها على ما جاء عنه فى الصحيح « اللهم أكثر ماله، وولده، وأدخله الجنة. قال: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ». وذكر عدد المدعوبه فى رواية لا ينافى ذكر عدد آخر فى رواية أخرى، فالرواية الثانية تشير إلى كثرة ما دعا له به.

(قال أنس: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون نحو المائة اليوم) « ليتعادون » بتشديد الدال، يقال: تعاد القوم عد بعضهم بعضا، وثبت عن ماله أنه كان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين، وكان فيه ريحان، يجيء منه ريح المسك لما حوله، وكان من أكثر الأنصار مالا، وعن أولاده روى أنه قال: لقد دفنت من صلبى ومن صلب ولدى مائة وخمسة وعشرين، ويقال: إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولدا، منهم ثمانية وسبعون ذكرا، وابتنان، إحداهما تسمى حفصة، والثانية تكنى أم عمر، وعن عمره فقد عاش مائة سنة على المشهور.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- فى الحديث فضائل لأنس ﷺ.
- ٢- وفيه علم من أعلام النبوة، فى إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم.
- ٣- قال النووى: فيه هذا الأدب البديع، وهو أنه إذا دعا بشيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إليه

طلب البركة فيه، وصيانتها من الفتنة، بحيث لا يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولا غير ذلك من الآفات، التي تتطرق إلى سائر الأعداء، قال: وكان أنس وولده رحمة وخيرا ونفعا بلا ضرر، بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم.

٤- قال النووي: وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر.

٥- وفيه حفظ السر وفضيلته.

والله أعلم

(٦٦١) باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه

٥٥٥٢ - ١٤٧ عن عامر بن سعد^(١٤٧) قال: سمعتُ أبي يقول: ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، لِحَيِّ يَمْشِي، إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.

٥٥٥٣ - ١٤٨ عن قيس بن عباد^(١٤٨) قال: كنتُ بالمدينة في ناسٍ، فيهم بعضُ أصحابِ النبي ﷺ، فجاء رجلٌ في وجهه أثرٌ من خشوعٍ. فقال بعضُ القوم: هذا رجلٌ من أهلِ الجنة. هذا رجلٌ من أهلِ الجنة. فصلتني ركعتين يتجوزُ فيهما. ثم خرج فاتبعته. فدخل منزله. ودخلتُ. فحدثنا. فلما استأنس قلتُ له: إنك لما دخلتَ قبلُ، قال رجلٌ كذا وكذا. قال: سبحان الله! ما ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم. وسأحدثك لم ذاك؟ رأيتُ رؤيا على عهدِ رسولِ الله ﷺ. فقصصتها عليه. رأيتني في روضةٍ - ذكرَ سعتها وعشبتها وحضرتها - ووسطَ الروضةِ عمودٌ من حديدٍ، أسفلُهُ في الأرضِ، وأعلىُهُ في السماءِ، في أعلاه عُرْوَةٌ. فقيل لي: ارقه. فقلتُ له: لا أستطيع. فجاءني منصفٌ (قال ابنُ عون: والمنصفُ الخادم) فقال بيثابي من خلفي - وصف أنه رفعه من خلفه بيده - فرقيتُ حتى كنتُ في أعلى العمودِ فأخذتُ بالعُرْوَةِ. فقيل لي: استمسك. فلقد استيقظتُ وإنها لفي يدي. فقصصتها على النبي ﷺ فقال: «تلك الروضةُ الإسلامُ. وذلك العمودُ عمودُ الإسلامِ. وتلك العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوثقى، وأنتَ على الإسلامِ حتى تموتَ» قال: والرجلُ عبدُ الله بنُ سلام.

٥٥٥٤ - ١٤٩ عن قيس بن عباد^(١٤٩) قال: كنتُ في حلقةٍ فيها سعدُ بنُ مالكٍ وابنُ عمرَ فمرَّ عبدُ الله بنُ سلامٍ. فقالوا: هذا رجلٌ من أهلِ الجنة. فقمْتُ فقلتُ له: إنهم قالوا كذا وكذا. قال: سبحان الله! ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليسَ لهم به علمٌ. إنما رأيتُ كأنَّ عمودًا وضع في روضةٍ خضراءَ، فنصبَ فيها، وفي رأسها عُرْوَةٌ، وفي أسفلها منصفٌ - والمنصفُ الوصيفُ - فقيل لي: ارقه. فرقيتُ حتى أخذتُ بالعُرْوَةِ. فقصصتها على رسولِ الله ﷺ. فقال رسولُ الله ﷺ: «يموتُ عبدُ الله وهو آخذٌ بالعُرْوَةِ الوثقى».

(١٤٧) حدثني زهير بن حرب حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد
(١٤٨) حدثنا محمد بن المشي العنزي حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن قيس بن عباد
(١٤٩) حدثنا محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رواد حدثنا حريمي بن عمارة حدثنا قره بن خالد عن محمد بن سيرين
قال: قال قيس بن عباد

٥٥٥ - ١٥١ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ^(١٥٠) قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ. قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا. قَالَ: فَلَمَّا قَامَ، قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَا تُبَعِّثُهُ فَلَاغْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ. قَالَ: فَتَبِعْتُهُ. فَاَنْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي. فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ، لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ. وَسَأَحَدُكَ مِمَّنْ قَالُوا ذَلِكَ. إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَنِ شِمَالِي. قَالَ: فَأَخَذْتُ لِأَخَذِ فِيهَا. فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ: فَإِذَا جَوَادٌ مِنْهُجٌ عَلَى يَمِينِي. فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا. فَآتَى بِي جَبَلًا. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي. قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا، رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلْقَةٌ. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا؟ وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَنِي بِي. قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ. قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ. قَالَ: وَبَقِيْتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قَالَ: فَآتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ: وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ، فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا الْجَبَلُ، فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ. وَلَنْ تَنَالَهُ. وَأَمَّا الْعَمُودُ، فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا الْعُرْوَةُ، فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ. وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ».

المعنى العام

عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف الخزرج،

(١٥٠) حَدَّثَنَا قُبَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْخُرِّ قَالَ

الإسرائيلي، ثم الأنصارى، كان حليفا لهم وكان من بنى قينقاع، يقال: كان اسمه الحصين، فغيره النبي ﷺ.

أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، وقد سبق حديثه وقوله: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كنت ممن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فسمعتة يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام...»». وفي البخارى عن أنس «أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سئلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفا. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. قال: يارسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ. قالوا: شربنا وابن شربنا، وتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله.»

وفي البخارى أن قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] نزلت في عبد الله بن سلام، وقد رأى الرؤيا الواردة في هذا الحديث، وعبرها له رسول الله ﷺ بقوة إيمانه، وإسلامه، ويشهره بأنه من أهل الجنة.

توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحي يمشى: إنه فى الجنة، إلا لعبد الله بن سلام)
نفى السماع لقول ما، لا يلزم منه وقوع هذا القول، فكثير من الأقوال لا نسمعها، ويسمعها غيرنا، وعلى هذا لا يقال: إن هذا يتعارض مع ما ثبت من أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة»، إلى آخر العشرة، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وأن عكاشة من أهل الجنة، وغير هؤلاء. وقال الحافظ ابن حجر: يظهر أنه قال ذلك بعد موت المبشرين بالجنة، لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم، ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد بن أبى وقاص، وسعيد، فكره سعد تركية نفسه، لأنه أحد العشرة، وحديث عاصم بن مہجع عن مالك عن سعد «يقول لرجل حى» يؤيد ما قلته. وكان الحافظ ابن حجر جعل اللام بمعنى عن، ويصبح المعنى: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول عن رجل هو حى الآن كذا وكذا إلا عبد الله بن سلام، ثم قال الحافظ: لكن يعكر على هذا التأويل ما جاء عند الدارقطنى بلفظ «سمعت

النبي ﷺ يقول: لا أقول لأحد من الأحياء: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام» وبلغنى أنه قال «وسلمان الفارسي». لكن هذا السياق منكر، فإن كان محفوظا حمل على أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قديما، قبل أن يبشر غيره بالجنة.

وجنح النووي إلى ترجيح أحاديث التبشير بالجنة على حديث نفي سعد، فقال: ولو نفاه سعد كان الإثبات مقديما عليه. اهـ لكن التوجيه أقعد وأكثر قبولا.

(كنت في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ) ذكر بعضهم في الرواية الثالثة.

(فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة)

في الرواية الثالثة « فمر عبد الله بن سلام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة » وفي الرواية الرابعة « كنت جالسا في حلقة، في مسجد المدينة، وفيه شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام، فجعل يحدثهم حديثا حسنا، فلما قام قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا ». وللجمع بين الروايات يقال: إنه مر على الحلقة في المسجد، فصلى ركعتين، فجلس في الحلقة، فجعل يحدثهم، ثم قام، فقالوا ما قالوا... فذكر بعض الرواة من الأحداث ما لم يذكر الآخرون.

(فصلى ركعتين، يتجوز فيهما، ثم خرج) قال النووي: « فصلى ركعتين فيها، ثم خرج » وفي

بعض النسخ « فصلى ركعتين فيهما، ثم خرج » وفي بعضها « فصلى ركعتين، ثم خرج » فهذه الأخيرة ظاهرة، وأما إثبات « فيها » أو « فيهما » فهو الموجود لمعظم رواة مسلم، وفيه نقص، وتامه ما ثبت في البخاري « ركعتين تجوز فيهما ». اهـ والنسخة التي بين يدي لا نقص فيها والله الحمد.

وفي الرواية الرابعة « فقلت: والله لأتبعنه، فلأعلمن مكان بيته ».

(فاتبعته) وسرت خلفه، ثم بجواره، ثم أشعرته، أنني بحاجة إليه، فصحبته، وصحبنى. وفي

الرواية الرابعة « فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ».

(فدخل منزله) ودعاني للدخول، ودخلت، وفي الرواية الرابعة « ثم دخل منزله، فاستأذنت

عليه، فأذن لي ».

(فتحدثنا) في غير هذا الموضوع.

(فلما استأنس) لي، واستعد لإجابتي عما أريد، وفي الرواية الرابعة « قال: ما

حاجتك يا ابن أخي »؟.

(قلت له: إنك لما دخلت) المسجد، فمررت بالحلقة، فصليت ركعتين، ثم جلست فيها

وتكلمت ما تكلمت، ثم خرجت .

(قبل) أي قبل قليل.

(قال رجل كذا وكذا) « كذا وكذا » كناية عما قاله الرجل فى المسجد، وهو: « هذا رجل من أهل الجنة ».

(قال: سبحان الله؟) كلمة تقال عند التعجب، ومعناها الأسمى أنزه الله تعالى عن النقائص.

(ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم) أى ما يليق بأحد أن يقول هذا، لأننا لا نعلم الخاتمة والغيب، وفى الرواية الرابعة « الله أعلم بأهل الجنة » وفى الرواية الثالثة « سبحان الله: ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم»، وقد استشكل هذا بأن الصادق المصدوق أخبر به، فهو من المعلوم، وليس مما لا يعلمه المسلمون، وأجاب النووى عن هذا الإشكال باحتمال أن الذين قطعوا له بالجنة سمعوا ما سمع سعد، أو بلغهم خبر سعد بأن ابن سلام من أهل الجنة، ولم يسمع هو الخبر، قال: ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك، تواضعا، وإيثارا للخمول، وكراهة للشهرة.

(وسأحدثك لم ذاك؟) أى لم قالوا هذا القول؟ وأننى من أهل الجنة، وفى الرواية الرابعة « وسأحدثك مم قالوا ذاك » من أجل أى شيء قالوا هذا القول؟.

(رأيتنى فى روضة - ذكر سعتها، وعشبتها وخضرتها) أى قال الراوى: ذكر عبد الله بن سلام أوصافها، والجملة معترضة، وهذا عن الجزء الثانى من الرؤيا، أما الجزء الأول، فتحدث عنه الرواية الرابعة، وتقول:

(إنى بينما أنا نائم إذ أتانى رجل) أى ملك فى صورة رجل.

(فقال لى: قم، فأخذ بيدي، فانطلقت معه، فإذا أنا بجواد عن شمالى) أى بطرق عن شمالى بينة، مسلوكة، و« جواد » بتشديد الدال، ممنوع من الصرف، جمع جادة، بتشديد الدال، قال القاضى: وقد تخفف الدال.

(قال: فأخذت لأخذ فيها) أى فبدأت أتجه نحوها.

(فقال لى: لا تأخذ فيها، فإنها طرق أصحاب الشمال) أى فلا تتجه نحوها، ولا تقبل عليها.

(فإذا جواد منهج على يمينى) أى فإذا طرق واضحة بينة مستقيمة على جهة يمينى، والمنهج الطريق المستقيم، ونهج الأمر، وأنهج إذا وضع، وطريق منهج ومنهاج ونهج، أى بين واضح.

(فقال لى: خذ ههنا) أى اتجه إلى هذا الطريق، فاسلكه، فسلكته معه.

(فأتى بى جبلا، فقال لى: اصعد) إلى قمته.

(فجعلت إذا أردت أن أصعد، خررت على استى) أى وقعت على عجزى. والإست بهمزة وصل العجز، وقد يراد به حلقة الدبر.

(حتى فعلت ذلك مرارًا) كلما حاولت الصعود سقطت على عجزى، فلم أتمكن من الصعود.

(ثم انطلق بى، حتى أتى بى عمودا، رأسه فى السماء، وأسفله فى الأرض) هذا العمود هو المذكور فى الرؤيا فى الرواية الثانية، عن جزء الرؤيا الثانى، إذ قال فيها:

(ووسط الروضة عمود من حديد، أسفله فى الأرض، وأعله فى السماء) وفى الرواية الثالثة «إنما رأيت كأن عمودا وضع فى روضة خضراء، فنصب فيها».

(فى أعلاه عروة) العروة من الثوب مدخل زره، ومن الكوز والكوب مقبضه، ومن الحبل دائرة فى نهايته، يستمسك بها، وفى الرواية الثالثة « فى رأسها عروة - أى فى رأس العمود باعتباره قطعة من حديد طويلة أو باعتباره دعامة، وفى أسفلها منصف ». قال النووى: هو بكسر الميم وفتح الصاد، ويقال بفتح الميم أيضا، وقد فسره الراوى فى الحديث بالخادم والوصيف، وهو صحيح، قالوا: هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة.

(فقيل لى: ارقه) أى ارق العمود واصعده، وفى رواية البخارى « ارق » وفى رواية « راقه » وفى الرواية الرابعة « فقيل لى: اصعد فوق هذا ».

(فقلت له: لا أستطيع) وفى الرواية الرابعة « قلت: كيف أصعد هذا؟ ورأسه فى السماء؟ ».

(فجاءنى منصف، فقال بثيابى من خلفى - وصف أنه رفعه من خلفه بيده) وعبر عن الفعل بالقول فى الرواية الرابعة.

(فأخذ بيدي، فزجل بى، فإذا أنا متعلق بالحلقة) « فزجل بى » أى رمى بى، يقال: زجله، وزجل به، زجلا رفعه ورمى به، والمعنى أن الوصيف أخذه من يده ومن ثوبه من خلفه، وقذف به إلى أعلى العمود، فأمسك بالعروة، وفى الرواية الثانية « فرقيت حتى كنت فى أعلى العمود، فأخذت بالعروة » و« رقيت » بكسر القاف على اللغة المشهورة الصحيحة، وحكى فتحها.

(فقيل لى: استمسك، فلقد استيقظت وإنها لى يدي) فى الرواية الرابعة « ثم ضرب العمود، فخر، قال: وبقيت متعلقا بالحلقة، حتى أصبحت ». قال الحافظ ابن حجر: المعنى أن الاستيقاظ كان حال الأخذ بالحلقة، من غير فاصل، ولم يرد أنها بقيت فى يده فى حال يقظته، ولو حمل على ظاهره لم يمتنع فى قدرة الله، لكن الذى يظهر خلاف ذلك، ويحتمل أن يريد أن أثرها بقى فى يده بعد الاستيقاظ، كأن يصبح فيرى يده مقبوضة.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- منقبة وفضيلة جليلة لعبد الله بن سلام رضي الله عنه.
- ٢- قال القيرواني: الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالإسلام، لنضارتها، وحسن بهجتها، وتعبر أيضا بكل مكان فاضل، وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك.
- وقال الكرمانى: يحتمل أن يراد بالروضة جميع ما يتعلق بالدين، وبالعمود الأركان الخمسة، وبالعروة الوثقى الإيمان.
- ٣- وفى الحديث معرفة اختلاف الطرق، طرق أهل اليمين، وطرق أهل الشمال.
- ٤- تأويل الجبل بأنه الشهادة.
- ٥- وفيه علم من أعلام النبوة أن عبد الله بن سلام لا يموت شهيدا، فوقع كذلك ومات على فراشه رضى الله عنه وأرضاه.

والله أعلم

(٦٦٢) باب من فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه

٥٥٥٦ - ١٥١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥١)، أن عمرَ مرَّ بحسانَ وهو يُنشدُ الشَّعرَ في المسجدِ. فلحظَ إليه. فقال: قد كنتُ أنشدُ، وفيه من هو خيرٌ منك. ثمَّ التفتَ إلى أبي هريرة. فقال: أنشدك الله! أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «أجِبْ عَنِّي. اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟» قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

٥٥٥٧ - وفي رواية عن ابنِ المسيَّب، أن حسانَ قال، في حلقه فيهم أبو هريرة: أنشدك الله يا أبا هريرة! أسمعتَ رسولَ الله ﷺ. فذكرَ مثله.

٥٥٥٨ - ١٥٢ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (١٥٢)، أنه سمعَ حسانَ ابنَ ثابتٍ الأنصاريَّ يستشهدُ أبا هريرةَ أنشدك الله: هل سمعتَ النبي ﷺ يقولُ: «يا حسانُ أجِبْ عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ. اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

٥٥٥٩ - ١٥٣ عن البراء بن عازب رضي الله عنه (١٥٣) قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لحسانَ ابنِ ثابتٍ «اهجُّهم، أو هاجهم، وجيريلُ معك».

٥٥٦٠ - ١٥٤ عن أبيه (١٥٤)، أن حسانَ بنَ ثابتٍ كانَ ممَّنَ كثرَ على عائشةَ. فسببتُه. فقالت: يا ابنَ أخي! دعه. فإنه كانَ ينافحُ عن رسولِ الله ﷺ.

٥٥٦١ - ١٥٥ عن مسروق (١٥٥) قال: دخلتُ على عائشةَ وعندها حسانُ بنُ ثابتٍ ينشدها شعراً. يُشيبُ بأبياتٍ له. فقال:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزُنُّ بِرَبِيَّةٍ
وَتَصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

(١٥١) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو كُلُّهُمْ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ عَمْرُو حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ابْنَ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ (١٥٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١٥٣) حَدَّثَنَا عُمَيْرُ بْنُ مَعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

ابْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ. (١٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ

- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

(١٥٥) حَدَّثَنِي بَشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الصُّخِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ. قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذِينِ لَهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور/١١] فَقَالَتْ: فَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى؟ إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ. أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٥٥٦٢ - - وفي رواية عن شعبة^(١٥٦) في هذا الإسناد. وقال: قالت: كان يذُبُّ عن رسول الله ﷺ. ولم يذكر: حصان رزان.

٥٥٦٣ - ١٥٦ عن عائشة رضي الله عنها^(١٥٦) قالت: قال حسان: يا رسول الله! ائذن لي في أبي سفيان. قال: «كيف بقرابتي منه؟» قال: والذي أكرمك! لأسلنك منهم كما تسأل الشعرة من الخمير. فقال حسان:

وَإِنَّ سَنَامَ الْمُجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
بُنُو بِنْتِ مَحْزُومٍ. وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

فَصِيدَتْهُ هَذِهِ.

٥٥٦٤ - وفي رواية عن هشام بن عروة، بهذا الإسناد. قالت: استأذن حسان ابن ثابت النبي ﷺ في هجاء المشركين. ولم يذكر أبا سفيان. وقال بدل - الخمير - العجين.

٥٥٦٥ - ١٥٧ عن عائشة رضي الله عنها^(١٥٧)، أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قریشًا. فإنه أشدُّ عليها من رشق بالنبل». فأرسل إلى ابن راحة فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم يرض. فأرسل إلى كعب ابن مالك. ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بدنبيه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه. فقال: والذي بعثك بالحق! لا فرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل. فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسائها. وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله! قد لخص لي نسبك. والذي بعثك بالحق! لأسلنك منهم كما تسأل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح

(-) حدثناه ابن المنني حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة

(١٥٦) حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا يحيى بن زكرياء عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

- حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة حدثنا هشام بن عروة

(١٥٧) حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي حدثني خالد بن يزيد حدثني سعيد بن أبي هلال عن

عمارة ابن عروة عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة

الْقُدْسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ». وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«هَجَاهُمْ حَسَانٌ فَشَفَى وَاشْتَفَى». قَالَ حَسَانٌ:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا	رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي	لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
تَكَلْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُشِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَفِّي كَدَاءِ
يُبَارِسْنَ الْأَعْيَةَ مُصْعِدَاتِ	عَلَى أَكْنَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتِ	تَلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا	وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْعِطَاءُ
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ	يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا	يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا	هُمُ الْأَنْصَارُ عَرَضْتُمْهَا اللَّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ	سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ	وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءُ
وَجَبْرِيْلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا	وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

المعنى العام

حسان بن ثابت بن المنذر، الأنصاري، الخزرجي، النجاري، وأمه الفريجة بنت خالد بن حبيش، خزرجية أيضا. أدركت الإسلام، فأسلمت ويايعت، ويكنى حسان: أبا المضرب، وأبا الحسام، وأبا عبد الرحمن، فضل على الشعراء بثلاثة، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

قيل: إنه لم يغز مع النبي ﷺ لجبنه، وقصة جبنه مع صفية بنت عبد المطلب، وهي في حصنه، مشهورة.

قدم رسول الله ﷺ المدينة وعمر حسان ستون سنة، قيل: وعاش في الإسلام ستين سنة، ومات

وهو ابن مائة وعشرين سنة، توفى فى خلافة على رضي الله عنه، وقيل: توفى سنة خمسين أو أربع وخمسين.
رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(أن عمر مريحسان، وهو ينشد الشعر فى المسجد) أى المسجد النبوى فى المدينة،
وعمر آنذاك أمير المؤمنين.

(فلحظ إليه) أى نظر إليه بمؤخر عينه، من أحد جانبيه، يقال: لحظه بالعين، ولحظ إليه
لحظاً ولحظاناً، وكثيراً ما تستعمل هذه النظر فى مؤاخذة الملحوظ، كما فهم منها حسان، وفى رواية
« فقال عمر: أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تنشد الشعر؟ ».

(فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك) أى فقال حسان لعمر، رداً على لحظته: لم
تؤاخذنى؟ وقد أقرنى على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(ثم التفت إلى أبى هريرة) أى التفت حسان إلى أبى هريرة - وكان بجواره - يستشهد به.

(فقال: أنشدك الله. أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أجب عنى، اللهم أيده بروح
القدس؟ قال: اللهم نعم) وفى رواية « فسكت عمر ». و« أنشدك » بفتح الهمزة وضم الشين، أى
أسألك الله، والنشد بفتح النون وسكون الشين التذكر، يقال: نشد فلاناً قصده وسأله، ونشد فلاناً بكذا،
أى ذكره به واستعطفه، يقال: نشدتك الله، وبالله، ونشدتك الرحم، وبالرحم، والمراد بروح القدس هنا
جبريل، يدل عليه ما فى الرواية الثالثة « وجبريل معك ». والمراد بالإجابة الرد على الكفار الذين هجوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب
لحسان منبراً فى المسجد، فيقوم عليه، يهجو الكفار ».

(اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك) يقال: هجا فلاناً، يهجو، هجوا، وهجاء:
ذمه، وعدد معايبه، ويقال: هاجاه مهاجاة، إذا هجا كل منهما صاحبه. و« أو » للشك من
الراوى فى أية اللفظتين قيلت.

(عن هشام عن أبيه) عروة بن الزبير، ابن أخت عائشة.

(أن حسان بن ثابت كان ممن كثر على عائشة، فسببته) أى ذكر اسمه فى مجلس
عائشة، فسبه عروة، لأنه أكثر من نقل كلام الإفك عن عائشة، وقد صح عن عائشة أنها عدت العصابة
التي جاءت وأذاعت الإفك، فعدت عبد الله بن أبى بن سلول، وحمزة بنت جحش، أخت أم المؤمنين
زينب رضى الله عنها، وزوجة طلحة بن عبید الله، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت.

ومن الناس من برأ حسان، وهو خلاف ما فى الصحيح، وما تشير إليه الروايتان الرابعة

والخامسة، والظاهر أنه - رضى الله عنه - اعتذر عما نسب إليه في شأن عائشة في أبيات سنذكرها، فقبلت اعتذاره، وعطفت عليه بعد أن أصيب بالعمى.

(فقالت: يا بن أختي، دعه) أى دع سبه وشتمه.

(فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ) أى كان يدافع بشعره عن رسول الله ﷺ، وفى الرواية الخامسة « إنه كان ينافح أو يهاجى عن رسول الله ﷺ » وفى ملحقتها « كان يذب عن رسول الله ﷺ ».

(يشيب بأبيات له، فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة .: وتصبح غرثى من لحوم الغوافل)

« يشيب » يعنى يتغزل، يذكر محاسن النساء، وهو هنا يذكر محاسن عائشة رضى الله عنها، ويصفها بأنها « حصان » بفتح الحاء والصاد المخففة، أى محصنة عفيفة، « رزان » بفتح الراء والزاي، أى كاملة العقل، يقال: رجل رزين، و « ما تزن بريبة » أى ما تتهم بريبة، يقال: زنته وأزنته إذا ظننت به خيرا أو شرا، و « غرثى » بفتح الغين وسكون الراء وفتح الثاء، أى جائعة، ورجل غرثان، وامرأة غرثى، معناه لا تغتاب الناس، لأنها لو اغتابتهم شبعت من لحومهم.

والمعنى أن عائشة رضى الله عنها محصنة عاقلة، لا تتهم بريبة، ولا تأكل لحوم الناس بالغيبة.

فى الرواية الخامسة أنها قالت له، بعد سماعها هذا البيت: « لكنك لست كذلك ».

وبعد هذا البيت قال:

حليمة خير الناس دينا ومنصبا .: نبي الهدى نبي المكرمات الفواضل
عقيلة حى من لؤى بن غالب .: كرام المساعى، مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها .: وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتمو .: فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى .: لال رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم .: تقاصر عنه سورة المتناول
فإن الذى قد قيل ليس بلائط .: ولكنه قول امرئ بى ما حل

« قد طيب الله خيمها » أى قد طيب ريحها، « سورة المتناول » بفتح السين وسكون الواو، أى وثبة مدعى الطول، و « ليس بلائط » أى ليس بلاصق بى على الحقيقة، « بى ما حل » أى بى واش وساع بى إلى ندى السلطان.

(قال حسان: يا رسول الله، ائذن لي في أبي سفيان) المراد بأبي سفيان هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي ﷺ وكان يؤذى النبي ﷺ والمسلمين في ذلك الوقت، ثم أسلم وحسن إسلامه.

أى ائذن لي أن أهجوه وأذمه، وفي ملحق الرواية « استأذن حسان بن ثابت النبي ﷺ في هجاء المشركين » ولم يذكر أبا سفيان.

(قال: كيف بقرايتى منه؟) أى كيف لا يصيبنى الذم، وهو ابن عمى؟ إذا ذمته؟

(قال: والذي أكرمك لأسلنك منهم، كما تسل الشعرة من الخمير) المراد من الخمير العجين، وصرح به فى الرواية السابعة، لأنه يتخمر غالباً، ومعناه لأتلفن فى تخليص نسبك من هجوه، بحيث لا يبقى جزء من نسبك فى نسبهم الذى ناله الهجو، كما أن الشعرة، إذا سلت من العجين، لا يبقى منها شيء فيه، بخلاف ما لو سلت من شيء صلب، فإنها ربما انقطعت، فبقيت منها فيه بقية.

(فقال حسان:

وإن سنام المجد من آل هاشم .: بنوبنت مخزوم ووالدك العبد)

ولم يذكر مسلم البيت الثانى، وبه تتم الفائدة، وهو المراد المقصود، وهو:

ومن ولدت أبناء زهرة منهمو .: كرام، ولم يقرب عجائزك المجد

والمراد ببنت مخزوم فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم، أم عبد الله والزبير وأبى طالب، وقوله « ومن ولدت أبناء زهرة منهمو » مراده هالة بنت وهب بن عبد مناف، أم حمزة وصفية، وأما قوله « ووالدك العبد » فهو سب لأبى سفيان بن الحارث، ومعناه أن أم الحارث بن عبد المطلب والد أبى سفيان هذا، هى سمية بنت موهب، وموهب غلام لبنى عبد مناف، وكذا أم أبى سفيان بن الحارث، كانت كذلك، وهو مراده بقوله: « ولم يقرب عجائزك المجد ».

(قصيدته هذه) بالنصب، مفعول به لفعل محذوف، أى اقرأ، أو راجع قصيدته هذه.

(اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل) الخطاب للمسلمين، أو للشعراء المسلمين، وهو رفع للحظر، وإن بالهجاء، بعد أن اشتد هجاء المشركين للإسلام ورسول الله ﷺ وللمسلمين، فأراد محاربتهم بنفس سلاحهم، وكان الشعر مدحا أو هجاء يرفع القبيلة أو يخفضها، فكان أثره فى العرب بعامه أشد من الرمي بالسهم، و« الرشق » بفتح الراء هى الرمي، وأما الرشق بكسرها فهو اسم للنبل التى ترمى دفعة واحدة، وفى بعض النسخ « رشق النبل ».

(فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: اهجم، فهجاهم، فلم يرض) أى فلم يشف ما فى صدر النبي ﷺ وما فى صدر أصحابه من الغيظ.

(فأرسل إلى كعب بن مالك) فقال له: اهجهم، فهجاهم، فكان شأنه شأن ابن رواحة.
(ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه) أى على رسول الله ﷺ، وقد بلغه ما كان من ابن رواحة وكعب.

(قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبيه) يصف نفسه بالأسد بين الشعراء، قال العلماء: ومراد حسان من « ذنبه » لسانه، فشبهه نفسه بالأسد فى انتقامه وبطشه إذا اغتاض، وحينئذ يضرب بذنبيه جنبيه.

(ثم أدلج لسانه، فجعل يحركه) أى ثم أخرج لسانه عن الشفتين، يحركه يمناً ويسرة، كما يفعل الأسد بذنبيه، يقال: دلج لسانه، وأدلج لسانه، ودلج اللسان.

(فقال: والذى بعثك بالحق لأفرينهم فرى الأديم) أى لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد. سأسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين. قال: أنت غير عليم بالأنساب، فيخشى من ذم نسب أتصل به، ولكن عليك أولاً بأبى بكر.

(فإن أبابكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسباً، حتى يلخص لك نسبى) ويخلصه من أنساب تتناولها بالهجاء.

(قالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان، فشفى، واشتفى) أى فشفى صدرى وشفى صدور المؤمنين، وشفى نفسه، وأذهب غيظنا وغيظه.

(قال حسان:

هجوت محمداً، فأجبت عنه .: . وعند الله فى ذلك الجزاء)

يخاطب من هجا رسول الله ﷺ، ويتوعده بأنه سيجيب ويدافع عن رسول الله ﷺ، إجابة ودفاعاً لا يدافعه مدافع، لأن أجره عند أعظم مجان وأكرم معط.

(هجوت محمداً، براً، تقياً .: . رسول الله شيمته الوفاء)

وفى بعض النسخ « برا حنيفاً » والبر بفتح الباء واسع الخير، وهو مأخوذ من البر، بكسر الباء، وهو الاتساع فى الإحسان، وهو اسم جامع للخير، وقيل: البر هنا بمعنى المتنزه عن المآثم، وأما الحنيف فقيل: هو المستقيم، والأصح أنه المائل إلى الخير، وقيل: الحنيف التابع ملة إبراهيم عليه السلام وقوله « شيمته الوفاء » أى خلقه الوفاء، وكلها منصوبة على الحال.

(فإن أبى ووالده وعرضى .: . لعرض محمد منكم وقاء)

قال النووي: هذا مما احتج به ابن قتيبة لمذهبه، أن عرض الإنسان هو نفسه، لا أسلافه، لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف، وقال غيره: عرض الرجل أموره كلها، التى يحمد بها ويذم من نفسه، وأسلافه، وكل ما لحقه نقص بعبه، وأما قوله « وقاء » فبكسر الواو، وبالمد، وهو ما وقيت به الشىء.

(ثكلت بنيتي إن لم تروها .: .: تثير النقع من كنفى كداء)

« كنفها كداء » جانباً كداء، وهي ثنية على باب مكة، وفي بعض النسخ « غايتها كداء » وفي بعضها « موعدها كداء » يهدد قريشا والمشركين بمكة بأن خيل المسلمين ستثير الغبار في جبال مكة، فتغزوه. وتهاجمهم، ويزيد في وصف الخيل والفرسان، فيقول:

(يبارين الأعنة مصعدات .: .: على أكتافها الأسل الظماء

تظل جياتنا متمطرات .: .: تطلمنهن بالخمير النساء)

ويروى « يبارين الأعنة » وفي رواية « يبارين الأسنة » و« مصعدات » أى مقبلات إليكم ومتوجهات، دون تراجع « على أكتافها الأسل الظماء » أى فوق ظهورها الرماح العطشى إلى الدماء، وفي بعض الروايات « الأسد الظماء » أى الرجال المشبهون للأسد العطاش إلى دمائكم « تظل جياتنا متمطرات » أى تظل خيولنا مسرعات، يسبق بعضها بعضاً، كسيل المطر « تطلمنهن بالخمير النساء » أى تمسحنهن النساء بخميرهن، جمع خمير، أى يزلن عنهن الغبار بخميرهن، لعزتها وكرامتها عندهم، وحكى القاضي أنه روى « بالخمير » بفتح الميم، جمع خمرة، وهو صحيح المعنى، لكن الأول هو المعروف، وهو الأبلغ في إكرامها.

(فإن أعرضتموا عنا اعتمرتنا .: .: وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم .: .: يعز الله فيه من يشاء

وقال الله قد أرسلت عبداً .: .: يقول الحق ليس به خفاء

وقال الله قد يسرت جنداً .: .: هم الأنصار، عرضتها اللقاء

يلاقى كل يوم من معد .: .: سباب أو قتال أو هجاء

فمن يهجورسول الله منكم .: .: ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا .: .: وروح القدس ليس له كفاء)

« قد يسرت جنداً » أى هيأتهم، وأرصدتهم لقتال المشركين « عرضتها اللقاء » بضم العين، أى مقصودها ومطلوبها « ليس له كفاء » أى ليس له مماثل، ولا مقاوم.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة لحسان بن ثابت رضي الله عنه في دفاعه بشعره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من موقفه من الإفك نرى عائشة رضی الله عنها تغفر له هذا الموقف، وتقدر له هجاء المشركين، ومدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكرمه، وتذكره بخير، وتدافع عنه بل كانت تأذن له بالدخول، وتدعوه بالوسادة، وتقول: لا

تؤذوا حسانا، فإنه كان ينصر رسول الله ﷺ بلسانه، وتقول: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة. ولما قيل لها: تدعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل الله تعالى ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] قالت: وأى عذاب أشد من العمى، وفي رواية « أليس أصابه عذاب عظيم؟ أليس قد ذهب بصره، وكسع بالسيف»، تعنى ضربة السيف التي ضربه إياها صفوان، حين بلغه أنه يتكلم فى ذلك.

٢- وفى الحديث جواز هجو الكفار، ما لم يكن أمان، ولا غيبة فيه، فقد أمر صلى الله عليه وسلم بهجائهم، وطلبه من أصحابه، واحداً بعد واحد، وكان القصد النكاية فى الكفار، وقد أمر الله تعالى بالجهاد فى الكفار، والإغلاظ عليهم، وكان هذا الهجوم أشد عليهم من الرمى بالنبال، فكان مندوباً لذلك، مع ما فيه من كف أذاهم، وبيان نقصهم، والانتصار للمسلمين بهجائهم.

قال النووى: قال العلماء: ينبغى ألا يبدأ المسلمون المشركين بالسب والهجاء، مخافة من سيهم الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ولتنزيه السنة المسلمين عن الفحش، إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة لابتدائهم به، ككف أذاهم، كما فعل النبي ﷺ.

٣- قال النووى: وفيه جواز إنشاد الشعر فى المسجد، إذا كان مباحاً، واستحبابه إذا كان فى مدح الإسلام وأهله، أو فى هجاء الكفار، والتحريض على قتالهم، أو تحقيرهم ونحو ذلك.

وأما حديث « نهى رسول الله ﷺ عن تناشد الأشعار فى المساجد » فهو وإن رواه الترمذى وحسنه فيجمع بينه وبين حديثنا بأن يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين، والمأذون فيه ما سلم من ذلك، وقيل: المنهى عنه ما إذا كان التناشد غالباً على المسجد، حتى يتشاغل به من فيه. والله أعلم.

٤- وفيه استحباب الدعاء لمن قال شعراً من هذا النوع.

٥- وفيه جواز الانتصار من الكفار، ويجوز الانتصار أيضاً من غير الكفار بشروطه.

والله أعلم

(٦٦٣) باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه

٥٥٦٦ - ١٥٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٨) قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَابَسْتُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمَّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ! حَبِّبْ عِيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خَلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

٥٥٦٧ - ١٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٥٩) قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَاللَّهِ الْمَوْعِدُ. كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا. أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي. وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ. وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَيْتُ حَدِيثَهُ. ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ. فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

٥٥٦٨ - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، بِهِذَا الْحَدِيثِ. غَيْرَ أَنَّ مَالِكًا انْتَهَى

(١٥٨) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْيَمَامِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٥٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ

- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مَعْنُ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

حَدِيثُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَلَمْ يَذْكَرْ فِي حَدِيثِهِ الرَّوَايَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ يَسُطُ ثَوْبَهُ» إِلَى آخِرِهِ.

٥٥٦٩ - ١٦٠ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١٦٠) قَالَتْ: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ! جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي. يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. يُسْمِعُنِي ذَلِكَ. وَكُنْتُ أُسَبِّحُ. فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي. وَأَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

٥٥٧٠ - ٤٠٠ وَفِي رَوَايَةٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ (٤٠٠) قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ وَاللَّهِ الْمَوْعِدُ. وَيَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَسَأَخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرْضِيهِمْ. وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ. وَكُنْتُ أُلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي. فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا. وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: «أَيُّكُمْ يَسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ» فَبَسَطْتُ بُرْدَةَ عَلَيَّ. حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ. ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي. فَمَا نَسَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ وَلَوْلَا آيَاتُ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة/١٥٩، ١٦٠] إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ.

المعنى العام

أبو هريرة الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، قال النووي: اسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح من ثلاثين قولاً، وقال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً، مذكورة في الكنى للحاكم وفي الاستيعاب وفي تاريخ ابن عساکر. قال البخاري: روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره.

كان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجراً، وسكن الصفة، وصحب النبي ﷺ أربع سنين، وقيل ثلاث سنين، قيل: كان سنة يوم أسلم ثلاثين عاماً.

(١٦٠) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجَيْبِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الرَّبِيعِ حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ

(١٠٠) قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ يَقُولُونَ
- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الرَّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ

كان يبتدئ حديثه بقوله: قال رسول الله ﷺ الصادق المصدوق أبو القاسم: « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ».

استعمل عمر أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال، فمن أين لك؟ قال: خيل نتجت، وأعطية تتابعت، وخراج رفيق لى، فنظر، فوجدها كما قال، ثم دعاه ليستعمله، فأبى، فقال: لقد طلب العمل من كان خيرا منك، قال: إنه يوسف عليه السلام، نبى الله، وابن نبى الله، وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثا: أن أقول بغير علم، أو أقضى بغير حكم، ويضرب ظهري، ويشتم عرضي، وينزع مالى.

توفى بقصره بالعقيق، سنة ثمان وخمسين فحمل إلى المدينة، بعد أن عاش ثمانيا وسبعين سنة، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وكان أميراً يومئذ على المدينة، وكتب الوليد إلى معاوية يخبره بموته، فكتب إليه: انظر من ترك؟ فادفع إلى وراثته عشرة آلاف درهم، وأحسن جوارهم، فإنه كان ممن نصر عثمان يوم الدار. رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة) كان الأصل أن يقول: أمى، ولكنه آثر التجريد، ليطابق المدعوبه، فإنه لن يقول: اللهم اهد أمك.

(فلما جئت فصرت إلى الباب) أى فوصلت إلى باب بيتى.

(فإذا هو مجاف) أى مغلق، يقال: أجاف الباب إذا رده، وفى حديث الحج أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت، وأجاف الباب.

(فسمعت أمى خشف قدمى) بفتح الخاء وسكون الشين، أى صوت قدمى فى الأرض.

(فقالت: مكانك) ظرف لفعل محذوف، أى قف مكانك.

(وسمعت خضخضة الماء) أى صوت تحريكه وصبه.

(ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب) درع المرأة قميصها، وخمارها الثوب الذى تغطى به رأسها، وعجلت عن كذا إلى كذا، أى أسرع إلى كذا متجاوزا كذا، والمعنى أنها لبست القميص، وأسرعت إلى الباب تفتحه، تاركة خمارها.

(فما خلق مؤمن يسمع بى، ولا يرانى إلا أحنى) هذا فى اعتقاد أبى هريرة وعلمه، وما يحسه من الناس، وليس بلازم، فحب جميع المؤمنين غاية لا تدرك.

(إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ) الزعم مطية الكذب،

وتستعمل المادة - غالبا - فيما ليس له أصل. و « يكثر الحديث » أى يكثر ذكر الأحاديث والتحديث والرواية والخطاب فى « إنكم » لبعض الصحابة، أى إن بعض الصحابة يقولون... وفى الرواية الرابعة « يقولون: إن أبا هريرة قد أكثر » وفى ملحقتها « إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ » وفى رواية للبخارى « إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ».

(**والله الموعد**) بفتح الميم، وفيه حذف، تقديره: وعند الله الموعد، لأن الموعد إما مصدر، وإما ظرف زمان، أو ظرف مكان، وكل ذلك لا يخبر به عن الله تعالى، ومراده أن الله تعالى يحاسبني إن تعمدت كذبا، ويحاسب من ظن بى ظن سوء.

(**كنت رجلا مسكينا، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى**) أى ألزمه من أجل قوتى اليومي، ولا أجمع مالا أدخره، وليس المراد الخدمة بالأجرة، و « ملء » بكسر الميم، أى إن السبب الأولى الذى اقتضى له كثرة الحديث عن رسول الله ﷺ أمران، ملازمته له، ليجد ما يأكله، لأنه لم يكن له شيء يتجر فيه، ولا أرض يزرعها، ولا يعمل فيها، فكان لا ينقطع عنه، خشية أن يفوته القوت، فحصل له بهذه الملازمة كثرة سماعه الأقوال، ورؤيته الأفعال، مما لا يحصل لغيره، ممن لم يلزمه ملازمته، الأمر الثانى ما سيذكره من دعاء النبى ﷺ له، وفى رواية للبخارى « وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشعب بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون ».

(**وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم**) « يشغلهم » بفتح الياء، وحكى ضمها، والصفق فى الأسواق كناية عن التبائع، وكانوا يصفقون بالأيدى من المتبايعين، بعضها على بعض، والسوق مؤنثة، وقد تذكر، سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم، وفى الرواية الرابعة « ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك. إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ».

(**فقال رسول الله ﷺ: من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى، فبسطت ثوبى، حتى قضى حديثه، ثم ضمته إلى، فما نسيت شيئا مما سمعته منى**) هذا هو السبب الثانى، وفى الرواية الرابعة « ولقد قال رسول الله ﷺ يوما: أياكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثى هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئا سمعه، فبسطت بردة على، حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدرى، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا، حدثنى به ».

(**أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة؟**) الخطاب من عائشة لابن أختها، عروة بن الزبير، والمعنى: تعجب من أبى هريرة، فعند أبى داود « ألا أعجبك من أبى هريرة ».

(**جاء، فجلس إلى جنب حجرى، يحدث عن النبى ﷺ، يسمعى ذلك**) أى يسمعى أحاديث ليأخذ موافقتى على صحتها، أو ليمسح منى اعتراضا على بعضها.

(وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضى سبحتى) أى كنت أصلى نافلة الضحى.

(ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسرديكم) وكأن عائشة لم توافق أبا هريرة على سرعة تحديته، ومتابعة الحديث للحديث، والاستعجال فى رواية الحديث، وكانت لولحقتة لنصحته أن يروى ما يروى فصلا، فهما، تفهمه القلوب، ولولحقتة لأنكرت عليه الإسراع، وبينت له أن الترتيل فى التحديث أولى من السرد، وأن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كما يسرده أبو هريرة.

واعتذر بعضهم عن أبى هريرة بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث، من تزامم المعلومات.

(لولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه، ما حدثت شيئا أبداً) وفى رواية البخارى « ما حدثت حديثا » أى لولا أن الله ذم الكاتمين للعلم، ما حدث أصلا، لكن لما كان الكتمان حراماً، وجب الإظهار.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- استجابة دعاء الرسول ﷺ على الفور بعين المسئول، بخصوص هداية أم أبى هريرة.
- ٢- وهو من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.
- ٣- واستحباب حمد الله عند حصول النعم.
- ٤- فضيلة أبى هريرة.
- ٥- فضيلة حفظ العلم، قالوا: ولم يحدث أبو هريرة بجميع محفوظاته، ومع ذلك فالموجود من حديثه أكثر من الموجود من حديث غيره من المكثرين.
- ٦- أخذ من قوله فى الرواية الثانية « فما نسيت شيئا سمعته منه » ومن قوله فى الرواية الرابعة « فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به » أن أبا هريرة لم ينس شيئا من الأحاديث التى سمعها، وأن عدم النسيان عنده خاص بالحديث، فإن قيل: قد أخرج ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو ابن أمية، قال: تحدثت عند أبى هريرة بحديث، فأنكره، فقلت: إني سمعته منك؟ فقال: إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندي. فهذا يدل على وقوع نسيانه فى الحديث، ويحمل عدم النسيان على عدم نسيان تلك المقالة، يستأنس لذلك برواية شعيب « فما نسيت من مقالته تلك من شيء » مما يخص عدم النسيان بتلك المقالة، ويلتحق بهذا حديث أبى سلمة عنه « لا عدوى » فإنه قال فيه: إن أبا هريرة أنكره، قال: « فما رأيت نسي شيئا غيره ». قال الحافظ ابن حجر: سند حديث

ابن وهب ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فهو نادر، وسياق الكلام فى روايتنا يقتضى ترجيح العموم، لأن أبا هريرة نبه بذلك على كثرة محفوظه من الحديث، والثوق منها، فلا يصح حمله على تلك المقالة وحدها.

٧- وعدم نسيان أبى هريرة معجزة واضحة، من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر من النسيان، ثم تخلف عنه ببركة دعاء النبى ﷺ، وفى المستدرك للحاكم، من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: «كنت أنا وأبو هريرة وآخر، عند النبى ﷺ، فقال: ادعوا، فدعوت أنا وصاحبى، وأمن النبى ﷺ، ثم دعا أبو هريرة، فقال: اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحبى، وأسألك علما لا ينسى، فأمن النبى ﷺ، فقلنا: ونحن كذلك يا رسول الله. فقال: سبقكما الغلام الدوسى».

٨- وفى عمل أبى هريرة فضيلة التقليل من الدنيا، وأنه أمكن لحفظ العلم.

٩- وفى انشغال المهاجرين والأنصار، وتقريرهم على ذلك فضيلة التكسب لمن له عيال.

١٠- وفيه جواز تحديث الإنسان بما فيه من فضائل، إذا اضطر إلى ذلك، وأمن من الإعجاب.

١١- وفى الحديث دلالة على حرصهم على التوثيق بالرواية، لقولهم: «أكثر أبو هريرة».

١٢- وأن كثيرا من أكابر الصحابة كان يغيب عنه بعض ما يقوله النبى ﷺ أو يفعله من الأعمال التكليفية.

١٣- وفيه الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبى ﷺ وسننه منقولة.. عنه بالتواتر، وأنه لا يجوز العمل بما لم ينقل متواترا، وقد انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد.

والله أعلم

(٦٦٤) باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

٥٥٧١ - ١٦١ عن علي رضي الله عنه (١٦١) قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد. فقال: «أئتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب. فخذوه منها» فأنطلقنا تعادى بنا خيلنا. فإذا نحن بالمرأة. فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقيين الغياب. فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب! ما هذا؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله! إني كنت امرأاً ملصقاً في قريش (قال سفيان: كان خليفاً لهم ولم يكن من أنفسهم) وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي. ولم أفعله كُفراً ولا ارتداداً عن ديني. ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق» فقال عمر. دعني يا رسول الله! أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرًا. وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة/١] وليس في حديث أبي بكرٍ وزهيرٍ ذكر الآية. وجعلها إسحق في روايته، من تلاوة سفيان.

٥٥٧٢ - وفي رواية عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام. وكلنا فارس. فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ. فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلى المشركين» فذكر بمعنى حديث غنيد الله بن أبي رافع عن علي.

٥٥٧٣ - ١٦٢ عن جابر رضي الله عنه (١٦٢) أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبًا. فقال: يا رسول الله! لا تدخلن حاطب النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبت لا تدخلها. فإنه شهد بدرًا والحديبية».

(١٦١) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وزهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم وابن أبي عمير واللفظ لعمر بن الخطاب قال إسحق أخبرنا وقال الآخرون حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن الحسن بن محمد أخبرني غنيد الله بن أبي رافع وهو كاتب علي قال سمعت علياً وهو يقول
(١٦٢) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن زهير أخبرنا الليث عن أبي الزبير عن جابر

المعنى العام

حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي، حليف بنى أسد بن عبد العزى، وقيل: كان عبدا لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد، فكاتبه، فأدى مكاتبته، وقيل: كان رجلا من أهل اليمن، شهد بدرًا والحديبية، ومات سنة ثلاثين من الهجرة، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث حاطب بن أبى بلتعة فى سنة ست من الهجرة إلى المقوقس، صاحب مصر والإسكندرية، فأتاه من عنده بهدية، منها مارية القبطية وسيرين أختها، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية لنفسه، فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب سيرين لحسان ابن ثابت، فولدت له عبد الرحمن.

وبعث أبو بكر الصديق حاطب بن أبى بلتعة أيضا إلى المقوقس بمصر، فصالحهم، فلم يزالوا كذلك حتى دخلها عمرو بن العاص، وقتلهم، وافتتح مصر سنة إحدى وعشرين، فى خلافة عمر بن الخطاب، روى عن حاطب بن أبى بلتعة أنه قال: «بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، ملك الإسكندرية، فجئت به بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلنى فى منزله، وأقامت عنده ليالى، ثم بعث إلى، وقد جمع بطارفته، فقال: إنى سأكلمك بكلام، أحب أن تفهمه منى. قال: قلت: هلم. قال: أخبرنى عن صاحبك. أليس هو نبي؟ قال: قلت: بلى. هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فما له؟ حيث كان هكذا، لم يدع على قومه، حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى ابن مريم، أتشهد أنه رسول الله؟ قال: نعم. قال: فما باله؟ حيث أخذه قومه، فأرادوا صلبه، فماله لم يكن دعا عليهم بأن يهلكهم الله، حتى رفعه الله إليه فى سماء الدنيا؟ قال: أحسنت. أنت حكيم، جاء من عند حكيم. هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك من يبلغك إلى مأمك.»

رضى الله عنه وأرضاه.

المباحث العربية

(**بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزيير والمقداد**) وفى ملحق الرواية عن على رضي الله عنه «بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوى والزيير بن العوام، وكلنا فارس» قال العلماء: لا منافاة، بل بعث الأربعة، عليا والزيير والمقداد وأبا مرثد، فذكر بعض الرواة ما لم يذكره الآخر، بل لم يذكر ابن إسحاق مع على والزيير أحداً، وساق الخبر بالتثنية، قال: «فخرجنا حتى أدركاها، فاستنزلناها» ويحتمل سبق اثنين من الأربعة إليها.

(**فقال اتوا روضة خاخ**) قال النووى: هى بخاءين. هذا هو الصواب الذى قاله العلماء كافة فى جميع الطوائف وفى جميع الروايات، والكتب، ووقع فى البخارى من رواية أبى عوانة «حاج»

بالحاء والجيم، واتفق العلماء على أنه غلط، وإنما اشتبه على أبي عوانة بذات حاج، وهي موضع بين المدينة والشام، على طريق الحجيج، وأما روضة خاخ فبين مكة والمدينة، بقرب المدينة.

(فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها) فى ملحق الرواية « فقال: انطلقوا، حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب إلى المشركين ... » والمراد بالظعينة هنا المرأة وأصلها الراحلة أو الهودج، وذكر ابن إسحاق أن اسمها سارة، وذكر الواقدي أن اسمها كنود، وفى رواية أم سارة، وذكر الواقدي أن حاطبا جعل لها عشرة دنائير على ذلك، وقيل: دينارا واحدا، وهو أقرب، وقيل: إنها كانت مولاة العباس.

(فانطلقنا تعادى بنا خيلنا) بفتح التاء وحذف إحدى التاءين، والأصل تتعادى بنا خيلنا، أى تجرى بنا وتتبارى، وتتسابق، يقال: عدا يعدو عدوا، وتعادوا أى تباروا فى العدو.

(فإذا نحن بالمرأة) فى رواية للبخارى « فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، إذا نحن بالظعينة » أى فأنزلوها عن راحلتها، وفى رواية للبخارى « فأدركناها تسير على بعير لها، فأخذناها ».

(فقلنا: أخرجى الكتاب، فقالت: ما معى كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب) « لتخرجن » بالتاء وكسر الجيم، أمر لها مؤكد بالنون، أو « لتلقين » ضبطت بالتاء خطاب لها، قال الحافظ ابن حجر: والوجه حذف الياء، وضبطت، بالنون وكسر القاف وفتح الياء بعدها نون التوكيد على أنه للمتكلمين، وفى رواية للبخارى « فالتمسنا، فلم نركتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب، أو لنجردنك، فلما رأته الجدة، أهوت إلى حجرتها - وهى محتجزة بكساء - فأخرجته » والحجزة بضم الحاء وسكون الجيم معقد الإزار والسراويل.

(فأخرجته من عقاصها) بكسر العين، أى شعرها المضافون جمع عقصة، بكسر العين وسكون القاف، وهى الخصلة من الشعر معقوفة، والعقاص أيضا بكسر العين خيط تشد به أطراف الذوائب، وجمعه عقص بضم العين والقاف، وجمع بين إخراج الكتاب من عقاصها أو حجرتها، بأنها أخرجته أولا من حجرتها، فأخفته فى عقاصها، ثم اضطرت إلى إخراجها، أو بالعكس، أو بأن تكون عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حجرتها، فربطته فى عقيصتها، وغررته بحجرتها.

(فأتينا به رسول الله ﷺ) ظاهره أنهم رجعوا بالكتاب وتركوها، لكن فى رواية للبخارى فى باب فضل من شهد بدرا « فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ » فيحتمل أنهم أخذوها معهم، فأطلقها رسول الله ﷺ، فهى غير مذنبه إذ لم تكن مسلمة، أو كانت مسلمة ولم تعلم ما فى الكتاب.

(فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة) لم تذكر أسماء المرسل إليهم فى الصحيح، لكن روى الواقدي بسند له مرسل « أن حاطبا كتب إلى سهيل ابن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة: أن رسول الله ﷺ أذن فى الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يد ».

(يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ) هذا الأمر هو التهيؤ للغزو، ولم يكن يعلم الحقيقة علما، بل استنبط هو من قبله، فقد كان رسول الله ﷺ يخفى أمر الغزوة لأهميتها، حتى قال لعائشة: جهيزيني، ولا تعلمي بذلك أحدا، فدخل عليها أبو بكر، فأنكر بعض شأنها، فقال: ما هذا؟ قالت له. فقال: والله ما انقضت الهدنة بيننا، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فذكر له أنهم أول من غدر، ثم أمر بالطرق، فحبست، ليعمى على أهل مكة، لا يأتهم الخبر، فيستعدون ويجمعون الأحلاف.

وذكر بعض أهل المغازي أن لفظ الكتاب « أما بعد. يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لوجاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده. انظروا لأنفسكم. والسلام. ».

(فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟) معطوف على محذوف، ظهر في رواية للبخاري وهو « فأرسل إلى حاطب » فجاء، فقال له.... وفي رواية « ما حملك على هذا؟ » وفي رواية للبخاري « ما حملك على ما صنعت؟ ».

(قال: لا تعجل على يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقا في قريش) قال الراوي: « كان حليفا لهم، ولم يكن من أنفسها. ».

(وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون بها أهليهم، فأحببت - إذا فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا، يحمون بها قرابتي) وفي رواية للبخاري « أردت أن تكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته، من يدفع الله به عن أهله وماله » وفي رواية أخرى للبخاري « كنت امرأ من قريش، ولم أكن من أنفسهم » أي كنت منهم بالحلف، وحليف القوم منهم، وعند أحمد « كنت غريبا » قال السهيلي: كان حاطب حليفا لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى. وعند ابن إسحاق « وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه » يقال: كان له بمكة أولاده وإخوته وأمه.

(ولم أفعله كفرا، ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام) وفي رواية للبخاري « والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ. ».

(فقال النبي ﷺ: صدق) وفي رواية للبخاري « أنه قد صدقكم » بتخفيف الدال، أي قال الصدق، وفي رواية أخرى للبخاري « أما إنه قد صدقكم » وفي أخرى للبخاري أيضا « صدق، ولا تقولوا له إلا خيرا » وفي رواية « فصدقه النبي ﷺ. ».

(فقال عمر: دعني يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم) ما سبق من ذنوبكم، وسأعفر لكم ما يلحق منها.

وسياتى تفصيل لذلك فى فقه الحديث، وفى رواية للبخارى «اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة».

والروايات فى أكثر النسخ بصيغة الترجى «لعل» والترجى من الله واقع.

وإنما قال عمر ذلك، مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذره، لما كان عند عمر من القوة فى الدين، وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقا، لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولا أن لا ضرر فيه، وعند الطبرى «فقال: أليس قد شهد بدرا؟ قال: بلى، ولكنه نكث، وظاهر أعداءك عليك» وفى رواية للبخارى «فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعنى فلاضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم».

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾) [الممتحنة: ١].

(أن عبدا لحاطب، جاء رسول الله ﷺ، يشكو حاطباً) كان حاطب ﷺ شديدا على الرقيق، وفى الموطأ أن عمر ﷺ قال لحاطب - حين نحر رقيقه ناقة لرجل من مزينة - أراك تجيعهم، وأضعف عليه القيمة، على جهة الأدب والردع له.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- فضيلة عظيمة لأهل بدر، من قوله: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وقد اتفق العلماء على أن هذا الوعد الكريم يشمل كل ما سبق لهم من ذنوب قبل يوم بدر، والخلاف فيما يحصل منهم من ذنوب بعد بدر، هل تدخل فى هذا الوعد؟ فتقع منهم مغفورة؟ أو يلهمون بعدها التوبة فتغفر؟ أو لا تدخل؟ وشأنهم فى ذنوبهم اللاحقة لبدر شأن غيرهم؟ قولان:

الأول قال ابن الجوزى: ليس هذا على الاستقبال، وإنما هو على الماضى، لأنه لو كان للمستقبل كان جوابه: فسأغفر لكم، ولو كان كذلك لكان إطلاقا فى الذنوب - أى إذنا ودعوة للذنوب - ولا يصح. اهـ. ويؤيده اتفاق العلماء على أنهم لا يعفون من الحد، إذا وقع من أحدهم ما يوجب الحد، فلو كانت ذنوبهم مغفورة ما حدوا، فإقامة الحد دليل قيام الذنب، وعدم مغفرته.

الثانى: قول الجمهور، يقول القرطبى: «اعملوا» صيغة أمر، وهى موضوعة للاستقبال، ولم تضعها

العرب صيغة للماضى، لا بقريئة ولا بغيرها، لأنها بمعنى الإنشاء والابتداء، وقوله: «اعملوا ما شئتم» يحمل على طلب الفعل، ولا يصح أن يكون معنى الماضى، ولا يمكن أن يحمل على الإيجاب، فتعين الحمل على الإباحة، قال: وقد ظهر لى أن هذا الخطاب خطاب تشريف وإكرام، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة، غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، وقد ظهر أن الله صدق رسوله فى كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة، إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة، ولازم الطريق المثلى، ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «فقد غفرت لكم» أن ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب، وقد شهد مسطح بدرا، ووقع فى إفك عائشة، فكأن الله لكرامتهم عليه، بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم، ولو وقع منهم ما وقع. اهـ.

ويجيب الجمهور على شبهة الآخرين بأن التعبير بالماضى قد يكون على المستقبل مبالغة فى تحققه، كما فى قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] أى سيأتى أمر الله، فمعنى «غفرت لكم» أى سأغفر لكم، على أن الطبرى أخرجه بلفظ «فإنى غافر لكم» وفى مغازى ابن عائذ، من مرسل عروة «اعملوا ما شئتم فسأغفر لكم».

أما شبهة أن الأمر بقوله: «اعملوا ما شئتم» فيه إطلاق للذنوب، ولا يصح، فإنه معقول مع المكثرين من الذنوب، أما هؤلاء الصفاة الذين وهبوا حياتهم لله، فإن فتح باب المعصية لهم لا يدفع بهم إليها، بل فى ذلك ما يزيد امتناعهم وبعدهم عنها، وكلما قرب الله عبدا منه كلما ازداد خوفه وخشيته وتقواه، ورسول الله ﷺ، حين قيل له: إنك قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له. أفلا أكون عبدا شكورا؟».

أما أنهم لا يعفون من الحد إذا أتوا ما يوجب الحد، فهذا فى حكم الدنيا، وموطن النزاع هو المغفرة فى الآخرة، فلا تعارض.

يضاف إلى ذلك أنه لو كانت البشارة للماضى فقط لما حسن الاستدلال بالبشارة فى قصة حاطب لأنه صلى الله عليه وسلم خاطب به عمر، منكرًا عليه ما قال فى أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين، فدل هذا الاستدلال على أن المراد مغفرة ما سيأتى والله أعلم.

٢- وقد أثار هذا الحديث حكم الجاسوس، فقد استدل باستئذان عمر لقتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس، ولو كان مسلما وإن تاب، وهو قول بعض المالكية، ومن وافقهم، ووجه الدلالة أنه صلى الله عليه وسلم أقر عمر على إرادة القتل، لولا المانع، وبين أن المانع هو كون حاطب شهد بدرا، وهذا منتفى فى غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعا من قتله، لما علل بأخص منه، وقال بعض المالكية: يقتل، إلا أن يتوب، وقال مالك: يجتهد فيه الإمام، ومذهب الشافعى وطائفة أن الجاسوس المسلم يعز، ولا يجوز قتله.

- ٢- وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ في إخباره بالظعينة.
- ٤- وفيه هتك أستار الجواسيس، بقراءة كتبهم، سواء كان رجلاً أو امرأة.
- ٥- وفيه هتك ستر المفسدة، إذا كان فيه مصلحة، أو كان في الستر مفسدة، وتحمل الأحاديث الواردة في النذب إلى الستر على ما إذا لم يكن فيه مفسدة، ولا تفوت به مصلحة.
- ٦- وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر، لا يكفرون بذلك، وهذا التجسس كبيرة قطعاً، لأنه يتضمن إيذاء النبي ﷺ، وهو كبيرة ولا شك، لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾ [الأحزاب: ٥٧]
- ٧- وفيه أنه لا يحد العاصي، ولا يعذر إلا بإذن الإمام.
- ٨- وفيه إشارة لجلساء الإمام والحاكم بما يروونه، كما أشاره عمر بضرب عنق حاطب.
- ٩- وفي الرواية الثانية فضيلة أهل الحديدية، وسيأتي باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان في الباب التالي.
- ١٠- وفيها أن لفظة الكذب هي الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمداً كان أو سهواً، سواء كان الإخبار عن ماضٍ أو مستقبل، وخصته المعتزلة بالعمد، وهذا يرد عليهم، وقال بعض أهل اللغة: لا يستعمل الكذب إلا في الإخبار عن الماضي، بخلاف ما هو مستقبل، وهذا الحديث يرد عليهم.

والله أعلم

(٦٦٥) باب من فضائل أصحاب الشجرة،

أهل بيعة الرضوان، ﷺ

٥٥٧٤ - ١٦٣ عن أم مبشر رضي الله عنها^(١١٣)، أنها سمعت النبي ﷺ يقول، عند حفصة: «لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة، أحد. الذين بايعوا تحتها» قالت بلى. يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة «وإن منكم إلا واردها» [مريم/٧١] فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾» [مريم/٧٢].

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] هذه البيعة تسمى بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة، وقصتها أن النبي ﷺ في سنة ست من الهجرة رأى في المنام أنه والمسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين، مطلقين رءوسهم، ومقصرين، لا يخافون، فأخبر أصحابه، واستعدوا للعمرة، وفي مستهل ذي القعدة خرج في ألف وأربعمائة من المسلمين قاصدين العمرة ومعهم الهدى، حتى وصلوا إلى مشارف مكة عند الحديبية، وعندها صدهم المشركون، ومنعوه من دخول مكة، وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة، وحمله على جمل له، يقال له: الثعلب، يعلمهم أنه ما جاء لقتال، وأنه إنما جاء معتمرا، ثم يعود، فلما أتاهم وكلمهم عقروا جملة، وأرادوا قتله، ثم خلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا عمر لبيعته، فقال: يا رسول الله، إن القوم قد عرفوا عداوتى لهم، وغلظتى عليهم، وإنى لا آمن، وليس بمكة أحد من بنى عدى، يغضب لى إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وهم يحبونه، فيبلغ ما أردت، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فأرسله إلى قريش، وقال له: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام، وأمره صلى الله عليه وسلم أن يبشر رجلا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله تعالى سيظهر دينه بمكة قريبا، فذهب عثمان ﷺ إلى قريش، فأخبرهم، فقالوا له: إن شئت فطف بالبيت، وأما دخولكم علينا فلا سبيل له، فقال رضى الله عنه: ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسوه، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ونادى مناديه عليه الصلاة والسلام: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ،

(١٦٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مَبَشَرٍ

فأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوه، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على أن لا يفروا، وعلى الموت أو النصر، كانت هذه البيعة تحت شجرة، فأنزل الله تعالى فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ونزل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ولما علمت قريش بالبيعة خافوا، وأرسلوا عثمان رضي الله عنه، وكان بعد ذلك صلح الحديبية المشهور.

ولما كان الله قد وعد المؤمنين بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، ولما كان هؤلاء المبايعون قد باعوا أنفسهم كانت لهم الجنة، وكان قوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد، أى الذين بايعوا تحتها». رضى الله عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد) قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا، كما صرح به فى حديث حاطب السابق، وإنما قال: « إن شاء الله » للتبرك، لا للشك.

(قالت حفصة: بلى يارسول الله) قال أهل اللغة: « بلى » حرف جواب، وتختص بالنفى، وتفيد إبطاله، سواء كان مجردا. نحو ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى﴾ [التغابن: ٧] أو مقرونا بالاستفهام، حقيقيا، أو توبيخا، أو تقديريا.

فمعنى جواب حفصة، رضى الله عنها، هنا أن أصحاب الشجرة يدخلون النار، ولو تحله.. القسم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

(فانتهرها) لأن ظاهر جوابها أنها ترد الخبر، فأبانت أنها لا ترد الخبر، فإنهم لا يدخلونها، وإن وردوها، فبين ﷺ أن ورودهم ليس دخولا، وإنما هو قرب، ينجى عنده من ينجى، لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

فقه الحديث

- ١- فيه منقبة عظيمة لأصحاب شجرة الرضوان.
- ٢- وفيه جواز المناظرة والاعتراض على وجه الاسترشاد.
- ٣- وفيه أن ورود النار غير دخولها. قال النووي: والصحيح أن المراد بالورود فى الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون.

والله أعلم

(٦٦٦) باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضی الله عنهما

٥٥٧٥ - ١٦٤ عن أبي موسى رضي الله عنه (١٦٤) قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَمَعَهُ بِلَالٌ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ. فَقَالَ: أَلَا تُنْجِزُ لِي، يَا مُحَمَّدُ! مَا وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَبْشِرْ» فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ «أَبْشِرْ» فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ، كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ. فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى. فَأَقْبَلَا أَنْتَمَا» فَقَالَا: قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَدْحٍ فِيهِ مَاءٌ. فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ وَمَجَّ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَيَّ وَجُوهَكُمَا وَنُحُورَكُمَا. وَأَبْشِرَا» فَأَخَذَا الْقَدْحَ. فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَتَادَتْهُمَا أُمَّ سَلَمَةَ مِنْ وِرَاءِ السُّتْرِ: أَفْضِلَا لِأُمَّكُمَا مِمَّا فِي إِيَّاكُمَا. فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.

٥٥٧٦ - ١٦٥ عن أبي بريدة عن أبيه (١٦٥) قال: لَمَّا فَرَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ حُيَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ. فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ. فَقَتَلَ دُرَيْدًا وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعْنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ. قَالَ: فَرُمِي أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ. رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ. فَأَثَبَتْهُ فِي رُكْبَتِهِ. فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمُّ! مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى. فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ قَاتِلِي. تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي. قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقَصَدْتُ لَهُ فَأَعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ. فَلَمَّا رَأَانِي وَلَّى عَنِّي ذَاهِبًا. فَأَتَبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟ أَلَسْتُ عَرَبِيًّا؟ أَلَا تَنْتَبُتُ؟ فَكَفَّ. فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ. فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ صِرْبَتَيْنِ. فَضْرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ. قَالَ فَانزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَانزَعْتُهُ فَانزَا مِنْهُ الْمَاءَ: فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي! انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ. وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرُ لِي. قَالَ: وَاسْتَعْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ. وَمَكَّثَ يَسِيرًا ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم دَخَلْتُ عَلَيْهِ. وَهُوَ فِي بَيْتِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَنِيهِ. فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِنَا وَخَبْرِ أَبِي عَامِرٍ. وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ:

(١٦٤) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرَيْدَةَ

عَنْ أَبِي مُوسَى
(١٦٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَادٍ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ
عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ

يَسْتَغْفِرُ لِي. فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ. فَتَوَضَّأَ مِنْهُ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِعَبْدِي، أَبِي عَامِرٍ» حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنْ النَّاسِ» فَقُلْتُ: وَلِي. يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ ذَنْبُهُ. وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا». قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ. وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى.

٥٥٧٧ - ١٦٦ هـ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ (١٦٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ، بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ. وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرْ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ. وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ - أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ - قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا هُمْ».

٥٥٧٨ - ١٦٧ هـ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ (١٦٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

المعنى العام

أراد أبو موسى والأشعريون معه - وكانوا نحو خمسين رجلاً - أن يخرجوا من بلادهم باليمن إلى المدينة، فركبوا سفينة فألقتهم الريح إلى الحبشة، فاجتمعوا هناك بجعفر، ثم قدموا المدينة صحبتته.

وأبو موسى هو عبد الله بن قيس، مشهور باسمه وكنيته معا، وأمه طيبة بنت وهب. أسلمت وماتت بالمدينة، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة، والأهوان، ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، إلى أن مات عثمان، فعزله على عنها، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، ومات بالكوفة في داره بها، وقيل: إنه مات بمكة سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وهو ابن ثلاث وستين.

وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال فيه رسول الله ﷺ: «لقد أوتى أبو موسى مزماراً من

(١٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى
(١٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى

مزامير آل داود»، وهو الذى فقه أهل البصرى وأقرأهم، وكان عمر إذا رآه قال له: « ذكرنا بربنا يا أبا موسى»، وفى رواية « شوقنا إلى ربنا » فيقرأ عنده.

أما عمه أبو عامر فقد أسلم معه، وقدم المدينة معه، وقاد حملة أوطاس، واستشهد بها.

أما الأشعريون قبيلة أبى موسى وعمه فلهم فضائل كثيرة، وهم قبيلة من أهل اليمن، وقد قال رسول الله ﷺ فى وفدهم: « أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية». وقد ذكرت أحاديثنا نبذة من فضائلهم، رضى الله عنهم وأرضاهم.

وسياتى بعد باب مزيد عن أبى موسى والأشعريين.

المباحث العربية

(كنت عند النبى ﷺ وهونازل بالجرعانة) بكسر الجيم وكسر العين وتشديد الراء، وقد

تسكن العين، وهى بين الطائف ومكة، وإلى مكة أقرب، قيل: بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلا.

وكان نزوله صلى الله عليه وسلم الجرعانة مرتين. الأولى بعد أن نصره الله يوم حنين، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة أودع رسول الله ﷺ هذه الغنائم فى الجرعانة، ولم يقسمها، حتى يؤدب ثقيفا بالطائف، فلما حاصرهم، قفل راجعا إلى الجرعانة لقسمة الغنائم.

(فأتى رسول الله ﷺ رجل أعرابى، فقال: ألا تنجزلى يا محمد ما وعدتنى؟) لم

يقف العلماء على اسم الأعرابى، جريا على عادتهم فى الستر على المسيئين، والظاهر أن إتيان الأعرابى للرسول ﷺ كان بعد عودته من الطائف، وقد استبطأ حديثو العهد بالإسلام قسمة الغنيمة، ومنهم هذا الأعرابى، والظاهر أن الرسول ﷺ كان قد وعده شيئا من الغنيمة قبل أن يذهب إلى الطائف، فلما رجعوا تعجله وطلب إنجاز، ويحتمل أن يكون قد تعجل الوعد العام بقسمة الغنيمة، وقال: ألا تنجز ما وعدتنى بقسمة الغنيمة، وإعطائى نصيبى منها عقب العودة من الطائف.

(فقال له رسول الله ﷺ: أبشر) بفتح الهمزة وسكون الباء وكسر الشين، أى أبشر بقرب

إنجاز وعدك، أو بقرب القسمة، أو بالثواب الجزيل من الله على الصبر.

(فقال: قد أكثرت على من أبشر) « أبشر» هنا مقصود حكايتها فى محل جر بحرف « من »

أى قلت لى هذه الكلمة كثيرا، دون إنجاز، وربما كان الأعرابى قد ألح فى الطلب أثناء هذه المدة، وكان الجواب « أبشر» فقال: قد أكثرت على منها، والمعنى أنه لا يقبلها، ويريد العمل، لا البشرى.

والتعبير بالأعرابى لالتماس العذر فى خشونته وجفائه، ويعدده عن الأدب، وحسن التعبير.

(فأقبل رسول الله ﷺ على أبى موسى وبلال - كهيئة الغضبان - فقال: إن هذا قد

رد البشرى، فاقبلا أنتما) « أقبل الأولى معناها وجهه نحوهما، مجانباً الأعرابى، و« أقبلا»

أى تقبلا البشارة ووعد الخير وقوله - كهيئة الغضبان - لما رأوا على وجهه صلى الله عليه وسلم من أعراض انفعال الغضب، وعبر بالكاف لأن الغضب انفعال داخلي لا يجزم به لمجرد أعراضه.

(ثم دعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماء، فغسل يده ووجهه فيه، ومجه فيه، ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما، وأبشرا، فأخذا القدر، ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادتاهما أم سلمة، من وراء الستن: أفضلا لكم مما فى إنائكما، فأفضلا لها منه طائفة) « أم سلمة » زوج النبي ﷺ، أم المؤمنين، ولهذا قالت « لكم » وفضلة النبي ﷺ مقصود بها هنا البركة والتبرك، وكأنها عوض عن البشرى بالأموال الدنيوية، أو مضافة إليها.

(لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس) أى لما فرغ من حنين أمر بالغانم تجمع فى الجعرانة، وكانت هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة إلى بجيلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ عسكرا إلى من مضى إلى أوطاس، على رأسهم أبو عامر الأشعري، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف، و « أوطاس » واد قريب من وادى حنين.

(فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه) « الصمة » بكسر الصاد وتشديد الميم، من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، فالصمة لقب لأبيه، واسمه الحارث. قال الحافظ ابن حجر: وقوله: « فقتل » روينا على البناء للمجهول، واختلف فى قاتله، فقيل: ابن الدغنة، وقيل: الزبير بن العوام، وكان ابن الصمة فى ستمائة نفس على أكمة، وكان من الشعراء الفرسان المشهورين فى الجاهلية. ويقال: إنه يوم قتل كان ابن عشرين ومائة.

(قال أبو موسى: وبعثنى مع أبي عامر) أى إلى من التجأ إلى أوطاس، وقيل: بعثه كمدد لأبي عامر والأول هو المعتمد، فعند الطبرانى فى الأوسط « لما هزم المشركين يوم حنين، بعث رسول الله ﷺ على خيل الطلب أبا عامر الأشعري وأنا معه ».

(فرمى أبو عامر فى ركبته، رماه رجل من بنى جشم بسهم، فأثبتته فى ركبته) « جشم » بضم الجيم وفتح الشين، واختلف فى اسم هذا الجشمى، فقال ابن إسحاق: زعموا أن سلمة ابن دريد بن الصمة هو الذى رمى أبا عامر بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، وقال ابن هشام: إن الذى رمى أبا عامر أخوان من بنى جشم، وهما أوفى والعلاء ابنا الحارث، فأصاب أحدهما ركبته، وقتلها أبو موسى الأشعري، وذكر ابن إسحاق أن أبا عامر لقي يوم أوطاس عشرة من المشركين، إخوة، فقتلهم واحدا واحدا، حتى كان العاشر فحمل عليه، وهو يدعو إلى الإسلام وهو يقول: اللهم اشهد عليه فقال الرجل: اللهم لا تشهد على، فكف عنه أبو عامر ظنا منه أنه أسلم، فقتله العاشر ثم أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان النبي ﷺ يسميه: شهيد أبي عامر. وهذا يخالف ما فى الصحيح من أن أبا موسى قتل قاتل أبي عامر.

(قال أبو موسى: فانتهيت إليه، فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي

موسى، فقال: إن ذاك قاتلى. تراه ذلك الذى رمانى (أى أشار أبو عامر إلى شخص، وقال لأبى موسى: إنه هو هذا الذى رمانى. وأعتقد أنه هو الذى قتلنى. فقلوه « تراه » بفتح التاء. قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته، فلحقته) أى وكان يمشى الهوينى، غير خائف، لبعده عن الميدان.

(فلما رآنى ولى عنى ذاهباً) مفعول مطلق من معنى الفعل.

(فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحيى؟ أأست عربياً) والعربى غير جبان، لا يجرى؟.

(ألا تثبت) وتقاتل؟.

(فكف) عن الجرى، ووقف للقتال.

(فالتقيت أنا وهو) يضرب كل منا الآخر.

(فاختلطنا أنا وهو ضربتين فضربته بالسيف، فقتلته) هو ضربنى ضربة، وضربته ضربة، فقتلته.

(ثم رجعت إلى أبى عامر. فقلت: إن الله قد قتل صاحبك. قال. فانزع هذا السهم) من ركبتي، وكان السهم ثابتاً فيها، يسد السائل والدم.

(فنزعته، فنزا منه الماء) أى ظهر الدم السائل من الجرح، وجرى، ولم ينقطع.

(واستعملنى أبو عامر على الناس) أى أعطاه الراية، واستخلفه قائداً على العسكر، فنصره الله.

(فلما رجعت إلى النبى ﷺ دخلت عليه، وهو فى بيت على سرير مرمل، وعليه فراش، وقد أثر مال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبه) فى رواية « فلما رآنى رسول الله ﷺ معى اللواء، قال: يا أبا موسى، قتل أبو عامر؟ ».

السرير المرمل بضم الميم وفتح الراء، وفتح الميم الثانية مشددة، أى معمول بالرمال، وهو حبال الحصن التى تضفر بها الأسرة، وقوله « عليه فراش » أنكره بعضهم، وقال: الصواب « ما عليه فراش » فسقطت « ما » وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لا يلزم من كونه على غير فراش - كما فى قصة عمر - أن لا يكون على سريره دائماً فراش. اهـ. وفى هذا التعقيب نظر لأن من أنكر عبارة « عليه فراش » وصوبها بعبارة « ما عليه فراش » لم يقصد مشابهة هذه الحالة بحالة لقاء عمر ﷺ، فى قصة اعتزال الرسول ﷺ نساءه، وإنما قصد أن تأثير السرير المرمل فى الظهر والجنبين إنما يناسبه أن لا يكون بينه وبين الرمال فراش، إذ لو كان هناك فراش ما أثر غالباً، والهدف إظهار تأثير مال السرير، وعبارة « عليه فراش » تصبح مناقضة للمطلوب، والعبارة المناسبة « ما عليه فراش ».

(فأخبرته بخبرنا) أى بخبر الجيش والنصر.

(وخبر أبى عامر) من إصابته بالسهم، ووصيته عند موته.

(وقلت له: قال: قل له يستغفر لى)... اللهم اغفر لعبيد أبى عامر.

اختلف فى اسمه، فقيل: إن اسمه هانىء بن قيس، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عباد، وقيل: عبيد.
وهذا الحديث يرجح القول الأخير.

(حتى رأيت بياض إبطيه) من شدة رفع اليدين.

(اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس) أى فى المرتبة، وفى رواية « فى الأكثرين يوم القيامة ».

(إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن) الرفقة الجماعة المترافقون، والراء مثلثة، والأشهر ضمها، و « بالقرآن » يتعلق بأصوات.

(حين يدخلون بالليل) « يدخلون » بالدال والحاء، لجميع رواية البخارى ومسلم، وحكى عياض عن بعض رواية مسلم « يرحلون » بالراء والحاء، وصوبها الدمياطى فى البخارى، وهو عجيب منه، فإن الرواية بالدال والحاء، والمعنى صحيح، فلا معنى للتغيير، وقد نقل عياض عن بعض الناس اختيار الرواية التى بالراء والحاء، قال النووى: والرواية الأولى صحيحة أو أصح، والمراد يدخلون منازلهم عائدين من المسجد، أو من شغل آخر.

(ومنهم حكيم) قيل: هو صفة لرجل منهم، أى ومن الأشعريين رجل حكيم، وقيل: هو اسم على رجل من الأشعريين، أى ومن الأشعريين رجل اسمه حكيم.

(إذا لقى الخيل - أو قال: العدو - قال لهم: إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم) أى تنتظروهم من الانتظار، ومنه قوله تعالى ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣] ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو، بل يوا جههم، ويقول لهم - إذا أرادوا الانصراف مثلاً - انتظروا الفرسان حتى يأتوكم، ليثبتهم على القتال، فكأنه لا يتمنى انصراف العدو، بل يتمنى انتظاره ولقاءه، فهو يحرض العدو على الثبات والبقاء، لا على الانصراف، هذا على رواية « العدو » أما على رواية « الخيل » فيحتمل أن يراد به خيل العدو، فيكون المعنى كالسابق، ويحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالاً، فكان هو يأمر بالفرسان أن ينتظروا المشاة، ليسيروا إلى العدو جميعاً، قال الحافظ ابن حجر: وهذا أشبه بالصواب، قال ابن التين: معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال فى سبيل الله، ولا يبالون بما يصيبهم.

(إن الأشعريين إذا أرموا فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة) « إذا أرموا » أى فنى زادهم وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما قيل فى الرواية « ذا مترية » وقوله

« تربت يدك » وأصل الشركة فى الطعام تكون غالباً فى السفر، لكن قد تتفوق رفقة فيقيمونها فى الحضر بالمدينة.

(جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إثناء واحد بالسوية)
قال النووى: ليس المراد بهذا القسمة المعروفة فى كتب الفقه بشروطها، حتى تمنع فى الربويات، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضاً، ومواساتهم بالموجود.

(فهم منى، وأنا منهم) « من » هذه تسمى الاتصالية، أى هم متصلون بى، وأنا متصل بهم، أى هم فعلوا فعلى فى هذه المواساة، وأنا أفعل مثل ما يفعلون، وقال النووى: معناه المبالغة فى اتحاد طريقهما، واتفاقهما فى طاعة الله.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى سماحة النبى ﷺ ورأفته بالأعراب، وتقديره لغظتهم، حيث لم يعنف الأعرابى على سوء أدبه، واكتفى بالإعراض عنه، والتوجه لغيره، قال القاضى: لو صدر هذا من مسلم - أى غير معذور - كان ردة، لأن فيه تهمة للنبى ﷺ، واستخفافاً بصدق وعده، وإنما صدر ممن لم يتمكن الإسلام من قلبه، ممن كان يستألف من أشرف العرب، وجاء أنه من بنى تميم، وهم الذين نادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات، ونزل فيهم ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

٢- وفى الحديث فضيلة ظاهرة لأبى موسى وبلال وأم سلمة رضى الله عنهم.

٣- وفيه استحباب البشارة.

٤- واستحباب الازدحام فيما يتبرك به، وطلبه ممن هو معه، والمشاركة فيه.

٥- ومن الرواية الثانية فضيلة ظاهرة لأبى عامر الأشعري، وكفاءته للقيادة، ولم يكن مضى على إسلامه أكثر من عام.

٦- وطلب الدعاء من الصالحين.

٧- واستحباب الدعاء لمن طلبه، بما طلب.

٨- واستحباب التطهر لإرادة الدعاء.

٩- ورفع اليدين عند الدعاء، قال النووى: أما الحديث الذى رواه أنس، وأنه لم يرفع يديه، إلا فى ثلاث مواطن، فهو محمول على أنه لم يره، وإلا فقد ثبت الرفع فى مواطن كثيرة، فوق ثلاثين موطناً.

١٠- وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الزهادة فى الدنيا، والعيش الخشن، حتى إن سريره المصنوع من حبال الليف لم يكن عليه فراش، حتى إن الحبال تؤثر فى ظهره وجنبه.

- ١١- وفي الرواية الثالثة فضيلة ظاهرة للأشعريين، وجهرهم بالقرآن.
- ١٢- وفيها أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة، قال النووي: إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما، ولم يكن هناك رياء.
- ١٣- ومن الرواية الرابعة فضيلة أخرى للأشعريين.
- ١٤- وفضيلة الإيثار والمواساة.
- ١٥- وفضيلة خلط الأزواد في السفر.
- ١٦- وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر، ثم تقسم.
- ١٧- وبوب له البخارى بباب الشركة في الطعام والنهد - بكسر النون وبفتحها- وهو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة، قال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر أن أصله في السفر، وقد تتفق رفقة، فيضعونه في الحضر، كفعل الأشعريين. قال وهل يجوز قسمته مجازفة، أو لا بد من الكيل في المكيل، والوزن في الموزون؟. وعن الحسن: أخرجوا نهدكم، فإنه أعظم للبركة، وأحسن لأخلاقكم.
- ١٨- وفي تحديث أبي موسى بهذه الأحاديث جواز تحديث الرجل بمواهبه ومفاخره.

والله أعلم

(٦٦٧) باب من فضائل أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه

٥٥٧٩ - ١٦٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما ^(١٦٨) قال: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ. فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثٌ أُعْطِيَهُنَّ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، أَرْوَجُكَهَا. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَمَعَاوِيَةَ، تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَتُوْمُرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، مَا أُعْطَاهُ ذَلِكَ. لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: «نَعَمْ».

المعنى العام

أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مشهور باسمه، وكنيته، وكان يكنى أيضا أبا حنظلة، اسم ابن له قتله على يوم بدر كافرا، وأمه صفية بنت حرب الهلالية، عمه ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوجة رسول الله ﷺ، وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنينًا والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد والخندق، وتزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة، وكانت قد أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها الذي مات هناك.

كان أبو سفيان رجلا يحب الفخر، وفي فتح مكة قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، وفي يوم الطائف أصيبت عينه، فأصبح بعين واحدة، ويقال: إنه فقد عينه الثانية في غزوة اليرموك.

أعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بغير وأربعين أوقية، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم، وأعطى ابنه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: واللّه إنك لكريم، فذاك أبي وأمي، واللّه لقد حاربتك، فنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك، فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرا.

وتوفى بالمدينة سنة ثلاثين، وفي الصحيحين حديثه مع هرقل، يشهد للنبي ﷺ صادقا قبل أن يسلم.

رضى الله عنه وأرضاه.

(١٦٨) حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمَعْقَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا النَّضْرُ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْيَمَامِيِّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ

المباحث العربية

(كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان) أى لا ينظرون إليه نظرة رضا، أى بعد إسلامه، لما لا يس تاريخه فى الكفر من عداوة للإسلام ورسوله.

(ولا يقاعدونه) نفوراً من مجالسته، استصحاباً لماضيه.

(ثلاث أعطينهن) أى تكرم على بثلاث مكرمات.

(قال: نعم) أى سأتكرم عليك بما تطلب. فاسأل.

(عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجها. قال: نعم) كان

الأصل أن يقول: وأجملهم، لكن العرب يتكلمون بها مفرداً، قال النحويون: معناه: وأجمل من هناك.

قال النووي: اعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور، لا خلاف فيه، وكان النبي ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل، قال الجمهور: تزوجها سنة ست، وقيل: سنة سبع، قال القاضى عياض: واختلفوا أين تزوجها؟ فقيل: بالمدينة، بعد قدومها من الحبشة، وقال الجمهور: بأرض الحبشة، قال: واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك، فقيل: عثمان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص بإذنها، وقيل: النجاشى، لأنه كان أمير الموضع وسلطانها، قال القاضى: والذي فى مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جداً، وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة فى حال كفره مشهور.

وقال ابن حزم: هذا الحديث وهم من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهى بأرض الحبشة، وأبوها كافر، وفى رواية عن ابن حزم أيضاً أنه قال: هذا الحديث موضوع، قال: والأفة فيه عن عكرمة بن عمار الراوى عن أبى زميل، وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله تعالى - هذا على ابن حزم، وبإلغ فى الشناعة عليه، قال: وهذا القول من جسارته، فإنه كان هجوماً على تخطئة الأئمة الكبار، وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة، قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح، تطيباً لقلبه، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه، أن تزوج بنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب فى مثل هذا يقتضى تجديد العقد، وقد خفى أوضح من هذا على من هو أكبر مرتبة من أبى سفيان، ممن كثر علمه، وطالت صحبته. هذا كلام أبى عمرو - رحمه الله - وليس فى الحديث أن النبي ﷺ جدد العقد، ولا قال لأبى سفيان: أنه يحتاج إلى تجديده، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: نعم. أن مقصودك يحصل، وإن لم يكن بحقيقة عقد. اهـ.

والحق أن الدفاع عن الرواية ضعيف ويعيد عن المعقول، سواء فى ذلك توجيه أبى عمرو - رحمه الله - أو توجيه النووى رحمه الله، وتغليط الرواية أخف من تأويل ظاهر التمثل. والله أعلم.

(قال: ومعاوية، تجعله كاتباً بين يديك) للوحى وغيره، « قال: نعم ». وجعله فعلاً كاتباً له.

(وتؤمرنى) بضم التاء وفتح الهمزة وكسر الميم المشددة، أى تعيننى أميراً وقائداً لجيش المسلمين.

(كما كنت أقاتل المسلمين) أى كما كنت قائداً لجيش الشرك ضد المسلمين.

(لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال: نعم) أى لأن النبى ﷺ إنما أجاب أبى سفيان لطلبه لأن سجية رسول الله ﷺ نعم، لا يرد أحداً، فأجاب بذلك على سجيته، لا حبا، ولا تقديراً لأبى سفيان.

فقه الحديث

فيه فضيلة لأبى سفيان ﷺ.

وفيه كرم خلقه ﷺ، وعفوه عن آذاه، بل فيه تكريم من كان يؤذيه. صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم

(٦٦٨) باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما

٥٥٨٠ - ١٦٩ عن أبي موسى رضي الله عنه ^(١٦٩) قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن. فخرجنا مهاجرين إليه. أنا وأخوان لي. أنا أصغرهما. أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم - إما قال: بضعا وإما قال: ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي - قال: فركبنا سفينة. فآلفتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة. فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا. وأمرنا بالإقامة. فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا. قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر. فأسهم لنا، أو قال أعطانا منها. وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا. إلا لمن شهد معه. إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه. قسم لهم معهم. قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: نحن سبقناكم بالهجرة. قال: فدخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة. وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه. فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها. فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البخرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة. فحنن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغضبت. وقالت كلمة: كذبت. يا عمرا كلا. والله! كنتم مع رسول الله ﷺ تطعم جائعكم، ويعط جاهلكم. وكنا في دار، أو في أرض، البعداء البغضاء في الحبشة. وذلك في الله وفي رسوله. وإيم الله: لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ. ونحن كنا نؤذي ونخاف. وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله. والله! لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك. قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة. ولكم أنتم، أهل السفينة، هجرتان» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا. يسألوني عن هذا الحديث. ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ. قال أبو بردة: فقالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

(١٦٩) حدثنا عبد الله بن براء الأشعري ومحمد بن العلاء الهمداني قالا حدثنا أبو أسامة حدثني يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى

المعنى العام

جعفر بن أبى طالب، ابن عم النبى ﷺ، كان أشبه الناس خلقا وخلقاً برسول الله ﷺ، وكان أكبر من على أخيه بعشر سنين، وكان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أكبر من عقيل بعشر سنين. كان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية، وقدم منها على رسول الله ﷺ عقب انتصار خيبر، فتلقاه رسول الله ﷺ، واعتنقه، وقال: « ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحاً؟ بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر؟ » ثم غزا غزوة مؤتة قائدا لها، فى سنة ثمان من الهجرة، فقتل. قاتل حتى قطعت يداه، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله أبدله بيديه جناحان يطير بهما فى الجنة، حيث شاء » فمن هنا قيل له: جعفر ذو الجناحين، روى أنه وجد فى صدره تسعون جراحة، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، ولما بكى أهله عليه، قال صلى الله عليه وسلم: « على مثل جعفر فلتبك البواكى ».

أما أسماء بنت عميس بن معد - على وزن سعد - أسلمت قديما، قبل دخول دار الأرقم، وبايعت وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة، فولدت له هناك عبدالله ومحمدا وعونا، ثم هاجرت مع زوجها إلى المدينة، فلما استشهد جعفر فى غزوة مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق ﷺ يوم حنين، فولدت له محمدا، ثم مات عنها، فتزوجها على بن أبى طالب ﷺ، فولدت له يحيى بن على بن أبى طالب. رضى الله عنها.

المباحث العربية

(بلغنا مخرج رسول الله ﷺ، ونحن باليمن) أى خروجه من مكة إلى المدينة، أى هجرته ﷺ، وليس المراد: بلغنا مبعثه، إذ يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه الى مضى نحو عشرين سنة، ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة، فلا بد من زيادة: واستقراره فيها، وانتصافه ممن عاداه، ونحو ذلك، لأن هجرة أبى موسى المتحدث عنها كانت بعد اطمئنان المهاجرين فى إقامتهم بالمدينة. وبعد ست سنين من هجرته صلى الله عليه وسلم، ويبعد أيضا أن يخفى عنهم أحوال المؤمنين فى هذه المدة، وقوله « ونحن باليمن » أى فى ديارنا باليمن.

(فخرجنا مهاجرين إليه) الضمير لأبى موسى ومن خرج معه، وأبدل من هذا الضمير

(أنا وأخوان لى، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة، والآخر أبورهم) قال النووى: هكذا هو فى النسخ « أصغرهما » والوجه « أصغر منهما » وفى رواية للبخارى « أنا أصغرهم »، وأبو بردة اسمه عامر، وأبورهم بضم الراء وسكون الهاء، اسمه مجدى بفتح الميم وسكون الجيم، وقيل: اسمه محمد، وقيل: اسمه مجيلة، بكسر الجيم.

(إما قال: بضعا - وإما قال: ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلا من قومي)
شك الراوى فى خبر أبى موسى. هل قال: بضعاً وخمسين رجلا من قومي؟ أو قال: ثلاثة وخمسين؟ أو
قال: اثنين وخمسين؟ وفى رواية للبخارى «أنهم كانوا خمسين»، فلعل الزائد على ذلك هو وأخواه،
وأخرج البلاذرى أنهم كانوا أربعين رجلا، ويجمع بين الروايات بالحمل على الأصول مرة، وعلى
الأصول والأتباع أخرى.

(فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة) الحبشة واليمن متقابلان،
بينهما البحر الأحمر، وكانوا يقصدون بسفينتهم «ينبح» أو شاطئاً قريباً من المدينة، لكن الرياح
والعواصف ألجأت السفينة إلى ساحل الحبشة، على غير رغبة منهم.

(فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده) أى عند النجاشى، فشرحنا له
حالنا ومقصودنا.

(فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة) هنا، حتى يأذن لنا
بالهجرة إلى المدينة.

(فأقيموا معنا فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً) ذكر ابن إسحاق أن النبى ﷺ بعث عمرو
ابن أمية إلى النجاشى، يطلب منه أن يجهز إليه جعفر بن أبى طالب، ومن معه، فجهزهم، وأكرمهم،
وقدم بهم عمرو بن أمية. وذكر ابن إسحاق أسماء من قدم مع جعفر، وهم ستة عشر، منهم امرأة جعفر،
أسماء بنت عميس وخالد ابن سعيد بن العاص وامرأته، وأخوه عمرو بن سعيد، ومعيقب بن أبى
فاطمة.

(فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر) أى وصلوا بعد انتصار المسلمين فى خيبر،
وبعد حوز الغنائم، وقبل قسمتها.

(فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد، غاب عن فتح خيبر، منها شيئاً،
إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا، مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم) سيأتى
فى فقه الحديث بيان كون هذا الإعطاء من الغنيمة، أو من الخمس، بإذن الغانمين، أو بدون إذنه.

(قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة - نحن سبقناكم
بالهجرة) سُمى من الناس فى الرواية نفسها عمر بن الخطاب ﷺ، وفى رواية للبخارى «وكان أناس
من الناس».

(قال: فدخلت أسماء بنت عميس - وهى ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبى
ﷺ زائرة) لحفصة، أيام أن أكثر الناس من قولهم إننا تأخرنا فى الهجرة، وأنهم سبقونا بالفضل.

(وقد كانت هاجرت إلى النجاشي، فيمن هاجر إليه) الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكانوا يزيدون على ثمانين رجلا، سوى نسائهم وأبنائهم.

(فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر - حين رأى أسماء - من هذه؟)
أى قال لابنته، فيما بينه وبينها، وأسماء تسمع: من هذه؟.

(قالت: أسماء بنت عميس) وكان يعرفها، ويعرف بعض حياتها.

(قال عمر: الحبشية هذه؟) نسبها إلى الحبشة لسكانها فيهم، وفي رواية للبخارى « الحبشية هذه؟ » بهمزة الاستفهام.

(البحرية هذه؟) بهمزة الاستفهام أيضا عند البخارى، ونسبها إلى البحر، لركوبها إياه، وفي رواية « البحرية هذه؟ » بالتصغير، للتلميح.

(فقالت أسماء: نعم) تفخر بأنها هاجرت بدينها إلى الحبشة.

(فقال عمر: سبقناكم بالهجرة) إلى المدينة، فلنا فضل السبق. يرد على فخرها بفخر.

(فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم) أى فنحن أقرب من رسول الله ﷺ منكم دينا ومكانة فى الإسلام.

(فغضبت، وقالت كلمة) أى ظهر عليها الغضب والانفعال، والمراد من الكلمة الكلام الكثير الآتى فيما بعد، بداية من قولها:

(كذبت يا عمر. كلا والله) قال النووى: « كذبت » أى أخطأت، وقد استعملوا « كذب » بمعنى أخطأ أى أقسم بالله أنكم لستم أحق برسول الله ﷺ منا، وفي رواية « فقالت » أى لعمر لقد صدقت. كنتم مع رسول الله ﷺ .. » إلخ تقول ذلك على سبيل التهكم، وبدأت تعلق لماذا هى ومن كان معها أحق. فقالت:

(كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم) وكنا نجوع فى سبيل الله، ولانجد من يطعمنا.

(ويعظ جاهلكم) وكنا نتشوف لمعرفة ديننا، ونحتاج المواعظ والتشريعات، ونفتقدنا فى سبيل الله، وكنت متمتعين به، ونحن محرومون من المصدر الإلهي.

(وكنا فى دار - أو فى أرض - البعداء البغضاء فى الحبشة) « البعداء » بضم الباء وفتح العين جمع بعيد، و« البغضاء » بضم الباء وفتح الغين، جمع بغيض، وفي رواية « البعداء أو البغضاء » بأو، وفي رواية « البعد » بضم الباء والعين، وفي رواية « وكنا البعداء والطرءاء ».

(وذلك فى الله وفى رسوله) أى فى جميع ما تحملنا من مشاق ابتغاء وجه الله تعالى.

(وايم الله) الواو للاستئناف، و « ايم » بألف الوصل، وأصلها « ايمن » حذفت النون لغة، وأضيفت إلى لفظ الجلالة. وهو مرفوعة على الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير « ايمن الله قسمى » وليست جمع يمين، فذاك همزته همزة قطع.

(لا أطمع طعاما، ولا أشرب شرابا، حتى أنكر ما قلت لرسول الله ﷺ) المقصود بهذه الجملة حتمية تحقيق المقسم عليه، وسرعته.

(ونحن كنا نؤذي، ونخاف) بضم النون فيهما، مبنى للمجهول، ولم تقل: وأنتم كنتم في سلامة وأمن، لأنهم كانوا كذلك يؤذون ويخافون، وكأنها تقول: وشاركناكم الأذى والخوف، بعد أن زدنا عنكم الجوع والجهل والبعد عن مصدر السعادة والعلم.

(وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ، وأسأله) عن الحق، أهو في قولك؟ أو في قولي؟.

(والله لا أكذب، ولا أزيغ، ولا أزيد على ذلك) أى ووالله لن أكذب عليك وأدعى عليك خلاف ما قلت، ولن أحرف ما قلت، ولن أزيد شيئا على ما قلت.

(فلما جاء النبي ﷺ) الظاهر أنها ظلت مع حفصة حتى جاءها رسول الله ﷺ فى مروره على كل واحدة من نسائه كل يوم، حتى يصل إلى صاحبة الليلة، فيقيم عندها، أو صادفت زيارة أسماء ليلة حفصة.

(قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا) الظاهر أن عمر كان قد انصرف، ولم يحضر الشكوى، وفى رواية للبخارى « قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا ».

(قال: ليس بأحق بى منكم) لم يقل: كذب، صيانة للسانه من العيب، ونفى الأحقية يحتمل إثباتها لأسماء وأصحابها، أى أنتم أحق بى منهم، ويحتمل المساواة، أى وأنتم وهم فى أحقيتكم بى سواء، لكن ظاهر التعليل أن المراد الأول.

(له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أتم أهل السفينة هجرتان) « أهل » منصوب على الاختصاص، أو على النداء بحذف أدواته، ويجوز جره على البدل من الضمير، والمقصود من « أهل السفينة » ركابها الذين هاجروا من الحبشة إلى المدينة بواسطتها، زاد فى رواية « هاجرتم مرتين، هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلى » وعند ابن سعد « قالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن رجالا يفخرون علينا، ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين؟ فقال: بل لكم هجرتان، هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك ».

(قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة، يأتونى أرسالا، يسألونى عن هذا الحديث) قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون هذا من رواية أبى موسى عنها، فيكون من رواية

صحابى عن مثله، ويحتمل أن يكون من رواية أبى بردة عنها. ومعنى «أرسالا» بفتح الهمزة، أى أفواجًا، أى يجيئون إليها ناسًا بعد ناس، يستعيدون منها هذا الحديث، سرورًا به.

(ما من الدنيا شيء هم به أفرح، ولا أعظم فى أنفسهم، مما قال لهم رسول الله ﷺ)
أى هذا الحديث كان أعظم شيء فى نفوسهم، لم يعادله شيء يسرهم فى الدنيا.

فقه الحديث

قال ابن المنير: ظاهر الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قسم لهم من أصل الغنيمة، لا من الخمس، إذ لو كان من الخمس لم يكن لهم بذلك خصوصية، والحديث ناطق بها، إذ يجوز للإمام أن يجتهد، وينفذ اجتهاده فى الأخماس الأربعة، المختصة بالغانمين، فيقسم منها لمن لم يشهد الواقعة.

وقال ابن التين: يحتمل أن يكون أعطاهم من الغنيمة برضا بقية الجيش، قال النووى: وفى رواية البيهقى ما يؤيده، إذ فيها التصريح «بأن النبى ﷺ، كلم المسلمين، فشركوهم فى سهمانهم» وقال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون إنما أعطاهم من الخمس، وبهذا جزم أبو عبيد فى كتاب الأموال. ثم قال الحافظ: وأما قول ابن المنير: لو كان من الخمس لم يكن هناك تخصيص فظاهر، لكن يحتمل أن يكون من الخمس، وخصهم بذلك، دون غيرهم، ممن كان من شأنه أن يعطى من الخمس، ويحتمل أن يكون أعطاهم من جميع الغنيمة، لكونهم وصلوا قبل قسمة الغنيمة، وبعد حوزها، وهو أحد القولين للشافعى، وهذا الاحتمال يترجح بقوله «أسهم لنا» لأن الذى يعطى من الخمس، لا يقال فى حقه «أسهم له» إلا تجوزًا، ولأن سياق الكلام يقتضى الافتخار، ويستدعى الاختصاص بما لم يقع لغيرهم. والله أعلم.

وفى الحديث مناقب جعفر بن أبى طالب وأسماء بنت عميس وأصحاب هجرة الحبشة وأصحاب السفينة.

وفى الحديث قوة المرأة العربية فى ردها على من ينال منها.

والله أعلم

(٦٦٩) باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب رضي الله عنهم

٥٥٨١ - ١٧٠ عن عائِدِ بْنِ عَمْرٍو^(١٧٠)، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلِيَّ سَلْمَانَ وَصُهَيْبَ وَبِلَالَ فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَاخِذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ. لَيْسَ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي.

المعنى العام

سلمان الفارسي رضي الله عنه، أبو عبد الله، يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ، كان ابن ملك من ملوك فارس، وكان من هرمز، وقيل: كان أصله من أصبهان، وكان من صغره يطلب دين الله، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر في ذلك على مشقات، وخرج من بلاده يطلب الدين الحق ويسأل عنه، انتقل من عابد إلى عابد، حتى وصل المدينة، وأخذ رقيقا، وانتقل من سيد إلى سيد، حتى تداوله بضعة عشر سيديا، واشتراه صلى الله عليه وسلم وأعتقه، وكان ولاؤه لأهل بيت النبي ﷺ، وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وكان زاهدا، له عباءة، يفترش بعضها، ويلبس بعضها، وكان يعمل الخوص بيده، فيبيعه، فيعيش منه، ولا يقبل من أحد شيئا، وكان عطاؤه في زمن عمر خمسة آلاف، فكان إذا خرج عطاؤه تصدق به كله، وأكل من عمل يده، عمل الخوص الذي تعلمه عن بعض مواليه بالمدينة، وأول مشاهده الخندق، وهو الذي أشار بحفره، وقيل: إنه شهد بدرا وأحدا، إلا أنه كان عبدا يومئذ وكانوا يشبهونه بلقمان، علما وحكمة، ويعرف بسلمان الخير، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بنى آدم، وقال النبي ﷺ: «أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم، علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان». توفي بالمداين في خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين. رضى الله عنه وأرضاه.

أما بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله ﷺ، كان عبدا، فأسلم، يقال: كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمان وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، كان المشركون - وعلى رأسهم أمية بن خلف، يخرجونه، إذا حميت الظهيرة، فيطرحونه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمرهم بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقولون: لا يزال هذا بك حتى تموت أو تكفر بمحمد، فلا يزيد على قوله: أحد. أحد. وكانوا يعطونه للولدان يطوفون به في شعاب مكة والسلسلة في رقبتة،

(١٧٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ عَائِلِ بْنِ عَمْرٍو

فاشتراه أبو بكر بسبع أواق، وأعتقه، ثم كان مؤذن رسول الله ﷺ، وخازن بيت المال وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، ولما مات رسول الله ﷺ كان مؤذن أبي بكر وخازن بيت ماله، لكنه استأذنه في أن يخرج للجهاد، وروى لأبي بكر حديث رسول الله ﷺ، وأنه قال له: «يا بلال، ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله»، فقال أبو بكر: بل تكون عندي، فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله عز وجل، فذرني أذهب إلى الله عز وجل، فقال: اذهب، فذهب إلى الشام، وطلبه عمر أن يؤذن له، فاعتذر، فقال له: ما يمنعك أن تؤذن لي؟ قال: إني أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، وأذنت لأبي بكر لأنه ولي نعمتي، وأريد الجهاد في سبيل الله، فتركه، وبقي في الشام حتى مات بها في طاعون عمواس سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بحلب.

وأما صهيب بن سنان: من العرب، من النمر بن قاسط، كان أبوه سنان بن مالك عاملاً لكسرى على الأيلة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، في قرية على شط الفرات، فأغارت الروم على تلك الناحية، فسبت صهيباً، وهو غلام صغير، فنشأ صهيب بالروم، فصار ألكن، فاشترته منهم قبيلة كلب، ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان، فأعتقه، فأقام معه بمكة، حتى هلك عبد الله بن جدعان، وبعث النبي ﷺ، فأسلم هو وعمار في يوم واحد، بعد بضعة وثلاثين رجلاً، يروى عن عمار بن ياسر أنه قال: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول الله ﷺ فيها، فقلت له، ما تريد؟ فقال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت الدخول إلى محمد ﷺ، فأسمع كلامه، قال: فأنا أريد ذلك، قال: فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، ثم مكثنا يوماً، حتى أمسينا، ثم خرجنا مستخفين، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لحقه صهيب، فتبعه نفر من قريش: ليردوه فقال: يا معشر قريش إني من أركم، ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، قالوا: لا تفجعنا بنفسك ومالك. قال: إن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، فرضوا، وتعاهدوا، فدلهم، فرجعوا، فأخذوا ماله، فلما جاء إلى النبي ﷺ، وهو ما زال بقباء، أخبره الخبر، فقال له النبي ﷺ: «ريح البيع أبا يحيى»، فأصبح يكنى أبا يحيى، وأنزل الله تعالى في أمره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وقال ﷺ: «صهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة».

وروى عن صهيب أنه قال: «لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبائع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط، حتى توفي».

وكان عمر ﷺ يحبه، ويداعبه، ولما مات عمر أوصى أن يصلى عليه صهيب، وأن يصلى بالناس، حتى يجتمع الناس على إمام بعده، ومات صهيب بالمدينة، ودفن بالبقيع، في شوال سنة ثمان وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة على المشهور.

المباحث العربية

(أن أبا سفيان) صخرين حرب .

(أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر) أى مريهم، وهم جلوس فى مجلس، وكان هذا المرور، وهو كافر، فقد زار المدينة، وزار ابنته أم حبيبة زوجة الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية، أثناء الهدنة.

(فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها) أسلوب يفيد التحسر على أن سيوف حزب الله لم تقتل هذا الكافر، ولم تنل منه فى الحروب السابقة بين المسلمين والمشركين، ويحمل التمنى أن تنال هذه السيوف من هذا العدو فى المستقبل.

(فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟) الظاهر أن أبا بكر كان جالسا معهم، وإن لم يذكر فى الجالسين، والاستفهام إنكارى توبيخى، أى لا ينبغى أن تقولوا هذا، ووصفه بأوصاف السيادة استنكارا لتمنيهم القتل له، والمؤمن يسأل الله العافية والهداية أولى من أن يسأل للعدو القتل.

(فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم) وزدت فى الإنكار على هذا القول. أمل أن لا تكون فعلت ذلك.

(لأن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) لأنهم لم يقولوا نكرا ولا هجرا، بل هى منهم كلمة حق وصدق، وفيها تحمس للإسلام وعز أهله، وكبت أعدائه وقد دعا رسول الله ﷺ على صنابير قريش.

(فأتاهم أبو بكر) ليتأكد منهم أنه لم يغضبهم، وليستسمحهم إن كانوا قد غضبوا، ولا يلزم من إتيانه إياهم أن يكونوا كما كانوا فى مجلسهم، فقد يأتهم واحدا واحدا، ويسأله، ويجيب، لكن ظاهر سؤاله وجوابهم أنهم كانوا مجتمعين، فى جلستهم، أو فى جلسة أخرى.

(يا إخوتاه) لغة فى: يا إخوتى، قال ابن مالك

واجعل منادى صح إن يضيف ليا . كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

وناداهم بهذا النداء الرقيق استعطافا لهم أن يتسامحوا.

(أغضبتكم؟) بقولى لكم: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟.

(قالوا: لا. يغفر الله لك) البلاغة لا تستحسن هذا الأسلوب، لأن صورته صورة نفى الدعاء، حيث لا فاصل بين « لا » وبين الدعاء، وإن كانت « لا » هنا نفى لجملة سابقة، أى لا. لم تغضبنا،

والمستحسن عندهم عدم ذكر «لا» أو ذكر جملتها: لم تغضبنا، أو ذكروا الاستئذان بينها وبين الدعاء، فيقال: لا . ويغفر الله لك، وتسمى واوات الأصداع على حدود الملاح، أى هذه الواو فى حسنها تشبه ما عمله الجميلات من لى شعيرات على الخد تشبه الواو لإبراز جمالهن.

(يا أخی) كان المناسب أن يقولوا: يا أخانا، لأنهم جمع، لكن روعى أن كل واحد منهم قال هذا القول على الاستقلال.

قال النووى: « يا أخی » ضبطوه بضم الهمزة على التصغير، وهو تصغير تحبيب وترقيق وملاطفة، وفى بعض النسخ بفتح الهمزة.

فقه الحديث

- ١- فى الحديث فضيلة ظاهرة لسلمان وصهيب وبلال ورفقتهم هؤلاء.
 - ٢- وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين، وإكرامهم، وملاطفتهم.
 - ٣- وفيه رقة قلب أبى بكر، وحرصه على دوام المودة بينه وبين جميع المسلمين.
 - ٤- وفيه التلطف فى النداء، واستخدام لفظ « يا أخی » و« يا إختى » تمهيدا للطلب.
 - ٥- وفيه الصفح والتسامح، والرد بالدعاء بالخير.
- وقد أخرج البخارى فى مناقب بلال بن رباح قول النبى ﷺ لبلال: « سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة ». وكان عمر يقول: أبوبكر سيدنا، وأعتق سيدنا - يعنى بلالا.
- وقد قدمت فى المعنى العام من فضائل سلمان وصهيب وبلال ما يعنى عن الإعادة.

والله أعلم

(٦٧٠) باب من فضائل الأنصار ﷺ

٥٥٨٢ - ١٧١ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(١٧١) قال: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ [آل عمران/١٢٢] بنو سلمة وبنو حارثة. وما نحبُّ أنها لم تنزل لقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

٥٥٨٣ - ١٧٢ عن زيد بن أرقم^(١٧٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

٥٥٨٤ - ١٧٣ عن أنس^(١٧٣) أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار. قال: وأحسبه قال: «وَلِدْرَارِي الْأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ» لا أشك فيه.

٥٥٨٥ - ١٧٤ عن أنس^(١٧٤)، أن النبي ﷺ رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس. فقام نبي الله ﷺ ممثلا. فقال: «اللَّهُمَّ! أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. اللَّهُمَّ! أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» يعنى الأنصار.

٥٥٨٦ - ١٧٥ عن أنس بن مالك^(١٧٥) قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ. قال: فخلا بها رسول الله ﷺ. وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» ثلاث مرّات.

(١٧١) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَلَدِ وَاللَّفْظُ لِإِسْحَقَ قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١٧٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَنَادَةَ عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ

- وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

(١٧٣) حَدَّثَنِي أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَارٍ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُ

(١٧٤) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ

(١٧٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ

- وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

٥٥٨٧ - ١٧٦ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (١٧٦)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي. وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْفُرُونَ وَيَقْلُونَ. فَاَقْبَلُوا مِنِّمْ مُحْسِنِيْمْ، وَاعْفُوا عَنِّمْ مُسِيئِيْمْ».

٥٥٨٨ - ١٧٧ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه (١٧٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ. وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَقَالَ سَعْدٌ: مَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا. فَقِيلَ: قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ.

٥٥٨٩ - ١٧٨ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ رضي الله عنه (١٧٨) حَاطِيًا عِنْدَ ابْنِ عُتْبَةَ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، وَدَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَدَارُ بَنِي سَاعِدَةَ» وَاللَّهِ! لَوْ كُنْتُ مُؤْتِرًا بِهَآ أَحَدًا لَأُتِرْتُ بِهَآ عَشِيرَتِي.

٥٥٩٠ - ١٧٩ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ (١٧٩) يَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ. وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ» قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَتَيْتُهُمْ أَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَبَدَأْتُ بِقَوْمِي، بَنِي سَاعِدَةَ. وَبَلَغَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ. وَقَالَ: خُلِفْنَا فَكُنَّا آخِرَ الْأَرْبَعِ. أَسْرَجُوا لِي حِمَارِي آتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وَكَلَّمَهُ ابْنُ أُخِيهِ، سَهْلٌ، فَقَالَ: أَتَدْهَبُ لِتَرُدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمُ. أَوْ لَيْسَ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعٍ. فَرَجَعَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. وَأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَحُلَّ عَنْهُ.

(١٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَنَادَةَ

يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (١٧٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَنَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَنَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

نَحْوَهُ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمَيْحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ - وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ أَبِي عَمْرٍَا قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ كُلُّهُمْ

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَذْكَرُ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَ سَعْدٍ (١٧٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِي وَاللَّفْظُ لِابْنِ عَبْدِ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

حُمَيْدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ (١٧٩) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ قَالَ شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ لَسَمِعَ أَبَا أُسَيْدٍ

الْأَنْصَارِيَّ يَشْهَدُ

٥٥٩١- وفي رواية عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه ^(١٨٠) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول خير الأنصار، أو خير دور الأنصار» بمثل حديثهم. في ذكر الدور. ولم يذكر قصة سعد بن عبادة رضي الله عنه.

٥٥٩٢- ١٨٠: عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٨٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في مجلس عظيم من المسلمين: «أحدتكم بخير دور الأنصار؟» قالوا: نعم: يا رسول الله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بنو عبد الأشهل» قالوا: ثم من؟ يا رسول الله! قال: «ثم بنو النجار» قالوا: ثم من؟ يا رسول الله! قال: «ثم بنو الحارث بن الخزرج» قالوا: ثم من؟ يا رسول الله! قال: «ثم بنو ساعدة» قالوا: ثم من؟ يا رسول الله! قال: «ثم في كل دور الأنصار خير». فقام سعد ابن عبادة مغضباً. فقال: أنحن أخرج الأربعة؟ حين سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارهم. فأراد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له رجال من قومه: اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم داركم في الأربع الدور التي سمى. فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥٥٩٣- ١٨١: عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١٨١) قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر. فكان يخدمني. فقلت له: لا تفعل. فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، آليت أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته. زاد ابن المنى وابن بشار في حديثهما: وكان جرير أكبر من أنس. وقال ابن بشار: أسن من أنس.

المعنى العام

الأنصار اسم للأوس والخزرج من أهل المدينة ومواليهم وحلفائهم، سماهم بهذا اللقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم آووه ونصروه، وهم «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ (المدينة) وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» [الحشر: ٩].

(-) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَحْرِ حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَادٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا أُسَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ حَدَّثَهُ

(١٨٠) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا حَدَّثَنَا يَغْفُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحِ بْنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ مَسْعُودٍ سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ
(١٨١) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُرْعَرَةَ وَاللَّفْظُ لِلْجَهْضِيِّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ عُرْعَرَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

لقد كانوا قبل الإسلام فى فرقة وحروب، وأخر حروبهم قبل قدوم النبى ﷺ إلى مدينتهم بخمس سنين، فيما عرف بيوم بعات، وكانت معارك ضارية، قتل فيها رؤساء كل من الفريقين وعدد كبير جدا من أشرفهم. فلما هدهم الله بالإسلام صاروا أحبة كالجسد الواحد، بل صاروا يؤثرون غيرهم على أنفسهم، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد ساق الإمام مسلم مجموعة من الأحاديث فى مناقبهم وفضائلهم، سنعرض لها بالشرح، وساق الإمام البخارى مجموعة أخرى نظمها إلى مجموعة مسلم، لتكتمل صورة الفضائل، أو لنقدم طائفة أكبر منها.

١- أخرج البخارى موقف الأنصار من المهاجرين، وأنهم نزلوا لهم عن نصف أموالهم، قال: «لما قدم المسلمون المدينة آخى النبى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالا، سأقسم مالى بينى وبينك شطرين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لى، فأطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو» أى حتى صار من الأغنياء.

٢- وعن أنس بن مالك ؓ قال: «دعا النبى ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها، قال: إما لا، فاصبروا حتى تلقونى وموعدهم الحوض، فإنكم ستلقون بعدى أثره».

٣- وكانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا .: على الجهاد ما حيينا أبدا

٤- وأخرج قصة رجل من الأنصار انطلق بضيف إلى امرأته، فقال لها: أكرمى ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى، فقال: هئنى طعامك، وأصبحى سراجك، ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء، وجعل يريان الضيف أنهما يأكلان فى الظلام، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال له: ضحك الله الليلة من فعالكما».

٥- وأخرج قصة توزيع غنائم حنين، وموقف الأنصار، وقول رسول الله ﷺ لهم: «لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا - وفى رواية «لو شئتم لقلتم، فصدقتم وصدقتم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخدولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فواسيناك. قالوا: المنة علينا لله ورسوله، فقال: ألا ترضون أن يرجع الناس بالثأب والبغير، وتذهبون بالنبى ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا، لسلكت وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس دثار قالوا: يا رسول الله. قد رضينا».

٦- وقال النبى ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

٧- وقال صلى الله عليه وسلم: « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله ». رضى الله عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾) هذه الآية (١٢٢) من سورة آل عمران، والطائفتان هم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحى العسكريوم أحد، ومعنى ﴿تَفْشَلَا﴾ تجبنا، والفشل فى الرأى العجز، وفى البدن الإعياء، وفى الحرب الجبن، وهمهم بالفشل كان بعد الخروج من المدينة، حين رجح عبد الله بن أبى يمن معه من المنافقين، إذ خرج رسول الله ﷺ بألف، فرجع عنه عبد الله بن أبى بثلاثمائة رجل، مغاضبا، بحجة أنه لم يؤخذ برأيه، حين أشار بالعودة فى المدينة، والقتال فيها إن نهض إليهم العدو، وكان رأيه هذا قد وافق رأى رسول الله ﷺ، وأبى ذلك أكثر الأنصار، لما رجح ابن أبى بثلت الجيش، حدث فى نفس الطائفتين، وخطر ببالهم أن يرجعوا، فعصمهم الله، وذم بعضهم بعضا، ونهضوا مع النبى ﷺ.

(والله وليهما) أى حافظ قلوبهما عن تحقيق هذا الهم.

(بنو سلمة وبنو حارثة) بالرفع، خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة، وفى رواية « نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة »، وفى رواية للبخارى « بنى سلمة وبنى حارثة » بالجر على البدلية من الضمير فى « فينا » أى فى قومه، بنى سلمة وفى أقاربهم بنى حارثة. والأوس والخزرج أمهما واحدة، تدعى قبيلة، وأبوهم واحد، يدعى حارثة بن عمرو بن عامر، الذى تجتمع إليه أنساب الأزد، و« سلمة » بفتح السين وكسر اللام.

(وما نحب أنها لم تنزل، لقول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾) ونفى النفى إثبات، أى نحب أنها نزلت، ولا نكره، أن وصفنا بالهم بالفشل، أى إن الآية وإن كان ظاهرها غضا من الطائفتين، لكن فى آخرها غاية الشرف لهما، إذ الولى هنا الناصر، ومن ينصره الله، ويدفع عنه ما وقع منه من الهم بالمعصية فهو من حزب الله وأوليائه، ولا يضره ما وقع له من وسوسة لم تستقر.

(اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار) وفى الرواية الثالثة « أن رسول الله ﷺ استغفر للأنصار، ولذرارى الأنصار، ولموالى الأنصار » وعند البخارى « قالت الأنصار: يا رسول الله، لكل نبى أتباع، وإنا قد اتبعناك، فادع الله أن يجعل أتباعنا منا، قال النبى ﷺ: اللهم اجعل أتباعهم منهم » قال العلماء: يدخل فى أتباع الأنصار ذراريهم ومواليهم وحلفاؤهم.

(والأنصار) اسم إسلامى، سمي به النبى ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم، وفى البخارى عن غيلان ابن جرير « قلت لأنس: رأيت اسم الأنصار. كنتم تسمون به؟ أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله » وهم المقصودون بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا.....﴾.

(أن النبي ﷺ رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس) غلب الذكور على الإناث، فقال « مقبلين ».

(فقام النبي ﷺ ممثلاً) بضم الميم الأولى وسكون الثانية وكسر الثاء من أمثل الرباعي، ومعناه قائماً منتصباً، والذي ذكره أهل اللغة: مثل الرجل، بفتح الميم وضم الثاء، ثلاثي، مثولاً، إذا انتصب قائماً، قال النووي: ويفتح الثاء مع ضم الميم الأولى وسكون الثانية. كذا روى بالوجهين وهما مشهوران. قال القاضى: جمهور الرواة بالفتح، قال: وصححه بعضهم، قال: ولبعضهم هنا وفى البخارى بالكسر، قال: وعند بعضهم « مقبلاً » وللبخارى فى كتاب النكاح « ممتناً » بضم الميم الأولى وسكون الثانية وفتح الثاء بعدها نون، من المنة، أى متفضلاً عليهم، قال: واختار بعضهم هذا، وضبطه بعض المتقنين « ممتناً » بضم الميم الأولى وسكون الثانية وكسر الثاء وتخفيف النون، أى قياماً طويلاً، قال القاضى: والمختار ما قدمناه عن الجمهور.

(اللهم أنتم من أحب الناس إلى) « اللهم » منادى قصد به الدعاء، أى يارب. هؤلاء وقومهم من أحب الناس إلى، لما قدموه خدمة للإسلام، فأحبهم.

(جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فخلا بها) قال النووي: هذه المرأة إما محرم له، كأم سليم وأختها، وإما المراد من الخلوة خلوة صوت وكلام، بمعنى أنها سألته سؤالاً بحضرة ناس، ولم تكن خلوة مطلقة، حتى تشمل الخلوة المنهى عنها. اهـ وقال المهلب: لم يرد أنس أنه خلا بها، بحيث غاب عن أبصار من كان معه، وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام، فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما، لأنه لم يسمعه.

وفى البخارى « جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، ومعها صبي لها » وفى رواية له « معها أولادها » وفى رواية له « معها أولاد لها ».

(وقال: والذي نفسى بيده. إنكم لأحب الناس إلى) الظاهر أن « وقال... » معطوف على محذوف، أى أجابها على سؤالها وقال... « والظاهر أن سؤالها كان يستدعى تطييب قلبها، والخطاب فى « إنكم » لها ولقومها الأنصار، وهو على طريق الإجمال، أى مجموعكم أحب إلى من مجموع غيركم، فلا يعارض حديث « من أحب الناس إليك؟ قال: أبو بكر ».

(ثلاث مرات) معمول لقال، وكررها للتأكيد، ولزيادة التطييب، وفى رواية للبخارى « مرتين ».

(إن الأنصار كرشى وعيبتى) الكرش بكسر الكاف وسكون الراء، ويفتح الكاف وكسر الراء، وهو بالأخير فى الرواية، معدة الإنسان، وما هو بمنزلتها لكل مجتر. والعيبة بفتح العين، وعاء من خوص أو جلد، أو نحوهما، منه ما يعد لنقل الزرع والمحصول، ومنه ما يعد لحفظ المتاع النفيس، وهو المراد هنا، قال النووي: قال العلماء: معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم، وأعتمدهم فى أموري،

قال الخطابي: ضرب مثلا بالكرش، لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه، وبالعيبة لأنهم أهل سره وخفى أحواله. اهـ، وقال بعضهم: الكرش أمر باطن، والعيبة أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما فى إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة.

وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال ذلك على المنبر فى مرضه الذى مات فيه، وأنه لم يصعد المنبر بعد ذلك اليوم، ولفظه « فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعيبتى، وقد قضوا الذى عليهم» يشير إلى ما وقع منهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤوا رسول الله ﷺ، وينصروه، فوفوا بذلك « وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم» وفى رواية له « فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد . أيها الناس. إن الناس يكثرون، ونقل الأنصار حتى يكونوا كالمح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرا، يضر فيه أحدا، أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئتهم».

(وإن الناس سيكثرون، ويقلون) فيه عود الضميرين على مرجعين مختلفين، مذكور أحدهما، والمراد من الناس غير الأنصار، أى فإن غير الأنصار سيكثرون، فتدخل قبائل العرب والعجم فى الإسلام، فيكونون أبدا مهما كثر تناسلهم قليلين بالنسبة إلى غيرهم.

(فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم) أى فاقبلوا من محسنهم إحسانه، واشكروه عليه، وجازوه الإحسان بالإحسان، واعفوا عن إساءة المسيء منهم، فلا تعاقبوه على إساءته، اللهم إلا إذا اقتضت الإساءة حدا من حدود الله.

(خير دور الأنصار) أى خير قبائل الأنصار، وكانت كل قبيلة منهم تسكن محلة، فتسمى تلك المحلة دار بنى فلان، ولهذا جاء فى كثير من الروايات بنو فلان، من غير ذكر الدار. وفى الرواية العاشرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو فى مجلس عظيم من المسلمين.

(بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفى كل دور الأنصار خير) « بنو النجار» هم من الخزرج، والنجار هو تيم الله، وسمى بذلك لأنه ضرب رجلا، فنجره، فقبل له النجار، وهو ابن ثعلبة بن عمرو من الخزرج، وهم أحوال جد رسول الله ﷺ، لأن والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزل صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، فلهم مزية على غيرهم.

(ثم بنو عبد الأشهل) وهم من الأوس، وهو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصفر، ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، وهم رهط سعد بن معاذ.

بهذا الترتيب فى الرواية السابعة والتاسعة، وبالتعبير « ثم » أما فى الرواية الثامنة وفى رواية للبخارى فبالترتيب نفسه، لكن بالواو، فاستنبط منه بعضهم أن الواو قد تأتى للترتيب، والحق أن الترتيب هنا يؤخذ من التقديم والتأخير لا من الواو، ولا إشكال فى هذه الرواية، لكن الإشكال فى الرواية العاشرة، ولفظها « بنو عبد الأشهل. قالوا: ثم من يارسول الله؟ قال: ثم بنو النجار» وقد رجح

العلماء الرواية السابعة والتاسعة على الرواية العاشرة بأن العاشرة اختلف على ابن أبي سلمة فى إسناده، هل شيخه فيها أبو أسيد أو أبو هريرة، واختلف فى متنه. هل قدم عبد الأشهل على بنى النجار؟ أو بالعكس. قاله الحافظ ابن حجر.

« ثم بنو الحارث بن الخزرج » أى الأكبر، أى ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة .

« ثم بنو ساعدة » وهم الخزرج أيضا، وساعدة هو ابن كعب بن الخزرج الأكبر.

« وفى كل دور الأنصار خير » « خير » الأولى، التى فى قوله « خير دور الأنصار » اسم تفضيل بمعنى أفضل، و « خير » الثانية، التى فى قوله « وفى كل دور الأنصار خير » اسم، أى فضل، وتتفاوت مراتبه.

(فقال سعد) بن عبادة، كما صرح به فى الرواية التاسعة، وهو من بنى ساعدة.

(ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضل علينا) « أرى » بضم الهمزة، بمعنى أظن، وفى بعض النسخ بفتح الهمزة، من الرأى والفكر، و « فضل » بفتح الفاء، والمفعول محذوف، أى فضل علينا ثلاث قبائل.. وفى الرواية التاسعة « وبلغ ذلك سعد بن عبادة، فوجد فى نفسه » أى غضب فى نفسه « وقال: خلفنا فكنا آخر الأربع؟ أسرجوا لى حمارى، أتى رسول الله ﷺ، وكلمه ابن أخيه سهل، فقال: أأنه ليرد على رسول الله ﷺ؟ ورسول الله ﷺ أعلم؟ أوليس حسبك أن تكون رابع أربع، فرجع، وقال: الله ورسوله أعلم، وأمر بحماره، فحل عنه ».

ومعنى « وجد فى نفسه » بفتح الواو والجيم، يجد بكسر الجيم، وجدا، حزن، و « خلفنا » بضم الخاء وكسر اللام المشددة، مبنى للمجهول، أى جعلنا خلف الناس وآخرهم، وفى الرواية العاشرة « فقام سعد بن عبادة مغضبا » أى قام من مجلسه الذى بلغه الخبر فيه « فقال: أنحن آخر الأربع؟ حين سمي رسول الله ﷺ دارهم؟ » أى دار الأربع؟ والاستفهام إنكارى « فأراد كلام رسول الله ﷺ فى ذلك، أى أراد الذهاب إليه وكلامه « فقال له رجال من قومه: اجلس. ألا ترضى أن سمي رسول الله ﷺ داركم فى الأربع الدور التى سمي؟ فمن ترك، فلم يسم أكثر ممن سمي » أى فمن ترك ذكرها من دور الأنصار أكثر ممن ذكرهم منها، « فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله ﷺ » أى رجع عن عزمته التى كان قد عزم عليها، وأمر بحل حماره، ولا تعارض بين ما فى هذه الرواية، من أن الذين ردوه عن عزمه رجال من قومه، وبين ما فى الرواية التاسعة من أن الذى رده سهل ابن أخيه، فقد يضاف القول للحاضرين مع القائل، لرضاهم به، وموافقتهم عليه، لكن الإشكال بين هاتين الروايتين، وفيهما أن سعدا رجع عن كلام رسول الله ﷺ، وبين ما فى البخارى عن أبى حميد، وفى رواية عن أبى حميد أو أبى أسيد قال « فلحقنا سعد بن عبادة، فقال: أبا أسيد. ألم تر أن نبى الله ﷺ خير الأنصار، فجعلنا أخيرا؟ فأدرك سعد النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله . خيرت دور الأنصار، فجعلتنا آخر؟ فقال: أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟ » قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عن قصد رسول الله ﷺ لذلك خاصة، ثم إنه لما لقي رسول الله ﷺ فى وقت آخر، ذكر له ذلك، أو الذى رجع عنه أنه كان قد أراد أن يورده مورد الإنكار، والذى صدر منه ورد مورد المعاتبه المتلطفة، ولهذا قال له ابن

أخيه فى الأول: « أترد على رسول الله أمره؟ » ومعنى « بحسبكم أن تكونوا من الخيار » أى يكفىكم أن تكونوا من الأفاضل، لأنهم بالنسبة لمن دونهم أفضل، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم فى إعلاء كلمة الله، ونحو ذلك.

و« أبو حميد » و« أبو أسيد » كلاهما ساعدى من قبيلة سعد بن عبادة، لكنهما لم يغضبا غضبته، بل روى الحديث على الرغم من أنه يؤخر قبيلتهم، بل يقول أبو أسيد فى الرواية الثامنة: « والله لو كنت مؤثرا بها أحدا لآثرت بها عشيرتى ». ويقول فى الرواية التاسعة: « أنهم أنا على رسول الله ﷺ؟ لو كنت كاذبا لبدأت بقومى، بنى ساعدة ». ولعل سعدا يرى أنه رئيس وزعيم بنى ساعدة، وعليه أولا تقع مسئولية الدفاع عنهم.

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي فى

سفر) سبق الكلام عن جرير فى باب خاص من فضائله، قبل اثنى عشر بابا، وهو يمنى، وأنس أنصارى، من بنى النجار.

(فكان يخدمنى) حبا فى الأنصار، وتقديرا لهم، لما لهم من فضائل فى الإسلام.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الروايات جواز تفضيل القبائل والأشخاص، لكن بغير مجازفة ولا هوى، ولا يكون هذا من قبيل الغيبة المحرمة.

٢- ومن الرواية الأولى أنه لا غضاضة من ذكر تقصير الإنسان فى جانب الله، ما دام قد عفى عنه.

٣- وأن التقصير لا يمنع من ولاية الله للمقصر.

٤- وأن القرآن كان ينزل استجابة لبعض الأحداث.

٥- وفيها فضيلة ظاهرة لقبيلتى بنى سلمة وبنى حارثة من الأنصار.

٦- ومن الرواية الثانية أن صلاح الآباء ينفع الذرية والأتباع.

٧- ومن الرواية الرابعة إخبار من تحبه أنك تحبه.

٨- والقيام والاهتمام بمن تحب.

٩- وفى الرواية الخامسة جواز أن يخلو المسلم بالمرأة عن الناس، بحيث لا يسمع كلامهما، إذا كان مما يخافت به، كالشيء الذى تستحى المرأة من ذكره بينهم، وقد سبق عند مسلم عن أنس « أن امرأة كان فى عقلها شيء، قالت: يا رسول الله، إن لى إليك حاجة، فقال: يا أم فلان، انظرى أى السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك ».

- ١٠- وفيه سعة حلمه وتواضعه صلى الله عليه وسلم ، وصبره على قضاء حوائج الصغير والكبير.
- ١١- وفيه أن مفاوضة المرأة الأجنبية سرّاً لا يقدح فى الدين، عند أمن الفتنة، قال الحافظ ابن حجر: يفضل البعد عن ذلك: ولكن الأمر كما قالت عائشة: «وأىكم يملك أربه، كما كان النبى ﷺ يملك أربه».
- ١٢- ومن قوله «والذى نفسى بيده» كيف كانت يمين النبى ﷺ؟.
- ١٣- وجواز الحلف من غير استحلاف، وقال قوم: يكره، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ويحمل ما ورد من ذلك على ما إذا كان فى طاعة، أو دعت إليها حاجة، كتأكيد أمر أو تعظيم من يستحق التعظيم.
- ١٤- وفيه أن حب الأنصار من الدين والإيمان، قال ابن التين: والمراد حب جميعهم، وبغض جميعهم، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له. فليس داخلاً فى ذلك.
- ١٥- وفيه استطابة القلوب.
- ١٦- وفى الرواية الحادية عشرة تواضع جرير ﷺ وفضيلته.
- ١٧- وإكرامه للنبى ﷺ.
- ١٨- وإحسانه إلى من ينتسب إلى من أحسن إليه صلى الله عليه وسلم.
- ١٩- وفيه إكرام الأنصار.
- ٢٠- وإكرام المحسن وتكريمه.

والله أعلم

(٦٧١) باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع

ومزينة وتميم ودوس وطىء

٥٥٩٤ - ١٨٢ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه (١٨٢) قال: رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ».

٥٥٩٥ - ١٨٣ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه (١٨٣) قال: قَالَ لِي رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَنْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ إِنْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ قَالَ: أَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا».

٥٥٩٦ - ١٨٤ عن جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١٨٤) قال: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا».

٥٥٩٧ - ١٨٥ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٨٥) أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ. وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا. أَمَا إِنِّي لَمْ أَقْلَهَا. وَلَكِنْ قَالَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

٥٥٩٨ - ١٨٦ عن خُفَافِ بْنِ إِيمَاءِ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه (١٨٦) قال: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: فِي صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ! الْعَنِ بَنِي لِحْيَانَ وَرِغْلًا وَذُكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَعَصَوَا اللهُ وَرَسُوْلَهُ. غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا. وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ».

-
- (١٨٢) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُعْبِرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ
(١٨٣) حَدَّثَنَا غُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو الْقَوَارِيرِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ
(١٨٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا غُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَا
حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَّابَةُ حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ
الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَعَبْدُ بْنُ
حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ ح وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أُعْيَنَ
حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ كُلُّهُمْ قَالَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(١٨٥) وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى عَنْ خُنَيْمِ بْنِ عِرَالٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(١٨٦) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءِ الْغِفَارِيِّ

٥٥٩٩ - ١٨٧ عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١٨٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها. وأسلم سالمها الله. وعصية عصت الله ورسوله».

٥٦٠٠ - وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١٨٨)، عن النبي ﷺ. بمثله. وفي حديث صالح وأسامة؛ أن رسول الله ﷺ قال ذلك على المنبر.

٥٦٠١ - ١٨٨ عن أبي أيوب ﷺ^(١٨٨) قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع، ومن كان من بني عبد الله، موالى دون الناس. والله ورسوله مولاهم».

٥٦٠٢ - ١٨٩ عن أبي هريرة ﷺ^(١٨٩) قال: قال رسول الله ﷺ: «قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع، موالى. ليس لهم مولى دون الله ورسوله».

٥٦٠٣ - ١٩٠ عن أبي هريرة ﷺ^(١٩٠) عن النبي ﷺ أنه قال: «أسلم وغفار ومزينة، ومن كان من جهينة، أو جهينة، خير من بني تميم وبني عامر، والحليقين، أسد وغطفان».

٥٦٠٤ - ١٩١ عن أبي هريرة ﷺ^(١٩١) قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده! لغفار وأسلم ومزينة، ومن كان من جهينة، أو قال جهينة، ومن كان من مزينة، خير عند الله يوم القيامة، من أسد وطىي وغطفان».

(١٨٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَبِي حَبْرَةَ وَأَبْنُ حَبْرَةَ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ

جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ
- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ ح وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ
ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ ابْنِ حَرْبٍ وَالْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحِ
كُلُّهُمْ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ

- وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ ابْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ عَنْ يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ
قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مِثْلَ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

(١٨٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ
(١٨٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرَيْرَةَ الْأَعْرَجِ عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ
- حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ فِي الْحَدِيثِ قَالَ سَعْدٌ فِي
بَعْضِ هَذَا فِيمَا أَطْلَمَ

(١٩٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ
سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُعْبِرَةُ بِنْتُ الْحَزَامِيِّ عَنْ أَبِي الزُّرَّادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ح
وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ النَّافِذِ وَحَسَنُ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنِي وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ
حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحِ عَنِ الْأَعْرَجِ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

٥٦٠٥ - ١٩٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٩٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «لأسلم وغفار، وشيء من مزينة وجهينة، أو شيء من جهينة ومزينة، خير عند الله - قال: أحسبه قال - يوم القيامة، من أسدٍ وغطفان وهوازن وتميم».

٥٦٠٦ - ١٩٣ عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه (١٩٣)، عن أبيه رضي الله عنه، أن الأقرع بن حابس جاء إلى رسول الله ﷺ. فقال: إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة. وأحسب جهينة (محمد الذي شك) فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة - وأحسب جهينة - خيراً من بني تميم وبني عامر وأسدي وغطفان، أخابوا وخسروا؟» فقال: نعم. قال: «فوالذي نفسي بيده! إنهم لأخير منهم». وليس في حديث ابن أبي شيبة: محمد الذي شك. حدثني هارون بن عبد الله. حدثنا عبد الصمد. حدثنا شعبة. حدثني سيد بني تميم، محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبي. بهذا الإسناد، مثله. وقال: «وجهينة» ولم يقل: أحسب.

٥٦٠٧ - ١٩٤ عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه (١٩٤)، عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «أسلم وغفار ومزينة وجهينة، خير من بني تميم ومن بني عامر، والحليفين بني أسد وغطفان».

٥٦٠٨ - ١٩٥ عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه (١٩٥)، عن أبيه رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم إن كان جهينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني عبد الله بن غطفان وعامر بن صعصعة» ومد بها صوته فقالوا: يا رسول الله! فقد خابوا وخسروا. قال: «فإنهم خير» وفي رواية أبي كريب «أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار».

(١٩٢) حدثني زهير بن حرب ويعقوب الدورقي قالوا حدثنا إسماعيل يعقوب بن علي حدثنا أيوب عن محمد عن أبي هريرة (١٩٣) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا غندر عن شعبة ح وحدثنا محمد بن المنثري وابن بشر قالوا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر يحدث عن أبيه (١٩٤) حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي بشر عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه - حدثنا محمد بن المنثري وهارون بن عبد الله قالوا حدثنا عبد الصمد ح وحدثني عمرو الناقد حدثنا شبابة بن سوار قالوا حدثنا شعبة عن أبي بشر بهذا الإسناد (١٩٥) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب واللفظ لأبي بكر قالوا حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه

٥٦٠٩ - ١٩٦ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ^(١٩٦) قال: أتيتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ فقال لي: إنَّ أوَّلَ صدقةٍ بيَّضتَ وجهَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ووجوهَ أصحابِهِ، صدقةٌ طيِّبٌ، جئتَ بها إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله.

٥٦١٠ - ١٩٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٩٧) قال: قدِمَ الطفيلُ وأصحابُهُ فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّ دوسًا قد كفرتَ وأبت. فادعُ اللهَ عَلَيْهَا. فقيل: هلكتَ دوسٌ. فقال: «اللَّهُمَّ اهدِ دوسًا وأنتَ بهم».

٥٦١١ - ١٩٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٩٨) قال: لا أزالُ أحبُّ بني تميمٍ من ثلاثٍ، سمِعْتُهُنَّ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقولُ: «هُمُ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَالِ» قال: وجاءتْ صدقاتُهُمُ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا» قال: وكانتْ سَيِّئَةً مِنْهُمُ عِنْدَ عائِشَةَ. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «أَعْتَقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

٥٦١٢ - - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١٩٩) قال: لا أزالُ أحبُّ بني تميمٍ بعدَ ثلاثٍ سمِعْتُهُنَّ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، يقولُها فيهِم. فذكرَ مثله.

٥٦١٣ - - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ثلاثٌ خِصَالٍ سمِعْتُهُنَّ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في بني تميمٍ. لا أزالُ أُحِبُّهُمُ بعدُ. وساقَ الحديثَ بهذا المعنى. غيرَ أَنَّهُ قال: «هُمُ أَشَدُّ النَّاسِ قِتَالًا فِي المَلاحِمِ» ولمْ يذكُرِ الدَّجَالَ.

المعنى العام

يقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [الحجرات: ١٣].

نعم فضل الله بعض القبائل على بعض في الدنيا، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، لكنه تعالى جعل الفضل الحقيقي للدين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

(١٩٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَقَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُعِينَةَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

(١٩٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا الْمُعِينَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٩٨) حَدَّثَنَا فُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُعِينَةَ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ

- وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- وَحَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ إِمَامَ مَسْجِدِ دَاوُدَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنِ الشَّعْبِيِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

جاء الإسلام ولبعض القبائل رفعة على بعض، بالمال تارة، وبالقوة البدنية أخرى، وبالقوة العقلية والسلوكية الثالثة، وبالأصل والأحساب رابعة، فحول كل هذه الموازين إلى ميزان الإسلام، وصار السبق إلى الإسلام، وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيل الله، هو الميزان الحقيقي، الذي يفاضل به بين القبائل، فارتفعت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام غير رفيعة، وهبطت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام عالية مرموقة.

يؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في نفوس أصحابه، ويقرره غاية التقرير، فيقول: غفار بسبق إسلامها غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، والأنصار ومزينة وجهينة وأشجع وبنو عبد الله هم أوليائي قبل الناس، وهم عند الله يوم القيامة خير من أسد وغطفان وهوازن وتميم.

ولا ينسى رسول الله ﷺ أن يثنى على أهل الفضل من القبائل ما لها من فضل، ولو كانت مفضولة بالنسبة لغيرها، فيذكر لتميم شدتها في الحروب، وأدائها للصدقات، وانتسابها لإسماعيل عليه السلام، ولا ينسى أن يلعن من القبائل من تستحق اللعن، فيلعن بنى لحيان ورعلاً وذكوان وعصية، لما فعلوه بالمسلمين من غدر وتنكيل وتقتيل. فصلى الله وسلم وبارك عليه، ورضى عن صحابته أجمعين.

المباحث العربية

(غفار غفر الله لها) كذا في الرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وزاد في الرواية الثالثة « أما إنى لم أقلها، ولكن قالها الله عز وجل » كما ذكرت واحدة من قبائل مولاها الله ورسوله في الرواية السادسة والسابعة، كما ذكرت في الرواية الثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة واحدة من قبائل، هي خير من بنى تميم وبنى عامر والحليفين أسد وغطفان، كما ذكرت في الرواية التاسعة واحدة من قبائل، هي خير عند الله يوم القيامة من أسد وطيب وغطفان، كما ذكرت في الرواية العاشرة واحدة من قبائل هي خير عند الله يوم القيامة من أسد وغطفان، وهوازن وتميم.

ومن مجموع الروايات تكون غفار قد فضلت بأن الله غفر لها، وبأن مولاها الله ورسوله، وبأنها أفضل من بنى تميم، وبنى عامر وأسد وغطفان وطيب وهوازن.

والمذكور مع غفار في الفضل الأنصار ومزينة وأشجع وجهينة وأسلم، وهذه القبائل التي فضلت كانت في الجاهلية في القوة والمكانة أقل من القبائل التي فضلت عليها، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولا فيه من أولئك، فانقلب الشرف إليهم بسبب ذلك.

واختصت غفار بقوله « غفر الله لها » لما اشتهروا به قبل إسلامهم من سرقة الحجيج الذين يمرون بديارهم، كما تشير إلى ذلك الرواية الحادية عشرة، حكى ابن التين أن بنى غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية، فدعا لهم النبي ﷺ، بعد أن أسلموا - ليحمو عنهم ذلك العار، وهي جملة لفظها خبر، ويحتمل أن يكون معناها خبراً أيضاً، إشعاراً بأن ذنبها السابق قد غفر، لأن الإسلام يجب ما قبله،

ويحتمل أن معناها دعاء، أى أسأل الله أن يغفر لها ما تقدم وما تأخر، والمراد قطعاً من آمن منهم، وفى هذه الرواية من البديع ما يعرف بجناس الاشتقاق.

والمراد بنو غفار - بكسر الغين وتخفيف الفاء، ابن مليل، بضم الميم وفتح اللام مصغراً، ابن صخرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وسبق منهم إلى الإسلام أبو ذر الغفارى وأخوه أنيس، وقد سبق الكلام عن إسلامهما قبل أربعة عشر باباً.

(**وَأَسْلَمَ سَالِمُهَا اللَّهُ**) وقد شاركت «غفار» فى كل ما فضلت به، وذكرت مصاحبة لها، متقدمة عليها أو تالية لها فى جميع روايات مسلم، عدا الرواية السادسة، ولعل سقوطها من الرواية وفى العبارة جناس الاشتقاق أيضاً، واحتمال كونها خبراً لفظاً ومعنى، أى جعلها الله مسالمة للإسلام فيما مضى، لأنها أسلمت دون اشتراك فى الحروب، واحتمال كونها خبراً لفظاً، دعاء معنى، أى صنع الله بهم ما يرضيهم، والمراد من «سالم» سلم، كما فى قاتله الله.

و«أسلم» بن أفضى، بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها صاد، ابن حارثة بن عمرو بن عامر - أى ابن حارثة ابن امرئ القيس - بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، قال الرشاطى: الأزد جرثومة من جراثيم قطحان، وفيهم قبائل، فمنهم الأنصار وخزاعة وغسان وغيرهم.

ونسب حارثة بن عمرو متصل باليمن، وقد خاطب النبى ﷺ بنى أسلم بأنهم من بنى إسماعيل، كما فى حديث سلمة بن الأكوع.

(**اللَّهُمَّ العن بنى لحيان، ورعلاً، وذكوان وعصية، عصوا الله ورسوله**) «لحيان» بكسر اللام وفتحها، وسكون الحاء، وهو ابن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وزعم الهمدانى النسابة أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم، دخلوا فى هذيل، فنسبوا إليهم.

و«رعل» بكسر الراء وسكون العين، بطن من بنى سليم، ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سليم.

و«ذكوان» بطن من بنى سليم أيضاً، ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة.

و«عصية» بطن من بنى سليم أيضاً، ينسبون إلى «عصية» بضم العين وفتح الصاد، مصغراً بن خفاف، بضم الخاء، ابن امرئ القيس بن بهثة بضم الباء وسكون الهاء بعدها ثاء، ابن سليم.

أما جريمة بنى لحيان فيرويهما البخارى تحت باب غزوة الرجيع، عن أبى هريرة ؓ قال: «بعث النبى ﷺ سرية» وفى رواية أنهم كانوا عشرة، وفى أخرى أنهم كانوا سبعة، بعثهم إلى مكة عيوناً يتجسسون على قريش، ويأتونه بأخبارهم، وكان ذلك فى السنة الثالثة «فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل، يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بنحو مائة رام، فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فلحقوهم، فهربوا منهم على تل، فجاء القوم فأحاطوا بهم، وقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتالكم، إنما نريد أن نصيب منكم شيئاً من أهل مكة، ولكم العهد والميثاق - إن نزلتم إلينا أن

لا نقتل منكم رجلا، فقال عاصم - قائد المسلمين - أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبرنا نبيك، فقاتلوهم، حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر، بالنبل، وبقي ثلاثة، خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق، فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم، فريطوهم بها، فقال عبد الله: هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم، فجروه، وحاولوا أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد نحو مكة، فباعوهما هناك، فاشتري خبيبا بنو الحارث بن عامر ابن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرا، حتى خرجت الأشهر الحرم، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلى ركعتين، فلما صلاهما، انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن الذي بي جزع من الموت لزدت في الصلاة، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، ثم قال:

ما إن أبالي حين أقتل مسلما .: . على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله، وإن يشأ .: . يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث، فقتله، فلم يحل الحول، ومنهم أحد حى.

وأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية، فقتله بأبيه.».

هذه قصة بنى لحيان، وسبب لعنهم والدعاء عليهم. وقد قنت صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو عليهم

وعلى رعل وذكوان وعصية فى صلاة الصبح.

وأما قصة رعل وذكوان وعصية فيرويها البخارى أيضا، تحت عنوان: غزوة رعل وذكوان ويثر معونة، وتعرف بسرية القراء، ويرويها أصحاب السير بأن رؤساء هذه القبائل كانوا قد جاءوا رسول الله ﷺ، فأسلموا ظاهرا، ثم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يمدهم بجماعة من أصحابه رجاء أن يدعوا الناس، فيسلموا، فبعث معهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم القراء، كانوا يحتطبون بالنهار، ويبيعون الحطب، ويشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون، فلما نزلوا بئر معونة استمكنوا منهم، وغدروا بهم، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فقتلوه عن آخرهم، إلا رجلا أخرج، صعد الجبل.

وجملة «عصوا الله ورسوله» مستأنفة استثناء تعليليا، والضمير فيها يعود على القبائل الأربع، ولا يتعارض هذا مع قوله فى الرواية الخامسة «عصية عصت الله ورسوله» فإن الموصوفين بوصف كل منهم موصوف بهذا الوصف.

(الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بنى عبد الله، موالى، دون

الناس، والله ورسوله مولاهم) زادت الرواية السابعة فى القبائل المفضلة قريشا وأسلم، ونقصت الرواية الثامنة الأنصار، وقريشا، فيؤخذ بالزيادة على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر.

وقد سبق الكلام عن قريش والأنصار وغفار وأسلم.

أما مزينة فبضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء، وهو اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر، وهى مزينة بنت كلب بن وبرة، وهى أم أوس وعثمان ابنى عمرو، فولد هذين يقال لهم: بنو مزينة، والمزنيون من قدماء الصحابة منهم عبد الله بن مغفل المزنى، وعمه خزاعى بن عبد نهم، وإياس بن هلال، وابنه قرّة بن إياس.

وأما جهينة فهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم، ومن مشهور الصحابة منهم عقبة ابن عامر الجهنى وغيره.

وأما أشجع بالشين والجيم والعين، على وزن أحمر، وهم بنو أشجع بن ريث بفتح الراء وسكون الياء بعدها ثاء، ابن غطفان بن سعد بن قيس، ومن مشهور الصحابة منهم نعيم بن مسعود بن عامر، وقد سبق القول بأن المقصود المجموع والإجمال، لا الجميع والاستغراق، ولذلك كانت العبارة مع بعضهم «ومن كان من بنى عبد الله» فى الرواية السادسة، أى ومن كان مؤمنا من بنى عبد الله، و«من كان من جهينة» أى ومن كان مؤمنا من جهينة، وفى الرواية الثامنة والتاسعة، «أوشيء من جهينة» فى الرواية العاشرة، و«من كان من مزينة» فى الرواية التاسعة.

ونلاحظ أن من كان من بنى عبد الله ذكروا فى مقام المدح والتفضيل فى الرواية السادسة، وذكروا فى مقام الذم والمفضل عليهم فى الرواية الثالثة عشرة، وفى البخارى، فالأولون من آمنوا، والآخرون من لم يؤمنوا، وبنو عبد الله بن غطفان بفتح الغين والطاء بعدها فاء، أى ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وكان اسم عبد الله بن غطفان فى الجاهلية عبد العزى، فصيره النبى ﷺ عبد الله، وبنوه يعرفون ببني المحولة، لتحويل اسم أبيهم.

أما المفضل عليهم فهو بنو تميم وبنو عامر وأسد وغطفان وطيبى وهوازن.

وبنو تميم بن مر، بضم الميم وتشديد الراء، ابن أد، بضم الهمزة وتشديد الدال، ابن طابخة بن إلياس بن مضر، وفيهم بطون كثير، وقد ارتدوا بعد وفاة النبى ﷺ مع سجاح، ولا يتعارض هذا مع مدحهم ببعض الصفات فى بعض الأحوال، كما سيأتى عنهم فى الرواية السادسة عشرة وملحقيها.

وبنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقد ذكر بنو عامر فى الرواية الثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة، وذكرت بدلها.

هوازن: فى الرواية العاشرة، قال الحافظ ابن حجر: فذكر هوازن أشمل من ذكر بنى عامر، ومن قبائل هوازن - غير بنى عامر - بنو نصر بن معاوية، وبنو سعد بن بكر بن هوازن، وثقيف، وهوقيس ابن منبه بن بكر ابن هوازن، والجميع يجمعهم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح الخاء وسكون الصاد بعدها فاء.

وأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا عددا كثيرا، وكانت منازلهم ظاهرا مكة، حتى وقع بينهم وبين خزاعة شجار، فقتل فضالة بن عباد بن مرارة الأسدى هلال بن أمية الخزاعى، فقتلت خزاعة فضالة بصاحبها، فنشبت الحرب بينهم، فبرحت

بنو أسد عن منازلهم، فحالفوا غطفان، فصار يقال للطائفتين: الحليفان . أسد وغطفان كما في الرواية الثامنة عشرة.

وطيئ ذكرت في المفضل عليهم في الرواية التاسعة، وهي بفتح الطاء وتشديد الياء المكسورة بعدها همزة، وحكى تركها، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، يقال: كان اسمه جلهمة، فسمى طيئاً، لأنه أول من طوى بئراً، وقبيلة طيئ من القبائل التي تأخر إسلامها إلى سنة الوفود، وكان رئيسها عدى بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج، بوزن جعفر، ابن امرئ القيس بن عدى الطائي.

وذكر ابن إسحاق أن خيل النبي ﷺ أصابت أخت عدى، فقالت له: هلك الوالد، وغاب الوافد، قال لها: من وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: امنن من الله عليك. قال: اطلقوا سراحها، فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق، فلما قدمت بنت حاتم على عدى أخيها أشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ، فقدم وأسلم. ويروى الإمام أحمد في سبب إسلام عدى أنه قال: لما بعث النبي ﷺ كرهته، فانطلقت إلى أقصى الأرض، مما يلي الروم، ثم كرهت مكاني، فقلت: لو أتيتك؟ فإن كان كاذباً لم يخف علي، فأتيتك، فقال: أسلم تسلم. فقلت: إن لي ديناً - وكان نصرانياً، فذكر إسلامه.

(**فوالذي نفسى بيده. إنهم لأخير منهم**) كذا في الرواية الحادية عشرة، قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ « لأخير » وهي لغة قليلة، تكررت في الأحاديث، وأهل العربية ينكرونها، يقولون: الصواب « خير » و « شر » ولا يقال « أخير » ولا « أشر » ولا يقبل إنكارهم فهي لغة، قليلة الاستعمال.

(**عن عدى بن حاتم ؓ قال: أتيت عمر بن الخطاب (أي في خلافته.**

(**فقال لي: إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ، ووجوه أصحابه، صدقة طيئ، جئت بها إلى رسول الله ﷺ**) وجاءت هذه الصدقة في أخريات أيامه صلى الله عليه وسلم، والمراد من تبيضها الوجوه أنها سرتهم وأفرحتهم، لسرورهم بإسلام طيئ.

وقد روى البخاري عن عدى ؓ قال: « أتينا عمر بن الخطاب، فجعل يدعو رجلاً رجلاً، ويسمئهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. أسلمت إذ كفرنا، وأقبلت إذ أدبرنا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا. فقال عدى: فلا أبالي إنن » أي إذا كنت تعرف قدرى فلا أبالي إذا قدمت على غيري من قومي.

(**قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت، وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس**) حيث طلبوا من الرسول ﷺ أن يدعو عليها بالهلاك، فسكت قليلاً، فظنوه دعا عليهم فقالوا: هلكت.

(**فقال: اللهم اهد دوساً، وأئت بهم**) و « دوس » بفتح الدال وسكون الواو بعدها

سين مكسورة و« دوس » قبيلة أبى هريرة، وهم ينتسبون إلى دوس بن عدشان بضم العين وسكون الدال بعدها ثاء، ابن عبد الله ابن زهران، وينتهى نسبهم إلى الأزدي، وكانوا فى الجاهلية يعبدون صنما يقال له: ذو الخلصة.

والطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس، والقائل: « إن دوسا قد كفرت، وأبت، فادع الله عليها » هو الطفيل وأصحابه، وكان الطفيل قد أسلم بمكة، ورجع إلى بلاد قومه، ودعا أبويه إلى الإسلام، فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه، فأجابه أبو هريرة وحده، ثم وافى النبي ﷺ فى عمرة القضاء، وقيل: قدم مع أبى هريرة بخيبر، فكان هذا القول منه، وكان هذا الدعاء من رسول الله ﷺ، وأجاب الله الدعاء فجاء حبيب بن عمرو بن حثمة حاكم الدوس، ومعه خمسة وسبعون رجلا من قومه، فأسلم وأسلموا.

(قال أبو هريرة: لا أزال أحب بنى تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ) وفى ملحق الرواية « لا أزال أحب بنى تميم بعد ثلاث ... » وعند البخارى « ما زلت أحب بنى تميم منذ ثلاث... » أى من حين سمعت الخصال الثلاث، زاد أحمد « وما كان قوم من الأحياء أبغض إلى منهم، فأحببتهم » وكان ذلك لما كان يقع بينهم وبين قوم أبى هريرة فى الجاهلية من العداوة.

(هم أشد أمتى على الدجال) وفى الملحق الثانى للرواية « هم أشد الناس قتالا فى الملاحم » وهى أعم مما فى الرواية الأساسية، ويمكن أن يحمل العام فى ذلك على الخاص، فيكون المراد بالملاحم أكبرها، وهو قتال الدجال، أو ذكر الدجال ليدخل غيره بالطريق الأولى. قاله ابن حجر.

(وجاءت صدقاتهم، فقال النبي ﷺ: هذه صدقات قومنا) قال العلماء: إنما نسبهم إليه، لاجتماع نسبهم بنسبه صلى الله عليه وسلم فى إياس بن مضر، وليس هذا القول بذاك، فما أكثر القبائل التى يجتمع نسبها بنسبه، ولم يقل فيهم مثل ذلك، والأولى أن يقال: إنما نسبهم إليه تأليفا لقلوبهم، فقد كانوا قوماً غلاظاً.

(وكانت سبية منهم عند عائشة) أى من بطن من بطونهم، وعند الطبرانى أن عائشة كانت نذرت أن تعتق محرراً من بنى إسماعيل، فلما قدم سبى بنى العنبر قال لها صلى الله عليه وسلم: ابتاعى منهم، فإنهم ولد إسماعيل، وبنو العنبر بطن من بطون تميم، وفى رواية « نسمة » بدل « سبية ».

فقه الحديث

يؤخذ من الأحاديث

١- جواز التفضيل بين القبائل، بهدف دينى، ولا يعد ذلك من الغيبة.

٢- فيها مناقب للقبائل التى فضلت.

٣- جواز استعمال الجنس، دون تكلف فإنه يلذ على السمع، لسهولته وانسجامه.

- ٤- أن الشرف يحصل للمجموع، إذا حصل لبعضه.
- ٥- أخذ بعضهم من قوله « موالى » فى الرواية السادسة والسابعة، النهى عن استرقاقهم، وأنهم لا يدخلون تحت الرق. قال الحافظ ابن حجر: وهذا بعيد.
- ٦- ومن الرواية الرابعة جواز لعن الكفار جملة، أو لعن طائفة منهم، بخلاف الواحد بعينه.
- ٧- وجواز ذلك فى القنوت فى الصلاة.
- ٨- ومن الرواية الحادية عشرة أن الإسلام يجب ما قبله.
- ٩- وجبر خاطر من وقع فى زلات، ورد اعتباره إليه بالإحسان اللاحق.
- ١٠- ومن الرواية الرابعة عشرة أن المسلم يسره ويفرحه قيام الآخرين بشعائر الإسلام.
- ١١- ومن الرواية الخامسة عشرة استحباب الدعاء بالهداية للضالين، وإن طلب الدعاء عليهم.
- ١٢- ومن الرواية السادسة عشرة أن الخصوصية لا تقتضى الأفضلية، فقد ذكرت خصوصيات لبنى تميم وهم مع ذلك مفضلون.
- ١٣- وفيها فضيلة ظاهرة لبنى تميم.
- ١٤- وفيها دليل للجهور فى صحة تملك العربى، وإن كان الأفضل عتق من يسترق منهم، وفرق بعضهم بين عربى من ولد فاطمة رضى الله عنها، مثلا، فيجب إعتاقه، وبين عربى من ولد إسماعيل عليه السلام فيستحب.

والله أعلم

(٦٧٢) باب خيار الناس

٥٦١٤-١٩٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (١٩٩)؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ. فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا. وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ. وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِ وَهَوْلًا بِوَجْهِ».

٥٦١٥- وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ» بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ وَالْأَعْرَجِ: «تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ».

المعنى العام

لاشك أن الناس قديما وحديثا كالمعادن منها النفيس، ومنها الخسيس، منها ما يساوى الفليس، ومنها ما يساوى القنطار، والقبائل قبل الإسلام كانت معروفة الحسب والنسب، موزونة القدر والقيمة، فمن كان منها شريفا قبل إسلامه، فأسلم وتفقه اتصل شرفه وعلا قدره، وبقي في المسلمين شريفا مرموقا، كما كان بين الكافرين شريفا مرموقا، ومن كان شريفا في الكفر، فلم يسلم، فليس له بين المسلمين شرف ولا قدر، ومن كان غير شريف فأسلم وتفقه شرف بالإسلام وبالفقه، وكان شرفه أقل من شريف أسلم وتفقه في الدين، وهكذا يسلم الكافر على ما كان من خير له، ويستصحب معه ما قدم من مكارم الأخلاق، ومن سجايا الفضيلة والمعروف، كمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، فإنه يؤتى أجره مرتين.

ومن خيار الناس من لا يسأل الإمارة، ولا يحرص عليها، فإن جاءته أعانه الله عليها.

ومن شرار الخلق المنافق، ذو الوجهين الذي يثير الفتنة بين الناس، ويأتى هؤلاء بوجه وقول، وهؤلاء بوجه وقول، والمعدن النفيس لا يجرى وراء الإمارة لئلا يقع في مسئولياتها التي لا يقدر عليها، ولا يكون أبداً ذا وجهين ولا من المنافقين.

(١٩٩) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيُّ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

المباحث العربية

(**تجدون**) الخطاب لسامعي الكلام من الصحابة، وغيرهم من غير الحاضرين مخاطبون بما خوطبوا به على طريق القياس، ويحتمل أن يكون خطابا لكل من يتأتى خطابه بذلك، في كل زمان ومكان.

(**الناس معادن**) أُل في « الناس » وإن صلحت للجنس، لكن الأولى هنا أن تكون للعهد الذهني، والمقصودون الناس الذين جمعوا بين الجاهلية والإسلام، وفي الجملة تشبيه بليغ، حذف منه الوجه والأداة، أى أصول الناس وأحسابها كالمعادن فى اختلافها من نفيس إلى خسيس، والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المعروف المستقر فى الأرض.

(**فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام**) هذا التفرع تشبيه آخر، حذف منه الوجه والأداة والمشبه به، لأن المعدن النفيس، فى باطن الأرض نفيس، فإذا استخرج بقيت نفاسته وظهرت، وكذلك الأصول الشريفة فى الجاهلية، هى رءوس بالنسبة إلى أهل الجاهلية، فإن أسلم الشريف استمر شرفه، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين فى الجاهلية، فالذهب إذا استخرج وصنع سيفاً، أشرف وأعظم قيمة من الحديد إذا استخرج وصنع سيفاً.

(**إذا فقهوا**) بضم القاف، ويجوز كسرهما، وفيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامى لا يتم إلا بالتفقه فى الدين، فالتفقه فى الدين فى جانب المشبه يعدل الصنعة فى جانب المشبه به.

قال الحافظ ابن حجر: وعلى هذا فتقسم الناس إلى أربعة أقسام، مع ما يقابلها:

الأول: شريف فى الجاهلية أسلم وتفقه (فهو كالذهب استخرج، وصنع حلية جميلة) ويقابله على النقيض منه مشروف فى الجاهلية، لم يسلم، ولم يتفقه (فهو كالحديد الذى لم يستخرج).

الثانى: شريف فى الجاهلية، أسلم ولم يتفقه (فهو كالذهب استخرج، ولم يصنع) ويقابله على النقيض مشروف فى الجاهلية، لم يسلم، وتفقه.

الثالث: شريف فى الجاهلية لم يسلم، ولم يتفقه (فهو كالذهب لم يستخرج) ويقابله مشروف فى الجاهلية، أسلم، ثم تفقه (فهو كالحديد، استخرج وصنع صنعة جميلة).

الرابع: شريف فى الجاهلية، لم يسلم، وتفقه، ويقابله مشروف فى الجاهلية، أسلم، ولم يتفقه (فهو كالحديد، استخرج، ولم يصنع).

قال: فأرفع الأقسام من شرف فى الجاهلية، ثم أسلم وتفقه.

ويليه من كان مشروفاً، ثم أسلم وتفقه.

ويليه من كان شريفاً فى الجاهلية، ثم أسلم، ولم يتفقه.

ويليه من كان مشروفا في الجاهلية، ثم أسلم، ولم يتفقه.

أما من لم يسلم فلا اعتبار به، سواء كان شريفاً، أو مشرفاً، وسواء تفقه، أو لم يتفقه.

قال: والمراد بالخيار، في قوله « خيارهم » ويقولنا « شريف » من كان متصفاً بمحاسن الأخلاق، من جهة ملاءمة الطبع ومنافرتة خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، كالكرم والعفة والحلم والنجدة، متوقياً لمساويها كالبخل والفجور والظلم والخذلان وغيرها، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً.

ولفظ « الخيار » جمع « خير » و « خير » تصلح صفة مطلقة، وتصلح أفعال تفضيل، تقول خير فيحتمل أن المعنى من كان فيه خير في الجاهلية ففيه خير في الإسلام، ويحتمل أن المعنى من اتصف بالأخيرية في الجاهلية، اتصف بها في الإسلام.

(وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه) وفي ملحوظ الرواية « تجدون من خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية، حتى يقع فيه » وعند البخاري « وتجدون خير الناس » وتقدير « من » في روايته هنا ضرورية، لأن من اتصف بذلك لا يكون خير الناس على الإطلاق.

واختلف في المراد من الأمر أو الشأن، فقال الحافظ ابن حجر: المراد به الولاية والإمرة، لأن الدخول في عهدة الإمرة مكروه، من جهة تحمل المشقة فيه، وإنما تشتد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين، لما فيه من صعوبة العمل بالعدل، وحمل الناس على رفع الظلم، ولما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده، ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه.

ثم قال: وأما قوله « حتى يقع فيه » فاختلف في مفهومه، فقيل: معناه أن من لم يكن حريصاً على الإمرة، غير راغب فيها، إذا حصلت له بغير سؤال، تزول عنه الكراهة فيها، لما يرى من إعانة الله له عليها، فيأمن على دينه مما كان يخاف عليه منها، قبل أن يقع فيها، ومن هنا أحب من أحب استمرار الولاية، من السلف الصالح، حتى قاتل عليها، وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية، بل ساءه العزل.

وقيل: المراد بقوله « حتى يقع فيه » أي فإذا وقع فيه لا يجوز له أن يكرهه، وقيل: معناه أن العادة جرت بذلك، وأن من حرص على الشيء، ورغب في طلبه قل أن يحصل له، ومن أعرض عن الشيء، وقلت رغبته فيه يحصل غالباً. اهـ.

وللقاضي عياض رأى آخر في المراد من الأمر والشأن، فيقول: يحتمل أن المراد به الإسلام، كما كان من عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وغيرهم من مسلمة الفتح، وغيرهم ممن كان يكره الإسلام، كراهية شديدة، فلما دخل فيه أخلص وأحبه، وجاهد فيه حق جهاده. اهـ. وما قاله الحافظ ابن حجر أولى بالقبول، وإن كان الترابط بين ما قاله القاضي عياض وبين صدر الحديث قوياً، والمناسبة ظاهرة، لكن لا يقال: إن عمراً وعكرمة وسهيل كانوا في الإسلام خيراً من أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

(وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) وفى رواية للبخارى « تجدون شر الناس » و« من » فيها مقدرة، كما سبق، و« أل » فى « الناس » هنا للجنس، فذو الوجهين من أفحش الناس شرا، ويؤيده رواية « من شر خلق الله ذو الوجهين ». قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس، لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، ويحتمل أن تكون « أل » فى « الناس » للعهد، والمراد بهم أهل الطائفتين المتضادتين، فإن كل طائفة منهما مجانبة للأخرى ظاهرا، فلا يتمكن من الاطلاع على أسرارها إلا بما ذكر من خداعه الفريقتين، ليطلع على أسرارهم، فهو شرهم كلهم. قال النووى: هو الذى يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها، ومخالف لصددها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع، وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين. اهـ. وجاء فى رواية الإسماعيلي « الذى يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء ». وقال ابن عبد البر: حمله على ظاهره جماعة، وهو أولى، وتأوله قوم على أن المراد به من يرائى بعمله، فيرى الناس خشوعا، واستكانة، ويوهمهم أنه يخشى الله، حتى يكرموه، وهوى الباطن بخلاف ذلك، قال: وهذا محتمل لو اقتصر الحديث على صدره « وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين » فإنه داخل فى مطلق ذى الوجهين، لكن بقية الحديث ترد هذا التأويل، وهى قوله « يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه ».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

- ١- أن الحسب له قيمته فى الإسلام.
- ٢- أن الفقه والعلم بأمور الشريعة ركن متمم للإسلام.
- ٣- ذم السعى وراء الإمارة، ومدح من يعف عنها، ويزهد فيها.
- ٤- ذم النفاق والسعى بين الناس بالفساد، ونقل الحديث والأخبار، قال النووى: أما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود. وقال بعضهم: الفرق بينهما أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها، ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى، والمحمود أن يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل ما يمكنه من الجميل، ويستتر القبيح.

والله أعلم

(٦٧٣) باب من فضائل نساء قريش

٥٦١٦ - ٢٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٠٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نساء ركبن الإبل (قال أحدهما: صالح نساء قريش. وقال الآخر: نساء قريش) أحناه على يتيم في صغره. وأرعاه على زوج في ذات يده».

٥٦١٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه. يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم. وابن طاوس عن أبيه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم. بمثله. غير أنه قال: «أرعاه على ولد في صغره» ولم يقل: يتيم.

٥٦١٨ - ٢٠١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٠١) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل. أحناه على طفل. وأرعاه على زوج في ذات يده». قال: يقول أبو هريرة على إثر ذلك: ولم تترك مريم بنت عمران بعيراً قط.

٥٦١٩ - وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ، بنت أبي طالب. فقالت: يا رسول الله! إنني قد كبرت. ولي عيال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نساء ركبن» ثم ذكر بمثل حديث يونس. غير أنه قال: «أحناه على ولد في صغره».

٥٦٢٠ - ٢٠٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٠٢) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نساء ركبن الإبل، صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده».

المعنى العام

فضل الله بعض الأزمنة على بعض، وفضل بعض الأمكنة على بعض، وفضل بعض الناس على

(٢٠٠) حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ح وعن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة

(٢٠١) حدثني حزملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة - حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة

(٢٠٢) حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد قال ابن رافع حدثنا وقال عبد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة ح وحدثنا معمر عن هشام بن منبه عن أبي هريرة - حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي حدثنا خالد يعني ابن مخلد حدثني سليمان وهو ابن بلال حدثني سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث معمر هذا سواء.

بعض، وفضل بعض الرسل على بعض، وفضل بعض الرجال على بعض، وفضل بعض النساء على بعض، ولكل تفضيل جهة فضل، وليست هناك أفضلية من جميع الجهات.

وهذا الحديث يفضل نساء قريش على نساء العرب من زاوية معينة، هي زاوية العطف على الولد، وحسن رعايته وتربيته إذا فقد أباه، وآية هذا الحنان تظهر عند اشتداد الحاجة إليه، وتشتد الحاجة إليه عند فقد المربي الأول، والراعى الأول للأولاد، وهو الأب، وآية حنان الأم، أن نقيم على أولادها، وتمنحهم كل مشاعرها وعطفها، فإن هي تزوجت رجلا غير أبيهم، فقدت بعض عطفها عليهم، بل قد تفقد كل عطفها عليهم.

كما يفضل الحديث نساء قريش من زاوية أخرى هي زاوية رعاية الزوج في ماله، وحفظه في بيته، وحسن تبعه، أما نساء الأنصار، فقد فضلن من زاوية أخرى « نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين ».

المباحث العربية

(خير نساء ركين الإبل نساء قريش) وفى الرواية الثالثة « صالح نساء قريش » وهذا القيد مراد فى الرواية الأولى، قال النووى: ومعنى « ركين الإبل » نساء العرب. وقال القرطبي: هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة، لأنهم أصحاب الإبل غالبا، وقد عرف أن العرب خير من غيرهم مطلقا فى الجملة، فكأنه قال: خير النساء نساء قريش، أو صالح نساء قريش. وفى رواية « صلح نساء قريش » بضم الصاد وفتح اللام المشددة، بصيغة الجمع، والمراد بالصلاح هنا صلاح الدين وحسن المخالطة مع الزوج ونحو ذلك.

وفى ملحق الرواية الثانية بيان سبب ورود هذا الحديث، وفيه « أن النبى ﷺ خطب أم هانئ بنت أبى طالب فقالت: يا رسول الله، إنى قد كبرت، ولى عيال. فقال رسول الله ﷺ: خير نساء ركين الإبل... » ويذكر الحافظ ابن حجر فى الإصابة وابن عبد البر فى الاستيعاب أن النبى ﷺ خطب أم هانئ من أبيها عمه أبى طالب، وكان اسمها فاختة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند وهى شقيقة على، وخطبها فى الوقت نفسه هبيرة ابن عمرو بن عائذ المخزومى، فزوج هبيرة، واعتذر للنبي ﷺ، ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة، لأن هبيرة لم يسلم، ولما فتحت مكة هرب إلى نجران، وقال معتذرا عن فراره:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا .: وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكننى قلبت أمرى فلم أجد .: لسيفى غناء - إن ضربت - ولا نبلى
وقفت فلما خفت ضيعة موقفى .: رجعت لعود كالهزير أبى الشبل

ولما علم هبيرة بإسلام أم هانئ قال فيها شعرا، منه قوله يخاطبها:

- لئن كنت قد تابعت دين محمد .: وعطفت الأرحام منك حبالها
فكونى على أعلى سحيق بهضبة .: ممنعة لا تستطاع قلالها
فإنى من قوم إذا جد جدهم .: على أى حال أصبح القوم حالها
وإنى لأحمى من وراء عشيرتى .: إذا كثرت تحت العوالى مجالها

ولدت أم هانئ لهبيرة عمرا وهانئا ويوسف وجعدة، فلما فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة خطبها النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، والله، إنى كنت لأحبك فى الجاهلية فكيف فى الإسلام، ولأنت أحب إلى من سمعى وبصرى، وحق الزوج عظيم، وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج، وأنا امرأة مصيبة، فأكره أن يؤذوك، فقال ﷺ: « خير نساء ركب الإبل... » الحديث.

فلما أدرك بنوها عرضت نفسها على النبي ﷺ، فقال: أما الآن فلا، لأن الله أنزل عليه قوله ﴿وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجِرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ولم تكن من المهاجرات. عاشت رضى الله عنها بعد على ﷺ.

(أحناء على يتيم فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده) فى ملحق الرواية « أرعاه على ولد فى صغره » وفى الرواية الثانية « أحناء على طفل » و « أحناء » بسكون الحاء، أى أكثره شفقة، وعطفا من الحنو، يقال: حنا يحنو ويحنى، من الثلاثى، وأحنى يحنى من الرباعى، والحنانية التى تقوم بولدها بعد موت الأب، قال ابن التين: وحنن المرأة على ولدها إذا لم تتزوج بعد موت الأب، فإن تزوجت فليست بحانية.

و « أرعاه على زوج » أى أحفظه، وأصونه لماله، بالأمانة فيه، والصيانة له، وترك التبذير فى الإنفاق، من الرعاية، وكان حقه أن يقول: أحناهن، وأرعاهن، أى أحنى النساء، لكن العرب تكلموا بالضمير مفردا مذكرا، على إرادة اللفظ أو الجنس أو الشخص أو الإنسان، وجاء نحو ذلك فى حديث « كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهها، وأحسنه خلقا » بالإفراد فى « أحسنه » الثانية، أى أحسن الجنس خلقا، ومرعلينا قريبا حديث أبى سفيان، وقوله « عندى أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة » بالإفراد والتذكير فى « أجمله » قال أبو حاتم السجستاني: لا يكادون يتكلمون به إلا مفردا.

ومعنى « فى ذات يده » أى فى ماله ومكسبه المضاف إليه، ومنه قولهم: فلان قليل ذات اليد، أى قليل ما ملكت يده، أى قليل المال، ووضعت المرأة ذات بطنها، أى ولدت، وأصل « ذات » مؤنث « ذو » بمعنى صاحب، فهى صفة لموصوف مؤنث محذوف، وأصل « أرعاه فى ذات يده » أى أرعى النساء فى الأموال صاحبة يده، ووضعت المرأة ذات بطنها، أى وضعت نفسها صاحبة بطنها، وقابلته ذات يوم، أى مقابلة صاحبة يوم، أى فى يوم، وما كلمته ذات شفة، أى ما كلمته كلمة صاحبة شفة، أى خارجة من شفة، وإصلاح ذات البين، أى إصلاح الشأن والحال صاحبة الفرقة، وجلس ذات اليمين، وذات الشمال، أى الجهة صاحبة اليمين والجهة صاحبة الشمال.

(يقول أبو هريرة على إثر ذلك: ولم تتركب مريم بنت عمران بعيراً قط) يشير بذلك إلى أن « مريم » لم تدخل في هذا العموم، لأنه قيد أصل الفضل بمن يركبن الإبل، ومريم لم تتركب بعيراً قط، وقد اعترض بعضهم، فقال: كأن أبا هريرة ظن أن البعير لا يكون إلا من الإبل، وليس كما ظن، بل يطلق البعير على الحمار، وهذا الاعتراض ساقط، لأنه على فرض إطلاق البعير على الإبل وعلى الحمار، فنفي ركوبه يخرج « مريم » من عموم التفضيل. والظاهر أن أبا هريرة علم ذلك عن طريق النبي ﷺ، فعند أحمد « وقد علم رسول الله ﷺ أن مريم لم تتركب بعيراً قط ».

فقه الحديث

فهم بعضهم أن أبا هريرة يرى أن مريم أفضل النساء مطلقاً، وهذا مقبول على القول بأنها كانت نبية، وقد استدل على أنها كانت نبية بقوله تعالى ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وأنها ذكرت في سورة مريم بمثل ما ذكر به الأنبياء، قالوا: ولا يمنع وصفها بأنها صديقة من كونها نبية، فإن يوسف عليه السلام وصف بذلك مع كونه نبياً، وقد نقل الأشعري أن في النساء نبيات، وجزم ابن حزم بنبيات ست: حواء، وسارة، وهاجر، وأم موسى وآسية، ومريم، ولم يذكر القرطبي سارة ولا هاجر، ونقله السهيلي في آخر الروض عن أكثر الفقهاء، وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية، وقال عياض: الجمهور على خلافه، وذكر النووي في الأذكار عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ونسبه في شرح المذهب لجماعة، وجاء عن الحسن البصري: ليس في النساء نبية، ولا في الجن. وقال السبكي: اختلف في هذه المسألة، ولم يصح عندي في ذلك شيء. اهـ. وإخراج أبي هريرة « مريم » من المفاضلة لا يلزم منه أن تكون أفضل النساء مطلقاً، لأن المفاضلة بين راكبات الإبل، والكثيرات من النساء لم يركبن الإبل في سابق العصور ولا حقها، على أن « من » مقدره، كما ذكرنا سابقاً، لأن من اتصفت بذلك فقط لا تكون خير النساء على الإطلاق، فإخراج مريم من المفاضلة لا يمنع من إخراج غيرها، ولا يفيد تفضيل مريم على غيرها من النساء، وقد قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قالوا: على عالمي زمانها، وقد سبقت المسألة في كتاب فضائل الصحابة أبواب من فضائل خديجة وعائشة وفاطمة رضي الله عنهن.

وفي الحديث منقبة لنساء قريش، وأن غير القرشيات لسن كفتاً لهن، واستحباب تخير الزوجة، ذكره الحافظ ابن حجر.

وفي الحديث فضل الحنو والشفقة، وحسن التربية والقيام على الأولاد، وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه، ومشروعية إنفاق الزوج على زوجته.

والله أعلم

(٦٧٤) باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه، رضى الله عنهم

٥٦٢١ - ٢٠٣ عن أنسٍ ﷺ (٢٠٣) أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة.

٥٦٢٢ - ٢٠٤ عن عاصم الأحول (٢٠٤) قال: قيل لأنس بن مالك: بلغك أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام»؟ فقال أنس: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار، في داره.

٥٦٢٣ - ٢٠٥ عن أنسٍ ﷺ (٢٠٥) قال: حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار، في داره التي بالمدينة.

٥٦٢٤ - ٢٠٦ عن جبير بن مطعمٍ ﷺ (٢٠٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف، كان في الجاهلية، لم يزد الإسلام إلا شدة».

المعنى العام

التحالف والتعاهد على الخير عرف قبل الإسلام، وعرفته العرب، قالوا: وأول حلف بمكة حلف الأحابيش، سمي بذلك لتحالفهم عند حبش - جبل على سبعة أميال من مكة، وقيل: لتحبشهم أي تجمعهم، تحالفوا على أن يكونوا يدا على غيرهم مارسى حبش مكانه، ثم كان حلف قريش وثقيف ودوس على أن لا يعتدى بعضهم على بعض، ثم كان حلف المطيبين وأزد، وفي الحديث «ما شهدت من حلف إلا حلف المطيبين، وما أحب أن أنكته وأن لى حمر النعم» وفي رواية «شهدت وأنا غلام حلفا مع عمومى المطيبين» ثم كان حلف الفضول - وهم فضل وفضالة ومفضل، وكان حلفهم ألا يعين أحد ظالما، وأن يعان المظلوم، وظهر الإسلام على ذلك، فوقعت المؤاخاة في الإسلام، وهى أحلاف بين أشخاص، وتعاون على البر والتقوى، وقد ضرب الأنصار في ذلك المثل الأعلى، حتى نزل فيهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

(٢٠٣) حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَنْ قَابَتِ عَنْ أَنَسٍ (٢٠٤) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا حَنْصُلُ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحْوَلُ قَالَ (٢٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَنَسٍ (٢٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ عَنْ زَكَرِيَاءَ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ

المباحث العربية

(أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح، وبين أبي طلحة) المؤاخاة رباط بين طرفين فى حقوق معينة، ليس بينهما أخوة نسب، قال ابن عبد البر: كانت المؤاخاة مرتين، مرة بين المهاجرين خاصة بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار. اهـ وهى المقصودة هنا، وكان ابتداءها بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل: بتسعة أشهر، وقيل: بسنة وثلاثة أشهر، قبل بدر، والتحقيق أن ابتداء المؤاخاة كان أوائل قدومه المدينة، واستمر يجدها بحسب من يدخل فى الإسلام، أو يحضر إلى المدينة، والتحقيق أيضا أن بعض المؤاخاة كانت بين المهاجرين، بعضهم مع بعض، وبين بعضهم والأنصار، فعند الحاكم « آخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان » وفيه « آخى النبى ﷺ بين الزبير وابن مسعود » وقد ثبت أيضا أن كل واحد من هؤلاء قد آخى النبى ﷺ بينه وبين رجل من الأنصار ولا مانع فى ذلك، فقد يكون للواحد عدد من الإخوة من النسب، والمقصود من المؤاخاة إرفاق بعضهم ببعض، وتأليف قلوب بعضهم على بعض، وقد يكون البعض أقوى فى المال أو العشيرة أو الجاه، فيستعين الأعلى بالأدنى، ويفيد الأدنى من الأعلى، قال السهيلي: آخى بين أصحابه، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويأتنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أبطل الإرث بالأخوة، وجعل المؤمنين كلهم إخوة يعنى فى التواد، وشمول الدعوة اهـ.

وقد ذكر ابن سعد « لما قدم النبى ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفسا، بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، فلما نزل ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأحزاب: ٦] بطلت المواريث بالمؤاخاة، وبقي بها المعاونة والمواساة.

وفى البخارى « كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصارى المهاجرى، دون ذوى رحمه، للأخوة التى آخى النبى ﷺ بينهم... ».

وأبو عبيدة بن الجراح مهاجر، خصص لبعض فضائله باب مستقل، قبل خمسة وثلاثين بابا، وأبو طلحة أنصارى، زوج أم سليم، والدة أنس بن مالك.

(قيل لأنس: بلغك أن رسول الله ﷺ قال: لا حلف فى الإسلام؟) الكلام على الاستفهام، مع حذف الأداة، وهى مذكورة فى رواية البخارى، والحلف بكسر الحاء وسكون اللام، العهد، وكان السائل يشير بذلك السؤال إلى روايتنا الرابعة.

(فقال أنس: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فى داره) قال ابن عيينة: حالف بينهم، أى آخى بينهم. اهـ فمعنى الحلف فى الجاهلية معنى الأخوة فى الإسلام، لكنه فى الإسلام يجرى على أحكام الدين وحدوده، وحلف الجاهلية كان يجرى على ما كانوا يضعونه بينهم

بآرائهم، فبطل من حلف الجاهلية ما خالف حكم الإسلام، وبقي ما عدا ذلك على حاله، وفي الرواية الثالثة « حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داره التي بالمدينة » وفي بعض النسخ « في دارى التي بالمدينة » وعند البخارى « بين قريش والأنصار في دارى » ولا إشكال، فقد تعددت المؤاخذة كما ذكرنا.

وقد جمع العلماء بين إثبات المحالفة هنا، وبين نفيها في روايتنا الرابعة، بلفظ « لا حلف في الإسلام » فحملوا الحلف المثبت على حلف التناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، والحلف المنفى على حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه. كذا قيل: لكن الحلف المثبت هنا كان يشمل التوارث، فالأولى القول بالنسخ فيما يخص التوارث، فالنفي يراد به التوارث، أى لاتوارث بالتأخى، وقد نسخ ما كان في الحلف المثبت.

قال الطبرى: ما استدل به أنس على إثبات الحلف، لا ينافى حديث جبير بن مطعم - روايتنا الرابعة - فى نفيه، فإن الإخاء المذكور كان فى أول الهجرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث، وبقي ما لم يبطله القرآن، وهو التعاون على الحق، والنصر، ولأخذ على يد الظالم، كما قال ابن عباس: إلا النصر والنصيحة والرفادة، ويوصى له، وقد ذهب الميراث. اهـ.

والمراد من قوله « وأيما حلف كان فى الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا قوة » أى ما كان من أحلاف الجاهلية موافقا لشريعة الإسلام.

واختلف الصحابة فى الحد الفاصل بين الحلف الواقع فى الجاهلية، وحلف الإسلام، فقال ابن عباس: ما كان قبل نزول الآية المذكورة جاهلى، وما بعدها إسلامى. وعن على: ما كان قبل نزول ﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] جاهلى. وعن عثمان: كل حلف كان قبل الهجرة جاهلى، وما بعدها إسلامى. وعن عمر: كل حلف كان قبل الحديبية فهو مشدود، وكل حلف بعدها منقوض. قال الحافظ ابن حجر: وأظن قول عمر أقواها.

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- استحباب المؤاخذة، والتحالف على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

٢- وفيه منقبة ظاهرة للمهاجرين والأنصار.

٣- وكيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه، وقد أنكر ابن تيمية المؤاخذة بين المهاجرين وخصوصا مؤاخذة النبى ﷺ لعلى، قال: لأن المؤاخذة شرعت لإرفاق بعضهم بعضا، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخذة النبى ﷺ لأحد منهم، ولا لمؤاخذة مهاجرى لمهاجرى، قال الحافظ ابن حجر: وهذا رد للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخذة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض، بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين

الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى، لأنه هو الذى كان يقوم به من عهد الصبا، من قبل البعثة، واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة، لأن زيدا مولاهم.
٤- استدل به بعضهم إلى أن الكفالة التزام مال بغير عوض تطوعا، فيلزم، كما لزم استحقاق الأخ بالحلف الذى عقد على وجه التطوع.

(إضافة) ذكر ابن إسحق المؤاخاة، فقال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه - بعد أن هاجر - تأخوا. أخوين. أخوين. فكان هو وعلى أخوين، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين، (وتعقبه ابن هشام بأن جعفرا كان يومئذ بالحبشة، ووجهه العماد بن كثير بأنه أرصده لأخوته حتى يقدم، وفى تفسير سنيد: آخى بين معاذ وابن مسعود) وأبو بكر وخارجة بن زيد أخوين وعمر وعثمان بن مالك أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وأبو ذر والمنذر بن عمرو أخوين، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين.

والله أعلم

(٦٧٥) باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه،

وبقاء أصحابه أمان للأمة

٥٦٢٥ - ٢٠٧ عن أبي بردة^(٢٠٧) عن أبيه ﷺ قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ! قَالَ: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا. فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمْنَةٌ لِلسَّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

المعنى العام

يقول الله تعالى ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] سبحانه هياً الأسباب للمسببات، وجعل للنتائج مقدمات وجعل للساعة أشراطاً وعلامات، فانتشار الكواكب، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، كل ذلك من علامات الساعة، وهناك علامات لا نراها، ربطها الإسلام بما نراه، فإذا رأينا النجوم قد ذهبت من السماء في الليلة المظلمة الخالية من السحاب علمنا أن السماء انفطرت وانشقت، وطالما كانت النجوم موجودة ظاهرة لنا آمنا أن السماء موجودة كذلك، وحصل لنا اطمئنان على الحياة الدنيا.

والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في أمن وأمان من وقوع عذاب جماعى بهم، مادام الرسول ﷺ بينهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وعلم حذيفة وعمرو وبعض الصحابة من رسول الله ﷺ أن وجود أبي بكر وعمر في حياتهم باب حائل بينهم وبين الفتن التي تموج موج البحر، وقد حصل كل ذلك، وسبحان علام الغيوب.

المباحث العربية

(فرقع رأسه إلى السماء) لأنه سيتكلم عنها.

(٢٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ كُلُّهُمْ عَنْ حُسَيْنِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ الْجَعْفِيُّ عَنْ مُجَمِّعِ بْنِ يَحْيَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ

(وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء) فى أصول مسند أحمد « وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء » بدون « من » وهى أظهر، فإن « ما » مصدرية، والمصدر اسم « كان » والتقدير: وكان رفعه رأسه إلى السماء كثيرا.

(النجوم أمنة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد) بفتح الهمزة والميم والنون. قال العلماء: الأمنة والأمن والأمان بمعنى يقال: أمن بكسر الميم، يأمن بفتحها، أمانا وأمانة، وأمنا بفتح الميم، وإمنا بكسر الهمزة وسكون الميم، وأمنة. اطمأن ولم يخف، والمعنى وجود النجوم فى السماء علامة من علامات بقائها، لأن السماء نفسها غير مرئية، فما دامت النجوم باقية فالسما باقية، فإذا النجوم انكدرت وتناثرت كشتت السماء وانشقت وانفطرت وذهبت.

(وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون) من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذربه صريحا، وقد وقع كل ذلك.

(وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) من ظهور البدع فى الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم، كذا قال النووى. وفيه نظر، لأن كل ما ذكره حصل والصحابة أحياء، لم يذهبوا، ولم يكن وجود الصحابة مانعا من الردة، ولا من قتل عثمان رضي الله عنه، ولا من قتل عشرة آلاف من كبارهم فى معركة الجمل وحدها، ولا من انتهاك مكة والمدينة على يد الحجاج، ولا من ظهور الخوارج.

ولعل المراد من أصحابه أصحاب معينون - أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، كحديث حذيفة عن الفتنة وأن عمر كان الباب الذى يغلقها، وأن هذا الباب ينكسر بموته رضى الله عنه.

فقه الحديث

فى الحديث معجزة ظاهرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم.

وفيه فضيلة لصحابته رضى الله عنهم.

وأن ذهاب النجوم، وانتثار الكواكب، مرتبط بانفطار السماء، وقيام الساعة.

وما كان عليه الصحابة من انتظار الصلاة بعد الصلاة.

واستحباب ذلك، من إقراره صلى الله عليه وسلم لهم، وتحسينه فعلهم.

وأن وجود النبى صلى الله عليه وسلم وحياته أمان لأمته، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

والله أعلم

(٦٧٦) باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم

٥٦٢٦ - ٢٠٨ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٢٠٨)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يأتي على الناس زمان. يغزوا فنام من الناس. فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم: فيفتح لهم. ثم يغزوا فنام من الناس. فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم: فيفتح لهم. ثم يغزوا فنام من الناس. فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم: فيفتح لهم.»

٥٦٢٧ - ٢٠٩ عن جابر رضي الله عنه (٢٠٩) قال: قال أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان. يبعث منهم البعث فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل. فيفتح لهم به. ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيفتح لهم به. ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ ثم يكون البعث الرابع فيقال: انظروا هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحد رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل. فيفتح لهم به.»

٥٦٢٨ - ٢١٠ عن عبد الله رضي الله عنه (٢١٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي القرن الذين يلوني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه. ويمينه شهادته» لم يذكر هذا القرن في حديثه. وقال قتبية: «ثم يجيء أقوام».

٥٦٢٩ - ٢١١ عن عبد الله رضي الله عنه (٢١١) قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال: «قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تبدر شهادتهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته». قال إبراهيم: كانوا ينهوننا، ونحن غلمان، عن العهد والشهادات.

(٢٠٨) حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ وَاللَّفْظُ لِرُهْبِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعَ عُمَرُ جَابِرًا يُخْبِرُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(٢٠٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَمْوِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ

(٢١٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عُبَيْدَةَ السُّلَمَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

(٢١١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ قَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ عُثْمَانُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ بِإِسْنَادِ أَبِي الْأَحْوَصِ وَجَرِيرٍ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا سِوَلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

٥٦٣٠-٢١٢ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ (٢١٢)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». فَلَا أُدْرِي فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ. تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

٥٦٣١-٢١٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ (٢١٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذْكَرَ الثَّلَاثِ أَمْ لَا. قَالَ: ثُمَّ يَخَلْفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ. يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا».

٥٦٣٢- - وَفِي رِوَايَةٍ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَا أُدْرِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.

٥٦٣٣-٢١٤ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ (٢١٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قُرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أُدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قُرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً: «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ. وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْدُرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السَّمَنُ».

٥٦٣٣- وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ شُعْبَةَ. بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَفِي حَدِيثِهِمْ: قَالَ: لَا أُدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قُرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. وَفِي حَدِيثِ شَبَابَةَ قَالَ: سَمِعْتُ زُهْدَمَ ابْنَ مُضَرَّبٍ، وَجَاءَنِي فِي حَاجَةٍ عَلَيَّ فَرَسٍ، فَحَدَّثَنِي، أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ ابْنَ حُصَيْنٍ: وَفِي حَدِيثِ يَحْيَى وَشَبَابَةَ: «يَنْدُرُونَ وَلَا يُفُونَ». وَفِي حَدِيثِ بَهْزٍ: «يُؤْفُونَ كَمَا قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ».

٥٦٣٥-٢١٥ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ (٢١٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِهَذَا الْحَدِيثِ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» زَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ قَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢١٢) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْحُلَوَائِيُّ حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدِ السَّمَانِ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٢١٣) حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ أَبِي بَشْرِ ح وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَالِمٍ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا أَبُو بَشْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا عُندَرٌ عَنْ شُعْبَةَ ح وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي بَشْرِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ (٢١٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ جَمِيعًا عَنْ عُندَرٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ حَدَّثَنِي زُهْدَمُ بْنُ مُضَرَّبٍ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَاتَمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا بَهْزٌ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ كُلُّهُمُ عَنْ شُعْبَةَ (٢١٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَمَوِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبِي كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ

أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا. بِمِثْلِ حَدِيثِ زَهْدِمٍ عَنِ عِمْرَانَ. وَزَادَ فِي حَدِيثِ هِشَامٍ عَنِ قَتَادَةَ
«وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلِفُونَ».

٥٦٣٦ - ٢١٦ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢١٦) قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ
خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ. ثُمَّ الثَّانِي. ثُمَّ الثَّالِثُ».

المعنى العام

الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين هم الذين حموا دعوة الإسلام، وحملوها ونشروها، وكان لهم
الفضل الأول والأكبر في تحمل أعبائها وأخطار الدفاع عنها ونشرها، باعوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة، يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون، قاتلوا، وهم قلة، وأنفقوا. وبهم خصاصة، والرسول ﷺ
يقول: «سبق درهم ألف درهم» فرجل يملك درهمين أنفق أحدهما في سبيل الله يسبق ألف درهم
ينفقها في سبيل الله رجل يملك الملايين. والرسول الكريم يقول: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما
بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» يعني ما عادل حفنة من طعام أنفقها أحد الصحابة في صدر الإسلام، بل
ما أنفقوا هم قبل فتح مكة وقتالهم قبل فتح مكة أعظم أجراً ودرجة مما أنفقوه بعد الفتح ومما قاتلوه
بعد الفتح، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ
اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ
أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠، ٢١].

بهذا فضل الله الصحابة على غيرهم، وجعلهم خير القرون في هذه الأمة، وجعل التابعين يلونهم
في الفضل، وتابعى التابعين يلون التابعين، وهكذا تتوالى الأجيال، وبقدر تمسكها بشريعتها، ودفاعها
عن دينها يكون فضلها وسبقها، حتى تصل الأجيال في ضعفها الديني إلى أنهم يخونون ولا يؤتمنون،
وينذرون ويعدون ولا يوفون، ويصابون بالذم والجرى وراء الدنيا وشهواتها، حتى يسمنوا ثم لا
يشبعون، ويتسابقون لشهادة الزور والباطل ويحلفون، يأكلون أموالهم بينهم بالباطل ويظلمون، لا
يتناهون عن منكر فعلوه، بل يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويصبح المنكر عندهم معروفاً،
والمعروف منكراً، وأولئك شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة، والعياذ بالله رب العالمين.

(٢١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَشِجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ وَهُوَ ابْنُ عَلِيِّ الْجُعْفِيِّ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ
السُّدِّيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبُهِيِّ عَنِ عَائِشَةَ

المباحث العربية

(يأتي على الناس زمان، يغزوفئام من الناس) بكسر الفاء، ويجوز فتحها، بعدها همزة، ويجوز تسهيلها، والمشهور الأول، أى جماعة من الناس، والفعل « يغزو » منزل منزلة اللازم، أى يحصل منهم الغزو. وفى الرواية الثانية « يبعث منهم البعث » أى الجيش.

(فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ) الكلام على الاستفهام بحذف الأداة، وفى الرواية الثانية « فيقولون: انظروا. هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ؟ » القائلون بعض أفراد البعث لبعض يسألون ليتبركوا بهم. وذلك عندما يقل، أو ينسدر الصحابة، ويكون الجيش من التابعين.

(فيقولون: نعم) فينا فلان، فيتبركون به.

(فيفتح لهم) فى الرواية الثانية « فيفتح لهم به » أى ببركته.

(ثم يغزوفئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم) وذلك عندما يقل التابعون، أو ينسدر وجودهم فى الجيش، ويكون الجيش من أتباع التابعين، فيفتح لهم ببركة التابعى الموجود فى الجيش، وفى الرواية الثانية « ثم يبعث البعث الثانى، فيقولون: هل فيهم (فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة) من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ (أى فيقولون: نعم، فيتبركون به) فيفتح لهم به »، أى ببركته.

(ثم يغزوفئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟، فيقولون: نعم. فيفتح لهم) فى الرواية الثانية « ثم يبعث البعث الثالث، فيقال: انظروا. هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ ».

(ثم يكون البعث الرابع، فيقال: انظروا. هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أصحاب النبى ﷺ، فيوجد الرجل، فيفتح لهم به) كذا بالرواية الثانية، مشيرا إلى أتباع أتباع التابعين، وقد اقتصرت الرواية الأولى وروايات البخارى على البعث الثالث، أتباع التابعين.

(خير أمتى القرن الذين يلونى) المراد من القرن هنا أهل القرن، ولذلك عاد الضمير فى « يلونى » جمعا مذكرا، والمراد قرنه صلى الله عليه وسلم باعتبارهم أتباعا له صلى الله عليه وسلم، وفى الرواية الرابعة « سئل صلى الله عليه وسلم: أى الناس خير؟ قال: قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية الخامسة « خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية السادسة « خير أمتى القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية السابعة « إن خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم » وفى ملحق الرواية السابعة « خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم » وفى الرواية الثامنة « أى الناس خير؟ قال: القرن الذى أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث ».

والقرن فى الأصل أهل زمان واحد متقارب، اقترنوا، واشتركوا فى أمر من الأمور المقصودة، وخصه بعضهم بما إذا اجتمعوا فى زمن نبى، أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل.

ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها، من عشرة أعوام، إلى مائة وعشرين، وذكر الجوهري أقوالاً، بين الثلاثين عاماً والثمانين، وذكر صاحب المحكم أقوالاً فيما بين العشرة والسبعين، ثم قال: هذا هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن. قال الحافظ ابن حجر: وعند مسلم ما يدل على أن القرن مائة، وهو المشهور - يشير إلى أحاديث الباب التالي.

والمراد من قرنه صلى الله عليه وسلم في أحاديث الباب الصحابة، ومن الذين يلونهم التابعون، ومن الذين يلونهم أتباع التابعين، قال شهر: قرنه صلى الله عليه وسلم: ما بقيت عين رأته، والذين يلونهم ما بقيت عين رأته من رآه، وهكذا. وقال الحافظ ابن حجر: وقد ظهر أن الذي بين بعثته صلى الله عليه وسلم وآخر من مات من الصحابة مائة وعشرون سنة، أو دونها أو فوقها بقليل، على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، - على ضوء أحاديث الباب التالي - فيكون مائة سنة، أو تسعين، أو سبعا وتسعين.

وأما قرن التابعين، فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحو من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين، ممن يقبل قوله: من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتنح أهل العلم، ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يفشو الكذب» ظهوراً بيناً، حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات. والله المستعان. اهـ.

والمراد من خيرية القرن، خيرية مجموعته وجملته بالنسبة لمجموع غيره وجملته هذا ما نميل إليه، وإن قال الحافظ ابن حجر: لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد محل بحث. وإلى الثاني نحا الجمهور، وأول قول ابن عبد البر، وسنحقيق القول في هذه المسألة في فقه الحديث.

(ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) وفي رواية «ثم يجيء أقوام» وفي الرواية الرابعة «ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته» و«تبدر» بفتح التاء وسكون الباء وضم الدال، بمعنى تسبق. قال الحافظ ابن حجر: أي في حالين، في حالة يشهد، ثم يحلف على صحة شهادته، ليقويها، فتسبق الشهادة اليمين، وفي حالة يحلف على صدق شهادته قبل أن يشهد، وليس المراد أن ذلك يقع في حالة واحدة، لأنه دور، به تصبح الشهادة سابقة ومسبوقة في وقت واحد، واليمين كذلك. قال: ويحتمل أن يقع ذلك في حال واحدة عند من يجيز الحلف في الشهادة، فيريد أن يشهد ويحلف. اهـ. وفي هذا الاحتمال نظر، لأن غاية ما فيه الجمع بين الحلف والشهادة، لا سبق كل منهما الآخر.

وقال الطحاوي: أي يكثرون الأيمان في كل شيء، حتى تصير عادة لهم، والحرص على ذلك، حتى لا يدري بأيهما يبدأ، لقلّة المبالاة باليمين والشهادة.

وفى الرواية الخامسة « ثم يتخلف من بعدهم خلف، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته » قال النووي: هكذا هو فى معظم النسخ « يتخلف » وفى بعضها « يخلف » بحذف التاء، وكلاهما صحيح، أى يجىء بعدهم خلف - بإسكان اللام، هكذا الرواية، والمراد خلف سوء، قال أهل اللغة: الخلف ما صار عوضاً عن غيره، ويستعمل فيمن خلف بخير أو شر، لكن يقال فى الخير بفتح اللام وإسكانها، لغتان، الفتح أشهر وأجود، وفى الشر بإسكانها عند الجمهور، وحكى أيضاً فتحها. اهـ.

وفى الرواية السادسة « يشهدون قبل أن يستشهدوا » وفى الرواية السابعة « يشهدون ولا يستشهدون » قال النووي: هذا الحديث فى ظاهره مخالف للحديث الآخر « خير الشهود، الذى يأتى بالشهادة قبل أن يسألها »: قال العلماء: الجمع بينهما أن الذم فى ذلك لمن بادر بالشهادة فى حق الأدمى، هو عالم بها، قبل أن يسألها صاحبها، وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لأدمى، ولا يعلم بها صاحبها، فيخبره بها ليستشهد به عند القاضى إن أراد، أو يموت صاحبها العالم بها، ويخلف ورثة، لا يعلمون بها، فيأتى الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم، فيعلمهم بذلك، ويلتحق به من كانت عنده شهادة حسبة، وهى الشهادة بحقوق الله تعالى، أو فيه شائبة من حق الله تعالى كالعق، والوقف والوصية العامة والعدة والطلاق ونحو ذلك، فيأتى القاضى، فيشهد بها، وهذا ممدوح، إلا إذا كانت الشهادة بحد، ورأى المصلحة فى الستر. قال: وهذا الذى ذكرناه من الجمع بين الحديثين هو مذهب أصحابنا ومالك وجمهير العلماء، وهو الصواب، وقيل فى الجمع أقوال أخرى ضعيفة منها:

١- قول من قال بالذم مطلقاً، وناى حديث المدح.

٢- وقول من حمل الذم على شهادة الزور، (وأجاز أداء الشهادة قبل السؤال فى غير ذلك).

٣- وقول من حمل الذم على الشهادة بالحدود (وأجاز أداء الشهادة قبل السؤال فى غير ذلك).

قال: وكلها فاسدة. اهـ.

وجنح ابن عبد البر إلى ترجيح حديث المدح « خير الشهداء الذى يأتى بالشهادة قبل أن يسألها » لكونه من رواية أهل المدينة، رواية زيد بن خالد، فقدمه على رواية أهل العراق، وبالح فزعم أن حديث عمران هذا لا أصل له.

وجنح غيره إلى ترجيح حديث عمران، لاتفاق صاحبى الصحيح عليه، وانفراد مسلم بإخراج حديث زيد ابن خالد، فقال بالذم مطلقاً.

ومن العلماء من حمل حديث المدح على الكناية والمبالغة فى الإجابة إلى الأداء، فيكون لشدة استعدادها لها كالذى أداها قبل أن يسألها، كما يقال فى وصف الجواد: إنه ليعطى قبل الطلب، أى يعطى سريعاً عقب السؤال من غير توقف ولا تردد.

(كانوا يهنوننا - ونحن غلمان - عن العهد والشهادات) عن الجمع بين اليمين والشهادة، وقيل: المراد النهى عن قوله: على عهد الله، أو أشهد بالله، والقائل هو إبراهيم النخعى، وفى

رواية للبخارى « ونحن صغار» وفى رواية « كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد » قال ابن عبد البر: معناه عندهم النهى عن مبادرة الرجل بقوله: « أشهد بالله، وعلى عهد الله. لقد كان كذا وكذا ونحو ذلك، وإنما كانوا يضربونهم على ذلك، حتى لا يصير لهم به عادة، فيحلفوا فى كل ما يصلح وما لا يصلح. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد النهى عن تعاطى الشهادات، والتصدى لها، لما فى تحملها من الحرج، ولا سيما عند أدائها، لأن الإنسان معرض للنسيان والسهو، ولا سيما وهم - إذ ذاك - غالباً لا يكتبون.

(ثم يخلف قوم يحبون السمانة) وفى الرواية السابعة « ويظهر فيهم السمن » قال النووى: السمانة بفتح السين هى السمن، بكسر السين وفتح الميم. قال جمهور العلماء فى معنى هذا الحديث: المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر فيهم ذلك، وليس معناه، أن يتمحضوا سماناً، قالوا: والمذموم منه من يستكسبه، وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل فى هذا، والمتكسب له هو المتوسع فى المأكول والمشروب، زائداً على المعتاد، وقيل: المراد بالسمن هنا أنهم يتكثرون بما ليس فيهم، ويدعون ما ليس لهم من الشرف، وغيره، وقيل: المراد جمعهم الأموال بحرص وطغيان.

(ويخونون، ولا يؤتمنون) قال النووى: معناه خيانة ظاهرة، بحيث لا يبقى معها ائتمان، بخلاف من خان بحقير مرة واحدة، فإنه يصدق عليه أنه خان، ولا يخرج به عن الأمانة فى بعض المواطن. اهـ فهم لا يثق الناس بهم، ولا يعتقدونهم أمناء.

(وينذرون ولا يوفون) بكسر الذال وضمها لغتان، وفى ملحق الرواية السابعة « ولا يفون » بفتح الياء، وهى صحيحة يقال: وفى، بتخفيف الفاء، وأوفى.

فقه الحديث

فى الحديث فضل الصحابة. فمن هو الصحابى المقصود بهذا الفضل؟ الموصوف بالخيرية على بقية أفراد أمة الإجابة؟.

يقول البخارى: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. اهـ.

وهذا الذى ذكره البخارى هو الراجح، لكن تحته صور، فيها خلاف كبير:

إحداها: من رآه غير مميز، وعمل المحدثين على أنه صحابى، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبى بكر الصديق فى الصحابة، مع أنه ولد قبل وفاة النبى ﷺ بثلاثة أشهر وأيام.

ومع ذلك فأحاديث هذا الضرب مراسيل، لكنها ليست من قبيل مراسيل الصحابة المختلف فيها، بل هى غير مقبولة - باتفاق، وهذا مما يلغزه، فيقال: صحابى، حديثه مرسل، لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة.

ثانيها: يدخل فى هذا التعريف من رآه مسلماً بالغال لحظة من بعد، ولولم يحصل بينهما مشافهة، ككثير من الأعراب الذين اجتمعوا به فى حجة الوداع.

ثالثها: من رآه وهو كافر، ثم أسلم بعد موته منهم. قال الحافظ ابن حجر: إن كان قوله: « من المسلمين. حالا خرج من هذه صفته، وهو المعتمد.

رابعها: يدخل في هذا التعريف من صحبه أو رآه مسلما، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيا اتفاقا، فينبغي أن يزداد فيه « ومات على ذلك » أما لو ارتد ثم عاد إلى الإسلام، لكن لم يره ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود في الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه، ممن وقع له ذلك في الصحابة، وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد.

خامسها: أدخل بعضهم في هذا التعريف من رآه بعد موته، وقبل دفنه، قال الحافظ ابن حجر: والراجح أنه ليس بصحابي، وإلا لعد من اتفق له من يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم صحابيا، ولو في هذه الأعصار، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء، فرآه كذلك على طريق الكرامة، إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحياة ليست دنيوية، وإنما هي أخروية، لا تتعلق بها أحكام الدنيا، فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى.

أما من رآه في المنام - وإن كان قد رآه حقا - فذلك مما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابيا، ولا يجب عليه العمل بما أمره به في تلك الحالة.

ويقابل هذا التعريف تعريف يعنى بالأهلية لهذا اللقب، فيحمل الصحبة على ما هو متعارف، فلا يعد في الصحابة إلا من صحب صحبة عرفية، وكان مسلما بالغيا، ومات على الإسلام، وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدا، أو غزا معه غزوة فصاعدا، ولا يدخل في الصحابة من له رؤية لكن فارق عن قرب. وقد جاء عن أنس أنه سئل: هل بقى من أصحاب النبي ﷺ أحد غيرك؟ قال: لا. مع أنه كان في ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب.

ومع أن الحافظ ابن حجر يقول: والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين، ويقول عن القول الآخر: وهو مردود.

والعمل على خلاف هذا القول، فإنى أميل إلى هذا القول من حيث الحكمة في منح هذا اللقب، واستحقاق هذه الفضائل، واعتمادا على النصوص الكثيرة المشهورة وفي سبيل ذلك أضع الحقائق التالية:

أولا: لا خلاف في أن مجرد رؤيته صلى الله عليه وسلم من مسلم، ولو من طفل صغير ميزة وفضيلة لا تنكر لحصول بركة اللقاء، وكذلك من رآه مسلما بالغيا لحظات قليلة، لكنها لا يصدق عليها أنها صحبة، لا لغة، ولا عرفا، فلم يقل أحد إن رؤية من في السوق والمارة في الشوارع تثبت الصحبة، ذات الآثار الشرعية والعرفية.

ثانيا: النصوص تعلق فضائل الصحابة بعلة لا يتحلى بها، إلا صاحب اللغوى والعرفى، وسيأتينا حديث « لاتسبوا أصحابي. فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه ». وقد سبق حديث « لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم ».

وحديث الرضا عن أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة، والقرآن الكريم يقول ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤِثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿[الحشر: ٨، ٩].

من هنا استحقوا الفضائل، والجزاء الحسن الموعود به، ولا يؤهل مجرد الرؤية لهذا الجزاء، وأحاديث الحوض، وأنه يذاد عنه بعض الصحابة، فيقول صلى الله عليه وسلم: «أصحابي. أصحابي؟ فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول صلى الله عليه وسلم: سحقا. سحقا». لم يغن عنهم أنهم رأوا، وإنما طبقت عليهم قواعد الإسلام، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿[الزلزلة: ٧، ٨]، يا حمزة بن عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد. اعملوا فلن أغنى عنكم من الله شيئا. وهكذا لا تغنى الرؤية بدون عمل، ولها فضلها، لكنها لا تكفى وحدها، ليتبرك بأصحابها، وليفتح بها على المسلمين، ولقد رأينا في غزوة أحد أن الصحبة لم تفتح، لمجرد أنهم خالفوا رغبة نبيهم وإشارته، فكيف نتبرك ونطمئن للفتح لمجرد وجود واحد رأى؟ نعم نتبرك ونأمل الفتح إذا كان من رأى صحب صحبة حقيقية، بذل فيها النفس والمال في سبيل الدعوة إلى الله. والله أعلم.

ويؤخذ من الحديث فوق ما تقدم

١- أن الصحابة في مجموعهم خير من التابعين في مجموعهم، وأن التابعين في مجموعهم خير من أتباع التابعين في مجموعهم.

٢- ويؤخذ منه جواز المفاضلة بين الصحابة.

٣- استدل به بعضهم على تعديل أهل القرون الثلاثة، وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب، والأكثرية، فقد وجد في بعض أفرادها من اتصف بصفات مذمومة، لكن بقله، بخلاف ما بعد القرون الثلاثة، فالموجود من المذمومين أكثر.

٤- استنبط البخارى من الرواية الأولى والثانية الاستعانة بالضعفاء والصالحين في الحرب، والتبرك بهم وبتدعائهم، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية «ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين».

٥- ومن الرواية الثالثة والرابعة ذم من يشهد ويحلف مع شهادته، واحتج به بعض المالكية في رد شهادة من حلف معها، وجمهور العلماء أنها لا ترد.

٦- وفي الرواية السادسة ذم السمن الناتج عن الإكثار من الطعام والشراب.

٧- وفي الرواية السابعة وملحقاتها ذم الخيانة، وعدم الوفاء بالندى، قال ابن بطال: سوى بين من يخون أمانته، وبين من لا يفى بندره، والخيانة مذمومة، فيكون ترك الوفاء بالندى مذموما، وقال الباجي: ساق ما وصفهم به مساق العيب، والجائز لا يعاب، فدل على أن عدم الوفاء بالندى غير جائز.

والله أعلم

(٦٧٧) باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم:

« على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منقوسة ممن هو موجود الآن »

٥٦٣٧-٢١٧ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٢١٧) قال: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ. وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ.

٥٦٣٨-٢١٨ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(٢١٨) قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ! مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْقُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ».

٥٦٣٩- - وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ.

٥٦٤٠- - وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ. أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْقُوسَةٍ، الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ». وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ السَّقَايَةِ، عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ ذَلِكَ. وَفَسَّرَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: نَقَصُ الْعُمُرِ.

(٢١٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا وَقَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ

- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ وَرَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ ابْنِ مُسَافِرٍ كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِإِسْنَادٍ مَعْمَرٌ كَمِثْلِ حَدِيثِهِ

(٢١٨) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ قَالَا حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ

- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ

- حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى كِلَاهُمَا عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ ابْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو تَضَرَّةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا مِثْلَهُ

٥٦٤١-٢١٩ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ^(٢١٩) قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ تَبُوكَ، سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَأْتِي مِائَةَ سَنَةٍ، وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ».

٥٦٤٢-٢٢٠ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٢٢٠) قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ، تَبْلُغُ مِائَةَ سَنَةٍ». فَقَالَ سَالِمٌ: تَذَاكُرْنَا ذَلِكَ عِنْدَهُ. إِنَّمَا هِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٌ يَوْمَئِذٍ.

المعنى العام

الموت حق، نؤمن بوقوعه لكل مخلوق حتى إيماننا بدهيا محسوسا، لكن الذي يخفى علينا وقت وقوعه بنا **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان: ٣٤] ولو علم الناس نهاية عمرهم لأهملوا العمل، حتى يقرب الأجل، فأخفى الموعد، ليتوقع الكيس قربه، فيسعى ليل نهار، وليعمل لندياه، كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا.

ولما كان الإنسان مطبوعا على حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول، ويخاف الفجأة القاضية كثر السؤال عن الساعة، وموعدها، من منكريها، ومن المؤمنين بها، وكان الجواب واحدا، **﴿عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾** [الأعراف: ١٨٧] ولكن إذا جاء الأجل لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون، فعيشوا ما تعيشون، ولن يعيش أحد منكم - معشر الصحابة المخاطبين - أكثر من مائة عام أوحى إلى ربي بذلك، وهو علام الغيوب.

المباحث العربية

(**أرأيتمكم ليلتكم هذه؟**) أى أخبركم عن ليلتكم هذه؟ وعن آجالكم ابتداء منها؟ ودلالة « **أرأيتمكم** » على « **أخبركم** » عن طريق مجاز مرسل، علاقته اللازمية، إذ يلزم من الرؤية الإخبار بالمرئى غالبا، وكانت هذه الليلة قبل أن يموت صلى الله عليه وسلم بشهر، كما جاء فى الرواية الثانية، وملحقيها، وكانت هذه المقالة بعد أن صلى بهم العشاء، وكأنه صلى الله عليه وسلم ينعى لهم نفسه، ويبين أن الكل سيموت، طال الأجل أو قصر، وكانت هذه المقالة جوابا عن الساعة، وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك.

(**فإن على رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**) فى الرواية

(٢١٩) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ عَنْ دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ ح وَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ دَاوُدَ

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

(٢٢٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَّانَةَ عَنْ خُصَيْنٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

الثانية « تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله. ما على الأرض من نفس منفوسة، تأتي عليها مائة سنة » وفي ملحقتها « ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ » وفي الرواية الثالثة « لا يأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » وفي الرواية الرابعة « ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة » قال الرواي: « إنما هي كل نفس مخلوقة يومئذ » ومعنى « نفس منفوسة » أي مولودة.

(فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: « لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » يريد بذلك أن ينخرم القرن) « وهل » بفتح الهاء، يهل بكسرهما، من باب ضرب، أي غلط، وذهب وهمه إلى خلاف الصواب، وهو المراد هنا، أما وهل بكسر الهاء يهل بفتحها، من باب حذر، فمعناه، فزع، والوهل بالفتح الفزع، والمعنى أن الصحابة أخذوا يفسرون هذا الحديث تفسيرات خاطئة في مجالسهم إذا تناولوا هذه الأحاديث، فمنهم من يظن أنهم سيعيشون مائة سنة، فظن بعضهم أن أعمار من سيولد قد تصل مائة سنة، ولا تزيد عن مائة سنة، وإنما المراد أن كل نفس منفوسة من الأدميين كانت تلك الليلة حية على الأرض، لاتعيش بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، سواء كان عمرها في تلك الليلة قليلا أو كثيرا، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة. وقول الراوي: « يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن » معناه أن رسول الله ﷺ يريد بهذا انقضاء الأحياء الموجودين المعاصرين أهل هذا القرن، وذهابهم قبل مائة عام من هذه المقالة، يقال: انخرم العام، أي ذهب وانقضى، وانخرم القوم، أي فنوا وذهبوا.

فقه الحديث

- قال النووي: احتج بهذا الحديث من شذ من المحدثين، فقال: الخضر عليه السلام ميت، والجمهور على حياته، كما سبق في باب فضائله، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر، لا على الأرض (وهذا مردود، لأن البحر من الأرض) أو أن هذه الأحاديث من العام المخصوص. اهـ.
- أو المراد ممن على الأرض من المخاطبين ومن على شاكلتهم، أي الصحابة، أي لا يبقى أحد من الصحابة بعد مائة سنة، ولذلك بحثنا في الباب السابق، في نهاية القرن، وآخر الصحابة موتا، ولم نبحت آخر الناس في جميع بقاع الأرض موتا.
- ١- وقال النووي: في الحديث احتراز من الملائكة: فإنهم لا يدخلون في النفس المنفوسة على ظهر الأرض.
 - ٢- وفيه الأسلوب الحكيم، وهو الجواب على ما ينبغي أن يسأل عنه، لا عما سئل عنه، فإنهم سألوا عن الساعة، متى هي؟ فأجيبوا بأن ساعة كل مخلوق موته، وساعتهم جميعا بوجه عام قبل مائة سنة.
 - ٣- وفيه مناقشة الصحابة بعضهم بعضا في مجالسهم عن معاني الأحاديث.
 - ٤- وأنهم قد يخطئون في فهمها.

والله أعلم

(٦٧٨) باب تحريم سب الصحابة

٥٦٤٣-٢٢١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢٢١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

٥٦٤٤-٢٢٢ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه (٢٢٢) قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ. فَسَبَّهُ خَالِدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

المعنى العام

إن سب المسلم ولعنه من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، بل سب الحيوان ولعنه من الذنوب الكبيرة، وكلما ارتفعت قيمة المسبوب ارتفعت الجريمة وغلظت، لهذا جاء في الصحيح «إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، قيل: يا رسول الله. وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويلعن أمه».

والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أفضل أهل الأرض بعد الأنبياء والرسل، فخير القرون قرنه ﷺ، لما قدموا للإسلام من خدمات يصغر معها ما يقدم من غيرهم، وقد علم ﷺ أن الصحابة سيقع بينهم حروب، وتختلف وجهات النظر في الحكم على أعمالهم، فحسم المادة، ونهى عن سبهم ولعنهم، وأمام المسلم أمران، إما أن يمدحهم ويذكر أفضالهم، وإما أن يسكت إذا أحس خطأ من أخطائهم. رضى الله عنهم أجمعين.

المباحث العربية

(لا تسبوا أصحابي. لا تسبوا أصحابي) كذا بالتكرير في الرواية الأولى، وفي الرواية الثانية « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ:

(٢٢١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢٢٢) حَدَّثَنَا عُفْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِإِسْنَادِ جَرِيرٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ وَوَكَيْعٍ ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

« لا تسبوا أحداً من أصحابي ». بدون تكرير، وقد وضحت هذه الرواية المخاطب بقوله: « لا تسبوا » وهو وإن كان الضمير فيه جمعاً، لكن المقصود به واحد، وهو خالد، وغيره يجرى عليه النهى بطريق القياس، لأنه إذا نهى الصحابي صاحب الفضل عن أن يسب، نهى غير صاحب الفضل من باب أولى، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل من يتأتى خطابه، في أى زمان، وأى مكان، أى لا تسبوا معشر المكلفين من المسلمين أصحابي، وقد روى أن مناقشة دارت في التفاضل بين السابقين إلى الإسلام وفضلهم، وبين اللاحقين، وكان خالد ممن تأخر إسلامهم، فغضب وسب.

(فوالذى نفسى بيده. لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) قال الحافظ ابن حجر: فيه إشعار بأن المراد بقوله « أصحابي » أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة، وقد قال « أحدكم » وهذا كقوله ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] ومع ذلك فنهى بعض من أدرك النبي ﷺ، وخاطبه بذلك، عن سب من سبقه، يقتضى زجر من لم يدرك النبي ﷺ، ولم يخاطبه عن سبه من سبقه من باب أولى، وغفل من قال: إن الخطاب بذلك لغير الصحابة، والمراد به من سيوجد من المسلمين المفروضين فى العقل، تنزيلاً لمن سيوجد منزلة الموجود، للقطع بوقوعه، ووجه التعقيب عليه وقوع التصريح فى نفس الخبر بأن المخاطب بذلك، خالد بن الوليد، وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق.

وفى رواية « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً » وهذه الزيادة حسنة، والمد مكيال يعدل حفنة - بكف الرجل المعتدل، والنصيف بوزن رغيف هو النصف، وقيل: النصيف مكيال دون المد، وحكى الخطابي أنه روى « مد أحدهم » بفتح الميم. قال: والمراد به الفضل والطول.

قال البيضاوى: معنى الحديث: لا ينال أحدكم - بإنفاق مثل أحد ذهباً - من الفضل والأجر، ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية. قال الحافظ ابن حجر: وأعظم من ذلك فى سبب الأفضلية عظم موقع ذلك، لشدة الاحتياج إليه. قلت مع ضيق ذات اليد، ووقوعه فى وقت شدة وعسر.

قال: وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال، كما وقع فى الآية ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذى ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيماً، لشدة الحاجة إليه، وقلة المعتنى به، بخلاف ما وقع بعد ذلك، لأن المسلمين صاروا كثرة بعد الفتح، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم.

فقه الحديث

قال النووي: واعلم أن سب الصحابة - رضى الله عنهم - حرام، من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب، متأولون.

قال القاضى: وسب أحدهم من المعاصى الكبائر واختلف فى حكم من يسب الصحابة، فذهب الجمهور إلى أنه يعزى، وعن بعض المالكية يقتل،

وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسين، فحكى القاضي حسين فى ذلك وجهين وقواه السبكى فى حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبى ﷺ بإيمانه، أو تبشيره بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك، لما يتضمنه من تكذيب رسول الله ﷺ.

وفى الحديث فضل إنفاق الصحابة. قال القاضي: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت فى وقت الضرورة، وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان فى نصرته صلى الله عليه وسلم وحمائته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعاتهم. وهذا كله مع ما كان فى أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار، والجهاد فى سبيل الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال القاضي: ومن أصحاب الحديث من يقول: هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته، وقاتل معه، وأنفق وهاجر ونصر، لا لمن رآه مرة، كوفود الأعراب.

والله أعلم

(٦٧٩) باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه

٥٦٤٥ - ٢٢٣ عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ^(٢٢٣)، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ. وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُويَسٍ. فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُويَسٌ. لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ. قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ. فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ. إِلَّا مَوْضِعَ الدِّيَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ. فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٥٦٤٦ - ٢٢٤ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ^(٢٢٤) قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ النَّابِغِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُويَسٌ. وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ. فَمَرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

٥٦٤٧ - ٢٢٥ عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ^(٢٢٥) قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُويَسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُويَسٍ. فَقَالَ: أَنْتَ أُويَسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُويَسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ. فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرَ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلَا أَكْتَبُ لَكَ إِلَى غَامِلِيهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ. فَوَافَقَ عُمَرَ. فَسَأَلَهُ عَنْ أُويَسٍ. قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُويَسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ. فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ. فَأَتَى أُويَسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ

(٢٢٣) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنِي سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أُسَيْرِ

ابن جابر (٢٢٤) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

(٢٢٥) حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْأَخْرَانِ حَدَّثَنَا وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ

عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ. فَاسْتَغْفِرُ لِي. قَالَ: اسْتَغْفِرُ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَخَذْتَ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ. فَاسْتَغْفِرُ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفِرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ. فَأَنْطَلَقَ عَلَيَّ وَجْهَهُ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً. فَكَانَ كُلَّمَا رَأَهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟

المعنى العام

إذا كان خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم وصحابته فمن حيث المجموع الكلى، وهذا لا يمنع أن يوجد فرد أو أفراد فيمن بعد الصحابة هم أفضل عند الله وأقرب من بعض الصحابة، وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؟ وكيف لا وموسى عليه السلام أمر أن يتعلم على يد رجل مغموم، وعبد من عباد الله، آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً؟ وكيف لا ورسول الله ﷺ يقول لعمر الفاروق، الذى أعز الله به الإسلام، والذى إذا رآه الشيطان سالماً فجاً سلك فجا غيره، يقول له: إن فى التابعين رجلاً، تحرص على أن يستغفر لك، أنت يا عمر فى حاجة إلى استغفاره لك، إذا لقيته فاطلب منه أن يدعوك بالمغفرة.. إن اسمه أويس القرنى، ستجده رث الثياب، لا يأبه له الناس ولا يهتمون به، إنه من أهل اليمن، إنه يكون به برص، فيدعو الله، فيبرأ منه، إلا ما يعدل حجم الدرهم، إنه سيكون له أم يبرها، إنه سيأتيك فيمن يأتيك مجاهداً من أهل اليمن، فاطلب منه أن يستغفر لك، وأخذ عمر بعد أن استخلف يسأل وفود اليمن عن أويس، حتى وجده، فنفذ وصية رسول الله ﷺ.

المباحث العربية

(عن أسير بن جابر) بضم الهمزة وفتح السين، ويقال: أسيرين عمرو.

(وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس) فائدة ذكر هذا الرجل هنا ليعلم قيمة

أويس عند عمر.

والمعنى: وجاء أويس فى الوفد مع من يسخر منه، ويحتمل أن أويساً لم يأت مع هذا الوفد، وسأل عنه عمر، وقال عنه ما قال، ليراجع الرجل الذى يسخر منه، ليراجع نفسه، ومعنى « يسخر منه » أى يحتقره، ويستهنئ به، وهذا دليل على أنه كان يخفى حاله وصلاحه، ويكتم السر الذى بينه وبين ربه عز وجل، ولا يظهر منه شيء يدل على ذلك، وهذا طريق العارفين وخوفاً للأولياء، رضى الله عنهم.

(فقال عمر: هل ههنا أحد من القرنيين) أى من بنى قرن، بفتح القاف والراء، وهى بطن

من مراد، وهو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. هذا هو الصواب، وفى صحاح الجوهري أنه منسوب إلى قرن المنازل، الجبل المعروف، ميقات الإحرام لأهل نجد، قال النووى: وهذا غلط فاحش.

(فجاء ذلك الرجل) الظاهر أنه الرجل الذى يسخر بأويس، وكأن عمر كان قد علم أنه يسخر

منه، فقال ذلك ليرجع الرجل عن الاستهزاء به، ولعله أيضاً من القرنيين.

(كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟) الأمداد جمع مدد، أى الجماعات الغزاة، الذين يمدون جيوش الإسلام فى الغزو. أى يسأل عن أويس فلا يجده فى الأمداد.

(حتى أتى على أويس) فى الكلام قلب، والأصل: حتى أتى عليه أويس، أو لا قلب، والمعنى أتى على الأمداد يسألهم فيجيبون بالنفى، حتى أتى فى سؤاله على وفد ردوا بالإيجاب. لو أقسم على الله لأبره) أى لاستجاب دعاءه.

(فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل) الخطاب من رسول الله ﷺ لعمر. أى اطلب منه أن يستغفر لك.

(فقال له عمر: أين تريد؟) أين تريد أن تقيم؟.

(قال: الكوفة) مفعول لفعل محذوف، أى أريد الإقامة فى الكوفة.

(قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟) ليجلك ويكرمك كما تستحق؟.

(قال: أكون فى غبراء الناس أحب إلى) فلا تكتب لعاملك، ولا تكشف أمرى، وغبراء الناس، بفتح الغين وسكون الباء، أى ضعفائهم وعامتهم الذين لا يؤبه لهم.

(فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم) أى من أشراف القرنين.

(فوافق عمر) أى فقابل عمر.

(فسأله عن أويس) أى حاله وتصرفاته وسلوكياته.

(قال: تركته رث البيت) أى رديئه وبذيئه.

(قليل المتاع) حقير المتاع والأثاث.

(فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل) يحتمل أن يكون هذا من تنمة كلام الرسول ﷺ، يحكيه عمر، ويحتمل أن يراد به وصية من عمر للرجل.

(فأتى أويسا: فقال: استغفر لى قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لى)

أنت قال ذلك أويس تخفياً لحاله، ولم يرفض الاستغفار للرجل، فلما أصر الرجل على طلب استغفار أويس، فهم أويس أنه قابل عمر، وسمع الحديث من عمر، فسأله:

(لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس) وأخذوا يطلبون منه الاستغفار

(فانطلق على وجهه) وترك الديار، ومشى على غير قصد مكان، بل حسبما يوجهه وجهه وطريقه.

(قال أسير: وكسوته بريدة) فقبلها ولبسها على غير عادة.

(فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البريدة؟) استغراباً وتعجباً، حيث لا

يملك ثمن بريدة، ولم يتعود لبس مثلها.

فقه الحديث

فيه فضيلة أويس القرني، ومعجزة للنبي ﷺ، واستحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم، وفيه أن أويس أفضل التابعين، ولا يتعارض هذا مع قول أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، إذ مرادهم أن سعيد بن المسيب أفضل في العلوم الشرعية، وأويس أفضل في الصلاح والصلة بالله. وفيه فضيلة إثارة الخمول، وكرم حال الصلاح، وفضيلة بر الوالدين، وفضيلة العزلة.

والله أعلم

(٦٨٠) باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر

٥٦٤٨-٢٢٦ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٢٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ. فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا. فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا. فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَفْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبْنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِي شَرْحِبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ. يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبْنَةٍ. فَخَرَجَ مِنْهَا.

٥٦٤٩-٢٢٧ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢١٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ. فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا. فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصَهْرًا. فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبْنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا» قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شَرْحِبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ، يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبْنَةٍ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا.

المعنى العام

من رحمة الرسول ﷺ بأمة الدعوة، وشففته عليها، ومن وضعه لأصحابه قواعد معاملته غير المسلمين المنبثقة من الإحسان إلى من أساء، والعفو عن ظلم، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين.

من هذه السياسة الإسلامية الحكيمة يوصي صلى الله عليه وسلم صحابته بأهل مصر، حين يفتحها المسلمون، ويتلمس علاقة ما ترغب في الإحسان، وإن كانت لا تدفع إليه عند كثير من الناس. إن لهم عندنا معشر المسلمين حقاً وحرمة، فهم آل هاجر أم إسماعيل وأم العرب، وهم أهل مارية التي تسراها رسول الله ﷺ وهي أم إبراهيم ابنه عليه السلام، وصدق الله العظيم إذ يقول في نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

المباحث العربية

(إنكم ستفتحون أرضاً) أى بلداً، وفى الرواية الثانية « إنكم ستفتحون مصر » والخطاب للصحابة، وقد فتحوا مصر فى عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٢٦) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي حَزْمَلَةُ ح وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ وَهُوَ ابْنُ عِمْرَانَ التَّجِيبِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ
(٢١٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي سَمِعْتُ حَزْمَلَةَ الْمِصْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ

(يذكر فيها القيراط) أى يستعمل فيها لفظ القيراط، وهو معيار فى الوزن والقياس، واختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم فى الوزن أربع قمحات، وفى وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات، وفى القياس جزء من أربعة وعشرين جزءاً، ومن الفدان يساوى خمسة وسبعين ومائة متر .

(فاستوصوا بأهلها خيراً) السين والتاء للطلب، أى ليطلب بعضكم من بعض الوصية بهم، أو ليطلب كل منكم من نفسه و من غيره الوصية بهم، والإحسان إليهم، وفى الرواية الثانية « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ».

(فإن لهم ذمة ورحماً) الجملة تعليلية وفى الرواية الثانية « فإن لهم ذمة ورحماً، أو قال: ذمة وصهرًا » والذمة بكسر الهمزة والفتح والذال العهد والأمان والكفالة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم ». ومنه أهل الذمة، أى المعاهدون من أهل الكتاب، ومن جرى مجراهم، والمعاهد هو الذى أعطى عهداً، يأمن به على نفسه وماله وعرضه ودينه، والمعنى عليه فإنهم سيكون لهم ذمة وعهد، والأولى أن يراد بالذمة هنا الحق والحرمة، ويفسر هذا الحق بحق الرحم وصلته، لكون هاجر أم إسماعيل وأم العرب منهم، والمراد بالصهر فى الرواية الثانية النسب لكون مارية - أم إبراهيم - منهم، وكانت سرية له صلى الله عليه وسلم.

(فإذا رأيتم رجلين يقتتلان فى موضع لبنة فأخرج منها) فى الرواية الثانية « فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها » أى فى مصر، والمراد من المقاتلة المخاصمة والتنازع، « فى موضع لبنة فأخرج منها » الخطاب والأمر بالخروج من مصر لأبى ذر، وهو مبنى على رؤيته هو ومن عساه يرى معه خصومة رجلين فى موضع لبنة، وجمعها لبن بفتح اللام وكسر الباء، وهو المضروب من الطين قوالب يبني بها، دون أن تحرق. والخصومة فى مكانها من الأرض، قريبة من ملك هذا، أو من ملك ذلك. وكان هذا فى ذلك الوقت من الأمور التافهة التى لا يتقاتل عليها لسعة الأرض وضعف قيمتها. وكان ذلك علامة على فساد الأحوال، وشيوع الخصومات وخص أبو ذر بذلك الخروج، لأن ذلك من نقيض مبادئه التى تقول إن ما زاد على حاجتك ملك وحق لغيرك.

(قال: فمر بريعة وعبد الرحمن، ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعا فى موضع لبنة، فخرج منها) القائل « فمر » عبد الرحمن بن شماسة المهري، الراوى عن أبى ذر، ويحتمل أنها من كلام أبى ذر على التجريد، أى جرد من نفسه شخصاً آخر يتحدث عنه، وصرح بدون تجريد فى الرواية الثانية، ولفظها « فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، وأخاه بريعة يختصمان فى موضع لبنة، فخرجت منها ».

فقه الحديث

فيه وصية بأهل مصر والوصية بالخير لكل البلاد المطلوبة، لكنها مطلوبة بدرجة أكبر لأهل مصر لأن لهم عند المسلمين يداً وفضيلة.

وفيه معجزات لرسول الله ﷺ ظاهرة، ومنها:

إخباره بأن الأمة تكون لها قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة.

وأنهم يفتحون مصر.

ومنها تنازع الرجلين فى موضع اللبنة.

ومنها تواجد أبى ذر بمصر، وخروجه منها.

وقد وقع كل ذلك، ولله الحمد والمنة.

والله أعلم

(٦٨١) باب فضل أهل عمان

٥٦٥٠-٢٢٨ عَنْ أَبِي بَرزَةَ رضي الله عنه (٢٢٨) قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا إِلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ. فَسَبَّوهُ وَضَرَبُوهُ. فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ أَتَيْتَ، مَا سَبُّوكَ وَلَا ضَرَبُوكَ».

المعنى العام

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وتلك فضيلة، لكنها لا تصل في الفضل إلى الإحسان باللسان واليد، لكن حينما يكثر الأذى، ويشيع الظلم، والسب والشتم واللعن والضرب باليد وغيرها، وأكل أموال الناس بالباطل تظهر فضيلة السلامة من اللسان واليد كفضيلة كبرى. وهكذا كان أهل عمان في هذا الزمن أرق أفئدة، وأنقى لساناً، وأنظف يداً من كثير من أحياء العرب. فأتنى عليهم صلى الله عليه وسلم، ليقصدى بهم من عاصرهم، ومن يسمع بحسن أخلاقهم.

المباحث العربية

(بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً إلى حي من أحياء العرب) ليدعوهم إلى الإسلام بالحسنى، وأبهم هذا الحي جريا على عاداتهم في عدم التصريح بالمذموم للمستتر عليه.
(لو أن أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك) « عمان » في هذا الحديث بضم العين وتخفيف الميم، وهي عاصمة البحرين، وحكى القاضى عياض أن من العلماء من ضبطه بفتح العين وتشديد الميم، وهذا غلط.

فقه الحديث

فيه منقبة وفضل لأهل عمان بالثناء عليهم.
وفيه فضيلة سلامة المسلمين من الأذى.
وفيه ما لاقى حاملو الدعوة من العنت والأذى.
وما كان عليه بعض أحياء العرب من الغلظة والعنف والإيذاء.

والله أعلم

(٢٢٨) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ أَبِي الْوَارِثِ جَابِرِ بْنِ عَمْرٍو الرَّاسِبِيِّ سَمِعْتُ أَبَا بَرزَةَ يَقُولُ

المباحث العربية

(رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة) العقبة المرقى الصعب من الجبال، والمراد من المدينة هنا مكة، أى رآه مصلوباً، منكساً، رأسه إلى أسفل، على قمة جبل فى مكة.
(فجعلت قريش تمر عليه والناس) من غير قريش، منهم من يدعوله ويترحم عليه، ومنهم من يرى لحب الاستطلاع.

(حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه) أى على الأرض القريبة منه.
(فقال: السلام عليك: أبا خبيب) بضم الخاء وفتح الباء، مصغر، ناداه بكنيته، كنى بأكثر أبنائه وكانت له كنية أخرى، هى أبوبكر
(أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا) قالها ثلاثاً، والمشار إليه أسباب هذا الصلب، وهو مقاتلة الجبارين، والوقوف أمامهم.

(أما والله إن كنت ما علمت، صواماً، قواماً، وصولاً للرحم) « إن » مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير محذوف، أى إن الحال والشأن والحقيقة، والجملة خبرها، و« وصولاً » اسم مبالغة لاسم الفاعل، أى كثير الوصل للرحم، قال القاضى: وهو أصح من قول بعض الإخباريين، ووصفه بالإمساك. وقد عده صاحب الكتاب الأجود فيهم - أى فى الأجودين، وهو المعروف من أحواله. اهـ. أى هذا الوصف، وأنه وصول للرحم كريم، أصح من وصف بعض المؤرخين له بالبخل، والإمساك، وفى الاستيعاب لابن عبد البر: قال على بن زيد بن الجدعانى: كان عبد الله بن الزبير كثير الصلاة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجدات، والأمهات والخالات، إلا أنه كانت فيه خلال، لا تصلح معها الخلافة، لأنه كان بخيلاً، ضيق العطاء.

(أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير) الأوضح أن يقال: شرها، قال النووى: هكذا هو فى كثير من نسخنا « لأمة خير » وكذا نقله القاضى عن جمهور رواة مسلم، وفى أكثر نسخ بلادنا « لأمة سوء »، ونقله القاضى عن رواية السمرقندى. قال: وهو خطأ وتصحيف. اهـ. والمعنى: إن أعداءك يقولون عنك: إنك أكثر الأمة شراً، وحقيقتك أنك من أحسنها، فإذا كنت شراً كانت الأمة كلها خيراً. والمعنى ليس فاسداً على الرواية الأخرى، أى إذا كنت شراً فالأمة كلها شر وسوء، لأنك من أحسنها.

(ثم نفذ عبد الله بن عمر) بفتح النون والفاء بعدها نال، أى مضى وذهب لحاله.
(فبلغ الحجاج موقف عبد الله بن عمر، وقوله) فخشى تأثير هذا القول فى المسلمين، وخشى احتمال غضبتهم للمصلوب.

(فأرسل إليه) أى إلى ابن الزبير.
(فأُنزلَ عن جذعه) المصلوب عليه، وفى الاستيعاب لابن عبد البر: قال أبو عمر: رحل عروة ابن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، فرغب إليه فى إنزاله من الخشبة، فأُسعفه، فأُنزل.

(فألقى في قبور اليهود) وفي الاستيعاب عن ابن أبي مليكة، قال: كنت أول من بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله بن الزبير من الخشبة، فدعت بمركن وشب يمان، وأمرتني بغسله، فكنا لا نتناول عضواً إلا جاء معنا، فكنا نغسل العضو، ونضعه في أكفانه، ونتناول العضو الآخر الذي يليه، فنغسله، ثم نضعه في أكفانه، حتى فرغنا منه، ثم قامت، فصلت عليه.

(ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبّت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني، أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك - أي يجرك بصفائر شعرك - فأبّت، وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي - بكسر السين وإسكان الباء وفتح التاء وتشديد الياء، تثنية سبت، وهي النعل التي لا شعر عليها، فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوزف - بفتح الواو والذال المشددة - أي يسرع، وقيل: يتبختر - حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني فعلت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك. بلغني أنك تقول له - ساخراً - يا بن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكانت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغنى عنه) والنطاق - بكسر النون، قال العلماء: النطاق أن تلبس المرأة ثوبها، ثم تشد وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل، تفعل ذلك عند معاناة الأشغال، لئلا تعثر في ذيلها، قيل: سميت أسماء ذات النطاقين، لأنها كانت تطارف نطاقاً فوق نطاق، والأصح أنها سميت بذلك لأنها شقت نطاقها الواحد نصفين، فجعلت أحدهما نطاقاً صغيراً، واكتفت به، والآخر لسفرة النبي ﷺ، وأبي بكر ﷺ، كما صرحت به في هذا الحديث هنا، ولفظ البخاري أوضح من لفظ مسلم، ولفظ البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: « وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين ». وفي رواية « ذات النطاق ».

(أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيرا) بضم الميم وكسر الباء، وهو المهلك.

(فأما الكذاب فرأيناه) تعنى به المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان شديد الكذب، ومن أقبح كذبه أنه ادعى أن جبريل عليه السلام يأتيه، قال النووي: واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد.

(وأما المبير فلا إخالك إلا إياه) « إخالك » بفتح الهمزة وكسرها، وهو أشهر، ومعناه أظنك، واتفق العلماء على أن المراد بالمبير هنا الحجاج بن يوسف.

فقه الحديث

١- في الحديث استحباب السلام على الميت في قبره وغيره.

- ٢- وتكرير السلام ثلاثاً كما كرر ابن عمر
- ٣- وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة.
- ٤- وفيه منقبة لابن عمر لجهره بالحق فى المأء، وعدم اكترائه بالحجاج، لأنه يعلم أنه سيبلغه مقامه.
- ٥- وفى كلام ابن عمر إبطال الإشاعة الكاذبة التى اختلقها الحجاج، بأن عبد الله بن الزبير عدو الله وظالم.
- قال النووى: ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوماً، وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه.
- ٦- وفيه شجاعة أسماء وقوة حجتها وكلامها وقوة شخصيتها.

والله أعلم

(٦٨٣) باب فضل فارس

٥٦٥٢-٢٣٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٣٠) قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثَّرِيَا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِّنْ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ - مِّنْ أُنْبَاءِ فَارِسٍ. حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ».

٥٦٥٣-٢٣١ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٣١) قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ. فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة/٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ. حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ. قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِّنْ هَؤُلَاءِ».

المعنى العام

تطلق فارس والفرس على ما يسمى في هذه الأيام إيران، قيل: إنهم من ولد هدرام بن أرفخشذ بن سام ابن نوح، وأنه ولد بضعة عشر رجلا، كلهم كان فارسا شجاعا، فسموا الفرس، للفروسية، وقيل في نسبهم أقوال أخرى، وفي الطبقات: كان أولهم على دين نوح، ثم دخلوا في دين الصابئة، في زمن طمهورث، فداموا على ذلك أكثر من ألف سنة، ثم تمجسوا على يد زرادشت. واشتهر من مسلميهم سلمان الفارسي، وقد سبقت فضائله قبل ثلاثة عشر بابا، قال القرطبي: وقع ما قاله ﷺ عيانا، فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار، والعناية بها، ما لم يشاركهم فيه كثير من غيرهم.

المباحث العربية

(لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أوقال: من أبناء فارس، حتى يتناولوه) وفي الرواية الثانية « لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء » فوضع يده على سلمان الفارسي.

و«الثريا» مجموعة من النجوم البعيدة عن الأرض، وبها يضرب المثل في البعد، والكلام كناية عن وصول أهل فارس إلى الدين والعلم والإيمان مهما كلفهم هذا الوصول، زاد في بعض الروايات «برقة قلوبهم».

(٢٣٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ جَعْفَرِ الْجَزْرِيِّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٢٣١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ ثَوْرٍ عَنْ أَبِي الْعَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(فلما قرأ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] قال رجل: من هؤلاء
يارسول الله) وفى رواية « من هؤلاء الذين لما يلحقوا بنا؟ » والتعبير بـ « لما » يفيد أنهم سيلحقون.

فقه الحديث

فى الحديث فضيلة ظاهرة لأبناء فارس.
وجواز استعمال المجاز والكناية والمبالغة إذا كانت فى مواضعها.

والله أعلم

(٦٨٤) باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم: «الناس كإبل مائة»

٥٦٥٤-٢٣٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٢٣٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون الناس كإبل مائة. لا يجد الرجل فيها راحلة».

المعنى العام

أكثر الناس لا يعلمون، وأكثر الناس لا يفقهون، «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [سبأ: ١٣] وبعث النار قد يكون من كل مائة تسعة وتسعين، والمؤمنون بالإسلام بالنسبة لأمم بنى آدم فى عصورها السابقة واللاحقة كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض. وكل مجتمع من مجتمعات بنى آدم، فىهم القوي وفىهم الضعيف، فىهم الجواد وفىهم البخيل، فىهم الشجاع وفىهم الجبان، فىهم العطوف الرحيم، وفىهم الشديد الغليظ المناع للخير المعتدى الأتيم، ولو تجاوزنا بعض المجتمعات الفاضلة فى بعض الأزمنة لوجدنا نسبة الفاسدين للصالحين تصل [٩٩٪] كإبل المجتمع لا تجد منها يصلح للركوب المريح إلا [١٪] وباقها إنما يصلح لحمل الأثقال.

المباحث العربية

(تجدون الناس كإبل مائة، لا يجد الرجل فيها راحلة) قال ابن قتيبة: الراحلة، النجيبة، المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهى كاملة الأوصاف، فإذا كانت فى إبل عرفت. قال: ومعنى الحديث أن الناس متساوون، ليس لأحد منهم فضل فى النسب، بل هم أشباه الإبل المائة. اهـ. قالوا: والنفى المطلق هنا « لا تجد فيها راحلة » محمول على المبالغة، وعلى أن ذلك نادر، والناذر لا حكم له، فيرجع المعنى إلى رواية البخارى « لا تكاد تجد فيها راحلة ».

وقال الخطابى: الراحلة التى ترحل لتركب، والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة، أى كلها حمولة، تصلح للحمل، ولا تصلح للرحل والركوب عليها - لأن الذى يصلح للركوب، ينبغى أن يكون وطيباً سهل الانقياد. - قال: وتأولوا هذا الحديث على وجهين:

أحدهما أن الناس فى أحكام الدين سواء، لا فضل فيها لشريف على مشروف، ولا لرفيع على وضيع، كإبل المائة، التى لا يكون فيها راحلة (قال الحافظ ابن حجر: وقد أورد البيهقى هذا الحديث فى كتاب القضاء، فى تسوية القاضى بين الخصمين، أخذنا بهذا التأويل).

(٢٣٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِمُحَمَّدٍ قَالَ عَبْدُ أَحْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

الثانى: أن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً، فهم بمنزلة الراحلة فى الإبل الحمولة.

وقيل: المعنى أن الزاهد فى الدنيا، الكامل فى الزهد، الراغب فى الآخرة قليل، كقلة الراحلة فى الإبل، وحسنه النووى، قال: وأجود منه قول آخريين: إن المرضى الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف قليل. وقال القرطبى: الذى يناسب التمثيل أن الرجل الجواد، الذى يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم، ويكشف كربهم، عزيز الوجود، كالراحلة فى الإبل الكثيرة.

وقال ابن بطال: معنى الحديث أن الناس كثير، والمرضى منهم قليل، وإلى هذا المعنى أوما البخارى بإدخال هذا الحديث فى باب رفع الأمانة.

وقال الخطابى: العرب تقول للمائة من الإبل: إبل، يقولون: لفلان إبل، أى مائة بعير، ولفلان إبلان، أى مائتا بعير.

وقال الراغب: الإبل اسم مائة بعير، فقوله: كإبل مائة - كقولنا: مائة مائة، المراد به عشرة آلاف. قال الحافظ ابن حجر: والذى يظهر على تسليم قوله، لا يلزم ما قال: إن المراد عشرة آلاف، بل المائة الثانية للتأكيد.

وأشار ابن بطال إلى أن المراد بالناس فى الحديث، من يأتى بعد القرون الثلاثة، الصحابة والتابعين وتابعيهم، حيث يصيرون يخونون ولا يؤتمنون. قال الكرماني: لا حاجة لهذا التخصيص، لاحتمال أن يراد أن المؤمنين قليل بالنسبة للكفار.

فقه الحديث

هذا الحديث فى نهاية كتاب المناقب يفيد أمرين:

الأول: أن ما مضى من المناقب والفضائل إنما تتعلق بالدين، لا بالنسب.

الثانى: أن ما ذكر من فضائل شرف ومنقبة، وإن قل فى نظر الباحث، فأهل الفضل عددهم قليل جداً، لأن الغناء كثير.

(إضافة) لم يرتب الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - أصحاب الفضائل ترتيباً ما، وكأنه ذكرها عفوية تمهيداً لترتيبها فيما بعد، فلم تنهياً له فرصة الترتيب، كما حصل له فى الغزوات. أما البخارى فله وجهة نظر فى ترتيبه الغزوات والفضائل، رضى الله عنهما وجزاهما عن الإسلام والحديث النبوى خيراً.

والله أعلم

كتاب

البر والصلة والآداب

٦٨٥- باب بر الوالدين.

٦٨٦- باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها، وفضل بر الوالدين.

٦٨٧- باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

٦٨٨- باب تفسير البر والإثم.

(٦٨٥) باب بر الوالدين

٥٦٥٥-١ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أهلك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أهلك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أهلك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» وفي حديث قتيبة: من أحق بحسن صحابتي؟ ولم يذكر الناس.

٥٦٥٦-٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٢) قال: قال رجل: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن الصحابة؟ قال: «أهلك» ثم أهلك. ثم أبوك. ثم أذنالك أذنالك».

٥٦٥٧-٣ وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٣) قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فذكر بمثل حديث جرير. وزاد: فقال: «نعم. وأبيك! لتبأن».

٥٦٥٨-٤ وفي رواية عن ابن شبرمة ^(٤)، بهذا الإسناد. في حديث وهيب: من أبر؟ وفي حديث محمد بن طلحة: أي الناس أحق مني بحسن الصحابة. ثم ذكر بمثل حديث جرير.

٥٦٥٩-٥ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ^(٥) قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد. فقال: أحى والدك؟ قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد» حدثنا عبد الله بن معاذ.

٥٦٦٠-٦ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ^(٦) قال: أقبل رجل إلى

(١) حدثنا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف القفي وزهير بن حرب قالوا حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي هريرة عن

أبي هريرة

(٢) حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء الهندي حدثنا ابن فضال عن أبيه عن عمارة بن القعقاع عن أبي هريرة عن أبي هريرة

(٣) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شريك عن عمارة وابن شبرمة عن أبي هريرة

(٤) حدثني محمد بن حاتم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن طلحة ح وحدثني أحمد بن حنبل حدثنا حبان حدثنا وهيب كلاهما عن ابن شبرمة

(٥) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قالوا حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ح وحدثنا محمد بن المنشي حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان عن سفيان وشعبة قالوا حدثنا حبيب عن أبي العباس عن عبد الله بن عمرو

- حدثنا أبي حدثنا شعبة عن حبيب سمعت أبا العباس سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر بمثله قال مسلم أبو العباس اسمه السائب بن فروخ المكي

- حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن بشر عن مسعر ح وحدثني محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق ح وحدثني القاسم بن زكرياء حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة كلاهما عن الأعمش جميعا عن حبيب بهذا الإسناد مثله

(٦) حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب أن ناعما مولى أم سلمة حدثه أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ. بَلْ كِلَاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيَّ وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

المعنى العام

الوالدان هما المصدر الثاني للوجود بعد الله سبحانه وتعالى، لهذا قرنهما الله تعالى بنفسه في وجوب الشكر، حيث يقول ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِينَ﴾ [لقمان: ١٤] وقرنهما بنفسه سبحانه وتعالى حين أمر بطاعته وعبادته، فقال ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقرن صلى الله عليه وسلم عقوقهما بالإشراك بالله، حين سرد أكبر الكبائر، فقال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وير الوالدين رمز للوفاء والاعتراف بالحق لصاحب الحق، ورمز للشكر على المنعم بنعمه، والحديث يقول: «لم يشكرني من لم يشكر من أجريت النعمة على يديه». كما جعل صلى الله عليه وسلم كثرة العقوق علامة من علامات آخر الزمان وظهور الفتن وانقلاب الأحوال، وقد رسم القرآن الكريم مظاهر بر الوالدين، بقوله ﴿مَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وهذا البر مهما بلغ لا يكافئ فضل الآباء على الأبناء، فالرجل الذي حمل أمه ساعات، يمشى بها على الرمال الحارقة التي لو وضعت عليها اللحم لنضجت، يحمى رجليها من الاحتراق، ويعرض رجليه هوللاحتراق، سأل: هل جازيت بذلك أمي؟ فأجيب: لعلك كافأتها بذلك عن طلاقة واحدة، ونخسة واحدة من نخساتك لها عند ولادتك وفي الصحيح «لن يجزى ولد والده، حتى يجده مملوكا، فيشتريه، فيعتقه».

وير الوالدين مقدم على الجهاد تطوعا، وعلى التطوع بالصلاة والصوم، لأنه واجب عيني، والتطوع بالجهاد أصله واجب كفائي.

وستأتي أحاديث كثيرة في الأبواب الآتية تؤكد حق الوالدين، وفضل رضاها على الأبناء مما يلزم الأبناء ببرهما، حماية لأنفسهم، ولعقبهم، وابتغاء رضوان الله تعالى وإحسانه.

المباحث العربية

(كتاب البر) قال أهل اللغة: بررت والدي، بكسر الراء الأولى، أبره بضمها مع فتح الباء، برأ،

بكسر الباء، وأنا بربه، بفتح الباء، وجمعه الأبرار، وباربه، بتشديد الراء، وجمعه بررة، والبر بكسر الباء ضد العقوق، وهو التوسع فى الإحسان إليهما، ووصلهما، وبر حجه يبر بكسر الباء، برا بكسرهما، قبل، وبر اليمين، صدقت، وبر فى يمينه صدق، وبر بوعده، وفى به، وبرت السلعة راجت، وبر البيع خلا من الشبهة والكذب والخيانة، وبر فلان ربه، توسع فى طاعته.

(**والصلة**) الإحسان إلى الأقربين، من ذوى النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، ومراعاة أحوالهم، يقال: وصل رحمه، بفتح الواو والصاد يصلهم وصلا وصلة.

(**والآداب**) جمع أدب، وهو استعمال ما يحمد قولاً، وفعلاً، وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة، وهى الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه. والمعانى كلها متقاربة، متفرعة عن أصل واحد، وهو إحسان المعاملة.

(**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ**) يحتمل أنه معاوية بن عبيدة، فعنه فى الأدب المفرد « قلت: يارسول الله. من أبر؟ » ولعل السائلين بذلك أكثر من واحد.

(**فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟**) بفتح الصاد، بمعنى الصحبة، وحسن صحابتي من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى صحبتى الحسنة، وفى الرواية الثانية « من أحق الناس بحسن الصحبة؟ » وفى ملحقتها « أى الناس أحق منى بحسن الصحبة؟ » أى بحسن صحبتى؟ وفى ملحق الرواية الأولى وفى البخارى « من أحق بحسن صحابتي؟ » ولم يذكر « الناس » وهى مرادة، وفى ملحق الرواية الثانية « من أبر؟ » أى من الذى أبره أولاً من الناس؟.

(**قال: أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، أى أحق الناس بحسن صحابتك أمك.

(**قال: ثم من؟**) مبتدأ، خبره محذوف، أى ثم بعد من بعد الأم، أحق بحسن صحابتي؟

(**قال: ثم أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، أى أحق الناس بعد أمك بحسن صحابتك أمك.

(**قال: ثم من؟**) مبتدأ خبره محذوف تقديره: ثم من بعد الأم مرتين أحق بحسن صحابتي؟

(**قال: ثم أمك**) خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أحق الناس بعد أمك مرتين بحسن صحابتك أمك.

وفى الرواية الثانية « قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك » حذف فيها سؤال الرجل، وهو مراد.

(**قال: ثم من؟**) أحق بصحابتي بعد الأم ثلاث مرات؟

(**قال: ثم أبوك**) أحق بصحابتك بعد أمك ثلاثاً، وفى رواية الأدب المفرد « ثم أباك » بالنصب،

على إضمار فعل، أى بر أباك.

(نعم: وأبيك - لتنبأ) بضم التاء، وفتح النون والياء المشددة، ونون التوكيد الثقيلة، أى لأنبئتك بأحق الناس بصحبتك الحسنة، وقد استشكل قوله « وأبيك » مع قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ».

وأجيب باحتمال أن يكون الحلف هنا قبل النهي، وقيل: إن فى الكلام مضافا محذوف، والتقدير: ورب أبيك، وقيل: ليس الكلام هنا حلفا، وإنما هى كلمة جرت على ألسنتهم غير مقصود بها الحلف، وهى بمثابة قولهم: تربت يمينك، والنهى فىمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من تعظيم المحلوف به، ومضاهاته به سبحانه وتعالى.

(ثم أدناك أدناك) المراد بالدنو القرب إلى البان، وفى لفظ « ثم أدناك فأدناك »، والترتيب تنازلى، أى الأكثر قربا منك، ثم الأقل منه قربا، وهكذا، وفى فقه الحديث تفصيل العلماء لجهات القرب وترتيبها.

(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، يستأذنه فى الجهاد) قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون هو جاهمة بن العباس بن مرداس، فقد روى النسائى وأحمد « أن جاهمة جاء إلى النبى ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أردت الغزو، وجئت لأستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: الزمها ». والظاهر أن الاستئذان فى الجهاد تكرر ممن له أبوان، وممن له أم.

(فقال: أحي والداك؟) « والداك » فاعل لاسم الفاعل، والاستفهام حقيقى.

(قال: ففيهما فجاهد) فى الجملة قصر، طريقه تقديم ما حقه التأخير، والأصل فجاهد فيهما، وهو قصر قلب، أى جاهد فيهما، لا فى ميادين الكفار، والمقصود بالجهاد فيهما، جهاد النفس فى رضاهما، قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه جواز التعبير عن الشيء بضده، إذا فهم المعنى، لأن صيغة الأمر فى قوله « فجاهد » ظاهرها إيصال الضرر الذى كان يحصل لغيرهما، لهما، وليس ذلك مراداً قطعاً، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد، وهو تعب البدن والمال لهما، ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً. اهـ.

وفى الرواية الرابعة « أقبل رجل إلى النبى ﷺ، فقال: أبابيك على الهجرة والجهاد، أبتغى الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال: نعم. بل كلاهما، قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتتهما ». ولأبى داود وابن حبان « ارجع، فأضحكهما، كما أبكيتهما ». وعند أبى داود « ارجع، فاستأذنتهما، فإن أدناك فجاهد، وإلا فبرهما ». وعند ابن حبان « قال: فإن لى والدين، قال: آمرك بوالديك خيراً، فقال: والذى بعثك بالحق نبياً، لأجاهدن، ولأتركنهما، قال: فأنت أعلم ».

وعند أحمد « هاجر رجل، فقال له النبى ﷺ: هل باليمن أبواك؟ قال: نعم. قال: أدناك؟ قال: لا. قال: فارجع، فاستأذنتهما، فإن أدناك، وإلا فبرهما ».

فقه الحديث

هما بابان عند البخارى، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، وباب لا يجاهد إلا بإذن الأبيوين، وقد جعلناهما بابا واحدا مجارة للنووى رحمه الله، وفعل البخارى أولى وأدق، فقد خصص النووى باباً لتقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرهما، فكان حقه أن يخصص تقديم الوالدين على الجهاد، بباب.

لهذا نتكلم فى فقه الحديث عن ثلاث نقاط: الفرق بين الأم والأب فى البر، والجهاد بإذن الأب والأم، ثم ما يؤخذ من الأحاديث.

فالرواية الأولى والثانية وملحقها فى الحث على بر الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب، ثم الأقرب فالأقرب، قال العلماء: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها على الابن، وشفقتها عليه، وخدمتها له، ومعاناة المشاق فى حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك. قلت: واحتياجها إلى بر الابن أكثر من الأب، لضعفها غالباً.

قال النووى: ونقل الحارث المحاسبى إجماع العلماء على أن الأم تفضل فى البر على الأب، وحكى القاضى عياض خلافاً فى ذلك، فقال: قال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم: يكون برهما سواء، قال: ونسب بعضهم هذا إلى مالك، والصواب الأول، لصريح هذه الأحاديث فى المعنى المذكور.

أقول: واقتضت الآيات التى سقناها فى المعنى العام الوصية بالوالدين، والأمر بطاعتهما، ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك، فتجب معصيتهما فى ذلك، عملاً بقوله تعالى ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وقد أخرج مسلم فى صحيحه عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه قال: حلفت أم سعد، لا تكلمه أبداً، حتى يكفر بدينه، قالت: زعمت أن الله أوصاك بوالديك، فأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، فنزلت ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨] وفى رواية «قالت أمه: يا سعد. لن أكل، ولن أشرب حتى أموت، فتعير بى بين العرب، فيقال لك: يا قاتل أمه. فقال سعد: يا أمه. والله لقد علم العرب أننى أبر الناس بأمى، ولكن لو أن لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما رجعت عن دينى».

وحديثنا صريح فى أن للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، ويقويه ما جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم بالأقرب فالأقرب». ويؤيد القول بتقديم الأم ما أخرجه الحاكم وأبو داود «أن امرأة قالت: يا رسول الله. إن ابنى هذا، كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإن أباه طلقنى،

وأراد أن ينزعه مني؟ فقال: أنت أحق به. ما لم تنكحى». فتوصلت لاختصاصها به، باختصاصه بها في الأمور الثلاثة، ويعلل الجمهور ذلك بما تتحمل من مشاق خاصة بها، لا يشاركها فيها الأب، ثم هي تشارك الأب في التربية، وتشير إلى ذلك الآية الكريمة «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [الأحقاف: ١٥] فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة.

وحجة غير الجمهور - وهم بعض الشافعية - أن الآيات تجمعهما - دون تفرقة - في طلب الإحسان إليهما «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا». «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا». «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ مِنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

ويقولون: إن ما تعانيه الأم من مشاق تقوم به اندفاعا من طبيعتها وخلقتها، فهو لإرضاء نفسها، وإشباع غريزتها، كمن يتعب في الأكل والشرب، لا ينبغي بذلك أجرا، فلا يطلب من الابن مكافأتها على ما تمتعت هي به، تمتعا لا تقبل هي بحال أن تتخلى عنه.

أما الحديث فيكرر البر بها، والإحسان إليها، لأنها لضعفها غالبا تكون أحوج من الأب للعطف، والبر لا جزاء على ما قدمت، وهي وإن كانت مسئولة عن الابن فترة ما من الزمن، فالأب مسئول عنها وعن ابنها، وهو المتحمل شرعا لنفقتها ونفقة ابنها، وجميع التكاليف اليومية، مما يجعله - على الأقل - مساويا لها في حقوقه على أولاده.

وما نسب إلى الإمام مالك من أنه يقول: إنهما في البر سواء، أخذ مما روى أنه سأله رجل، قال: طلبني أبي فمنعتني أمي؟ قال مالك: أطع أباك، ولا تعص أمك. قال ابن بطال: هذا يدل على أنه يرى أن برهما سواء، إذ قال الليث - حين سئل عن هذه المسألة بعينها - قال: أطع أمك، فإن لها ثلثي البر. قال الحافظ ابن حجر: والصواب رأى الجمهور

وأميل إلى التفرقة في البر، بين العطاء، وبين الطاعة، فتعطي الأم من العطف والشفقة والحنان والصلوات المادية ثلاثة أمثال ما يعطى الأب، ويطاع الأب في أوامره ونواهيه وتوجيهاته، فهو قائد الأسرة، وله القوامة عليها، وعليها طاعته، فلا معنى لطاعة الابن لها، ما دامت هي مطيعة للأب زوجها، ويبقى الكلام في طاعة الابن لها حيث لا يكون الأب موجودا، وعندى أن ذلك يخضع لظروف وملابسات يختلف معها الحكم، فقد يكون الابن بالغا عاقلا رشيدا حكيما، والأم متخلفة، تحكمها شهوتها وعاطفتها، فتأمره بالزواج بمن لا يهوى مثلا، أو تطليق من يهوى، ومن حاله مستقيمة معها. فكيف نوجب عليه طاعتها؟

وفي ترتيب الأقربين يقول النووي: قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم، ثم الأب، ثم الأجداد والجدات، ثم الأخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من نوى الأرحام، كالأعمام والعمات،

والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب، ويقدم من أدلى بأبوين على من أدلى بأحدهما، ثم بنى الرحم غير المحرم، كابن العم وبنته، وأولاد الأخوال والخالات وغيرهم، ثم المصاهر، ثم الجار، ويقدم القريب البعيد الدار على الجار غير القريب، وكذا لو كان القريب فى بلد آخر، قدم على الجار الأجنبى، قال: وألحقوا الزوجة والزوج بالمحارم. اهـ. وقد أخرج أحمد والنسائى، وصححه الحاكم « أن امرأة سألت النبى ﷺ: أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت، فعلى الرجل؟ قال: أمه ».

وأما عن النقطة الثانية: فقال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما، بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، فإن تعين الجهاد، فلا يحتاج إلى إذن، وإن كانا مشركين لم يشترط إذنهما، عند الشافعى، ومن وافقه، وشرطه الثورى، هذا كله إذا لم يحضر الصف، ويتعين القتال، وإلا فلا إذن، ولهما أن يرجعا فى إذنهما، إذا لم يحضر الصف، ولو منعاه فحضر الصف، فلا إذن، وألحق بعضهم الجد والجدة بالأبوين.

ويؤخذ من الأحاديث فوق ما تقدم

١- الحث على بر الوالدين.

٢- وعلى بر الأقارب.

٣- حرص الصحابة على أمور دينهم، وسؤالهم عما يحتاجون إليه مما يجهلون.

٤- وسعة صدره صلى الله عليه وسلم، وإجابته عن السؤال، ثم السؤال، ثم السؤال.

٥- استدلال بالرواية الثالثة، والرابعة على تحريم السفر بغير إذن الوالدين، لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أولى، نعم. إن كان سفره لتعلم فرض عين، حيث تعين السفر طريقا إليه، فلا منع.

وإن كان فرض كفاية، ففيه خلاف.

هذا وقد سبق فى كتاب الإيمان بعض ما يتعلق بهذا الحديث، ويتحرى عقوق الوالدين.

والله أعلم

(٦٨٦) باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها، وفضل بر الوالدين

٧٥٦١ - ٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٧) أنه قال: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ. فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمُّهُ حِينَ دَعَتْهُ. كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا. ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! أَنَا أُمُّكَ. كَلِّمْنِي. فَصَادَفْتُهُ يُصَلِّي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! أُمِّي وَصَلَاتِي. فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ. فَجَعَلَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! أَنَا أُمُّكَ. فَكَلِّمْنِي. قَالَ: اللَّهُمَّ! أُمِّي وَصَلَاتِي. فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ! إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ. وَهُوَ ابْنِي. وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي. اللَّهُمَّ! فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَاغٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ. قَالَ: فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ: فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي. فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا. فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ. قَالَ: فَجَاءُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ. فَادَّوهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي. فَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ. قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدُمُونَ دَيْرَهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ. قَالَ: فَتَبَسَّمْ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّانِ. فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبِيِّ مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ. ثُمَّ غَلَاهُ.

٧٥٦٢ - ٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٨)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَنْكَلَمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ. وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا. فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً. فَكَانَ فِيهَا. فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِهِ. فَانصرفت. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِهِ. فَانصرفت. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِهِ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ! لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيَّ وَجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا. فَقَالَتْ: إِنَّ شَيْئَكُمْ لِأَفْسَنَّهُ لَكُمْ. قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا. فَوَقَعَ عَلَيْهَا. فَحَمَلَتْ. فَلَمَّا وُلِدَتْ. قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَتْهُ

(٧) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُعْبِرَةِ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
(٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَيَّتَ بِهِذِهِ الْبَغْيِيَّ. فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ: أَيَّنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاءُوا بِهِ. فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ فَصَلَّيْتُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ. وَقَالَ: يَا غُلَامُ! مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي. قَالَ: فَأَقْبِلُوا عَلَيَّ جُرِيحٍ يَقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ. وَقَالُوا: نَبِيَّ لَكَ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا. أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ. فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةِ حَسَنَةٍ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الشَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَدْبِيهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُهُ. قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ. فَجَعَلَ يَمُصُّهَا. قَالَ: وَمَرُّوا بِحَارِيَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَيَّتَ. سَرَقْتَ. وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهَذَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ. فَقَالَتْ: حَلَقَى! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهِذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَيَّتَ. سَرَقْتَ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَيَّتَ. وَلَمْ تَزْنِ. وَسَرَقْتَ. وَلَمْ تَسْرِقْ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

٥٦٦٣- ٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه (٩)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

٥٦٦٤- ١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٠) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

٥٦٦٥- وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ» ثلاثاً. ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

(٩) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ حَدَّثَنِي سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

المعنى العام

نعم، حقوق الله تعالى مبنية على تفضله وعفوه ومسامحته، وقد أراد -جل شأنه- أن يقدم حقوق عباده بعضهم مع بعض، وأن يجعل طابعها المشاحة، وأول حقوق العباد حقوق الوالدين على الولد، وإذا تعارض حق الله مع حق الوالدين، قدمت الشريعة حق الوالدين، وجعلته أهم، لأن في حقهما حق الله تعالى، فهو الذي شرع لهما حقهما، فأداؤه أداء لحق الله وأمره وقضائه.

أمام هذا نجدنا إذا تعارضت الصلاة مع بر الوالدين قدم بر الوالدين. أمام هذا ومع أن الصلاة مناجاة بين العبد وربّه، إذا دعت الأم ابناً الذي يصلى، كان عليه أن يقدم إجابتها على الاستمرار فى الصلاة، وهذا ما لم يفعله جريج الراهب، صاحب قصة الحديث، مما دفع أمه إلى الدعاء عليه، وأجاب الله دعاءها، ولما كان مجتهداً، كان خطوه مأجوراً، فتداركته نعمة من ربه، ولحقته رحمة الله وفضله، فأنقذه بعد غرقه، وخرق له العادة، وكرمه بأن أنطق الطفل فى المهد يشهد له، كما شهد صاحب يوسف ليوسف، وكما تكلم عيسى عليه السلام فى المهد، يبرىء أمه ويشهد لها، وكما تكلم الطفل يرد دعاء أمه.

كرامات ومعجزات، إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرة الله تعالى التى لا تحدها عادة، ولا يحول بينها وبين الإنجاز حائل.

ونعود إلى بر الوالدين وحقوقهما، وقد ذكرنا وذكرنا الأحاديث بعضها منها فى البابين السابقين، وهى هنا تربط دخول الجنة برضاها وبرهما، وتتوعد من يعقهما بالحرمان من الجنة، وتحت من تهيأ له فرصة البريهما، والإحسان إليهما أن ينتهز هذه الفرصة ولا يضيعها، والفرصة الحقيقية لذلك عند كبرهما وضعفهما وحاجتهما، فإفوز من انتهزها، فأضحكهما، وسرهما، ولم يقل لهما أف، ولم ينهرهما، وقال لهما قولاً كريماً، وخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقال رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً.

المباحث العربية

(كان جريج يتعبد فى صومعة) بفتح الصاد وسكون الواو، وهى البناء المرتفع المحدد أعلاه، يقال: صمغ الشيء دققه وحدده، والصومع والصومعة بيت العبادة عند رهبان النصارى، وهى تشبه الصومعة التى تبنى لخزن الحبوب، يبنيها الرهبان عادة على رأس جبل، لينقطعوا فيها للعبادة، ويصعب وصول الناس إليها، وقد يطلق عليها الدير بفتح الدال، إذا كانت متسعة.

ويبدو أنها كانت هنا كذلك، إذ فى الرواية « وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره » أى يأوى إلى دير جريج « قالت: من صاحب هذا الدير » « فأخذوا يهدمون ديره » والظاهر أنه كان بعد عيسى ابن مريم، وأنه كان من أتباعه، لأنهم الذين ابتدعوا الترهيب وحبس النفس فى الصوامع، وعند أحمد « كان رجل فى بنى إسرائيل تاجراً، وكان ينقص مرة، ويزيد مرة، فقال: ما فى هذه التجارة خير، لألتمسن تجارة، هى خير من هذه، فبنى صومعة، وترهب فيها، وكان يقال له جريج... ». الحديث، ومعنى « يتعبد »

يصلى، بدلالة ما بعده وفى الرواية الثانية « كان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة، فكان فيها » أى يتعبد ويصلى. وعند البخارى « كان فى بنى إسرائيل رجل، يقال له: جريج، كان يصلى.... ».

(فجاءت أمه تدعوه) أى تناديه لمصلحة لها أو له، تناديه لينزل إليها، أو يكلمها من أعلى.

(قال حميد: فوصف لنا أبورافع صفة أبى هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعت، كيف جعلت كفها فوق حاجبها، ثم رفعت رأسها إليه، تدعوه) كان من دقة الرواة وتوثيقهم لروايتهم أن ينقلوا الحركات مع الأقوال، فرسول الله ﷺ وصف أم جريج عند نذائها ابنها، بأنها وضعت كفها فوق حاجبها وعينيها، كى تظلمها من الشمس، حين رفعت رأسها من أسفل إلى أعلى، وصف هذه الحالة بالفعل، لا بالقول، فوصف أبو هريرة هذه الحالة لتلميذه أبى رافع، حين حديثه له بهذا الحديث بالفعل أيضا، فوصف أبورافع هذه الحالة بالفعل أيضا حين حدث أبى حميد بهذا الحديث.

(فقالت: يا جريج، أنا أمك. كلمنى، فصادفته يصلى، فقال: اللهم أمى وصلاتى، فاختر صلاته) واستمر فيها، فلم يجب أمه، وقوله: اللهم أمى وصلاتى. قول فى نفسه على الأرجح، أى أيهما أقدم؟. ويحتمل أنه تكلم بذلك، ولم يكن الكلام ممنوعا فى صلاتهم، كما كان الحال فى صدر الإسلام.

(فرجعت، ثم عادت) مرتين غير الأولى، وفى الرواية الثانية أن العودة كانت من الغد، لافى اليوم نفسه، ثم اليوم الذى بعد الغد، ثم إن الدعاء عليه كان فى اليوم الثالث.

(اللهم. إن هذا جريج، وهو ابنى، وإنى كلمته فأبى أن يكلمنى) ذكرت فى هذه الرواية أسباب الدعاء عليه، وهى هنا ثلاثة. إنه موجود يسمعها ويعرفها، وأنه ابنها ولها عليه حقوق، وأنه لم يرد عليها نداءها، ولم تذكر هذه الحيثيات فى الرواية الثانية.

(فلا تمته حتى تريبه المومسات) بضم الميم الأولى وكسر الثانية، جمع مومسة، وتجمع على ميامس أيضا، وهى الزوانى البغايا، المتجاهرات بذلك، وفى الرواية الثانية « لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات » وفى رواية للبخارى « حتى تريبه وجوه المومسات » وفى رواية « حتى تريبه المومسة » بالإفراد، وفى رواية « فغضبت، فقالت: اللهم. لا يموتن جريج، حتى ينظر فى وجوه المومسات » وفى رواية « أبيت أن تطلع إلى وجهى، لا أماتك الله حتى تنظر فى وجهك زوانى المدينة » والمراد من الرؤية والنظر الابتلاء والادعاء والمواجهة.

(قال: ولودعت عليه أن يفتن لفتن) أى لو دعت عليه أن يقع فى المعصية لوقع فيها.

(وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره) ليستظل به، ويأنس إلى جواره.

(فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى) بجوار الصومعة، والمراد امرأة زانية معلنة، خرجت من القرية قاصدة فتنة جريج، وإغراءه، وإيقاعه، فى الرواية الثانية « فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا، وعبادته » يمدحونه، ويثنون عليه « وكانت امرأة بغى، يتمثل بحسنها » « يتمثل بضم الياء، وفتح التاء والميم وتشديد الشاء، أى يضرب المثل بها فى الحسن والجمال، لانفرادها بذلك،

أى لا مثيل لها. كانت تسمع كلامهم « فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم » وأغوينه، وأوقعنه فى الزنا، وأبطلن ثناءكم عليه، وعلى عبادته، فوافقوها، وحرصوها، وشجعوها، وفى رواية « قالوا: قد شئنا » فذهبت إلى صومعته « فتعرضت له » تمر بفتحات الصومعة، وتناديه، وتغنى، وتكسر، وتبدي زينتها ومفاتنها « فلم يلتفت إليها » فوجدت الراعى يأوى إلى ظل الصومعة « فأنت راعيا كان يأوى إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها » وهى تبيت النية باتهام الراهب، لتحقق لبنى إسرائيل ما توعدته به، وفى رواية أن هذه المرأة كانت بنت ملك القرية، وفى رواية « وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم » قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها، بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد، فاحتالت بأن خرجت فى صورة راعية، ليتمكنها أن تأوى إلى ظل الصومعة، لتتوصل إلى فتنته.

(فحملت، فولدت غلاما، فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير) فى الرواية الثانية « فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج » وفى رواية « فقيل لها: ممن هذا؟ قالت: من جريج » وفى رواية « فقيل لها: من صاحبك؟ قالت: جريج الراهب، نزل إلى فأصابنى » زاد فى رواية « فذهبوا إلى الملك، فأخبروه، قال: أدركوه، فأتونى به ».

(فجاءوا بفئوسهم ومساحيهم، فنادوه، فصادفوه يصلى، فلم يكلمهم، قال: فأخذوا يهدمون ديرهم، فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه) وفى الرواية الثانية « فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، قال: ما شأنكم؟ قالوا: زينت بهذه البغى، فولدت منك ».

وعند البخارى « فأتوه، فكسروا صومعته، وأنزلوه » وفى رواية « فما شعر حتى سمع بالفئوس فى أصل صومعته، فجعل يسألهم: ويلكم ما لكم؟ فلم يجيبوه، فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى » وفى رواية « فجعلوا يضربونه، ويقولون: مرء، تخادع الناس بعملك » وفى رواية « فقال له الملك:، ويحك يا جريج، كنا نراك خيرا الناس، فأحببت هذه. اذهبوا به، فاصلبوه » وفى رواية « فجعلوا فى عنقه وعنقها حبلا، وجعلوا يطوفون بهما فى الناس » وفى رواية « فلما مروا به نحو بيت الزوانى خرجن ينظرن فتبسم، فقالوا: لم تضحك؟ فقال: ما ضحكت إلا من دعوة دعيتها على أمى ».

(قال: فتبسم، ثم مسح رأس الصبى، فقال: من أبوك؟) فى الرواية الثانية « فقال: أين الصبى؟ فجاءوا به، فقال: دعونى: حتى أصلى، فصلى، فلما انصرف أتى الصبى، فطعن فى بطنه، وقال: يا غلام، من أبوك » وفى رواية « فطعنه بإصبعه، فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ » وفى رواية أنه سألهم أن ينظروه، فأنظروه، فرأى فى المنام من أمره أن يطعن فى بطن المرأة، فيقول أيتها السخلة. من أبوك؟ ففعل « وفى رواية عند أحمد « فوضع إصبعه على بطنها » وفى رواية « ثم انتهى إلى شجرة، أخذ منها غصنا، ثم أتى الغلام وهو فى مهده فضربه بذلك الغصن، فقال: من أبوك؟ » وفى رواية « أنه قال للمرأة أين أصبتك؟ قالت: تحت تلك الشجرة، فأتى الشجرة فقال: يا شجرة. أسألك بالذى خلقتك. من زنى بهذه المرأة؟ فقال كل غصن منها راعى الغنم » وفى رواية « فأتى بالمرأة والصبى، وفمه فى ثديها، فقال له جريج: يا غلام. من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي » ولما كان الصبى على

صدرها، أمكن الجمع بين الروايات بأنه طعن الصبي، وطعنها في بطنها، ومسح رأس الغلام، وذهب إلى الشجرة، وحصل كل ذلك ولا تعارض، والمستبعد القول بتعدد القصة، أو أنه استنطق الغلام في بطنها مرة، وبعد أن ولد مرة أخرى.

(قال: أبي راعي الضأن) فى الرواية الثانية « قال: فلان الراعى » وفى رواية « قال: الراعى » وفى رواية « أنا ابن الراعى » وفى رواية « قال: راعى الغنم ».

وفى رواية « قال: يا بابوس. من أبوك؟ قال: راعى الغنم ». وقوله: « يابابوس » بباءين بينهما ألف ساكنة قيل: معناه الصغير، وقيل: معناه الرضيع، وأغرب الأقوال أنه اسم ذلك الولد.

(فلما سمعوا ذلك منه) أى من الطفل.

(قالوا: نبئنا ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا) فى الرواية الثانية « فأقبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسحون به، وقالوا: نبئنا لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا » وفى رواية « فقال له الملك: نبئنا صومعتك من ذهب؟ قال: لا. قال: من فضة؟ قال: لا » وفى رواية « فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه » وفى رواية « فسبح الناس وعجبوا » وفى رواية « فأبرأ الله جريجا، وأعظم الناس أمر جريج ».

(ولكن أعيدوه ترابا، كما كان) أى بالطين، وفى الرواية الثانية « أعيدوها من طين كما كانت » وعند البخارى « لا. إلا من طين ». قال ابن مالك: فى هذا شاهد على حذف المجزوم بلا، فإن التقدير: لا تبئوها إلا من طين.

(لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة) ذكر مسلم فى هذا الحديث عيسى ابن مريم، وصبى جريج، وصبى المرأة، لكن عند أحمد والبخارى وابن حبان والحاكم « لم يتكلم فى المهد إلا أربعة، فلم يذكر الثالث الذى هنا، وذكر شاهد يوسف، والصبى الرضيع الذى قال لأمه - وهى ماشطة فرعون، لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار - « اصبرى يا أمه، فإننا على الحق ». قال الحافظ ابن حجر: فيجتمع من هذا خمسة، وعند مسلم فى قصة أصحاب الأخدود « أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار، أولتكفر، ومعها صبى يرضع، فتقاعست، فقال لها: يا أمه، اصبرى، فإنك على الحق ». وزعم الضحاك فى تفسيره أن يحيى تكلم فى المهد، أخرجه الثعلبى، فإن ثبت صاروا سبعة، وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم فى المهد، وفى سير الواقدى أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما ولد.

قال القرطبى: فى هذا الحصر « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » نظر، إلا أن يحمل على أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك. وفيه بعد، قال: ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيدا بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد. أهـ والمراد من المهد السرير أو الفراش الذى يهيا للطفل لينام، ويلحق به هنا صدر الأم وحضنها.

(وبيننا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب) « بين » ظرف زمان زيدت عليه الألف، خافض لشرطه بالإضافة، منصوب بجوابه، والتقدير: مر رجل راكب على دابة وقت رضاعة صبى من أمه.

وفى رواية للبخارى « وكانت امرأة ترضع ابنا لها، من بنى إسرائيل فمر رجل راكب ».

(على دابة فارهة) أى نشطة حادة قوية، يقال: فره بضم الراء يفره، فراهة وفروهة
جمل وحسن وخف ونشط، وحذق ومهر، فهو فاره، وفى القرآن الكريم ﴿وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ
يُيُوتُوا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(وشارة حسنة) أى هيئة حسنة، ولباس حسن، وفى رواية للبخارى « فمر بها راكب ذو شارة »
أى صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن، يتعجب منه، ويشار إليه.

(فقالت أمه: اللهم اجعل ابنى مثل هذا) وفى رواية للبخارى « اللهم اجعل ابنى مثله »
وفى رواية أخرى له « فقالت: اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا ».

(فترك الثدى، وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله) وفى رواية
للبخارى « فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلنى مثل هذا ».

(ثم أقبل على ثديه، فجعل يرتضع - قال: فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ، وهو
يحكى ارتضاعه، بأصبعه السبابة فى فمه، فجعل يمصها) وفى رواية للبخارى « قال أبو
هريرة: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يمص إصبعه » يحكى أبو هريرة أن النبى ﷺ حكى عودة الصبى إلى
ثدى أمه يمص، حكى ذلك بأن وضع إصبعه فى فمه يمصها.

(قال: ومروا بجارية) فاعل « مروا » للصبى وللأم، ومن معهما، وفى رواية للبخارى « ثم مر
بأمة » بضم الميم، مبنى للمجهول.

(وهم يضربونها، ويقولون: زنيت، سرقت) بكسر التاء فيهما على الخطاب، أى أنت
زنيت. أنت سرقت. وفى رواية للبخارى « يقولون: سرقت ».

فيحتمل أن يكون بسكون التاء وفتح القاف على الغيبة. قال الحافظ ابن حجر: وهو مستبعد،
لعدم تناسقه مع « زنيت » وفى رواية لأحمد « يقولون: سرقت، ولم تسرق، زنيت، ولم تزن ».

(وهى تقول: حسبى الله، ونعم الوكيل) وفى رواية للبخارى « ولم تفعل » وفى رواية
« يقولون لها: تزنى؟ وتقول: حسبى الله، ويقولون لها: تسرق، تقول: حسبى الله » وفى رواية أنها
كانت حبشية أو زنجية، وأنها ماتت من الضرب فجروها، حتى ألقوها.

(فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابنى مثلها) تظنها جانية، سارقة، زانية حقيقة.

(فترك الرضاع، ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلنى مثلها) أى ترك الرضاع،
ونظر إلى الجارية. وقال: اللهم اجعلنى مثلها أى فى طهرها، وعفتها، ونقائها، لا مثلها فى
الاتهام بالباطل والضرب.

(فهناك تراجع الحديث) أى راجعت الأم وابنها الحديث، وأقبلت على الطفل تحدته،
وتسأله وكانت أولا، لا تراه أهلا للكلام، فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له، فسألته وراجعت.

(فقالت: حلقى) بفتح الحاء وسكون اللام وفتح القاف، قال النووى: يرويه المحدثون بالألف،

التي هي ألف التأنيث، ويكتبونه بالياء، ولا ينونونه، وهو صحيح فصيح، وقال أبو عبيد: أصحاب الحديث يروونه «حلقى» وإنما هو «حلقا» قال شمر: قلت لأبي عبيد: لم لا تجيز «حلقى»؟ فقال: لأن فعلى تجيء نعتا، ولم تجيء في الدعاء. اهـ. ومعنى «حلقى» هنا أى حلق الله شعري، وقيل: معناه جعلنى الله شؤما على أهلى، هذا أصلها، ثم اتسعت العرب فى استعمالها، فصارت تطلقها، ولا تريد حقيقة الدعاء، ولا حقيقة ما وضعت له أولا، كقولهم: تربت يمينه، اهـ.

كأنها تتأسف على دعائها السابق لابنها، حيث أصبح أعلم منها بالنتائج، فقالت تسأله:

(مر رجل حسن الهيئة، فقلت: اللهم اجعل ابنى مثله. فقلت: اللهم لا تجعلى مثله. ومروا بهذه الأمة، وهم يضربونها، ويقولون: زنيت. سرقت. فقلت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها. فقلت: اللهم اجعلنى مثلها) فما السر؟ وماذا تعلم؟ ولا أعلم؟.

(قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم لا تجعلى مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق. فقلت: اللهم اجعلنى مثلها) فى السلامة من المعاصى.

(رغم أنف. ثم رغم أنف، ثم رغم أنف) الرغم بضم الراء وفتحها وكسرهما مع سكون الغين، وأصله لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، والمراد من «رغم أنفه» أى ذل وخزى. و«أنف» فاعل «رغم» ولم ينون على نية الإضافة، والأصل: رغم أنف من أدرك، والجملة خبرية لفظا ومعنى، أو خبرية لفظا دعائية معنى.

(من أدرك أبوه عند الكبر - أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة) معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك، سبب لدخول الجنة، فمن قصر فى ذلك فاته دخول الجنة، وذل فى الآخرة، والمراد من إدراكهما إدراكهما أحياء، و«أحدهما أو كليهما» بالنصب بدل من «أبويه» وفى الرواية الرابعة وملحقها «رغم أنفه».

فقه الحديث

يؤخذ من الحديث

١- من الرواية الأولى والثانية قال النووي: هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إيجابتها لأنه كان فى صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع، لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة، ويجيبها، ثم يعود لصلاته، فلعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه، وعاهد عليه. اهـ. وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: فيه نظر، لأنها كانت تأتية، فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه، فتزوره، وتقتنع برويته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف، ثم يجيبها، لأنه خشى أن ينقطع خشوعه. اهـ. أقول: إن الحديث صريح فى أنه أثر الاستمرار فى الصلاة دون قطعها، ودون تخفيفها على إجابة أمه، وليست هناك إشارة إلى أنه خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها،

وهذا سر خطئه، وإجابة دعاء أمه، وكان الأولى به أن يقطع صلاته، ويبرها، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابته أمه، أولى من عبادته ربه».

وقد استنبط منه بعض العلماء جواز قطع الصلاة لإجابة نداء الأم مطلقاً، نفلاً أو فرضاً، لأنه لم تحدد صلاة جريج، وهو وجه في مذهب الشافعية، ومنعه بعضهم نفلاً وفرضاً، وحملوا هذا الحديث على أن قطع الصلاة كان مباحاً عندهم في شرعهم، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلاً، وعلم تأدى الوالد بالترك، وجبت الإجابة، وإلا فلا، وإن كانت فرضاً، وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجبت، وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادى فيها، وحكى بعضهم أن ذلك يختص بالأم، دون الأب، ورد بأنه لم يقل به أحد من السلف.

٢- واستدل به على إجابة دعاء الأم، ولو كان بالضرر لابن.

٣- ولو كان الابن معذوراً.

٤- قال بعضهم: وفيه الرفق بالتابع، إذا جرى منه ما يقتضى التأديب، لأن أم جريج مع غضبها منه، لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. قاله الحافظ ابن حجر. وفيه نظر، إذ العقوبة التى دعت عليه بها أفضح بكثير من الجناية التى اقترفها، فلا رفق فيها، وتظهر فظاعتها فيما حصل له، وما كان يمكن أن يحصل لولا لطف الله به، وما كان لها أن تدعو عليه بوقوع الفاحشة، فذاك دعاء بالفحش، ولا بالقتل، لأنه يؤلمها هى بالدرجة الأولى، ولو قيل: فيه قسوة الأم على ابنها عند الغضب، لكان أولى.

٥- وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن غالباً.

٦- وفيه قوة يقين جريج وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود، مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه. قاله الحافظ ابن حجر. وأميل إلى أن الله تعالى ألهمه، مناماً أو بغير منام أن ذلك سيقع، ففعل ما فعل مطمئناً للكرامة.

٧- وفيه أن الله تعالى يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخرجاً، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات، تهذيباً وزيادة لهم فى الثواب.

٨- وفيه إثبات كرامات الأولياء.

٩- ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وقال ابن بطال: يحتمل أن يكون جريج كان نبياً، فتكون معجزة، لكن هذا المأخذ يمكن أخذه من المرأة التى كلمها ولدها الموضع.

١٠- وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة، لمن علم من نفسه قوة على ذلك.

١١- وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة، حتى فى العصور السابقة على الإسلام.

١٢- واستدل به بعضهم على أن بنى إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق، ويقبل قولها فيما تدعيه على الرجال، من الوطاء، ويلحق به الولد، وأنه لا ينفعه جحد ذلك، إلا بحجة تدفع قولها.

١٣- استدل به بعضهم على نسبة ابن الزانى للزانى، فمن زنى بامرأة، فولدت بنتاً، لا يجوز

له التزوج بتلك البنت، خلافا للشافعية، فى أن ماء الزنا هدر، لا يثبت نسبا، ووجهة دلالة الحديث على المدعى، أن جريجا نسب ابن الزنا للزاني، فى قوله: من أبوك؟ وصدق الله نسبه بما خرق له من العادة فى نطق المولود، بشهادته له بذلك، فى قوله: أبى فلان الراعى، فكانت تلك النسبة صحيحة، فيلزم أن يجرى بينهما أحكام الأبوة والبنوة، وإنما خرج التوارث والولاء بدليل آخر، فىبقى ما عدا ذلك على حكمه، ويرد المخالفون بأن هذا قد يكون شرع من قبلنا، ولم يرد فى شرعنا ما يؤيده.

١٤- ومن روايتنا الثانية من أن جريجا طلب منهم أن يصلى قبل أن يسأل الطفل أن المفزع فى الأمور المهمة إلى الله تعالى، يكون بالصلاة.

١٥- ومن الرواية التى توضح فيها أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة، خلافا لمن زعم ذلك، وإنما الذى يختص بها الغرة والتحجيل فى الآخرة.

١٦- وأن من هدم حائطاً بنى مثله، وذهب مالك إلى وجوب القيمة الناجزة، أما البنيان فقد يتأخر.

١٧- ومن الرواية الثانية من قصة المرأة وطفلها أن نفوس أهل الدنيا، تقف مع الخيال الظاهر، فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق، فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة، فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة، كما قال تعالى، حكاية عن أصحاب قارون، حيث خرج عليهم ﴿يَا أَيُّهَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ و﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

١٨- وفيها أن البشر طبعوا على إثارة الأولاد على الأنفس بالخير، لطلب المرأة الخير لابنها، ودفن الشر عنه، ولم تذكر نفسها.

١٩- من الرواية الثالثة والرابعة الحث على بر الوالدين، وعظم ثوابه.

٢٠- وأنه سبب فى دخول الجنة.

والله أعلم

(٦٨٧) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما

٥٦٦٦ - ١١ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(١١)، أن رجلاً من الأعراب لقيته بطريق مكة. فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر ابن الخطاب. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل وُد أبيه».

٥٦٦٧ - ١٢ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(١٢)، أن النبي ﷺ قال: «أبر البر أن يوصل الرجل وُد أبيه».

٥٦٦٨ - ١٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١٣)، أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروخ عليه، إذا مل ركوب الرحلة. وعمامة يشدُّ بها رأسه. فبينما هو يوماً على ذلك الحمار. إذ مرَّ به أعرابيٌّ. فقال: ألسنت ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا. والعمامة، قال: اشدُّد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك! أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروخ عليه، وعمامة كنت تشدُّ بها رأسك! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُد أبيه، بعد أن يولي» وإن أباه كان صديقاً لعمر.

المعنى العام

كان ابن عمر - رضي الله عنهما - معنيا بالتصدق بأحب الأشياء لديه، حتى روى أنه كان يشتري السكر ويتصدق به، فقيل له: ولم السكر؟ قال: لأنى أحبه، والله تعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وها هو في هذا الحديث يتصدق على أهل وُد أبيه بأعز ما معه، حمارة الذي يركبه، ويستروح به، حين يمل أو يتعب من ركوبه ناقته، وكان يستصحبه مع ناقته في

(١١) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أُيُوبَ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
(١٢) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي حَيْوَةَ بْنُ شَرِيحٍ عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
(١٣) حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُلَوَائِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي وَاللَيْثُ بْنُ سَعْدٍ جَمِيعًا عَنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَسَامَةَ بْنِ الْهَادِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

سفره، ينتقل منها إليه في بعض الطريق. ومرة استصحبه معه من المدينة إلى مكة، وركبه في طريق من طرقها، فرأى رجلاً من أهل البادية يمشى على رجليه كان والده يزور أباه عمر بن الخطاب، وكان عمر يحميه، فوقف، وناداه، وسلم عليه، وسأله عن حاله، ونزل عن الحمار، وأعطاه له، وقال له: اركب، فهولك، وخلع ابن عمر عمامة كان يلفها حول رأسه، من أجمل ما يملك، كانت تحفظ له هيئته، وتحميه من الشمس، خلعها ووهبها للأعرابي، فعجب مرافقوه، واستكثروا ما أعطاه للأعرابي، فقالوا له: إنه أعرابي من أهل البادية، والقليل من الصلة تكفيهم، وهذا عطاء عليه كثير؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من أبر البر، وإن خير ما تبره أباك بعد أن يولى أن تصل أهل من كان يوده في حياته » وقد كان والد هذا الأعرابي صديقاً لعمر بن الخطاب.

المباحث العربية

(أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار، كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه) في الرواية الثالثة عن ابن عمر -رضى الله عنهما « أنه كان إذا خرج إلى مكة » من المدينة « كان له حمار » يستصحبه معه « يتروح عليه، إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابي، فقال: ألسنت ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى: فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة، قال: اشدد بها على رأسك ».

(فقال ابن دينار) الراوى عن ابن عمر، والمرافق له في هذه الرحلة.

(فقلنا له: أصلحك الله: إنهم الأعراب، وأنهم يرضون باليسير) وما أعطيته كثير. والقائل ابن دينار، وأسند القول لنفسه ولأصحابه، لموافقهم إياه، وفي الرواية الثالثة « فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك. أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك »؟ وهذا كثير.

(فقال عبد الله: إن أبا هذا كان ودا لعمر) قال القاضي: رويناه بضم الواو، وكسرهما، أى صديقاً من أهل مودته، وهى محبته.

(وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه) في الرواية الثانية « أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه » و« من » فيها مقدرة، وفي الرواية الثالثة « إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه، بعد أن يولى، وإن أباه كان صديقاً لعمر » قال النووي: الواو هنا فى « ود أبيه » مضمومة. اهـ. فهو مصدر.

فقه الحديث

١- فى الحديث فضل صلة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب، وإكرامه، لكونه بسببه، ويلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة.

٢- وفيه قوة ودقة عمل ابن عمر بالسنة.

٣- وفيه أن بر أقارب الميت ينفع الميت، وقد روى أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه « أن رجلا من بنى سلمة جاء النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هل بقى على من بر أبوى شيء، أبرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما » أى الدعاء لهما « والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ». وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى بر أصدقاء خديجة بعد وفاتها، رضى الله عنها.

والله أعلم

(٦٨٨) باب تفسير البر والإثم

٥٦٦٩-١٤- عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه (١٤) قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ. وَكَرِهْتَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

٥٦٧٠-١٥- عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه (١٥) قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ سَنَةً. مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ. كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ. قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

المعنى العام

ما أجمل أن يسأل الرجل عما يجهل من أمور دينه، وما أحسن ما يسأل عن إيضاح ما خفى فهمه من نصوص شريعته، وقد سمع النواس كلمة البر وكلمة الإثم، وللكلمتين ماصدقات كثيرة، ومن الصعب حصر ما هو بر من الآداب، ومن العسير حصر ما هو إثم وذنب من المعاصي، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مضمون الكلمتين، وكيف يعرف المسلم ما هو بر؟ ليفعله، وما هو إثم ليتجنبه؟ مما لا نص فيه، أو فيه نص مجمل أو مشكل، فوكله صلى الله عليه وسلم إلى قلبه، ليستفتيه حين يشك، فما ضاق به صدرا، وخاف من الناس وعيبتهم عليه إذا علموه قد فعله، فهو الإثم، وما اطمأنت إليه النفس، ولم يخش فيه نقد الناس فهو البر، وهو من حسن الخلق.

المباحث العربية

(عن النواس بن سمعان الأنصاري) قال النووي: هكذا وقع في نسخ صحيح مسلم « الأنصاري » قال أبو علي الجبائي: هذا وهم، وصوابه الكلابي، فإن النواس كلابي مشهور. قال المازري والقاضي عياض: المشهور أنه كلابي، ولعله حليف للأنصار، قالوا: وهو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، كذا نسبه العلائي عن يحيى بن معين، و« سمعان » بفتح السين وكسرهما.

(١٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوَّاسِ
(١٥) حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوَّاسِ

(سألت رسول الله ﷺ عن البر) بكسر الباء، وتشديد الراء، أى عن معناه المراد شرعا، فى مثل قولنا: بر الوالدين.

(البر حسن الخلق) قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة، وبمعنى حسن الصحبة، والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق. وانظر أول المباحث العربية فى باب بر الوالدين.

(والإثم) فى اللغة الذنب الذى يستحق العقوبة، وجمعه آثام، يقال: أثم بكسر الثاء، يأثم بفتحها، إذا وقع فى الإثم، فهو أثم و آثم. والسؤال ليس عن أنواع الإثم، وإنما عن الأوصاف التى يعرف بها الإثم، لتجنب.

(الإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس) أى ما تحرك وتردد فى صدرك، ولم تنشرح لفعله، وحصل منه الشك فى القلب، وخشيت أن يعرفه عنك الناس، لاحتمال كونه ذنبا، وهذا المقياس خاص بصفوة المؤمنين، فغيرهم قد ينشرح صدره للآثام.

(أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة) هو معدود فى الشاميين، والمعنى أنه أقام بالمدينة، كالزائر والضيف سنة، من غير أن ينتقل إليها استيطاناً وإقامة وهجرة.

(ما يمنعنى من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء) كان رسول الله ﷺ فى أول أمره بالمدينة يطلب من الصحابة أن يسألوا، ويشجعهم على السؤال، فلما أكثروا، وسألوه عما يفيد وعما لا يفيد، حتى سأل بعضهم عن أبيه الذى مات، أهو فى الجنة أم فى النار؟ فنزل قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] فكان خوفهم من الوقوع فى المحاذير بسؤالهم مانعا من سؤالهم، وكان يعجبهم أن يجيء الرجل العاقل من البادية، لا يعلم النهى عن السؤال، فيسأل، فيستفيدون من السؤال والجواب، علم سمعان أنه يسمح بالسؤال للطارئىن، دون المهاجرين المقيمين، فكانت رغبته فى السؤال عن أمور دينه باعثاً له على عدم نية الإقامة والهجرة.

فقه الحديث

١- فيه فضيلة للنواس بن سمرعان.

٢- وفيه استفاء القلب فيما لا نص فيه.

٣- والبعد عن كل ما يخاف أن يطلع الناس عليه.

والله أعلم

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
	تابع كتاب الطب والمرض
	(٥٩٩) باب قتل الحيات والأبتر والوزع والهرة وسقى البهائم ومسلسل أحاديثه من ٥٧٠٧-٥١١٠ وللمعجم من ١ - ٢٩
٧	
١٢	المعنى العام
١٣	المباحث العربية
٢١	فقه الحديث
٢١	ما يؤخذ من الأحاديث
	كتاب الأدب من الألفاظ وغيرها
	(٦٠٠) باب سب الدهر - تسمية العنب كرماً - قول: عبدي وأمتي - استعمال المسك - ، ومسلسل أحاديثه من ٥١١١-٥١٣٢ وللمعجم من ١-٢١
٢٧	
٣٠	المعنى العام
٣٠	المباحث العربية
٣٤	فقه الحديث
	كتاب الشعر
٣٩	(٦٠١) باب الشعر واللعب بالنرد، ومسلسل أحاديثه ٥١٣٣-٥١٤٤ وللمعجم من ١-١٠
٤٠	المعنى العام
٤١	المباحث العربية
٤٢	فقه الحديث
	كتاب الرؤيا
	(٦٠٢) باب الرؤيا والحلم، وتأويل الرؤيا، ومسلسل أحاديثه ٥١٤٥-٥١٧٧ وللمعجم من ١-٢٤
٤٧	
٥٤	المعنى العام
٥٥	المباحث العربية
٧٠	فقه الحديث
٧٠	حقيقة الرؤيا
٧٢	رؤيا الأنبياء
٧٣	رؤيا غير الأنبياء
٧٣	أنواع الرؤيا
٧٣	ما يؤخذ من الأحاديث
	كتاب الفضائل
	(٦٠٣) باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة وتفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، مسلسل أحاديثه من ٥١٧٨-٥١٨٠ وللمعجم من ١-٣
٨٣	

الصفحة	الموضوع
٨٣	المعنى العام
٨٤	المباحث العربية
٨٥	فقه الحديث
٨٨	(٦٠٤) باب فى معجزات النبى ﷺ، ومسلسل أحاديثه ٥١٨١-٥١٨٩ وللمعجم من ٤-١٢
٩٠	المعنى العام
٩١	المباحث العربية
٩٦	فقه الحديث
٩٨	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٠٥) باب توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس،
١٠١	ومسلسل أحاديثه من ٥١٩٠-٥١٩٢ وللمعجم من ١٣-١٤
١٠١	المعنى العام
١٠٢	المباحث العربية
١٠٤	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٠٦) باب بيان مثل ما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، ومسلسل حديثه
١٠٥	٥١٩٣ وللمعجم ١٥
١٠٥	المعنى العام
١٠٦	المباحث العربية
١٠٨	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٠٧) باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم
	وإذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، ومسلسل أحاديثه من ٥١٩٤-٥٢٠٤
١٠٩	وللمعجم من ١٦-٢٤
١١١	المعنى العام
١١٢	المباحث العربية
١١٦	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٠٨) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٠٥-٥٢٣٢
١١٧	وللمعجم من ٢٥-٤٥
١٢٢	المعنى العام
١٢٣	المباحث العربية
١٣٠	فقه الحديث
١٣١	ما يؤخذ من الحديث
	(٦٠٩) باب إكرامه صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معه، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٣٣-
١٣٣	٥٢٣٤ وللمعجم من ٤٦-٤٧
١٣٣	المعنى العام
١٣٤	المباحث العربية

الصفحة	الموضوع
١٣٤	فقه الحديث
١٣٥	ما يؤخذ من الحديث
١٣٦	(٦١٠) باب من شجاعته صلى الله عليه وسلم، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٣٥-٥٢٣٧
١٣٦	وللمعجم من ٤٨-٤٩
١٣٦	المعنى العام
١٣٧	المباحث العربية
١٣٨	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٤٠	(٦١١) باب جوده صلى الله عليه وسلم، ومسلسل حديثه ٥٢٣٨ وللمعجم ٥٠
١٤٠	المعنى العام
١٤٠	المباحث العربية
١٤١	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٤٤	(٦١٢) باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٣٩-٥٢٤٣
١٤٥	وللمعجم من ٥١-٥٥
١٤٥	المعنى العام
١٤٥	المباحث العربية
١٤٧	فقه الحديث
١٤٨	ما يؤخذ من الحديث
١٤٩	(٦١٣) باب فى سخائه صلى الله عليه وسلم، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٤٤-٥٢٤٩
١٥٠	وللمعجم من ٥٦-٦١
١٥١	المعنى العام
١٥٣	المباحث العربية
١٥٥	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٥٦	(٦١٤) باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٥٠-٥٢٤٥ وللمعجم من ٦٢-٦٦
١٥٧	المعنى العام
١٥٩	المباحث العربية
١٦١	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٦١	(٦١٥) باب حياته صلى الله عليه وسلم، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٥٥-٥٢٥٦ وللمعجم من ٦٧-٦٨
١٦١	المعنى العام
١٦٢	المباحث العربية
١٦٣	فقه الحديث
١٦٣	(٦١٦) باب تيسمه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته، ومسلسل حديثه ٥٢٥٧
١٦٣	وللمعجم ٦٩
١٦٣	المعنى العام

الصفحة	الموضوع
١٦٣	المباحث العربية
١٦٤	فقه الحديث
١٦٥	ما يؤخذ من الحديث
١٦٦	(٦١٧) باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء والرفق بهن ، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٥٨-٥٢٦٢ ، وللمعجم من ٧٠-٧٣
١٦٦	المعنى العام
١٦٧	المباحث العربية
١٦٩	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٧٠	(٦١٨) باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به، وتواضعه لهم، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٦٣-٥٢٦٥ وللمعجم من ٧٤-٧٦
١٧٠	المعنى العام
١٧١	المباحث العربية
١٧٢	فقه الحديث
١٧٣	(٦١٩) باب مبادئه صلى الله وسلم للأثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله تعالى عند انتهاك حرماته، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٦٦-٥٢٦٩ وللمعجم من ٧٧-٧٩
١٧٣	المعنى العام
١٧٤	المباحث العربية
١٧٥	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٧٧	(٦٢٠) باب طيب رائحته صلى الله عليه وسلم، ولين مسه وطيب عرقه، والتبرك به، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٧٠-٥٢٧٩ وللمعجم من ٨٠-٨٩
١٧٨	المعنى العام
١٧٩	المباحث العربية
١٨٢	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٨٦	(٦٢١) باب فى صفاته الخلقية، وصفة شعره وشيبيته، ومسلسل أحاديثه من ٥٢٨٠-٥٢٩٩ وللمعجم من ٩٠-١٠٨
١٨٨	المعنى العام
١٨٩	المباحث العربية
١٩٢	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
١٩٤	(٦٢٢) باب إثبات خاتم النبوة، وصفته، ومحلّه من جسده، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٠٠-٥٣٠٣ وللمعجم من ١٠٩-١١٢
١٩٤	المعنى العام
١٩٥	المباحث العربية
١٩٧	فقه الحديث

الصفحة	الموضوع
	(٦٢٣) باب قدر عمره صلى الله عليه وسلم وإقامته بمكة والمدينة، ومسلسل أحاديثه
١٩٩	٥٣٠٤-٥٣١٦ وللمعجم من ١١٣-١٢٣
٢٠١	المعنى العام
٢٠٢	المباحث العربية
٢٠٣	فقه الحديث
	(٦٢٤) باب فى أسمائه صلى الله عليه وسلم، ومسلسل أحاديثه من ٥٣١٧-٥٣٢٠
٢٠٦	وللمعجم من ١٢٤-١٢٦
٢٠٦	المعنى العام
٢٠٧	المباحث العربية
٢٠٨	فقه الحديث
	(٦٢٥) باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله، وشدة خشيته له، ومسلسل أحاديثه من
٢١٠	٥٣٢١-٥٣٢٢ وللمعجم من ١٢٧-١٢٨
٢١٠	المعنى العام
٢١١	المباحث العربية
٢١٢	فقه الحديث
٢١٢	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٢٦) باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة
٢١٤	إليه، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٢٣-٥٣٢٢ وللمعجم من ١٢٩-١٣٨
٢١٧	المعنى العام
٢١٨	المباحث العربية
٢٢٣	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٢٧) باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش
٢٢٩	الدنيا على سبيل الرأى، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٢٣-٥٣٣٥ وللمعجم
٢٢٩	من ١٣٩-١٤١
٢٢٩	المعنى العام
٢٣٠	المباحث العربية
٢٣١	فقه الحديث
٢٣٤	(٦٢٨) باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم، ومسلسل حديثه ٥٣٣٦ وللمعجم ١٤٢
٢٣٤	المعنى العام
٢٣٤	المباحث العربية
٢٣٥	فقه الحديث
	(٦٢٩) باب فضائل عيسى عليه السلام، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٣٧-٥٣٤٤ وللمعجم من
٢٣٦	١٤٣-١٤٩
٢٣٧	المعنى العام
٢٣٨	المباحث العربية
٦٣٧	

الصفحة	الموضوع
٢٤٠	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٢٤٢	(٦٣٠) باب من فضائل إبراهيم الخليل ، ولوط ، عليهما السلام، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٤٩-٥٣٤٥ وللمعجم من ١٥٠-١٥٤
٢٤٣	المعنى العام
٢٤٤	المباحث العربية
٢٥١	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٢٥٤	(٦٣١) باب من فضائل موسى عليه السلام ، ويونس ، ويوسف ، وزكريا ، والخضر عليهم السلام، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٥٠-٥٣٧٠ وللمعجم من ١٥٥-١٧٥
٢٦١	المعنى العام
٢٦٢	المباحث العربية
٢٧٣	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
كتاب فضائل الصحابة	
	(٦٣٢) باب من فضائل أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٣٧١-٥٣٨٧
٢٧٩	وللمعجم من ١-١٣
٢٨٢	المعنى العام
٢٨٣	المباحث العربية
٢٨٧	فقه الحديث
٢٨٧	الصحابي من هو؟ وما حقوقه؟
٢٩١	التفاضل بين الصحابة
٢٩٢	من فضائل أبي بكر <small>رضي الله عنه</small>
٢٩٣	ويؤخذ من الحديث
٢٩٦	(٦٣٣) باب من فضائل عمر <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه ٥٣٨٨-٥٤٠٢ وللمعجم من ١٤-٢٥
٢٩٩	المعنى العام
٣٠٠	المباحث العربية
٣٠٩	فقه الحديث
٣٠٩	وفاة عمر
٣١٢	إسلام عمر <small>رضي الله عنه</small>
٣١٣	من فضائل عمر <small>رضي الله عنه</small>
٣١٤	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٣٤) باب من فضائل عثمان <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٠٣-٥٤١٠ وللمعجم
٣١٧	من ٢٦-٢٩
٣١٩	المعنى العام
٣٢٠	المباحث العربية
٣٢٣	فقه الحديث

الصفحة	الموضوع
٣٢٥	ما يؤخذ من الحديث
	(٦٣٥) باب من فضائل علي <small>عليه السلام</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤١١-٥٤٢١ وللمعجم
٣٢٧	من ٣٠-٣٨
٣٣٠	المعنى العام
٣٣١	المباحث العربية
٣٣٥	فقه الحديث
٣٣٦	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٣٦) باب من فضائل سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٢٢-٥٤٣١
٣٣٨	وللمعجم من ٣٩-٤٦
٣٤٠	المعنى العام
٣٤١	المباحث العربية
٣٤٥	فقه الحديث
٣٤٦	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٣٧) باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، ومسلسل أحاديثه
٣٤٧	من ٤٧-٥٢ وللمعجم من ٥٤٣٢-٥٤٤٠
٣٤٨	المعنى العام
٣٤٩	المباحث العربية
٣٥١	فقه الحديث
٣٥٢	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٣٨) باب من فضائل أبي عبيدة بن الجراح <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٤١-٥٤٤٣
٣٥٣	وللمعجم من ٥٣-٥٥
٣٥٣	المعنى العام
٣٥٣	المباحث العربية
٣٥٤	فقه الحديث
	(٦٣٩) باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومسلسل أحاديثه من
٣٥٥	٥٤٤٤-٥٤٤٩ وللمعجم من ٥٦-٦١
٣٥٦	المعنى العام
٣٥٦	المباحث العربية
٣٥٨	فقه الحديث
٣٥٩	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٤٠) باب من فضائل زيد بن حارثة، وابنه أسامة، رضي الله عنهما، ومسلسل أحاديثه
٣٦٠	من ٦٢-٦٤ وللمعجم من ٥٤٥٠-٥٤٥٢
٣٦٠	المعنى العام
٣٦١	المباحث العربية
٣٦٢	فقه الحديث
٦٣٩	

الصفحة	الموضوع
٣٦٣	ما يؤخذ من الأحاديث (٦٤١) باب من فضائل عبد الله بن جعفر <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٥٣-٥٤٥٦
٣٦٤	وللمعجم من ٦٥-٦٨
٣٦٤	المعنى العام
٣٦٥	المباحث العربية
٣٦٥	فقه الحديث
٣٦٦	ما يؤخذ من الأحاديث (٦٤٢) باب من فضائل خديجة رضي الله عنها، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٥٧-٥٤٦٧
٣٦٧	وللمعجم من ٦٩-٧٨
٣٦٨	المعنى العام
٣٦٩	المباحث العربية
٣٧٣	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث (٦٤٣) باب من فضائل عائشة رضي الله عنها، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٦٨-٥٤٨٣
٣٧٦	وللمعجم من ٧٩-٩١
٣٧٩	المعنى العام
٣٨٠	المباحث العربية
٣٨٧	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث (٦٤٤) تابع باب من فضائل عائشة رضي الله عنها، حديث أم زرع، ومسلسل أحاديثه ٥٤٨٤-٥٤٨٥ وللمعجم ٩٢
٣٩٢	المعنى العام
٣٩٣	المباحث العربية
٣٩٥	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٤٠٨	(٦٤٥) باب من فضائل فاطمة رضي الله عنها، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٨٦-٥٤٩٢
٤١١	وللمعجم من ٩٣-٩٩
٤١٣	المعنى العام
٤١٤	المباحث العربية
٤١٨	فقه الحديث
٤١٨	ما يؤخذ من الأحاديث
٤٢٠	(٦٤٦) باب من فضائل أم سلمة رضي الله عنها، ومسلسل حديثه ٥٤٩٣ وللمعجم ١٠٠
٤٢٠	المعنى العام
٤٢٠	المباحث العربية
٤٢١	فقه الحديث
٤٢٢	(٦٤٧) باب من فضائل زينب، أم المؤمنين، رضي الله عنها، ومسلسل حديثه ٥٤٩٤ وللمعجم ١٠١

الصفحة	الموضوع
٤٢٢	المعنى العام
٤٢٢	المباحث العربية
٤٢٤	فقه الحديث
	(٦٤٨) باب من فضائل أم أيمن رضى الله عنها، ومسلسل أحاديثه من ٥٤٩٥-٥٤٩٦
٤٢٥	وللمعجم من ١٠٢-١٠٣
٤٢٥	المعنى العام
٤٢٦	المباحث العربية
٤٢٧	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٤٩) باب من فضائل أم سليم، وبيلال رضى الله عنهما، ومسلسل أحاديثه
٤٢٨	من ٥٤٩٧-٥٥٠١ وللمعجم من ١٠٤-١٠٨
٤٢٩	المعنى العام
٤٣٠	المباحث العربية
٤٣٢	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٥٠) باب من فضائل عبد الله بن مسعود، وأمه رضى الله عنهما، ومسلسل أحاديثه
٤٣٣	من ٥٥٠٢-٥٥١٤ وللمعجم من ١٠٩-١١٨
٤٣٥	المعنى العام
٤٣٦	المباحث العربية
٤٣٩	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٤٤١	(٦٥١) باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضى الله عنهم ومسلسل
	أحاديثه من ٥٥١٥ - ٥٥١٨ وللمعجم من ١١٩ - ١٢٢
٤٤١	المعنى العام
٤٤٢	المباحث العربية
٤٤٤	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٥٢) باب من فضائل سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small> ومسلسل أحاديثه من ٥٥١٩-٥٥٢٥ وللمعجم
٤٤٥	من ١٢٣ - ١٢٧
٤٤٦	المعنى العام
٤٤٦	المباحث العربية
٤٤٨	فقه الحديث
	(٦٥٣) باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة <small>رضي الله عنه</small> ومسلسل حديثه ٥٥٢٦
٤٤٩	وللمعجم ١٢٨
٤٤٩	المعنى العام
٤٤٩	المباحث العربية
٤٥٠	فقه الحديث
	(٦٥٤) باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله عنهما، ومسلسل
٤٥١	أحاديثه من ٥٥٢٧-٥٥٣٠ وللمعجم من ١٢٩-١٣٠
٦٤١	

الصفحة	الموضوع
٤٥١	المعنى العام
٤٥٢	المباحث العربية
٤٥٣	فقه الحديث
٤٥٤	(٦٥٥) باب من فضائل جليبيب <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه ٥٥٣١ وللمعجم ١٣١
٤٥٤	المعنى العام
٤٥٥	المباحث العربية
٤٥٥	فقه الحديث
	(٦٥٦) باب من فضائل أبي ذر <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٣٢-٥٥٣٥ وللمعجم من
٤٥٦	١٣٢-١٣٣
٤٥٩	المعنى العام
٤٥٩	المباحث العربية
٤٦٩	فقه الحديث
٤٧٠	وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٥٧) باب من فضائل جرير بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٣٦-٥٥٤٠
٤٧٢	وللمعجم من ١٣٤-١٣٧
٤٧٣	المعنى العام
٤٧٣	المباحث العربية
٤٧٦	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٥٨) باب من فضائل عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنهما</small> ، ومسلسل أحاديثه ٥٥٤١
٤٧٨	وللمعجم ١٣٨
٤٧٨	المعنى العام
٤٧٩	المباحث العربية
٤٧٩	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٥٩) باب من فضائل عبد الله بن عمر <small>رضي الله عنهما</small> ، ومسلسل أحاديثه
٤٨٠	من ٥٥٤٢-٥٥٤٤ وللمعجم من ١٣٩-١٤٠
٤٨٠	المعنى العام
٤٨١	المباحث العربية
٤٨٤	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٦٠) باب من فضائل أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small> ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٤٥-٥٥٥١ وللمعجم
٤٨٦	من ١٤١-١٤٦
٤٨٧	المعنى العام
٤٨٧	المباحث العربية
٤٨٨	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث

الصفحة	الموضوع
٤٩٠	(٦٦١) باب من فضائل عبد الله بن سلام ﷺ ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٥٢-٥٥٥٥ وللمعجم من ١٤٧-١٥٠
٤٩١	المعنى العام
٤٩٢	المباحث العربية
٤٩٦	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٤٩٧	(٦٦٢) باب من فضائل حسان بن ثابت ﷺ ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٥٦-٥٥٦٥ وللمعجم من ١٥١-١٥٧
٤٩٩	المعنى العام
٥٠٠	المباحث العربية
٥٠٤	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٥٠٦	(٦٦٣) باب من فضائل أبي هريرة ﷺ ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٦٦-٥٥٧٠ وللمعجم من ١٥٨-١٦٠
٥٠٧	المعنى العام
٥٠٨	المباحث العربية
٥١٠	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٥١٢	(٦٦٤) باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ ، ومسلسل أحاديثه ٥٥٧١-٥٥٧٣ وللمعجم من ١٦١-١٦٢
٥١٣	المعنى العام
٥١٣	المباحث العربية
٥١٦	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٥١٩	(٦٦٥) باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ ، ومسلسل حديثه ٥٥٧٤ وللمعجم ١٦٣
٥١٩	المعنى العام
٥٢٠	المباحث العربية
٥٢٠	فقه الحديث
٥٢١	(٦٦٦) باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما ، ومسلسل أحاديثه ٥٥٧٥-٥٥٧٨ وللمعجم من ١٦٤-١٦٧
٥٢٢	المعنى العام
٥٢٣	المباحث العربية
٥٢٧	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٥٢٩	(٦٦٧) باب من فضائل أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ ، ومسلسل حديثه ٥٥٧٩ وللمعجم ١٦٨
٥٢٩	المعنى العام
٥٣٠	المباحث العربية
٥٣١	فقه الحديث

الصفحة	الموضوع
٥٣٢	(٦٦٨) باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس ، ومسلسل حديثه ٥٥٨٠ وللمعجم ١٦٩
٥٣٢	المعنى العام
٥٣٢	المباحث العربية
٥٣٧	فقه الحديث
٥٣٨	(٦٦٩) باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب <small>رضي الله عنهم</small> ، ومسلسل حديثه ٥٥٨١ وللمعجم ١٧٠
٥٣٨	المعنى العام
٥٤٠	المباحث العربية
	فقه الحديث
٥٤٢	(٦٧٠) باب من فضائل الأنصار، ومسلسل أحاديثه ٥٥٨٢-٥٥٩٣ وللمعجم من ١٧١-١٨١
٥٤٤	المعنى العام
٥٤٦	المباحث العربية
٥٥٠	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٧١) باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينه وتميم ودوس وطيب ، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٩٤-٥٦١٣ وللمعجم من ١٨٢-١٩٨
٥٥٢	المعنى العام
٥٥٥	المباحث العربية
٥٦١	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
٥٦٣	(٦٧٢) باب خيار الناس، ومسلسل أحاديثه من ٥٦١٤-٥٦١٥ وللمعجم ١٩٩
٥٦٣	المعنى العام
٥٦٤	المباحث العربية
٥٦٦	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٧٣) باب من فضائل نساء قريش ، ومسلسل أحاديثه من ٥٦١٦-٥٦٢٠ وللمعجم من ٢٠٠-٢٠٢
٥٦٧	المعنى العام
٥٦٧	المباحث العربية
٥٦٨	فقه الحديث
٥٧٠	(٦٧٤) باب مؤاظة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> بين أصحابه رضى الله عنهم ، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٢١-٥٦٢٤ وللمعجم من ٢٠٣-٢٠٦
٥٧١	المعنى العام
٥٧٢	المباحث العربية
٥٧٣	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٧٥) باب بيان أن بقاء النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ومسلسل حديثه من ٥٦٢٥ وللمعجم ٢٠٧
٥٧٥	

الصفحة	الموضوع
٥٧٥	المعنى العام
٥٧٥	المباحث العربية
٥٧٦	فقه الحديث
٥٧٧	(٦٧٦) باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٢٦-٥٦٣٦ وللمعجم من ٢٠٨-٢١٦
٥٧٩	المعنى العام
٥٨٠	المباحث العربية
٥٨٣	فقه الحديث
٥٨٥	وما يؤخذ من الأحاديث
٥٨٦	(٦٧٧) باب معنى قوله صلى الله عليه وسلم « على رأس مائة سنة ولا يبقى نفس منفوسة ممن هو موجود الآن » ومسلسل أحاديثه من ٥٦٣٧-٥٦٤٢ وللمعجم من ٢١٧-٢٢٠
٥٨٧	المعنى العام
٥٨٧	المباحث العربية
٥٨٨	فقه الحديث
٥٨٩	(٦٧٨) باب تحريم سب الصحابة، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٤٣-٥٦٤٤ وللمعجم من ٢٢١-٢٢٢
٥٨٩	المعنى العام
٥٨٩	المباحث العربية
٥٩٠	فقه الحديث
٥٩٢	(٦٧٩) باب من فضائل أويس القرني، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٤٥-٥٦٤٧ وللمعجم من ٢٢٣-٢٢٥
٥٩٣	المعنى العام
٥٩٣	المباحث العربية
٥٩٥	فقه الحديث
٥٩٦	(٦٨٠) باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٤٨-٥٦٤٩ وللمعجم من ٢٢٦-٢٢٧
٥٩٦	المعنى العام
٥٩٦	المباحث العربية
٥٩٧	فقه الحديث
٥٩٩	(٦٨١) باب فضل أهل عمان، ومسلسل حديثه ٥٦٥٠ وللمعجم ٢٢٨
٥٩٩	المعنى العام
٥٩٩	المباحث العربية
٥٩٩	فقه الحديث
٦٠٠	(٦٨٢) باب ذكر كذاب ثقيف، ومسلسل حديثه ٥٦٥١ وللمعجم ٢٢٩

الصفحة	الموضوع
٦٠٠	المعنى العام
٦٠١	المباحث العربية
٦٠٢	فقه الحديث
٦٠٤	(٦٨٣) باب فضل فارس، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٥٢-٥٦٥٣ وللمعجم من ٢٣٠-٢٣١
٦٠٤	المعنى العام
٦٠٤	المباحث العربية
٦٠٥	فقه الحديث
	(٦٨٤) باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم «الناس كإبل مائة»، ومسلسل حديثه ٥٦٥٤
٦٠٦	وللمعجم ٢٣٢
٦٠٦	المعنى العام
٦٠٦	المباحث العربية
٦٠٧	فقه الحديث
كتاب البر والصلة والآداب	
٦١١	(٦٨٥) باب بر الوالدين، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٥٥-٥٦٦٠ وللمعجم من ١-٥
٦١٢	المعنى العام
٦١٢	المباحث العربية
٦١٥	فقه الحديث
٦١٧	ما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٨٦) باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها وفضل بر الوالدين، ومسلسل أحاديثه من ٥٥٦١-٥٦٦٥ وللمعجم من ٧-١٠
٦١٨	المعنى العام
٦٢٠	المباحث العربية
٦٢٥	فقه الحديث وما يؤخذ من الأحاديث
	(٦٨٧) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٦٦-٥٦٦٨
٦٢٨	وللمعجم من ١١-١٣
٦٢٨	المعنى العام
٦٢٩	المباحث العربية
٦٢٩	فقه الحديث
٦٣١	(٦٨٨) باب تفسير البر والإثم، ومسلسل أحاديثه من ٥٦٦٩-٥٦٧٠ وللمعجم من ١٤-١٥
٦٣١	المعنى العام
٦٣١	المباحث العربية
٦٣٢	فقه الحديث

رقم الإيداع ٢٠٠١/١٦٦٨١
الترقيم الدولي 7 - 0767 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)